الله ربّي وهو حسبي

كتاب
شعب الايمان تأليف الشيخ الامام العارف
الفاضل الذكي العالم العلامة ابي محمد
عبد الجليل بن موسى بن عبد الجليل
القصري قدس الله روحه
ونور ضريحه
وكرمه

الملك لله دخل في حفظ عبده
الحاج بشير آغا دار السعادة الشريفة
لسنة ثمان وخمسين ومائة
والف



٣٦٦

هذه النسخة الجليلة والمجلدة الجميلة من وقف حضرت مولانا صاحب الخيرات الحسان
صاحب ذيل الجود والاحسان منور مصابيح المقاصد بانوار العناية
مفتح معاقد المراصد بمفتاح الكفاية جامع محاسن العلم والعمل حائز جوامع البر
الاكمل الا وهو آغا دار السعادة الحاج بشير وفقه الله للخير المزيد والبر الكثير
من هو على كل شي قدير ونحن الفقير الى الله سبحانه وتعالى
محمد امين المفتش باوقاف الحرمين المحترمين
عفي له



بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين
الشعبة الاولي شهادة ان لا اله الا الله الشعبة الثانية
الاقرار بان محمدا رسول الله الشعبة الثالثة الغسل من الجنابة
الشعبة الرابعة الوضو الشعبة الخامسة الصلاة وهي اكبر شعب
الاسلام الشعبة السادسة الزكاة الشعبة السابعة صوم رمضان
الشعبة الثامنة الحج الشعبة التاسعة الجهاد الشعبة العاشرة
وهي العزم الشعبة الحادية عشرة الاستقامة الشعبة الثانية
عشرة وهي الالفة الشعبة الثالثة عشرة وهي النصيحة الشعبة
الرابعة عشر والخامسة عشرة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الشعبة
السادسة عشرة العدل الشعبة السابعة عشر الامانة الشعبة الثامنة
عشرة الصدق الشعبة التاسعة عشرة الوفا بالعهود والمواعيد
الشعبة الموفية عشرين كف الاذي الشعبة الحادية والعشرون
البر الشعبة الثانية والعشرون صلة الرحم الشعبة الثالثة
والعشرون اكرام الجار الشعبة الرابعة والعشرون اكرام الضيف
الشعبة الخامسة والعشرون الصمت واللين الشعبة السادسة
والعشرون الغيرة الشعبة السابعة والعشرون ترك ما لا يعني
الشعبة الثامنة والعشرون التقوى الشعبة التاسعة والعشرون
الورع الشعبة الموفية ثلاثين القناعة الشعبة الموفية
احدي وثلاثين الايمان بالله الشعبة الثانية والثلاثون الايمان
بالصفات الشعبة الثالثة والثلاثون الايمان بالاقدار والقضا

الشعبة



الشعبة الرابعة والثلاثون الايمان بالانبيا والرسل الشعبة
الخامسة والثلاثون الايمان بالكتب المنزلة الشعبة السادسة
والثلاثون الايمان بالملايكة الشعبة السابعة والثلاثون
الايمان بالجن والشياطين الشعبة الثامنة والثلاثون كف الاذي
عمن قال لا اله الا الله الشعبة التاسعة والثلاثون والموفية
اربعين النية والاخلاص الشعبة الواحدة والاربعون التوبة
الشعبة الثانية والاربعون الصبر الشعبة الثالثة والاربعون
الشكر الشعبة الرابعة والاربعون الزهد الشعبة الخامسة
والاربعون التوكل الشعبة السادسة والاربعون الرضي الشعبة
السابعة والاربعون الخوف الشعبة الثامنة والاربعون الرجا
الشعبة التاسعة والاربعون المحبة في الله الشعبة الموفية
خمسين حب الرسول عليه السلام الشعبة الاحدي والخمسون
الحب في الله الشعبة الثانية والخمسون البغض في الله الشعبة
الثالثة والخمسون الحيا الشعبة الرابعة والخمسون حسن الخلق
الشعبة الخامسة والخمسون الاحسان الشعبة السادسة والخمسون
الاحسان ايضا الشعبة السابعة والخمسون الذكر الشعبة الثامنة
والخمسون الحلم الشعبة التاسعة والخمسون اليقين الشعبة
الموفية ستين كراهية الكفر بالله تعالي وهو والايمان بالله قرينان
لا يفترقان الشعبة الاحدي والستون الامامة الشعبة
الثانية والستون الايمان بفنا هذا العالم الدنياوي وهو موته
عند موت الخلق اجمعين والنفخة الاولي الشعبة الثالثة
والستون الايمان بدار البرزخ واحواله وبقا الارواح فيه وعذابه
ونعيمه وسوال المنكر ونكير وجميع احوال دار البرزخ الي دار الخلود الشعبة
الرابعة والستون الايمان بالبعث من القبور وبعث الاجسام مع الارواح
وخروجها من دار البرزخ الي دار الخلود الشعبة الخامسة والستون
الايمان باليوم الاخر وهو يوم القيمة الذي يكون فيه بعث الاجساد وغيرها
من الكاينات الاخروية الشعبة السادسة والستون الايمان بالحساب

دوقوعه على حسب احوال الخلق على ما اراد الله من الخفة والبشر
لمن شا والمناقشة والبشر الشعبة السابعة والستون الايمان
بالميزان وانه حق وعدل الشعبة الثامنة والستون الايمان
بالشفاعة فصل في شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم
الشعبة التاسعة والستون الايمان بالصراط الشعبة الموفية
سبعين الايمان بالحوض المورود حوض محمد صلى الله عليه وسلم
الشعبة الحادي والسبعون والثانية والسبعون الايمان
بالجنة والايمان بالنار الشعبة الثالثة والسبعون النظر
الى وجه الله الشعبة الرابعة والسبعون اماطة الاذى عن الطريق
بسم الله الرحمن الرحيم ۝ وصلى الله على سيدنا محمد
الحمد لله بحقايق حمده وتمجيده ۝ كما يجب له على كرمه وجوده ۝ حمدا
يحيط بمعاني الثنا من جميع وجوهه ۝ ونشكره على قدر ما يعلم ربنا
من النعم التي انعم بها على جميع عبيده ۝ وصلى الله على النبي الامي
التقي النقي السيد الغريب الولي الحبيب محمد بن عبد الله بن عبد المطلب
صلاة تحيط بانواع الالا والانعام ۝ وتدوم عليه بدوام ذي
الجلال والاكرام ۝ وعلى من استظل تحت لوائه ۝ ودخل في دين الله
من انبيائه النبيين والمرسلين والملايكة المكرمين وآل ازواج
المطهرات امهات المومنين والاصحاب وجميع التابعين والطابعين
وسلم تسليما فصل اعلم ان اول شي يجب على العبد
معرفة صانعه وكيف كان صنعه ثم التعبد له وكيف يعبد وبهذين
الفصلين مع التوفيق القديم تنال السعادة ويرتقي معارج
زلف الكرامة وبضد هذين الفصلين وهو الجهل والعصيان مع
الخذلان القديم تنال الشقاوة ويحط الى محل الخزي والاهانه
قال الله جل جلاله وتقدست اسماوه الله الذي خلق سبع سموات
ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شي قدير
وان الله قد احاط بكل شي علما فهذا فصل العلم به وقال
عز وجل وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون يا ايها الناس اعبدوا

في اول ما يجب على العبد

ربكم

ربكم فهذا فصل التعبد له فاذا تبين هذين الفصلين اللذين هما العلم
والتعبد مدارا لامور كله في جميع مخلوقات الله تعالى وبما علة
خلق الاشيا كلها لان الله تعالى ما خلق شيا الا لحكمة كما قال وما
خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين والله يتعالى ان يخلق
شيا لغير حكمة او ان يخلق شيا مهملا سدا لان المهمل فعل العبث واللعب
فاذ اتبين هذا فانا خلق ما خلق ليعلم ويعبد لانه لو لم يخلق شيا
كما كان في ازليته لم يعرفه احد سواه لانه كيف يعرفه من ليس بموجود ولا
له وجود فامتن على خليقته بان اوجدهم بفضله ودلهم بكرمه على نفسه
واما طريق العلم به فمن وجهين احدهما طريق السمع منه وممن سفر
بينه وبين خلقه والوجه الثاني طريق الدليل والنظر الذي يحصل
منه البرهان العقلي واما التعبد فماخوذ من جهة السمع وعلى العقل
التسليم والانقياد حتى تظهر له وجه الحكمة في الاستعباد والاستخدام
تفصيل ما تقدم اما العلم فهو متقدم الوجود على التعبد لابد
ان يحصل العلم اولا ثم بعد ذلك يقع التعبد بالعلم لان الجهل لا يوجب
شيا من العمل واما طريق العلم به سبحنه من جهة السمع فهو قبوله ما اخبر به
سبحانه عن نفسه او رسوله عليه السلام مما نطقت به كتبه او اخبرت به
رسله عليهم السلام من صفاته واسمايه بالتصديق وامرارها واجراء الصفات
كما وردت واما طريق العلم به من جهة النظر العقلي والدليل البرهاني
فبالبحث في المخلوقات والاعتبار بالمصنوعات والتدبر في الاخبار
والايات وفهم الحكم والعجايب المصنوعات مثال ذلك في الطريق
الاول الذي هو السمع ان تصدق بالله موجود قديم اول بنفسه لم
يوجده احد ولم يوجد نفسه باق ابدا وانه ليس بجوهر ولا جسم ولا
عرض وانه ليس في جهة من الجهات وانه غير مستقر على مكان وانه مرئي
بالقلوب والابصار وانه واحد احد فرد صمد لا ثاني معه ولا شي
مثله فهذا هو العلم بذاته واما العلم بصفاته فانه تصدق بانه
حي عليم بنفسه وبجميع خلقه قدير على ما يشا لا يمتنع عليه شي مريد لما
يشا لا مكره له سميع لنفسه ولجميع خلقه بصير بنفسه وبجميع عباده

بدا الامر وكله في جميع المخلوقات العلم والتعبد

مطلب طريق العلم بالله

متكلم آمر ناه زاجر موعد متواعد وانه كايل الادراك لكل شي من الطعوم والروايح وجميع الادراكات على ما يليق به سبحانه وانه منزه عن حلول الحوادث به وطريانها عليه وانه قديم الصفات **فهذه** الاسما والصفات المتقدمة لا بد من اعتقادها والاقرار بها وذلك الوجود والقدم والبقا والوحدانية والحياة والعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام وجميع ما وصف به نفسه راجع الى هذه الصفات من التنزيه والتقديس والاجلال والتعظيم الى ساير اسمايه وصفاته ما علم منها وما لم يعلم فتصدق بجميع ذلك تصديقا جزما وتقطع به قطعا ضما تنكلون من المومنين المصدقين **ثم بعد** ذلك يقع النظر في المخلوقات والاعتبار بالمصنوعات فيشاهد العقل ما صدق به القلب ويقوى تصديق القلب بمشاهدة العقل فيتزايد الايمان وتعظم المعرفة بحصول اليقين **فصل** واول ما ينظر العقل في صفة نفسه وتركيبه ثم في جميع المخلوقات والمبدعات فيستدل بذلك على خالقها ومبدعها لان في الصنعة دلالة على الصانع وفي الصور المحكمة اية تدل على الفاعل الحكيم فان الاشيا كلها موجودة به وبه **قال** ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله عز وجل وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه اي الكل منه فقال في كل شي اسم من اسمايه واسم كل شي من اسمه فانما انت بين اسمايه وصفاته وافعاله باطنا بقدرته وظاهرا بحكمته ظهر بصفاته وبطن بذاته حجب الذات بالصفات وحجب الصفات بالافعال وكشف العلم بالارادة واظهر الارادة بالحركات واخفى الصنع في الصنعة واظهر الصنعة بالادوات فهو باطن في غيبه وظاهر بحكمته وقدرته ليس كمثله شي وهو السميع البصير **فقد** اظهر رضي الله عنه سر المعرفة وحقيقة العلم في قوله في كل شي اسم من اسمايه واسم كل شي من اسمه **ومعنى** ذلك ان وجود جميع الاشيا فايض عن وجوده الحق وان صفات كل شي مبدعة عن صفاته الحسنى لان البارئ سبحانه ليس هو الا ذاتا وصفات ولا غير اخذ ذلك من طريق السمع والعقل وكذلك الاشيا كلها ليست

الا ذوات وصفات وهو الذي عبر عنه بالجواهر والاعراض روحانيات كانت او جسمانيات لا يوجد غير ذلك فاكثرها فيضه الكريم وجوده العظيم هذا المعنى فظهر فيها اثره وتبين للعقول شاهدته **ولما كان** البارئ سبحانه لا حد له ولا نهاية ولا غاية لوصفه وعظمته اقتضى ان تكون الاشيا لا نهاية لها ولا غاية اذ هي فايضة عن معاني اوصافه كما قال ويخلق ما لا تعلمون **فصل** في النظر والاستدلال في مصنوعات ذي الجلال **واعلم** ان اول الدلايل نفس الانسان فاول ما ينظر الانسان نفسه فيجده موجودا فلا يشك في انه موجود فيطلب كيف كان سبب وجوده فيعلم انه قبل وجوده كان عدما وانه لم يكن بنفسه اذ لم يكن له بنفسه علم في حال عدمه ولا بكيفية ايجاده فيعلم بالضرورة ان غيره اوجده فيطلب ذلك الغير فيجد والديه فينظر فيهما فيجدهما مثله في الخلقة ومثله في كيفية الايجاد فلا يجد الا انهما من ابوين اخرين الى ابوين اولين نقف عندهما لان التسلسل الى غير نهاية محال في العقل **ثم** ينظر في اصل خلقة الابوين الاولين فيجدهما معدومين مثل الاباء كلهم فينظر الى السبب الذي خلق الكل منه والى سبب بقايه مدة ما وعدمه فلا يجد الا المادة التي مدت اجساد الكل الى حين العدم وهو الغذا من التراب والما والهوا والنار فيجد الكل مخلوقا من هذه الاربع وهي مادة وجوده وسبب بقايه **ثم** ينظر الى كل مخلوق من هذه الاربع فيجده مخلوقا محدثا مثله ومادة الكل من هذه الاربع مثل الحيوانات والنبات وجواهر الارض كلها ومعادنها فلا يجد صانعه في شي من ذلك فيترجح نظره الى العالم الاكبر لما وجد الجزئيات كلها مثله يلزمها ما يلزمه **فيجد** تركيبه وتركيب الحيوان والنبات والمعادن من العالم الاكبر وهو جز من اجزايه فيعلم بالضرورة انه منه اذ الجز بعض الكل وان هذه الاربعة التي هي الارض والما والهوا والنار منها يستمد كل مخلوق منها فمن الارض ياكل ومن الما يشرب ومن الهوا يتنفس ومن النار يتحرك بحركة الطبع الغريزي فيجد العقل هذه الكليات الاربع مثله ومثل جميع الجزئيات المتركبة منها فلا يجد موجده في شي منها لانها تجتمع

عفاء

وتفترق عند التركيب والتحليل وينحل بعضها الى بعض كاستحالة
اجساد الجزئيات فلا فرق بينها وبين الجزئيات اذ ما جاز على الجزء
جاز على الكل فيرتقي عنها الى طلب موجد في غيرها فيجد عالم
السموات والافلاك والنجوم فيجد اجساما عظاما ذات اجزاء وجواهر
لا تحصى وجماعات كواكب صغارا وكبارا وحمرا وبيضا والى الصفرة
والزرقة مختلفة في الصغر والكبر وحركات كثيرة ودورات مختلفة
ويجد اجسام السموات بعضها اكبر من بعض فيجد السماء جملة اجزاء لا
تحصى قد انضم كل جزء منها الى صاحبه واجتمعت كلها فصارت شيئا واحدا
وجسما واحدا غلظها عظيم وارجاؤها واسعة الاطراف والافاق
فيعلم العقل بالضرورة ان اجتماع اجزائها وجواهرها كان عن افتراق
قبل الاجتماع ثم اجتمعت بعد الافتراق حتى تماسك بعضها الى بعض
والتامت فصارت شيئا واحدا لان الجسم ينقسم في العقل الى جزء لا
يتجزأ ثم ينظر الى اجتماع الكواكب فيها فيجد الكواكب معتمدة على
اماكنها التي وضعت فيها لولا تلك الاماكن التي امسكتها لانقضت
وتلفت ولم توجد فيعلم ان كل كوكب في السماوات وان السموات والافلاك
حاملة لها ومحركة لجماعتها وبها كان اجتماعها ولولا جمعها لها لافترقت
فهي معتمدة عليها وكذلك كل جزء من جسم السماوات مؤتلف الى غيره
معتمد بعضه على بعض قد شمل كل جزء منه الافتقار والاعتماد الى
غيره فلولا ذلك لانحلت اجزاء السماء وتلاشت اعضاؤها فاذا قد
شمل الكل افتقار بعضه الى بعض وظهر فيها اثر الصنعة وشهد
العقل شهادة ضرورية ان تماسك اجسام السموات والنجوم والا
والافلاك بغيرها لا بنفسها وهو الجامع لها بعد الافتراق والماسك
لها عن الانحلال والتلاشي لان التلاشي والافتراق تنتهي
حقيقته الى العدم والعدم لا يكون موجودا بعد عدمه الا بغير
فقد ظهر وجود السموات وجميع الاجسام بلا مرية لا من شيء فافتقرت
افتقارا ضروريا الى الموجد لها بعد العدم وحكم العقل على كل جسم
في جميع المخلوقات حيث كان بهذه القضية وهذا الحكم لان الجسم

في

في حكم اللغة هو المؤتلف من الاجزاء وهو الطويل العريض العميق فطلب
العقل موجده في عالم الاجسام فلم يجده لانه لم ير في الاجسام شيئا يصلح
لذلك ولا من تليق به الربوبية اذ قد شمل الاجسام كلها صفة التا[ليف]
والصنعة والاحداث ولان كل عضو من اعضاء العالم قد خص بعده
اشتراك الكل في التاليف بما لم يخص به غيره من الاعضاء والزم عملا لم
يلزم غيره كالسماء والارض والافلاك والهواء والنار والماء والشمس
والقمر والنجوم والانوار والظلمات وغير ذلك كل واحد من المخلوقات
على عمل لا يتعداه قد قيد به وحصر وعجز العضو الاخر عما قيد به غيره ثم مع
اختلاف الكل واختصاص هذا بما لم يخص به غيره قد ضم بعضه الى بعض
ونظم نظما ضروريا حتى صار شكلا واحدا كجسم واحد لو عجز منه جزء او عضو
واحد لانخرم النظام وبطل العالم فوجب في ضرورة العقل جامع لهذه
الجملة قاهر لها ومحرك ومصرف لما في اعمالها ليس من جنسها ولا هو
واحد منها فلم يبق الا النظر في صفات الموجد الصانع لهذه الصنعة

فصل

ثم يرجع العقل يطلب ما بعده خارج الاجسام كلها اذ
شاهد جميع الاجسام لا يليق بها الا التاليف والصنعة والعبودية
والحدوث فينظر الى الاعراض والافعال مثل الحركات والسكون والاجتماع
والافتراق والعدم والايجاد والطلوع والاستواء والميل والغروب
الى غير ذلك مما لا يحصى من الافعال والاعراض فيراها حادثة مع كل نفس
وطرفة فيشاهد شيئا عظيما وامرا مهولا واصنافا كثيرا فيعلم انه لا
يقدر على تدبير هذه الامور العظام والافعال الكثيرة الجسام الا ما
هو اعظم منها واجل قدرا واذ ذلك العظيم لا يكون الا ذا علم عظيم
وقدرة عظيمة فحصل له تعظيم الصانع فطلبه فرأى جميع الاجسام
لا تستقل بنفسها ولا تتحرك ولا تسكن بذواتها اذ الافعال لا تصدر
عن الاجسام بل هي كالالات بيد الفاعل المحرك المسكن لها فاستحال
عنده ان يكون الفاعل جسما اذ لو كان جسما لبطل الفعل منه لان الجسم
لا يفعل شيئا فارتقى لطلب موجد غير عالم الاجساد فنظر الى نفسه وجسده
فوجد نفسه محركة لجسده وروحه قائم بجسده فعلم ان الارواح والانفس

انها تتحرك وتسكن الاجسام فطلب معرفة النفس فوجد جسده آلة
مصرفة بيد روحه وكذلك اعضا جسد العالم كله بايدي ارواح العالم
كله وارواح الملائكة واجبا دائم كذلك لا يتحرك ولا يسكن متحرك او
ساكن الا بتحريك محرك روحاني ولا يسكن الا بضبطه وتسكينه من الذرة
والخردلة الى اعظم المخلوقات فراى الافعال كلها والاعراض اجمعها صادرة
عن الارواح بلا شك ولا امترا اذ لا يكون الفعل الا عن ارادة ولا تكون
الارادة الا عن علم ولا يكون العلم الا للحي ولا تكون الحياة الا ومعها
الادراك الكامل والاجسام عن هذا كله بمعزل **فصل** فعند
ذلك علم العقل ان المخلوقات تنقسم قسمين جسمانيا وروحانيا وان
الجسماني ينقسم الى اشخاص والاشخاص الى جواهر واعراض والاعراض
لا تحصى كثرة وان الروحاني ينقسم الى قسمين ايضا جواهر واعراض والجواهر
تنقسم الى انواع كثيرة ارواح الملائكة والانبيا والادميين والجن
والشياطين وكل ذي روح في السموات والارض غير ان الارواح قسمتها
غير قسمة الاجسام لان الاجسام تتجزا بالقسمة والارواح خلقت مفردة
لا تقبل الانقسام الا انها من حيث ما كثرت واختلفت وائتلفت لا يدرك
روح هذا ما لم يدركه روح هذا انقسمت ايضا وتكثرت الى ما لا يحصى
والاعراض الروحانية كذلك ايضا في القسمة والكثرة مثل العلوم
والادراكات كلها من القدرة والارادات والكلام والسمع والبصر والرحمة
والغلظة والصبر والجزع والخوف والرجا والشكر والرضى والود والبغض
وغير ذلك مما لا يتناهى مثل الخضوع والذلة والتواضع والكبر والانفة
والفكر والذكر والهيبة والانس وجميع الاخلاق الحسن منها والقبيح هذا
كله قد شمل جميع الروحانيات وعمها فوجد العقل العرض عاما لجميع
المخلوقات كلها جسمانيا وروحانيا وكل جوهر روحاني او جسماني لم يوجد
الا بعرض يعرض فيه ويحل ذاته بعد ان لم يكن حالا به فالعرض لم يوجد
الا في جوهر اصلا ولا يوجد منفردا بنفسه ولا يسبق واحد منهما صاحبه
اصلا والعرض حادث بالضرورة وما لا يسبق الحوادث فهو حادث **مثال**
ذلك حركات جميع اجسام السموات والارض وما بينهما فانها لم توجد

وحركة

حركة ولا سكون الا في جسم فشهد العقل على جميع الاجسام ما غاب عنه
وما حضر وما امن به وصدق وعلى جميع الروحانيات ما علم منها وما لم
يعلم ان الكل حادث موجود مخلوق مربوب من ملك او جني او عرش او كرسي
او حجاب او سما او فلك او طبيعة او ارض او بحر او جزء او كل او ما غاب
او حضر وعلى نفسه مع الكل بان ذلك كله لا يليق به شي من الربوبية شهادة
ضرورية لا بد منها حين راى الافعال والتاثيرات والاعراض الحادثات
تاتيه وجميع المخلوقات من غير قصد منه بل من خارج ذاته ثم تحدث في
ذاته وذات غيره **فعلم** ان لهذه الصنعة صانعا عظيما ليس بجوهر ولا
عرض ولا يشبه شيا من المخلوقات اذ لو كان يشبهها لحلت به الحادثات
مع الانفاس والخطرات ويدرك تجددها فيه ما لم يدركه قبل حدوثها فيكمل
بعد النقصان او ينقص بعد الكمال كما يجري لجميع الحدثان **فوجب في**
النظر البرهاني ان يكون الفاعل لها مخالفا لها من جميع الجهات فعرفه
العقل من جهة التنزيه والتقديس والبراءة من جميع ما يليق بالمخلوقات
من النقايص والعجز والافات والحدوث كله وانه قديم بذاته والنظر
في القدم من وجه انه سبق في العالم فيجد محدثا مفعولا ضرورة لا تقدم
مفتقرا الى موجد محدث فيقول اوجدك غيرك وذلك الغير هل اوجده
غيره ام لا فلو اوجده غيره اضطر ذلك الغير الى غيره وتسلسل ابدا لا نهاية
له حتى ينتهي بالضرورة الى موجد لا موجد له اصلا بل هو موجود بنفسه
لم يزل كذلك **لا يقال** اوجده غيره ولا اوجد نفسه اذ لو اوجد نفسه
لكان قبل الوجود عدما والعدم ليس بشي فكيف يوجد نفسه او غيره
فثبت بالضرورة قدمه ثم وجدت منه الافعال فثبت بالضرورة
قوته على الايجاد واذا ثبتت قوته ثبتت حياته وقدرته اذ الميت
لا قوة له ولا ادراك له والعاجز لا يحدث فعلا وثبت علمه بوجود الصنعة
منه اذ الجاهل لا يوجد عملا وثبتت حكمته بوجود الاتقان في صنعته
اذ القاصر لا يتقن ولا يحكم ما يحكم البالغ الحكيم وثبت تصرفه بتصرفه
في افعاله اذ الاعمى الموقوف لا يبصر شيا ولا يتصرف في ملكه بالايجاد
والتصريف وثبتت ارادته بالتقدم والتاخير والرفع والخفض

وَالتخصيص اذ لامن لاقصد له في فعله لايوجد شيئاً ولايرتب شيا على
حكم اختياره ولا يترك الايجاد اذا اراد تركه بل هو بصفة الاتمال وثبت
كلامه بمخاطبته افعاله بكلامه ايكن على ما اريد منك فطاعت لكلامه
وانقادت بالايجاد والتعبد على حسب ما امر به وثبت سمعه وادراكه
للاصوات لان من به آفة الصم وعدم الادراك دخلت عليه الافات
من حيث لايدري في فعله وفي نفسه واذا دخلت عليه الافة انخرم له النظام
وبطل هو في نفسه فثبت بالضرورة ان الموصوف الناقص لا توجد منه
الافعال الكاملة ولا يدفع عن نفسه وغيره الافات فثبت كلامه وادراكه
لجميع المدركات لكن على شرط ان لا يفهم من ذلك ما يفهم من صفات البشر بل
ينبغي ان يعلم ان الله تبارك وتعالى لا يسمع بعد أن سمع او بعد أن لم يسمع
ولا يعلم ما لم يعلم ولا يتجدد له سمع ولا بصر ولا قدرة ولا ارادة بل الادراك
القديم في الازل هو ادراكه الان وفي الابد وكذلك ثبت للعقول عزة لذل
جميع الاشيا له على كثرتها وعظمها اذ لا يذل الا لعزيز قاهر وكذلك كبرياؤه
لتصاغر الاشيا له وجلاله لتضاؤلها لجلاله اذ هو من يزدري لا يعبا
به وثبت للعقل فيض جوده وكرمه لعموم فضله وعطاياه على جميع
بريته اذ البخيل لا يخرج من يده شي وثبت للعقول حلمه لامهاله وقلة
معاجلته بالعقوبات على كثرة العصيان في جميع الاوقات وجعل
الصاحبة والولد له والشريك وهو مع ذلك يحلم ويرحم ويقبل من تاب
ورجع لان العجول يتغير ويعجل بالعقوبة وثبت لطفه ورحمته
لتهني العيش والدعة في ملكه وثبت حسن جميع اخلاقه ما علم منها
وما لم يعلم لحسن اياديه وتجاوزه عن مخالفيه واحسانه اليهم واكرامه من
اطاعه وغير ذلك مما لا يحصيه احد من حسن اخلاقه وكريم افضاله فلم
تطق العقول وصفه بما هو عليه من الكمال والجلال والعزة والجلال
وصفاته العلى فاقرت بالعجز عن حقيقة وصفه فامتن على العقول
بان وصف لهم نفسه في كتبه بما هو له اهل من الثنا والمحامد فعلمهم اسماءه
الحسنى الدالة على صفاته العلى ثم نظرت العقول في مخلوقاته
فظهر لهم دلايل صفاته فتعبدت له واحبته واشتاقت اليه وتسابقت

في ميادين القرب والتقرب منه واليه للذي كاشفهم به من جماله وظهر لهم
من محاسن جلاله وكماله ٥ ٥

فصل في النظر في المخلوقات على وجه الحكمة

واتقان الصنعة وكل ما تقدم من النظر انما هو في اثبات الدليل على وجود الفاعل سبحانه
وهذا الفصل الان نذكر فيه الدليل على صفات الفاعل الحكيم اما جسم
العالم الاكبر فلو قدرت جميع العقول غير ما هو عليه من الوضع والتركيب
لانخرم نظامه مثال ذلك ان الارض خلقت كثيفة ولم تخلق شفافة مثل
الما لتستقر عليها الخليقة لان الله تعالى جعلها قرارا للمخلوقات ولم
تخلق ايضا صلبة شديدة مثل الحجارة لانها لو كانت كذلك لم تنصح فيها
الحراثة والغراسة وكان يبطل العيش وتخرب الدار والحكمة لو كانت كالما
او الحجارة او على غير ما هي عليه ولم تخلق صورتها مستطيلة قايمة الى فوق
ولا الى اسفل فلا يثبت على ظهرها احد ولا يتهيا تغورها عيش لو كانت
كذلك بل جعلت وطية ممهدة لحسن وطاب عيش الخليقة بها وجعل فيها
بعضا للتسنيد والتكوير لتجري المياه على وجهها الى نواحي الارض في
الاودية والسهول ولا يستقر الما على وجهها لانها لو كانت وطية جدا
واستقرت المياه على وجهها لغرقت الارض وعادت مستنقعات كلها ولم
يصح فيها نبات ولا عيش ثم نصب الجبال عليها وفيها لتضم اجزا تراب
الارض كله بعضه الى بعض كي لا تتحرك وتميد فتنشق وتتشتت لان فيها
بعضا للتخلخل ولو تحركت انفصل اجزاوها بعضها من بعض لان الارض في
الما كالسفينة في البحر والما محيط بها من جميع الجهات والما متحرك بطبعه
فكان يحرك الارض فتميد كما قال تعالى والقى في الارض رواسي ان تميد
بكم فجعلت الجبال في غاية الصلابة التي لا تفصل الحركة اجزاها بعضها
من بعض وجعلت في غاية العظم ونصبت في وسط الارض وفي اطرافها
وفي جميع نواحيها وفي باطن الارض وظاهرها كالعظام في جسد الانسان
فضمت اجزا التراب وزمته وثبتت الارض على ما هي عليه في مكانها اللايق
بها ولو قدر ان تكون الجبال على غير ما هي عليه لا نفسد النظام وجعل
الجبال ايضا مرتفعة اسنمتها والكدا والرواني كذلك لان تردا البخار عن

ان تنقعه على ما

عن وجه الارض كي لا تحيط بها من جميع الجهات وجعل بين الجبال اودية
وطرقا واسعة لتسيل فيها خلجان البحار والانهار ولتصل الناس بحوايجهم
فيها بالسفن وتصل الحيتان الي نواحي الاقطار لدخولها في تلك الخلجان
ولاخراج الاصداف والجواهر منها ولولا ذلك لكان البحر منحازا في جهة
من الارض ولم تصل منافعه الي الخليقة **وجعلت** الجبال ايضا مخازن
للمياه العذبة فتتفجر منها العيون والانهار الي البلدان وجعل البحر
ملاصقا للارض ومما زجا لها العذب والمالح لتمتزج رطوبة الما بيبوسة
الارض فتختلط رطوبة الما بيبوسة الارض فيصلح من ذلك الخلق
والتصوير من النبات والحيوان وساير المخلوقات لان اليابس لا تتصور
منه الصور والسايل كذلك لا يستطيع منه التصوير فخلق الما سايلا
لهذه الحكمة ولتسير ايضا فيه السفن بالجري ولولا ذلك لامتنع جريها ولا
امتنع تصرف حيوانه فيه **وخلق** البحر ايضا متحركا على الدوام لئلا يجمد فيصير
ارضا بالسكون فتبطل الحكمة لان البرد طبع الما والبرد يجمد وييبس فكسرت
كثرة حركته برودته وسلطت عليه رياح الهواء من كل ناحية لئلا يسكن الا
ترى الما كيف ينعقد حجارة وثلجا اذا اشتد عليه البرد وكذلك ايضا يتحرك
بحركة حيوانه الساكن فيه يحرك البحر من باطنه بتحركها ابدا فيه فبحركتهم
حركته وحركته سبب حياة حيوانه **وخلق** البحر مالحا لئلا يتغير وينتن
بطول المكث فيهلك حيوانه برايحته وكان الهوى يحمل بتحرك الرياح
عفونته وروايحه فيلقيها على وجه الارض فيهلك ما عليها بعفونته فخلق
مالحا لهذه الحكمة ولتكون ملوحته دباغا للاهوية العالم العفنة المتغيرة
الكاينة من العفونات في نواحي الارض والبلدان فتحمل الرياح اهوية
البحار فتمتزج باهوية البلدان فتقطع الاهوية العفنة وتدبغها فيستقيم
العيش بحكمة الصانع الحكيم وله الحمد **وخلق** البحر لا عذبا حلوا ليصح لعذوبته
العيش لجميع المخلوقات ولو كان مالحا لمرا لاهلك الخليقة ولافسد
نظام المملكة الا ترى البحر كيف لا ينبت في سواحله نبات ولا شجر **ثم خلق**
الهوا محيطا بالبحر والارض وجعله الطف منهما لتصح الحركة فيه والغنا
والتعود والتنفس فذلك كله اسباب البقا ولو كان مثلها كثيفا او ثقيلا لا

مثل

مثل الما لم تصح به الحكمة **ثم خلق** متخلخلا حدا متحركا في جميع الجهات ليسوق السحاب
الى البلاد فينزل بها المطر وينتفع الناس باهراج الحبوب من الزروعات
ويروح عنهم شدة الحرارات المفرطة ويبرد عنهم حرارة باطن الاجسام
فيتغذى برطوبته في التنفس المخلوقات وغيرها لذلك من الحكمة **وخلق** لونه
لوان — على هذه الرقة الحكمة لتنفذ فيه الابصار الى منافعها فتقبل الصور والا
يتوسل بذلك الي جميع المنافع **ثم جعل** يتحرك في وقت دون وقت لانه
لو كان متحركا ابدا لا نتثرت منه الحبوب ولا ثارالغبار دايما وتطمست
به العيون وتكسرت اغصان الشجر وتهدمت منه المباني ولم يصح معه عيش
فجعل ساكنا في وقت ومتحركا في وقت لتصح بحركته وسكونه الحكمة لان الهوا
خلقة النار — ريح ساكنة والريح اهوية متحركة **ثم** خلقت النار الطف من الكل كي لا
تطهر ولو ظهرت صورتها وكانت مثل الارض والما والهوا لاضرت بابصار
الخلايق مثل البرق الذي لو دام لهلك الناس به **ثم** جعلها تظهر في
الاجسام للمنافع من التسخين ولان يستضاء بها وقت الحاجة اليها وخلقت
حارة في غاية الحرارة للتسخين والنضج ولان تسيل الجامدات وتحلل
بغليانها الما والهوا والارض فتلتيم الخلقة من الجميع ولولاها ما
خلقة السما — صح شي من ذلك **ثم** انظر الي السما وخلقتها فانها جسم معتدل في غاية
الاعتدال لا كثيف جدا فيقع الي اسفل مثل الارض ولا سيالا مثل الما
فتسيل اجزاوه فيبطل ولا متخلخلا مثل الهوا فتتحلل اركانه وتنتثر
كواكبه وتنهدم اركانه فتخرب الهيئة ولا خفيا مثل النار فتحتاج الي
مادة لبطلان وجودها لان النار تلتهب الكل بعضها بعضا ولو كانت مثل
النار لاكلت السما بعضها بعضا وانخرم نظامها مع كل لحظة وانعدمت
مع كل طرفة ولم تخلق ايضا اخف والطف مما هي عليه فتنصعد عن مقام
بحقيتها فتذهب وتزول عن مكانها بل خلقت في غاية من الاعتدال لا
كثيفة جدا ولا لطيفة جدا بل معتدلة بين ذلك فتوقفت في مكانها
بلا عمد يروى بل بعمد بل خالقها الذي خلقها في غاية الاتقان وهكذا
كل شي في نفسها وجمعها على غاية الاعتدال لا تحتمل الصعود الي ما
فوقها ولا النزول الي ما تحتها **ثم** انظر الي حركة الافلاك الاربعة

الافلاك

جدا ولا بطيئة جدا ولا واقفة طرفة عين فلو كانت سريعة جدا في
الحركة اسرع مما هي عليه لكان الليل في طول نفس والنهار كذلك والشهر
والسنة من ساعة ويوم فلم تكن للابصار ثبات بل كان يرقب الليل والنهار
كما يرقب البرق فيجي النهار قبل الليل كمجي البرق ويجي الليل بعد النهار
كذهاب البرق فلم يكن يبصر احد شيئا وكانت تبطل فصول السنة من الربيع
والصيف والخريف والشتاء ولم تصح خلقة الاشيا على ما هي عليه ولو
تخلق ايضا بطيئة جدا فيكون النفس الواحد من شهر والساعة من سنة
فيسام الناس بالحركة الدائمة والسكون الدائم فيهلك الخلق والنبات
وكل شي ولم تكن ايضا واقفة ابدا فتكون الدنيا اما ليلا دائما فلا يبصر
احد شيئا ويهلك بالبرد الدائم والسكون الدائم واما نهارا دائما فيهلك
بالحر الدائم كل ما على وجه الارض وبالحركة الدائمة بل خلقت معتدلة
الحركة في غاية الحكمة لا يجوز ان تكون الا كما هي **ثم** انظر الى لونها ٥
كيف جعله الله احسن الالوان للابصار ولونها الى الخضرة وهو احسن شي
وانفعه للابصار ولو كانت سودا مظلمة لاهلكت الخليقة بشدة حزنها
ولاخذ الخلق الهول والفزع من منظرها لعظيم جرمها وكانت طباعهم تنفر
من الرعب لان الشي المظلم مرعب مفزع الا ترى الى وحشة الليل مع قلة
ثباته وامتزاجه بنور الكواكب ولون السما وكذلك لو خلقت حمرا او
بيضا فلو كانت نورانية لاطمست الابصار بالنظر اليها من اول مرة
ينظر اليها الا ترى الى الشمس لا يقدر احد ان يتبين جرمها مع صغرها
وكذلك لو كانت حمرا مع عظيم جرمها او في لون غير هذا اللون الذي هي
به لما صلح ذلك بالخليقة فلا يليق بها الا ما هي عليه من تدبير الحكيم
العليم **ثم زينها** بالكواكب فجاءت في غاية الحسن والجمال بكواكبها واهتدى
الخلق بها في ظلمات البر والبحر الى جميع المقاصد وعلموا مقدار الزمان
والساعات ولو لم تكن الكواكب لم يهتدوا الى شي ولا عرف ذلك **واما حكمة**
الشمس والقمر الخنس وجميع كواكب السما فكل واحد منها موضوع على عمل
وحكمة ليست لغيره لان كل المملكة لا بد لك العمل فالقمر لمعرفة الشهور
والحساب والترطيب والتربية في جميع العالم وكذلك الشمس للضياء والحساب

خلقة الكواكب

حكمة الشمس والقمر

و

والتسخين وكذلك البروج لفصول السنة الربيع والخريف والصيف ٥
والشتاء والخنس الجوار الكنس فيها صاعدة وهابطة اذا احلت الشمس
او القمر او اي كوكب كان في اي برج كان احدث الله من امره في هذا العالم
ما شاكل البرج والكوكب والوقت والفصل وكذلك كل كوكب في السما يحدث
الله بطلوعها وغروبها على الارض في كل يوم وليلة بل في كل ساعة ونفس
في هذا العالم جميع ما ينزل من الامور الدينية والدنيا من ضر او شر ان الله ما
خلق السما والارض وما بينهما باطلا او هو ان يخلق شيا لغير معنى او لغير
حكمة بل لا يحدث الله في هذا العالم موتا ولا حياة ولا فقرا ولا غنى ولا
نوما ولا يقظة ولا ضحكا ولا بكا ولا شيا من الاشيا الا في زمن ووقت
والزمان هو حركة الفلك بما فيه فبحركته التي هي الطلوع طلعت في هذا
العالم المحدثات كلها بالايجاد وبغروبه غربت عن هذا العالم الموجودات
بالاعدام والنفاد والطلوع والغروب للفلك دايم مع كل نفس وكذلك
المحدثات طالعة وغاربة في هذا العالم مع كل نفس وانما تحركت الافلاك
بالامر النازل والصاعد الا ترى الى قوله تعالى بعد ذكر السموات يتنزل
الامر بينهن يدبر الامر من السما الى الارض ثم يعرج اليه فقوله يتنزل
الامر هو حدوث ما يحدث في هذا العالم من الامور السماوية ثم يعرج اليه
هو ذهاب ما في هذا العالم ورجوعه وليس عند السما والكواكب الا ما
جعل فيها مع كل حركة والمقدورات جارية على العباد الى حين وقوف
الفلك عن الدوران وهو الوقت الموعود بالقيامة العامة لجميع الخلق
فدل هذا التدبير المحكم والصنعة المتقنة التي هي في غاية الحكمة
على صانع حكيم عالم قدير ليس كمثله شي وهو السميع البصير **واعلم** ان ٥
انتباه قلبك لتعظيم الصانع عند فهم الحكمة الدالة على الصانع هو
تجلي صفات الصانع لقلبك فافهم ذلك وتفطن له واستزد منه
جهدك **فصل في النظر في الاجساد** الجزئية المركبة من العوالم
الكلية **اعلم** ان كل ما في هذا العالم من الاجساد الجزئية التي هي
الحيوان والنبات وجميع معادن الارض انما تركبت كلها من اربعة
اشيا من الارض والما والهوا والنار فالمعادن خلقها الله تعالى

تعالى للمنافع والزينة والبيع والشرا ولدفع المضار من القتال والاحتراز
وغيره ولجلب المنافع العامة وذلك مثل الذهب والفضة والجوهر والحديد
والصفر والرصاص التي ينتفع بها لاقوام العالم اليها ومنافعها كثيرة
لا تحصى ولا تخفى حتى لو عجز الملح الذي هو احد المعادن لفسد العالم بعدمه
لانه كانت تفسد الامزجة وتتعطل الفوايد التي خلق لها وفي ذلك الفسا[د]
للعالم فكيف بسايرها من الحديد وغيره **فارجع** بصرك في مصنوعات
الباري تعالى لعل الله ان يفتح بصيرتك فتشاهد الحق على ما هو عليه
وخلق الله المعادن على صفات مختلفة من الشدة واللين والكثرة
والقلة وما يشبه ذلك ليتخذ منها الالات والزينة المحبوبة التي هي
سبب عمارة الدنيا لان الزينة سبب المحبة والمحبة سبب العمارة ومنافعها
اكثر من ان تحصى لكن نبهنا العقول بنبذة منها لعل الله ان يمن بالفتح المبين
من عنده **واما النبات** فانه مخلوق لغذا الحيوان كله ومنافعه حتى لو عجزت
الة الحرث المتخذة من الخشب لفسد العالم وكذلك الحيوان ايضا خلقه
الله تعالى وسخر بعضه لبعض وسلط بعضه على بعض وجعل بعضه طعما
لبعض كل ذلك لقوام العالم وكماله **واما كيفية** ترتيب خلقة هذه الاشيا
كلها ووجه الحكمة في خلقها على هياتها التي هي عليه فهو بحر واسع
الاطراف لا ينتهي ابدا **وسنذكر** من ذلك طرفا في كيفية خلقة الانسان
ليكون تنبيها على غيره ان شا الله ونذكر منه هنا وجها واحدا مختصرا
على وجه الاجمال **وذلك** ان تعلم ان كل جزء من جميع المخلوقات بمنزلة
عضو من اعضا جسدك لو نقص من اعضايك او كان على غير هيئته
التي ركب عليها مثل اليد او الفرج او القلب لفسد نظام الجسد
كذلك لو ان الحديد كان على غير هيئته لبطل الحرث الذي هو سبب
العيش وتبطل الفلاحة والحفر والقتال وفسد العالم وكذلك
ساير المعادن والنبات والحيوان ويكفيك النظر في تركيب جسدك
لتستدل بذلك على ترتيب الحكمة في الحيوان والنبات والمعادن وفي جميع
المخلوقات ان شا الله تعالى **فصل** اعلم ان جسد الانسان
مركب من الاصول الاربعة التي تقدم ذكرها تفصلت هذه الاربع الى

العظم

العظم والمخ والعصب والعروق والدم واللحم والجلد والظفر والشعر هذه
جملة الجسد ووضع كل نوع منها لحكمة لولاها لم يكن الجسد **فالعظام** منها
تركبت هيئة الجسد على ما هو عليه بضم بعضها الى بعض ولم يجعل عظما واحدا
لانه كان يكون مثل الحجر لا يتحرك بل في عدد معلوم لكل جزء من الجسد عدد
معلوم من العظام لو نقص منها واحد او زاد فيها واحد تعطلت بنية
الجسد وكانت وبالا عليه فانظر الذي جعلها عظاما متعددة ولم يجعلها
واحدا وخصها بهذا العدد ما احكمه واعلمه **ثم** لما كانت عظاما كثيرة
لاجل الحركة لم تكن لينضم بعضها الى بعض حين صور منها الجسد الا بالصاق
بعضها الى بعض فلم يكن بد من رابط لها فخلق العضلات والعصب وربط
بها العظام بعضها الى بعض ولو كان العصب اقوى مما هو او الين مما هو
لم تصح حركة الجسم ولا تصرفت الاعضا في منافعها **ثم** خلق المخ في العظام (المخ)
في غاية الرطوبة ليرطب يبس العظام وشدتها ولتتقوى العظام
برطوبته ولولا ذلك لضعفت قوتها وانخرم نظام الجسد لضعفها **ثم** (اللحم)
خلق اللحم وغشاه على هيئة العظام وسد به خلل الجسد كله فصار مستويا
لحمة واحدة واعتدلت هيئة الجسد به واستوت ولو كان ايبس مما هو لم
يلتئم او لينا لا لم يلتصق فلا يجوز ان يكون الا على صورته التي خلق فيها
ثم خلق العروق في جميع الجسد جداول لجريان الغذا فيها الى اركان
الجسد كله لكل موضع من الجسد عدد معلوم من العروق صغار وكبار ليأخذ
الصغير من الغذا حاجته والكبير حاجته ولو كانت اكثر مما هي او انقص
او على غير ما هي عليه من الترتيب ما صح من الجسد شي **ثم** اجرى الدم في (الدم)
العروق سيالا لا جامدا ولو كان يابسا او اكثف مما هو لم يجر في العروق ولو لم
يكن خاثرا وكان الطف مما هو لم يتغذ به الاعضا **ثم** كسا اللحم
بالجلد ليستره كله كالوعا عليه ولولا الجلد لكان قشرا احمر وفي ذلك
هلاكه **ثم** كساه الشعر وقاية للجلد وما لم يكن فيه شعر جعل له اللباس (الشعر)
عوضا منه وجعل اصوله مغروزة في اللحم ولين اصوله ولو كانت يابسة
مثل الابر لم يهنه بذلك عيش وجعل الاشفار وقاية للعينين ولولا
ذلك لاهلكهما الغبار والسقط وجعل الاشفار عددا معلوما لينظر من

الاسنان

خللها ولم تجعلها طبقة واحدة فكانت تمنع النظر وخلق الاسنان بعد
هذا كله وبعد رضاعه مدة طويلة ليغتذا بالرضاع ولم يخلق الاسنان
لدى خلقته كلها لئلا يضر بامه حال رضاعه بالعض لانه في حال
الرضاع لا يصلح له الغذا فلما ترعرع واشتد وصلح للغذا خلق له
الاسنان وجعلها نوعين بعضها محدودة الاسنان وهي التي للقطع
يقطع بها الماكول وبعضها مبسوطة وهي التي للطحن ولولا ذلك ما
تم من الجسد شي فسبحان الله ما اكثر الايات الدالة عليه ولكنا لا نبصر
الا بتوفيق الله تعالى ثم لما كان الغذا والماكول شديدا كثيفا ولم
يكن ليجري في الفم الى الحلق وهو كذلك انبع الله تعالى في الفم عينا
نباعة على الدوام احلى من كل حلو واعذب من كل شي عذب فيحرك اللسان
الغذا او يمزجه بذلك الما فيعود زلقا فينحدر في الحلق بلا مونة واذا
عدمت تلك العين بالجفوف من المرض لم يمض على الحلق شي ولما كانت
ايضا الحرارة تخرج من الجوف كثرت تلك العين مادية تلك الحرارة
على الدوام وهكذا كل عظم وعرق وقليل وكثير من الجسد على هذه الحكمة
والكثرة لو تتبعت ذلك لطال بها الكلام لكن بالقليل يتوصل الى الكثير

الاظفار

ارشدنا الله ثم خلق الاظفار لتشد اطراف الجسد لئلا تتكسر الاطراف
وليحك بها وينتفع في موضع الحاجة فانظر هذا الترتيب الغريب العجيب
حتى ان الشعر والظفر لما كان يطول فيحتاج الى جزه كيف يكون الحال لو كان
يحس بجزه كساير الاعضا وقل مثل هذا الترتيب تركيب اجسام الحيوان ٥
والنبات كله وكل ما تركب من جميع المخلوقات في غاية الحكمة الدالة على
الصانع الحكيم ثم خلق في باطن الجسد اعضا رئيسة جعل كل عضو منها

الاعضا الرئيسه

على عمل مخصوص وجعل في كل عضو قوى نفاعة باذنه تعالى لا قوام للجسد
الا بها مثل المعدة والطحال والكبد والمرار والرئة والقلب والدماغ
وجعل فيها القوى الجاذبة والماسكة والهاضمة والخازنة والنامية
والدافعة والمصورة وفي وضع هذه القوى في هذه الاعضا وتخصيص
كل عضو منها بقوة غير ما خص به غيره حكم عظيمة دالة على الصانع تنقطع
لها مرارات افكار الحكماء ولو تعطل من هذه الاعضا او القوى واحد تعطلت

كان

البنية كلها ثم خلق الله الحواس في مواضعها الخاصة بها اللايقة
فجعل اللمس في اليد والسمع في الاذن والبصر في العين والذوق في الفم
والشم في الانف ليدرك بكل واحد ما ينفعه وما يضر بها وجعل الجوارح
كالالات ولو تعطل شي من الجوارح والحواس لانخرم نظام الكل وهكذا
كل شي في غاية الاتقان لا يجوز تحويله عما هو عليه ولو كان على غير ذلك
انخرم نظام العالم كله فقد دلت الاجساد على صانع قديم مدبر حكيم
عالم عظيم متصف بكل خلق كريم ثم انظر الى اعجب من هذا كله واغرب
وذلك ان هذا التركيب العجيب والنظم المحكم الجسيم الذي ركب الاجساد
عليه اذا زال الروح القايم بها المتصرف لها كيف تفسد جملتها وينخرم
نظامها فلا قيام للاجساد الا بالارواح وفي معرفة الارواح من الشر
كله والخير اجمعه وفيه الدلالة الكبرى على البارئ تعالى كما قال النبي
عليه السلام من عرف نفسه عرف ربه والنفس تسمى روحا والروح تسمى نفسا
لكنهما شيان فصل في معرفة النفس والروح اما الجوهر الروحاني
النفيس العالي فتعرف ذاته من جهة مخالفتها لذوات الاجساد وتعرف
صفاته من جهة مخالفتها لصفة الاجساد اعلم ان الروح مخالف للجسم
في التركيب لان الجسم مؤتلف من اجزا كثيرة لا تحصى كان امثلها الا
الافتراق والتلاشي والروح ليس باجزا مؤتلفة بعضها الى بعض مثل
الجسد بل هو شي واحد غير مركب اعني تركيب الجسد الذي ركب من اربعة
اشيا تراب وما وهوا ونار فافهم وحدانية الروح فانه ليس بشيين
ولا ثلاثة ولا اكثر انما هو جوهر فرد في غاية اللطافة وهكذا كل

روحاني صح

روح في نفسه فرد والروح مخالف ايضا للجسم في التقييد بالحدود لان
الجسم محدود بجهات اذا اقبل على جهة انحاز عن اخرى والروح مطلق
غير مقيد اعني بقيود الجسد الحاصرة له عن التصرف في كل جهة فانه ليس
جهة اولى به من جهة وانما بقيود الجهل والمخالفات والظلمات والروح
مخالف للجسد في الكثافة لان الجسم ثقيل كثيف والروح في غاية البسط
الروحاني واللطافة الروحانية وانما ثقلته الاوزار الثقال وكثافته
ركونه الى الاشيا وشغفه باتباع الهوى وقصوره عن الادراكات والروح

مخالف للجسم في التقاحم والمزاحمة لان الجسم يرد بعضه بعضا ويزاحم
بعضه بعضا والروح ليس كذلك لو اجتمع مائة الف الف روح لم يزاحم
بعضهم بعضا وانما مزاحمة الارواح بالعداوة والغضب وسوء الاخلاق
والتناكر وغير ذلك مما يقع به التباين والاختلاف والروح ايضا مخالف
للجسم في التمكن واحتياج الجسم الى المكان ضروري واحتياج الروح
اليه جائز وهو حامل الجسد ومحركه ومسكنه والقائم به بقدرة الله تعالى
ويبطل بزوال الروح عنه ولا يبطل الروح بزوال الجسد عنه فبينهما
بون كبير في الاحتياج الى المكان فان الجسم محتاج الى مكان يعتمد عليه
ويستقر فيه ولو زال عنه هوى وتدكدك والروح غير محتاج الى مكان
اعني كحاجة الجسد اليه بل هو المكان للجسم والجسم موضوع عليه وله وانما
مكان الروح المكانة او ضدها والروح مخالف للجسم في الاتصال
والانفصال لان الجسم اذا اتصل بشيء انفصل عن موضعه ولم يبق فيه
منه شيء والروح ليس كذلك ليس هو متصلا بالجسد ولا هو منفصلا عنه
انفصالا لا يتركه بالكلية بانفصاله عنه ولا داخلا فيه دخولا يحصره
ويخفيه فيه كالوعاء المحتوي على الشيء فيحجبه عن غيره ولا خارجا عنه
خروجا لا يبقى منه بالكلية فيه اثر وانما اتصاله به اتصال بالمحبة
والوصلة بالالفة التي وقعت بينه وبين الجسد في المشاكلة عند
النفخ لان كل جسد لا يقبل الا ما شاكله من الارواح فبالعلاقة وقعت
بين الروح والجسد من هذا الباب ولم تزل تلك العلاقة تنشأ وتنمو
حتى كثر الوصال والود فلا يزال الروح يجري في مرضاة الجسد لانه قد
اتخذ به من كثرة المحبة وله يجمع ويدخر الى غير ذلك مما لو ذكرته لطال
به الكلام واذا فهمت هذا السر انكشف لك سر الموت وشدته ولينه في
حق قوم دون قوم واشرفت على بحر عظيم من امر الموت وعذاب القبر
ونعيمه وانفصاله ايضا عنه من هذا النوع فاستعن بالله على الفهم
يعنك وانما هذا انذكره الله الموفق والروح مخالف للجسد في الادراك
لان الجسم لا يدرك الشيء الا بالمماسة له والحس والروح ليس كذلك يدرك
الاشيا من غير مماسة والقريب والبعيد عنده سوا وانما ادراكاته

المعارف

المعارف والعلوم والدلايل والبراهين وادراك الغايب بالشاهد
الى غير ذلك فصل ومما يعين على معرفة الروح واقربه
ان تعلم ان وجود الشيء كلما علا وقرب من باريه لطف جوهر ذاته وتروحن
وانبسط ورق وصفا وكلما بعد عن الوجود كثف وغلظ واظلم وظهرت
عليه عوارض الجسم وقيود الحدود المانعة من التبسط ومثال ذلك
بالمشاهدة ان الارض التي تحت خلو فوقها لما كثفت وكانت في اسفل
العالم كانت اكثف الموجودات واشدها اظلاما حتى ان الليل الاسود
انما هو ظلها وفلك الما لما كان فوقها في علو الرتبة والمكان كان
اصفى منها والطف وابسط فتراه يطلب الانبساط بوجوده ابدا والفلك
الهوا فوقه بجسمه اقرب لطافة وصفا وانبساطا وفلك النار الذي
هو اشد الاثنين فوق الهوا ارق والطف وابسط منه وهو جسم تحت جسم
الفلك والفلك فوقه في الرتبة وهو اقرب من كل ما تحته واعظم لطا فة
وهكذا كلما علت جواهر الموجودات وذواتها وقربت من الامر كانت
ذواتها الطف جواهر وابسط وجودا واكثر تروحنا واذا فهمت هذا
لم يشكل عليك قولي في معرفة الروح وبسطه ولطافته وتروحنه
وتبسطه بقربه من لطافة صورة العلوم المتصورة في نفس العالم بها
فذاتك وما هي عليه من الكثافة في عالم الدنيا جسمانية وهي في
عالم النفس والكرسي نفسانية الطف منها في الجسمانية واقرب وجودا
وهي في عالم الروح والعرش روحانية الطف منها في النفسانية
واقرب وهي متصورة في العالم القديم صورة علمية معلومة نورانية
فكلما سفل الوجود وبعد من العلو كثف واظلم وكلما قرب لطف وتنور حـ
على هذه الصورة خلقت الاشيا وفطرت وتمام هذا كله وكماله في
الكثافة واللطافة والقرب والبعد الشريعة ومعنى الشريعة
ان الله عز وجل خلق الاشيا وفطرها على ما فطرها عليه شرع
لها الشريعة ونهج المنهاج وامر بالاقبال عليه والارتقاء الى الدرجات
المقربة اليه ونهى عن البعد منه والاعراض عنه حتى ارتقى الى مولاه
كما امر صفت له ذواته البواطن والظواهر من الاثقال والاوزار

الثقال على حسب ما قسم له الكبير المتعال **واهل** هذه الحقيقة
التي ذكرناها التروحن الذي وصفنا مشوا على الما وطاروا في الهوا
وخرقت لهم العوايد وتنزلت على قلوبهم الفوايد فسمعوا الوحي
والالهام وكانوا اية للانام لان ارواحهم وعقولهم جذبت منهم النفوس
والاجسام الى حضرة ذي الجلال والاكرام فازدادوا تروحنا بروح
القدس ووجدوا حلاوة المزيد والانس اوليك كتب في قلوبهم
الايمان وايدهم بروح منه وبضد هذا الوصف من انتكس اعلاه ومات
قلبه واتبع هواه وقال سهل بن عبد الله اول من مات قلبه من الخلق
ابليس وبين هذين الصنفين الخلق طبقات بين القرب والبعد
والخفة والثقل **فصل** فاما وحدانية الروح فان الجسد
اذا قام العرض او الادراك بجز منه مثل سواد العين وادراكه اولمس
اليد وبياضه اوذوق الفم ولونه لا يقوم بجرد اجزا الجسد مثل بياض
الظفر الذي لا يكون في الوجه فافهم هذا جدا **والروح** ليس كذلك اذا
حل به العرض حل بكليته ذاته فاحاط بالذات احاطة تامة غير خاصة
مثل العلم والحياة والنور والظلمة والجهل وغيره من الصفات الحسنى
والسواي وجميع الاعراض الحالة به لا يقوم عرض من الاعراض ببعض
الروح دون بعض وانما ذكرنا البعض مجازا لان الروح ليس ببعض خلقه
الباري تعالى على هذه الصورة ابته له ودليله عليه وفي الحديث
ان الله خلق ادم على صورة الرحمن وفي حديث اخر على صورته وكلف
هذا الجوهر امرا عظيما وهو الاتصاف باوصاف باريه والتعبد بها
والتخلق باخلاقه على قدر طاقته لا يكلف الله نفسا الا وسعها
ولهذه العلة جعله الله خليفة والخليفة بدل المستخلف كما ورد في
انفس الجواهر واعلا الخلفا وانك لعلى خلق عظيم ورد في التفسير
على اخلاق الربوبية **وقالت** عايشة رضي الله عنها كان خلقه
القران فهذا الجوهر الكريم في غاية الصفا والنور والنفاسة والنزول
والجلالة اذ ضد لك اوما بينهما واوصاف هذا الجوهر خلعة عليه
من جود الاله الجواد الكامل العجيب الذي لا يقبل من احد بل هو البعيد

التنزيه عن القول من شي وكلف هذا الجوهر من الافعال وضع الاشيا
مواضعها على حسب ما يقتضيه امر الامر السيد الكريم ولذلك قال
من يطع الرسول فقد اطاع الله اذ النبي ما يقول الا ما يقول الله لانه
جعله يد الامة كانه في مجاز القول هو كنت سمعه وبصره ويده ورجله
ومثل هذا اكثير ومن فهم سر الروح فهم حقيقة سر المحبة والمعرفة ان
شا الله تعالى **فاما** امثل خلقة الروح فمن الامر واختلف الناس في
معرفة الارواح فقالت طايفة الروح لا نعلم اصلا واحتجوا بقول
الله عز وجل قل الروح من امر ربي ومن اطلق هذا القول من العلما
انما عنى انه لا يعرف ولا يحاط بمقداره لان الله تعالى قد جعله اثرا
من اثاره واية عليه من اياته **واما** انكار معرفته اصلا من كل الوجوه
فذلك جهل عظيم من قايله فان اول درجة في المعرفة بالشي اثبات
ذلك الشي والاقرار بانه موجود فاذا عرف الروح انه موجود وثبت بالضرو ره
النظرية العقلية تقرر علم وجوده وان كان لا يحاط به لغرايبه وجوده
ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه عرف ربه واعرفكم
بنفسه اعرفكم بربه فقد اطلق النبي عليه السلام القول بمعرفته والروح
لا يقدر احد على انكاره لظهور دلايله واثاره **فصل** اعلم ان
الله جل جلاله جعل معرفته اعسر من كل المعارف لانه لا مثل له فليس
يعرف مما البشر له مثل بما هو خلافه وما له مثل الا بتيسير الله تعالى
وعونه وقد فرض على الخلق معرفة ذاته واسمايه وصفاته ومدح
العارفين به وذم الجاهلين به والمنكرين له فمعرفته سبحانه اثبات
وجوده وتقديسه وتنزيهه عما لا يليق به ووصفه على ما هو عليه
وبما وصف به نفسه وامر بالبحث والنظر والاستدلال عليه فهو
معروف وان لم يكيف ولا يحاط به ولذلك اكتب الروح معنيا من
هذه المعرفة ليستدل به عليه لانه اقرب الموجودات اليه وادلهم
عليه فافهم **فصل** فاما من احتج بالاية قل الروح من امر ربي
على انه لا يعلم فاذا لا اية حجة عليه فان الجواب بقوله قل الروح من
امر ربي على حسب السوال عن الروح بقولهم ما الروح **وذلك** ان المطالب

العلمية السؤال بها عن المعلومات اربعة هل وما وكيف ولم فاما
هل فيسال بها عن حقيقة الشيء وجوده هل هو موجود او معدوم
فيقال نعم او لا وسؤالهم عن الروح لم يكن من هذا المطلب الثاني الذي
هو ما فهو بحث عن جوهرية الشيء وطبيعته وما هو ومن اي جنس
هو وقد تجعل اي بدلا من كيف في السؤال لانها تدل منها ومما
بمعنى واحد واما المطلب الثالث الذي هو كيف فهو بحث عن
احوال الشيء وخواصه ولواحقه اللازمة له على اي صفة وحال
هو منها واما المطلب الرابع الذي هو لم فانه بحث عن علة الشيء التامية
له الموجبة لكونه على ما هي عليه اي لم كان هكذا او لم يكن على كذا
وكذا وسؤالهم في الاية عن الروح انما كان من مطلب ما اي ما هو الروح
ومن اي شيء هو فلذلك كان الجواب عن حقيقته السؤال عنه وما هو يدلك
عليه من الاية حرف الجر في قوله من امر ربي ومصداق ذلك ما ثبت في
الصحيح من الحديث عن عبد الله بن مسعود قال بينما انا امشي مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم حرب المدينة وهو يتوكا على عسيب فمر بنفر من اليهود
فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح فقال رجل منهم يا ابا القاسم
ما الروح فسكت فقلت انه يوحي اليه فلما انجلى عنه قال ويسالونك
عن الروح قل الروح من امر ربي الاية فقد تبين ان سؤالهم انما كان
بما فاجابهم بمن في قوله الروح من امر ربي ولم يسالوه عن وجوده فيقول
نعم او لا ولا يسالوه عن احواله بكيف ولا عن صفاته الخاصة به او لا
اهو كالاجسام او هو على صفة كذا وكذا ولو كان لاجابهم بانه على صفة
كذا وكذا كما اجاب عن ربه حين سئل عنه فنزلت قل هو الله احد الى
اخرها ولو كان سؤالهم ايضا عن علة كونه بلم على ما هو عليه دون ان
يكون على غيرها لاجابهم بانه كان على حالة كذا وكذا لاجل كذا وكذا
وحرف الجر يدل على انه لم يكن سؤالهم عن المطالب الثلاثة وانما سالوه
بما فكان الجواب عن حقيقة ما سالوه عنه اي ما هو وما هو فقال
قل الروح من امر ربي وهو تفسير للسؤال الاول عن الروح فاجاب
بهذا الجواب وما ورد في بعض الاخبار ان اليهود قالت سلوه عن الروح

لانهم كانوا مقرين بوجوده عارفين بانه موجود واما المطلب صح

فاذا

فان اجابكم فليس بنبي يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الخبر
ان صح فمعناه ان اجابكم فيه برايه ودون ان يوحي اليه فيه لان الروح
لا يستغني في معرفته عن تعريف الله عز وجل لانه من عالم الغيب والامر
وقد سئل فاجاب عن ربه كما تقدم في الحديث الصحيح وقالت
طائفة الروح هو الدم وتسميته الروح دما مجاز وانما الدم سبب من
اسباب الحيوة في بعض الحيوان ومن الحيوان ما ليس له دم ويوصف
بالروح والملائكة الروحانيون لا دم لهم وقالت طائفة
الروح هو النفس الداخل والخارج وهذا ايضا مجاز وانما اطلقوه
لما راوه لا يستغني عنه وانما النفس سبب من اسباب الحيوة وقد
يوجد من الحيوان من لا يتنفس واذا تنفس مات كالحوت وما اشبهه
وقالت طائفة القول الروح هو الحيوة وهذا القول ايضا
انما ذكر صفة من صفات الروح لا ذاته لان الحيوة عرض من الاعراض
فقد صح وثبت ان الارواح تقبض وتتوفى وتموت وتعذب وتنعم
وهذه صفة الجواهر والذوات لا صفات الاعراض وقالت طائفة
الروح جسم لطيف وهذا القول اقرب الاقوال الى الحق لان وصفهم
له باللطافة يدل انه ليس كالاجسام الكثيفة وقالت طائفة
الارواح لطائف مودعة في الاشباح وهذا القول شارك الذي قبله
في اللطافة وهو قول حسن متحرز فائله من كثافة الجسد وقالت
طائفة الروح جوهر روحاني منبسط وهذا القول قريب من القولين
اللذين قبله وهذا القول اعلى الاقوال لانه قال فيه جوهر روحاني
منبسط اي جوهرية ذاته روحانية منبسطة والروحاني في اللغة
العربية التي نزل القران بلسانها من خلقه الله روحا بلا جسد
ويقال روح الجسد روحا اذا كان صدر قدميه منبسطا ويقال
ايضا قصعة روحا قريبة القعر اي منبسطة متوسعة هذا يدل على
بسط الروح وانه ليس كالجسم الكثيف والا فلاي شيء انفرد بتسمية
الروح من الاجساد وانفرد الجسم عنه باسمه دون الروحانية وقالت
طائفة الارواح نور من نور الله تعالى وحياة من حياته وهذا قول

صواب حسن وارادبه قايله انه نور من انواره المحدثة عن معنى اسمه
النور القديم وحياة محدثة عن معنى حياته القديمة وهذا مثل
قول ذي النون الروح شعاع الحقيقة على اضافة الملك وقال قوم
روح القدس من ذات الله وهذا القول ايضا على اضافة الملك اي
ذات روح القدس المحدثة من معاني ذات القدس القديمة **وقالت**
طايفة الروح امر من امر الله تعالى غير مخلوق وانما ارادوا بهذا القول
روح الوحي والقران وهذا اولى باسم الروح لان به حييت الارواح
والوجود كله قال الله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ⁂

فصل الامر هو الروح والروح هو الامر وهو على ضربين
قدم ومحدث فالقدم كلام الله تعالى وصفته والمحدث ارواح ⁂
الموجودات التي حدثت عن معنى اسمه المومن ايمان العالمين جميعا
وكذلك في جميع الاسماء والصفات وهذا اصل عظيم يزيل الاشكال
كله **واما** من اعتقد في صفات الخلق وارواحهم انها غير مخلوقة
فقد ضل ضلالا بعيدا وهو من اهل الجهل وليس من اهل العلم في شي
قال الله تعالى انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها ⁂
الى مريم وروح منه وقال فيه ولنجعله اية للناس ورحمة منا وكان
امرا مقضيا فهو امر من الله وروح منه كما قال قال الروح من امر ربي
ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم فمن اطلق من العلما الموثوق بهم على ⁂
الروح انه ليس بمخلوق فانما اراد القديم وامر الله القديم ووحيه
وهو روح الوجود بالحقيقة وحياته ومن اطلق عليه الخلق فانما اراد
ارواح الموجودات وجواهر ذواتهم الباطنة وكذلك من اطلق منهم
على الايمان انه ليس بمخلوق انما يعني صفة المومن العلى جل جلاله
واياننا الذي يصدق به نفسه ومن اطلق على الايمان الخلق فانما
يعني ايمان الخليقة الموجود في البواطن والقلوب والحلول دخول
في الشي وصفة الجليل جل جلاله لا تحل ابدا في شي ومن اجل جهل فهم
النصارى واهل الحلول بهذه المعاني وقعوا فيما وقعوا فيه من الكفر
والضلال **فصل** والارواح كلها مخلوقة امر من امر الله ⁂

بان الله منها وبانت منه وهي غير متناسبة ولا متناسخة فلا تخرج
من جسم وتنبعث في غيره تذوق الموت وتنعم بتنعم البدن وتعذب
بعذابه هذا هو الشرع الذي جاءت به الكتب ونطقت به الرسل وما
سواه باطل فالروح امر من امر الله كما قال الله عز وجل قل الروح من
امر ربي وهو تفسير للسوال الاول عن الروح فاجاب بهذا الجواب
على حسب ما سيل عنه وليس بعد بيان الله في هذا الجواب بيان والامر
هو كن الصادر عن الارادة والقول القايم بالنفس كما قال تعالى
انما امرنا انما قولنا لشي اذا اردناه ان نقول له كن فيكون اي كن على
صورة ما اردت منك ان تكون بلا تاخير فالروح اراد منه ان يكون
على هذه الصورة فهو كلمة الله تعالى وكلمته القاها الى مريم وروح
منه ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم الى قوله كن **فاذا فهمت** سر الروح
وماهية خلقته اشرفت على سر القدر العام لجميع الخلايق كما بينا
ما كانوا وكيف تنفخ الروح في المخلوقات عند استعدادها لقبول
الارواح بالسعادة او بالشقاوة وما بين ذلك واجله ورزقه وصنا
وجميع ما يكون ممن كل من يمشي على بطنه او على رجلين او على اربع او ملك
او شيطان او من وصف بصفة كل قد قبل من وجوده ما يليق به ولا
يجوز ان يقبل الكثير من الذي قبل لان ذلك القبول في حقه هو الكمال
وان كان انقص من غيره لانه يقوم في مقامه فيما ما لا يقوم فيه غيره
ممن هو فوقه او دونه لتكمل حكمة الله في خليقته التي هي في نهاية الحكمة
وفي غاية الجمال والقدر سر الله في خليقته والله احسن كل شي خلقه
واذا فهمت ايضا سر الروح اشرفت على معنى قول رسول الله صلى الله
عليه وسلم من عرف نفسه عرف ربه وقد قال تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون
لتعرفوا الله وايا كم ان تفهم المقرب منه الموصل اليه انه على كل شي قدير
وصلى الله على محمد واله **فصل** قال الله تعالى فاذا سويته
ونفخت فيه من روحي وقال ثم سواه ونفخ فيه من روحه فبعد التسوية
كان النفخ وذلك عند اعتدال الخلقة الجسد واستوايه تجلت له ⁂
صورة الروح المنفوخ فيه كما يتجلى شعاع الشمس من وجود الشمس على

جميع العالم فيستنير بها ظاهر وجود العالم كله اعني العالم المنتشر
وتنتشر الحركات في جميعها بتجلي شعاع الشمس فيه اعني العالم فلو قدرت
ان تكون الارض كلها مصقولة في صفا المراة لظهرت صورة الشمس
في جميع الارض كما تظهر في المراة وكما تظهر في وجود البحر والما الذي
هو اصفى من الارض وجودا واشد صقالا وهكذا لو قدرت جميع اجزا
الموجودات في غاية الصفا والصقالة لتجلت اشعة الشمس في كل
منها صورة كاملة وبهذا المعنى ظهرت جميع الاشيا الظاهرة للابصار
فالذي يرى على وجود الاشيا انما هو نور الشمس المتجلي منها **واعلم** انه
ليس لهذا الشعاع المذكور المتجلي على وجود الاشيا وجود بذاته بل اصل
وجوده مستمد من وجود الشمس على الدوام مع كل نفس وطرفة وفيضان
التجلي دايمة مستمرة بدوام وجود الشمس **ومما** ينبغي ان يفهم ان تجلي
الشعاع المذكور ليس هو بمعنى انفصال النور من نور الشمس كانفصال
جزء من جزء حتى يقال انه زال عن قرص الشمس جزء من نورها ثم تجلى في
هذا العالم ليس الامر كذلك انما هي بمعنى انه حدث عن طلوع الشمس
في هذا العالم ذلك الشعاع المذكور وقرص الشمس لم يتغير عن حاله
ولم ينفصل منه شي وانما وجود الشمس سبب لحدوث الشعاع مع الدوام
والشعاع مناسب للنور الذي في قرص الشمس نسبة نورانية لكنه ليس
مثله اوالشعاع ينظر اليه وتتبين صورته على الموجودات ووجود الشمس
لا يقدر احد ان يتبينه الا الخطرة واللحظة مع بعدها عن الابصار
وامتزاج العالم بظلمات الاجسام فتعلق الروح بالاجساد كتعلق
الشعاع بالموجودات **قال** ابن عطا وغيره من المشايخ الروح شعاع
الحقيقة فالروح استنار الجسد وظهرت الحركات والحيا **وقال**
ذو النون بنية الانسان ذاتية كل مستحي روحية الحقيقة الى قوله لانها
بسيطة منبسطة على الاشيا كانبساط نور الشمس على كل شي والشعاع
قد ملا وجود العالم كله بل وجود الروح اغرب من وجود الشعاع لكن
في الامثلة تبيينه للعقول فالروح بينه وبين بارئه مناسبة من جهة
النورية المذكورة فليس له حياة الا بتجلي الحق سبحانه له على الدوام

واعلم ان الباري سبحانه متجلي ظاهر ابدا لا يوصف بالغيبوبة والافول
تعالى عن ذلك وانما الاشيا هي التي حجبت بعضها بعضا بالغفلات
والظلمات ولو قدرت غيبوبة الشمس لم يكن لها ظهور بشعاعها على
الموجودات والكواكب والافلاك لانطمست الاشيا ولم تظهر وجودها
اشيا كذلك لو قدر غيبة الباري تعالى لم تظهر شي دونه ولا كان
للاشيا وجود البتة بحال فبالحقيقة ليس الظاهر على الاشيا الا نور
الشمس الذي هو الشعاع ولولا وجود قرص الشمس لم يكن للشعاع وجود
فبالحقيقة ما ظهرت الاشيا بظهور قرص الشمس فالشمس هي الظاهرة
المرئية فكذلك بالحقيقة ليس الظاهر الا الله وحده
الا كل شي ما خلا الله باطل • والشمس في نفسها واحدة والاشعة
المتجلية متعددة بتعدد ذوات العالم وجواهر القابلة لشعاع
الشمس فيتجلى في كل عين شمس وفي كل مراة صقيلة شمس وفي كل موضع من
البحر والهوا والارض شمس فلو كانت جواهر الارض كلها صقيلة صافية
كالهوا والبحر لظهر في كل جزء شمس كما تظهر الصور في المراة وانشد الشاعر
في هذا المعنى وهو عباس بن مرداس السلمي •
• كانوا امام المومنين دريئة • والشمس يومئذ عليهم اشمس •
تريد ان لمعان الشمس وشعاعها وصورها المتجلية منها في كل بيضة
وترس ذاته مصقوله شمس والدرع الحلقة كذلك تتجلى الارواح •
من امر موجدها في ذات كل روح من جميع الخلق صورة كاملة وذاتا روحانية
مصورة ولذلك كانت الروح الطف الموجودات واعزها وجود العزها
من الامر فافهم فهمنا الله واياك ولما كان الروح بهذه الصورة وتعلق
بالجسد فمن اراد الله به خيرا ابقاه على حالة الصفا والنورية وزاده
صفا ونورا فاشتاق الى منبعه وتعلق قلبه بالوطن الذي وجد
منه الخروج وهو يطلب الخروج من هذا العالم الجسماني فان اصابته
اوساخ الكدورات والمخالفات والغفلات فعليه بالتوبة
والتطهير والتخليص والتصفية لعله يلحق بالمحل الاعلى لانه في هذا
العالم الجسماني غريب عن وطنه ومعدنه ولما لم يكن بد من تعلقه بهذا

البدن لتكون له العبودية الروحانية والعبادة الجسمانية صار الجسم له اخا وقرينا وصاحبا فاحتال الروح على جذب الجسد الى وطنه ومعدنه بالعلوم الروحانية والطاعات الرضوانية فمن اعانه التوفيق وصل بعون الله تعالى الى ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ومن كان بضد هذا الوصف تراكمت عليه الظلمات وخاض بحر المخالفات والشهوات وكان بضد ما تقدم لان ذلك من المقربين وهذا من المبعدين وذلك من النورانيين وهذا من الظلمانيين وما بين هذين طبقات لا تحصى على حسب الصفا وامتزاج الظلمات والنور **واعلم** ان تعلق الروح بالجسد هو سبب السعادة الكبرى او ضدها لانه لما تعلق بالجسد نظر الى هذا العالم الظاهر عالم الملك على ثقب حس وهي مواضع الحواس الخمس فميز بين الهيئات والالوان على ثقب العين بحاسة البصر وبالشم بين الروايح واجناسها على ثقب الانف وبالذوق بين المطعومات على ثقب الفم وبالسمع بين اجناس الاصوات على ثقب الاذن وباللمس بين انواع الملموسات على حاسة البشرة فحصل الفرق بين الحسن والقبيح من جميع معلومات هذا العالم بواسطة تحسين الشرع وتقبيحه واستدل بمعلوماته على صانعها وبعد عنها وبالدنيا على الاخرة فرفع همته الى باريه والى عالم الاخرة فاستقامت بنيته عند ذلك وكان قايما مستويا على صراط مستقيم وفي احسن تقويم لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم **ثم تطلب** الخروج من هذا العالم الى مسجده ووطنه فطلب طريقا يخرج عليه منه فلم يجد الا العلم النافع والعمل الصالح والعلم النافع ما انتفع العبد الصالح به في الدنيا بان يدله على الله والدار الاخرة والعمل الصالح ما كان فيه لله رضى فالتزم هذين الاصلين فلم ينشب ان عجل له اذواق الروح والنعيم المخصوصة بعباد الله المقربين لان العلم بالله تعالى والمعرفة به لا نعيم انعم منه وكذلك العمل له لا جنة تشبهه فالتزم الروح والجسد العلم والعمل الى حين الاجل **وان اقتصر** الروح على ما ادرك من معلوماته على ثقب حواس الجسد

وشغف بها وعكف عليها صار مكبا عليها فانتكس اعلاه وكان بضد ما تقدم افمن يمشي مكبا على وجهه الى العالم الارضي قال الله تعالى ثم رددناه اسفل سافلين ان هم الا كالانعام وبين هذين الصنفين طبقات تترى بتنزل العبد وترقيه بستقيم فافهم فهمك الله فهكذا شاهد اهل الاستبصار بلا مرية في ذلك **فصل** واعلم انه لما خلق الخلق كلهم كافرهم ومبتدعهم وفاسقهم من اجل التباس صفات الخلق عليهم بصفات الخالق ومن اجل غيبة الاخرة وحضور الدنيا لانه لما نظر الروح على ثقب الحواس الى معلوماته المحسوسة في هذا العالم رسخت صورها في خياله وانتقشت منطبعة في ذاته فاذا ذكر له مذكور من صفات الباري حمله على ما عهد لانه لم يعهد الا ذلك مثل اليد اذا ذكر له حمله على الجارحة او البصر او الوجود الحسي اي مذكور ذكر له من علم او غيره حمله على ما عهد فلابد من تمييز صفات الخالق من صفات خلقه وكذلك الاخرة لما كانت غايبة والدنيا حاضرة سبق الحاضر الى نظر الخلق فاشتغلوا به عن الغايب واهل العقل نظروا بعكس هذين النظرين في امور الباري وامور الاخرة **فاما** النظر في امور الباري تعالى فعلى اصلين النظر في الواحد والنظر في صفات الواحد فمن اصول النظر في الواحد سبحانه ان تعلم ان الشي الواحد بالحقيقة هو الشي الذي ليس لوجوده نهاية ينتهي اليها لان النهاية غاية الموجود وحده ابتدا ٥ فاذا اتحد بالنهاية احتجنا القسمة لان وراء تلك النهاية شيا اخر من جنسه او من غير جنسه **فان قلت** كيف نراه احد الاشيا وهو لا نهاية له وما لا نهاية له فهو الوجود وحده فقط ولا وجود لشي معه البتة لانه لو كان معه شي لحده ونحن نجد الاشيا موجودة **فالجواب** ان البينونة وقعت بين القديم والمحدث فقد باين المخلوقات بقدمه كما باينوه بحدثهم وكذلك باينهم بجميع اوصافه كما باينوه بجميع صفاتهم فافهم والاشيا ايضا لا وجود لها معه الا باتحاد في كل طرفة **والواحد** من وجه اخر ايضا هو الذي لا مثال له ولا نظير ولا شبيه من جميع الموجودات كما يقال فلان واحد عصره اي لا قرين له فان لم يكن

له مثل ولا شبيه فهو واحد فرد لا يشبهه شي لا في وجوده ولا في صفاته
ومن هذا الفصل تفهم وحدانية الصفات فان بصره محيط بجميع الموجودات
على كنهها ومحيط بذاته وعلمه مدرك لذاته ولجميع المعلومات على كنهها
وهكذا جميع صفاته **فصل** واعلم ان الله عز وجل كان قديما
ازليا بلا بداية ولم يكن معه شي من الاشيا بوجه ولا على حال ولم يكن
للاشيا معه في ازله وجود البتة لانها لو كانت موجودة لم تخل اما ان
تكون محدثة او قديمة فان كانت محدثة فقد وجدت بعد ان لم تكن فلم
تكن معه في الازل وان كانت قديمة فلا يجوز ان يقال فيها محدثة
لان القديم ما لم يحدثه غيره وقد وجدناها بالضرورة حدثها لانها
قد ظهر فيها اثر الصنعة والحدوث فبطل القدم لها وصح الحدث ومن
اثبت القدم للموجودات لزمه ان يطلق ان الله تعالى لم يخلق شيئا
ولا ابدعه وكانت الاشيا موجودة بذواتها على قوله وهذا هو المحال
لانه قد ظهر وجودها بغيرها فان جعل الموجودات معه كالظل مع الشخص
والعلة مع المعلول فقد ضل بان جعله مثل فعله مساويا له لان العلة
مساوية للمعلول في الضرورة لان المعلول يصدر عن العلة لضرورة
في العلة لا تمتنع العلة بتلك الضرورة عن وجود المعلول عنها فالعلة
مضطرة لوجود المعلول عنها والظل موجود عن الشخص وجودا ضروريا
لا يمتنع عن ذلك والاله ليس بمضطر لانه اذا كان مضطرا فقد اضطره
غيره فاذا لم يبق الا اثبات الاختيار لله تعالى يوجدها متى شا وكيف شا
ويترك ايجادها اذا شا ومتى شا على ما سبق به علمه وارادته من الترتيب
والتقديم والتاخير وترك الايجاد ووجود الايجاد هذه صفة الاله
وما سوى ذلك مضطر فقد كانت الاشيا عدما محضا وكان الله ولا شي
معه في احديته ولا ثاني في ازله **وكان** في ازله مدركا لجميع معلوماته
في حال عدمها كما يدركها الان في حال وجودها استوى في حقه الوجود
والعدم بلا زيادة في ادراكه في حال وجودها ولا نقصان في ادراكه
في حال عدمها ولم يبتغ هذا الادراك الا به لان المخلوق لا يدرك
الشي وهو عدم وبهذا الادراك باين جميع خليقته ولم يكن مثلها لان

المحدث

المحدث كما تقدم لا يدرك الشي حتى يكون موجودا معه وما دام معدوما
عنه لا يدركه **فان** العالم من الخلق لا يكون عالما حتى يتعلم العلم بمعلومه
فيضطر الى المعلوم ان يكون سابقا على علمه ولا يبصر الشي حتى يحضر بين
يديه بعد اذ كان غايبا ولا يقدر على الشي حتى يكون فاعلا له ولا يكلم
الشي حتى يحضره لا يسمعه حتى يتكلم بين يديه لان صفاته حادثة مع
مدركاتها فلا يدرك الا في حين حدوثها وحدوث المدركات معها وكذلك
اذا زالت عنه مدركاته ومبصراته لم يدركها لان صفاته لم يحدث له ولو
الان حين وجودها يدركها ذلك الادراك لم يتجدد له ادراك بتجدد
المدركات ولا ازداد بها حين وجدت شيا في كمال ادراكه بعد نقصانه
فاذا عدم الموجودات وصيرها كما كانت اول مرة بقي كما كان مدركا حين
وجودها لان صفاته ليست اعراضا فتتزيد او تنقص بخلاف المحد ثات
تعالى الله علوا كبيرا **فقد** استوى عنده وجودها وعدمها والعدم
ضد الوجود لانه سبحانه في الازل لا شي معه وليس في ذاته سوى ذاته
ولا يجوز ان يقال ان للاشيا في ذاته اثرا او تكون منطبعة او مصورة
في الذات بل ادراكه غير المدرك والعلم غير المعلوم والبصر غير المبصر
والقدرة غير المقدور وليس هذه الصفة والادراك الا له ولا يعرف
به اولا اياه الا تراه يقول انما قولنا لشي اذا اردناه ان نقول له
كن فيكون فلا يقول لما لا يدرك معلوم ولا يقول كن الا المعدوم
غير كاين فلو كان موجودا لكان كن بلا فايدة ولو لم يكن مدركا لم يقل
له كن فافهم والله تعالى يقول ان الله لغني عن العالمين لا يشغله وجو دم
كالعلة مع المعلول ولا يزيده ادراكا ولا يعجزه عدمهم ولا يفقده
ادراكا الا تراه يقول ان الله علام الغيوب فهو المنفرد بادراك الغيب
لان الغيب ضد الحضور وما كان الله ليطلعكم على الغيب لانه ليس
في طاقة المخلوق ذلك الادراك فاذا اطلعه على ما غاب عنه اوجده
له فلم يكن غايبا وذلك قوله ولكن الله يجتبي من رسله من يشا وما دام
لم يدركه فهو غيب عنه والله تعالى بخلاف ذلك ليس عنده غيب بوجه
ولا حاد لانه في حال عدم الاشيا ولا في حال وجودها الا تراه كيف

يقول وكان الله اي في ازله بكل شي عليما وكان الله بكل شي بصيرا
وكان الله على كل شي قديرا وكان الله بكل شي محيطا الى غير ذلك من الايات
الواردة في هذا المعنى **ومن** شان علم البارى تعالى ادراك الموجودات
وهي معدومة وهو لا يقدر الا على ما علم ولا يبصر الا ما علم ولا يريد الا
ما علم ولا يخاطب بكلامه الا ما علم ولا يخلق الا ما علم فقد استوى
في حقه وجود الاشيا وعدمها **ولنعرض** سوا الا على من يقول بقدم
العالم من الفلاسفة وغيرهم ونبني اولا مذهبهم فالذي تقوله
الفلاسفة ان العالم قديم وان الله يعلم الكليات ولا يعلم الجزئيات
وان بعث الاجساد محال ويحملون البعث على بعث الارواح **فنقول**
لهم في وجود الاشيا عنه سبحانه ان قلتم انه ابدعها بلا زمان بل كوجود
الظل عن الشخص فقد اقررتم انه ابدعها والمبدع هو المخترع المحدث
وان قلتم انها لم تزل لا بي فقد اطلقتم انه لم يبدع شيا ولا اوجد
موجودا وان الاشيا قايمة بانفسها فان قالوا انما ايجادها فيض
وجود عن وجوده لانه ينبوع الوجود وهذا من العظايم قيل لهم ذلك
الفيض الذي اطلقتموه اعني وجوده فاض بمعنى انفصال شي من شي
ام اوجده من العدم المحض بعد ان لم يكن فان قالوا عن وجوده بمعنى
انفصال شي عن شي فكفى به كفرا وجهلا فلا بد اذن من الرجوع الى ايجاده
من العدم الذي هو ضد الوجود بالضرورة العقلية التي لا محيص عنها
فان قالوا العدم اسم لا يقع الا على مسمى موجود قيل لهم فالعدم اذن
موجود فلم يوجد البارى شيا ولا اخترع موجودا وكم من اسم يطلق
على غير مسمى موجود مثل قولهم لا داخل العالم ولا خارجه شي وهذا
من جملة الاسما المعلومات مثل قولهم اجتماع الضدين محال وكون الجسم
في مكانين محال وهذه مسميات لمعلومات غير موجودات ومثل قول الله
عز وجل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه فهذا من علمه بما لم يكن ان لو كان
كيف كان يكون فكذلك علمه بالاشيا قبل وجودها يعلم كيف تكون
اذا كانت وليس لها قبل كونها وجود فالعدم اذن من الاسما المطلقة
على ما لا وجود له فلا بد من الرجوع الى ذلك فان البارى تعالى لم يخلق

من ذاته شيا ولا كان معه شي فان قالوا اوجدها الوجود من العدم اختراعا
بلا زمان كالظل مع الشخص وهذا من اطلاق الكافر منهم قيل لهم قد
اثبتم ايجادها لا من شي والعقل يدرك بالضرورة انها كانت بعد ان لم
تكن اذ قد فرق العقل بين حالتي العدم والوجود فقد ثبت حدثها ه
وانتفى القدم عنها **وبقي** الكلام معهم في قولهم اوجدها معا بلا زمان
فنقول لهم اخبرونا عن المخترع المبدع سبحانه هل قامت بذاته
صفة ضرورية اكرهته على الايجاد والابداع للاشيا بلا زمان ام قامت
بذاته صفة المشية والاختيار لايجاد الاشيا بلا زمان فان قالوا
بالصفة الاولى الضرورية وهو حقيقة مذهبهم لانهم يسمونه علة ه
والعلة مساوية للمعلول في الضرورة فكفى بذلك جهلا وكفرا وان قالوا
بالصفة التي توجب للبارى العز والجلال وهي المشية والاختيار
وتنفي عنه الضرورة قيل لهم من اين اطلقتم ايجاده اياها كالظل
مع الشخص معا بلا زمان وحكم المشي والمختار ان لا يترجح احد الوصفين
في حقه وهو الايجاد او ترك الايجاد بل نسبتهما في حق المريد والمختار سوا
لا يترجح هذا على هذا ولا هذا على هذا فيوجد اذا شا ويترك ه
الايجاد ما شا هذا هو حكم المختار والمشي وما سوى هذا فهو المضطر
المجبور كاضطرار العلة مع المعلول التي تنافي حكم الالاهية فان
قالوا سبق في علمه وارادته ان يوجد الاشيا هكذا كالظل مع ه
الشخص بلا زمان قيل لهم وسبق في علمه وارادته ان يوجد متى شا ه
ويترك الايجاد ما شا مع ان دعواهم انه سبق في علمه وجودها كذلك
محال لانه لم يرد به الشرع ولا شهد له العقل فان القديم بالحقيقة
خلاف المحدث من جميع الجهات فالقديم هو الذي لم يزل بنفسه موجودا
والمحدث هو الذي لم يزل معدوما حتى اوجده المريد لايجاده والموجد
مخالف لفعله من كل جهة فان القديم لا يتطرق اليه الفساد والتغير
والبطلان بل لم يزل ابدا كما لم يزل ازلا والمحدث تتطرق اليه ه
الصنعة والتغير والبطلان من حالة الى حالة ابدا وهو العدم
لانه لا قوام له بنفسه فالوجود له عارية ومجاز ومستعار ولو كان

الوجود له حقيقة لاشبه الوجود الحق سبحانه •
لا كل شي ما خلا الله باطل • وكل شي هالك الا وجهه • فبهذا
تفهم انه لا يسع مع وجوده شي لان البطل يتطرق ابدا الى الاشيا
مع الخطرات لما اوجده الموجد الحق من الباطل لو امسك بتجديد الايجاد
عنه طرفة عين لانعدم بلا زمان في اسرع من طرفة عين وذلك ان لم يرد
بقاه سوا كان الموجود روحانيا او جسمانيا وكما ان القدم سبحانه لا يطرا
على وجوده عرض ولا بطلان في الازال والاباد كذلك لا يطرا على المحدث
العرض ابدا الاباد واثار الصنعة فمخالفة بان الحق موجود بنفسه لا يطرا
عليه شي وهذا موجود بغيره يطرا عليه كل شي فان استدلوا على وجود
الاشيا عنه فيضا وجودا كوجود شعاع الشمس عن الشمس وفيض النور
عنها على كل موجود وقالوا لم يزل فيضان الخيرات والفضايل فايضة
عن وجوده كما لم يزل النور فايضا عن وجود الشمس قلنا اصبتم من وجه
واخطاتم من وجه اصبتم من وجه استدلالكم بفيض الوجود عنه كفيض
نور الشمس عن وجود الشمس واخطاتم من وجه اخر حيث قلتم لم يزل كذلك
فايضة فانه لو قدر للشمس ارادة لان تفيض النور عنها على الموجودات
حتى يفيض في وقت ارادتها للفيض ولا يفيض حين لا تريد الفيض
لكان الاستدلال لاحقا وكذلك الظل مع الشخص لو قدر للجسم ارادة
لان لا يكون عنه ظل في وقت ارادته لذلك ولان يكون عنه ظل
في وقت ارادته لذلك واستدلوا به كان حقا وانما هربوا من ان يكون
الوجود محدثا لانهم قالوا هي معلومات له فلو زالت عنه في وقت او حين
لطرا على صفاته في تلك الحال خلاف ما هو عليه في حال وجودها
معه وهو الجهل والعجز وعدم الادراك في زعمهم وهذا هو التنزيه
عندهم وقد وقعوا في شر مما هربوا عنه وهو رويه القدم للمحدثات
وافتقار الباري الى الموجودات ان تكون معه كافتقارها اليه
فصار لا يكمل الا بها وبوجودها معه فصارت هي الكملة له والمصطفى
له وكفى بهذا جهلا وكفرا **ونحن بحمد الله** نقول بما انعقد عليه اجماع
العقول الراجحة وهم الرسل واتباعهم وما نطق به القران والسنن

وبه

وبه ان الاشيا لم تكن ازلا معه وهو يدركها في حال عدمها كما يدركها
في حال وجودها الحالتان عنده سوا ولا نهرب كما هربوا هم من ان
تكون معدومة خيفة دخول النقص عليه فان النقص انما يلزم لمن
يقول انه لا يدرك الشي الا اذا كان موجودا وهذه صفة المخلوق
فلو افتقدنا الادراك في حال عدمها او وجدناه الادراك في حال
وجودها لزمنا ذلك **وانما** نقول انه يدرك في الحالة الاولى جميع
ما يدرك في الحالة الاخرى من غير زيادة ولا نقصان ودليلنا على
ادراكه اياها وهي معدومة قول الله عز وجل وكان الله بكل شي عليما
اي في ازله وكان الله على كل شي قديرا وكان الله بكل شي بصيرا وكان
الله بكل شي محيطا ولا يجوز ان يقال في كان هذه كان يكون كونا
ولذلك قال اهل العلم كان هو الله عز وجل **فقال** النبي عليه
السلام في الحديث المشهور اول ما خلق الله القلم قال له اكتب
الحديث فاثبت للاشيا اولية وان القلم سابق للاشيا في الخلقة
وان القلم مخلوق وفي حديث اخر اول ما خلق الله العقل الحديث
الى قوله ما خلقت خلقا احب الي منك وقوله عليه السلام كان
الله ولا شي معه وقوله تعالى وقد خلقتك من قبل ولم تك شيا
هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيا مذكورا اتى التفسير
معنى انه قد اتى **وقوله** اولم يروا كيف يبدي الله الخلق ثم يعيده
فاثبت للخلق بداة ومثل هذا كثير والاجماع ايضا قد انعقد
على ذلك من الصحابة والتابعين والمحدثين وغيرهم من العلما
والعوام **فقال** ابو بكر الصديق رضي الله عنه في دعايه اللهم
انك بدات الخلق من غير حاجة بك اليهم فانظر الى المعرفة الكاملة
من الصديق رضي الله عنه في قوله بدات الخلق فجعل للخلق بداية
ثم قال من غير حاجة بك اليهم اي من غير حاجة لك الى ايجادهم لانك
الغني عنهم في حال وجودهم وعدمهم وكذلك قال علي رضي الله عنه
حين ذكر بدء الخلق وخلقة نور محمد عليه السلام وكذلك العلما
اتفقوا على البداءة وان للوجود افتتاحا لم يكن قبل ذلك الا الباري

وحدة **قال** الجنيد التوحيد افراد القدم من الحدث وعلمك
واقرارك بان الله فرد في ازليته لا ثاني معه **وقال** الشبلي
جل الواحد المعروف قبل الحدود وقبل الحروف ولو تتبعنا كلام اهل
العلم في ذلك لطال الكلام **وقد اخرج** الله علم العدد والحساب
وجعله اعظم اية على وحدانيته فالعدد كله ينشا من الواحد وليس
الواحد عددا في نفسه فاذا اردت ان تعد عددا ما قلت واحد
تبتدي بالواحد واذ كان الواحد لم يكن للاثنين مع الواحد
وجود ولا ذكر وكان الواحد موجودا فقط ولا يجوز ان يقال فيه
عدد اي لا يسمى باسم الاثنين ولا الثلاثة ولا الاربعة ولا باسم
شي من العدد الذي تعدد لك وانما يقال فيه واحد فقط ولا
يشاركه في الاسم ايضا ما جا بعده من العدد حتى تنتهي الى اخر العشرة
فاذا زدت عددا اخر وقلت احد عشر فانما تبتدي تسمية عشرة
اخرى فيكون الحادي عشر مثل الواحد من العشرة لانه هو وهكذا
واحد وعشرون وواحد وثلاثون وواحد واربعون الى واحد وتسعين
انما هو تكرير العشرات فليس يشارك الواحد شي من العدد لا في الاسم
ولا في المعنى فهو في نفسه ليس بعدد فاذا قلت واحد وسكت لم يكن
معه شي من العدد فهو بمنزلة قول النبي عليه السلام كان الله ولا شي
معه فردا في ازله قبل وجود جميع الاشيا كما هو الواحد فردا اذا ذكرته
قبل ذكر الاعداد فاذا اردت ذكر عدد قلت اثنان ثلاثة اربعة
خمسة ستة سبعة الى عشرة الى مائة الف الى عشرة الاف الى مائة
الف الى الف الف الى ما لا نهاية له ولا اخر لان العدد لا اخر له
ولا نهاية كذلك امر الباري عز وجل كان واحدا قبل وجود الاشيا
ثم خلق القلم واللوح والمخلوقات واخرج الاشيا شيا بعد شي
بالايجاد والابداع الى ما لا نهاية له ولا اخر ابد الاباد فان مقدورات
الباري لا نهاية لها ولا غاية لان كل موجود اوجده يبطل عليه
من الاعراض ما لا نهاية له كما لا نهاية للعدد وكما ان الواحد اول
العشرة فتزيد واحدا بعد واحد الى تسعة فيكمل العدد في التسعة

لانه

لانه وتر من ثلاثة ثلاثة ثلاثة وكل واحد من الثلاثة وترا وتر
كل واحد صاحبه من حيث هو كل وتر واحد في نفسه فانهم **كذلك الباري**
جل جلاله يوجد الشفع وهو الوتر يوترها بنفسه فاذا عددت ثلاثة
وزدت العدد الى تسعة صارت ثلاثة وثلاثة وثلاثة كل ثلاثة
وتر في نفسها للاثنين فاوتر كل واحد من عدد الثلاثة العددين
كما اوتر كل واحد من الثلاثة لغيره من الاثنين فاذا زدت عاشرا على
التسعة ايضا رجع العدد كله واحدا فقلت عشرة وصارت العشرة
بالاضافة الى العشرين الى الثلاثين الى الاربعين الى التسعين
بمنزلة الواحد من العشرة فالعشرة واحد في نفسها والعشرون بمنزلة
الاثنين من العشرة والثلاثون بمنزلة الثلاثة والاربعون بمنزلة
الاربعة فاذا وصلت الى التسعين صارت بمنزلة التسعة ثلاثون
ثلاثون ثلاثون فكانت تسعين كما كانت ثلاثة وثلاثة وثلاثة
تسعة فاوتر كل واحد من الثلاثين الاثنين من ثلاثين ثلاثين فاذا
زدت عشرة عادت المائة شيا واحدا بمنزلة العشرة للعشرات وبمنزلة
الواحد للعشرة الواحدة فقلت مائة عدد واحد فان زدت مائة
اخرى كانت بمنزلة الاثنين للواحد من العشرة وبمنزلة العشرين
للعشرات حتى تنتهي الى التسع مائة فتكون كل ثلاث مائة وترا كما يكون
كل واحد من ثلاثة ثلاثة ثلاثة وترا في عدد التسعة وكل واحد من
الثلاثين وترا للاثنين من الثلاثين ثلاثين فان زدت مائة صارت
الفا شيا واحدا بمنزلة الواحد من العشرة والمائة من الالف فتمضي هكذا
الى عشرات الالاف الى مئين الالاف الى الاف الالاف الى ما لا اخر له
فالواحد ابدا تمام الجملة منه ينشو العدد واليه يرجع حقيقة ومعنى
كذلك الباري عز وجل منه ابتدات الاشيا وبه تنشا وهو منتهاها
واليه ترجع فكما انه لولا الواحد الذي يزاد ابدا فينشا منه العدد
شيا بعد شي لم يوجد عدد فكذلك لولا الله عز وجل الذي هو اول
الاشيا وهو منشي الاشيا شيا بعد شي واليه يرجع كل شي لم يوجد شي
من الاشيا هو الاول والاخر والظاهر والباطن كما هو الواحد اول

العدد واخره واوسطه الذي هو ظاهره ومعناه الذي هو باطنه فافهم
فهما ابندوا ايان **فاذا** اسقطت العدد من اخره ورجعت الى اوليته
اسقطت العدد الفا الفا ومائة مائة وعشرة عشرة وواحدا واحدا
فيذهب العدد كله حتى ينتهي الى الواحد فلا يبقى عدد ولا معدود فيبقى
الواحد فلا تقدر على انه تجزيته في نفسه فتسقطه لانه ليس اثنين ولا
ثلاثة وانما هو واحد لا ينجزا ليس بعدد فلا يبقى الا الواحد فلو قدرت
اسقاط الواحد بعينه حين لم تقدر على تجزيته وتبعيضه لم يوجد عدد
ولا معدود بوجه ولا على حال وكذلك لو قدرت اعدام الموجودات
من الكثرة شيا بعد شي حتى تنتهي الى الواحد جل جلاله لانعدمت الاشيا
كما انعدم العدد به حلك لاجزايه حتى انتهيت الى الواحد ولم يبق الا
الله فلا تقدر على ان تسميه باسم الاثنين ولا غيره ولا ان تجزيه فلو
قدرت عدم الاله جل جلاله لم يوجد شي من الاشيا وذلك محال لان
الاشيا قد وجدت به فافهم فهمك الله فانه قد جاز ان تسقط العدد
كله بالتحليل بعد التركيب حتى تنتهي الى الواحد ولا يكون معه شي من
العدد ولم يجز ان تسقط الواحد لانه لا ينحل بما ليس بمركب فكذلك
الباري عز وجل كان وحده ولا بد من وجوده فهو واجب وجوده لا محالة
كما وجود الواحد شرط واجب في وجود الاعداد وليست الاعداد
شرطا في وجود الواحد **فقد** ثبتت الاولية لواحد العدد
وثبتت التبعية للعدد بعده كما ثبتت الاولية للباري جل جلاله
وثبت الحدوث بعد اوليته لجميع المخلوقات ولله الحمد والمنة على
الهداية **فان اعترضك** قايل فقال لا افهم القسمة التي
ذكرتها في العدد وكل واحد في نفسه من العدد لا ينجزا فردي فهما
فاعلم انك اذا اردت قسمة المائة قلت نصفها خمسون وربعها
خمسة وعشرون وثلثها ثلاثة وثلاثون ويبقى واحد من المائة
زايد على الثلاثة الثلاث فلا تقدر على قسمته فانه الواحد المذكور
وكذلك العشرة نصفها خمسة وثلثها ثلاثة ويبقى واحد من العشرة
فلا تقدر على قسمته لانه واحد في نفسه لا ينجزا فان زدت عليه اثنين

قسمته

قسمته فقلت كل واحد ثلث الثلاثة وكل واحد في نفسه لا ينجزا فالعدد
كله ينقسم على العشر والتسع والثمن والسبع والسدس والخمس والربع
والثلث والواحد في نفسه لا ينقسم ابدا **كذلك المخلوقات** كلها
تالفت من الافراد التي هي الجواهر بضم جوهر الى جوهر فكانت اعداد
المخلوقات لا تتناهى كما ضم افراد العدد بعضها الى بعض فكان العدد
لا يتناهى فافراد العدد بمنزلة الجواهر التي تالفت منها المخلوقات
وكل جوهر في نفسه فرد لا ينجزا دلالة على الواحد جل جلاله ولو اخذت
جسما واحدا من المخلوقات مثل جسد الانسان وجدته تالف من اعداد
لا تحصى من الجواهر ضم بعضها الى بعض حتى صار جسما واحدا فيسمى باسم
الواحد وهو في نفسه اعداد كثيرة كما ان اسم الواحد واقع على الالف
والالف في نفسه عدد كثير فكما ان الواحد ضم عدد الالف بعضه
الى بعض فصار به واحدا كذلك الله جل جلاله هو اول الاشيا واحدا
وضم اجزا المخلوقات بعضها الى بعض والفها حتى صارت شيا واحدا
حتى ان ملكه كله انما هو شي واحد وملك واحد لرب واحد لا يقال له
ملكان ولا ثلاثة ولا اربعة انما ملكه سبحانه ملك واحد لمالك
واحد وان كثرت العوالم الى ما لا يحصى فيضم عالم الى عالم الى المائة
الف عالم او اكثر او انقص فيرجع الكل واحدا معتمدا على ملك واحد
متعبدا للواحد كما كانت اجزا الجسد كله جواهر لا تحصى وضمها
الجسم فكانت به واحدا فسبحان اسما اكبر دلايله وما ابين وحدانيته
والوهيته ولو كان غيره لكان ما ذكرت لك لم يجز بوجه ولا حال وهو
حقيقة معنى قول الله عز وجل لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا
لمن فهمه الله ذلك **فانظر** بهذا النظر في جميع المخلوقات من الذرة
الى ما فوقها لولا الوحدانية لما وجدت بوجه فان جسم الذرة من
اعداد لا تحصى ومعنى الوحدانية ضمها حتى صارت موجودة ولو
قدرت افتراق اجزايها بعضها من بعض لتلاشت وانعدمت ولم
توجد كذلك لو قدرت افتراق جميع العوالم بعضها من بعض وافتراق
جواهرها بعضها من بعض وذا الفها اسم الوحدانية الذي يمسكها

لفسدت ولم توجد **مثال ذلك** ان تقدر طرح اجزا جسدك
فتحلله من تركيبه وهو واحد في نفسه فتسقط اليد من الذراع
والاصابع من اليد والراس من العنق والاعضا بعضها من بعض فتكثرت
وتفصلت بعضها من بعض ثم تفصل كل عضو بعضه من بعض فيتلاشى
الجسد ولا يوجد فان رددت التركيب بالتقرير كما كان اول مرة عاد
واحدا وظهر وجوده واستقام فلم يظهر وجوده ولا استقام امره
حتى صار واحدا وهكذا اجزا الارض انضمت بعضها الى بعض فصارت
واحدا او لو قدرت انفصال اجزايها بعضها من بعض لتلاشت وهكذا
جسم البحر لو فصلته خلجا خلجانا ونقطة نقطة لتلاشى واذا
قدرت ضم اجزايه بعضها الى بعض ظهر وجوده واستقام امره وهكذا
الهوا والافلاك والسموات وجميع المخلوقات كائنا ما كان وكذلك
الارواح كل روح واحد في نفسه وبضم بعضها الى بعض صارت عالما
واحدا وبضمها الى الاجسام صارت مع الاجسام كشي واحد واستقام
امرها ومن هذا تفهم قوله عليه السلام الجماعة رحمة والفرقة
عذاب فان هذه هي الرحم الواشجة المتعلق بعضها ببعض المؤتلفة
بعضها الى بعض فصارت شيا واحدا وملكا واحدا للملك الواحد الرحيم
الراحم ومن فارق الجماعة شبرا فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه وله
اسلم من في السموات والارض كل له قانتون **ونفهم هذا** احدا
تفهم منه معنى وجود جهنم في الوجود وكيف كان سبب العذاب والعباد
ولاي شي كانت جهنم على صورتها المذكورة في القران والاخبار
والفزع الاكبر والاصغر وتفهم منه صورة النعيم ودار النعيم
لاهل الحق وتفهم من ذلك لاي شي وقع القتال والعذاب في دار
الدنيا وفي دار الاخرة وتفهم منه فنا وهذا العالم عند قيام الساعة
واقرا قوله عز وجل وان كان مكرهم لتزول منه الجبال وتفهم واستعن
بالله يعينك الله وليس يمكن اكثر من هذا التفهيم بالقلم والله اعلم
اعلم فاذا فهمت ما تقدم تبين انه ليس في العالم فراغ بوجه ولا على
حال والفراغ الذي يتوهمه الناس انما هو الهوا وكيف يكون الهوا

فراغا وهو الذي اعظم خلقه من الما والارض وانما هو جسم ياخذ
الطول والعرض والعمق فليس في العالم اذن فراغ فانفصلت الموجودات
بعضها ببعض كل جوهر الى الذي يليه وكل جسم الى الذي يليه وانزمت
زما متضغطا حتى لا يمكن انفصال بعضها من بعض فان انفصل جوهر
من جوهر او جسم من جسم حصل الهوا بينهما فلم يكن ثم فراغ بوجه
فبحق اقول ان العالم قد اتحد وصار شيا واحدا ولو قدرت
من الهوا الرمانة الف الف عالم لابد لها من هذا التوجيه تتصل
عالم بعالم فيكون الكل عالما واحدا وكذلك عالم الارواح تالفت
ايضا واتصل بعضها ببعض كل جنس الى جنس فان تناكرت وانفصل
بعضها من بعض فالتناكر ايضا خلق موجود بينهما بمنزلة الهوا للاجسام
وانما كانت هذه الصورة للموجودات حتى صارت كالما في الانا اذا
امتلا به لا فراغ فيه لان وجود العالم الواحد الحق الذي لا نهاية
له قد اكتنف مخلوقاته وزمها فهو الذي صيرها شيا واحدا
لانها من موجدها بمنزلة المعلوم في نفس العالم به المحيط به فلو كان
في الملك الهة الا الله لذهب كل اله بملكه والخاز في ناحية عن غيره
وانفصلت الاشيا بعضها من بعض فرقا ادى ذلك الى التلاشي المذكور
فيما تقدم في تقسيم الجواهر وتحليلها ولم يمكن الله ولا ما لوه **فالحق**
اذن هي الوحدانية والباطل هي الكثرة كما قال تعالى ذلك بان الله
هو الحق وان ما يدعون من دونه هو الباطل فالباطل هو العدم
الذي لا يجوز ان يكون موجودا والحق هو الموجود الذي لا يجوز ان
يكون معدوما والحق هو الشي الواضح الظاهر البين والباطل هو
الشي الخفي الذي لا وجود له **فلما ان كان** الباري عز وجل هو الوجود
الحق كانت افعاله كلها حقا فتحقق وجودها به وبقي وجودها
بموجدها الباقي الحق ولما كان الباطل لا وجود له كان كل من ادعى
الها باطلا بضد ذلك فبطل وجود من ادعى ذلك وكان بعرض البطلان
والفساد ابدا الابادولذلك كانت جهنم دار فساد قال الله عز وجل
سيجزيهم وصفهم وقال ماواكم النار هي مولاكم ولما كان الههم الذي

ادعوه لا وجود له الا في اوهامهم وظنونهم الكاذبة كانت النار
جزائهم ومولاهم على ذلك المعنى لان النار لا ظهور لها الا في جسم
تاكله وتغنيه فلولا تعدم الكفر والعصيان من الوجود لم يكن للنار
وجود ولما كان العدم الذي هو الباطل لا شئ اظلم منه ولا اخفى كانت
جهنم سوداء مظلمة ان الشرك لظلم عظيم الظلم ظلمات يوم القيمة
وعلى هذا المعنى استقرى جميع صفات جهنم وما ورد فيها وفي اهلها
وتعذيبهم تجدها موافقة لنعالهم واعمالهم وبالضد من ذلك دار
النعيم ولما كانت دار الدنيا ممزوجة من العالمين وكان فيها
الخير والشر من كلا العالمين اعني الجنة والنار زوجين اثنين
كانت دار كون وفساد فاذا فصلت من الامتزاج بالقيامة عند
غلبة الشر على الخير فسدت الدنيا وميز الخبيث من الطيب وعاد كل
واحد الى عنصره ولم يكن بعد الدنيا دار الا الجنة والنار **فصل**
واعلم ان العوالم كلها هي افعال الله ومخلوقاته فليس في الوجود
الا الله وافعاله وجميع ما خلق من العوالم ملك واحد كما تقدم بمنزلة
جسد واحد وعلمه وصفاته محيطة بجزئيات المخلوقات وكلياتها
فاذا اردت ان تفهم ذلك فهما شافيا وتبين لك بطلان مذهب
من يقول انه يعلم الكليات ولا يعلم الجزئيات وبطلان مذهب من
يقول باضافة افعال المخلوقات الى انفسها وانه ليس في الوجود
فاعل الا الله وحده فانظر الى قول الله عز وجل لقد خلقنا الانسان
في احسن تقويم فذكر الانسان بجملته مجملا ولم يذكر اجزاءه وافعاله
ثم اذا اراد ان يبين احاطة علمه وقدرته بجميع اجزائه
وافعاله ذكره عضوا عضوا وجزءا جزءا فذكر اصل خلقته واولها
فقال افرايتم ما تمنون ءانتم تخلقونه ام نحن الخالقون ولا يذكر
الذاكر بكلامه ولا يصف الا ما يعلم بعلمه ويراه ببصره ويحيط به
احاطة كاملة ثم ذكر انه خلقه من سلالة ثم من نطفة ثم من علقة
الى ان قال ثم انشاناه خلقا اخر فوصف اطوار خلقته على ما هي
عليه الى حين خروجه طفلا ثم اذا اراد ذكر اجزائه يصف وجهه

فيقول

فيقول مكبا على وجهه تعرف في وجوههم وابيضت وجوههم وصوركم
فاحسن صوركم واذا ذكر البصر قال وابصارهم واذا ذكر الاذن
قال في اذنيه وقرا الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين في اعناقهم
فاضربوا فوق الاعناق الانف بالانف السن بالسن الاذن بالاذن
من بين الصلب والترائب حصل ما في الصدور في بطونهم ايديهم
ارجلهم الى المرافق يحفظوا فروجهم ختم الله على قلوبهم لمن كان له
قلب ثم لقطعنا منه الوتين حبل الوريد فيصف الجسد عضوا عضوا
اذا اراد ذكر اجزائه فاذا وصفه بجملته قال الانسان فاذا وصف
افعاله قال يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور واسروا قولكم
او اجهروا به الاية كلوا واشربوا يا كلوا ويتمتعوا ان في صدورهم
الا كبر ما هم ببالغيه ولتعرفنهم في لحن القول الذين اذا ذكر الله وجلت
قلوبهم الزانية والزاني السارق والسارقة فيصف اوصاف
بنيته واوصاف افعاله ظاهرا وباطنا كذلك الملك كله اذا ذكره
بجملته قال خالق كل شئ وكان الله بكل شئ عليما وكان الله بكل شئ
عليم وبصير وعلى كل شئ قدير فاذا اراد ذكر اجزاء العالم كله عالما
عالما وجنسا جسما وشخصا شخصا ذكره بما هو عليه فيقول رفع
السماء بغير عمد فنجد ذلك كما ذكر لا زيادة ولا نقصان والارض
وضعها الشمس سراجا القمر نورا الجواري الكنس النجوم مسخرات بمواقع
النجوم الرياح مبشرات ريحا صرصرا ينشئ السحاب الثقال انزلنا من
المعصرات ماء ثجاجا يريكم البرق يسبح الرعد بحمده يرسل الصواعق
سخر البحر الجواري في البحر كالاعلام لتاكلوا منه لحما طريا الخيل والبغال
والحمير الابل اثنين البقر اثنين الضان اثنين المعز اثنين من يمشي
على بطنه على رجلين على اربع طائر يطير بجناحيه الجنة النار العرش
العظيم وسع كرسيه السموات والارض التين الزيتون البلد الامين
طور سينا شجرة تخرج الليل اذا يغشى النهار اذا تجلى الشفق الصبح
اذا تنفس والقمر قوم نوح قوم موسى عاد ثمود قوم ابرهيم قوم لوط فرعون ٥
الفرعون هامان قارون ابو لهب امراته حمالة الحطب بني ادم

الجن والانس والملائكة والصراط والميزان والحور والقصور والحنة والنار والدركات والدرجات والعلى والنخل والرمان والزيتون والنخل مختلفا اكله والزقوم والدرك الاسفل من النار والدرجات العلى والنخل مختلفا اكله والزيتون والرمان من كل الثمرات والمشرقين والمغربين والمشارق والمغارب ويخلق ما لا تعلمون وعلى الجملة فلا اقدر على وصف بعض ما ذكره الله تعالى بكلامه ووصفه لاجزاء المخلوقات حتى الذرة والخردلة فقد قال ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان كان مثقال حبة من خردل وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس حتى قوله عز وجل او جاء احد منكم من الغائط فهو يصف الوجود كله ظاهرا وباطنا وافعاله وحركاته واجزائه واجزاء اجزائه ولا يصف الواصف ولا يذكر الذاكر الا ما يرى ويشاهد ويعلم فتبا للقائلين انه يعلم الكليات ولا يعلم الجزئيات وتبا لمن يقول ان احدا يفعل فعلا في الوجود كله والله يقول فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى ونحو ذلك قوله وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه وقوله والله خلقكم وما تعملون يضل من يشاء ويهدي من يشاء **واما** النظر في ذلك من جهة العقل فان الاجساد انما هي جمادات لا ادراك بها ولا ادراك اي جسم كان من المخلوقات وانما الافعال والادراك للارواح وهي تصرف الاجساد وهي للارواح كالالات للاجساد والادراك العلمي وغيره انما هو للارواح ايضا وهي كلها اعراض كائنة ومخلوقة في الارواح بعد ان لم تكن فيها فالارادات والعلوم والفكر والالهام واللذات والنوم واليقظة والحركة والسكون والموت والحياة والصبر والفرح والجزع والمحبة والبغضة وبالجملة كل صفة او عرض قائم بالارواح انما هو مخلوق في الارواح بمعنى الجبر والاختيار فاذا كان الفعل اختياريا خلق له الاختيار في ذلك الوقت وتحركت الاجساد واذا كان جبرا خلق فيه جبرا وكان الجبر على الروح والجسد سوا لا ينفك عنه واحد منهما ولو كان الامر للارواح تفعل ما تريد لكانت ارواح جميع المخلوقات كل واحد منها يفعل ما يريد وتحب وتجانب ما تكره ولا تبع كل احد مراده وهواه ولو اتبع الحق اهواهم

لفسدت

لفسدت السموات والارض فافهم فهمك الله **ومن اعجب** شيء واغربه في هذا المعنى ان ارواح الملائكة والمقربين والحملة والحافين لما كانوا في محل القرب والمشاهدة والسماع للوحي كان انتفاعهم لم وحركاتهم بغير اختيار منهم وكانت تشتغل انفعالا لا وذلك ان الانسان اذا شاهد ملكا عظيما ذا هيبة وسطوة دخلت ذاته منه هيبة ورهبة وتواضع وذلة واستكانة وطاعة فان امره بشيء لم يتمنع من الاستجابة للطاعة فكيف بملك الملوك الذي لا يسع كلامه الا سمعه الذي وسع ذاته ولا يحمل نظره وقدرته شيء غيره وكذلك ورد انه ينظر الى العرش فيتضاعف ما هو عليه ويثقل على الحملة او كما ورد قال جبريل عليه السلام وكيف لو رايت اسرافيل اذا العرش لعلى كاهله وانه ليتضاءل لعظمة الله حتى يعود كالوصع يسبحون الليل والنهار لا يفترون ولذلك كانت دورات الافلاك والنجوم لا تفتر طرفة عين ولا اقل ولا اكثر قائمة من المشرق الى المغرب الاستوا ثم مستوية في قيامها في حال الاستوا ثم راكعة بعد الزوال وساجدة في حال الغروب ثم دائرة طائفة حول الارض ابدا لا تستطيع العصيان ولا الخلاف فقضا الطاعة والانقياد لها طبعا مطبوعا ثم كلما بعدت الاشيا عن مشاهدة الحضرة العلية شهدت انفسها وذواتها وذهلت عن مشاهدة مالكها وربها فتوهمت انها فاعلة الى غير ذلك مما دخل عليها من فساد العقائد والافعال فمن هنا دخلت عليها الافات ومن اضاف حركة واحدة الى شيء من المخلوقات فقد اشرك فلا بد لك من توحيد الافعال فلا يتم التوحيد الا به

فصل

واعلم ان التوحيد في نفسه ثلاث مراتب توحيد الافعال وتوحيد صفات الفاعل وتوحيد وجود ذات الفاعل **المرتبة الاولى توحيد الافعال** وهو اضافة الافعال والمفعولات كلها الى الله وانه خالق الذرة وانفعالها والفيل وافعاله والعرش وافعاله وخالق اعيان الموجودات كلها وانفعالها على كثرتها واختلافها فسبحان من لا يشغله شان عن شان لان الفعل من فاعلين محال بـ

العقل والله يقول والله خلقكم وما تعملون وما رميت اذ رميت ولكن
الله رمى قل كل من عند الله ولو كانت افعال العباد وحركاتهم في
ظواهرهم وبواطنهم مضافة اليهم لادى ذلك الى ان العاجز قادر
والقادر عاجز وهذا محال لان الحركات لو كانت للعباد لكانت باختيارهم
والاختيار والقدرة ليس للعبد بها علم قبل حدوثها فيه ولا قبل الفعل
ولا يقدر ايضا على ردها بعد ان حدثت فيه ولا بعد الفعل فاذا لم
يكن له بها علم قبل الفعل ولا قبل حدوثها فيه ولا قدرة له على ردها
بعد الفعل لم يبق الا انهما محدثة فيه في حين الفعل ثم تزول بزوال
الفعل فان اريد منه فعل اخر احدث له اختيار اخر وقدرة اخرى وانما
الاشيا كلها كما قال تعالى في بعض الكتب كنت سمعه وبصره ويده
الحديث كما ورد فبي يسمع وبي يبصر اي هو محرك سمعه وبصره وكل شي منه
ومن العالم لكن للولي بحكم الولاية وللعدو بحكم اللعنة وانه هو
اضحك وابكى فتوحيد الافعال رؤية الاشيا وجميع حركات الاشيا توحيد الافعال
من عند الله وان الاشيا بيد القدرة كالالة بيد الصانع ولقد
اخرج الله صنعة الخيال اية عظيمة على توحيده فلا تنظر الى الخيال
واشباه المخلوقات من حيث فعلها هو سبحانه انه هو لعب ولهو بل اشهدها
كل احد في مقامه وذلك ان الصور التي يتكلم صاحب الخيال فيها يظن
الظان ان تلك الحركات للخيال وليس هي الا للمتكلم في الخيال والمحرك
للصور الخيالية فكذلك كل جزء من المخلوقات ظاهرا وباطنا يتعقل
عن كلام الله تعالى وعن معاني صفاته القايمة بكل شي الذي هو اقرب
اليه كل شي من كل شي ويظن الظان ان الحركات مضافة للاشيا ولكن
اكذب الحديث **بيان** فان قلت زدني بيانا فاعلم ان الانسان
قد يكلم انسانا بكلام يرضيه فيظهر البشر والرضى على بشرة المخاطب
ويكلمه بكلام يؤذيه فيتغير جملته ظاهرا وباطنا ويكلمه بكلام يغضبه
فيغضب ويظهر في ظاهره وفي باطنه الغضب وبكلام يضحكه فيضحك
وبكلام يبكيه او خبر يحزنه فيحزن ويبكي الى غير ذلك مما يكثر تعداده
حتى ان الكلمة بين الخلق توقع بينهم العداوة والبغضا حتى يؤدي

ذلك

ذلك الى الحروب والقتل والشرور العظيمة والمتكلم بها انما تكلم
بكلمة او كلمات والله تعالى يقول انما قولنا لشي اذا اردناه ان نقول
له كن فيكون والذات متكلم بالكلام الذي وسع وجود الذات وكلا مه
قد ذكر كل شي كما قال تعالى ان هو الا ذكر للعالمين فالوجود كله قد
ذكره بكلامه فهو يتكون عن كلامه القايم بنفسه ويتصرف في جميع
حركاته وسكناته وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبعض
اصحابه ما له ضرب الله عنقه اليس هذا خيرا فقال الرجل في سبيل
الله يا رسول الله فقال في سبيل الله فضربت عنقه في سبيل الله فكيف
بكلام رب العالمين فاتل كتاب الله وانظر اي مذكور ذكر تجد صورته
المذكور في الوجود كما ذكر بلا زيادة ولا نقصان انما قولنا لشي اذا
اردناه ان نقول له كن فيكون والذي حدث عن كلامه في باطن
الموجودات هي الروحانيات لان الروح نفخة في الجسد والجسد
متحرك وساكن بالروح وليس له حركة بنفسه انما هو جماد ولا للمنفوخ
الذي هو الروح حركة بنفسه ولا وجود الا بادامة النفخ من النافخ
فالجسد يتحرك بالنفخة والنفخة صادرة عن النافخ بالضرورة
فالمخلوقات كلها على هذا لم تملك من ظواهرها ولا بواطنها قليلا
ولا كثيرا والنفخ من الباري على ما يليق به سبحانه فالذرة والبعوضة
اذا رفعت رجلها او جناحها او وضعته فالله يرفعه ويضعه والعين
اذا فتحها الناظر بها او غمضها الله يفتحها ويغمضها والرجل هو محركها
ومسكنها والله يقبض الوجود كله ويبسط واليه يرجع الامر كله لا اله
الا هو فاذا فهمت ما تقدم من ان الوجود كله يتكون عن سماع الكلام
فها انا اضرب لك في ذلك مثلا لعل الله ان يفتح بصيرتك لفهم الفا يده
فيه وذلك ان تقدر نفسك من حملة القران العظيم وقد حصل القران
كله محفوظا عندك وقايما بقلبك ثم تريد ان تقراه فقدر ان لو
قدرت ان تقراه جملة واحدة في حال واحدة وتخرج كلمات القران
من اوله الى اخره حروفا واحدا في حال واحدة ولا يمكنك ذلك الا
بان تقدر ان تجعل ذاتك كلها ووجودك متكلما بجميع اعضايك

ومفاصلك وعروقك ويكون كل عضو منك لها باينة وحرف على حياله
فيقول لسانك باسم الله ويقول العضو الذي يليه الرحمن الرحيم والذي
يليه الحمد لله رب العالمين والذي يليه الرحمن الرحيم هكذا الى قوله
من الجنة والناس وقدر ان يتاثر بكلامك كل مذكور ذكرته في حالة
واحدة حتى تكون في قراءتك وتلاوتك مثل قول ابرهيم بن ادهم للجبل
تحرك فتحرك الجبل بقوله تحرك وهذا المثل وان لم يكن في حقك حقيقة
لعجزك عن الكلام بالقران كله جملة واحدة فانه في حق البارى تعالى
حقيقة لان الله تعالى ليس كلامه حرفا بعد حرف ولا كلمة بعد كلمة
بترتيب وانما البارى جل جلاله متكلم بالكلام الذي وسع وجود
الذات وهو المعنى المغاير والقول الذي في النفس فيصدر عن المعاني
القايمة بذات البارى تعالى ما شا كل تلك المعاني جملة واحدة
في جميع العالمين ما حضر منها وما غاب كما قال ويخلق ما لا تعلمون
فصدر عن هذه الاية من العوالم ما لم نعلم وهي موجودة في ملك
الله والكلمة قائمة بها ومكونة لوجودها وكذلك كل مذكور في القران
كما قال تعالى ان هو الا ذكر للعالمين ومن هذا المعنى تفهم معنى
سبق المقادير وقول النبي صلى الله عليه وسلم كتب في الذكر كل شي
وكل شي احصيناه في امام مبين **فقوله** تبت يدا ابي لهب وتب
في الازل كان ابو لهب وصفاته في كتب المقادير لان الكلام قائم
وفي اصلاب الاباء وفي وجود الدنيا وفي الاخرة وفي ابد الابد
لان الكلمة قائمة به ومكونة له ولصفاته فلا محيص له عنها
لا في الازل ولا في وجود الدنيا ولا في الابد وكذلك لو لم يتكلم
بقوله يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ورسوله لم يكن مومن ولا ايمان
ولو لم يذكر الزاني والزانية لم يكن زنا ولا زان ولا زانية
ولو لم يذكر المصلين والخاشعين لم يكن شي من ذلك وكذلك استقر
كل مذكور لعلك تشرف على معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم
وتعلم ان ما اصابك لم يكن ليخطيك فان الكلام قديم لم يزل قائما
بذات البارى ولا يزال لا تبديل لكلمات الله والكلام الازلي هو

مطلب

الكلام

الكلام الابدي لم يتغير ولا يتغير ولا يتجدد عليه كلام فيتكلم بما
لم يتكلم وهكذا جميع صفات البارى فان قلت قد نجد كافرا
ذكره بالكفر فكان كافرا او عاصيا ثم كان بعد ذلك مومنا وطائعا
وتائبا بعد العصيان فاعلم ان هنا لا يتنافض فادرج نظرك الى
القران تجده قد ذكره بالكفر ثم بالايمان او بالمعصية ثم بالتوبة
ان الذين كفروا ثم امنوا يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله فلم يكن له
محيص عن المعنيين جميعا او عن المعنى الذي ذكره بهما ومن هذا تعلم ان
علم القران هو البحر الذي لا ساحل له فانه وصف الله على ما هو به
ووصف افعاله على ما هي عليه فبحق يقول علي رضي الله عنه
لو شئت لاوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب فانظر
الى قوله عز وجل وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم
مسخرات بامره هل رايت هذه الموجودات قط الا مستمرة في تسخرها
لم تقف طرفة عين هذا الان الاية قائمة بها وهكذا كل مذكور
فلو امسك عن التكلم سبحانه لم تكن هذه المذكورات وجود وقامت
القيمة وانخرم هذا العالم وانتثرت النجوم وزال حكم الليل والنهار
وبقوله اذا السماء انشقت وعلقها باذا لتنشق في المستقبل لا بد ولا
محالة وبقوله رفع السموات بغير عمد ترونها ارتفعت لا بد ولا محالة
الى اجل مسمى كما قال ايضا الى اجل مسمى فافهم فهمك الله فان البلادة
وقلة الفهم من اوصاف من لا يبالي الله به بالة ولولا قول الله
تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام لتبين للناس ما نزل اليهم
ما بين لهم حرفا واحدا ولا قدر على ذلك ولولا قول الله تعالى
للعلماء في بواطن ذواتهم لتبيننه للناس ولا تكتمونه لم يكن عالم
يبين حرفا ولولا قوله ان الذين يكتمون لم يكن كاتم ولا مكتوم
لان القران قائم ببواطن جميع المخلوقات كما تقدم فيسمعه من قامت
به هذه الاية واسمعوا واطيعوا ولا يسمع من قال له في اذنيه
وقر لا حول ولا قوة الا بالله **فالجسد** والاجساد كلها لا
حركة لها ولا سكون الا بالارواح ولا قوام للارواح ولا وجود

الا بادامة المتكلم التكلم لان الروح من المتكلم بمنزلة المصدر الصادر
عن المتكلم ما دام متكلما ظهرت الكلمات عنه فلو امسك عن التكلم
طرفة عين لم يكن للارواح وجود وكانت تنعدم بلا زمان كما تنعدم
مصدر الكلام الصادر عن المتكلم اذا لم يرد التكلم ويبقى المتكلم قايما
بكلامه القايم في نفسه الداير في خلده الذي لم يزل قايما به ولا
يزال

فصل المرتبة الثانية من مراتب التوحيد وهو توحيد الصفات

اعلم رحمك الله ان هذا المقام من التوحيد قلما تفصح
به العبارة وانما هو من علم القلوب ومن ظن ان حقيقة علمه مستوفى
في الكتب والصحف فليس له من مقام المعرفة الا مقام كل ناقص
مؤوف وكيف يكون ذلك وسيد المرسلين وامام جميع العالمين قد
اظهر العجز فيه وقال لا احصي ثنا عليك انت كما اثنيت على نفسك
وانما الغي لعلمائه تنبيهات لتنتبه العقول الى ذلك فتكون
سابحة كما كنت هنالك ولولا ان الله تبارك وتعالى امتن على عباده
بان اوجد لهم في الوجود عن كل معنى من اسمايه وصفاته صفات كثيرة خلقهم
بها وامرهم بالتخلق بها لما فهموا ابدا معاني صفات الخالق سبحانه لان
امر الله تعالى امر عظيم لا تناله الالسن فاوجد البصر والعلم والسمع
والحياة والقدرة والارادة والكلام والرحمة والرافة والكرم
والجود والسيادة والملك والقوة والعفو والاحسان والطهارة
والقدس وبالجملة جميع الصفات اوجد على معناها في الوجود معاني
يستدل بها عليه الا اسم الله تعالى وحده وصفة الالوهية فانه
لم يوجد في الوجود كله من تسمى الله لانه لم يخلق في الوجود كله صفة
الالوهية وغاية ما وصل اليه فرعون ان قال ما علمت لكم من اله غيري
على لفظ النكرة ولم يقل انا الله وقال ايضا انا ربكم الاعلى هذا من
اجل ان معاني الاسما كلها قد ظهرت في الوجود كله فاوجد العلم المحدث
عن علمه والحياة عن حياته والقدرة عن قدرته والارادة عن ارادته
والسمع كله والابصار عن سمعه وبصره والكرم عن جوده والرحمة
والقوة عن رحمته وقوته هكذا الى جميع ما اتصف به ومع هذا كله

وان

وان اوجد تلك المعاني ليستدل بها على صفاته فانها كلها مرتبطة
باضدادها فلذلك كانت صفات الله احادا لا يشبهها شي ومثال
ذلك ان المخلوق يكون عالما فيتسمى بذلك لاتصافه بصفة العلم
ولكن قد ارتبط علمه بضده من الجهل فانه من حيث ادرك علمه ما ادرك
من المعلوم فقد غاب عن علمه اكثر مما علم فمن حيث عجز علمه عما غاب
عنه فقد عاد جهلا من وجه وكذلك بصره من حيث ادرك مبصرات
ما وغاب عن بصره اكثر مما ادرك فقد عمي بصره عن ذلك وقدرته
وحياته وكرمه وسياداته وجميع صفات العباد كذلك كل صفة منها
مرتبطة بضدها ابد الابدين ودهر الداهرين وصفات البارى تعالى
ليست كذلك لان صفة العلم من الله مدركة لذات البارى تعالى
ولجميع المعلومات فلم يخف عليه من علمه بذاته ولا من علمه مخلوقا ته
ما اوجده وما لم يوجده شي فليس لها ضد ترتبط به وكذلك قدرته
لانه لا يقدر الا على ما علم وهو بكل شي عليم وكذلك لا يريد الا
ما علم وكذلك الجلاله له وكبرياوه غير مرتبط بضد وكبر المخلوق المحمود
والمذموم وعزة المحمود والمذموم مرتبط بضده فانه وان كان عزيزا
وكبير القدر وجليلا بالله فانه ذليل لله وصغير حقير بين يديه
وهكذا جميع الصفات وقد نبهتك لبعضها لتستعطي سايرها ان شا
الله فانما يشرح هذا العلم في الصدور لا في السطور الا ترى الى قول
الخضر لموسى عليهما السلام ما علمي وعلمك وجميع الخلايق في علم الله الا
كما اخذ منقار العصفور من البحر او كما قال فنبهه الخضر عليه السلام
لانه من العلما بالله الى امر عظيم لا ساحل له ولا اخر واضرب
لك في هذا امثلة مما ورد في الشرايع ليكون لك امثلة في جميع الصفات
ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لجبريل حين ساله عن زوال
الشمس فقال لا نعم ان الشمس جرت بين لا نعم مسيرة خمسماية عام
فكم مشى الشمس من لا نعم من اول النهار الى اول الليل ومن اول
الليل الى اخر الليل فقدر في نفسك عظم وجود السما والتي فوقها
اعظم منها والتي فوق اعظم من التي تليها هكذا الى الكرسي والارضون

كذلك **واعلم** ان هذه الارض اصغر الارضين كما ان سما الدنيا اصغر السموات وانظر الى قوله عليه الصلاة والسلام في الكرسي الذي وسع السموات والارض ما السموات السبع والارضون السبع في الكرسي الا كحلقة ملقاة في فلاة من الارض فقيل انها كحلقة من حلق الدرع القيت في فلاة من الارض فانظر نسبة السموات والارضين على عظمها من الكرسي ثم نبه القلوب فقال اما الكرسي بما فيه في العرش الا كحلقة ملقاة في ارض فلاة فنبه النبي عليه الصلاة والسلام القلوب على صفة العظمة تنبيها ليتذكر اولوا الالباب وقال الله عز وجل الله لا اله الا هو رب العرش العظيم فوصف العرش بالعظمة وليس شيء اعظم مما عظم الله تعالى واذا تفهمت حديث الحلقة وجدت الكرسي محيطا بالسموات والارضين علوا وسفلا والعرش ايضا حائطا بالكل من جميع الجهات **وقد روي** انس بن مالك في وصف عظمة العرش قال سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن عرش رب العزة فقال يا با حمزة لقد لقد سالتني عن عظيم ان عرش رب العزة له ثلاث مائة وستون قائمة كطباق الدنيا ستون الف مرة بين كل قائمة وقائمة الف صحرا كل صحرا مثل الدنيا ستون الف مرة في كل صحرا ستون الف عالم كل عالم مثل الثقلين الانس والجن ستون الف مرة لا يعلمون خلق الله ادم ولا ابليس الهمهم الله يستغفرون لمحبي ابي بكر وعمر رحمهما الله ورضي الله عنهما وبين المشرق والمغرب ستون الف عالم مثل الجن والانس ستون الف مرة الهمهم الله ان يلعنوا مبغضي ابي بكر وعمر رحمة الله ورضوانه عليهما وهذا الحديث وان لم يرد في الصحيح فالامر اعظم من ذلك ٥ واعظم وقول الله تعالى ويخلق ما لا تعلمون يصدق ذلك وقوله الحمد لله رب العالمين ايضا مصداق لذلك **وروي** اسحق في كتاب المصابيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ثمانية عشر الف عالم الدنيا منها عالم واحد وقال عليه السلام ان بمغرب المغرب ارضا بيضا نورها بياضها وبياضها نورها مسيرة الشمس اربعين يوما الحديث وغير ذلك مما ورد في حديث القدرة وانما خفيت هذه العوالم بعضها عن بعض

مما يجب الايمان به

من

من اجل انه انما يشاهد اهل كل عالم ما يليه من عالمه والمراد من هذه الامثلة في توحيد الصفات ان العرش على عظمته بما حوى من جميع المخلوقات والعوالم وما علم وما لم يعلم بالنسبة الى عظمة وجود الباري تعالى اقل من الجزء الذي لا يتجزا بل لا حصول له في وجوده ولا مشهوده وكما ان من في اسفل سافلين يقول ويقر ان الباري تعالى اقرب اليه من نفسه لنفسه ويقر ان الباري اقرب الى العرش من نفس العرش كذلك يقول العرش ويقر ان قرب الباري منه كقربه من الذي في تخوم اسفل سافلين ومن في المشرق يقول كذلك ومن في المغرب كذلك واهل كل عالم يقول كذلك وادراكه لجريان الغذا في عروق النملة الصغيرة وادراكه ٥ لسعيها وصوتها ومعرفتها كادراكه لجميع عوالم العرش وبعده عن اوصاف العرش على عظمته كبعده عن اوصاف الذرة على حقارتها ولولا ان الله تبارك وتعالى تجلى الى العرش بصفة الرحمة كما قال الرحمن على العرش استوى لما ثبت العرش ولا تم وجوده لكن بلطفه ورحمته صح منه وجود الخلق سبحانه ولم يظهر ايضا للعرش من صفة الرحمة الا ما يليق به ويحمله وجود العرش فان الرحمة صفة الذات وخلق من اخلاق ٥ الذات فالرحمة على سعة العظمة والجلال على سعة الكبريا كما ان الحياة وسعت ما وسع العلم والعلم على سعة البصر والحلم كذلك وبالجملة كل صفة قد وسعت ما وسعت العظمة وما وسعت كل صفة لا يجوز ان يترجح وصف من اوصاف الذات على وصف تعالى وصفه عن الزيادة والنقصان فتفهم هذا فقلما تجد لها اشارات يسيرة في اقوال العارفين قل من يحكيها ولو انه تبارك وتعالى اظهر من صفة جماله وجلاله للعرش وجميع المخلوقات اكثر مما تجلى لها وظهر لذابت المخلوقات وتلاشت شوقا وكمدا وتلفت الارواح وانعدمت الاشباح لكن اظهر للكل ٥ بمقدار ما يحتمله وجودهم ويستقيم به نشوهم وايجادهم فاذا الف العرش وجميع المخلوقات ذلك المعنى ونشؤوا عليه الى حد يحتملون معه اكثر من ذلك الذي يحتمل لهم اعظاما ايضا من التجلي زيادة على ما تقدم بمقدار ما يحتملون والتجلي دائم بدوام وجوده ابد الاباد بدون كون

في النفس الواحد ما لم يدركوه في النفس الذي قبله ويسمعون من الكلام
ما لم يسمعوا قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد
كلمات ربي ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة
ابحر ما نفدت كلمات الله ولولا ان جهنم كلها حجاب صرف لما كان لها ثبات
ولا وقف ولولا ان الدنيا كلها غفلة لتلاشى وجودها في لحظه مع ان
الله لم ينظر اليها منذ خلقها ولولا ان الجنة كلها رحمة لانعدم وجودها
من نظرة فافهم يا تائها في بحار الاوهام واسلك طريقة اهل الفهم
والالهام **فعندنا قول** ليس في الوجود من يستحق الوصف بالعظمة
الا الله ولا من يستحق الوصف بالعلم الا الله ولا بالقدرة ولا بالحياة
ولا بالحكمة ولا بجميع الصفات حقيقة ومعنى لا اله الا الله فهو الواحد الصفات
لا اله الا الله رب الارضين والسموات **واعلم** ان علم الصفات لا يوجد
الا عند العارفين بالله فان اهل الحديث انما نقلوا الاحاديث واقروها
كما جاءت ولم يشتغلوا بفقه معانيها لكنهم على الطريقة الحسنى حتى يظهر لهم
في الآخرة المعنى الذي اعتقدوه وكذلك كل من سلك هذه الطريقة
من الفقهاء والعوام من الطريقة السابلة والسنة المستقيمة ومن
تكلف تاويل ذلك وفسر على رايه وفهمه فتارة يخطي وتارة يصيب
ومن هنا دخل ما دخل على اهل البدع الناظرين باراءهم والعارفون
الموفقون الذين اختصهم الله به هم الذين شاهدوا الامر على ما هو عليه
فتجلى سبحانه لقلوبهم في الدنيا كما يتجلى لهم في الآخرة بالابصار جعلنا
الله واياكم منهم برحمته امين وقد قال ابن مسعود رضي الله عنه لما مات
عمر بن الخطاب رضي الله عنه اني لاحسب هذا الرجل ذهب بتسعة اعشار
العلم فقيل له اتقول هذا واصحاب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
كثير او كما قيل فقال لست اعني العلم الذي تذهبون اليه انما اعني العلم
بالله ولولا طول الكلام لذكرت مزيد ذلك اكثر مما ذكرنا لكن قد قلت
لك انما هو من علم القلوب فاستغن بالله يغنك والسلام **المرتبة**
الثالثة من مراتب التوحيد وهو توحيد الذات واعلم ان
هذا المقام من التوحيد قليل وجوده لا يوجد الا عند الآحاد الا

انه

انه من ترقى من توحيد الافعال الى توحيد الصفات يرجى له وقوع العلم به
ان شاء الله تعالى ومن تكلف طلبه من غير هذا الطريق وقع في التشبيه
والالحاد ولذلك قال النبي عليه السلام تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا
في ذات الله وانما الطريق الى علم هذا المقام بالتفكر في الافعال والنظر
والاستدلال فاذا اكملوا النظر في الافعال دلتهم الافعال على الصفات
فتتجلى لهم معاني الصفات القائمة بالذات لان الافعال صادرة
عن الصفات وفي الخبر ما تجلى الله لشيء الا خشع له لو انزلنا هذا القران
على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله وقال عليه السلام الاحسان
ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وقال الله تعالى
شهد الله انه لا اله الا هو وهذا هو علمه بنفسه والملائكة واولوا
العلم قائما بالقسط اي شهدت الملائكة واولوا العلم قائما بالقسط
شهدت قيامه بالملك كله يعطي كل شيء من الملك قسطه وحظه من كل شيء
وهذا مقام مشاهدة الصفات قائمة بالافعال وموجدة لها على
الدوام والافعال حجب الصفات كما قال رضي الله عنه ابن عباس حجب الذات
بالصفات وحجب الصفات بالافعال وكما انه لا يتجلى لشيء الا خشع له
كذلك لا يتجلى لقلب عبد محض الا احبه ذلك العبد ضرورة لا يقدر
على الامتناع من حبه فعلى قدر الاحسان اليه بالتجلي يكون الحب
وعلى قدر الحب يكون الاستغراق في مشاهدة الموصوف بالاسماء الحسنى
الصادر عنه كل حسن وجمال والموصوف هو الذات الحقيقية ه
فصل واعلم ان الخلق على سبع مقامات في معاينة هذه
التوحيد العامة في اول تلك المقامات وادناها والخاصة
في اعلاها والناس فيما بين ذلك على قدر قربهم وكل احد من الخلق
اذا تفهم هذه المقامات المذكورة ميز مقامه منها وحيث هو من جملتها
فاصحاب المقام الاول هم الذين عقدوا قلوبهم على التوحيد
ولم يشتغلوا بالبحث وصدقوا بما قد سمعوا وهم الجم الغفير وحسبهم
وخوفهم على قدر ما سمعوا من اسمائه وذكر وعده ووعيده انتهى
واصحاب المقام الثاني هم الذين سمعوا مثل ما سمع اهل المقام

الاول وصدقوا بما صدقوا به وزادوا عليهم بالبحث والنظر في المخلوقات
واستدلوا بالموجودات على الموجد واكثر اهل علم الكلام في هذا ٥
المقام ومثلهم مثل قول القايل ما رايت شيا الا رايت الله بعده
اي رايت الشي فاستدل به على موجده واصحاب المقام الثالث
ترقوا عن روية الموجودات الى روية الايجاد وعن مشاهدة المصنوع
الى مشاهدة الصنع فان الاشيا كلها لما خلقها البارئ عز وجل
وكملت صورة الموجودات لم يكن لها قيام بانفسها بل هي مفتقرة الى دوام
الايجاد على الدوام ولو تخلى الايجاد عنها طرفة عين لتلاشت
وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله فنبه على
الايجاد القايم بالموجودات بقوله صنع الله ولم يقل مصنوع الله
واكثر الناس يدعي فهم الايجاد وهم عن فهمه بمعزل فكيف بما فوقه
من المقامات وهو لاء هم اهل المراقبة ومثل اهل هذا المقام مثل
قول القايل ما رايت شيا الا رايت الله معه وهو معكم بالايجاد اينما
كنتم لانه لا يتحرك في الوجود حركة الا وهو محركها واصحاب
المقام الرابع هم الذين ازدادت مراقبتهم وقويت مشاهدتهم ٥
فراوا الاشيا بالله فنظروا به اليها ومثلهم قول القايل ما رايت
شيا الا رايت الله قبله وفيهم قال بعض العارفين اثبت الله
للعامة المخلوق فاثبتوا به الخالق واثبت للخاصة نفسه
فاثبتوا به المخلوق وهم اهل الجمع جمع الحق همهم فشاهدوا الملك
كله ملكا واحدا قايما بالواحد فراوا الحادثات كلها بالله وهولا
كلهم اعني اهل هذه المقامات الاربع وان اختلفت احوالهم فهم
مع الافعال يشاهدها كل احد على ما قسم لهم من العطا واما اهل
المقام الخامس والسادس والسابع فغايبون عن الفعل كله وعندهم
يوجد مقام التوحيد الذي ذكرت لك في اول هذا الباب ولا
يكون ذلك الا بعد مقام المحبة والاستغراق في ذكر المحبوب
والتطرق الى ذلك تصفية القلب من المحبوبات سواه وجلاوه
بالذكر الدايم والاقبال اللازم حتى يعود كالمراة الصافية من ٥

الصدا فعند ذلك يتجلى المحبوب الى قلب المحب لم تسعني ارضي ولا
سماي ووسعني قلب عبدي المومن فيشاهد محبوبه على ما هو عليه
فمنهم من لا يطيقه فيطلب الرجوع الى الافعال ليسكن عنه عظيم
ما ورد عليه وهذا التوحيد هو توحيد الرب نفسه بنفسه عن عبده
باشهاد العبد لذلك اي اشهده ان الرب ينوب عنه مناقبه في توحيده
لان هذا لا ينال الا بمحو الفضل لكن بقي من العبد فضلة فلذلك لم
يطق حمله ومن هذا المقام قوله عليه السلام حركيني يا عايشه وقوله
الله تعالى وما تلك بيمينك يا موسى شغله بذكر العصا ليلا ينقطع
عن مشاهدة عظيم ما ورد عليه وقال بعضهم دخلت على الشبلي
وهو ينتف اللحم من حاجبيه بمنقاش فسالته فقال الحقيقة بادية
اليّ ولا اطيقه فهوذا ادخل الالم على نفسي فلعلي احس به فيستتر
عني فلست احدا الا لم وليس يستتر عني وليس لي به طاقة وهذه الحال
وان علت فانه مع نفسه وانما كان هذا القلق من اجل ما بقي عليه
من مشاهدة نفسه لان الحق سبحانه وتعالى لا يطيقه شي ولا يقوم
له فان سلب الحق هذا العبد عن مشاهدة نفسه زال عنه الاحساس
بنفسه وحصل في المقام السادس ولم يشاهد الا الحق سبحانه
وزال عنه ثقل ما كان يجد في المقام الخامس لانه فيه محمول وقد ذكر
النبي صلى الله عليه وسلم هذا المقام في بعض احاديث الاسرا حيث •
قال لم ار عند رويته ربي احدا من خلقه ووقع الطرب والاستبشار
فيّ وجعلت انتفض مثل ما يميل القنديل فمكثت عنده ما شا الله
في كلام كثير اختصرته حتى رده على جبريل عليه السلام وفي هذا المقام
قال الصديق رضي الله عنه من ذاق شيا من خالص محبة الله الهاه •
ذلك عما سواه وهذا توحيد الرب نفسه بنفسه عن عبده لكن حمله
البارئ في ذلك حمله وغيبه عن مشاهدة نفسه فلذلك زال القلق
الذي كان في المقام الاول الذي قبل هذا ولم يبق الا المشاهدة
للبارئ فقط فان سلب الرب سبحانه عبده عن مشاهدته لربه وعن •
مشاهدته لمشاهدته لم يكن للعبد ولا للمشاهدة اثر ولا خبر وبقي البا ربي

سبحانه كما لم يزل وهذا توحيد الرب نفسه بنفسه لنفسه يغيبه عنه
وعن نفسه ما شاء ثم يرده بالاحوال السنية والمقامات العلية ويليه
بعد ذلك معنى توحيد هذا المقام وقد اشار المشايخ من اهل المعرفة
الى هذا المقام في عبارات كثيرة فقال ابن عطا حقيقة التوحيد
نسيان التوحيد وهو ان يكون القايم به واحدا وقال الشبلي ما شم
الرايحة للتوحيد من تصور عنده التوحيد وسئل الجنيد رحمه الله عن
التوحيد فقال معنى تضمحل فيه الرسوم وتندرج فيه العلوم ويكون
الله كما لم يزل وقال ابو سعيد الخراز المقام الذي لا بعده مقام لا
الزيادة منه ان شا الله نسيان العبد حظه من الله ونسيان حاجته
اليه انقطعه قرب الله عز وجل عن الله بلا وجود كينونته مع امتلايه
ما وجد من الله فلم يجد مدخلا بينه وبين الله فاستلبه الحق على
الله عن وجود الله فسقط وبقي الله كما لم يزل الله وهذا المعنى في
قوله عليه السلام حجابه النور لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما ادركه
بصره من خلقه فعلى هذا رفع الحجاب يكون احراق الحجب بنيران محبة
تجلي المحبوب الذي ليس كمثله شي واهل هذه المقامات الثلاثة
مختصون ومقربون ومنهم من تعتريه هذه الاحوال مرة في العمر ومرة
في السنة ومرة في الشهر ومرة في الجمعة ومرة في اليوم او اقل او اكثر
على قدر تقريب الله له وهم الذين لا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين
قال سهل لا تعلم نفس من غير نفوسهم المرحومة ما اخفي لهم من قرة اعين
هذا لهم في الدنيا فطوبى لهم وحسن ماب نفعنا الله بذكرهم ورزقنا
مما رزقهم بمنه وفضله انه على كل شي قدير فان قلت كيف لم تظهر
هذه الاحوال على الصحابة رضي الله عنهم فاعلم انك غافل اعمى عن
احوال الصحابة رضي الله عنهم بل احوال الصحابة ومقاماتهم اعظم
وكلما ذكر عندهم موجود لكنهم اقوى من غيرهم وامكن في الاحوال الا
ترى الى قول ابي بكر الصديق رضي الله عنه من ذاق شيا من خالص محبة
الله الهاه ذلك عما سواه فتامل هذه الكلمة من الصديق تجد المقامات
المتقدمة كلها فيها وكذلك اذا تاملت بذلهم نفوسهم واطراحها بين

مطلب

يدي الله تعالى في الحروب وقتالهم القريب والبعيد في الله دل ذلك على
امتلاء بواطنهم بحب الله ومشاهدته وكذلك بذل اموالهم وخروجهم من
ديارهم وصبرهم على الجهد الذي لا يقدر غيرهم عليه ليس ذلك الا عن
امر عظيم ملك البواطن وصرفها على حكم محبة الله وانظر كيف يخبر الله
عن اسرارهم في كتابه فان القران انما نزل بالثنا عليهم فانظر الى
وصفه لباطن علي رضي الله عنه وزوجته فاطمة وابنيه الحسن والحسين
على جميعهم السلام واخباره عن سرايرهم في قوله في هل اتى ويطعمون
الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا انما نطعمكم لوجه الله لا نريد
منكم جزا ولا شكورا وان تفهمت هذه الاية حقيقة الفهم علمت
ما ذكرت لك وان بواطنهم مملوة مشحونة بالذخاير النفيسة والهمم
العالية الزكية وان سرايرهم النظر الذي هو قرة العين وكذلك
انظر كيف اخبر عن سر ابي بكر في سورة والليل اذا يغشى حيث قال
وسيجنبها الاتقى الذي يوتي ماله يتزكى وما لاحد عنده من نعمة
تجزى الا ابتغا وجه ربه الاعلى ولسوف يرضى وارتفاع همته
العالية القصوى وكذلك الايات القران كلها انما انزلت في اوصاف
الصحابة فمن تفهمها بحقيقة الفهم اشرف في الايات على ما ذكرنا
وكذلك الفاظهم تدل على ذلك الا انهم كانوا اقوى من غيرهم فملكوا
الاحوال ولم تملكهم الاحوال وغيرهم ملكتهم الاحوال لضعفهم عن
احوال الصحابة فظهرت عليهم اثار الاحوال لا بل قوتهم رضي الله
عنهم من قوة النبي صلى الله عليه وسلم الذي هو اقوى الاقويا فانه
مثل من يصحب الانسان يكون وكذلك نبينا عليه السلام كلما
شاهده ليلة الاسرا من عجايب امر الله ومن حقايق الغيب الذي لا
ينبغي الا له عليه السلام انما كانت في اول ابتدا امره ونبوته ثم كان
في بقية عمره كله اعظم مشاهدة واقوى حالا لا من ابتدا امره الا
تراه يقول انه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم سبعين مرة
ولقد قال سهل بن عبد الله التستري كلمة امرها عظيم قليل من
يفهم حقيقتها يخبر بها عن نفسه لانه كان من الاقويا فقيل

باحوال الصحابة رضى الله عنهم لما يعرفون سنة الكلم الله والناس يظنون
الى كلهم فان فهمت فاحمد الله والا فسلم كل صنعة لاربابها ولا تنكر
ما لم تفهم فتخسر اقل نصيبة المؤمنين وهو التصديق ولا حول ولا
قوة الا بالله العلي العظيم **فصل** فان قلت فكيف
الطريق الى هذه المقامات الشريفة فاعلم ان ذلك لا ينال بالحركات
والسعايات وانما هو من فضل الله يختص به من يشاء من خصوص عباده
ولكنه مع ذلك قد جعل لها ابواب ودعا الخلق الى الدخول عليها لينال
ذلك بفضل جوده فما الطريق الموصل لنيل المرغوب ان شاء الله
واعلم ان الطريق اليها هو العلم والعمل وقد تقدم في هذا الكتاب
طريق العلم والتنبيه اليه وبقي ان نذكر العمل ان شاء الله تعالى يعصمنا
بكرمه من الخطا والزلل انه على كل شيء قدير **واعلم** ان هذا الشان
مبني على ثلاث مقامات مقام الاسلام ومقام الايمان ومقام
الاحسان الواردة في حديث جبريل اذ سال النبي صلى الله عليه وسلم
عن الاسلام والايمان والاحسان فالاسلام اصل وبداية
والاحسان فرع ونهاية والايمان واسطة رابطة لها ومثل الثلثة
مثل الجسد والنفس والروح فالجسد ظاهر والنفس باطنة والروح
باطن الكل فالاسلام ظاهر على الجسد لانه اعمال باللسان والحركات
الظاهرة التي هي الجوارح الظاهرة والايمان باطن الاسلام
مخاطب به النفس لانه تصديق بالغيب والنفس غايبة في الجسد متقلبة
على الهوى والشهوات يحليها الا ان يغلبها الايمان بالغيب
فتنزهه في الحاضرة تعقل على الغايب وهذه صفات الايمان بالغيب
والوعد والوعيد والاحسان باطن الايمان مخاطب به الروح
الكاين عن امر ربي وفي هذا المقام معادن اسرار المعرفة لانه حال
المشاهدة كما قال عليه السلام الاحسان ان تعبد الله كانك تراه
فان لم تكن تراه فانه يراك وليس يخرج شيء من امور الدين التي تعبد
الخلق بها من علم او عمل او نهي عن ضدهما عن هذه المقامات الثلاثة وان
كلهم مامورون بها واخذ الكل منها بمقدار ما قسم له من الناس من

غلب عليه مقام الاسلام وجد على ظاهر الشرع حتى من العلوم
والاعمال وخفي عنه المقامات الاخر وهم اكثر الناس على ذلك
ومن الناس من غلب عليه مقام الايمان وانار الله قلبه به فكان
الغالب عليه امور الاخرة والبحث عنها والتسبب لاسباب النجاة
فيها وطلب العلم لها قال الله عز وجل ومن اراد الاخرة وسعى لها
سعيها وهو مومن فاولئك كان سعيهم مشكورا ومن هو الاعلما وعا منه
ومن الناس من غلبت عليه امور الاحسان الروحانية فكان شغله
كله بالله وعلومه كلها متعلقة بالله ومراده كله الله وهو الخصوص
جميع عباد الله وهم المقربون من الله واهل محبة الله والشوق اليه والا نس
به والرضى به وعنه الى غير ذلك من مقامات اليقين وثمرات الايمان
والاسلام وقد ذكر الله هذه المقامات الثلاثة في اية من كتابه فقال
ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا
وامنوا وعملوا الصالحات هذا هو المقام الاول ذكر فيه الاعمال
التي هي للجسد ثم اتقوا وامنوا هذا هو المقام الثاني لم يذكر فيه
الاعمال ثم اتقوا واحسنوا هذا هو المقام الثالث ذكر فيه الاحسان
ثم قال والله يحب المحسنين فهولاء هم المحبوبون واولياؤه المقربون
ونص الحديث الجامع لهذه المقامات المذكورة وهو ما رويناه في صحيح
الحديث مسندا عن عبد الله بن عمر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال
بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم اذ طلع علينا
رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه اثر السفر
ولا يعرفه منا احد حتى جلس الى النبي صلى الله عليه وسلم فاسند ركبتيه
الى ركبتيه ووضع يديه على فخذيه فقال يا محمد اخبرني عن الاسلام
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام ان تشهد ان لا اله الا
الله وان محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتوتي الزكاة وتصوم رمضان
وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا قال صدقت فعجبنا له يساله
ويصدقه قال فاخبرني عن الايمان قال ان تومن بالله وملايكته
وكتبه ورسله واليوم الاخر وتومن بالقدر كله خيره وشره قال صدقت

قال فاخبرني عن الاحسان قال ان تعبد الله كانك تراه فان لم
تكن تراه فانه يراك قال فاخبرني عن الساعة قال ما المسئول عنها
باعلم من السايل قال فاخبرني عن اماراتها قال ان تلد الامة ربتها
وان ترى الحفاة العراة العالة رعا الشاء يتطاولون في البنيان
قال ثم انطلق فلبث مليا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عمر
اتدري من السايل قال قلت الله ورسوله اعلم قال فانه جبريل اتاكم
يعلمكم دينكم ففي هذا الحديث معاني الدين كلها جملة لانه قال فيه
يعلمكم دينكم وامور الدين لا تخرج عن هذه المقامات الثلاث المذكورة
في هذا الحديث وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم ما اجمل في هذا الحديث
بحديث اخر في قوله الايمان بضع وسبعون شعبة وكل شعبة من شعبه
تشتمل على ابواب وفصول من العلم لا نهاية لها ولا غاية لانه عليه
السلام اوتي جوامع الكلم واختصرت له الحكمة اختصارا وانا ابين ان
شا الله تعالى معاني هذه الشعب على قدر ما يسر الله لي ونسل الله ان يعصمنا
جميعا من الزلل في جميع الامور امين وصلى الله على سيدنا محمد

فصل

اول ذلك مقام الاسلام وهو مقام عظيم وحال شريف من تحقق به
في الدنيا كان له حال اهل الجنة في العقبى ومعناه الانقياد للاوامر
وترك الاستعصاء لها والامساك عن اذاية من دخل في الاسلام من
جميع من المخلوقات ومنع اهل الاسلام من جميع المخلوقات وهو دار
السلام سبحانه من دخله من جميع المخلوقات فقد سلم من الاذاية كلها
وهذا الدار قد سكنه كل من دخل في ملك الله سبحانه قال الله تعالى
وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها واليه ترجعون وقال
تعالى بل له ما في السموات والارض كل له قانتون وهو موجود عن
معنى اسمه السلام وما في معناه من اسمايه تعالى وبنا هذه الدار
على الاقرار بالشهادة والصلاة والزكاة والصوم والحج هذه دعايمه
التي قام بناوه عليها كما قال عليه السلام بني الاسلام على خمس وما بقي
من شعب الاسلام يجري مجرى تحسين البنا وتكميله مصداق ما تقدم
الحديث المشهور عن جابر قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم

يوما فقال اني رايت في المنام كان جبريل عند راسي وميكايل عند
رجلي يقول احدهما لصاحبه اضرب له مثلا فقال اسمع سمعت اذنك
واعقل عقل قلبك انما مثلك ومثل امتك كمثل ملك اتخذ دارا ثم
بنى فيها بيتا ثم جعل فيها مائدة ثم بعث رسولا يدعو الناس الى
طعامه فمنهم من اجاب الرسول ومنهم من عصاه فالله هو الملك والدار
الاسلام والبيت الجنة وانت يا محمد رسول الملك من اجابك دخل
الاسلام ومن دخل الاسلام دخل الجنة ومن دخل الجنة اكل ما فيها
وكل من اسلم فقد سلم في نفسه وسلم منه غيره من كل من دخل دين الاسلام
وسكن دار السلام واحبه جميع الخلق من المسلمين ومن كان بضد هذا
الوصف فقد اذى نفسه واذى الخلق اجمع بقدر كفره وعصيانه وتوجبت
اذايته وطرده اذ ان الذين يوذون الله ورسوله لعنهم الله الى اخر المعنى
فهذا المقام الاول من المقامات الثلاث ظاهر لانه عبادة الاجساد
الظاهرة وشعبه مفرقة على جوارح الجسد وعلى جملة الجسد والكل
متعاون بعضه مع بعض فمن شعبه ما فرض الله على اللسان مثل الاقرار
والتلاوة والاذكار والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك من
طاعات اللسان او ترك هذه الطاعات التي نهي اللسان عنها من
شهادة الزور وغير ذلك من معاصيه وهكذا اليد والعين والرجل
وجميع الجوارح كلها وجميع اعضا الجسد

فصل الشعبة الاولى

شهادة ان لا اله الا الله فاول شعب الاسلام ظاهرا قول لا اله الا
الله محمد رسول الله ودليل ذلك الحديث الذي رواه ابو داود باسناده
وذكر ايضا في الصحيح عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال الايمان بضع وسبعون شعبة افضلها قول لا اله
الا الله وادناها اماطة الاذى من الطريق وقوله امرت ان اقاتل
الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قالها بلسانه فقد سلم من السيف
والقتل وكانت له حرمة الاسلام والمسلمين ظاهرا في مقام الاسلام
فان اسلم قلبه كما اسلم لسانه فقد سلم من عذاب الاخرة كما سلم من عذاب

الدنيا وهو على ثلاث مقامات **المقام الاول** اقرار اللسان ٥
بالشهادة ظاهرا وانقياد الجسد لامور الاسلام والمقلين **والمقام
الثاني** انقياد النفس لقبول الاسلام وترك النفور والابايه عنه
باطنا والا كان صاحب النطق به منافقا لان باطنه بخلاف ما ينطق به
والمقام الثالث استسلام الروح والقلب للذي فطر السموات
والارض كما قال ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة
الوثقى فيكون اسلامه طوعا ولا يكون كرها كما قال تعالى وله اسلم
من في السموات والارض طوعا وكرها وهو تفويض الجملة الى الله واسلام
الامور اليه والتبري عن الدعوى ومن الحول والقوة في شيء من الاشيا الى
الله جل جلاله ورويته الملك كله بجميع حركاته وسكناته لله فيكون شاهدا
بما هذا معنى لا اله الا الله على الحقيقة ويودي الشهادة فيكون شاهدا
من الشهدا كما قال اشهدوا بانا مسلمون ويشهد بلسانه وقلبه وسره
ويودي الشهادة عند جميع المخلوقات بلا اله الا الله فيكون من الذين
قال الله فيهم شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم وهذه
الكلمة قد تقدم الكلام عليها فيما تقدم من الكلام في معنى الوحدانية
لكن ظاهر معنا ها الذي يلزم الخلق كلهم في فرض التوحيد العلم به
في الموضع ينقسم قسمين **القسم الاول** ان تعلم ان الملك كله
ليس له الا اله واحد ومالك واحد ليس باثنين ولا ثلاثة ولا
اكثر **والقسم الثاني** ان تعلم انه ليس من مخلوقاته ومماليكه
اله ولا ولد ولا من يستحق الالهية فاما القسم الاول وهو امتناع
الهين او اكثر فبرهانه من القران قوله لو كان فيهما الهة الا الله
لفسدتا فان لو حرف يدل على امتناع وجود الشيء لامتناع وجود غيره فالفساد
اذا ممتنع وجوده في الملك لامتناع وجود الاثنين او الثالث او اكثر
لانه لو كان الهين لعلم بالضرورة انهما غيران واذا كانا غيرين فقد انحاز
كل واحد من صاحبه وامتاز منه وصار في حيز غير حيز الاخر واذا انحازا
فقد انحدا محتنين بالضرورة ودليله من القران وما كان معه من
اله اذا لذهب كل اله بما خلق معنى ذهب كل اله بما خلق اي انحاز كل

واحد

واحد بملكه وصار في جهة وفي ذلك هلاك الالهين او الالهة وهلاك
الملكين او الممالك لانه قد صار كل واحد في محل يحله وصار المحل ٥
حاملا له وكان معتمدا على المحل مفتقرا الى محل وجوده لان الجهة
اوجبت له ذلك وكذلك المحل الحامل له مفتقر وجوده ايضا الى حامل
اخر لانه في جهة هكذا يتسلسل فان لم يوجد حامل في غير جهة تدكدك
الكل وانعدم لان المحل الذي ينقطع فيه التسلسل ليس بعده الا
الفراغ من المحل وذلك الفراغ هو عدم المحل الحامل فاذا عدم الحامل
فسد الكل في دفعة واحدة وهكذا يلزم الاله الثاني والثالث
ولو كانا مائة الف واكثر لان الجهات محيطة بكل محدود والواحد بالحقيقة
هو الذي لا يحويه حيز ولا يحله محل لانه اذا لزم الجهة اخذته القسمة
واذا اخذته القسمة ظهر فيه التاليف واذا ظهر فيه التاليف فليس
بواحد ولزم الفساد والتلاشي كما تقدم ولو كان ذلك لم يوجد فعل
بوجه ولا فاعل وقد ظهرت الافعال ووجدت بالضرورة فقد ثبت
ان الاله واحد لا يحويه مكان وانه لا اله غيره **واما القسم الثاني**
اللازم فرضه لجميع الخلق ايضا فهو ان تعلم انه ليس من مخلوقاته
ومماليكه اله ولا ولد ولا من يستحق شيئا من الربوبية والالهية ففي
الجهل به هلك اكثر الخلق فان المخلوقات كلها قد عبدت من دون الله
فاول ذلك الارض وهي اقرب الموجودات الينا فان طائفة قد هلكت
باتخاذ الاصنام من الاحجار وتعظيم البيوت المبنية من التراب لتعلقهم
بها وتعظيمهم اياها واخرون عبدوا النبات وهو عالم ارفع من الارض
حتى قالت طائفة لمحمد عليه السلام اجعل لنا ذات انواط في مسيرهم
الى حنين وطائفة اتخذت من الاحجار الاصنام تعبدها وطائفة
عبدت الحيوان وهو اشرف من النبات وهو مثل البقر والخيل وكل حيوان
جميل وطائفة عبدت بني ادم واتخذوهم الهة من دون الله وذلك كله
قد نطق به القران والاحاديث وطائفة ارتقت عن هذه الجزئيات
الى العناصر الاربعة وهي الارض والماء والهواء والنار فهلكوا فيها
واصنافهم يطول الكلام بذكرهم وطائفة ارتقوا الى الافلاك فهلكوا

بها واخرون بالنجوم والنور والظلمات واخرون ارتفعوا عن المحسوسات
الى الملكية والشياطين فهلكوا في عبادتهم وطايفة ارتفعوا الى
عالم النفوس والنفس الكلية ووقف ههنا قوم من الدهرية فهلكوا
وطايفة ارتفعت الى عالم العقل فراوه اشرف واعلى من الكل فوقفوا
ههنا فهلكوا واخرون بالخيال والوهم في المتخيلات والمتوهمات ومطلب
الكل الاله المعبود لانه قد حصل وثبت بالفطرة انه لابد من صانع
فقد اجمعوا على الربوبية وانما اختلفوا في الاله ما هو واي شي هو
ولو اتبع الحق اهواهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن لانه لو كان
شي مما توهمت هذه الطايفة كلها لم يصح ان تنفذ اوامر الله تعالى
في جميع ملكه ولا يصح استواوه على عرشه الجامع لمخلوقاته واستيلاوه
عليه لانه كان يكون كل احد وكل جزء قايما بنفسه غنيا عن غيره وذلك
هلاك الكل كما تقدم لانه اذا قام بنفسه فقد تحاز وامتنع وذلك
يؤدي الى ان العاجز قادر والقادر عاجز وهو محال فلم يبق الا ان يكون
الكل مصنوعا وعبيدا لصانع واحد وملك واحد تنفذ اوامره من اعلا
وجود العرش الى تخوم الارض وعروق النبات والنمل واقل المخلوقات
في جميع الجهات وحينيذ يصح استواوه على عرشه واستيلاوه على ملكه
فيكون الممالك كلها عبيدا له داخلة في ربقة العبودية ساجدة
خاضعة تحت درجة السيادة والملك والربوبية فهي تحت بالذلة
والعبودية والملك وهو فوقها بالعلو عليها وبدرجات الملك والسيادة
والملك والربوبية والرفعة وجلالة القدر وعظيم القدر وغير ذلك
من صفات الكمال والجلال الواجبة للواحد المالك واذا فهمت هذا
وقع لك العلم بمعنى الاستوا وفهمت معناه وقد نبه عليه سبحانه وتعالى
بقوله رفيع الدرجات ذو العرش فقوله رفيع الدرجات اي درجات
السيادة والربوبية وجلالة القدر وصفات الكمال التي انفرد بها وقوله
ذو العرش اي مالك العرش فالعرش بما فيه مملوك والكل عارف بقدره
ساجد تحت الدرجات المتقدمة الذكر التي ليست تشبه فوقية المكان
والجهة فاذا خضع الكل له بالعبودية والذلة فقد علا على الكل

بالحقيقة والمجاز لان الباري تعالى يوصف بالعلو ولا يوصف بالسفل
حقيقة ولا مجازا والحقيقة هي فوقية العلو والمجاز فوقية الرتبة
ورفعة القدر ولا يوصف الباري بالتحت حقيقة ولا مجازا لان
التحت الذي هو حقيقة هو تحتية السفل والتحت الذي هو المجاز هو
تواضع القدر وذلة المنزلة فاذا فهمت هذا فانتف عنه العلو الذي
هو حقيقة التمكن والاستقرار والمماسة تكن مصيبا موافقا للكتاب
والسنة وعلى ذلك ورد حديث السودا حين قال لها اين الله قالت
في السما فشهد لها بالايمان ولم يرد الاستقرار ولا التمكن في المكان
وانما اردت انه في العلو وكلما علا في اللغة فهو سما والسمو هو العلو
والارتفاع واعلى المخلوقات وارفعها العرش فقد علا الباري عليه
حقيقة ومجازا برفعة الدرجات المتقدمة وهو الاستوا كما يقال
استوت الشمس اذا علت في كبد السما ولم تمل الى احد الجانبين الذي
هو الانحطاط عن العلو لانها اذا زالت عن الاستوا فقد انحطت
ساجدة هابطة الى الغروب والانحطاط خضوع وكذلك اذا كانت
صاعدة الى الاستوا فهي ايضا في سفل عن الاستوا فلم تعل على الكل
الا اذا استوت فاذا استوت فقد علت وعلا نورها على جميع بسيط
الارض كلها واستوت على الجميع فافهم هذا فانه لا يبقى شيا من الاشكال
في معنى الاستوا ان شا الله والحمد لله على التوفيق له واذا فهمت معنى
الاستوا وانه فوق الكل بالمعنى المتقدم فاستواوه على عرشه انما هو
لتنفيذ اوامره في جميع اجزا العالم كله وتدبير امور الملك كله وقد
نبه على هذا المعنى بقوله ثم استوى على العرش يدبر الامر يعني امر
العرش والملك كله ما دق منه وما جل وما ظهر وما بطن فلا يتحرك
قليل ولا كثير ولا يسكن صغير ولا كبير الا وهو محركه ومسكنه
يشهد ذلك اهل العلم به سبحانه من عروق النمل الى اعلا وجود العرش
متصلة بيد القدرة الازلية ويومن به المومنون ومن اضاف شيا
من الافعال الى الموجودات فلم يفهم الاستوا وظهر له الاعوجاج والميل
في الاستوا وصار معبوده الذي يعبده متوهما متخيلا ومشبها ممثلا

ولو كان ما نوهمه حقا لتنزه كذلك الكل ولم يوجد اله ولا اما لوه كما تقدم لانه
من قال ان شيا تحرك بنفسه دون الله فان تلك الحركة خارجة عن قدرة
الله قد تجاوزت عنه واذا كان ذلك فقد حدثه واذا احدثه لزمه المكان
والجهة واخذته القسمة وهذا يلزم لكل من يزعم ان الله في جهة او يعلم
الكليات ولا يعلم الجزئيات او يتوهمه او يتخيله على غير ما هو سبحانه
عليه وقد نبه النبي صلى الله عليه وسلم على نفي ما يستحيل على الله تعالى
من بعض المتوهمات والمتخيلات والمحسوسات وما لا يليق به سبحانه
في قوله عليه السلام في بعض الاحاديث مهما شككتم في شي فلا تشكوا ان
ربكم ليس باعور فيه تنبيه على الدجال وامر باثبات صفات الكمال
لله ونفي النقائص عنه فان العور هو النقص هذا هو الفرض اللازم
في التوحيد لكل مخلوق فانه لا بد من تمييز صفات الخالق من صفات
المخلوق ونسال الله العظيم توفيقه وتنبيهه في جميع الاحوال انه
ولي التوفيق لا رب غيره ولا املك سواه **الشعبة الثانية**
الاقرار بان محمدا رسول الله وهو اثبات النبوة والرسالة اعلم ان تمام
هذه الشعبة المتقدمة قولك محمد رسول الله لا يتم توحيد عبد الا
بها لانها لا تفترق وكل من زعم ان الرسالة يستغني عنها بالتوحيد
فهو كافر حقا قال الله تعالى ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله
ويقولون نومن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا
اولئك هم الكافرون حقا وقد قص الله قصة ابليس في صدر سورة
البقرة واخبر عن كفره وهلاكه الهلاك المويد من اجل كفره بخصوصية
ادم ونبوته ولم يذكر عنه انه كفر بالله وانما كفر بنبوة ادم التي اختص
بها وهو معنى اباية عن السجود له كما سجدت الملائكة اي خضعت وتواضعت
له من اجل علم الاسما التي علمه الله وانباهم بها فسجودهم انما هو ائتمام
به عليه السلام لانه خليفة الله ولم يكن سجود عبادة ان الله لا يامر
بالفحشا وقد نبه رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا المعنى في قوله
لو جاز ان يسجد احد لاحد لامرت المراة ان تسجد لزوجها فاخبر انه
لا يجوز ذلك وكذلك توقير اصحاب الانبيا والائمة للانبيا واتباعهم

بهم وتعزيرهم اياهم هو رمز لذلك السجود كتواضع المتعلم للعالم فالرسالة
ركن من اركان التوحيد لا يوجد التوحيد ولا يقبل الا به فقد اوجب الله
ذلك على نفسه فالرسول هو باب الله الاعظم لا يدخل اليه الا منه ولا يوصل
الى الله الا به ومن نظر ذلك بحقيقة النظر علم ان الرسالة هي من التوحيد
لا يوجد هذا الا من هذا كما قال الله تعالى وان تطيعوه تهتدوا فان
النبي لم يكن نبيا بنفسه بل بسر اسراه اليه دون غيره وذلك السر هو الغيب
الذي اطلعوا عليه وخصوا به دون الغير وعجز غير النبي عن الاتيان به
والانبيا بشر مثلنا فلما اتوا بما ليس في طاقة البشر الاتيان به علم
انهم خصوا بزيادة خارجة عن مقدور البشر فعلم انها من الله وحده فوجب
الايمان بهم وقد نبهت الانبيا على هذا الامم حتى قالوا لهم ان انتم الا بشر
مثلنا فاجابت الرسل بان قالت ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من
يشا من عباده فالمعجزات تثبت النبوات لكل ذي عقل ومن انكر النبوة فهو
منخلع عن غريزة العقل ولذلك يقولون في الاخرة لو كنا نسمع او نعقل
الاية فان النبي صلى الله عليه وسلم اذا جانا وتحدى بالنبوة وهو مثلنا
في صفة خلقتنا وطالبناه بالبرهان على ما ادعاه فاتى بما اعجز الامة
كلها علم ان ذلك بمنزلة خلق السموات والارض وجميع الافعال والجواهر
التي عجز المخلوق عنها فانه لو كلف الخلق ان يخلقوا ارضا او سما او بحرا
او شخصا او جوهرا من اعيان الموجودات لعجز الخلق عن ذلك واقروا
انه لا يقدر على ذلك الا الله واذا اتى النبي وهو بشر مثلهم بشي عجز الكل
عنه كعجزهم عن خلق اعيان الموجودات علم ان النبوة من الله لا من غيره
الا لمن كانت غريزته الحمق والحمد لله على المنة بانبيائه فانه لولا الانبيا
لهلكت بواطن الخلق من لازل الشكوك وعذاب الحيرات فبهم ثبت اليقين
واستراحت البواطن والقلوب مما حل بقلب كل مبعود محجوب فمن فهم
الرسالة والمعجزة ايقن بجميع ما اخبرت به الرسل وتبرهن له ذلك
عيانا والحمد لله وصلواته وسلامه على جميع انبيا الله والمعجزات التي
اتت بها الانبيا تنقسم على ضربين **الضرب الواحد** هو الوحي
المنزل عليهم بواسطة الملائكة **والضرب الثاني** هو خرق

العوائد والايات مثل انقلاب العصا حية وانفلاق البحر واحيا الموتى وتحرك الجبل وجري الما بين الاصابع وانشقاق القمر والاسرا وغير ذلك مما ليس في طاقة البشر الاتيان به وافضل الناس بعد الانبيا من ورث منهم الامرين جميعا لان العلما ورثة الانبيا فورثوا في مقابلة الوحي فهم الوحي والالهام والعلوم وتبيين ما جات به الانبيا من الكتب بما اتاهم الله تبارك وتعالى من تعلم العلم وبما جعل في قلوبهم من الفرقان والالهام كما قال تعالى يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا وورثوا في مقابلة المعجزات والايات الكرامات وخرق العوائد فمن ورث هذين الغنيين فهو بمنزلة وارث المال كله وبذلك سموا ابدال النبيين لانهم بدل منهم وغيرهم من العلما والائمة بمنزلة غير وارث المال كله من الورثة كل يرث بقدر ما قسم له والكل من فضل الله لا ينال الا بفضله ومن ابا الذي امر ان يوتي منه فلذلك رسمنا هاهنا باب التوحيد واعلم ان الايمان بالنبوة على ثلاثة اضرب **الضرب الاول** في مقام الاسلام وهو الاقرار باللسان بتصديقهم والانقياد لهم بالجوارح واتباعهم على مناهجهم في امور الشرايع التي شرعوها وامروا بها **والضرب الثاني** في مقام الايمان التصديق بالقلب خالصا والا كان الظاهر نفاقا والاقتدا باحوالهم ومقامات قلوبهم وبواطنهم ما استطاع العبد **والضرب الثالث** في مقام الاحسان التعزير والتوقير وان ينظر العبد ببصيرة العقل الى تخصيص الله لهم بوحيه وكلامه وقدرته الصادرة عن صفاته فيرى انه قد فضلهم على سائر خلقه واختصهم بالقرب منه وجعلهم امنا على سره وغيبه الذي لم يطلع عليه سواهم فيرى ان الله قد رفع اقدارهم واعلا مراتبهم فوق كل قدر ورتبة فيعزرهم ويوقرهم كما امر الله تعالى وينظر اليهم كما ينظر الى الشمس في السما وارفع قال الله تعالى فالذين امنوا به وعزروه ونصروه الاية ليومنوا بالله ورسوله ويعزروه ويوقروه ان الله وملايكته يصلون على النبي فمن صلى الله عليه وملايكته فقد عظم قدره فوق الغايات ورفع ذكره ارفع الدرجات فواجب ان يلحظ بعين التعظيم كما امر الله تعالى والله اعلم

الشعبة الثالثة الغسل من الجنابة لان في حديث جبريل في خبر يحيى بن يعمر ما الاسلام قال اقام الصلاة وايتا الزكاة وصوم رمضان والاغتسال من الجنابة فجعله من الاسلام فاما صفة الغسل فقد ذكرناه في كتبنا الفقه بالكمال ما يحتاج اليه وصفته يبدا المغتسل فيزيل ما اصابه من الاذى ثم يتوضا وضوا كاملا ان شا او يترك غسل رجليه من الوضو حتى يغتسل ان شا او يقتصر على الغسل من الجنابة دون الوضو ان شا ثم يبدا فيسمي الله وينوي رفع حدث الجنابة عنه ويتمضمض ويستنشق ويخلل شعر راسه ولحيته ان كان ثم يفيض على راسه ثلاث غرفات ويغسل الشعر حتى يبل جلد راسه ثم يغسل شقه الايمن ويبدا بذلك مع الما الى قدمه اليمنى ثم يغسل شقه الايسر الى قدمه اليسرى ويعم جميع جسده بالما والدلك وهذا اكمل ما ورد فيه دون ان يسرف في الما فان الاسراف من قلة فقه الرجل واما وجه الحكمة فيه فان الجنابة بعد وتنح عن القرب من الطاهر الحبيب يقال جنب له من قولك للرجل سر الى جانب اي الى ناحية وهو فعل حدث تنزه الباري تعالى عنه وسبح نفسه عن قول من نسب ذلك اليه لانه فعل من اثنين وزوجين لا يقوم الا باجتماعهما في النطق او النوم والرب هو الفرد المنفرد الذي لا قرين له فامر العبد بغسل جميع الجسد وتطهيره ليخف القلب ويطهر من ثقل فعل الجنابة التي هي في نهاية البعد عن اوصاف الواحد الفرد ولا يليق الا بالبشر فاذا طهر صلح للدخول على الواحد الحق وان يتلو كلامه ويذكره فبتطهير الجسد طاهرا يطهر القلب من استغراق الشهوة التي غلبته واستغرق فيها وغاب بها عن ذكر الله تعالى ومثاله مثال من كان في حضرة ملك من الملوك يذاكره وينظر اليه ويبادر في قضا حوايج الملك ثم غاب عنه في اغراض نفسه فلما اراد العود والدخول عليه فانه يتاهب للدخول ويتطهر باكمل ما يقدر عليه من المعاني الادبية وكذلك المغتسل ينبغي ان يتذكر مع غسل اعضا جسده جميع ما وقع فيه مما يبعد عن الله وينوي الاغتسال منها والا يستطيع الدخول على ملك الملوك وجبار الجبابرة فهو اولى الا ترى الجنب كيف منع من قراة القران كما قال تعالى لا يمسه الا المطهرون

وفي الحديث الطهور شطر الايمان فلا يكون شطر الايمان تعلم حقيقة
المعنى فان الايمان معنيان معنى يقرب الى الله ويدخل قلبه ومعنى يزيل
ويطهر ما قطع عن الله او حجب عنه فالطهور من هذا المعنى شطر الايمان
فاذا اغتسل المغتسل بدنه فليتوضأ غسل يديه تطهير يديه من تناول
ما ابعده عن الله وتنقض يديه من الاشغال المشغلة عن ربه وكذا
اذا تمضمض ينوي تطهير الفم وتنظيفه من تلويث اللسان من الاقوال
الخبيثة ليصلح ان يجري على لسانه وفمه ذكر الله الطاهر المنزه الرفيع
الجليل وبالاستنشاق والاستنثار اخراج استرواح روائح محبوباته
بالشوق اليها فاذا العشاق والمحبين يستروحون روائح محبوباتهم
من جهة افق المحبوب وتخليل شعر الراس واللحية حلها من ايدي ما يملكها
وتنكيسها من اعلا عليين بالكون مع الله الى اسفل سافلين وما يقودها
الى غير الله فان الناس يقادون الى جهنم بالنواصي واللحا كما ورد في
القران والحديث يعرف المجرمون بسيماهم فيوخذ بالنواصي والاقدام
وفي الحديث في سوق الناس الى النار اما النسا فبالذوايب واما الرجال
فباللحا وكذلك الشيطان يعقد في كل ليلة على قافية كل عبد يثبطه
عن الطاعات ويقوده الى المخالفات والهوى والشهوات المرديات
وفي ليلة الغفلة المنومة في الحياة الدنيا عن التيقظ والانتباه
بذكر الموت وذكر الحياة الاخرة وعند غسل راسه زوال التراس والرياسة
الموجبة للكبر الذي لا يليق الا بالكبير المتعال وبغسل وجهه تطهيره
من توجهه الى اتباع الهوى وتطهيره من طلب الجاه المذموم وتخشعه
لغير الله وفيه الانف اذا امر عليه يطهره من الانفة وترك الانقياد
للطاعة والحق ويطهره من انقياده الى غير الله والهوى وكذلك العين
من النظر والتطلع الى المكروهات ومن النظر الى غير الله بشغف او صغر
وعند غسل العنق والرقبة فكها من ربقة التعبد للشيطان والهوى
او لشي دون الله حتى يتحرر من رق الاشيا كما ورد واعلم انك لا تكون لله
عبدا حقا حتى تكون مما سواه حرا وعند غسل جنبه تطهيره اتكايه وتوكله
على غير الله وبغسل ظهره ازالة استناده الى غير الله وظهوره وتطاوله

بغير

بغير حق وبغسل صدره ازالة طلب التصدر في المجالس للهو ونشر الصيت
والذكر بغير حق وازالة الغل عنه والغش وبغسل البطن تطهيره من
اكل الحرام والشبهة وازالة الران المتراكب على القلب ومما اختفى في
باطنه من المنكرات وبغسل المقعدة والفخذين تطهير قعوده وتخلفه
عن النهوض الى ما يرضي الله وبغسل الساقين والقدمين تطهيرهما من
المسارعة الى المخالفات واتباع الهوى وحل قيود العجز عن المسارعة
في ميادين الطاعة المبلغة الى الفوز وهكذا كل عضو في الانسان فيه
معان كثيرة يجب تطهيرها ليصلح الجسد للوقوف بين يدي الطاهر
القدوس جل جلاله فمن تطهر طهارة حقيقية طهر باطنه بطهارة طاهرة
ووجد طعم الايمان في حال الطهور في مقام الايمان وحلاوة المغفرة
بخروج الذنوب من الجوارح حال الطهارة فيصير باطنه كالمراة المجلوة
باحسان الله لباطنه فيطرب الروح لتجلي المحسن الحق له في مقام الاحسان
وهكذا كل طاعة اذا عملت على ما ينبغي وجد فيها بركة الاسلام والايمان
والاحسان فقد اندرجت المقامات الثلاثة كلها فيما تقدم من الكلام
من هذا الباب اذا تفهمتها فان طهارة الجسد بالما اسلام واعتقاده
تطهير القلب والنفس مما شاكل كل عضو ايمان ورويته التاهب بالطهارة
والدخول بها الى الصلاة والذكر احسان لانه لقا الطاهر القدوس
المنزه الاوصاف المتعبد عن الازواج والحاجات التي توجب الجنابة
وغيرها فافهم فهمنا الله واياك **الشعبة الرابعة** الوضو
وهو الطهارة الصغرى من الحدث والغسل المتقدم الذكر الطهارة
الكبرى لان طهارة الوضو انما هي في جوارح الجسد واطرافه من كل ناحية
وذلك تخفيف من الله تعالى وتيسير والحمد لله فلو كلف العبد الغسل كلما
احدث لكان ذلك تكليف ما لا يطاق الا ان في تطهير اعضا الجوارح
من كل ناحية تطهير جميعه من الحدث الخارج عنه فانه اذا قدرته
بيديه ورجليه وراسه كان كالدايرة المحيطة وفي تطهير خارج الدا يرة
من كل ناحية تطهير جميعها فلو اثبت ضابطا وسط بطن الانسان
بعد ان يمد يديه ورجليه وعنقه ثم ادرت الضابط وجدته دايرة

كما ذكرنا لك ومن هذه الجوارح المختلطة بالجسد تدخل الذنوب والمخالفات
الى الجسد وفي تطهيرها اخراج المخالفات والحدث عن جميع الجسد ٥
واما كون الوضوء من شعب الايمان فقد روى مسلم بن الحجاج باسناده عن ابي
مالك الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطهور شطر
الايمان يعني الوضوء وفي حديث اخر لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا
صدقة من غلول واحسن ما روي في صفة الوضوء حديث رواه حمران عن
عثمان بن عفان رضي الله عنه انه راه دعا باناء فافرغ على كفيه ثلاث
مرار فغسلهما ثم ادخل يمينه في الاناء فمضمض واستنشق واستنثر ثم غسل
وجهه ثلاثا ويديه الى المرفقين ثلاثا ثم مسح براسه ثم اذنيه ثم غسل
رجليه ثلاث مرات الى الكعبين ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من توضا نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما
تقدم من ذنبه فالوضوء الذي هو غسل الجوارح كلها مقام الاسلام وطهارة
الباطن على معنى التوبة من اكتساب الجوارح ايمان وبه يكمل الوضوء فاما
معنى الوضوء الكامل فانه يكون كما تقدم من الغسل وما يبين في الحديث المروي
في خروج الخطايا مع قطر الماء من كل عضو وقد تقدم الكلام عليه في الغسل
ويتبين لك ذلك الحديث الذي نورده ان شاء الله وروى ابو صالح عن ابي هريرة
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا توضا العبد المومن او المسلم فغسل
وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر اليها بعينيه مع الماء او مع اخر قطر
الماء فاذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة بطشتها يداه مع الماء او
مع اخر قطر الماء فاذا مسح راسه خرجت خطاياه من اذنيه مع الماء او مع
اخر قطر الماء فاذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء او
مع اخر قطرة الماء حتى يخرج نقيا من الذنوب وورد في الاخبار ان اصل
الوضوء من اجل اكل الشجرة التي اكل ابونا ادم عليه السلام واصل الحدث
الذي يوجب الوضوء من اجل اكل الشجرة التي اكل ابونا ادم عليه وان الطهارة
من كل ما تولد في الجوارح من المنهيات التي توجب انما سببه الاكل وما
تولد من شهوة الاكل فينبغي الامر على اصله فمتى احدث الانسان وجب
عليه الوضوء والطهارة من كل ما تولد في الجوارح من المنهيات التي توجب

الحساب والعقاب في عالم الايمان والغيب التي هي الاخرة فهذا مقام
الايمان واما مقام الاحسان فالنظر بالعقل الروحاني الى اوصاف
الطاهر الطيب جل جلاله في حين الوضوء فيتذكر بين يدي من تقف
فينظر للوقوف بين يديه ويتصف باوصاف الطاهر المنزه عن الاكل
الموجب للحدث الذي كان سبب الوضوء من المنهيات ليصلح للوقوف بين
يدي الله تعالى نقيا طاهرا فان سبب اكل الشجرة انما كان ابليس اللعين
فوجب تطهير كل ما سرت فيه تلك الاكلة التي كان سببها ابليس لانه
قد تولد من اغوايه القذر الحضري وذكر الله طيب طاهر والوقوف بين
يديه لا يكون الا في موضع طاهر وبدن طاهر وثوب طاهر وكذلك ٥
السواك في العرف انما هو لهذا المعنى لزوال الفلج وما في معناه كي
ينظف لذكر الله وكلما امر العبد به من الاستحداد وتقليم الاظفار
وغيره لان ذلك كله مواطن للقذر ومقاعد للشيطان فوجب تطهيرها
والدين مبني على النظافة فاذا فهمت هذه المعاني الظاهرة والباطنة
تبين لك كيف يكون الطهور شطر الايمان فان حقيقة الطهور الطهارة
من الاحداث والاوساخ ظاهرا ومن المخالفات باطنا حتى يكون منزها
عن ضد الطهارة فيتشبه بعبادة السموات والارض وغير ذلك من الخلق فان
فانها كلها طاهرة منزهة عن المخالفات غاية بتلك الطهارة ٥
لبارئها دايما سرمدا ما دام وجودها والحمد لله وحده الشعبة
الخامسة الصلاة وهي اكبر شعب الايمان بعد الشهادة
لله والرسول فاما كونها من شعب الاسلام فتبين في حديث جبريل وغيره
من الاحاديث كيف وقد روى جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر وصفتها وما
يحتاج اليه من امورها كل ذلك مذكور في كتب الفقه واقل ما يجزي
العبد في فعلها ما رواه ابو هريرة وجماعة من الرواة روى ابو هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فدخل رجل فصلى ثم جا
فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه السلام فقال ارجع فصل
فانك لم تصل فصلى ثم جا فسلم فرد عليه ثم قال ارجع فصل فانك لم

[illegible]

تصل فقال والذي بعثك بالحق ما احسن غيره فعلمني فقال اذا قمت
الى الصلاة فكبر ثم اقرا ما تيسر معك من القران ثم اركع حتى تطمئن
راكعا ثم ارفع حتى تعتدل قائما ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ثم ارفع
حتى تطمئن جالسا ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ثم افعل ذلك في صلاتك
كلها وفي بعض الروايات فاذا فعلت ذلك فقد قضيت صلاتك
وما انتقصت من ذلك فانما انتقصته من صلاتك ومنها جزاء بعض كل الصلوات
الخمس وصلاة الجنائز في الاثار وان اتباع الجنائز من الايمان فهي شعبة
من الايمان اعني اتباع الجنائز لانها تذكر بالاخرة والوقوف بين يدي الله
والجزاء والثواب والعقاب لكنها اختصرنا ذكرها لانها من جملة الصلوات
فلم نفرد لها بابا ومنها سنن كصلاة العيدين والاستسقاء والكسوف
والوتر وركعتي الفجر ومنها فضائل كسائر النوافل فنادية الصلاة
واقامة ركوعها وسجودها وتلاوتها ظاهر الاسلام واما روح الصلاة
ومعانيها في مقام الايمان ومقام الاحسان فان اولها بعد التطهر
والنظافة للدخول على الملك الانتهاض الى موضع الصلاة ومن
البقعة المقدسة من مسجد مبني وغير مبني فالمراد به الانتهاض والمشي انتهاض
القلب والباطن وسيره ودخوله الى عالم الملكوت وخروجه عن عالم
الدنيا حتى يدخل الى متعبد الملائكة الذي وجب الايمان بهم والعالم
المقدس الذي يشرح فيه ما يشغل عن الصلاة ثم القيام الى الصلاة
والمراد به قيام القلب الى اعلا عليين بين يدي الله ثم رفع اليدين
والمراد به التخلي من جميع الاشياء بالتفرد والفاقة الى الله ثم احضار
النية والمراد بها التقرب الى الله بالصلاة واخراج ما في القلب سوى
من اقبل عليه وذلك اشراف على من توجه اليه وغيبة عن غيره فاذا
اشرف على المطلوب برفع الحجب الشاغلة عن القلب وقع له تعظيم المتجلي
له ومخالطته ومعتقدا احترامه فحينئذ يحرم بتكبيرة الاحرام لانه في
موضع الاحترام والحرمة فيحرم عليه النظر الى غيره والاشتغال بسواه
فيقول الله اكبر من ان يقبل على غيره او يلتفت له من اجل ما عرف من
جلالة قدره وعظيم خطره فاذا وقع له جلالة القدر وعظيم الخطر

اخذ في الثنا على الله بالفاتحة فيقول الحمد لله الذي هو ربنا على ما هو
عليه رب العالمين اي سيد العالمين فتتجلى له صفة السيادة لله الذي
استعبد بها العالمين على كثرتهم ويثني عليه بصفاته ويناجيه بكلامه
فيفهم من كلامه ومحادثته مع الله بفاتحة الكتاب والسورة ما يوجب
له الخضوع بين يديه فيركع لزيادة التعظيم بشهادة اوصاف المتكلم معه
فيقول الله اكبر منحطا للركوع اي الله اكبر مما وقع في قلبي من تعظيمه والمراد
من ركوع الجسد خضوع النفس والروح في مقام الايمان والاحسان
باطنا بين يدي كبرياء الجليل العظيم ولذلك امر ان يقول في ركوعه
سبحان ربي العظيم لما شاهد من معنى التعظيم الذي خضع له فيرفعه
الله تعالى بكرمه الى حالته الاولى التي هرب منها الى الركوع لان كل
من تواضع لله اي لاجل عظمة الله رفعه الله اليه فاذا رفعه الله شاهد
العبد نعمة الله عليه في رجوعه فيبتدي بالحمد والثنا فيقول سمع الله لمن
حمده ربنا لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه فيجد في وقوفه وطمانينته
حلاوة المزيد والنعمة التي رفعه الله اليه بها حتى استدعاه الى القيام
فيخر ساجدا شكرا لمولاه فيضع وجهه على الارض ظاهرا ونفسه ٥
وروحه تحت الثرى الذي ليس وراءه في السفل منتهى لان نفوس العارفين
والاولياء لانهم لما هو عليه من الاسماء الحسنى والصفات العلى شهدا
فيضع نفسه تحت كل تحت ولذلك ليس وراء السجود منتهى في التواضع والتكبير
مستصحب له ومعناه اي الله اكبر مما شاهدت ووقع في نفسي من تعظيمه
واعلى فاذا وضع نفسه في السجود اسفل من كل سفل بالمعنى الذي هو الذل
شاهد من سفله علا ربه فقال سبحان ربي الاعلى فاستدعاه ربه
للرجوع والقرب من البعد والسفل الذي نزل نفسه فيه في سجوده ومعنى
التسبيح في الركوع والسجود تنزيه المركوع له والمسجود له من حالة الركوع
والسجود اي سبحان من هو بخلاف حالة الركوع والسجود فلما استدعاه
للرجوع قعد بالعجز بين يديه لانه لم يطق القيام لما شاهد في السجود
من الاجلال والاعظام فقعد بين يديه بالمسكنة والعجز واقر بالعجز له
ان يقوم بشي من حق قدر ربه ولذلك امر ان يقول في قعوده بين السجدتين

رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وانت الاعز الاكرم فيجد رحمة الله ٭
قد غشيته والمغفرة قد عمرته لانه يتجلى له بوصف زايد على الوصف
الاول من اجل ان الرحمة مقرونة بالضعف ومسرعة الى الاستكانة
فزاد سجودا اخر بحكم وصف اخر فعاد الى التواضع الذي هو المراد من
السجود حتى لو وجد ان يضع نفسه في اسفل مما وضعها فيه لوضعها
وقد وجد والحمد لله كل رفع خفض فان الواجب على كل عبد ان يضع
نفسه من التواضع في خلاف ما هو الله عليه من الجلال والعظمة ٭
وذلك لا يمكن ابدا الا مع التجلي وزيادة التعظيم فكلما زاد تجلي الصفات
زاد التواضع بقدر ذلك ابدا وكذلك كلما زاد الاكرام زاد الشكر
والثنا والتجلي دايم ابد الابدين وكذلك التواضع دايم ابد الابدين
والشكر والثنا وجميع ما يليق بتجلي اوصاف البارئ سبحانه والحمد لله على
ما هو عليه ثم يدعوه ربه الى الاقتراب منه وهو معنى القيام الى
الركعة الثانية فيجري له ما جرى في الاولى لكن بحكم الزيادة لان الصلاة
انما هي ركعة واحدة فيها تمت معاني الصلاة وعن ذلك ثنى الركعات
تكرير فلا يزال ذلك دابه مع مولاه من فهم خطابه وشهود اوصافه
في قيامه وانحطاطه وركوعه واذكاره وسجوده وجلوسه الى اخر صلاته
حتى يمتلي ظاهره وباطنه نورا وبركة ورحمة وسرورا وتواضعا وحيا
وغير ذلك مما لا يحصى من احوال المصلين العارفين الخاشعين فعند
ذلك يقعد في اخر صلاته فياخذ في التشهد والشهادة لله بما هو له
اهل والثنا كما يجب ويعزو التحية والملك له والتزكية والتنزيه
والمدح لباريه بقوله التحيات لله الزاكيات لله الطيبات لله ويفرد
العبودية له بقوله الصلوات لله ويسلم على اكرم الوسايط الذي
هداه الله الى ما هو فيه محمد عليه السلام ثم يقر بكل ما جا به من عند الله
ويصلي عليه فاذا فرغ من الاقرار والشهادة بكل ما جا به محمد عليه السلام
من الايمان بالغيوب والدعا والسوال فعند ذلك تمت له النعم بتمام
الصلاة وكمالها ووجب التحلل منها بتمامها فامر بالخروج الى عالم الحس
والملك فعند ذلك قال السلام عليكم لانه كان في الحضرة العلية طارحا

عن عالم الحس مودعا له كما قال محمد عليه السلام صل صلاة مودع اي
لانه خارج عن هذا العالم الى الحضرة العلية فاذا قدم على هذا ٭
العالم وشاهد من حوله من الاملاك والاشرق الحق قال السلام عليكم
فيسلم على من على يمينه وشماله وحل له ما حرم عليه قبل ذلك ولذلك
قال عليه السلام تحريمها التكبير وتحليلها التسليم فمن صحت له مثل
هذه الصلاة وجبت له الكرامة عليها ومن عرضت له الوساوس
فليجاهد يكتب له اجر المجاهد اذا فاتته معية الاحسان ومن قطعته
الغفلات كامثالنا وعدم النصيب الاوفر ومشاهدة المذكور الاكبر
كتب له ما عقل وذلك فضل عظيم من الله لان صلاته كانت في موجب
الادب اسرع الى العقوبة منها الى ان يكتب له ما عقل اذ لا يدري
بين يدي من هو حتى يعرض الى غيره بقلبه وهو واقف راكع ساجد
بجسده فعليه ان يكثر النفل ليجبر ذلك النقص فانه مطالب به كما
ورد ان النوافل جبر للفرايض لانه لم يودها على الوجه الذي يجب
والمعنى الذي امر به ولم يكلف الله الخلق من العبادة الا ما يطيقونه
لكن شغلهم بغير الله حرمهم واقتطعهم عما افترض عليهم ونسل الله
العظيم الكريم ان يتغمدنا برحمته وينجاوز عن ذنوبنا وتقصيرنا برحمته
فلو لم يكن لنا ذنوب الا التقصير في ادا الفرايض لكان كافيا فهذا
هو روح الصلاة من حيث المعنى وقد انتظم فيما تقدم من الكلام المقا مات
الثلاثة من الاسلام والايمان والاحسان فافهم واما فهم الصلاة من
حيث تركيبها وتفاصيل ابعاضها وهيأتها فانها على صورة عبادة ٭
العالم الكل وعلى هيئته صلاة العابدين فيه فالقيام الى الصلاة
ليكون مع الذين يعرجون الى الله تعرج الملائكة والروح اليه والوقوف
ليكون مع القايمين الشاهدين والذكر ليكون مع الذاكرين والهبوط
ليكون مع المتنزلين والركوع ليكون مع الراكعين الخاضعين والرجوع
ليكون مع الصاعدين والسجود ليكون مع الساجدين والفكر والجولان
بالفهم والعقل ليكون مع السايحين السايحين الدايرين والحضور ٭
ليكون مع الحاضرين الروحانيين ووجود الراحة والنعيم بها

ليكون مع الملائكة المقربين المشتاقين المحبين والخشوع ليكون مع الخائفين الكروبيين والمجاهدة بالاذكار ليكون راجما للشياطين كالفلكيين والقيام الشمع ليكون مع المراقبين وزم المعاني في وعائه ليكون مع الحافظين الكاتبين ومع هذا كله فلا تقوم بشي من حق الله عز وجل لعظيم ما هو الله عليه من جلاله العزة وعظيم الخطر لكن يجد الراحة في شهود المنة اذ هو ربه على ما هو عليه من اوصافه ومع ذلك استدعاه الى ان يكون من عباده المومنين فيستغرب في نفسه ذلك ويقول كيف ذكرني هذا الملك العظيم في نفسه حتى تنزل من جلال كبريائه الى صفات حنانه ورحمته حتى كلمني بكلامه واستدعاني لان اكون من جملة المصلين من عباده فينوي ويتمنى ويود في نفسه ان لو تقرب اليه بعبادة الخلق اجمعين على غاية الصفا لو قدر على ذلك فبهذا نفهم قوله نية المومن خير من عمله ثم يشهد عجزه وتقصيره عن ذلك فيرجع الى رؤية التقصير والاستغفار من قلة القيام ببعض الواجب ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر بعد كل صلاة ثلاث مرات وورد ذلك في الصحيح فيتوب من الحسنات كما يتوب العاصي من السيات لان حسنات الابرار سيات المقربين ولذلك تقول الملائكة يوم القيمة سبحانك ما عبدناك حق عبادتك على صفا عبادتنا من شوائب الكدورات وهذا المعنى الذي تقوله الملائكة هو الذي قاله النبي صلى الله عليه وسلم في قوله لا يدخل احدكم الجنة بعمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمة منه وفضل مع اجتهاده وصفا احواله وليس معناه ان العمل ليس ينفع فيكون قوله تحريضا على ترك العمل بل قوله هذا مرغب في الاجتهاد بجميع ما يقرب الى الله تعالى فنبه عليه السلام على عظيم حق الله تعالى الموجب لروية التقصير فالعباد ان كان لها وجهان تنظر منها مرة من مقام العبودية ومشاهدة الربوبية وهو من هذا الوجه الذي ذكرناه تعرف مقدار المعبود وما يقع عبادتك في حقه وجلاله فذرة فيكون عبادة الخلق اجمعين في ذلك المعنى اقل من ذرة في بحر لجي فيتولد هذا النظر الاجتهاد والانكسار والخضوع والذلة والتفقر الى الله تعالى وجميع صفات العبودية التي ساعة واحدة منها خير من عبادة ستين سنة ومرة ينظر من مقام المنة وكيف ذكره الملك الاكبر الذي استعبد العرش بما حوى في نفسه لهذا العبد الذي لا يدري من هو في كثرة عباد الله وبما ليكه وكيف ارتضاه للايمان به واستدعاه بعبادته ومناجاته والقرب منه حتى يجعله من جلسائه كما قال انا جليس من ذكرني فيتولد من هذا النظر ايضا احوال كريمة لا يعلم حقيقتها الا العارفون مثل الحيا الكائن عن الحضور والشكر الحادث عن روية المنة والمحبة المتولدة عن احسان الله الى غير ذلك مما شرحه الله في قلوب المختصين بهذا المقام وهو معنى قول الله تعالى ولذكر الله اكبر اي ذكر الله للعبد في نفسه اكبر من كل ما يتقرب به اليه فعلى هذين الوجهين من النظر درج العارفون في علومهم واعمالهم وبهما تزكوا الاعمال عند الله نسال الله الكريم ان يمن علينا بما من عليهم في الدنيا والاخرة انه ولي ذلك والقادر عليه واعلم ان الوجود كله باجزائه مصل لله بدوام وجود الوجود لا ينفك عن الصلاة فانه في مقام العبودية لله فمن دام النظر راى الوجود كله ظاهرا وباطنا مصليا ومن ترك الصلاة فقد خالف الخليقة كلها ولذلك يحشر مع فرعون وهامان كما ورد في بعض الاخبار اذ تارك الصلاة يحشر مع فرعون وهامان لانه تابى من العبودية والتواضع لله كما فعل فرعون فانهم قالوا الذي لا يخضع لاحد هو الله وحده فمن صلى بجسده وفعل اركان الصلاة كما امر ظاهرا وانزل نفسه مع كل ركن من اركانها في معانيها الباطنة وفهم روحه وعقله تلك المعاني وشاهد المراد بكل ركن منها ومعنى من معانيها فقد صلى بجسده وفعل اركان الصلوات كما امر بظاهره وباطنه وجملته في عالم الحس ومقام الاسلام وفي عالم الغيب ومقام الايمان وفي غيب الغيب ومقام الاحسان ووجد ذوق طعم المعاني الثلاث فمن الله علينا وعليكم بالكمال في كل شي امين برحمته وصلى الله على سيدنا محمد واله

الشعبة السادسة

الزكاة فاما كونها من شعب الايمان فمذكور في حديث جبريل وبني على

نوعين فريضة ونافلة فاما الفريضة فاربعة انواع زكاة العين
وزكاة الماشية وزكاة الحرث وزكاة الفطر فرضها رسول الله صلى الله
عليه وسلم اعني زكاة الفطر واما النافلة فعامة في كل نوع من وجوه
البر واما العين فهو الذهب والفضة وما اتخذ منهما من الحلية
الا ما كان للقنية الجائزة وما لا يجوز اقتناؤه ففيه الزكاة اذا
كان ذلك كله نصابا فما فوقه وحال عليه حول عند المالك له وكان
ملكه له صحيحا فاما نصاب الذهب فعشرون دينارا ومفروض
الزكاة فيها نصف دينار او قيمته من الورق وما زاد فبحساب ذلك
واما نصاب الفضة فخمس اواق والاوقية اربعون درهما ومفروض
الزكاة فيها خمسة دراهم منها او قيمتها من الذهب وما زاد على الخمس
اواق فبحساب ذلك وكذلك معدن الذهب والفضة يجري هذا
المجرى اذا بلغ النصاب فما فوقه ليس فيه الا الزكاة ولا ينتظر به
الحول ولا يسقط زكاة الدين كزكاة العين وجميع ما ذكرنا في زكاة العين
مذكور فيما رواه علي بن ابي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم روي عنه
عليه السلام انه قال اذا كانت لك مائتا درهم وحال عليها الحول ففيها
خمسة دراهم وليس عليك شيء في الذهب حتى يكون لك عشرون دينارا
ويحول عليها الحول ففيها نصف دينار وما زاد فبحساب ذلك وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عفوت عن الخيل والرقيق وذكر في
الحديث **فصل** واما زكاة الماشية فتجب في اربعة انواع
وهي التي ذكرها الله في سورة الانعام وهي الغنم والمعز والابل والبقر
فاما الغنم والمعز فصنف واحد في الزكاة اذا بلغت اربعين
بصغارها وكبارها فمفروض الزكاة فيها شاة واحدة فمن كانها شاتان
حتى تبلغ مائتي شاة ليس فيها الا شاتان فان زادت واحدة على المائتين
ففيها ثلاث شياه الى ثلاث مائة وما زاد على ذلك ففي كل مائة شاة
وما لم يبلغ مائة فليس فيه شيء حتى يكمل المائة واما البقر فاذا بلغت
ثلاثين بصغارها وكبارها فمفروض الزكاة فيها تبيع وهو ابن سنتين
حتى تبلغ تسعا وثلاثين ليس فيها غير ذلك فاذا زادت واحدة فكملت

اربعين ففيها بقرة مسنة وهي بنت اربع سنين الى ان تبلغ تسعا وخمسين
ليس فيها غير ذلك فان زادت واحدة وكمل منها ستون ففرض الزكاة فيها
تبيعان حتى تبلغ تسعا وستين ليس فيها غير ذلك فان زادت واحدة وكمل
منها سبعون ففيها بقرة مسنة وتبيع حتى تبلغ تسعا وسبعين ليس
فيها غير ذلك فان زادت واحدة وكمل منها ثمانون ففيها بقرتان مسنتان
وهكذا اعتبارها ابدا في كل ثلاثين تبيع وفي كل اربعين بقرة مسنة
واما زكاة الابل فمن كان عنده خمس من الابل فمفروض زكاتها شاة
واحدة من الغنم الى تسع ليس فيها غير ذلك فاذا كمل منها عشرة ففيها
شاتان الى اربع عشرة ليس فيها غير ذلك فاذا كمل منها خمسة عشر
ففيها ثلاث شياه الى تسعة عشر ليس فيها غير ذلك فاذا كمل منها عشرون
ففيها اربع شياه الى اربع وعشرين ليس فيها غير ذلك وتدريجها الى
هذا الحد خمس خمس مرات فاذا كان خمسا وعشرين اخذ من الابل
نفسها ومفروضها بنت مخاض انثى وهي التي امها حامل بغيرها ان وجدت
وان لم توجد اخذ ابن لبون وهو الذي امه ترضع غيره الى خمس وثلاثين
ليس فيها غير ذلك فاذا زادت واحدة ففيها بنت لبون انثى وهي بنت
سنتين الى خمس وسبعين اربعين ليس فيها غير ذلك فاذا زادت واحدة
ففيها حقة وهي بنت ثلاث سنين وتدريجها الى هذا الحد عشر عشر
مرتين حتى تبلغ ستين ليس فيها غير ذلك فاذا زادت واحدة ففيها
جذعة وهي بنت اربع سنين الى خمس وسبعين ليس فيها غير ذلك فاذا
زادت واحدة ففيها ابنتا لبون الى تسعين ليس فيها غير ذلك فان
زادت واحدة ففيها حقتان وتدريجها الى هذا الحد خمس عشرة خمس
عشرة ثلاث مرات الى عشرين ومائة ليس فيها غير ذلك وتدريجها الى
هذا الحد ثلاثين فاذا زادت واحدة ففيها ثلاث بنات لبون في
كل اربعين بنت لبون وقيل حقتان والاول اقيس الى تسع وعشرين
ليس فيها غير ذلك فان زادت واحدة فيكون فيها حقة في الخمسين منها
وابنتا لبون في الثمانين وهكذا اعتبارها بعد هذا الحد في كل اربعين
بنت لبون وفي كل خمسين حقة **فصل** واما زكاة الحرث

فعلى نوعين زكاة الحب وزكاة الثمار فالثمار ثلاثة انواع تمر وزبيب وزيتون واختلف في التين هذه كلها اصناف مختلفة لا يضم بعضها الى بعض واما الحبوب فعلى ثلاثة اضرب ضرب منها يضم بعضه الى بعض فيكون صنفا واحدا وهو القمح والشعير والسلت وضرب منها لا يضم بعضه الى بعض وهو ما عدا القمح والشعير والسلت من الحبوب الماكولة مثل الدخن والذرة وما اشبه ذلك لا يضم شيء من ذلك الى بعض والضرب الثالث القطاني مثل الحمص والباقلا والعدس والترمس وما اشبه ذلك من القطاني هذا كله نوع واحد اعني القطاني كلها يضم بعضها الى بعض في الزكاة وتعتبر كلها بسقيها فما سقي منها بغير مشقة مثل ماء السما والانهار والعيون ففيه العشر اذا بلغ نصابا وما سقي بتعب مثل السواني وغير ذلك ففيه نصف العشر والنصاب في زكاة الحرث خمسة اوسق والوسق ستون صاعا بصاع النبي صلى الله عليه وسلم والصاع اربعة امداد والمد رطل وثلث والرطل اثنى عشر اوقية ولا يشترط في زكاة الحرث الحول بل يودي وقت اخذ الحبوب لقوله تعالى ﴿ واتوا حقه يوم حصاده والنوع الرابع من الزكاة المفروضة زكاة الفطر وهي على كل من فضل له على قوت يوم الفطر مقدار صاع ان كان وحده او فضل له على عدد من يلزمه اخراجها عنه صاع صاع بالصاع المدني الذي ذكرناه في الزكاة فهذه جملة الزكاة المفروضة وفروعها مستقصاة في كتب الفقه ويلتحق بهذا الباب الخمس وهو من شعب الاسلام في الحديث الصحيح الذي رواه ابن عباس في قصة وفد عبد القيس فقال لهم هل تدرون ما الايمان بالله شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتا الزكاة وصوم رمضان وان تودوا خمس ما غنمتم وذكر الحديث الى اخره فجعله من سهام الاسلام فهو شعبة من شعب الايمان بنص الحديث ولم نفرد له بابا لان الكلام على الزكاة يغني عنه اذ هو مما يليق ببابها والخمس على نوعين خمس المغنم وخمس الركاز وهو ملحق بخمس المغنم لانه من دفن الجاهلية واما الخمس من المغنم والركاز فرض واجب وليس بنفل وقد ورد من الوعيد في الغلول كما ورد في الزكاة

اذا ضعفت او اشتد الا ان مواضع الخمس ومواضع الزكاة في الاصناف التي ذكر الله تعالى في براءة انما الصدقات للفقرا والمساكين والعاملين عليها والمولفة قلوبهم الى اخر الاية ومواضع الخمس في قوله واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول الى اخر الاية فهذا وجه التعبد بهذه الشعبة في مقام الاسلام لان كل ما تقدم اسلام فاما سر الحكمة التي ظهرت للناظرين في معاني الزكاة واستتبعا دعباده بها فعلى وجوه منها ان الله تعالى جعل الزكاة طهرة للاموال والابدان وتزكية وتنزيها للنفوس والارواح وصفات الانسان في مقام الاسلام والايمان والاحسان فاما كونها طهرا للاموال فقد ورد في الصحيح عن ابن عمر من كنزها فلم يود زكاتها فويل له انما كان هذا قبل ان تنزل الزكاة فلما نزلت جعلها الله طهرا للاموال والتطهير انما يكون من النجاسة والخبث وقد ورد في الصحيح ايضا انها اوساخ الناس وذلك ان الله خلق الخلق بحكمته وافقر بعضهم لبعض وجعل منهم الاغنيا والفقرا وذوي الحاجات المختلفة ليستقيم ايجاد الخليقة فلو خلقهم كلهم اغنيا لبطل الوجود وكذلك لو خلقهم فقرا كلهم كما قال ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا فجعل للفقرا وذوي الحاجات حقوقا في اموال الاغنيا هي مفروضة لهم ليست من كساب الاموال فيها شيء ولو كانت لهم لما وقع الوعيد على من منعها بالويل الذي وقع الوعيد به على من لم يصل لله تعالى في قوله فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ويمنعون الماعون وهي الزكاة والزكاة مفروضة لاهلها هي حق لهم على الاغنيا كما الصلاة المفروضة هي حق لله على عباده وكذلك تجدهما حيث جاءتا في كتاب الله مقرونتين مع ﴿ الصلاة اقيموا الصلاة واتوا الزكاة تقديره اقيموا الصلاة لي واتوا الزكاة للفقرا واهل الحاجة اليها وكفى بهذا شرفا وفخرا للفقرا حيث قرن حقهم بحقه فلهم في الاموال حق فرضه الله لان المال مال الله والخلق خلق الله يعطي من يشا المقدار الذي يشا فهذا المقدار الذي هو حقوق الفقرا قد علم الله بلطيف علمه وخفي نظره ان ربع العشر

التي توضع فيها تختلف فمواضع الزكاة صح

من الرقة والذهب والعشر ونصف العشر من الطعام والشاة من اربعين
شاة وغير ذلك من نصاب الزكاة انها قايمة باهل الحاجة الذين فرض الله
لهم ذلك ويبقى النصاب بايدي مالكيه الى وقت حاجة اخرى وعلم سبحانه
ان المال لا يطهر ولا يطيب لمالكه حتى يخرج ذلك القدر فمن اكل الزكاة
انما يأكل اوساخ الفقرا بل دماهم وكذلك اخذها بغير حقها ووضعها
في غير حقها لانه اكل حقوق الغير وهم محتاجون الى حقوقهم وكذلك رأى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الاسرا حيث قال رأيت اقواما على
اقبالهم رقاع وعلى ادبارهم رقاع وهم يسرحون الى الضريع والزقوم فقلت
من هولا يا جبرئيل قال هولا الذين لا يودون صدقات اموالهم واداء
الزكاة اقل درجات الطهارة في الاموال فاما كونها ايضا طهارة
للابدان والنفوس والارواح فان الله يقول خذ من اموالهم صدقة
تطهرهم وتزكيهم بها وفي الصحيح على كل سلامى من الناس صدقة واوجب
تلك الصدقات المفروضة فمتى لم تود المفروضة لم تطهر الاعضا بالنوافل
من الصدقات المذكورة في الحديث ولذلك يبطح مانع الزكاة من الماشية
يوم القيمة لماشيته فتمشي عليه باقوامها وتنطحه بقرونها لان اعضا
ماشية جسده التي يتصرف بها في المال كما امر ويوصل الحقوق بها الى اربابها
لم تنبسط لاعطايها الى اهلها بل تقبضت عن ذلك وانضم بعضها
الى بعض بالبخل الشديد الذي لا بخل اكبر منه لان منع الزكاة اكبر درجات
البخل واداوها اقل درجات السخا والجود الذي هو البسط في الايدي
والاعضا فلم تجد في المال حركة ولا موضعا ينبسط فيه بالمشي من الحركات
والسكنات في الاخرة انما هي على معاني الديانات لم يجد العبد الا ما قدم
ولا يتصرف الا فيما كان فيه والمال له علاقة بقلب مالكه فهو يملكه
ويبدو ويضمه اليه بتلك العلاقة والمال طايع له وتابع له حيث ما
تصرف بالعلاقة التي يجذبه بها الى ملكه وبطاعة المال له فالذي
لا يودي الزكاة قد احب المال الحب الكلي وما ل به المال اليه وباستغراق
الحب فيه تعبده المال وصار ذليلا لمحبوبه كما ورد في الحديث تعس
عبد الدينار الى اخر الحديث والتذلل هو التعبد فالميل الذي مال

به المال يبطحه من قيامه في المال في مقام الايمان والغيب يوم القيمة
وينبذ لمال استعباده له يصير بين ارجله وبعلاقته التي ملك المال
بها وزمه اليه وجذبه تمشي الماشية عليه في كل ناحية في يوم كان مقداره
خمسين الف سنة فافهم ولو تصرفت ماشية جسده في الدنيا باعطا الحق
لمن وجبت له لانبسطت اعضا جسده من قبض البخل فوجد هنالك
متحركا ومتصرفا ولو انقطعت علاقة الحق الذي اخرجه من قلبه لا
لامسكت تلك العلاقة المنقطعة الماشية عن المشي عليه لانها حصلت
في يد الله وايدي اهلها كالزمام المانع للماشية عن المشي عليه لان
المال كله كشخص واحد ومفروض الزكاة فيه عقال له كما سماه ابو بكر الصديق
رضي الله عنه عقالا في قوله لو منعوني عقالا لا اراد به بعيرا وانما سمى
عقالا لانه يعقل الماشية عن المشي على مانع الزكاة ولو اخرجه عن ملكه
الى مستحقيه لزال ذله وتعبده بالاستغراق فيه لان المحبوب هو المعبود
ولم ينبطح له يوم القيمة وكيفية الماشية موقوفة عن المشي ومحبوسة
للسوال من اين جمعت ولماذا وفيما ذا فافهم فهمك الله وهكذا الحكمة
ايضا في الجباه والجنوب والظهور بالعين الذي هو الذهب والفضة
قال الله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في
سبيل الله الى قوله يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم
وظهورهم وحقيقة معنى الكنز الدفن والاخفا والستر الذي هو ضد
الكشف والاظهار كما قال تبارك وتعالى وكان تحته كنز لهما اي
تحت الجدار وقال في قارون واتيناه من الكنوز وهي ما اخفى من
خزاين امواله فالذهب والفضة لما كانت جميع حوايج هذه الدار
لا تتقضى الا بهما وعاين الناس ذلك منهما احبوهما الحب البالغ فجذب بتهما
القلوب اليهما جذبا شديدا بالعلاقة التي ذكرناها قبل هذا
حتى خامرت سويدا القلب ومن احب شيا حبا كثيرا ادخله في سويدا
عينيه اذا امكنه وضمه اليه والصقه بجلده ان ظفر به ولذلك
ترى الذهب والفضة لا تظهر منهما شي كساير الاموال الا ما يتصرف
الا الكون فيه بالمباشرة لما بالايدي فمن ملك دينارا دفنه واخفاه

وحرسه بالنظر اليه والاشراف عليه بجبينه الذي هو جبهته لانها موضع
الحاسة التي فيها العيان بحيث ما كان المالك له فهو ناظر اليه خايف
عليه لا يبرح منه ومتكي عليه بجنبه وظهره بمعنى الاستناد عليه والاعتماد
والتوكل ولذلك خصت هذه الاعضا بذكر الكي لانها اعظم اعضا الجسد
موافقة لمعاني الفتنة بالذهب والفضة لانه متقلب عليها بالاستناد
والاعتماد والتوكي والاشراف فاذا لم تود الزكاة منه فقد اختفى
الخفا الكلي عن غير المالك والتصق به بالحب الشديد خصوصا كصفة
من صفاته او عضو من اعضايه لان حقيقة الحب طلب الاتحاد بالمحبوب
تحا به الى الكمال وهو ملتصق به صفايح محمية بنار جهنم لانه لم يرد بها
الله ولم يعط منه حق الله وما لم يرد به الله ولا اعطى منه حقه فيبعد
عن الله وعن دار كرامته الى دار البعد وهي النار لان المراد به هو كل
النفس في الدنيا ولذلك يقول الله يوم القيمة ميزوا ما كان لي منها ○
والقوا سايرها في النار ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث
بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم فبهذا المعنى تفهم كون
تلك الصفايح نارا وكذلك هي هنا محمية بنار الحرص والمحبة في شدة
طلبه واخفايه وكنزه ولو اخرج زكاته كما امره الله لانقطع من
علاقته عن قلبه بقدر ذلك المخرج وصار في ايدي مستحقيه وطهره
للملايكة وقبله الله واذا فعل ذلك فقد طهر المال كله ولم يك كنزا
لانه قد علم قدر المال باخراج الزكاة منه واذا علم فقد ظهر وانكشف
وزحزح عن المال والمال عنه بعض التزحزح كما تقدم ايضا في عقاب
الماشية ويبقى عليه المحاسبة على جملته هل قام بحقوقه ام لا وهكذا
زكاة الاقوات ايضا اذا منعت عذابها من نوعها اكل الضريع ○
والزقوم كما ورد في حديث الاسرا وثقل الظهر والاجساد عن
النهوض كما ورد في الحديث ان بين يديك عقبة كوودا لا يقطعها
الا المخفون وساله الراوي عن المخفين والمثقلين فقال له ان
كان لك قوت ثلاثة ايام فانت من المثقلين لكنا لثقل تنجا لمن
يثقل دون ثقل وانما الثقل الكلي فيمن منع الزكاة كما تقدم والخفة

من

من جميع انواع العذاب فيمن لم يقتصر على الفرايض وتصرف في جميع
وجوه الصدقات بالنوافل حتى اكمل له بها الغرض لان الفرايض قد
داخلها انواع المخالفات والتقصير كما ورد في الخبر ان النوافل
جبر للفرايض لاسيما في الاموال التي قد خالطها انواع الحرام والشبهات
والباري تعالى لا يقبل الا الطيب فهذا معنى الزكاة ومشاهدته
في عالم الغيب ومقام الايمان **واما مقام الاحسان** فالنظر الى ○
الزكي سبحانه الذي خلق السخا والكرم وافاض عطاه وفضله على ○
جميع المخلوقات في كل الاوقات فيتزكى بان يتصف بوصف من اوصاف
الزكي الحق على قدر ما يطيق وافضل ذلك الزكاة فيها تزكوا الارواح
وتطهر الاسرار فتصلح لمجاورة الزكي الحق والقرب منه في مقام
الاحسان واما كونها تزكية للارواح فموجود ذلك كله في قوله
عز وجل خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها والتزكية من صفات
الارواح لانها وصف من صفات الزكي سبحانه وهو تنزيه المتصف
بها عن رذيلة البخل ووصفه بصفة الجود والسخا لكن المقتصر على ادا
الزكاة في اقل درجاتها وانما التزكية فيمن بذل المال في وجوه البر
كما قال فيمن وصفه بذلك وسيجنبها الاتقى الذي يوتي ماله يتزكى
نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه وانفاقه ماله في ذات الله
وكذلك قوله انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا الذين يقيمون
الصلاة ويوتون الزكاة وهم راكعون نزلت في علي بن ابي طالب رضي
الله عنه تصدق بخاتمه وهو راكع في الصلاة وهذا المعنى سنذكره
في باب الزهد ان شا الله تعالى **واعلم** ان الوجود كله اذا نظرته
وجدته متعبدا لله تعالى بالزكاة كما هو متعبد بجميع شرايع الاسلام
لان الدين عند الله الاسلام وله اسلم من في السموات والارض طوعا
وكرها فاذا نظرت الى الارض التي هي اقرب الاشيا اليك وجدتها
تعطي اقرب الخلق اليها وهم الذين على ظهرها جميع بركاتها لا تبخل ○
عليهم بشي مما عندها في فصول العام كلها وكذلك النبات يعطي ما
عنده من جميع انواع الاشجار وكذلك الحيوان وكذلك البحر والسموات

والافلاك والشمس والقمر والنجوم الكل منها ومن بعضه مع بعض لابد له
شيا من قوته وما عنده في طاعة الله لان الوجود كله فقير بعضه الى بعض
قد لزمه الفقر وشملته الحاجة فعطف بعضه على بعض وتعاونه في طاعة
الله واعطا ما عنده هو زكاته دايما بدوام وجوده فانفع الزكاة قد
خالفها اهل السموات والارض وجميع الموجودات ولذلك وجب فنا له
وفهم فافهم فهكذا شاهد الموقنون جميع ما دعت اليه الرسل بينا
واضحا في كل شي وعاما في جميع الموجودات ولذلك سماهم الله موقنين
كما قال في ابرهيم عليه السلام وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات
والارض وليكون من الموقنين **الشعبة السابعة** صوم
رمضان اما كونه من شعب الايمان سلام فدليله ما تقدم في حديث
جبريل عليه السلام وروى طلحة بن عبيد الله ان اعرابيا جا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم من اهل نجد ثاير الراس يسمع دوي صوته ولا
نفهم ما يقول حتى دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو يسال
عن الاسلام فقال يا رسول الله اخبرني ماذا فرض الله علي من الصلاة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس صلوات الا ان تطوع شيا قال
فاخبرني ماذا فرض الله علي من الصيام فقال شهر رمضان الا ان تطوع
شيا قال فاخبرني ماذا فرض الله علي من الزكاة قال فاخبره رسول
الله صلى الله عليه وسلم بشرايع الاسلام قال والذي اكرمك بالحق
لا اتطوع شيا ولا انقص مما فرض الله علي شيا فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم افلح وابيه ان صدق او دخل الجنة وابيه ان صدق
وفي الخبر ايضا اذا اسلم رمضان سلمت السنة كلها والتعبد به في
مقام الاسلام امساك الجوف عما يفسد الصوم من اول الفجر الى
غروب الشمس وفروضه وسننه بينة ومشروحة في كتب الفقه واما
وجه الحكمة فيه ومعنى التعبد به في مقام الايمان والاحسان ه
الذين هما مقاما النفس والروح فالنية والحسبة لاجر على الله
والصوم عن الجنايات الموجبة للعذاب في عالم الايمان فيتذكر الاخرة
ويصوم عما يوجب العذاب في الدار التي امن بها **فصل**

واما

واما النعيم به في مقام الاحسان الروحاني العقلي فان يتذكر ان الصمد
الحق هو الذي يطعم ولا يطعم فيتصف بشي من ذلك المعنى على قدر
طاقته لان الصوم معناه الامساك عن الاسترسال فيما حظر على ه
العبد وهو حفظ الجوارح وزمها وامساكها في ايام الصوم دون لياليه
لان الصوم لا يكون الا بالنهار فاذا دخل الليل وغابت الشمس ارسلت
الجوارح فيما حظر عليها من المباح الى ان يلوح الفجر وكذلك يصام لروية
الهلال في اول الشهر ويفطر لرويته في اول الشهر الثاني والمراد بهذا
السر العظيم ان الليل غيبة والنهار حضور فالنهار اية وجود ه
الباري ومشاهدته والليل اية على وجود الاغيار دونه كما قال
النبي عليه السلام ان الله خلق الخلق في ظلمة ثم افاض عليهم من نوره
المرشد الى اخره والصوم وصف من اوصاف الربوبية لا يتصف به
على الكمال الا الله كما قال وهو يطعم ولا يطعم وكما ورد في الحديث الصوم
لي وانا اجزي به فاضافه الى نفسه اي لا يتصف به احد الا الله
لانه الغني عن الاكل ابد الابدين ودهر الداهرين والمنزه عن جميع الا
الاعراض والشهوات ازلا وابدا ولا يتصف بهذا الا الله ومن سواه
لا بد له من اكل وعرض ملكا كان او غيره فالملايكة ومن اشبههم من
المخلوقات طعامهم التسبيح والاذكار وشرابهم المحبة الخالصة
والمعارف والعلوم الصافية من الاكدار ومن سواهم طعامهم وشرابهم
مما يليق بهم في دار الدنيا وفي كل دار وقد دعا الباري الى الاتصاف
باوصافه وتعبدهم بها على قدر طاقتهم ووسعهم والصوم من اوصافه
ومن اصعب الاشيا على النفوس لانه خلاف ما جبلوا عليه فان ه
وجودهم لا يقوم الا بالمادة بخلاف وجود الباري تعالى الغني عن
كل شي ففرض الله الصوم على عباده كسرا لشهوات النفوس وقطعا
لاسباب الاسترقاق والتعبد للاشيا فانهم لو داموا على اغراضهم
لاسترقتهم الاشيا واستعبدتهم وقطعتهم عن الله كل القطع فالصوم
يقطع اسباب التعبد لغير الله ويورث الحرية من الرق للشهوات ه
والمشتهيات لان المراد من الانسان ان يكون مالكا للاشيا وخليفة

نبها الا أن تكون مالكة له لانه خليفة الله في ملكه فاذا استغرق في اعراضه ومملكته فقد قلبت الحكمة وصير العامل مفضولا والاعلى اسفل كما قال تعالى أغير الله أبغيكم الها وهو فضلكم على العالمين والهوى الذي معبود به استعبد الاشيا للخلق والصوم يورث قطع اسباب التعبد لغير الله وقد علم الله تعالى ان رمضان يغني في قطع ذلك اذا صامه الصائمون كما يجب ولذلك ورد في الخبر اذا سلم رمضان سلمت السنة كلها ومن ذا دزاد حرمته مالم يخرج الى متربا لنفس الى العقل بل الكمال المحض في حق الانسان ان يملك الاشيا ولا تملكه ويسيرها بالخلافة ولا استرقه فيتناول الشهوات في اوقاتها وبقدرها في اماكنها وهذا هو وصف الربوبية بتصرف في ملكه بالتدبير ولا يتملكه بل يملكه كل الملك ويتنزه كل التنزه والمراد بالصوم الاتصال بذلك الخلق على قدر طاقة الانسان وهو الوقوف على تناول الاعراض النفس ليستغني عنها بنفسه كما ورد ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس فلما لم يكن له ذلك على الكمال كما هو للباري لم يكن له بد من تناول ما يحتاج اليه فشهود الاشيا بغيبة منفعتها واحتجابه في غيب غيبه ليل وتناولها فطر لانه تكون اليها كما قال هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه وظهوره للاشيا وكالاكوان بما يلوح من انوار تجليه نهار والوقوف معه والامساك صوم مادام النهار فاذا ارخى ليلهم وعليهم فقد غيبهم عنه رحمة منه بهم لانه لا يطيق الدوام على تلك الحال الا هو الغني الصمد الذي لم يلد ولم يولد وهكذا دابهم في كل سنة مع ما في اوقات الصلوات من الخروج عن الاشيا ايضا اليه والحج وغيره من المفروضات اذا اديت على الكمال اورثت الحرية الكاملة ولم يكن ذلك لما فرضه الله لان رضاه في فرائضه وانما النقص في الفرائض هو الذي ملكنا للعوض ونكس الروس الا ترى ان الخصوص قالوا انما الصوم الحقيقي امساك الجوارح عن النهي وقال ابو الدردا يا حبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف يعيبون صوم الحمقى وسهرهم وكذلك ورد في الخبر ان الغيبة والكذب يفسدان الصوم والنظر بشهوة الى غير ذلك مما ورد في الاخبار ولو ان الفرائض اتى بها على حسب الامر لكان فيها رضى الله عز وجل وغاية الدرجات ولذلك استحب كثرة النوافل

مطلب

لما فيها جبر لنقصان الفرائض كما ورد في الاخبار وإذا فهمت هذا علمت ان فطم النفس عن الدنيا والمنهيات هو الصوم الحقيقي لمن لاحت له انوار الاستهلال من اليقين بالله والدار الآخرة فصام لرؤيته ذلك مدة الحياة الدنيا وافطر عند الله لرؤيته وذلك يوم عيد الاستهلال الآخر عند خروجه من الدنيا الى الآخرة وهكذا اذا بهم في الجنة جزاء على ما استعبدوا عليه في الدنيا اذا كان تواضع الله بالمشاهدة وقطعوا على اعراضهم تشبيها بايام من رمضان واداء الفرائض واذا استهدتم الجنان كانواضع الحور والاكل وغير ذلك تشبيها بلياليه وبخروجهم من الفرائض الى المباحات وتنقلهم ايضا من درجة الى درجة اخرى فطر في تلك الدرجة لانهم لم يذوقوها بعد هكذا يصومون لرؤيته ويفطرون لرؤيته من الله علينا بالحرية الكاملة والكرامة الدائمة بمنه وفضله آمين واعلم ان اعتبار الصوم في الوجود كله عام قد شمل الموجودات كلها اذ الصوم هو الامساك والتقييد عن الخروج من وظيفة ما قيد به كل موجود وهذا اذا نظرت الموجودات كلها وجدت كل واحد قد لزم ما قيد به وامر به فترى الثقيل ذا امساك في مقامه ولا ينتقل والخفيف لا يتضعضع عن مقامه وكل شي مزموم بزمام الامر وممسوك بامساك الذي يمسك السموات والارض ان تزولا وذلك كله صيام في حق كل موجود وله اسلم من في السموات والارض ان الدين عند الله الاسلام ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه لانه دين الله الذي افترضه على جميع خليقته فصوم العالم امساكه نفسه وامساكه ذاته على الاحتياج الى باريه وتقبضه عن ان يسترقه شي غير الله وهذا اذا نظرته بحقيقة النظر وجدته عاما في جميع جواهر العالم كله كونا وشرعا وحالا ومقالا الا الثقلين فان الصوم فيهما لنفوذه شرعا لا كونا ولهذا المعنى ورد في الاخبار ان لله في كل ليلة من رمضان عتقا من النار لانقطاع اسباب الهوى الذي استرق الخلق لا لما شا الله

الشعبة الثامنة

الحج فاما كونه من شعب الاسلام فما تقدم في حديث جبريل عليه السلام ودليل عليه وفي غيره من الاحاديث وقوله من حج ولم يرفث ولم يحدث نفسه بالحج فليت

ان شاء يهوديا او نصرانيا وفرضه مرة واحدة في العمر مع وجود الاستطاعة
وله فرائض وسنن واسرار كثيرة لانه ركن عظيم من اركان الدين ولابد
من وصف كيفية العمل فيه ظاهرا والتنبيه على اسراره في كل عمل من اعماله
وموقف من مواقفه عند ذكر اعماله الظاهرة ليرتبط الظاهر الذي هو مقام
الاسلام بالباطن الذي هو مقام الايمان وبالحسن الباطن الذي هو مقام
الاحسان والتصوف والروح ارشدنا الله **فاقول** مما يجب ان نعلم ان البيت
بمكة اعزها الله ببطن واد كما وصفه الله ببطن مكة من بعد ان اظفركم
عليهم وبواد غير ذي زرع والبطن مما يخفى ولا يظهر وكذلك الوادي مما انخفض
من الارض والبلاد محيطة به في جميع النواحي من المشرق والمغرب والجنوب
والشمال وله اربعة اركان الركن اليماني منه يلي جهة اليمن والقطب اليماني
والركن الشامي يلي جهة الشام والعراقي يلي جهة المشرق من طلوع الفلك
والركن الرابع يلي جهة المغرب حيث يغرب الفلك واعلاه يلي البيت المعمور
في السموات وكذلك القلب في باطن الانسان في خفية شبيهها بمكة
التي هي بواد وبطن مكة عينه يلي جهة ملايكة اليمين التي هي الجنة وهو موطن
اليمن والبركة وشماله يلي جهة ملايكة الشمال الغلاظ الشداد الذين
هم خدمة قبضة الشمال وهي النار والركن الاخر يلي جهة الدنيا شبيهها
بالركن العراقي من جهة المشرق كما قال النبي عليه السلام الفتنة ههنا
واشار الى جهة المشرق وباب الكعبة في ناحية العراق وكذلك باب
القلب مما يلي الدنيا من جوارحه لان من جهة الدنيا تنظر الظواهر كلها
وتطلع بالايجاد في عالم الدنيا والركن الرابع مما يلي الاقدار السابقة
واللوح المحفوظ والقضا بالواردة عليه من الازال القديمة لان
ما يرد عليه من هذه الجهة مغيب عنه شبيهها بالمغرب الذي تغرب فيه
الافلاك وجميع الحركات واعلا القلب يلي جهة العرش وهو موضع نظر
الله تعالى ومثل الحرم الداير المحيط بالبيت مثل ما احاط بالقلب
من تجويف الجسد ومثل تحريم الحرم حول البيت ان لا يقطع شجره ولا ينفر
صيده مثل تحريم دمه وعرضه وكل شي من اجله قلبه الذي هو محل الايمان
وكذلك حرم مكة انما حرم وعظم من اجل بيت الله وكما ان الحرم لا يؤذي

صاحب

صاحب جريمة بل تقام فيه الحدود كذلك لا حرمة لمن امر الشرع باخذ
الحقوق منه باي وجه كانت ومثل احاطة افاق السموات كلها من جميع
الجهات بالبيت مثل احاطة عالم الملكوت بالقلب في الغيب ومثل ارتفاع
الجبال على مكة في نواحيه كلها مثل الجبلات والغرايز الحسنة التي جبله
الله عليها وفيه بير زمزم يستخرج ماؤه بالدلا وهو ما يختزن في محله
لا ينال الا بالاستقا والاسباب وهو مثال علم الشرع الظاهر لا ينال
الا باسباب الطلب وفي ظاهره شبه زعاق وهو مثال لصعوبة العلم
على النفوس وماء زمزم لما شرب له وكذلك العلم لما نوى طالبه به
وزمزم العلم في خزانة الحفظ عند حامليه والوعي شبيه بحفظ ما زمزم
وحفظه بايدي اهل السقاية الذين يسقون الحاج وفي جدار البيت
الحجر الاسود مبني فيه مثاله سويدا القلب وفيه يكون الوجد والمواجيد
التي تظهر نتايج تبدا القدرة الازلية والوجد عبارة عن تقبيل اليد
ومثل مواطن الحج ومواقفه مثل منازل ومقامات تحلها النفوس والارواح
والعقول والاسرار والخواطر والارادات والحواس والهمم الطايفون
في الملكوت المحيط بالقلب والكعبة بيت الله في الارض وكذلك القلب
بيت الله على الحقيقة لان بيت مكة لا يسعه لم يسعني ارضي ولا سماي
ووسعني قلب عبدي المومن ودعا الله الناس الى الحج وفرضه عليهم بشرط
الاستطاعة ومعنى الحج في اللغة القصد الى المحجوج له والزيارة له
في مواطنه كما قيل كانت العرب تحج الى النعمان وهو ملكها اي تقصده
لقضا حوايجها وهو مشتق من المحجة التي يقطعها الحاج في طريق زيارته
وقصده الى بيت الله وكذلك جملة اسرار الانسان نوديت بالقصد
الى الله في القلوب وفيها يوجد كما ورد اطلبني عند المنكسرة قلوبهم من
اجلي وامر ابرهيم عليه السلام بتطهير البيت للطايفين والعاكفين
وكذلك فعل نبينا عليه السلام حين دخله عنوة على المشركين طهره
من الاوثان والاصنام وارجاس الجاهلية عام الفتح حين فتح الله عليه
مكة كذلك اذا فتح الله على الانسان قلبه بالنصر على ابليس وصفات
الجهل ودقايق الشرك طهره من التماثيل التي تمثلت في القلوب وعكفت

عليها النفوس التي توحشت انها تنظر وتشفع وقيل ان الحجر الاسود اسود
من ايدي المشركين وكذلك سويدا القلب بخواطر الشرك والجهل •
ونزغات الشياطين فمثل كون الكائن في امصار البلاد وغيبتهم عن البيت
مثل غيبة اسرار العبد وتصرفها في عالم الدنيا والمباح ومثل ترك •
الاوطان والقصد الى مكة للحج مثل خروج اسرار العبد من الدنيا الى
الله ومواجه الاكبر على الحقيقة لمن اعطيه فاول امور الحج قطع •
الطريق الى البيت ومثله قطع منازل السلوك الى الله وما يلقى في
الطريق من المخاوف والاهوال او التيسير مثل ما يلقى في طريق الله من
الوساوس والمكايد وضد ذلك لمن سهل الله عليه الطريق الى الوصول
اليه ومثل وصوله الى الميقات وتركه الاوطان وراظهره مثل وصول
اسرار العبد الى الاشراق على استنشاق روايح الملكوت فيرمي امور
الدنيا وراظهره بترك المباحات واول ما يعمل الحاج في الميقات
التجرد من ثياب المخيط وكذلك مثاله للاسرار التجرد من الملابس التي تشغل
عن الدخول في طريقة اهل السير الى الله في منازل السلوك ثم بعد ذلك
الغسل للاحرام ومثاله التطهير من اوساخ العلل الملوثة له في دار الدنيا
ليتاهب للوصول مطهر السر ثم بعد ذلك لبس ثياب الاحرام وهو مثال
للتبرك للاسرار لاثياب الزهد ثم صلاة ركعتين وهو مثال التزام
الذل والتواضع في طريق الله لمن دخلها وترك الكبر لانه لا يليق بطريق
الله ثم بعد ذلك عقد الاحرام والدخول فيه بالنية ومثاله للاسرار
الالتزام لملازمة طريق الله لان من دخل طريقا التزم اموره بالعزم والحزم
ثم بعد ذلك التلبية ومعناه ان الله تعالى دعا الخلق اليه والاعراض
عن غيره فاجابته بلبيك اللهم لبيك اجابة لدعوة الله ومعنى رفع الصوت
بها لان العبد في محل الغيبة لم يصل بعد الى الله فيرفع الصوت بالتلبية
والاستجابة لقوله يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول الاية ومعنى
رفع الصوت بها اشتغال للقواطع الشاغلة كي لا تصده في طريق الله
ليسمعه تعالى فان الله ليس باصم ولا غايب ثم ترك الصيد وقتله •
ومثاله ترك الحيل في اخذ الدنيا وصيدها بالدين ولذلك امر بالزاد

في

في الحج وتزودوا فان خير الزاد التقوى ثم ترك التطيب والرفاهة
وهو مثال ترك الاسراف والاخلال من لوازم طريق الله والركون
الى خدع النفوس بركوب المحظور المحرم ومن واقع شيئا من ذلك في الحج
لزمته الفدية والجزاء ومثاله في طريق الله معاقبة النفوس بالتوبة
ورد المظالم والاقلاع ثم لا يزال كذلك سايحا لكل طريقه
حتى يدخل مكة فيغتسل اغتسالا اخر لدخول مكة وهو مستحب
وهو مثال الاخذ الاهبة من اجل الاحصار بقرب المزور فاذا دخل مكة
دخل من موضع يقال له كداء ومعناه الكد عند مشاهدة المواطن
الملكوتية فاذا دخل مكة امسك عن التلبية لانه استشعر السر
الحضور حين حل بساحة الملك اذ ليس من الادب رفع الصوت عند الكبرا
بحضرتهم ولان حضوره ينقطع عنه الشواغل التي توجب له رفع الصوت
في محل الغيبة ثم بعد ذلك يمشي الى البيت ويبدا بالحجر الاسود يقبله
ومثاله ان من دخل على ملك من الملوك اول ما يسرع الى تقبيل يده
وهذا في سويدا القلب ابين لانه بين اصبعين من اصابع الرحمن
سبحانه وفيه تبدو ايادي المواهب وانوار يد القدرة الازلية
في محل اسرار الغيب ثم يطوف الجسد بالبيت ومثاله في القلب جولان
الاسرار في عالم الملكوت حول العرش ويبدا الطايف بالحجر ثم يعود
اليه ابدا ومن الصحابة وكثير من العلما من يستلم الركن اليماني وغيره
وقد استلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الركن اليماني ايضا فمن
استلم الاركان ولم يقتصر على الحجر اشار الى انه يتملق بركن اليه
بسره في كل شي وينبسط بالاقبال والهش اليه ومن اقتصر على ركن
كان السر اشار الى التعزز والتوقير كما يصنع من يقبل يد ملك اذا
دخل عليه ثم يحف به ويطوف حوله ولا يقرب به تعززا واجلالا
حتى يعود اليه مرة اخرى وصفة الطواف ثلاثة خببا واربعة
مشيا مثاله في الاسرار اشاهد من صافح بيمينه استفرغ الجهد بوقار
في الحف به لما خالطه من الوله ثم ما مضى سيتانس بتسكين الله
بما يوجد من السكينة واللطف والطمانينة والرحمة فيشتغل عما

يرد عليه من الرحمة وفي الخبر ان الطايف بالبيت يخوض في رحمة الله
تعالى ثم ينتحي الى مقام ابرهيم عليه السلام فيصلي فيه ركعتي
الطواف مثاله ان السر حين صافح سبحانه اليد تخللت مودته
اسراره وبراهمه بتوصيله الى المقام من الخلة فتواضع وتجدد ذل
شكر الله على انزاله تلك المنزلة وتوصيله اياها ثم يرجع الى الحجر
الاسود فيقبله كذلك السر يرجع الى اليد فيقبله تقبيل رؤية
المنة التي انزلته منزلة الخلة واليقين ومن راى المنة وقبلها
فقد راى يدا الذي امتن عليه وقبله ثم يخرج الى الصفا للدعا
كذلك السر اذا نزل المقام المتقدم وشاهد المنة بتقبيل اليد
خرج من ذلك الى رتبة ينزل الدعوى وبالفقر من جميع الاحوال
فيصفوا قلبه من دقايق الشرك الخفي واضافة الاشيا الى نفسه
ثم يشرع في المشي الى المروة فيقف عليها ويدعو كدعايه بالصفا
مثاله ان السر صعد عن الاشيا بخروجه منها وارتقى بترقيه على الصفا
منها هرقا بها من صفا سر ان يراه لنفسه مقاما او يرى انه وصل اليه
بصفا سر فيفر الى المروة اذ ليس من المروة اذ يرى شيئا من الاشيا
باستحقاق او يدعي بجحد مالكه وواهبه بل ذلك قبيح فيفر حين
يرى ذلك فيلتجا الى المروة ثم يفر ايضا من المروة الى الصفا فيصفى
سر منها ذاهبا وراجعا يفر من نعوت رسومه وصفات احواله حتى يسعى
بهما سبعا فيخرج منها فان كان معتمرا حلق او قصر وان كان حاجا بقي
على احرامه وستاتي الحلوة في موضعه ان شا الله تعالى وعند ذلك
تمت وظايف القدوم وتسمى هذا طواف القدوم لقدوم الحاج على
البيت وقدوم السر على القديم الذي تقدم اليه بنعمه واستنزله
في جواره حتى خرج من الاشيا اليه ويسمى اهل مكة جيران الله لانهم
قد سكنوا عند بيته كذلك الاسرار اذا قدمت عليه وتمت وظايف
قدومها لم تسكن لاحد الا الى الله تعالى كما قال القايل طلبت لنفسي
موضعا في الملكوت فلم اجد فضربت خيمتي بازا العرش فهذا امثال
النزول بمكة حتى يخرج منها الى عرفات ثم يخرجون من مكة الى عرفات

كذلك الاسرار اذا حلت بجوار الله تعالى استدعاها للعرض عليه
لتعريف ما لها وعليها فتذكرت ما سلف لها فبتذكرها خرجت عن قرب
الجوار الى مشاهدة ما سلف لها وعرفة اعظم مواقف الحج لانه عرض
على الله عز وجل ووقوف بين يديه وينزلون في طريقهم بموضع يقال
له خيف بني كنانة في منى حيث نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قبل
عرفة مثاله ان الاسرار اذا تهيات للعرض على الله تعالى اعترضها
في الطريق الخوف منه لا بد ولا محالة لكن الخيف محله في منى كذلك الا
الاسرار اذا خافت لم تقنط وتمنت على الله بحسن الظن عظيم المغفرة
والوسايل ثم يرحلون الى عرفة كذلك السر اذا دخل مقام الخوف
وحسن الظن بالتمني عليه والرجا فيه لاح له معرفة الله بما هو له اهل
فلا يزال متوجها حتى يتنزل بها فينزلون عرفة وينتظرون زوال
الشمس للوقوف تشبيها بانتظار الاسرار حين حلت بمعرفة الله بالخوف
والرجا لما يرد عليها منه فاذا زالت الشمس اخذ الامام في الخطبة
ومثاله في السر الانذار بمجي تجلي الملك الديان ليتهيوا لقدومه عليهم
ويعلمهم الادب بين يديه وكيف يقفون له بالاجلال والتعظيم
ثم ياخذون في الصلاة بعد الخطبة وكذلك السر اذا تجلى له ظهور
الملك خضع وسجد لجلاله وهي صلاة تحية لتجليه الا انها مفرو ضة
لانه لم يظهر لهما الا في وقت فرضه الواجب له عليهم لانه موطن عرض
ومحاسبة فلا يقدم احد على الهدية التي هي النافلة لهيبة العرض
والحساب ويقدمون العصر الى الظهر ويجمعونهما لانهم قد قربوا بين يدي
الله للمحاسبة والعرض لا يشتغل نفسه في المحاسبة وطلب الخلاص
ثم تقطعه بين يدي مالك الملوك فلم تكن الحكمة الا في جمع الصلاتين
لهذه العلة فاذا اتمت الصلاة اخذوا في الوقوف والدعا والاقرار
بالذنوب الى غروب الشمس كذلك الاسرار اذا عرفها الله في مقام هيبته
تجلى ما لها وما عليها وما عمل في حقه وما واقع العبد في عمره كله
حتى لا يبقى شي من جناياته الا تذكرها السر في ذلك المقام فيقر بها
لباريه فلا يزال يدعو ويتضرع حتى يجد انا وسع الباري تعالى

وكرّم صنعه وكشف ستره فيحدا ثا ومعنيها اوحي الله الي ملايكته
في يوم عرفة ورد انه تعالي يشرف علي اهل عرفة فينظر اليهم فيقول
لملايكته انظروا الي عبيدي شعثا غبرا الحدب الي اخره فاذا غابت
الشمس نفروا الي المزدلفة وذلك اشارة في السر الي غيبة حرارة المحاسبة
والتزمين عن الاسرار والارواح والنفوس ووجد الفرح بغيبته •
من كشف العورات فيه ومجانات النفوس فاذا اسبل الليل عليهم
لبسه البيت الاسرار ارديته الستر الكثيف للقبايح وتغفرت بمغافر
المغفرة فيتوجهون الي المزدلفة ويصلون بها المغرب والعشا جميعا •
بعد مغيب الشفق لانه حينيذ يتم ضوا الشمس بالكلية ويذهب حرها
وكذلك بكمال التابس الستر الكثيف ووجود برد العفو يصل العبد
الي منازل الزلف والزلفي من الله تعالي وكذلك الحاج يصل الي مزدلفة
بعد ذهاب الشفق فاذا وصلوا الي المزدلفة جمعوا بين الصلاتين
لانهم حينيذ يكمل تطهيرهم عن المخالفات بزوال الجميع حرارة تعب الكد والتعب
من ثقل المحاسبة وكانت السنة تاخير صلاة المغرب وجمعها مع العشا
لهذه اللطيفة لتكون الصلاة بعد كمال الطهارة وفراغ السر من الكد
والتعب الذي تقدم ذكره ولذلك يغتسل الحاج بالمزدلفة وهو من
الاغسال المستحبة في اعمال الحج وهذا الغسل تاهب لنزول منزلة
الزلفي والزلفي منزلة رفيعة من القرب وما اموالكم ولا اولادكم بالتي
تقربكم عندنا زلفي ثم يبيتون بمزدلفة طول ليلتهم فاذا لاح الفجر صلوا
الصبح ثم يقفون بالمشعر الحرام الي قرب طلوع الشمس كذلك الاسرار
اذا طهرت ونزلت محل القرب ووجدت بردا لعفو ولبست به ازديته
الستر نظرت متذكرة بشعورها الي محارم الله وذكرته عند امره ونهيه
وهذا الذكر من افضل الاذكار اعني ذكر الله سبحانه وتعالي عند امره
ونهيه اذا ذكرته الاسرار امره ونهيه شعرت بالمحارم والنواهي فهو
ذكر في محل شعورها كي لا تتدنس بعد التطهير فلهذا كان الوقوف
بالمشعر الحرام بعد المزدلفة ثم يدفع الحاج الي مني ويشرع ببطن محسر
ومثاله ان الاسرار اذا تذكرت بالمشعر الحرام امره ونهيه في محل شعورها

نفرت من ذلك وهربت عن ان تقع فيها اعني المحرمات ببطن محسر
الذي يشرع الحاج المشي فيه لان السر يتذكر المحارم فيفر عنها ويتحسر
علي ما وقع منها ثم يرمي الحاج جمرة العقبة من اسفلها لان موضع
الحسرات في السر سفل واما رميه جمرة العقبة بعد هروبه من المشعر
وخروجه من بطن محسر فمثاله ان السر اذا اشعر بتذكر المحارم وهرب منها
وتحسر عليها تذكر الذي اوقعه في المخالفات فرآه بسره وهو ابليس
لانه مع المحارم لا يفارقها اعني ابليس وعند رؤية السر ابليس يوسوس
اليه ويذكره الرجوع اليها فيرجمه رجما بالغيب برده وسا وسه عليه التي
هي جمرات من جمرات جهنم فيحرقه بردها عليه في السر ويغضب عليه لله
والغضب جمرة تتوقد ولذلك سميت جمرات ثم يذبح اذا كان معه هدي
ومثاله انه اذا رمي وجه ابليس بجمراته تذكر من نفسه من يقبل وحي
الشيطان فاذا هي الصفات البهيمية التي لا تدري ما يراد بها
فيخدعها الشيطان بيلادتها فيذكيها بالنحر والذبح كي يحصل لها الذكا
والفطنة بذكاتها ثم يحلق راسه او يقصر منه ومثاله في السر ان
الدما النفسية البهيمية اذا اهريقت في الله تعالي لتضييق مجاري
العدو فيها قطع العلايق عنه التي يتعلق العدو بها وهي النواصي
التي يعقد عليها بليل الغفلة ونوم الحياة الدنيا عليك ليل طويل
اي نعش كثيرا فارقد واضلا الي اغراضك فاذا قطع العلايق من رمي
فقد تحرم من ابليس بجز ناصية الرق له ولم يبق له من الحج الا طواف
الافاضة بالبيت العتيق فيتوجه الحاج الي طواف الافاضة بعد
رمي جمرة العقبة يوم العيد كذلك السر اذا تخلل من العلايق توجه
حرا الي سيده فيطوف به ثم يرجع الحاج الي مني فيقيم بها ثلاثة ايام
او يومين ليتم رمي الجمار والنحر والذبح ايام التشريق ومثاله في السر
ان الاسرار اذا طافت طواف الافاضة بعد حريتها استشعرت
الرجوع الي مباحاتها فترجع الي مني فيستقصي تمام رمي الجمار لان النفوس
اذا رجعت الي المباحات من الحج الابدان تمني الرجوع الي المحرمات
فيستقصي ذبحها ويشرق بين لحومها ويرمي بقيته الجمار مرة بعد مرة

تاكيداً الجبر للنفوس بزمام العفاف اذا رجعت الى اوطان المباحات
فاذا تمت ايام التشريق فقد تم حجه فيطوف طواف الوداع ويرجع
الى بلاده ومثاله ان الشراذا تمت وظايف حجه ولم يكن للبشر به بد
من الرجوع الى اغراضها ومباحاتها طاف بربه عز وجل طواف المحب
اذا ودع محبوبه وترك سره عنده فهذا الطواف طواف تذكرة بالرجوع
اليه وان كان ظاهره انه وداع وفرقة فانه اعظم للحرمة واشد تاكيدا
للمحبة كما قال صلى الله عليه وسلم زرغبا تزدد حبا ولان كثرة الحلول
عند المحبوب توجب كثرة الانس والادلال ونحا فعليه ان يتبع في
مخالفته بكثرة الادلال ولان النفوس غلل ترك اغراضها فان لم ترجع
وواقعت محظورا بحضرة الملك المحبوب في جواره وجب طردها عن جواره
لان الذنب يضاعف بحضرة الملك العظيم بقدر حرمته ولذلك ورد
في الخبران الذنوب تضاعف بمكة كما تضاعف الحسنات لهذه العلة
التي ذكرتك بها فافهم ولذلك ورد في الاثار درت رجل بخراسان
اويلد عن خراسان اقرب الى هذا البيت ممن هو ساكن به اوكما ورد
واعلم ان الحج على ثلاثة اضرب افراد بالحج وقران بالحج والعمرة معا
وتمتع بالعمرة الى ايام الحج ثم يحج والحج بالافراد اقواها واصعبها والتمتع
والقران ايسر وقد اختلف في الكل ايها افضل وقد ذكر الله تعالى
الثلاثة انواع فقال في القران واتموا الحج والعمرة لله وقال في التمتع
فمن تمتع بالعمرة الى الحج وقال في الحج ولله على الناس حج البيت لانه الرتبه
فالحج مفردا في اسرار الحج الخروج من امور الدنيا بالكلية بالقصد
الى الله تعالى دون تعرج على شيء من الاشيا دونه والتضييق الكلي
على النفس طول مدة الحياة الدنيا وهذا لا يطيقه الا الافراد لانه
افراد لافراد وهو انسب شي بالموت وما وراه من امور القيمة والاخرة
والعمرة ماخوذة من الزيارة وفي لفظها معنى من العمرة وهو ابقاء رمق
الحياة على النفس لانه لولاها لم تعمر الحياة الدنيا ولذلك قال تعالى
فمن تمتع بالعمرة والتمتع هو الاستمتاع بالمباحات الشرعية الى ايام الحج
كما قال تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج ثم تعود الى المباحات

وكذلك

القران الاشارة فيه الى اقتران الرفق مع الشدة كما قيل الايمان
شدة في لين وسماحة في تعنيف وقد ورد في الخبر ان الله تعالى يحب ان
تؤتى رخصه كما يحب ان تؤتى عزايمه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الصحيح في حجته لو استقبلت من امري ما استدبرت لما سقت الهدي
ولجعلتها عمرة فمن كان منكم ليس معه هدي فليحل وليجعلها عمرة فقيل له
العامنا هذا ام للابد فشبك رسول الله صلى الله عليه وسلم اصابعه
وقال دخلت العمرة في الحج هكذا انه قال لا بل للابد وكان عليه السلام
افرد الحج هو وعلي بن ابي طالب رضي الله عنه لانه اقوى الاقويا وقد اهل
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج والعمرة معا روى انس رضي الله عنه
قال صلى النبي صلى الله عليه وسلم بذي الحليفة وبات بها حتى اصبح ثم ركب
راحلته حتى استوت به على البيدا حمد الله وسبح وكبر ثم اهل بحج وعمرة
واهل الناس بهما وهذا كله ابقا على النفوس ورحمة وسماحة والحمد
لله رب العالمين لكن يشترط ترك الحرام وترك الخروج الى الاسراف
الذي لا يحبه الله تعالى ولذلك استحبت الزيارة بعد الحج الى قبر
النبي صلى الله عليه وسلم لان الشراذا طاف طواف الوداع كما تقدم
ورجع الى اوطان مباحاته يكون رجوعه الى مباحاته بالسنة لا باتباع
الهوى لان النبي صلى الله عليه وسلم هو راس السنة ومنه انفرعت
بل هو السنة كلها فلهذا استحبت زيارته صلى الله عليه وسلم بعد
قضا الحج ليكون رجوعه الى سنته كما تقدم فهذه اسرار الحكمة في الحج
مبنية ظاهرا وباطنا في المقامات الثلاثة من الاسلام والايمان
والاحسان نسال الله الكريم ان لا يجعلها علينا حجة وان يكتب لنا في
كل خير حظا ونصيبا بمنه وفضله وصلى الله على سيدنا محمد النبي واله
وصحبه وسلم

الشعبة التاسعة

الجهاد اما كونه من شعب
الاسلام والايمان فلا يخفى وقد ورد في الحديث من لقي الله بغير اثر
جهاد لقي الله تعالى وفي ايمانه ثلمة اشارة الى نقصان هذه الشعبة
وهو في حديث علي الطويل دعامة من دعايم الايمان حيث قال بني الايمان
على اربع دعايم على الصبر واليقين والعدل والجهاد فجعله دعامة

من دعائه وغير ذلك من الشواهد والاجماع منعقد على انه فرض من ٥
الفروض الا انهم قالوا على الكفاية يحمله بعض عن بعض وهذا الاصل لا يخرجه
عن كونه متعلقا على الكل فانه لو غشي العدو الارض كلها لكان فرضا
متعينا على جميع اهل الارض والجهاد نصرة الاسلام به اعزه الله واذا ترك
ذل اهل الاسلام بتركه

فصل واعلم ان الجهاد على ضربين
ظاهر وباطن والباطن على ضربين جهاد النفس والعدو في مقام الايمان
وجهاد الروح والعقل في مكابدة الطريق والفكر واقتباس العلم في مقامات
الاحسان فالظاهر جهاد الكفار والمنافقين والمحاربين في اقطار الارض
ظاهرا والباطن جهاد الشيطان والنفوس القاطعة عن الله عز
وجل وهو الجهاد الاكبر كما ورد في الخبر جئتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد
الاكبر وهذا الجهاد فرض متعين على كل خلق في كل وقت كما قال تعالى
ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا قال تعالى فقاتل في سبيل الله
لا تكلف الا نفسك والمقام الاحساني في قوله تعالى والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا وغير ذلك مما يطول ذكره ومن فروض الجهاد
حسن النية فيه وذلك ان تكون كلمة الله هي العليا وان يكون في
المجاهد قوة على القتال قال الله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم
من قوة ومن رباط الخيل واخذ العدة وهو السلاح والثبات عند
اللقاء مع الامام وترك الغلول الى غير ذلك من واجباته فاول امور
الجهاد بعد التوجه الى العدو ان يدعوا الى الاسلام فان قبلوه والا
قوتلوا الا ان يكونوا ممن قد بلغتهم الدعوة الى الاسلام او تحملوا
بالقتال فيقاتلوا ومثال ذلك في جهاد الباطن ان النفس الامارة
بالسوء تدعى اولا الى طاعة الله فان ابت وجب قتالها وصدها
عن ارتكاب المنهي واما الشيطان فانه قد بلغته الدعوة من اول
الدنيا الى اخرها وقد يئس الكل من ايمانه فلا سبيل الى دعوته بل ٥
معاجلته بالجهاد حيث وجد ولفظ الجهاد مشتق من الجهد وهي
المشقة والتعب فاما احتمال المشقة فيه ظاهرا فلا يخفى فانه
سفر عن الوطن والسفر قطعة من العذاب ولقاء العدو والمخاطرة

بالنفس في مقابلته فلذلك عظمت درجة المجاهد في سبيل الله لعظيم
ما يلقى وكثرت حسناته كما ورد في الحديث ان اعمال البر كلها في الجهاد
في سبيل الله كتفلة في بحر لجي او كما ورد لانه يقاتل عن كل من وراءه من
المسلمين فلولا الجهاد لوصل العدو الى من وراءه من المسلمين فكانه
ناب مناب الكل **واعلم** ان المراد من الجهاد ما ذكر الله في قوله
وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ظاهرا وباطنا
اي حتى لا يبقى تدين لسواه فان الرب رب واحد سبحانه والملك كله
ملكه فوجب ان لا يكون دين الا له وان يكون الخلق كلهم على قلب
واحد ومذهب واحد وهذا هو الواجب على جميع المخلوقات فمن
خالف هذا ظاهرا او باطنا فقد انحاز وافترق واذا انحاز وافترق
فقد ظهر الحد بينه وبين من انحاز عنه من اهل الاسلام وهذا الحد
هو الثغر الذي بين اهل الاسلام وبين اهل الكفر فوجب قتالهم
حتى يرجعوا كلهم على مذهب واحد او يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون
ويقنع منهم بذلك لانهم ليس بقاؤهم على دينهم مع اعطاء الجزية الا اخزيا
لهم اذ لم يكن لهم في معبوداتهم من يغيثهم فدينهم ضحكة بهم فكانه لم يعبد
في الوجود الا الله تعالى فلهذه العلة قنع من الكفار بالجزية وان لم
يرجعوا الى الاسلام وان لم يعطوا الجزية قوتلوا وقتلوا حتى يتطهر منهم
ملك الله ولا يبقى لهم اثر اذ ليس لمعبوداتهم التي ادعوها وجود ولا
اثر ولما لم يكن للالهة التي ادعوها حقيقة ولا وجود حرم الفرار من الزحف
لانهم ليس لهم في باطنهم من ينصرهم والمؤمنون الههم الحق سبحانه معهم
حيث ما توجهوا وجدوا ربهم معهم وهو ناصرهم فلا غالب لهم الا اذا
فعلوا افعال الكفرة والفجار فدخل معهم صفات العدو في بواطنهم
فداخلهم بعض الرعب الذي في بواطن الكفرة من وحشة الجحد وبعد
فساد المسلمين يجد العدو لهم سبيلا ومدخلا الا ترى الى يوم حنين
حيث وصف الله تعالى حال المعجبين منهم بالكثرة فقال عز وجل ويوم
حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا فلولا العجب لما اصيبوا
ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم بريا منه ونزهه الله ممن كان حوله ذلك

اليوم انزل الله سكينته ونصره عليه وهزم الله المشركين وكذلك يوم
احد لما عصوا الرسول فيما امرهم به وجد العدو مدخلا بذلك العصيان
فكان ما كان فاسلط على اهل الاسلام في كل وقت ما سلط الا بعصيانهم
احوالهم فالذي يجب ان يكون حال المسلمين مع الكافرين ثلاثة اشيا قتالهم
حتى يرجعوا الى الدين او قتالهم حتى يعطوا الجزية او قتلهم وسبائهم
واقل من ذلك كله ان يكون الجهاد قايما بيننا وبينهم بسد الثغور
وتثقيف الحصون وان احتيج الى الصلح من الضعف فعل لاجل الخدعة
بهم في المستقبل والحرب خدعة لان الكفر والايمان ضدان مثل الليل
والنهار فكما لا يقوم الليل لوجود النهار كذلك الكفر لا يقوم لوجود
الايمان اذ الشيا الا اذا غابت انوار الايمان او ضعفت ظهر سلطان
الليل بقدر غيبته وضعفه فمثال ذلك في ظاهر الازمان قبل مبعث
النبي صلى الله عليه وسلم كانت الارض كلها ظلمة مطبقة وانوار الايمان
غايبة عن الارض موجودة عند الملايكة واهل الاخرة في الغيب فلما
اظهر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بمكة طلعت بظهوره شمس الايمان
بمكة فاستنار به من قبل من نوره بالايمان به فلم يزل الدين يظهر شيا
شيا ولكن بحكم الضعف لانه طالع في سحاب متراكم بعضه على بعض كما
قال الله تعالى او كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من
فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض فاظهار النبي صلى الله عليه وسلم
الايمان بمكة ودعوة الناس اليه بمنزلة ظهور نور الشمس ورد الكفار
عليه وامتحانهم له ولاصحابه بمنزلة حجب السحاب المتراكم المظلم لنور
الشمس في اليوم الشديد السحاب المظلم فلم يزل كذلك مرة يظهر ويختفي
حتى هاجر من هاجر من اصحابه وهاجر هو صلى الله عليه وسلم وبقي
المستضعفون بمكة حتى ظهر النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة والفتح
الاقطار شيا بعد شي حتى فتح مكة واتصل النور والفتح حتى توفي
وبقي الفتح ظاهرا حتى عم الارض بوجود نوره عند خلفايه والقايمين
به من بعده فلما ضعف الايمان الذي هو النور بقبضه عن الخلق
لمخالفاتهم ظهر سلطان الليل حتى ياتي وعد الله وهذا المثل المضروب

للنبي

للنبي صلى الله عليه وسلم بالشمس موجود في قول الله تعالى يا ايها النبي انا
ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا
فسماه سراجا منيرا والسراج هو الشمس كما قال تعالى وجعل الشمس
سراجا وجهاد العدو ظاهرا بالسيف والرمح والرمي معلوم وشروطه
موجودة في كتب الفقه من طلبها وجدها وذلك الاسلام وجهاد
الشيطان والنفوس المتصفة باخلاق الشياطين والكفرة والمنا فقين
هو الذي خفي لبطونه على الخلق وصعب على الجم الغفير فغار عليهم
العدو لتسبيب ثغوره فاسرهم واوثقهم بحبال غروره فلا بد من تبيين
معانيه ان شا الله تعالى فالعدو الباطن هو الشيطان واخلاق
النفوس وصفاتها واسلحتهم الوساوس والى هذا الجهاد الاشارة
بقوله صلى الله عليه وسلم المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله والكلام
في هذا الباب يستدعي بيان احكام الخواطر الخاطرة على القلب
فانها هي الاسلحة وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم النظرة سهم من
سهام ابليس وانما رمى الناظر بها حين وسوس له فقال له انظر فرماه
اولا بالخطرة فقبلها فنفذت مقاتله حتى وصلت الى عينيه
فنظر فقتلت صفات الصيانة والعفاف من العبد فاول ما يجب
ان يفهم ان جسد الانسان خلق للنفس وصفاتها بمنزلة الوطن والمدينة
وهي باطنة فيه والدنيا محل الجسد وهي وطنه والنفس تتطلع
الى الدنيا على طرق الحواس والجوارح والروح باطنها في غيب النفس
مما يلي الاخرة التي هي محل الملايكة عليهم السلام والشياطين غيبية
وجود الدنيا فقد حصل الانسان بجملته بين الدنيا والاخرة والملايكة
والشياطين والله سبحانه محيط بالجميع والخواطر نابية من جميع جهاته
ظاهرا وباطنا تدعوه الى الخير والشر والجنود متصادمة فيه
متقاتلة لا تفتر طرفة عين والله يويد بنصره من يشا والخواطر
في الكلام فالدنيا تتزين للنفس بزينتها وتدعو الخلق اليها والى
الرغبة فيها وعمارتها والشغل بها وكذلك الاخرة في مقابلتها تدعو
الخلق اليها والى الاقبال عليها والاعراض عن الدنيا والشيطان يدعو

الى ما هو عليه من المخالفات والعصيان والملك يدعوا الى ما هو عليه
من الطاعة وصفات الايمان والروح الذي صفته العقل ينظر ويدعوا
الى ما ظهر له مما استحسنه واختاره والنفس يدعوا وتامر بما فيه غرضها
وارادتها والبارى سبحانه وتعالى يحرك الكل ومنه ياتى كل خاطر وقول
وهذه كلها وسايط وللبارى خاطر من غير واسطة وهو التوفيق لكنه
يقوى فى حق قوم ويضعف فى حق قوم اخرين على حسب ارادته تعالى فى قوته
وضعفه فقد صارت الخواطر سبعة لا ثامن لها **اما الخاطر الاول**
وهو خاطر الدنيا فانه من نوع لسان الحال بل هو انطق من لسان المقال
ويقابله من الخواطر السبع الخاطر الايماني الاخراوي فان الايمان يذكر
بالاخرة ويرغب فيها وينسى الدنيا ويزهد فيها وضده الدنياوي فانه
يذكر بالدنيا ويرغب فيها وينسى الاخرة ويزهد فيها وهما ضدان بمنزلة
ضرتين ان ارضيت احديهما اسخطت الاخرى الا ان يكون ما ياخذ من
الدنيا ركابا للاخرة فانه يعود اخرة فان الركاب ما يوصل الى المنزل
كما قال الله تعالى فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب وهى الابل المركوبة
والبغل المركوب به ايضا ركاب وكل ما ركب ليوصل الى غرض الراكب فهو ركاب
والمراد بها ان كل خاطر يخطر من امور الدنيا ينظر فان كان معينا للاخرة
قبل وركب وان كان منسيا للاخرة مشغلا عنها طرد ولم يقبل وهذا
الخاطر الدنياوي ينحصر فى ثلاثة اقسام **الاول** التذكير بما مضى
وفات من امور الدنيا التى لا تدارك لها لانه عرض قد زال فالقابل لهذا
الخاطر والمستمع له من احمق الناس لانه يوكد الحزن على الفائتات
والاسف على الماضيات التى لا مرجع لها ابدا **والقسم الثاني** التذكير
بما ياتى من امور الدنيا التى ما يدرى الانسان هل يصلها ام لا يصلها
والقابل لهذا الخاطر والمستمع له داخل فى التدبير للامور وباسط
للامل الكاذب المغرور والمستغرق فيه ايضا احمق لانه طالب لما
لا يدرك واذا ادرك بعضه فهو تارك لما ادركه **والقسم الثالث**
التذكير بامور الدنيا الحاضرة واخذها والدخول فى العمل لها ومن هذا
الخاطر يتولد الحرص وهو سبب عمارة الحياة الدنيا المنسى للحياة

مطلب خاطر الدنيا

الاخرة

الاخرة والوجه فى الخلاص من غرور هذه الخواطر ان ينظر ويعرض
على معيار العلم النافع الاخراوي فيقبل منها ما يحتاج اليه لله
وللاخرة وغير ذلك لغو يطرح ولا ينظر اليه فيكون عند ذلك مجاهدا
فى سبيل الله غانما من فضل الله **واما الخاطر الثاني** الذى هو الايماني
الاخراوي فانه مذكر بالمؤمنات الغائبات على اختلاف انواعها وينقسم
على ثلاثة اقسام **القسم الاول** خاطر ايماني مذكر بما قضى على
العبد فى الازل الماضية وكتب له فى الاقدار السابقة من امور
الدنيا والاخرة وهو خاطر محمود فانه مذكر بامور الدنيا وما سبق للعبد
منها ولذا العلم بان العبد لا يقدر ان يزيد فيها ولا ينقص منها فيستفيد
من هذا الخاطر الرضى والزهد والتوكل وغير ذلك من الاحوال المحمودة
وما ذكره بامور ما سبق له من امور الاخرة ولد حال الخوف بما سبق ويجمع
الهم لله سبحانه وغير ذلك مما لا ينحصر من احوال الناظرين للسابقة
والقسم الثاني من الخواطر الايمانية يذكر العبد بما يلقى فى المال
وما فى المعاد من الخيرات والاهوال فيولد الفكر فيما بعد الموت
من امور البرزخ والحشر والميزان والصراط والجنة والنار والحساب
والغبن والخسران والفوز والرجحان ويحصل من هذا الخاطر العلم
النافع واليقين والاخلاص فى العلوم والاعمال والنية المحمودة
وغير ذلك من احوال الصالحين المشتغلين بما يلقون امامهم من امور
الدار الاخرة **والقسم الثالث** من الخواطر الايمانية يذكر العبد
بما هو متلبس به من امور الايمان وهل هو بصفة المؤمنين حقا ام لا
وهل يرضى ان يفجاه الموت على ما هو عليه ام لا فيولد هذا الخاطر
التفتيش والبحث عن ما هو عليه العبد وترك ما لا ينبغى واخذ ما
ينبغى والاستعداد للموت قبل نزوله بكل محمود من العلوم والاعمال
والصفات والاحوال فهذا الخاطر الايماني منقسم على ثلاثة لا
رابع لها والخاطر الدنياوي منقسم على ثلاثة لا رابع لها وكل واحد
مضاد لصاحبه ومنافيا بل له اذا تاملتهما وجدتهما ضدين متنافيين
على الدوام والله يؤيد بنصره من يشاء **الخاطر الثالث** من الخواطر

السبعة خاطر العدو ابليس لعنه الله فانه على ثلاثة انواع ايضا النوع
الواحد انه ينهى عن فعل الخير كله من جميع جهاته وهو معنى قوله تعالى
لاقعدن لهم صراطك المستقيم فهو يبتدا التوجه ناهيا عن المعروف في العقايد
بالتكذيب والتشكيك وفي الاعمال بالصد عنها ويصدكم عن ذكر الله
وعن الصلاة والنوع الثاني الامر بالمنكر والفحشا وجميع انواع الشر
فان قبل منه النوعان والا اخذ في الخاطر الثالث وهو الاحتيال
في افساد معاني الخير وفتح ابواب الشر والاعانة والتحاض على خاطر
الدنيا والتثبيط والكسل في خاطر الايمان وغيره لدني من الخواطر
المحمودة فخواطره نعوذ بالله منه لا تخلو من ثلاثة الامر بالمنكر والنهي
عن المعروف والحيلة في افساد الخير ليوقع في الشر فهو شر كله لا تدعوا
الا اليه **الخاطر الرابع** من الخواطر السبعة خاطر الملك وهو
ضد خاطر الشيطان لان الملك ضد الشيطان وهو ايضا على ثلاثة
انواع النوع الواحد امر بالمعروف كله والنوع الثاني نهي عن المنكر كله
فان قبل منه فهو مراده والا اخذ في ابطال معاني الشر والتثبيت
في حفظ معاني الخير ان لا تبطل والحض على تقوية خاطر الايمان ۞
والخواطر المحمودة وغيره وحل اضدادها فان الملك خير كله صفته العفة
والشيطان شر كله صفته الجراة فكل واحد منهما على ضد صاحبه ما
يعمله هذا يتركه هذا وما يتركه هذا يعمله هذا وما يصلح هذا يفسد
هذا وما يفسد هذا يصلح هذا وما يحرض عليه هذا يكسل عنه هذا
وهكذا دابهما ابدا الى الوقت المعلوم **الخاطر الخامس** من
الخواطر السبعة خاطر النفس وهو على ثلاثة انواع ايضا وذلك ان
النفس لها طبيعتان مختلفتان في خلقتها الطبيعة الواحدة طبيعة
شهوانية والاخرى طبيعة ملكية سلطانية فبالصفة الشهوانية
تدعوا ابدا الى تناول اغراضها والاتساع فيها الى غير حد ان لم يكن
لها مانع يضبطها دينيا وغير ديني من مرض او غيره فهذا خاطرها الاول
محله القوة الشهوانية وبالصفة الاخرى تدعوا الى العلو والظهور
والقهر والاستعلا والتنزه وطلبه والمدح والثنا وما في هذا المعنى

وهذا

وهذا خاطرها الثاني محله القوة المتملكة السلطانية وقد انتهى
هذا الخاطر باقوام الى ان ادعوا الربوبية واستعبدوا غيرهم وقد
انتهى الخاطر الاخر الشهواني باقوام الى ان عبدوا غيرهم من المستحبات
المستحسنات واما الخاطر الثالث فانه متقلب مع جميع الخواطر التي
ياتيها من غير هذين الصفتين فمرة تكون مع خاطر الدنيا بالتمني لما تلتفت
اليها من غرورها وتارة مع الشيطان بتسويلها لطلب تنفيذ ما يامرها
به وتارة مع خاطر الايمان بالكراهة والدعوة والتثاقل في امور
المعاد كله وتارة مع الملك بقولها سوف سوف وهكذا مع كل خاطر
يرد عليها جبانة في الخير شجاعة في الشر فان حملت على الشرع وخولفت
حتى طاعت عنده اذعنت من اجل غيرها لا من اجلها فلذلك قيل النفس
لا تصدق وجعلوا اخلاصها كذبا وتبريها دعوى وجميع ما تحمل عليه
وان كانت مطمئنة ولوامة ومرحومة لا ينسب شي اليها لانها محمولة
عليه لو تركت لعادت الى طبعها **الخاطر السادس** وهو
خاطر الروح العقل وهو خاطر التدبير لامر هذه المملكة والنظر
في جميع الخواطر الواردة عليه من جميع الجهات وفي الخبر لا عقل ۞
كالتدبير وفيه توجد الفهوم والعلوم الربانية وهذا الشخص هو
الملك واليه يجب ان ترجع امور المملكة كلها فيختار ما امره الشرع
ان يختاره ويترك ما امره الشرع ان يتركه ويستحسن ما امره الشرع ان
يستحسن ويستقبح ما امره الشرع ان يستقبح وصفة خاطر هذا الملك
التثبت والنظر في جميع ما يرد عليه من الخواطر فينفذ منها ما يجب
تنفيذه ويرد ما يجب رده وخواطر هذا الجوهر الشريف وان كثرت
لا تخلو ايضا من ثلاثة انواع النوع الاول الامر بالتنزه عن رذايل
الاخلاق والاعمال والاحوال وسفسافها ظاهرا وباطنا النوع الثاني
الامر بالاتصاف بمحاسن الاخلاق والاعمال والاحوال واعاليها
ظاهرا وباطنا والخاطر الثالث الامر باعطا جميع اهل مملكته حقوقهم
وتنفيذ الاحكام الشرعية فيهم **فصل** فاما الخاطر
السابع وبه تمت الخواطر فهو خاطر الباري تعالى وهو على ضربين

الضرب الاول يأتي بواسطة وهو جميع ما تقدم من الخواطر
كلها فانها مضافة الى غيره مجازا واليه حقيقة الا ان هذا الخاطر
يأتي من الله بواسطة ملك او روح او نفس او شيطان او دنيا او اخرى
ولذلك لم يكن فيه حجة به قامت الحجة على الخلق لانجبارهم على الاختيار
والضرب الثاني من خاطر الحق هو ما ورد على سر العبد بحكم الجبر
ولا يمكن الانفكاك عنه وفيه توجد الفراسات لاهل المعرفة وفيه يوجد
الحيا والانكسار والذل للباري تعالى فان الباري سبحانه ما تجلى لشي
الا خضع له وخشع ويقوى في حق قوم ويضعف في حق اخرين فهذه جملة
الخواطر ترد على قلب العبد مع كل خطرة فاي نوع منها قوي وغلب
حكم على العبد وتملك القلب بقدر غلبته وقوته **وهذا** الجهاد
قد عم المقامات كلها مقام الاسلام والايمان والاحسان وعم النفس
والروح والجسد وهو فرض واجب على الاعيان ما دام الانسان في
الدنيا الا انه اذا غلب حزب الله على حزب الشيطان وملك الروح والقلب
النفس انحاز العدو عن القلب ولم يكن له في بنية الانسان مسكن ولا
مأوى وكان خارجا عن مملكة الروح ولم يبق له فيها سلطان ولا حكم فغاية
ما يقدر عليه بعد هذه الحالة ان يغير على اطراف مملكة الروح وثغور
الجوارح بكتائب وساوسه وتربصاته فينبغي اذ ذاك سد الثغور بعضها
وكفها وحراستها وغلقها بالمراقبة ومتى لاحت غارة للعدو كرت عليها
جنود الكراهة والمخالفة **وفي مثل هذا** العبد ورد الخبر
خير الناس رجل اخذ بعنان فرسه في سبيل الله الى اخر الحديث وقال
في حديث اخر في هذا المعنى مثل المومن مثل الفرس يجول في آخيته ثم
يرجع والاخية هو الطِّوَل الذي يربط في رجل الفرس فيرعى من كل
جانب فاذا اراد ان يخرج من الحد الذي ربطته فيه الاخية جذبه
الحبل فرده وهكذا المومن اذا ركب الروح النفس والجسد وكان مركوبا
بعينه انه لما كان مقيدا تحت حكمه فاذا ارسله في المباحات سرح
فاذا اشرف على الخروج جذبته الاخية فرجع الى حكمه وفي مثل هذا
الفرس قال صلى الله عليه وسلم من خير معاش الناس لهم رجل ممسك

بعنان

بعنان فرسه في سبيل الله يطير على متنه كلما سمع هيعة او فزعة
طار على متنه يبتغي الموت والقتل مظانه الحديث ولذلك في الاخبار
ان الخيل ثلاثة فرس للرحمن وفرس للانسان وفرس للشيطان وورد
ايضا الخيل ثلاثة لرجل اجر ولرجل ستر ولرجل وزر وهكذا كل ما
ورد في الجهاد من المعاني وهيأته ظاهر فله حقيقة في الجهاد الاكبر
في مقام الايمان والاحسان وانما نبهناك على هذا لتتفطن لمعاينة
الباقية ان شا الله تعالى **ومن** حقائق الجهاد في مقام الاحسان
ما تحمله الارواح والعقول من الجهد ومن تجلي الحقيقة ومكابدة
الفكر الذي ساعة منه خير من عبادة سنة وغير ذلك من الاحوال التي
لا يطيقها الا الافراد وفرعها النجم العفير في مكابدة سلوك طريق
الحق فافهم **وانما يصل** الانسان الى هذه الدرجة اذا فتح الله
عليه قلبه عنوة كما فتح الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم مكة
ولا يصل الى هذه الدرجة الا بالهجرة وجهاد النفس وهي شعبة من
شعب الايمان فان الانسان لما خلق وربا على عادته وجبلاته
واخلاقه وتمشيا طينه الموكلة به فكان غرز الجبلات والاخلاق
الجهل والشياطين فيه مثلا لساكني المشركين بمكة فاذا ظهر وقت
التكليف الشرعي فيه كان بمنزلة ظهور الشارع محمد صلى الله عليه وسلم
بمكة فيظهر الايمان شيئا شيئا وتظهر عليه صفات الجهل والاخلاق
والصفات والوساوس الشيطانية فلا تتركه منها الا الحق فيهجر الشوق
ويفر الى مواطن الديانة التي هي بمنزلة المدينة التي هاجر اليها
النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم فيؤيده الله بصفات
النصر والعون والفتوة التي هي في معنى الانصار وانس المدينة
يثرب والتثريب هو التخريج والتعيير والتوبيخ فيفر العبد
من الركون الى مهاجر عنه من حزب الشيطان الى مواطن الدين من
جوارحه ولا يزال يهاجر اليه كل ناصر له ويأوي كل من هاجر اليه
من خاطر او صفة او عمل ويترتب على نفسه واخلاقه ويضيق عليها
بالجهاد والغازات مرة بعد مرة حتى يهلك الله صفة الجهل التي هي

في اعتبار ابي جهل ومن تابع الجهل من صفات الانسان الذين هم مثل اتباع ابي جهل في مواطن المبادرة للجهاد الذي هو في اعتبار بدر فهو لا يزال يغزى بجنود انصار الله على من بغى حتى يدخل الشرع قلبه عنوة اي بالقهر والاستيلاء كما دخل الشارع مكة وحنين ثم الهجرة وبقي الجهاد في نواحي البلاد كما قال عليه السلام لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وان لم يصل الانسان الى هذه الدرجة في الدنيا بالجهاد والرباط والا بقي مستضعفا حتى يقاسي شدائد الاهوال في مواطن المآل حتى يتقشعوا منه كل خلق مذموم ولا يدخل الجنة الا وهو طاهر نقي من صفات الشيطان والفجار والمنافقين لا يدخل الجنة مثقال ذرة من كبر والفخر والخيلاء في النار وغير ذلك مما ورد في الاحاديث من صفاته الخبيث واهل قبضة الشمال التي هي من حزب الشيطان لا بد من زوالها او تطهيرها وقلعها اما بالمجاهدة في الحال واما بالجهد والمشقة في المآل ونسأل الله الكريم النصر العزيز والتيسير لجميع امورنا بمنه وفضله وكرمه انه على ما يشاء قدير واعتبر الجهاد من نفسك وجميع شرائع الاسلام في جميع العالم تجد ذلك بينا واضحا ان شاء الله واقرأ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا

الشعبة العاشرة وهي الهجرة

وقد تقدم الكلام عليها في الجهاد لانها والجهاد متلازمان لا ينفك احدهما عن صاحبه فان الانسان لا يجاهد الا من هجره واذا اهجره لم يهجره ولم يجاهده اعلم ان الهجرة على ضربين ظاهرة وباطنة والباطن منها على ضربين ضرب في مقام الايمان وضرب في مقام الاحسان فالظاهر منها هو الفرار بالجسد من مواطن الفتن لقول النبي صلى الله عليه وسلم انا بريء من اهل المشركين لا تتراءى ناراهما فتبرأ النبي صلى الله عليه وسلم منهم لعدم هذه الشعبة فيهم وهي الهجرة فهي اذا من اعظم شعب الايمان ولقول النبي صلى الله عليه وسلم وقد ذكرت الفتن فقال لا يسلم لذي دين دينه الا من فر من شاهق الى شاهق قال الله تعالى ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها الآية وفي البخاري

والفرار من الفتن من الايمان فما كان من الايمان فهو من شعبه بلا شك وقال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء وقال في آية اخرى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم فالفرار ظاهرا من ظهراني المشركين واجب على كل من اسلم وكذلك كل موضع يخاف فيه الفتنة في الدين من ظهور بدعة او ما يجر الى كفر في اي بلد كان من بلاد المسلمين فالهجرة منه واجبة الى ارض الله الواسعة والله اعلم بحكم من حبسته ضرورة في مواطن الفتن فهذه هجرة ظاهرة بالابدان في مقام الاسلام واما باطنها في مقام الايمان فقد تقدم الكلام عليه في الباب الذي قبل هذا اي في الجهاد ومعناه الفرار مما تدعو اليه النفس الامارة بالسوء والشيطان اذا كان الانسان مستضعفا مغلوبا بصفاته واعدائه وان لم يفر ويركن ويرضى ويتابع فقد اتخذ الشيطان وليا فيخاف عليه التمادي حتى يخرج من صفات عباد الله الذين قال لهم ان عبادي ليس لك عليهم من سلطان وكما قيل المعاصي بريد الكفر كما الطاعات بريد الايمان وفي هذا المعنى قال النبي صلى الله عليه وسلم المهاجر من هجر السوء وحقيقة الهجرة في مقام الاحسان الذي هو مقام الروح الفرار الى الله من كل شيء كما قال ففروا الى الله اي من الازواج ومن رسوم النفوس وغير ذلك وروى عن ابي هند عن معوية رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها ذكره ابو داود في السنن فالهجرة التي كانت في اول الاسلام كانت فرارا الى الله تعالى والى رسوله عليه السلام وهي الان كذلك الى كتاب الله وسنة رسوله ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله على المعاني الثلاثة فقد وقع اجره على الله وان انظرت الى الموجودات ايضا كلها اعني العالم الكل وجدته مشتاقا للتسبيح كله وذلك حقيقة الهجرة لان من هجر شيئا نفر منه ولم يوافقه ففروا الى الله اني لكم منه نذير

مبين من الله علينا بعصمته ولا جعلنا ممن فتنته وعرضته للمحن برحمته
وصلى الله على نبيه محمد **النفحة الحادية وعشر**
الاستقامة اما كونها من شعب الاسلام فدليله قول النبي صلى الله
عليه وسلم عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين بعدي •
تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل
محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وما كان ضلالا لانه ضد الهدى
والهدى من الاسلام لقوله تعالى ومن يعتصم بالله فقد هدي الى
صراط مستقيم وهي على ضربين ظاهر وباطن فالظاهر ترك ما خالف
السنة وهي البدع في الاعمال والاقوال واستقامة اللسان والجوارح
عن الميل الى الاعمال القبيحة المخالفة للسنة واتباع الدنيا المذموم
والباطن على ضربين ضرب في مقام الايمان للنفس وهو استقامة
النفس عن الميل الى الاعراض الذميمة والمذاهب المعوجة غير المستقيمة
وترك الاكباب على الدنيا ومنعها وكبحها عما ينكسها ويبعدها عن
النجاة الاخراوية **وضرب** في مقام الاحسان للروح والعقل
والقلب وبكمال استقامة القلب والروح والعقل في مقام الاحسان
تكمل استقامة الجوارح في مقام الاسلام وتكمل استقامة النفس في
مقام الايمان فيقبل الجملة على الله تعالى **وضرب** في مقام الاحسان
للروح فالضرب الاول في مقام الايمان والضرب الثاني في مقام
استقامة السر لله تعالى وترك الميل الى سواه ولا يقدر عليه الا الروحانيون
المقربون فالاستقامة في الباطن ترك اعتقاد كل بدعة وهذه
المعاني كلها ظاهرا وباطنا موجودة في قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا
الله ثم استقاموا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى
ثم استقاموا اي لم يروغوا روغان الثعالب والثعلب لخبثه انما يطلب
بنيات الطريق فالاستقامة ترك بنيات الطريق ظاهرا وباطنا
ومثلها في الاعتبار من مشى في طريق مسلوك فعرض له طريق عينا وشمالا
غير مسلوك ولا واضح فاخذ عليه افضى به ذلك الطريق الى مخدع
وذلك المخدع الى مخدع حتى يتلف ولا يجد مخرجا الى قصده الا ان

ان يرجع الى الطريق الاول فحينئذ يصل الى مقصوده الذي خرج له
فحقيقة الاستقامة ماخوذة من قولك قومت الشيء اذا عدلته
وازلت الاعوجاج والميل فمن لم يعوج ولم يمل ظاهرا في مقام الاسلام
عن السنة ولا باطنا عن العقيدة ولا حقيقة عن الميل لغير الله •
فقد استقام ومن الاستقامة وضده وفضيلته فاما الغرض منها في
الظاهر بان لا يدخل في مذاهب المبتدعين وهي مثال لبنيات الطرق
والغرض منها في الباطن الا يزيغ قلبه في مذاهب الزائغين وهم الذين
عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه معاوية بن ابي
سفيان رضي الله عنه قال معاوية الا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قام فينا فقال أَلَا إِنَّ مَن قبلكم من اهل الكتاب افترقوا على اثنتين
وسبعين ملة وان هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين اثنتان
وسبعون في النار وواحدة في الجنة فمثل الاستقامة بين تلك الفرق
كلها مثل الحنيفية دين ابرهيم عليه السلام بين جميع الاديان الخارجة
عن دين الاسلام فان الحنيف في اللغة هو المستقيم والمايل من جانب
الى جانب فابرهيم عليه السلام مال عن جميع الاديان الى الطريق المستقيم
واستقام عليه كذلك تاول الامحا اذا مال عن بنيات الطريق وركب
المحجة البيضاء استقام وذلك ترك جميع البدع في دين الاسلام قولا وعملا
وترك عقود اهل الزيغ باطنا ومذاهبهم كثيرة والتفتيش عليها يطول
به الكلام لكن ينبغي لك بذلك بمعرفة الفرقة الواحدة اذا عرفتها •
والتزمتها عرفت ما سواها باطل معوج فهذا غرض الاستقامة **واما**
فضيلتها وحقيقتها في المقامات الثلاثة فهو تقويم الظواهر وتهذيبها بهما
باداب الشرع حتى تستقيم الجوارح واللسان فتميل عن المخالفة •
والعصيان وتقويم البواطن برياضة النفوس وحملها على الاستقامة
بترك الميل الى هذا الخسيس الفاني والميل عنه الى الاقبال على الدائم
الباقي وحينئذ يكون العبد كما وصف الله تعالى لقد خلقنا الانسان
في احسن تقويم وانما يكون العبد في صفات الانسانية التي فارق بها
غيره من الحيوان والنبات والجماد انه بارتقائه عن صفاتها الى صفا

الملائكة الكرام عليهم السلام تحيتهم اذ تعمقت همته الى العالم
الرضواني واشتاق الى الملا الروحاني فكان ماشيا على صراط مستقيم
وقد اثنى الله سبحانه على نبيه صلى الله عليه وسلم بحقيقة الاستقامة
فقال تعالى ما زاغ البصر وما طغى اي ما مال الى النظر الى سواه وما
طغى لم يجاوز حد الادب في نظره **فاذا نظرت** الى الموجودات
كلها وجدتها مستقيمة جارية على ماخذ لها غير رايغة لا تميل الى الا
لاعوجاج الا بغير الله تعالى هذا شامل لجميع اجزا الموجودات ليس منها
شي مال الى غير الله سوى الثقلين الجن والانس من الله علينا بما من به
على احبابه واصفيايه امين وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي وعلى
اله وصحبه وسلم **الشعبة الثامنة عشر** الجماعة وهي
الالفة فاما كونها من شعب الايمان فدليله قول النبي صلى الله عليه وسلم
من فارق الجماعة شبرا فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه فانخلع ربقة
الاسلام زواله فهو اذا من اعظم شعب الاسلام وقال الله تعالى في الكون
مع الجماعة ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير
سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا وغير ذلك من
الشواهد التي يطول ذكرها وانما غرضنا الاقتصار فالجماعة هم الذين
عنى النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي اوردناه في باب الاستقامة
حيث قال وان هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين اثنتان
وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة وسيل النبي صلى الله
عليه وسلم عن تلك الواحدة الناجية فقال من كان على ما انا عليه
واصحابي فالامة افترقت على هذا العدد واصل هذا الافتراق ينحصر
في اربع طوايف **الطايفة** الواحدة القدرية وهم المعتزلة
افترقوا في اعتزالهم على ثمانية عشر فرقة **الطايفة** الثانية
الرافضة المرجية افترقوا في ارجايهم على ثمانية عشر فرقة
والطايفة الثالثة الرافضة افترقوا بتشيعهم على ثمانية عشر
فرقة **والطايفة** الرابعة الخوارج افترقوا في خروجهم على ثمانية
عشر فرقة فهذه اثنتان وسبعون والثالثة وسبعون هي الناجية

وهم

هي الناجية وهم اهل السنة والعلم وهم الذين عنى الله عز وجل بقوله
واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وحبل الله هو القران الذي
هدى الله به رسوله صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم والفرق
المذكورة هم الذين عنى الله سبحانه بقوله ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا
لست منهم في شي يعني رسوله عليه السلام ولما كان الصحابة رضي الله
عنهم مشاهدين للرسول ومتبعين له ومقتدين به كانوا ايضا لسوا
من الفرق المتفرقة في شي لان الله قد قال لنبيه لست منهم في شي فلذلك
قال عليه السلام في تفسير الفرقة الناجية من كان على ما انا عليه
واصحابي ولذلك قال ايضا اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم
فالجماعة هم النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه رضوان الله عليهم ومن
تبعهم على مناهجهم وهم اهل السنة والجماعة **ولما** كانت النجوم منها
الكبير الجرم الكثير الضيا والصغير الجرم القليل الضيا والوسط
فيما بين ذلك وشبه اصحابه بالنجوم كان اصحابه ايضا كذلك فمنهم القوي
الكثير العلم مثل الخلفا والعلما منهم والذين ظهروا في الدين للاقتدا
بهم ومنهم القليل الضيا والوسط ليكونوا كلهم ايمة يقتدى بهم في
القوة والضعف وجميع الاحوال الا انهم كانوا كلهم اهل علم كالنجوم
كلها مضية وفي كلها اقتدا الا ان بعضها اقوى من بعض وكذلك ايضا
تابعوهم الى يوم القيمة فمن عمل عملا ظاهرا او باطنا اصله في كتاب الله
او سنة رسوله صلى الله عليه وسلم او عمل الصحابة فهو من اهل السنة
والجماعة فالجماعة ضدها الفرقة ولذلك افترقت الفرق على ثنتين
وسبعين ولم تفترق الفرقة الناجية الواحدة فقال النبي صلى الله عليه
وسلم فيها وواحدة في الجنة فوصفها في قوله عليه السلام وواحدة في الجنة
بالوحدة وهي الالفة على مذهب واحد وبالاقتدا بنبي واحد ليسوقهم
الى ملك واحد واختلاف اهل السنة في الفتوى والمذاهب انما هو
بمعنى الاتساع وترك الضيق والحرج لا بمعنى الاختلاف الذي هو الشتات
والفرقة فان النبي صلى الله عليه وسلم هو امام الصحابة واخذ الكل منهم
علمه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تفرقوا في الامصار في حياته

وبعد وفاته واخذ الناس منهم في جميع الاقطار واخذ الخلف عن السلف
الى ان انتشرت المذاهب والفتاوى في الامصار فالكل منهم على صواب
لان الامام واحد واليه يرجع الكل وقد رايت في حديث غريب في كتاب
فيه ذكر فضايل الصحابة رضي الله عنهم ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال انا مدينة العلم التقوى وابو بكر بابها وانا مدينة الايمان
وعمر بابها وانا مدينة الحيا وعثمان بابها وانا مدينة العلم وعلي بابها
وانا مدينة الحلم ومعاوية بابها وهذا الخبر وان لم يرد في الصحاح
فان الحال يصدقه ويعضده فانه صلى الله عليه وسلم المدينة الجامعة
لمعاني الديانات كلها ولا بد للمدينة من ابواب وعلى كل باب طريق ولو
كلف الكل ان يدخلوا من باب واحد لكان الحرج والضيق بل هو عليه
السلام مدينة جميع الخيرات والصحابة ابوابها والطرق متصلة من
الابواب فمن اخذ طريقهم دخل مدينة الدين ومن خطا لهم طريقهم فقد خلع
ربقة الاسلام من عنقه فان المذاهب كلها التي فارقت الجماعة
اذا اعتبرتها ونظرتها لم تجد لها عند الصحابة ولا حديث الرسول عليه
السلام ولا كتاب الله اصلا فلذلك سموا فرقا لانهم فارقوا الاجماع مثال
ذلك ان القدري الذي يقول ان افعاله هو يخلقها بزعمه او الذي يقول
منهم الخير من الله والشر من انفسهم والرافضي الذي يسب
ابا بكر وعمر وعايشة او عليا او عثمان او احدا من الصحابة او الخارجي الذي
يقول بمذهب الخوارج او المرجي الذي يقول بمذهب الارجا او الذي
يقول ان العالم قديم وان الله سبحانه لا يعلم بافعال العباد او براي
من الاراء الفاسدة الذي لا يعتقده ولا يعمل به اهل السنة لا تجد
له اصلا في كتاب الله ولا في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا في
اقوال الصحابة ولو كان لنقل كما نقلت امور الديانات كلها ولما لم
يكن ذلك منقولا لم يبق الا انهم احدثوا تلك المذاهب باراييهم او
اخذوها من راي من خالف الانبيا قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم
فنظير في ذلك ما رواه مالك بن انس عن عبد الله رضي الله عنهما قال خط
لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا فقال هذا سبيل

الله ثم خط عن يمين ذلك الخط وعن شماله خطوطا فقال هذه سبل
على كل سبيل منها شيطان يدعو اليها ثم قرا وان هذا صراطي مستقيما
فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله فتلك الطرق هي
طرق اهل الفرق وسبيل الله هي طريق اهل السنة لانهم تابعون
لمحمد صلى الله عليه وسلم وهو يهدي الى صراط مستقيم فالتمسك على
ذلك الطريق هو الجماعة وهو الثالث المتفق عليه والاعوجاج
عن ذلك الطريق هو الخروج والافتراق عن الجماعة فلذلك كانت
هذه الشعبة التي هي الاجماع والشعبة التي هي الاستقامة مرتبطتين
لان الاستقامة هي ترك الاعوجاج ظاهرا او باطنا في الاعمال
والعقود كما تقدم والجماعة هو التمسك والاتفاق على السنة التي
هي الطريق ظاهرا في الاعمال وباطنا في القلوب والاجماع ايضا على
نوعين ظاهر وباطن والباطن على ضربين ضرب في مقام الايمان والنفس
وهو ما اجمعوا عليه في العقود واصول الديانات فهو فرض على القلوب
اعتقاده وضرب في مقام الاحسان وهو مشاهدة الروح والعقل
اجتماع الخليقة كلها مما حوى العرش كله من المخلوقات على التعبد
لملك واحد وايتلاف الكل على ايثاره والوهيته ما خلا المخالفين
من الجن والانس فيبقى السرمن الفرقة الى الاجتماع على توحيد الواحد
سبحانه وتعالى والظاهر هو ما اجمعوا عليه في الاعمال ونوازل الاحكام
فهو فرض على الاجساد القول والعمل به وما اجمعوا عليه واستحسنوه
في كل زمان فهو اجماع اهل السنة لان النبي صلى الله عليه وسلم قال
ان امتي لا تجتمع على ضلالة وانما نعني اهل السنة واصنافهم بحمد الله معلومة
في كل زمان وهم اهل الحديث واهل الفقه والمتصوفة كمالك
واشياخه واتباعه وابي حنيفة وشيوخه واتباعه والشافعي واشياخه
واتباعه واحمد بن حنبل والبخاري ومسلم والاوزاعي وشيوخهم واتباعهم
وابرهيم بن ادهم وسهل والعارفين بالله واشياخهم واتباعهم والعامة
في المتوسطة ايضا لانهم تابعون لاهل العلم ومن سوى هولاء ممن ليس
على طريقتهم فهو زايغ فالجماعة هي الاتفاق على طاعة الله كما امر وذلك

دين الموجودات كلها فانك اذا انظرت الوجود كله وجدته متالفا بعضه
مع بعض كجسد واحد جمع اعضا كثيرة تعاونت كلها على طاعة المولف
فاذا الجماعة عام من فارقها خالف جميع الموجودات واحدث دينا مبتدعا
من نفسه ونسال الله الثبات على دين الله في العقود والافعال والموت
على ما يرضاه الله ورسوله والمومنون انه على كل شي قدير وصلى الله على
سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم

الشعبة الثالثة عشر

النصيحة فاما كونها من شعب الايمان فبين واضح في الاحاديث المشهورة
عن جرير وتميم الداري وابي هريرة رضي الله عنهم قال جرير اتيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقلت اتيت ابايعك على الاسلام فشرط علي
النصح لكل مسلم ومما يشترط لصحة الاسلام فهو منه وروى تميم الداري
وابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الدين النصيحة الدين النصيحة
ثلاثا في حديث ابي هريرة قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولرسوله ولكتابه
ولائمة المسلمين وعامتهم فوصف النصيحة بانها معظم الدين كما يقال الحج
عرفة اي معظم اركانه عرفة لا انه ليس للحج ركن غير عرفة وكذلك النصيحة
ليس معنى الحديث ان الدين كله هو النصيحة وانما معناه معظم شعبه ٥
الدين النصيحة ووصفها بوصف العموم فعمت معاني الديانات كلها لانه
قال لله ولرسوله ولكتابه ولائمة المسلمين وعامتهم فعظم قدر النصيحة
لذلك ومعنى النصيحة افراغ الجهد في تصحيح النيات والاقوال والاعمال
والنصح يتبين بضده وهو الغش والتدليس وستر العيب وكتمان الحق
ومعناها ماخوذ من النصاح وهو الخيط لانه لا يتعلق به شي فكذلك
النصح في العقود والاقوال والافعال لا يتعلق بها شي من الغش ٥
والتدليس بل تكون صحيحة سليمة نقية مما يفسدها او يعيبها **ودليله**
ان النبي صلى الله عليه وسلم مر برجل يبيع الطعام فاوحي اليه ان ادخل
يدك فيه فاذا هو مبلول فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا من
غش وقال الانبيا عليهم السلام وانا لكم ناصح امين وانصح لكم ونصحت
لكم اي نصحوا لله ونصحوا انفسهم ونصحوا العباد فالنصيحة على مراتب
كما ذكر في الحديث لله ولرسوله ولكتابه ولائمة المسلمين وعامتهم فقد

مطلب معنى النصيحة

عمت المقامات الثلاثة مقام الاسلام والايمان والاحسان فالنصيحة
لله عز وجل بان لا تدخل في صفاته ما ليس منها او تنسب اليه ما ليس له برايك
فتعتقده على غير ما هو عليه فان ذلك غش كما قال تبارك وتعالى فيما
رواه ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل كذبني ابن
ادم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياي فقوله
لن يعيدني كما بداني واما شتمه اياي فقوله اتخذ الله ولدا وانا الاحد
الصمد لم الد ولم اولد ولم يكن لي كفوا احد فهذا رمى الله عز وجل بالكذب
لان الله تعالى قد اخبر باعادته والكذاب غاش مدلس في القول لانه
ملبس ورماه ايضا بالعجز في قدرته وقوته اذ نفى القدرة عنه في
اعادته وكذلك رماه بالفقر الى اتخاذ الصاحبة والولد وهو الغني
سبحانه فادخل في صفاته ما ليس منها وذلك غش وتدليس يعود ضرره
على معتقده وقايله والله سبحانه بري من ذلك فكل من اعتقد الله تعالى
على ما وصف به نفسه وشاهده على ما هو عليه ونزهه عما لا يليق
به وبلغ ذلك غيره من عباد الله ليعتقدوه على ما هو عليه فقد نصح
الله ونصح لله في نفسه وفي عباده وهذا مقام الروح والعقل في مقام
الاحسان **وقال** من وصف الله سبحانه بغير ما هو عليه ونسب اليه ما
لا ينسب لنفسه وامر بذلك غيره او لم يامر فقد ترك النصيحة لله ٠
ولم ينصح ربه ولا نفسه ولا عباد الله وبهذا الوصف اخبر الله سبحانه
عن ابليس حيث قال لادم ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا
ملكين فرمى الله بالغش والكذب عليه لعنة الله وكذلك هو مع ذريه
ادم من اول الدنيا الى اخرها يوسوس لهم بالغش وزخرف القول ليعتقدوا
الله تعالى على غير ما هو عليه ليس يفتر طرفة عين هو وجنوده عن رمي
الله تعالى بالبهتان ووصفه بما لا يليق به ليضل عباد الله وعلى صفته
هم اتباعه من الانس الضالون المضلون وان اظهروا الاسلام او لم
يظهروه ونضدهم الناصحون من الله علينا بالنصيحة وجعلنا من اهلها
برحمته **والذي يجمع** هذه المعاني في حق الباري سبحانه وتعالى ويخلو
ان الاشيا كلها خلاف الباري سبحانه وتعالى لانها محدثة وهو قديم

مطلب النصيحة لله عز وجل

قائم

وجاهلة وهو علم وعاجزة وهو قدير وعبيد وهو رب وفقيرة وهو غني ومحتاجة الى مكان وهو غير محتاج اليه وهكذا لو استغرقت انت وجميع المخلوقات صفات الموجودات كلها ابد الآبدين ودهر الداهرين لما انقضى وصفها لمعاني الحدث ابدا كما انه لو وصف البارئ جميع العالمين بما يليق به من الكمال لما وصفوا عشر معشار ذرة مما هو عليه من الكمال والجلال فكل من اضاف الى البارئ تعالى شيئا من اوصاف المخلوقات او شبهه بشيء منها فقد ادخل الغش في صفة كما لم ينصح لله وكل من اضاف الى المخلوقات شيئا مما هو لله تعالى عليه فقد ادخل الغش في المخلوقات ولم ينصحها وهي تتبرأ منه وممن غشه وهذا امثل جامع كاف في هذا المعنى ان شاء الله لان الله سبحانه برأ نفسه ان يكون فيه شيء من سمات المحدثات وبرأ المخلوقات ان يكون فيها شيء من معاني او صفاته وذلك لنحوها وعزها لان المتشبع المتزين بما ليس عنده كلابس ثوبي زور لانه مدلس حين تشبع بما ليس له **واما** النصيحة للانسان في نفسه فانها عامة في كل شيء يخطر في مقام الاحسان والايمان وظاهر في مقام الاسلام لان العبد مامور بان ينصح نفسه وغيره من المسلمين فيكون من افضل اهل مقام الاسلام على قدر طاقته وامر ان ينصح نفسه في مقام الايمان وعالم الاخرة على قدر طاقته وامر ان ينصح نفسه في مقام الاحسان والروح فيكون من افضل اهل الايثار لله تعالى والاقبال عليه والفكر فيه ولا يغش نفسه في شيء على قدر طاقته فقد عمت النصيحة كل المقامات **واما النصيحة** لرسول صلى الله عليه وسلم فهو على ضربين ضرب في حق الحاضرين معه في وقت مبعثه وهم الصحابة رضي الله عنهم وضرب في حق الغائبين عن وقته وهم الذين اتوا بعده فاما الحاضرون معه في وقته فالنصيحة في حقهم ان لا يرموه بالكذب ولا يقذفوه بالبهتان فيقولون هو ساحر او مجنون او شيطان او طالب ملك فيدخلوا في وصفه ما لم يجعله الله ولو كان كذلك لكان غاشا بل يصفوه بالصدق والعفاف والنصح والرحمة والصيانة والخلق الذي وصفه الله به من بواطن زوره وليعاونوه ٥

مطلب النصيحة للرسول

وينصروه حتى يبلغ مرغوبه وما مول له من التبليغ ولا يدخروا من انفسهم شيئا في نصرته وهو ان رموه ولو كانوا مدخرين عنه شيئا لكانوا غاشين له وحاشا صحابته من ذلك فانهم لحظوه بعين الصدق والكرامة وافرغوا جهدهم وطاقتهم في نصرته وعونه فلذلك كانوا افضل الناس وبعدهم من النصيحة كان كفرة زمانهم ومنافقوهم فانهم رموه بالغش والكذب واضافوا اليه وادخلوا في وصفه بالقول ما لم يجعله الله فيه والمنافقون منهم خذلوه في مواطن النصر وخذلوهم في مواطن الغيبة ثم لما توفي صلى الله عليه وسلم اشتدوا للنصيحة فاظهروا امره وبلغوا سنته وقاتلوا من رام هدم طريقته وكانوا في الغيبة والحضور سواء رضي الله عن جميعهم ونفعنا ببركاتهم في الدنيا والآخرة **واما** الغائبون عنه فالنصيحة في حقهم ان يكون حالهم معه ومع طريقته كحال الصحابة بعد وفاة نبيهم فياخذون سنته وينصرونه فيها غائبا ويبلغونها غيرهم كما بلغوها من غيرهم من غير ان يدخلوا فيها تحريفا او كذبا فيغشوه بل كما قال صلى الله عليه وسلم رحم الله من سمع منا مقالة فبلغها كما سمعها وينفون عنها تحريف الغالين وانتحال الجاهلين وتاويل المبطلين هكذا خلف عن سلف الى يوم القيمة فان كذبوا عليه وادخلوا في شريعته ما ليس منها فقد غشوه وقال عليه السلام من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار فالناصحون له اذن يا صحوه في الفاظها واقواله وافعاله وان لا يحدثوا فيها شيئا بآرائهم وان لا يعملوا عملا الا بسنته وعلى طريقته **واما** النصيحة لكتابه فنفي ما رماه به المبطلون حيث قالوا عنه افك مفترى وسحر يؤثر ان هذا الا اساطير الاولين ان هذا الا قول البشر وغير ذلك مما ينزه عنه كتاب الله جل جلاله بل يصفه بما وصفه الله به ومنزله بالكرم والتعظيم والبيان كما قال تبارك وتعالى انه لقرآن كريم في كتاب مكنون يس والقرآن الحكيم حم والكتاب المبين ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم الى غير ذلك ومن اوصاف القرآن ثم يقراه بقراءة حسنة وصوت حسن كما قا

دعوة

مطلب النصيحة لكتاب الله

النبي صلى الله عليه وسلم زينوا القران باصواتكم ليس منا من لم يتغن
بالقران فان تزيينه من النصح له حتى تجتذب القلب التالي له وقلب
كل سامع له فيقع من القلوب مواقعه ولا يسلك به مسلك اغاني
الشعر فان ذلك من الغش للقران حيث سلك به غير مسلكه وما علمناه
الشعر وما ينبغي له بل بخشية وحزن صادق كما قال عليه السلام
احسن الناس صوتا بالقران من اذا قرا رايت انه يخشى الله وان لا
يقصد بحسن صوته الريا فان ذلك يبطل ثمرة القران وهو غش
في حق القران ثم العمل به فان ترك العمل به تضييع له وتضييعه ليس
من النصح والتامل ترك كنه الفهم فيه واخراج الحكم والعبر منه وتحليل
حلاله وتحريم حرامه والوقوف عند متشابهه وتعليمه لغيره اذا سأله
ولا يغل فيه بتاويل يخرج عن طريق الحق الى الراي المذموم الذي نهي
عن تفسير القران به وذلك كله من الغش وترك النصح له فمن نصح
القران اهتدى وهدى غيره ومن غشه ضل واضل غيره كما قال تعالى
يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وننزل من القران ما هو شفا ورحمة للمومنين
ولا يزيد الظالمين الا خسارا ومن اعظم الغش في القران وترك
النصح له تاويل معانيه على اهوا الزنادقة وابطال معانيه الظاهرة
كما فعل كثير من الفلاسفة الضالين والطبيعيين حتى وصل من افترائهم
انهم يقولون بالاستغنا عن القران وعن الرسول ومع ذلك يدعون
انهم اهل العلم والفهم للرسالة والوحي والمعرفة وهذا هو الغش
بعينه والتدليس وهو اعظم ممن كفر به جهارا فان النبي صلى الله عليه
وسلم يقول من ابتغى الهدى في غيره اضله الله فكيف يكونون مهتدين
في امور الاخرة والدنيا فان النبي عليه السلام قد شهد لهم بالضلال
جعلنا الله من الناصحين لله ولرسوله ولكتابه ولانفسنا ولكل من
امرنا بالنصيحة له امين وصلى الله على سيدنا محمد النبي واله وصحبه وسلم
واما النصيحة لائمة المسلمين وعامتهم فمن النصيحة للائمة ان لا
يخرج عليهم بالسيف ولا ينكث لهم بالعهد فيما بويعوا عليه وان يدعا
لهم بالصلاح اذا كان الامام ممن يجوز فيه الامامة وتلزم بيعته

مطلب النصيحة للمسلمين

ويطيعوه في المكيال والميزان وفيما امر به من طاعة الله وهذا احق
العامة في نصحه واما العاملون له والداخلون عليه فحقهم
ان ينصحوه ونصحهم له ان يبينوا له امور العامة على ما هي عليه
ولا يدلسوا ويقولوا خلاف ما شهدوه وعلموه من صلاح او فساد
ونصحهم للعامة ان يكونوا واسطة خير بين الامير والرعية فيعودون
بالنصيحة في جميع العامة بالارشاد الى كل خير ورفق ونصح الامير
رعيته ان لا يهملها ويحوطها كما امر الله ورسوله ومتى لم يفعل واحد
منهم من امير او عامل او عامي ذلك فهو غاش ثم نصيحة الناس بعضهم
لبعض في المعاملات والصناعات اظهار العيوب وترك التدليس
وان يريد كل واحد لاخيه ما يريد هو لنفسه هذا هو الاختصار فيه
وهو معنا رحق وذلك ان يعرض الانسان نفسه في كل ما يعامل به
غيره فيقول اذ كنت اريد هذا الامر الذي اعامل به غيري في غاية
الصلاح والاتقان اذا عاملني به غيري فكذلك يجب علي ان اريده
ايضا لغيري اذا عاملته به ولا اريد له احسن الوجهين ويستر ادناهما
والنصيحة داخلة في كل شي وبالقليل يستدل على الكثير وقد قيل
لا خير في قوم ليسوا بناصحين ولا في قوم لا يحبون الناصحين لانها
ارشاد الى احسن الوجوه في امور الدين والدنيا الجامعين لكل خير وعلم
وعمل ومن فضايل النصيحة ان لا يرضى الانسان لنفسه بالدون
من المنزلة عند الله فذلك من قلة نصح الانسان لنفسه بل ان قدر ان
لا يكون مغبونا بشي في يوم التغابن فقد نصح نفسه ولم يغبنها ولا
غشها وذلك انما يكون لمن شمر وافرغ الجهد في النصح لله بالطاعة
والتقرب اليه فقد عمت النصيحة مقام الاسلام والايمان والاحسان
جميعا فهذا المعنى اذا اعتبرته ايضا وجدته شايعا في كل الموجودات
لم يرفض جزء ولا شخص من اشخاص الملك كله الا ناصحا مجتهدا في طاعة
يع اسمع الانفاس والحركات وان العالم الكل كله باجزائه متعبد بشرع
الاسلام لان الدين عند الله الاسلام وله اسلم من في السموات والارض
الا الثقلين ففيهم التقصير والعصيان من الله علينا بتوفيقه

وجعلنا من خاص عبيده امين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم

الشعبة الرابعة عشر والخامسة عشر

الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهما شعبتان مرتبطتان كل واحدة
بصاحبتها لان الامر بالشيء نهي عن ضده والنهي عن الشيء امر بفعل ضده
ولذلك جعلتهما في باب واحد فاما كونهما من شعب الايمان فلخبر في الاخبار
وفي ايات القران روت عائشة رضي الله عنها في الصحيح ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله خلق كل انسان من بني ادم على ستين
وثلثمائة مفصل فمن كبر الله وحمد الله وهلل الله وسبح الله واستغفر
الله وعزل حجرا من طريق او شوكة او عظما او امر بمعروف او نهى عن منكر
عدد تلك الثلثمائة وستين السلامى فانه يمشي يومئذ وقد زحزح
نفسه عن النار فساق الامر بالمعروف والنهي عن المنكر معدودا
في شعب الايمان لان التهليل والذكر كله واماطة الاذى الذي هو
الشوك والعظم والحجر من شعب الايمان والامر بالمعروف والنهي عن
المنكر اقوى شعب الايمان بوجه واضعفه ايضا بوجه اخر كما روى ابو
سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من راى
منكم منكرا فاستطاع ان يغيره بيده فليغيره بيده فان لم يستطع
فبلسانه فان لم يستطع بلسانه فبقلبه وذلك اضعف الايمان
وفي خبر اخر ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل يعني ان التغيير
بالقلب دون اليد واللسان اضعف الايمان فجعله من الايمان
فكذلك تغييره باللسان واليد اقوى الايمان والامر بالمعروف
كذلك هو الحجة كذلك تسميته عند اهل العلم كما قال الله تعالى لئلا
يكون للناس على الله حجة بعد الرسل لان الرسل امرتهم بالمعروف
والنهي عن المنكر هو الوقاية اي وقاية الناس من العذاب قال الله
تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة يعني اهل
المنكر اذا لم تغير عليهم واعلموا ان الله شديد العقاب قال ابو بكر
الصديق رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ما من قوم تعمل فيهم المعاصي ثم يقدرون على ان يغيروا ثم لم يغيروا

الا اوشك ان يعمهم الله بعقاب الا انه شرط في هذه الاخبار كلها
القدرة والاستطاعة وفيها رحمة عظيمة فالامر بالمعروف هو الامر
بفعل الخيرات كلها التي امر الله بها ورسوله والنهي عن المنكر هو النهي
عن ارتكاب المحرمات كلها وهو على مقامات ثلاث مقام في الظاهر
هو الامر بارتكاب امور المعروف الظاهرة ونهي عن ارتكاب المناكر
الظاهرة ومقام في الباطن وهو مقام الايمان وعالم النفس فنهي
النفس عن الهوى ويامرها بالتزام التقوى وامتثال خواطر
المعروف واجتناب خواطر المنكر ومقام باطن في مقام الاحسان
والروح امر بالتزام المعروف الحق سبحانه وايثاره والاقبال عليه
ونهي عن الاعراض عنه وايثار سواه ونهي عن توهم اله سواه فانه
انكر المنكرات والنكرات وله مراتب في نعته وشروط فقوم يجب
عليهم باليد واللسان والقلب وقوم باللسان والقلب دون اليد
وقوم بالقلب وهو اضعف الايمان وذلك على حسب التمكين في
الارض قال الله تعالى الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة
واتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر واما تغييره باليد
فللامراء والقضاة واصحاب الاحكام واما تغييره باللسان
فللرعية يامر بلسانه ويذكر فان قبل منه والا استعان لغيره
او رفع امر ذلك الى الحاكم ان رجا تغييره هذا في المجاهرين
واما ان وقعت زلة في اهل الستر وخزية في اهل العفاف ممن يستتر
فسترها اولى ويامره في السر وحده ولا يشيعه واما تغييره
بالقلب فاذا ظهرت الامراء المناكر وتركت المعروف ووضعت
السيف والعذاب لمن تعرض لها في ذلك فيجب انكاره بالقلب
والعقد على ذلك فيقول بقلبه اللهم ان هذا منكر لو قدرت
لغيرته وانا انكره وانكر اهله ويقول في المعروف ايضا اذا راى انه
لا يقدر ان يامر به لو قدرت لامرت بفعل هذا الخير الذي قد ضاع
العمل به لكن يجب على العلماء الداخلين على الامراء التلطف للامراء
بالقول ويامرونهم في السر اذا اشتهروا المناكر فيقولون له مثلك

مطلب صورة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

لا يليق به الا انا عمد عليه ويشكروا ان هذا الامر الذي احدثته الخلق يكرهونه منك ويذمونك عليه ونحو هذا مما يظن انه ينفع فهذه مراتب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على الكافة لا يسقط عن احد من الخلق بوجه في حال من الاحوال لانه ان سقط عن اليد واللسان لم يسقط فرضه عن القلب ولو سقط عن القلب لكان راضيا به وصار من اهل المنكر وخرج عن اهل المعروف فان المنكر ضد المعروف واهل المنكر ضد اهل المعروف فانه اخرج من قوم في ضدهم وكتب منهم ولذلك ورد في الخبر لو قتل رجل رجلا بالمشرق ظلما ورضي به اخر بالمغرب لكان شريكه في اثمه فاما صورة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فاول ما يجب على الانسان ان ينظر نفسه فيامرها بانواع البر والعمل بما صيغت منها ويرى ما ينهى عليه من المنكرات ظاهرا وباطنا فينهاها عنه ثم يتعدى الى اهل داره فيامرهم وينهاهم ثم جيرانه ثم كلما ظهر له متى لزمه فرضه حيث ما حل او نزل لان الله تعالى يقول في كتابه اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم الالف في اتامرون الناس للتوبيخ والتقرير وليست بنهي لانه لو نهاه عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو في نفسه غير مؤتمر لادى ذلك الى التضييع وضيع الفرض الذي لزمه في نفسه والفرض الذي لزمه في غيره فيجتمع عليه اثمان وانما الالف على التوبيخ للذي يطمع بصلاح غيره وهو في نفسه فاسد فلو اصلح الصلاح في النفس والامر للغير كان الكمال وافضل الناس في هذا الشان منزلة الذي اذا ظهر على المنكر تغير بظهوره عليه كما ورد في الخبر خياركم الذين اذا رؤوا ذكر الله وذكر الله من اعظم درجات المعروف فلما كان هذا من اهل الله ذكر الله عند رؤيته وبهذا ابينهم ان المنكر والمعروف ضدان كالليل والنهار اذا ظهر هذا غاب هذا وفي ذلك حكمة عظيمة لمن تفطن لها فان المعروف ماخوذ من العرف الذي هو العادة الذي عرفه الناس وعلموه ولم يعرف الا هو والمنكر هو الذي انكرته العقول والقلوب عند رؤيته فالمنكر لا اصل له لانه مجهول منكور في اصل الخلقة فان المعروف الحق الذي لم يزل ولا يزال هو الله تعالى ومخلوقاته في الملك والملكوت والعرش والجبروت لم تعرفا الا اياه ربا

ولم

ولم تعرف طاعة الا طاعته فكان التعبد له والقيام بحقه هو المعروف فقط فلما خلق ابليس وادم وذريتهما وحدثت المعاصي على ايديهما اعني الثقلين صار العصيان والمخالفات منكرا اي انكرته العقول والقلوب لانها لم تالفه ولم تعهده ولا كان له اصل في العرف الذي تقدم عند الخلائق كلها ولهذه العلة اذا كان المنكر مختفيا غير ظاهر لم يضر غير صاحبه الذي ظهر على قلبه وجوارحه فقط لانه شبيه باصله لم يعرفه احد فاذا ظهر وفشا وجب تغييره ورده ايضا الى اصله بانكار النفوس والالسن والايدي له حتى لا يبقى الا المعروف الذي لم يزل معروفا قديما وحديثا وكذلك اذا قامت القيمة وفنيت الدنيا التي ظهرت فيها المناكر لم يكن للمنكر وجود ولا للعصيان اثر بوجه ولا حال ولم يبق الا الطاعة الطايعين الذين لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وانقاد وطاع اهل المنكر كلهم حين يرون ان القوة لله جميعا ولم يبق في الوجود مقدار ذرة من العصيان لان الهوى المعبود الذي اتخذ الها من دون الله وحسب الذين يتبعون الظن انه يضر او ينفع فاطاعوه واتبعوه اذا ظهر ان لا اله الحق في الاخرة المنبع فني وجوده اعني الهوى وفنيت طاعته التي هي المنكر فاعرف العلة في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فان الباري تعالى لم يعلم في ملكه معبودا سواه ولا من يضر ولا ينفع سواه وما لا يعلمه الله فهو انكر المنكرات فطاعته اذا هي المنكرات قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض الهوى اله معبود ان يتبعون الا الظن وان ما يدعون من دونه هو الباطل وكذلك شاهدته العقول والارواح في مقام الاحسان وانكرت يقينا ان يكون عند غيره معنى من الالهية لانها لم تعلمه واقامت لها البراهين على ذلك وكما لم يعلمه الله تبارك وتعالى وشاهدت المعروف الذي لم يزل وامرت ذواتها وغيرها بالانقياد له وما كانت قط معصية الا شركا خفيا وجليا او اقبالا على غير الله او حب غير الله او مشاهدة شيء يضر او ينفع غير الله او غفلة عن الله فانهم فقد حصل في هذا المقام المتقدم مقامات الامر بالمعروف والنهي

عن المنكر في مقام الاسلام والجسد ومقام الايمان والنفس ومقام الا
الاحسان والروح مجمله فاغنى عن تفسيره **واما** اعتبار الامر بالمعروف
في الوجود كله فانك اذا نظرت الاشيا كلها من سما وارض وحيوان
ونبات واي موجود كان رايته متصلبا الى الغاية ساجدا ومسبحا ومعظما
ومنزها لباريه ومتعبدا له بجميع انواع المعروف كلها فيقول لك بلسان
الحال كن مثلي فاني ما عصيت قط طرفة عين وكذلك اذا صرفت نظرك
الى اهل العقوبات فرايت مطرودا ملعونا ومحبوسا مسجونا او مضروبا
معذبا او اي نوع من العقاب رايته حل عن حل يقول لك بلسان الحال
لا تكن مثلي فيحل بك ما حل بي عاجلا او اجلا وذلك نهي عن المنكر فان
الوجود لا يخلو من خير وشر الشر جزا على المنكر والخير جزا على المعروف
فالشر الذي هو العقاب كله يخاطب العقول حيث ما كان ويقول من
عمل بمقتضى ما خلقت من اجله حللت به والثواب كله والجزا جميعه
يقول من عمل بمقتضى ما خلقت من اجله اكرمته وكنت ثوابا له بكلام دايم
متصل غير منفصل مع الانفاس والساعات يسمعه كل من فتح الله بصيرته
والقى السمع وهو شهيد **الشعبة السادسة عشر** العدل
قال الله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان واذا حكمتم بين الناس
ان تحكموا بالعدل وقال يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط وهو
العدل وقال وزنوا بالقسطاس المستقيم وهو العدل اما كونه من شعب
الايمان فبين فان العدل هو الذي اعطا كل ذي حق حقه ولله على
الخلق حق ولرسوله حق وللملايكة حق ولجميع الخلق حق فقد عم العدل
المقامات كلها مقام الاسلام والايمان والاحسان والذوات الثلث
الجسد والنفس والروح وكلف العبد اعطا كل ذي حق حقه **وقد**
جعله علي بن ابي طالب رضي الله عنه في حديثه الطويل دعامة من
دعايم الايمان فقال الايمان على اربع دعايم على الصبر واليقين والعدل
والجهاد فاذا كان دعامة الايمان كيف لا يكون منه فان الاساس من
البنيان فاما تفسير معنى العدل فهو الحكم بالحق ووضع الحقوق مواضعها
وهو معنى شايع عام في جميع الاشيا فلله حق وكتابه حق وللملايكة

حق ولرسوله حق وللنفس حق وللوالدين حق وللمسلمين حق وللاموال
حق وللفقرا حق وللازواج حق وللاولاد حق وللملك اليمين حق
وللجار حق وللاصحاب حق ولابن السبيل حق وللعلما حق وللمتعلمين
حق وللشيخ حق وللامرا حق وللامرا حق وللرعية حق وعلى الجملة ففي
كل شي حق **وقد** قال النبي صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسيول عن
رعيته فالعدل ان لا يبخس احد من حقه شيا على قدر طاقة الانسان
ووسعه **فاما** حق الله على خلقه فقد ورد في الخبر حق الله على العباد
ان يعبدوه ولا يشركوا به شيا والعدل هو الوسط بين الزيادة والنقصان
فالعدل في ذلك ان لا ينقص من حقه شي على حسب ما امر واما الزيادة
على الحق في حق الله تعالى فمحال لان حقه لا يقام به حقيقة فكيف بالزيادة بارى
عليه ولذلك تقول الاملاك يوم القيمة سبحانك ما عبدناك حق
عبادتك لانها شاهدت التقصير على صفا عبادتها واخلاص توحيدها
لكن الباري تعالى لم يكلف احدا الا ما يطيق فعلى العبد ان يفعل
ما امر به على غاية جهده وان ضيع شيا مما امر به فقد جار ولم يعدل
فيه كما ورد في السارق الذي يسرق من صلاته اي ينقص من كمال ركوعها
وسجودها فاما العدل الواجب على المصلي ان يعدل في الركوع والسجود
والجلوس والقيام وال العدل في القراة ان يعطي كل حرف حقه ولا يبخسه
حظه من النطق ويتفهم معاني الايات ويخشع في مواضع الخشوع
ويحضر قلبه في مواضع الحضور الى غير ذلك من حقوق الصلاة على قدر
طاقته فان ضيع شيا من ذلك فهي خداج اي ناقصة على قدر ما يكون
النقصان ويتميز منها النفل ان كان له نفل ويفعل الله في حقه ما يشا
وهكذا جميع ما فرض الله تعالى من حقوقه على عباده يجري هذا المجرى
اي فرض كان فاعتبر بهذا غيره من الفرايض لاني لو تتبعت ذلك لطال
به الكلام وخرج عن حد الاختصار الذي قصدت له في تاليف هذا الشعب
وحد الاختصار في ذلك ما ورد في تفسير قوله تعالى يا ايها الذين
امنوا اتقوا الله حق تقاته قيل في التفسير حقه ان يطاع فلا يعصى
ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر فهذه الستة اشيا جامعة لما اردنا

بيانه وهي الطاعة وترك العصيان والذكر الدائم الكثير وترك النسيان
والشكر لجميع النعم وترك التبديل لها كفرا فانك اذا اطعته وعصيته
فقد بخسته حقه فوجب عليك التوبة في العود واذا ذكرته ونسيته
فقد بخسته حقه ووجب عليك التوبة من النسيان والغفلات
واذا شكرته وقصرت في الشكر او وضعت النعم في غير موضعها فقد كفرتها
ووجب عليك التوبة والاقلاع والاستبدال بالحال وهذا اذا
نظرت بتحقيقه النظر لا تمر عليك ساعة من ليل او نهار لا تجدد
فيه التوبة والاستغفار مما اشتغلت به الا ترى الى سيد المرسلين كيف
كان يتوب ويستغفر في اليوم مائة مرة فكيف بامثالنا وان التائب يصدق
من الذنب كمن لا ذنب له والحمد لله فاجعل هذا من بالك واعمل عليه ولا
تقل هذا لا اقدر عليه ولا اقوم بحق الله فان فعلت ذلك كنت
من الهالكين ومن بخس الله ويخشى على المتهاون الهوان في دار الهون
فان الحجة تقوم على الخلق يوم القيمة بطلب معاشهم وتجاراتهم فانهم
لم يقصروا في طلبها وافرغوا غاية الجهد في ذكرها والشغل بها وطاعتها
وعصيان من خالفهم فيها وهي تعب واشق من طاعة الله اضعافا مضاعفة
وان كان يقول الانسان لا اقدر على قضا حقوق الله قيل له فكيف
قدرت على قضا حقوق اغراضك واهوائك وهي اكثر مشقة وتعبا
فلا يكون له حجة والحمد لله الذي لم يكلف المؤمنين ما لا طاقة لهم
به ولو كلف لكان له ذلك وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك
في اخر سورة البقرة ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به فقال له بكرمه
قد فعلت ونسال الله تبارك وتعالى ان يضع لنا البركة فيما وهبنا
من نعم الدين والدنيا والاخرة وان يسمح لنا وان يحبب لنا نفسه
وطاعته حتى تكون احب الينا من كل شي امين واعلم ان الشهادة
لا تكون الا بالعدالة والعدل من الشهدا الذي لا يميل في شهادته
الى احد من المشهود له وضده شاهد الزور وهو الذي يميل عن الوسط
لانه مأخوذ من الازورار وهو الميل والميزان العدل هو الذي يكون
لسانه في وسط القبة لا يميل الى احد الجانبين وكذلك ينبغي ان

يكون الشاهد لا يميل الى احد الجانبين فيبخس حق الاخر كما ان الكفة
اذا مالت في الميزان بخست الاخرى من حقها والخلق كلهم استعبدوا
بهذه العدالة وان يكونوا كلهم قوامين بين يدي الله ومخلوقاته
في شهادتهم لله ولمخلوقاته بالقسط فيعطوا الله حقه وهو معنى
الربوبية والخلق كلهم حقهم وهو العبودية فمن اضاف الى المخلوقات
شيئا من معاني الربوبية وان دق فقد بخس الربوبية حقها وبخس
العبودية حقها وسقط عنه اسم العدالة وسمي باسم الظالم
لانه وضع الشي في غير موضعه قال الله تعالى ان الشرك لظلم عظيم
ومن فهم هذا المعنى انفتح له وجه الحكمة في مظلمة الشرك الذي
لا يغفر قال الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك
لمن يشا وسيأتي الكلام عليه في مواضعه ان شا الله تعالى واما حق — مطلب حق الرسول
الرسول صلى الله عليه وسلم فتعظيمه لا يقدر احد قدره ايضا فان كل
نعمة اسداها الله الى الامة من نعم الدين كلها انما كانت على يديه
فمن كان سبب الهداية الى رب العالمين والمعرفة به وسبب العبادة
له وسبب النجاة من الضلال وسبب تنوير القلوب وشرح الصدور — وتنبيه العقول وسلامة النفوس من وحشة الكفر وضيق الصدور صح
وظلمة الحق ومن العذاب الدنيوي وسبب الراحة بعد الموت
وسبب النجاة من الخلود في النار وسبب نيل الرضوان من ايديه
وسببا لان نعم الله على عبيده ابد الابدين بنعم لا تحصى كيف نقدر
قدر هذا الشخص او نؤدي شكره ابدا فالعدل في حقه صلى الله
عليه وسلم ان نلحظه بعين التعزير والتوقير ونراه في المرتبة
التي جعله الله فيها ونقدره قدره الذي هو عليه وههنا نأتي
للنبذ لك وقد قرن الله اسمه مع اسمه الذي سما على العرش بعظمته
وجلاله ورفعته وكبريائه وذل لاسمه كل شي بالتعبد والخضوع
والاقرار كيف نقدر قدره او نؤدي شكره وقد امر الله تعالى ه
بتعزيره وتوقيره في ايات كثيرة من كتابه فقال تعالى يا ايها النبي
انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ليؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه
ويوقروه وقال للصحابة رضي الله عنهم يا ايها الذين امنوا لا تقدموا

بين يدي الله ورسوله الى قوله لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت
النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم
لا تشعرون فتحقق وتعقل قدره عند الله ان يحبط اعمال الاسلام
من اجل رفع الصوت عنده لقد جل قدره وعظم خطره وكذلك
رفع الصوت بالآرا على سنته وتقديم الراي عليها والتهاون بكلامه
من ذلك المعنى بل تلحظ سنته وكلامه كما تلحظ شخصه واختصار
القول في هذا المعنى ان البارئ تبارك وتعالى جعل الخير والهدى
والنعيم الذي بيده جل جلاله في خزائنه ملكه وجعل الشر والضلال
والعذاب وانواع الخزي كلها الذي في يده الاخرى في خزائنه ملكه
ثم **خاطب** الخلايق كلهم وقال لا ينال احد من الخير الذي في يدي
ذرة الا على يدي هذا المختص الذي ارسلته اليكم ولا ينال شيا من
الشر الذي لا يقوم له شي وهو بيدي الا من اغضب هذا المختص ولم
يطعه فهكذا ينبغي لك ان تفهم بعض درجات النبي صلى الله عليه وسلم
ومراتبه صلى الله عليه وسلم **ومن العدل** في حقه كثرة الصلاة عليه
والدعا له والايثار له على كل شي وهذا الذي ذكرت قطرة من
بحر فنسال الله الكريم ان يجعلنا من امته ويميتنا على سنته وطريقته
وصلى الله على سيدنا محمد النبي واله **واما** حق الدين الذي جا به
هذا النبي صلى الله عليه وسلم فانه دين الله الذي فرضه على حملة
عرشه وعلى خدمة ملكه وملكوته وعلى جميع مخلوقاته وارتضاه
لنفسه ولم يقبل من احد غيره ولا يرضى في ملكه دين سواه وفيه غاية رضوانه
فمتى بلغ رضى الله عنه ولم يرض غيره فمن العدل في حقه ان تعظم اركانه
في القلوب وترفع درجاته ويوثر على النفوس وتلحظ حدوده
بعين الوقار وتغتبط بها وتسال الله الكريم للعبد ان لا يحول بينه
وبينه في حال ولا يبتليه بشي من فرايضه فان من تهاون بها ونبذ شي بلغ
رضى نفسه الله تعالى فقد تعرض لعظيم من الهوان وبالجملة فلا يقدر
الخلايق كلهم قدر شي افترضه الله على جميع مخلوقاته وفيه رضى
نفسه نسال الله الكريم ان يرزقنا تعظيمه ومحبته والموت عليه

مطلب حق الدين

امين

٧١

مطلب حق الخلق

امين **واما** حق الخلق بعضهم مع بعض والعدل في ذلك فكثير جدا
لو تتبعناه لكان فيه اطالة كثيرة جدا وغرضنا فيه الاختصار
فانظر الحقوق التي اوجب الله تعالى لكل خلق عليك من نفسك
ظاهرا او باطنا واهلك وجميع الخلق واعط كل ذي حق حقه على غاية
ما تقدر عليه **واعلم** ان من عدل واعطى كل ذي حق حقه دخل الجنة
بغير حساب والذي يجمع ذلك لك ان تعلم ان المقامات ثلاث مقام
الاحسان والروح وفيه حقوق الربوبية ومقام الايمان والنفس
في عالم الاخرة والاملاك وموجودات الاخرة ومقام الاسلام والجسد
في عالم الحس وللكل عليك حقوق والعدل في ذلك اعطا كل ذي حق حقه
فمن بخس حقوق ذي الحقوق وظلمهم طالبه كل احد بحقه ومن اجل ذلك
طال الحساب ودخلت النار وبخس اكثر الخلق انفسهم في ارتفاع درجات
الجنان فان لله سبحانه حقا وللاخرة حقا ومنوا العمل لها والايثار لها
على الدنيا وللرسالة حق وللملايكة عليهم السلام حق وللدين على
اختلاف ضروبه حق وللخلق حقوق وامر الله سبحانه بالعدل في جميع
ذلك واعتبر امر العدل بقصة المواريث ترى كيف اعطا الله الذكر مثل
حظ الانثيين واعطا الواحد الكل في موضع وللاخر النصف وللاخر
الربع وللاخر السدس وللاخر الثمن وللاخر ما بقي وكيف اشترك اخوة
الام الذكر والانثى على السوا بلا تفضيل فانه انما اعطى لكل شخص من
الميراث على قدر ما له من القرب في النسب من الميت ولذلك يحجب الاقرب
من الميت الابعد منه فيتبين لك عدل الله تعالى في جميع خليقته
ولذلك امرك ان تستن بسنته في العدل في نفسك فتعطيها حقها
من ماكول ومشروب وما تحتاج اليه كما امرت وتاخذ منها حق الله فانك
راع على نفسك وجوارحك وصفاتك ومسؤول عن العدل فيها وكذلك
في صحبتك مع الخلق العدل في ذلك ان تكون انت وهم كاسنان
المشط كما ورد في الحديث الناس كاسنان المشط اي معتدلين لا
لا يبخس احد من حقه شيا لان اسنان المشط مستوية لا يترجح واحد
عن اخر واعتبر كيف اهلك الله تعالى امة شعيب عليه السلام بترك

العدل والقسط **واما** اعتبار العدل في جميع الوجود فمن نظر الوجود
راه كله قايما بالقسط كما قال تعالى والارض مددناها والقينا فيها
رواسي وانبتنا فيها من كل شي موزون وكذلك كل شي كما نبه عليه بقوله
تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قايما بالقسط
اي يعطي كل شي قسطه من الله علينا وعليكم برحمته وفضله ورضي عنا
خصمانا بكرمه وسمح لنا في حقوقه وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم

الشعبة السابعة عشر الامانة وهي من اعظم شعب الايمان
لان النبي صلى الله عليه وسلم قد نفى الايمان عمن ليس بامين فقال
لا ايمان لمن لا امانة له وروى ابو هريرة رضي الله عنه عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا ضيعت الامانة فانتظر الساعة وفي حديث
حذيفة رضي الله عنه الذي رواه في رفع الامانة الذي قال في اخره
فيصبح الناس تبايعون ولا يكاد احدهم يودي الامانة فيقال
ان في بني فلان رجلا امينا ويقال للرجل ما اعقله وما اظرفه وما
اجلده وما في قلبه مثقال حبة خردل من ايمان فانظر هذه الشعبة ما
اعظم قدرها التي يذهب الايمان بذهابها **واعلم** يا اخي ان الامانة
قدرها عظيم لان الله عز وجل عرضها على السموات والارض والجبال
فابين ان يحملنها واشفقن منها وهي صفة باطنة نزلت في جذر قلوب
الرجال يودي العبد المتصف بها الشي الذي اوتمن عليه واستودع
الى من ائتمنه واستودعه كما استودعه ويحق لكل عبد ان يبكي القيح
والدم ان قدر على ذلك من اجل حمله الامانة فان قدرها عظيم
وحملها الانسان بجهله وظلمه **واعلم** يا اخي وفقنا الله واياك
ان الامانة على ضروب فمنها امانة الله وامانة الرسول وامانة
فيما بين الخلق قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله
والرسول وتخونوا اماناتكم وانتم تعلمون ومعناه لا تخونوا الله فيما
ائتمنكم عليه ولا تخونوا الرسول فيما ائتمنكم عليه ولا تخونوا بعضكم
لبعض فيما ائتمنتم عليه فاما امانة الله جل جلاله وتعالى علاوه
وشانه فهي الوديعة التي استودع الله ادم عليه السلام فوق لدم

مطلب امانة الله تعالى

وامنهم عليها وهي تمليكه اياهم للاشيا وجعله اياهم خلفا في ملكه
لانه لولا الغيبة لما سميت الامانة امانة ولا الخيانة خيانة
بغيبتهم عن المستخلف ظهر الامين منهم والخاين فاول ما ملكهم نفوسهم
وامنهم عليها وامرهم بحفظها وان يلقوه طاهرين من معاني الخيانة
كما خلقهم طاهرين ثم ملكهم بعد نفوسهم ملكه واستخلفهم فيه ليكونوا
فيه قايمين بحقوق الامانة لان من ملكك شيا واستخلفك
عليه فقد امنك بحقيقة الامانة اذا انحكم الامين في نفسه
وفيما ملكه بحكم من امنه واستخلفه وكما امره فيكون رد الامر الذي
امنه على نفسه وعلى ملكه فلذلك عظم امر الامانة والخيانة
لانه كلف ان يحكم في نفسه وغيره بحكم الله تعالى فيه وفي غيره انتهى
فان قلت كيف يقدر احد على هذا فاعلم ان حكم الله هو الشرع
الذي شرع والحد الذي حد وقد كلف العبد القيام بما شرع الله له
وحكم عليه في نفسه وغيره وكذلك ورد في تفسير صحيح البخاري في
قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال الاية
قال في التفسير الامانة ما امر به الشرع والشرع امر بالتوحيد
والايمان بالمومنات والقيام بفروع الاسلام وجميع المشروعات
فقد عمت الامانة مقام الاحسان والايمان والاسلام ظاهرا وباطنا
فقد امنه على مقام الاسلام وفروعه في عالم الحس وامنه على مقام
الايمان وعلى نفسه في عالم النفس وامنه على مقام الاحسان في مقام
الروح والعقل لان ذلك هو الشرع كله امنه عليه ليرى ايكون امينا
في ذلك كله ام لا فقد عمت الامانة المقامات كلها فافهم ولكن انما
نفهم حقيقة المعنى منها اعني الامانة بفهم الخلافة فالامين
هو الذي يكون اذا غاب عن الذي امنه كما كان معه في حال حضوره
والباري جل جلاله خلق الخلق طاهرين واستخلفهم في دار الدنيا
ثم امرهم بالايمان به والعمل بمقتضى الايمان بالغيب فمن حفظ نفسه
في دار الدنيا وحفظ ما امن عليه كما كان يحفظ ذلك في حال حضوره
بين يدي الله فهو الامين وقد نبه الله تعالى على هذا المعنى في

مواضع كثيرة فقال تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور
فنبه الناظر على ان الله يعلم خائنة نظره فلو ان الناظر يعلم ويتحقق
ان الله تعالى يراه في حال النظر لما نظر الى ما حظر عليه وقال يوسف
عليه السلام في قصة امراة العزيز ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب
فالامانة ان يستوي من الامين سره وعلانيته ولا يبالي على اي
حال اطلع عليه الا ما امر الشرع بستره من نكاح وغيره وهذه المسئلة
تستدعي فهم معنى الخلافة وكيف استحق ابن ادم ذلك دون ساير الخلق
واعلم ان الملائكة المكرمين خلقوا على مراتب لا يتعدى احد مرتبته
التي جعل فيها كما قالوا صلوات الله عليهم وما منا الا له مقام معلوم
وقد عمروا العالم كله حتى انه ليس فيه موضع شبر الا معمور بهم فالملائكة
المخلوقون بالارضين الموكلون بها لا يتصرفون الا في معنى ما خلقوا
منه وصرفوا فيه والملائكة المخلوقون بالبحار الموكلون به كذلك والموكلون
بالرياح ايضا كذلك لا يتصرفون الا في المقام الذي هم فيه وفي الامر
الذي وكلوا به وكذلك الموكلون بعالم الافلاك والشمس والقمر والنجوم
واجرام السموات وحملة العرش والكرسي وملائكة الجنان وملائكة
النار والحجب وغير ذلك مما لا يحصى كل منهم مخلوق من نوع مقامه الذي
وكل به وعامل بالعمل الذي استعمل فيه لا يتعداه وكذلك الشياطين
والجن مقصورون على نوع ما خلقوا منه وكذلك الحيوانات والنبات
والافلاك الدائرات كل شيء من ذلك قاصر عن الشيء الذي استعمل به غيره
وكل واحد منهم امين في نفسه على الشيء الذي اختص به وهذه الامانة
المعرفة بالالف واللام في قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات
والارض والجبال مخصوصة لادم وولده لان الله تعالى خلق ادم
وولده من جميع المخلوقات وعلمه الاسماء كلها فلذلك كان خليفته
لانه صالح لان يفهم جميع معاني الموجودات كلها وفي بعض الكتب المنزلة
ابن ادم خلقت الاشياء كلها من اجلك وخلقتك من اجلي وتصديقه من
القران قوله عز وجل هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا وقوله وسخر
لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه فهذا هو عالم الملك الظاهر

كله مخلوق من اجله واما عالم الملكوت فان الله يقول واتقوا النار
التي اعدت للكافرين والجنة التي اعدت للمتقين فهذا عالم الملكوت
مخلوق من اجله وابليس انما ابلس من اجله لما لم يقر بخلافته والملائكة
مصرفون في حوائج بني ادم فاسرافيل عليه السلام مشغول بالصور الذي
فيه ارواح بني ادم وجبريل عليه السلام متصرف في الوحي الذي فيه
هداية بني ادم وميكائيل عليه السلام موكل بارزاق بني ادم وملك الموت
عليه السلام مسخر في قبض ارواحهم والبهائم مخلوقة لهم والعرش سقف
الجنة والجنة مخلوقة لهم وكل شيء من اجله خلق ولذلك خلق في اخر الموجو دات
كلها فخلق الله تبارك وتعالى العرش والكرسي والجنة والنار والسموات
والارض والنبات وجميع الحيوانات ثم خلق بعد ذلك ادم عليه السلام
حين كملت الموجودات ليكون خليفة فيها لان ابن ادم فيه من الارض جزء
ومن الجبال جزء ومن الماء جزء ومن الهوا جزء ومن الريح جزء ومن النار جزء
ومن السحاب جزء ومن معاني النبات جزء ومن اخلاق الحيوانات جزء ومن
اخلاق الشياطين جزء ومن اخلاق الملائكة جزء ومن جميع الموجودات
جزء فمن التراب لحمه ومن الجبال عظمه ومن الماء دمه ومن الهوا نفسه
ومن الريح قوته ومن النار حرارته وجعل في باطن جسده القلب وهو
مثل الشمس في الفلك منه تنتشر الحرارة في الجسد كالشمس في العالم وجعل
فيه الرية لتبريد الحرارة عن باطن الجسد وهي مثال للقمر في العالم الفلكي
وجعل فيه المعدة المشتهية للطعام وهي مثال للزهرة في الفلك
وجعل فيه المرارة المهيج للغضب والحقد وغير ذلك من الافعال التي
تحمد مرة وتذم اخرى وهو مثال للمريخ في العالم الفلكي وجعل فيه
الكبد المصفي للدم المعدل للمزاج وهو مثال للمشتري في العالم
الفلكي وجعل فيه الطحال الزام ببرده ويبسه ما صرفه الله فيه من باطن
الانسان وجعل مثاله في الفلك زحل وجعل فيه الدماغ المهيج
للافكار وغير ذلك مما صرف فيه وهو مثال لعطارد فهذه ستة لانه
حسبا الانسان لاشخاص الافلاك التي اقسم الله بها وهي الجوار الكنس
والشمس والقمر وجعل الله سبحانه في هذه الاعضاء الرئيسة قوى هي

فعالة باذن الله تعالى فمنها مغذي وجاذب وماسك ودافع ومصور ومعدل
ومقسم للغذا وغير ذلك من القوى المركبة في باطن الانسان وهي مثال
للاملاك المصرفة للفلك والكواكب الخدمة لهذا العالم باذن الله ٥
وركب ايضا في الانسان طبايع النبات وطبايع الحيوانات من الاكل
والشرب والمرارة والحلاوة والخشونة والبلادة والحقد والشجاعة
والجبن وجميع صفات البهايم والنبات المحمودة والمذمومة ليتم المعاني
كلها لكنه كلفه ان يصير المذموم محمودا وكذلك جعل فيه الهمم العالية
الرفيعة مثال السموات العاليات والهمم السافلة الدنية مثال الادراك
السافلات وجعل له نفسا حاملة لجسده وهي مثال لعالم الكرسي الذي
وسع السموات والارض وجعل له روحا وعقلا وهو مثال للعرش الحامل
للكل وصفات محمودات واخلاقا مذمومات ومحمودات وهي مثال الملايكة
والشياطين فصفات اللين والرحمة والرضوان مثال الملايكة السماوية
المقربين الروحانيين ومثال الشدة والغلظة والقوة مثال الملايكة
الارضية اهل قبضة الشمال ومثال اخلاقه المذمومة مثال الشياطين
وجعل الله سمعا وبصرا وارادة وكلاما وحياة وعلما وقدرة ليفهم
بها صفات باريه فالانسان اذا تفكر في جسده ونفسه وروحه وعرفها
عرف منها جملة الموجودات فلهذه العلة تكلف الامانة فرضا وخليقة
الا انه كلفه ان يجري اخلاقه واعماله واحكامه كلها على الشرع فيكون
كل ما فيه محمودا فايتمنه الله على نفسه وعلى مخلوقاته وامره ان يكون
بدلا امنه وان لا يخون ولا يغير الامانة فمن ايده الله بتوفيقه
واجرى اموره على الشرع وبني على صورة الامانة وصل في الاخرة الى
معنى قوله تعالى واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا كبيرا ومن خان الله تعالى
وادعى الربوبية لغير الله او لنفسه او لفعل من افعال الله تعالى فقد
خان الله فيما امنه عليه وغير الامانة وجحدها واراد قلب الملك وقام
على الملك في ملكه وافسد ولذلك قيل ان من الذنوب ذنوب لا يصلح ٥
للملوك ان تعفو عنها وليس من الحكمة العفو عنها منها خليفة استخلفه
ملك فاراد قلب دولته عليه فانها خيانة عظيمة لا يصلح العفو

عنها اذا عثر عليه قبل توبته ورجوعه الى الحق فلذلك نقسم الخلفا
الامنا وخونه وما بين ذلك فقسم لهم دارين دارا للكرامة ودارا للهوان
نسال الله الكريم ان يلهمنا رشدنا ويتوب علينا من دفاين الافات
وخلايلها انه كريم منان واما امانة الرسل عليهم السلام فانهم
استودعوا للناس الشرايع التي جاوا بها وهي العلوم والاعمال
كما ورد في الحديث العلما امنا الرسل وكلف الخلق كلهم طلب العلم وفرض
عليهم فهم امنا عليه وعلى العمل به فهم امنا على الوضو والصلاة والغسل
والصوم والزكاة والحج وعلى الاعتقادات كلها وكلما يلزمهم التصديق
به والعلم والعمل فمن وفا فوق علمه عمله وسر علانيته وكان جاريا على
سنن الانبيا عليهم السلام فهو الامين ومن كان بخلاف ذلك فهو
الخاين وبين ذلك درجات ولذلك تقول الانبيا عليهم السلام يوم القيمة
اذا سيلت لا علم لنا قال الله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم
قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب اي انت العالم ببواطنهم وما
كانوا عليه حينيذ تظهر الامانة والخيانة تاب الله علينا من قليل
الخيانة ودقيقها واما امانة الناس بعضهم مع بعض فهي الودايع
في الاموال والاهلين وهي التي عبر عنها قوله تعالى وتخونوا اماناتكم
وانتم تعلمون والامانة صفة كريمة من علامة السعادة فمن اخذ درهما
او اقل من ذلك او اكثر من مال غيره فهو خاين لا تبرئه الارادة وكذلك من
نظر نظرة الى غير اهله بسو فهو كما قال تعالى يعلم خاينة الاعين وما
تخفي الصدور وكذلك جميع الجوارح اذا تعدت الى متاع الغير فقد خان
غيره في ذلك والخيانة كلها مذمومة مجانبة للايمان فقد عمت
الامانة جميع المقامات الاسلامية والايمانية والاحسانية كلها
ليرى ايكون العبد خاينا نفسه ام لا نسال الله تبارك وتعالى التوبة
من جميعها امين وصلى الله على محمد النبي واله وصحبه وسلم تسليما كثيرا
الشعبة الثامنة عشر الصدق فاما كون الصدق من
شعب الايمان فقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
عليكم بالصدق فان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة

مطلب امانة الرسل

مطلب امانة الناس

وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا فتى
يبلغ الى الصديقية التي هي ارفع درجات الايمان كيف لا يكون
من الايمان ولان لفظ الصدق من لفظ التصديق والتصديق هو
الايمان فهو منه الا ان الصدق يجري من الايمان مجرى القوة من الابدان
فاذا لم تكن القوة في البدن كان ضعيفا بقدر ما نقصه من القوة
وكذلك الصدق من الايمان بقدر صدق العبد تكون قوة ايمانه ولا
الكذب الذي هو ضد الصدق مجانب للايمان كما ورد عن النبي صلى الله
عليه وسلم حين سئل فقيل له يا رسول الله ايكون المومن بخيلا قال نعم
قيل ايكون المومن جبانا قال نعم قيل ايكون المومن كذابا قال لا واعلم
ان الصدق هو التحقق والتحقيق بصفات الصادقين لان الصدق
هو الحق والكذب هو الباطل فحد الصدق هو التحقيق في الاقوال
والاعمال واحوال القلب وحال القلب هي حقيقة الصدق وصدق
الاقوال والافعال فروع لها عنها تصدر الاقوال الصادقة
والافعال الناطقة بلسان الحال التي هي اصدق من لسان المقال ولذلك
قال الاشياخ من العلما ليس في المومنين اقل من الصادقين وقالوا
ايضا الصدق سيف الله في الارض ما وضع على شي الا قطعه والصادق
في ايمانه من صدرت اقواله وافعاله عن حال تتصف بها قلبه وهي التي
سال الخليل عليه السلام ربه عز وجل فقال واجعل لي لسان صدق
في الاخرين قيل ثنا حسنا اي ثنى عليه بحق وقال النبي صلى الله عليه وسلم
في هذا المعنى ليس الايمان بالتحلي ولا بالتمني ولكنه ما وقر في القلب
وصدقه العمل فالصدق على هذا على ضربين ظاهر وباطن فالباطن
محله القلب والسر وهو على ضربين اعني الباطن ضرب في مقام الايمان
وضرب في مقام الاحسان والظاهر محله الجسد والجوارح الظاهرة
فاذا استويا الظاهر والباطن فهو الصدق من غير همز عود صدق الظا
اذا اختبرت باطنه فوجدته موافقا لظاهره في الصلابة الا
ان ترى ان الصادق في القول هو الذي اذا اخبرك بشي قد تحققه
بقلبه فاذا وجدته كما اخبرك علمت انه صادق والكاذب بضد ذلك

مطلب حد الصدق

اذا اخبرك بخبر وهو لم يحققه بقلبه فاذا وجدته بخلاف ما اخبرك علمت
انه كاذب فقد انفهمك ان الصدق استوا السر والعلانية وذلك ان
الله تعالى ارسل الرسل عليهم السلام الى الخلق وامرهم بالايمان بالغيب
والعمل بمقتضى ما امنوا به والصدق في ذلك كله فامر العبد ان يكون
صادقا في مقام اسلامه وصادقا في مقام ايمانه وصادقا في مقام
الاحسان كان يرتقي في مقام الاحسان الى اعلا درجات الصديقيه
والصديقين على قدر طاقته فامنوا وعملوا وارتفعوا بقدر صدقهم
في موافقة السر للعلانية وانحطوا وقصروا بقدر التنافي في الاقوال
والافعال والاحوال قال النبي صلى الله عليه وسلم ليس الايمان بالتحلي
ولا بالتمني والتحلي هو ان يتلبس الانسان بالايمان والاسلام ويتمنى
ما امن به واسلم له دون الافعال ويعتري هذا من ضعف الايمان
وقلة قوة الباطن التي اعطيها الصادقون وعن هذا المعنى يسئل
الناس يوم القيمة قال الله تعالى ليسال الصادقين عن صدقهم لان
كل من اقر لله سبحانه بالوحدانية ولرسوله صلى الله عليه وسلم بالرسالة
وامن بما جا به فهو صادق فيما اقر به وامن لانه شهد بالحق فيسال عن
صدقه هل وافقت شهادته حاله ام لا فمن صدقت احواله اقواله
وافعاله نفعه صدقه قال الله تعالى هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم
وقال تعالى في قلة الصدق ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب
من يعمل سوا يجز به كما قال عليه السلام ليس الايمان بالتحلي ولا بالتمني
فاذا عدم العبد الصدق خلفه ضده وهو الكذب في الاقوال
والافعال وكان بالمنافقين اشبه منه بالصادقين على قدر قلة
صدقه وكذبه لان المومنين ضد الكافرين والمنافقين ضد الصادقين
فان الكافرين جحدوا ظاهرا وباطنا والمنافقين تحلوا بالايمان
ظاهرا وعروا منه باطنا فكانوا كاذبين فالصادق الحقيقي هو الذي
عري من النفاق ولم يبق فيه منه شي لاستوا ظاهره وباطنه والمنافق
الحقيقي هو الذي عري من الصدق ولم يبق فيه منه شي لاختلاف
ظاهره وباطنه وما بين ذلك درجات بقدر مخالفة الظاهر للباطن هـ

وموافقة الباطن للظاهر فمن تحقق بالايمان والاحسان والاسلام ظاهرا وباطنا فهو الصديق قال الله تعالى والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون ومن قل تحققه قلت صديقيته ومن قلة الصدق خاف الصحابة وكبار العلما روى ابن ابي مليكة رضي الله عنه في الصحيح قال ادركت ثلثين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه وقال التيمي ما عرضت قولي على عملي الا خشيت ان اكون مكذبا وكان عمر يسأل حذيفة رضي الله عنهما عن نفسه هل ترى في شيا من اسباب النفاق وقيل الصادق هو الذي لا يبالي متى جاءه الموت بل الصادق هو الذي يتمنى الموت قال الله تعالى فتمنوا الموت ان كنتم صادقين وقال بعض العلما لا يفزع من الموت الا مريب فاذا اردت ان تعرف هل انت صادق ام لا فانظر هل ترضى حالك للموت وعملك للحساب ونفسك للقا الله سبحانه ام لا فتفقد صدقك في اشتياقك الى لقا الله مولاك **فان قلت** احب اللقا لعلى اتوب الى الله واعمل صالحا فان ذلك عقوبة ما فاتك من الصدق فيما سلف من عمرك او عقوبة ما انت عليه من قلة صدقك في حب الله ولقايه لان نفسك اشركت في حبه حب غيره وللصادقين اسرار واحوال لا يحتمل كشفها الا للصادقين بعضهم مع بعض لتمذقهم بها واكثر الناس ينكرونها عليهم لضعف معاني الصديقية عندهم لانها درجة ليس بينها وبين درجة النبوة حجاب الا درجة الوحي المخصوص بالانبيا عليهم السلام لان شرط النبي الصدق والعصمة من ضده الذي هو الكذب فلولا صدق الانبيا ما ظهر لهم دليل نبوة فما هنيك بدرجة عصم الانبيا من ضدها فاهم درجات الصديق اول درجة النبي من الله علينا بالصدق وجعلنا من اهله في الدنيا والاخرة بمنه وكرمه وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم

الشعبة التاسعة عشر

الوفا بالعهود والمواعيد فاما كون الوفا من الايمان فان ضده من شعب النفاق عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها ومن اذا اؤتمن خان واذا احدث كذب

واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر والوفا بالعهد على ثلاثة اضرب ضرب في حق الله عز وجل وحق دينه الذي هو الاسلام والايمان والاحسان وضرب في حق المومنين بعضهم مع بعض وضرب مع الكفار فاما الوفا مع الكفار بالعهود فهم اهل الذمة والصلح المعاهدين اذا عوهدوا فلما عوهدوا اعليه او صولحوا وجب الوفا لهم بذلك وحرم ظلمهم وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قتل معاهدا لم يرح رايحة الجنة وان ريحها يوجد من مسيرة اربعين عاما وفي الصحيح ايضا وذمة المسلمين واحدة يسعى بها ادناهم فمن اخفر مسلما فعليه لعنة الله والملايكة والناس اجمعين وقال تعالى واوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا وعن ابي بكرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل معاهدا في غير كنهه حرم الله عليه الجنة فالوفا مع الكفار ان لا يظلموا في انفسهم ولا في اموالهم ويوفى لهم بشروطهم التي اشترطت معهم **واما** الوفا مع المومنين فاذا وعد اخاك المومن بعهد فاياك ان تخالفه بوجه الا من عذر قاطع حايل بينك وبين الوفا والعذر المقبول في ذلك اذا ذكرته لمن عاهدته ووعدته مثال المرض وما اشبهه علم انه عذر ضروري وانك لم تكذبه كذبا او حيلة تتخلص بها من خلف الوعد عنده ومن العهد ان لا تغدر بمومن فتظلمه في نفسه او ماله فان الله ورسوله اوجب على المومنين ان لا يخادع بعضهم بعضا ولا يمكر بعضهم ببعض حين جعلهم اخوة فقال تعالى انما المومنون اخوة وقال عليه السلام المسلم اخو المسلم فاذا غدره وخادعه لم يوف له بعهد اخوة الاسلام والخداع والمكر ونقض المواثيق التي ربطت المسلمين كل ذلك من اخلاق المنافقين وافعالهم التي هي ضد اخلاق المومنين ومع كون هذه الاخلاق في الناس قبل لو نبت للمنافقين اذناب لما قدرنا ان نمشي على الطرق ومن العهد الذي يجب الوفا به الارتباط ببيعة السلطان الذي اجتمع على توليته في كل زمان والذي انعقد له عهد الامامة بالشرع فاذا لم ترتبط ولم يرها فقد نقض ميثاق البيعة الذي الزمه الشرع وذلك خروج عن الشرع ومن العهد الذي يجب الوفا به ما اخذ الله سبحانه على العلما في قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب

ليبينه للناس ولا يكتمونه فقد اخذ على العلما تبيين العلم وكشفه لاهله
الطالبين له وتعليمه لكل جاهل به اذا راه جاهلا وتنبيهه فلما سمعه
وذلك من الوفا للرسول عليه السلام بالعهد الذي عهدا ليهم حين قال
للاخذين عنه ليبلغ الشاهد الغايب وقال الله تعالى ان الذين يكتمون
ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس الاية فهذا كله مما اخذ
على من علم شيا ان يعلمه ولا يكتمه فانه عهد الله وعهد الرسل الى الخلق ۞
وكذلك اخذنا الانبيا العهود والمواثيق على جميع اممها ان يومن بمحمد صلى
الله عليه وسلم وتقبل منه اذا بعث فكل مومن به قبل مبعثه او حين بعثه
او بعد مبعثه فقد وفى بالعهد ولم يخلف الوعد وكل من لم يقبل منه عليه
السلام فقد نقض العهد واخلف الوعد واورثه ذلك الخلود في النار وان
كان مومنا بالله وانما اورث ذلك خلف الوعد ونقض العهد فانظر ما اعظم
قدر هذه الشعبة من شعب الايمان والوفا محمود بكل لسان وكذلك من ۞
العهد تبليغ الرسل ما اخذ الله عليهم بتبليغه الى الامم لا يسعهم الا الوفا
بما عهد الله اليهم فالتزموا الجد والصبر على ما اصابهم من الاذى طمعا في
تنفيذ العهد والوفا به فبلغوا اممهم وعهدوا ايضا الى اممهم كما عهد
اليهم واوصوهم بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم في كل قرن وزمان قال
الله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاكم
رسول مصدق لما معكم لتومنن به ولتنصرنه ثم قال اقررتم واخذتم
على ذلكم اصري قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين ۞
والوفا بالعهود والمواعيد لازم في كل شي لن اعتبره ونظر وجده سابغا
في جميع الامور ويجمعه ثلاث مقامات مقام الاسلام في الظاهر ومقام
الجسد وضرب في مقام الايمان وعالم الغيب لانه اخذ عليه العهد ان يومن
بالغيب والدار الاخرة والعمل لها على قدر طاقته فوجب عليه الوفا
بذلك وضرب في مقام الاحسان ومقام الروح والعقل لانه قد اخذ عليه
العهد في الميثاق الاول ان لا يشرك به ولا يساويه بخلقه وان يوثره
على ما سواه في جميع الاحوال فقد وجب عليه الوفا بذلك فقد عمت هذه
الشعبة المقامات كلها فافهم فهمك الله ومن الله علينا بصدق الوفا

انه

انه على كل شي قدير واعلم ان عهد الله تبارك وتعالى قديم وذلك قبل خلق
الدنيا والاجساد فان الله تعالى لما برا الارواح الروحانية من جميع
الموجودات قبل خلق الاشباح الجسمانية وقت تقديرا لمقدورات
فاشهدهم بربوبيته فشهدوا وامرهم بطاعته فاطاعوا وكذلك ۞
اخذ ارواح بني ادم واشهدهم واقرهم فاقروا قال الله تبارك وتعالى
واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست
بربكم قالوا بلى شهدنا فشهد الوجود كله له قال النبي صلى الله عليه
وسلم ان الله خلق الارواح قبل الاجساد بالفين سنة قبل ارواح
الموجودات كلها وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق ۞
وقضى القضية واخذ ميثاق النبيين وعرشه على الما ثم غيبهم في الوجود
فلما اوجد الجسمانيات وربطها بالروحانيات قررهم على العهد القديم
وذكرهم به فقال للسموات والارض ايتيا طوعا او كرها قالتا اتينا
طايعين واما بنوا ادم فذكرهم بالعهد القديم على السنة الرسل
والانبيا عليهم السلام وامرهم بالوفا بعهد الله وان لا ينقضوا الميثاق
وذلك ان تعطى الربوبية حقها وتلزم العبودية قدرها وكذلك جا
الالف واللام في ذكر الميثاق لتعريف العهد المتقدم فانقسم الخلق
في دار الدنيا الى ذاكر للعهد متذكر فاخذ في اسباب الوفا وهم الموفون
المعنيون بقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود قال ابن عباس
رضي الله عنهما هي العهود والى ناس متناس فاخلف الوعد ونقض العهد
والناس في الوفا والخلف في العهود درجات وجعل الله تبارك وتعالى
على نفسه عهدا ووعدا ووعيدا للفريقين جزا للوفا والنقض قال الله
تبارك وتعالى اوفوا بعهدي اوف بعهدكم ومن اوفى بعهده من الله وقد انجز الله
وعده ووعيده للفريقين في الدنيا والاخرة فجزا من نقض العهد واخلف
الوعد في الدنيا اللعنة وقساوة القلب قال الله تبارك وتعالى فبما
نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية وجزاوهم في الاخرة سو الدار
وهي النار على قدر ما اخلف من العهد يكون بعده عن الله وقساوة قلبه
وخلوده في النار او خروجه منها في الدنيا والاخرة مثلما كان اذكا فرا

وجزاء من اوذي بالتهديد والتعزير والزجر في الدنيا وعقبى النار في الآخرة جعلنا
الله من اهل الوفا بتوفيقه وكرمه والحمد لله المنعم وصلى الله على محمد النبي
وعلى آله وصحبه وسلم **الشعبة الموفية عشرون** كف الاذى فاما
كونه من شعب الايمان فدليله ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه **وعن**
ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المسلم اخو
المسلم لا يظلمه ولا يسلمه وذكر الحديث وقال صلى الله عليه وسلم سباب المسلم
فسوق وقتاله كفر فكف الاذى عن المسلمين من اعظم شعب الايمان لان
اذايتهم من افعال الكفار فاذاية المسلم نقصان من كمال الاسلام لقول
النبي صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ومن اجل هذا
جعل السلام تحية المسلمين فيما بينهم ومعنى هذا ان قول القايل سلام
عليكم اي سلمتم مني ان اضرك او اوذيك بظاهري وباطني **فالاذاية** على
ضربين ضرب ظاهر بالجوارح وضرب باطن بالقلوب فاما الظاهر فعلى
نوعين اذاية في الاموال بالسرق والاخذ والنهب وغير ذلك واذاية
في الانفس بالسب والضرب والغزو والهزو والهمز وغير ذلك واما الضرب
الباطن فمثل الحسد والغل والبغضاء والكبر عليه وظن السوء به وقلة
الرحمة له والقسوة عليه وغير ذلك وذلك كله مضر بالمسلمين مؤذ لهم وقد
امر الشرع بكف النوعين من الاذى وقد هلك خلق كثير بعدم هذه الشعبة
عندهم وذلك بحسب قدر الشخص الذي يؤذي على قدر ذلك يكون هلاك
المؤذي والمؤمنون كلهم كبار واذايتهم محرمة ولكن منها ما يكبر فيكون كفرا
مثل اذاية الانبياء وسب شيء منهم حتى ان من قال في النبي ثوبه وسخ يريد
بذلك عيبه قتل كفرا لا حدا ومنها ما يكبر فيكون بدعة مثل اذاية
الصحابة رضي الله عنهم وغيرهم وقد هلك في هذا خلق كثير من الروافض
والشيعة ومنها ما يكبر فيوصل الى محاربة الله تعالى مثل اذاية اهل الولاية
كما ورد في الخبر من اذى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وانا الثاير لوليي
في الدنيا والآخرة او كما قيل ومنها ما يكون فيه القصاص في الدنيا والآخرة
مثل اذاية عامة المسلمين والاذاية كلها فيها القصاص في الدنيا والآخرة

ولكن

ولكن ليس من ابغض صاحبا من الصحابة او وليا من الاولياء كمن ابغض بعض المؤمنين
والذنب واحد لكن كبرت الاذاية على قدر الشخص المؤذى **فاذا فهمت** هذا
ذلك الاذى على نوعين ظاهر وباطن فالنوع الظاهر سلامة الناس من شر
لسانك ويدك وجوارحك والنوع الباطن على ضربين ضرب في مقام
الايمان وضرب في مقام الاحسان فاما الضرب الاول في مقام الايمان
فاقل ما يجب عليك ان لا تؤذي نفسك في الآخرة بالكفر والمؤذيات من
الصفات المهلكات وان لا تؤذي الملايكة الكرام عليهم السلام في عالم
الغيب وان لا تؤذي ذاتك في المآل في عالم الايمان بدخول النار ومقاسات
الشدايد وان لا تؤذي صدرك في الحال بقلة سلامة صدرك من المسلمين
وقد قيل اعني سلامة الصدر للامة وسلامة الصدر للامة وسلامة
الناس من شرهم ومن اجلها هرب الاكابر عن الناس ليسلم الناس منهم وفي
ذلك سلامتهم والضرب الثاني من الباطن في مقام الاحسان هو ان لا
يؤذي الانسان بعقله وادراكاته الرب تبارك وتعالى فينسب اليه
ما لا يليق به بل ينزهه عما يستحيل عليه وينسب له ما يجب ان ينسب
ويجوز عليه ما يجوز ولا يكون من الذين قال الله تعالى فيهم ان الذين
يؤذون الله ورسوله الآية ولا متمم قال الله تعالى عنه ما ورد في الصحيح
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
الله تعالى كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك الحديث
الى آخره فينزه مولاه تعالى ويقدسه عما لا يليق به وينسب اليه ما يليق
به ولا يؤذي المخلوقات ايضا بذلك فانك اذا نسبت الى المخلوقات
شيا من معنى الربوبية اذيتها غاية الاذاية الا ترى الى قوله تعالى
كيف يصف تاذي المخلوقات باقوال الكفار تكاد السموات يتفطرن منه
وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ومثل هذا كثير فاذا كف العبد
اذاه عن جميع المخلوقات وعن الباري سبحانه وتعالى كان كاملا كما قال
النبي صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده وله اسلم
من في السموات والارض من جميع المخلوقات طوعا وكرها فلا يؤذي
الامر اسلم كرها كما امرته **فان قلت** كيف الحيلة في السلامة والانتفا

[illegible] اي الصلحاء الابرار

مطلب مهم يحفظ

بهذه الشعبة فاعلم ان الحيلة في ذلك على نوعين النوع الواحد الخلوة
والعزلة في وقت فراغك تجلس وحدك او تنام فتسلم او تشتغل بطاعة ربك
وذكر مولاك فتغتنم والنوع الثاني كف جوارحك في وقت مخالطتك ومصاحبتك
للخلق وحسن ظنونك وسلامة صدرك لهم فان اذوك ولم تؤذهم ربحت ربحا
عظيما اذا احتملت الاذى فان محتمل الاذى لا يخلوا عن شيئين اما ان يعجل
له ثواب المحسنين واما ان يصبر الى الاخرة فياخذ من حسنات الظالم او يعطيه
من سيئاته وبهذين النوعين يكبر قدر مخالط الناس ويكون له فضل كثير
السلامة والغنيمة وتهذيب الاخلاق فان مخالطة الناس فيها علم كثير
فانه يستفيد بها علما كثيرا وينبهونه على عيوب لم تكن تظهر له وخدم فيكون
الناس له كالمراة وبهولهم كذلك تظهر له فيها حسنه وقبحه ويروض نفسه
على اكتساب الاخلاق الحسنة وطرح الاخلاق السيئة واما من قصر عن
هذه الدرجة فانه من مخالطة الناس على غرر لا سيما في هذه الازمنة ۞
فان ضرر المخالطة اكثر من نفعها **وقد روى** ابو داود في كتاب السنن
عن عيسى بن واقد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كانت
سنة ثمانين ومائة فقد احلت لامتي العزبة والعزلة والترهب في
رؤوس الجبال وهذه الاسباب الثلاثة العزبة والعزلة والترهب
اسبابه السلامة وورد في المخالطة وكف الاذى والاحتمال ايضا
كثير منها ما رواه يحيى بن وثاب عن شيخ من اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم الذي يخالط الناس
ويصبر على اذاهم خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على اذاهم فالمؤمن
يحتاج ان يستعمل هذين الحديثين فيكون له حظ من الخلوة والعزلة
ليانس بذكر ربه ويسلم الناس من شره واذا خالط الناس لما يحتاج اليه
ومالا بد له منه يمسك نفسه وجوارحه عن اذاهم فيحصل له بهذين ۞
المعنيين منال الافادة وراحة السلامة اللذين هما سبب السعادة
ومن جملة ما يلحق بهذا الباب ان لا يؤذي العبد من المخلوقات كلها
الا ما امر الشرع باذاته مثل ان يلعن لها شانا من الحيوان او يسب
الريح او الدهر او شيا من المخلوقات فان المخلوقات كلها قد اسلمت لله

كما قال ولله اسلم من في السموات والارض وقالوا البرهوا الذي لا يؤذي
الذر فاذا فهمت ما تقدم علمت ان هذه الشعبة التي هي كف الاذى
قد عمت مقامات الاسلام ومقامات الايمان ومقامات الاحسان كلها
ظاهرا وباطنا فنسال الله علينا بما ينفعنا ويسلمنا في الدنيا والاخرة وصلى
الله على سيدنا محمد النبي واله وصحبه وسلم **الشعبة الحادية
والعشرون** البر بالوالدين فاما كونه من شعب الاسلام والايمان فدليله ما
كتب النبي صلى الله عليه وسلم للعلاء بن الحضرمي حين بعثه اميرا
الى البحرين فذكر فيه هذا كتاب محمد بن عبد الله القرشي رسول الله صلى
الله عليه وسلم النبي الامي الى خلقه كافة ثم ذكر فيه كلاما كثيرا يدعوا فيه
الخلق الى الله ثم بين لهم الاسلام فقال فيه والاسلام الصلوات الخمس ۞
وايتاء الزكاة وحج البيت وصيام شهر رمضان والجهاد والغسل من الجنابة
والطهور قبل الصلاة وبر الوالدين ثم ذكر شرايع الاسلام والايمان الى اخر
الحديث فجعل البر من الاسلام **وعن** عبد الله رضي الله عنه قال
سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم اي العمل احب الى الله قال الصلاة
لوقتها قلت ثم اي قال بر الوالدين قلت ثم اي قال الجهاد في سبيل الله فقدمه
على الجهاد الذي هو من اعظم سهام الاسلام **وعن** ابن عمر رضي الله عنه
قال قال رجل يا رسول الله اردت ان اجاهد قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لك ابوان قال نعم قال ففيهما فجاهد فرده عن الجهاد الى البر
لانه اعظم منه واوجب ولعظم قدر هذه الشعبة اعني البر من حق الوالدين
مع حقه بتوا والعطف فقال ان اشكر لي ولوالديك الي المصير وشكر
الوالدين هو برهما والقيام بحقوقهما وقال تعالى في اية اخرى وقضى
ربك ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا فقرن حقهما بحقه وحينما
ذكرهما الله تعالى قرن حقهما بحقه فهذه الشعبة اذن من اعظم شعب الايمان
والاسلام واما قرن الله تعالى حق الوالدين بحقه وشكره بتوا والعطف من
اجل ان الله تعالى خلق الولد وصوره واخرجه الى الدنيا ضعيفا لطيفا
لا حيلة له ثم فضل له الوالدين وتكفلا بتربيته لانه لا قوام له بنفسه
فلم يزالا يربيانه حتى وصلاه الى حد يقوم بنفسه ولو تركاه ونفسه

حين خروجه الى الدنيا وحين تربيته لهلك ولم يصح وجوده فهما كانا سبب
تمام خلقته ونشئه فالله تعالى هو الخالق المصور حقيقة وهما المشبّا
له مجازا ذكا اقترن الشكر بالخلقة واشترك معه في سبب كمال العبد
اشرك الله حقهما بحقه وشركه بواو العطف معه في الوجوب ولهذا لا يقدر
احد ان يقوم بحق ابويه لان من كان سبب خلقتك ونشئك كيف تقوم
بحقه او تقدر على شكره وكذلك ايضا قرن العقوق لهما بالشرك به كما قرن
طاعتهما بطاعته لهذه الحكمة فقال تعالى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم
عليكم الا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا تقديره الكلام حرم ربكم عليكم
الا تشركوا به شيئا وحرم عليكم الا تفعلوا بالوالدين الا احسانا ولما
كان الشرك لا يغفر عظم ايضا قدر العقوق لاقترانه به حتى يرضي
الابوان فافهم فمن بر والديه فقد بر بارئه وخالقه لان في برهما بره
للاشتراك المتقدم ولانه امر بذلك فمن بر امره فقد بره جل جلاله
واعلم يا اخي ان البر بهما على امرين لانه اوجه احدها ان يكون
الابوان حيين فيلزم العبد القيام بحقوقهما طول الحياة ويحسن اليهما
بماله وقوله ويؤثرهما على نفسه وزوجه وبنيه وان كانا محتاجين اليه
في دينهما ان يعلمهما امور دينهما فيعلمهما امور الدين ويبينهما على كل ما
يضرهما وينفعهما برفق ورحمة ويتادب معهما غاية الادب ولا يرفع صوته
عليهما ولا يحدد النظر اليهما ويتطلب في كل وقت رضاهما هذا هو البر
في حال الحياة وان كانا ميتين وجب عليه ان يدعو لهما في كل وقت يرحمهما
هذا هو البر يرجى فيه قبول الدعا في اوقات الصلاة ويتصدق
عنهما ويفعل ما استطاع من الخير ويرسل اليهما ثوابه ويصل اهل ودهما
من بعد موتهما فان ذلك كله اذا فعله بعد موتهما يبلغه رضي الله عنه
لاجل رضاهما عنه حين ادخل السرور عليهما في حال موتهما وان كان عاقا
لهما قبل ان يموتا فقد جعل الله لكل مؤمن فرجا ومخرجا اذا عمل اسباب الخير
المامور بها وقد روى ابو صالح عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الخميس ما بين المغرب والعشاء ركعتين
يقرا في كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة وآية الكرسي خمس مرات وقل هو

بطل سنن العمل

الله احد خمس مرات والمعوذتين خمس مرات فاذا فرغ من صلاته استغفر
الله خمس عشرة مرة وجعل ثوابه لوالديه فقد ادى حق والديه عليه
وان كان عاقا لهما واعطاه الله ما يعطي الصديقين والشهداء وانما هذا
من اجل ادخال السرور عليهما ورضاهما عنه وليس هذا من باب لا يصلي احد
عن احد وانما هذا من باب الهبة والهدية تصل الى ثواب لنفسك ثم تهب اجر
ما وهبتك الله لهما والثواب عن الصلاة والهدية مقبولة في شرعنا والصلة
في الدنيا بالدنانير والدراهم والصلة في الاخرة بالثواب والجزاء من
عند الله هذا هو برور الوالدين المسلمين في حال حياتهما وبعد مماتهما
واما اذا كانا مشركين فحقهما حسن الصحبة لهما طول الحيوة وتنبيههما
على الاسلام ومواراتهما بعد موتهما لان الله تعالى يقول وصاحبهما في
الدنيا معروفا وبعد موتهما اذا كانا مشركين يسقط عنه حقهما **واعلم** ان
البر على ضربين لان ذوات الخلق على ضربين اجساد وارواح والاباء
سبب نشو الاجساد الى مرتبتها في الخلقة والزمان فيستغني الانسان
بنفسه في امور دنياه كما تقدم فوجب برهم كما تقدم **والضرب** الثاني
البر للاباء الذين هم الانبياء عليهم الصلاة والسلام وامهات المؤمنين
والعلماء وهم الذين تولد منهم الدين وصلحت بهم بواطن الخلق وظواهرهم
وهم الذين يحرسون الخلق من مكروهات الاخرة ويوصلون اليهم خيرها كما
ان اباء الخلقة يحرسون الابناء من مكروهات الدنيا ويوصلون اليهم نفعها
قال الله تعالى في لوط عليه السلام هؤلاء بناتي هن اطهر لكم يعني بنات قومه
دعاهم الى النكاح وقال تبارك وتعالى النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم
وازواجه امهاتهم وفي قراءة عبد الله وابي بن كعب رضي الله عنهما النبي اولى
بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم وفي قراءة عبد الله وابي بن كعب وهو
اب لهم وفي الحديث عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما
انا لكم بمنزلة الوالد اعلمكم فاذا اتى احدكم الغائط فلا يستقبل القبلة
ولا يستدبرها وذكر الحديث فالنبي عليه السلام لجميع الامة كالاب وازواجه
امهاتهم لان منه ومن ازواجه تعلم الذكور والاناث معاني الدين كله وكم
يتولد خير الامة ومنهن فيره وبرهن وحفظهن كل واجب وعقوقه وعقوقهن

اهلك من كل مهلك فبر النبي صلى الله عليه وسلم وازواجه نظر القلب اليه الان وفي كل وقت بعين الوقار والاجلال والصلاة عليه وعليهن صلى الله عليه وسلم وعلى اله وصحبه الى منتهى الاعمار والاجال والانتساب اليه والى امهات المومنين انتسابا دينيا محبة بالقلب ونطقا باللسان ولعنا وبغضا لمن اذاه او اذى واحدة منهن لا يبرك العبد في دينه سوى ذلك **وقال** النبي صلى الله عليه وسلم الجنة تحت اقدام الامهات وهذا الحديث له ظاهر وباطن وحق وحقيقة لانه عليه السلام اوتي جوامع الكلم فقوله الجنة تحت اقدام الامهات ظاهره ان الامهات يلتمس رضاهن المبلغ الى الجنة بالتواضع لهن والقاء النفس تحت اقدامهن والتذلل لهن والحقيقة فيه ان امهات المومنين من معه عليه السلام ازواجه في اعلا درجة في الجنة والخلق كلهم تحت تلك الدرجة فانتهاء رؤس الخلق في رفعة درجاتهم في الجنة واخر مقامهم في الرفعة اول مقام اقدام امهات المومنين بحيث انتهى الخلق فمن ثم ابتداء درجاتهن فالجنة كلها تحت اقدامهن رضوان الله عليهن وصلوات الله وسلامه على نبينا محمد وعليهن **واما مقام** النبي صلى الله عليه وسلم فكما ورد في حديث قتادة رضي الله عنه ان الله سبحانه وتعالى يقعده على العرش فذلك ان الله تعالى غني عن الملك كله لا حاجة له في ذلك فوهب لنبيه عليه السلام مكان الربوبية ومقام الاشراق على الملك كله استغناء به هو عنه فمن الذي يقدر ان يلحظه بالعين الذي جعله الله هو وازواجه فيه الا ما شاء الله من ذلك فهكذا ينبغي لنا ان نلحظ النبي عليه السلام وازواجه ازلا وابدا لا حرمنا الله بره وبرهن في الدنيا والاخرة امين **واذا فهمت** هذا المعنى فهمت الحقيقة في معنى الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وكيف تعود الصلاة علينا اذا صلينا عليه وعلى ازواجه صلى الله عليه وسلم وعليهن السلام صلاة جامعة لمعاني الاحسان والانعام صلاة دائمة بدوام ذي الجلال والاكرام **واعلم** ان في برور الانبياء والاباء وبرور الامهات اجاوا به بر البارئ تبارك وتعالى كما قال تعالى وان تطيعوه تهتدوا وكما ورد رضا الله سبحانه في

رضى

رضى الوالدين لان الله تعالى امر بذلك ان يطاع الانبيا والابا عليهم السلام ويكرموا فمن امتثل امره سبحانه فقد بر الله واكرمه وعظمه واجله فالبر على هذا عام في جميع الاوامر ظاهرا وباطنا في مقام الاسلام والايمان والاحسان لان الرسول صلى الله عليه وسلم امر بذلك كله والله سبحانه امر الرسول صلى الله عليه وسلم فقد عم البر جميع المقامات كلها لمن فهمه الله تعالى لان في مقام الاسلام والايمان والاحسان وبر البر الرحيم وبر اوامره كلها اوجب الواجبات والانهم حقيقة البر الا من تجلى الله سبحانه له بوصف من اوصافه وهم اهل الحضور كما ورد عن الصحابة رضي الله عنهم وغيرهم ان منهم من كان يدخل الخلا متقنعا ومنهم من كان لا يرفع طرفه الى السما من كثرة بروره لحضور ربه عز وجل وفي هذا المقام مقام الاحسان اسرار عظيمة في معالي البر منا الله بكرمه علينا وعليكم ببره وبر اوامره كلها وغفر لنا ولكم عفو فينا كله بمنه وكرمه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم

الشعبة الثانية والعشرون

صلة الرحم اما كونها من شعب الايمان فدليله ما في كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي بعثه مع العلا بن الحضرمي رضي الله عنه الى اهل البحرين فذكر فيه وان الاسلام اقام الصلوات الخمس وايتا الزكاة وحج البيت وصيام شهر رمضان والغسل من الجنابة والطهور قبل الصلاة وبر الوالدين وصلة الرحم المسلمة وذكر الحديث فجعل صلة الرحم شعبة من شعبه وكذلك ورد في الصحيح عن ابي ايوب رضي الله عنه ان رجلا قال يا رسول الله اخبرني بعمل يدخلني الجنة قال القوم ما له ما له قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارب ما له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتوتي الزكاة وتصل الرحم ذرها قال كانه كان على راحلته فاشتاق صلة الرحم مع التوحيد والصلاة والزكاة في قرن واحد وعن جبير ابن مطعم رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة قاطع رحم والاخبار في هذا المعنى كثيرة **واعلم** ان الرحم على ضربين رحم قرابة وولادة ورحم ايمان واسلام فاما رحم القرابة فعلى نوعين ضرب

منهم يرث وضرب لا يرث ومنهم من تجب نفقته بالحكم مثل الآباء والأبناء ومنهم من لا تجب نفقته بالحكم مثل الإخوة والأخوات والخال والخالات وسائر القرابات لكن بالصلة والإحسان **وأما** رحم الإيمان والإسلام قال الله تعالى إنما المؤمنون إخوة فالإيمان جمع بين المؤمنين وأوجب لكل واحد منهم على أخيه حقا فإذا اجتمع رحم الإيمان ورحم القرابات والولادة كان له حقان حق القرابة وحق الإسلام وإذا انفرد رحم الإيمان كان له حق أخوة الإيمان **واعلم** أن الصلة تكون بالمال وتكون بالزيارة وبالإحسان وبالصفح في الأقوال وبالعون في الأفعال وبالملاطفة بالمحبة والاجتماع وغير ذلك من معاني التواصل والتراحم هذا في الدنيا **وأما** من مات من القرابات فصلتهم تكون بالاستغفار لهم والدعاء لهم في الأوقات التي ترجى فيها الإجابة لهم وتنفيذ وصاياهم وغير ذلك مما يخفف عنهم أو يدخل سرورا عليهم وكذلك أيضا رحم الإيمان صلتهم بقطع التقاطع والتدابر وترك الهجران إلا ما أباحه الشرع من ذلك وصلتهم بالمال عند الحاجة ومن الصلة للرحمين جميعا تعليمهم ما يجهلون وتنبيههم على ما ينفعهم ويضرهم كما ورد في الخبر نعم الهدية الكلمة من الحكمة يهديها الرجل إلى أخيه المسلم والإعانة على الخير بأي وجه كانت صلة وصدقة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال حدثنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر أحاديث منها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل سلامى من الناس صدقة كل يوم تطلع عليه الشمس قال تعدل ما بين الاثنين وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها وترفع عليها متاعه صدقة والكلمة الطيبة صدقة وذكر الحديث وعن أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال على كل مسلم صدقة قيل أرأيت إن لم يجد قال يعتمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق قال أرأيت إن لم يستطع قال يعين ذا الحاجة الملهوف قيل أرأيت إذ لم يستطع قال يأمر بالمعروف أو الخير قيل أرأيت إن لم يفعل قال يمسك عن الشر فإنها صدقة فهذه أسباب التواصل كلها من استعملها كان من الواصلين لاستجماع القرابة فإنها آكد وقد أمر الشرع بصلة

الأرحام كثيرا ونهى عن القطيعة وأوجب اللعنة منه على القاطع فقال تعالى فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الرحم شجنة من الرحمن وفي رواية أخرى عن عائشة رضي الله عنها قالت الرحم شجنة فمن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله والصلة مأخوذة من الوصلة والاتصال الذي هو ضد القطع والانفصال **والحكمة** في ذلك أن النبي وأزواجه عليهم السلام للأمة كالآباء والأمهات والأمة كالبنين كما تقدم في باب بر الوالدين فالمؤمنون كلهم إخوة كما قال عليه السلام المسلم أخو المسلم جمعهم رضاع لبان فطرة الإيمان فإذا لم يكن رحم الإيمان وكان رحم الولادة مجردة من الإيمان وجب البراءة منها كما قال إبراهيم عليه السلام لأبيه والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم والحكمة في هذا أن الصلة نوع من التوحيد لأن الألفة اجتماع والاجتماع اتحاد والقطيعة افتراق والافتراق كثرة والكثرة ضد التوحيد فمن أجل هذا قطع الله قاطع الرحم لأن الله واحد يصل الواحد متصفا بالتوحيد ويتبرى عن الكثرة جل جلاله عن ذلك وإذا انظرت هذه الموجودات كلها وجدتها واصلة هذا الرحم لا ينفك طرفة عين عن التعبد له سبحانه بذلك فإن ملك الله كله أشخاص كثيرة لكن تلك الأشخاص قد عطف بعضها على بعض وصلت إعانتها إلى من يليها ومن يلي ذلك إلى من يليه حتى تماسك الكل وصار ملكا واحدا متعاونا بعضه مع بعض لملك واحد ولو انفصل شيء من تلك الأشخاص ولم يوصل إعانته إلى غيره ولا وصله بذلك بطل تدبير الملك ووقعت الكثرة والشتات **فإذا فهمت** هذا جيدا علمت أن صلة الرحم على ثلاثة أضرب ضرب في مقام الإسلام وضرب في مقام الإيمان وضرب في مقام الإحسان وإذا الصلة قد عمت جميع الموجو دات والمقامات وحرمت القطيعة التي هي الفرقة والعذاب وفي صلة مقام الإحسان يقول الله عز وجل اليوم أرفع نسبي وأضع أنسابكم أين

ابن المتقون والاتصال في حق الخلق بعضه ببعض حتى يكونوا شيئا واحدا حقيقة والاتصال في حق الباري تعالى الذي هو تقارب الذوات محال والاتصال المعنوي الذي هو وصال المحبة والخلة والايمان والعلم والمعرفة والتقرب منه والكون في كنفه حقيقة فمن وصل الرحم الجسمانية والرحم الايمانية فقد وصله الله وكان من الذين يصلون ما امر الله به ان يوصل ومن قطع الرحم قطعه الله **فاذا فهمت** هذا عرفت قدر هذه الشعبة من شعب الايمان وكيف وجبت اللعنة لقاطع الرحم من الله تعالى فان العالم الكلي الذي هو جميع المخلوقات متعبد لله بشرايع الاسلام كلها وشعب الايمان اجمعها فمن ترك شعبة من شعب الايمان خالف الملك كله في تعبده ولذلك امر الله بالتذكر والتفكر وخص رسوله صلى الله عليه وسلم ليقع اليقين بكل ما جاءت به الرسل في قلوب المؤمنين **واعلم** ان هذه الشعبة التي هي صلة الرحم ورد في الخبر انها تزيد في العمر اذا فعلها المسلم وهذا مشكل يحتاج الى بيان لان الله تعالى يقول وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب فمن قدر اجله كبيرا كان او صغيرا لا يقدر ان يزاد فيه ولا ينقص منه كما قال الله تعالى فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون وبيان ذلك ان شاء الله ان تعلم ان العمر هو الحياة والحياة هو عيش الانسان من حين يولد الى ان يموت وصلة الرحم سبب للمودة لانها عبادة تتعدى الى الغير فتدخل السرور على قلوب الموصولين بالصلة فيحبه اهله فيدخل قلبه بكل مسرور سرور في قلبه فتطيب حياته بالسرور الذي يدخل على قلبه وذلك هو الوصال الذي وصله الله به حيث قال من وصلها وصلته ومن قطعها قطعته فاذا وصله الله طابت حياته ونمت فتنتشر حياته وتقوى في ساعة واحدة بالبركة والنمو والمزيد على قدر الوصلة في كبرها وصغرها والبركة زيادة كزيادة ربح المال التي ليست بالزمان وانما هي بالبركة والنمو واذا مات الواصل للرحم يود اهله الذين يحبونه ان لو فدوه بانفسهم فيبقى ودهم له في قلوبهم يعدمونه فيذكرونه بكل خير ويترحمون عليه لان شانه موجود في نفوسهم

فيكون



فيكون ايضا ذلك بمنزلة حياته كانه لم يمت وقد نبه النبي صلى الله عليه وسلم على هذا المعنى في حديث رواه ابو هريرة في الصحيح قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من احب ان يبسط الله له في رزقه وينسا له في اثره فليصل رحمه والا يزهو بعد الموت وروى كميل عن علي رضي الله عنه في الحديث الطويل مات خزان الاموال والعلماء باقون ما بقي الدهر اعيانهم مفقودة وامثالهم في القلوب موجودة فالعلماء احياء ابدا لان اثارهم باقية فافهم والقاطع للرحم يدخل الغم على الغير بغير حق فيبغضونه ويبغضهم ويتولد الحقد عنده فيتنغص عليه عيشه الذي هو حياته وتنغص العيش هو نقصان من عمره لان بركة الحياة قد زالت عنه التي تحصل للواصل وهو طيب الحياة الا ترى الى قوله تعالى من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مومن فلنحيينه حياة طيبة فمن فقد طيب الحياة فقد نقص عيشه ونقص عمره الا ترى الى قول النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة قاطع رحم والحياة الطيبة على الحقيقة هي في الجنة والواصل للرحم اذا وصله الله يجد اذواقا من تلك الحياة على قدر صلته وهي زيادة حياة على حياة وتفهم قول الله تعالى في قوله تعالى وتقطعوا ارحامكم ثم قال اولئك الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم واللعنة هي البعد من جواره الذي هو ضد الوصل والعمى والصمم موت القلب والموت فقد الحياة فهذا بين لا اشكال فيه ان شاء الله تعالى وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم

الشعبة الثالثة والعشرون اكرام الجار فاما كونه من شعب الايمان فان الله تعالى قد اشتاقه بعد التوحيد وبر الوالدين وصلة الرحم في قرن واحد فقال تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب وفي الصحيح عن ابي شريح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والله لا يومن والله لا يومن والله لا يومن قيل من يا رسول الله قال الذي لا يامن جاره بوايقه فنفى الايمان عنه بعدم هذه الشعبة والله اعلم بما اراد رسوله هل اراد جملة الايمان او اراد لا يومن ايمانا

كاملا وكيف ما كان فقد صارت شعبة من الايمان وفي حديث اخر عن ابي
هريرة من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يؤذي جاره والا جار في هذا
المعني كثيرة واعلم ان اكرام الجار على ضربين ظاهر وباطن فالظاهر على
نوعين النوع الواحد وهو الفرض الواجب ان لا يؤذيه ولا يضره ويكف
عنه شره بالجملة والنوع الاخر ان يحسن اليه ويصله بما قدر ويامره بالمعروف
وينهاه عن المنكر وينبهه على ما ينفعه فاذا اجتمع المعنيان فهو الكمال
واذا لم يقدر على الاحسان فليكف عن الاذى هذا حق الجوار عليك في
خاصة نفسك واما في خاصته فان كان محسنا اليك فاقبل احسانه وكافه
عليه بما تقدر عليه من احسان او دعا فان ذلك يتم المحبة وان كان مؤذيا
لك فيلزمك الصبر عليه حتى يجعل الله فرجا او التبديل به خيرا منه او الى كن
بالرحلة ان لم تقدر على الصبر فانه يقال الجار السوء ثبت قبل المنيب
وروي ابو هريرة قال جا رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكوا
جاره قال اصبر ثم اتاه فقال اصبر ثم اتاه فقال عليه السلام اذهب
فاطرح متاعك في الطريق فجعل فجا الناس يرون فيسالونه فيخبرهم
بخبر جاره فجعل الناس يلعنونه فعل الله به وفعل فجا اليه جاره وقال
له ارجع فانك لا ترى مني شيئا تكرهه وحق الجوار في اقرب الابواب
روت عايشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله ان لي جارين فالى ايهما
اهدي قال الى اقربهما منك بابا فالجيران نازلون في حقوقهم منزلة
القرابات الاقرب من القرابات اوجب ابدا ثم الذي يليه وكذلك
الجيران وقد نبه النبي صلى الله عليه وسلم على هذا المعنى في قوله عليه
السلام ما زال جبريل عليه السلام يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه
ومن حسن الجوار بذل الماعون للجيران فانه قد ورد في قوله تعالى •
ويمنعون الماعون انه المعروف كله حتى ذكر القصعة والقدر والفاس
والماعون مشتق من العون والاعانة وكل ما يستعان به على الخير فهو
ماعون قال الله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على
الاثم والعدوان ومن حق الجار على الجار ان ينبهه على ما ينفعه من امر
دينه واخرته وينهاه عما يضره في دينه واخرته فانه يقال ان الجار يتعلق

بجاره يوم القيمة ويخاصمه في حقوقه ويقول انه لم يامره ولم ينهه وان ادي
ذلك الى بغض جاره له فلا يضره فقد ورد في الاثار اذا رايت القاري
محببا في جيرانه فاعلم انه مداهن وقيل مرائي فاكرام الجار جاره بامر الدين
وامر الاخرة كاكرامه بامور الدنيا بل اكرامه بامور الدين اوجب وافضل
فان اكرامه بذلك من الخير الذي لا ينقطع وهي الاخرة وقد قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم خير الجيران عند الله خيرهم لجاره هذا هو الجار
الظاهر واكرامه واما الباطن فعلى ضربين ضرب في مقام الايمان
وضرب في مقام الاحسان فاما الضرب الاول في مقام الايمان فاعلم
ان العالم كله محفوف بالملايكة عليهم السلام وانهم وانا نهوا لهم
وهي مساجدهم التي يتعبدون فيها لرب العالمين محرمة علينا فليس في
العالم موضع شبر الا وفيه جبهة ملك فالعالم كله مسجد لهم فاذا اتيتم
بالمعاصي كما ورد في قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان
تزولا اي من معاصي العباد ويقال ان للذنوب روايح اذا اذنب العبد
ذنبا ثارت منه ريح منتنة تنفر منه الملايكة وتنقبض منه الامكنة
على قدر صغر الذنب وكبره الا تسمع لقوله تعالى تكاد السموات يتفطرن
منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا فاكرام هذا
الجوار كفالذي عنهم بترك العصيان وكشف العورات والقبايح
بحضورهم المكرمين الا ترى كيف امر الشرع ايضا بان لا يستقبل القبلة
ولا تستدبر ببول ولا غايط اكراما للمصلين وكذلك تنفر الملايكة
عليهم السلام من الروايح القبيحة في الاجساد والاوساخ قال النبي صلى
الله عليه وسلم من اكل من هذه الشجرة فلا يقربن مساجدنا يوذينا بريح
الثوم وكذلك لا تدخل الملايكة بيتا فيه كلب ولا صورة تمثال وذلك
كله داخل في هذا المعنى وفيه اشارة الى بيت القلب وتطهيره من كلب
الحرص والغضب وتماثيل الشرك المتوهمة المحبوبة القاطعة عن
الله تعالى فازالة ذلك كله اكرام للملا الاعلى المجاورين للقلوب
والارواح والنفوس في عالم الملكوت وللاجسام في عالم الملك واما
الضرب الثاني الباطن في مقام الاحسان فهو مقام مراقبة الباري

سبحانه وتعالى فى حقايق هذا الباب اكرام نظر البارى تعالى والحياء
منه والتعظيم والتوقير له والاجلال والاجار له فانه الجار القريب
الذى هو اقرب الى كل شئ من كل شئ واكرام هذا الجار الكريم موجود فى قوله
تعالى تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام ومعناه هو اهل لان يجل
مقامه ويكرم بنظره وقربه فافهم فهمك الله واغنانا واياك على الكمل
الا ترى انه قد ورد فى الاخبار ان آدم عليه السلام لما واقع الخطيئة قيل
له اخرج فانه لا يجاورنى من عصانى فمن كان فى الدنيا احسن الجوار ظاهرًا
وباطنا كان جزاؤه الحلول بجوار الواحد فى الجنة على قدر حسن جواره يكون
قربه من جوار الواحد الاحد عز وعلا ولذلك نبه النبى صلى الله عليه وسلم
على هذا المعنى فى قوله عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم
جاره فمعنوله من كان يؤمن بالله واليوم الآخر اى من كان يؤمن بجوار الله فى الآخرة
والرجوع الى السكنى فى جواره فليكرم جاره فى الدنيا على المعانى الثلاثة
المذكورة فيما تقدم والمقربون الذين قاموا بحق الجوار قد وجدوا ابن
قرب جوار الواحد الاحد اذ واقاموا الدنيا قبل الآخرة فاثرهم المنازل
الرفيعة من قربه وسكنهم المقامات العالية من جواره ان المتقين فى جنات
ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر والجوار اخو الاعتكاف فى الشرع
وهو واعلاه عكوف السر على مولاه فى المقعد الصدق عند مليك
مقتدر وفى الحديث ايضا الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة اى
قد احل مقامهم وانزل منازلهم وعلى هذه الحالة نقول انا لله
وانا اليه راجعون ونسأل الله الكريم التوبة من كل ما يوجب البعد من
جوار الله وان يرزقنا الحياء منه والاكرام له ولملائكته الكرام المكرمين
وصلى الله على محمد وآله وسلم

الشعبة الرابعة والعشرون

اكرام الضيف اما كونه من شعب الايمان فموجود فى قوله صلى الله عليه وسلم
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه وفى الصحيح ايضا عن ابن
عمر رضى الله عنهما ان رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اى
الاسلام خير قال تطعم الطعام وذكر الحديث فجعل اطعام الطعام من الاسلام
وهو راجع الى التضييف وغيره لان اطعام الطعام على نوعين اما ان

يأتيك الزائر فتطعمه فيكون ضيفا لك واما ان تدعوه فيجيبك زائرا
لك فى منزلك فيكون ضيفا بدخوله فى منزلك لا يخلو اطعام الطعام
عن هذين القسمين ولان اطعام الطعام من المروءة وقالوا لا دين لمن لا
مروءة له والاخبار فيه كثيرة واعلم ان التضييف على نوعين ظاهر
وباطن فاما الظاهر فهو للزائر او المستزار للاتيان فاما الزائر فهو
القادم عليك فاكرامه بثلاثة انواع بالايواء والتبجيل والقرى ومنتهاه
ثلاثة ايام كما اخبر النبى صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر
فليكرم ضيفه جائزته قالوا وما جائزته يا رسول الله قال يوم وليلة
والضيافة ثلاثة ايام فما كان بعد ذلك فهو صدقة عليه ولا يحل
له ان يثوى عنده حتى يحرجه ويؤثمه قالوا كيف يؤثمه قال يقيم عنده
وليس عنده ما يقريه به فالايواء يزيل الغربة والخوف عن الضيف
بوجود المنزل بدلا من منزله والتبجيل والترحيب يزيل عنه وحشة
الغربة ويثير عنده الانس والقرى يطيب النفس ويولد المحبة وهذه
كلها اعمال فاضلة من اعمال الايمان ومن اجل هذه الثلاثة كانت
الضيافة على اهل الوبر اوجب منها على اهل المدر لان المنزل والانس
والقرى متعذر فى البادية كلها وهى كلها موجودة فى الحاضرة فان
المسافر يجد المنزل فى الحاضرة غير متعذر ويجد الخلق الكثير والطعام
الكثير على اختلاف انواعه كما ورد فى الخبر الضيافة على اهل الوبر
وليست على اهل المدر ولو لم يكن فى التضييف فائدة الا ما ورد فيه
ان الضيف اذا ارتحل ارتحل بذنوب اهل المنزل كيف وفيه من غير ذلك
من اسرار الجزاء المعتبر عنها قوله تعالى انما تجزون ما كنتم تعملون حكم
وانوار عبر عنها قول النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله من كان يؤمن بالله
واليوم الآخر فليكرم ضيفه ففى قوله هذا تنبيه عظيم لفهم الجزاء على
الاعمال معناه من كان يؤمن بالله واليوم الآخر اى يصدق بلقاء الله والقدوم
عليه فالانسان ضيف فى الآخرة قادم على الله تعالى فيؤويه سبحانه فى منزله
وداره التى هى الجنة ويعظمه ويكرمه ويخدمه الولدان والحور ويتلقونه
بالبشرى والتوقير والتبجيل ويكرمه بالاطعام والراحة فى دار كرامته

فليكرم ضيفه فانه قادم عليه ليس له ماوى كما تقدم ان الانسان غريبا
في الاخرة ليس له ماوى فيبوئه الله في الجنة ويتلقاه بالبشرى والترحيب
ويثيبه الله على ذلك الترحيب والتوقير وتخدمه الاملاك والولدا
ن ويقدم اليه النزل فان الله تقدم اليه اذا حل جنته جميع ما فيها
من الاطعمة والكرامة وهكذا صفة الاعمال كلها من عمل خيرا او شرا جزاؤه
في الاخرة على شكل العمل في الدنيا جزا وفاقا سيجزيهم وصفهم وانما
نبهتك على هذا لتتنبه في الفاظ القران والحديث على معاني
الجزا فينكشف لك حقايقها فانها في الفاظ الرسول صلى الله عليه
وسلم والقران مودعة وكذلك اذا استزارك اخ من اخوانك
وغيره الى منزلك فاطعمه واكرمه هو من الايمان ايضا فقد سئل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الايمان فقال اطعام الطعام
وبذل السلام وقال ايضا في الكفارات والدرجات اطعام الطعام
والصلاة بالليل والناس نيام والاخبار في فضل الضيافة واطعام
الطعام لا تحصى لانه شعبة عظيمة من شعب الايمان ويقال
ان التسخي على الطعام يستر البخل بالمال واما الباطن فعلى ضربين
ضرب في مقام الايمان ويقال ان التسخي على الطعام يستر البخل
بالمال وطامة الباطن وضرب في مقام الاحسان فاما الضرب
الاول الايماني فاعلم ان كل وارد يرد على العبد من الغيب مما ليس
بحاصل معه ولا هو محل له فانه ضيف يرد عليه يجب له من
الاكرام اتماما يليق به كضيف ابينا ابرهيم صلوات الله على
نبينا وعليه وعلى الانبياء والمرسلين ومنهم الملائكة الواردون
على الخلق قال الله تعالى هل اتاك حديث ضيف ابرهيم المكرمين
وقال لوط عليه السلام قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون ولقد
راودوه عن ضيفه فانما سموا ضيفا بقدومهم عليه ودخولهم منزله
الا ان ذلك اسم لهم فافهم فان الملائكة عليهم السلام تتعاقب
على الخلق في كل يوم وليلة كلهم ترد من عند الله ملائكة النهار بعد
صلاة الصبح فتحفظ على الخلائق اعمالهم وكذلك ملائكة الليل

ايضا ترد عليهم عند ذهاب النهار واقبال الليل فتحفظ عليهم
اعمالهم هكذا ابدا كل يوم وليلة لا يخلوا العبد عن القادمين
عليه والواجب على العبد اكرامهم بما يليق بهم من التعزير والتوقير
وقبول الهامهم وترك الايذا لهم بما يكرهونه مرحبا لقنه العبد
ونزل نعيمهم في كتب الفضول من القول والعمل والفعل واملا
الاعمال الصالحة عليهم من الاذكار والاقوال الطيبة ليكتبوها
فذلك اكرامهم وتضييفهم وكذلك الانفاس ثم الساعات
ثم الايام والليالي قادمة على العبد شاهدة له او عليه اكرامها
املاؤها بالخير فانها ظروف لا تحمل العبد خيرا ولا شرا الا في
ساعة من الزمان او اقل من ساعة او اكثر واهانتها املاؤها
بالشر وكذلك كلما ورد من الخاطر خير وواعظ في قلب المومن
او تفهيم علم من الله تحية اكرامه بالقبول والامتثال واما الضرب
الثاني من الباطن في مقام الاحسان فهو تجلي الباري للقلوب
المؤمنين وتنزله اليهم بصفات الرحمة والتكليم في كل ليلة وتنبيههم
في كل وقت من التذكير والوعظ فيجب اكرام تجليه وتنزله ومجيئه
سبحانه وتعالى من اتاني يمشي اتيته هرولة وكيف لا وهو اقرب من حبل
الوريد وانما تنزله ومجيئه كشف الحجب من الغفلة وغيرها عن القلوب
فقد عم التضييف والاكرام جميع المقامات الثلاثة الاسلام والا
والايمان والاحسان وتعين الاكرام في كل مقام منها لكل ضيف وارد
فيها فمن اكرمها اكرم ورفع قدره في الحال ان كان من اهل الاحوال
وفي المال اذا قدم على ذي الجلال والاكرام وان اغفلها واستهان
بها حرم الاكرام والترفيع في الحال والمال ومن هذه الواردات
ما يعظم قدره فيزيد في قلوب المتلقين له اكراما وترحيبا
على غيره وان كان الكل مكرما كيوم الجمعة في الايام كان السلف
الصالح يأخذون الاهبة له عشية الخميس وذلك من الاكرام له
وكانوا يتلقونه بالترحيب كان ابرهيم بن ادهم رحمه الله يقول في كل
صبيحة يوم الجمعة وعشيته مرحبا بيوم المزيد مرحبا بالكاتب

في التشهد وكذلك اوقات الصلوات على غيرها افضل وكالشهور
الفاضلة كشهر رمضان وغيره وليلة القدر وغيرها من الليالي الفاضلة
وكذلك الواردات كلها من الله تبارك وتعالى في القلوب ومن هذا
الباب دخول المستعداد لقدوم الموت عليهم والارتقاب له
والتاهب للقاية فمن اكرم هذه الواردات وتلقاها بالاكرام
ورآها رسله واردات من الله تعالى كان جزاؤه عند اول دخول الآخرة
وفي منتهاها التاهب لقدوم روحه في السموات حتى ان الارض لتقول
له قدمتم مرحبا بك لقد كنت احبك وانت على ظهري فستري صنيعتي
بك اليوم ولا يمر بروحه على ملاء من الملائكة الا تلقته بالترحيب
والاكرام يقولون روح طيبة جاءت من جسد طيب حتى لا يبقى في الوجود
الا من يكرمه ويرحب به على قدر رحمته **واذا اردت** اعتبار
هذا المعنى في الوجود كله فان الملائكة والوجود كله بين يدي الله
تعالى متلقي لما يرد عليه من الله بالترحيب والامتثال والاكرام وهذا
مقام الاحسان فافهم فهمنا الله واياك واعاننا على بره وبروسنا بطه
المكرمة امين وصلى الله على سيدنا محمد واله وسلم **الشعبة
الخامس والعشرون** الصمت والحياء كون الصمت من شعب الايمان
فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الاخر
فليقل خيرا او ليصمت وفي الحديث الحياء والعي شعبتان من الايمان
وحد الصمت الامساك والحبس فاذا فهمت هذا فاعلم انه على ثلاث
مقامات مقام الاسلام ومقام الايمان ومقام الاحسان واما الصمت
في مقام الاسلام فان الكلام ينقسم الى قسمين خير وشر وقال الله تعالى
لا خير في كثير من نجواهم الاية وقال النبي صلى الله عليه وسلم وهل يكب
الناس في النار على مناخرهم الا حصائد السنتهم ومن عد كلامه من
عمله قل كلامه الا فيما يعنيه فاذا علم العبد ان كلامه من العمل كان
كسائر الجوارح لسانه والجوارح كلها ساكنة صامتة لا تتكلم وكلامها
العمل فقد استوى اللسان مع الجوارح فكما ان الجوارح لا يجوز لها ان
تعمل الا صالحا فكذلك اللسان لا يعمل الا صالحا وعمله هو الكلام ٥

واكثر الناس لا يعدون الكلام من العمل من طريق ان اللسان هو ترجمان
العبد في جميع حوائجه فخففوا الكلام على الناس وهو الذي اوردها الموارد زد
واهان الخلق وفي اللسان انواع المهالك مثل الكذب والزور واليمين
واللمز والاستهزاء والنميمة والبهتان والغيبة والكلام الذي لا يفيد
فواجب على العبد ان يحكم لسانه ويضبطه كما يضبط سائر الجوارح ولا
يتكلم الا فيما امر به والذي امر بالكلام فيه والصمت في عالم الحس ثلاثة
ايضا ضرب في المباحات والاشغال التي لا بد منها وضربان في امور
الدين ان امور الدين على ضربين خير وشر **فاما امور** الدنيا فيتكلم الانسان
بحوائجه في منزله ومع اهله ومع من يبيع منه ويشتري مما لا بد له منه
ومع الاصحاب والجلساء بالانبساط وتطييب النفوس ومما لا بد منه
وذلك كله حسن ويضبط لسانه عن كل جفاء وبذاء فان ذلك من شعب النفاق
واما امور الخير الدينية فالكلام فيها بالسؤال عن العلم والجواب فيه
فلا يتكلم الا بعلم حق ولا يتكلم في الدين باهواء المبتدعة المتعمقين
ويتمذهب به فان ذلك جناية على الدين والصمت عن ذلك فرض
واجب الا ان يتكلم العالم فيه والمتعلم بمعنى الحكاية او على وجه البيان
لفساده فان ذلك علم وخير ومتى وجد الانسان من يكفيه ويكون هو
صامتا كان خيرا له وكذلك اذا سئل عن فتوى مسئلة فليصمت عنها
ويدفعها الى من هو اعلم بها منه او كلف الفتوى بها فذلك طريقة
السلف **هذا** اذا كان عالما بها واما اذا كان جاهلا فالصمت
عليه واجب لئلا يتكلم بالجهل ويفتي بغير علم فيضل ويضل والصمت
زين للعالم وستر للجاهل **واما** امور الشر الدينية فان العبد اذا
رأى عيبا من غيره فانه مأمور بستر العورة وان لا يرفع الفواحش ولا
يطلب المثالب والعورات وليكف عنها ويصمت عن الكلام بها والا
كان من الذين يشيعون الفواحش ويؤذي الناس بلسانه ومن شر الناس
من اتقاه الناس مخافة لسانه الا ان يرى منكرا فواجب عليه ان ينهى
صاحبه فيتكلم اذ ذاك فان الصمت هناك قبيح فان رأى من يفسد
صلاته او طهارته او تجارته فلينهه والصمت عن ذلك اثم وعلى

مطلب في اللسان انواع المهالك

الجملة المختصرة الجامعة في هذا الباب فليكن لسان العبد عنده بمنزلة
جارحة من جوارحه كما جعله الله تعالى جارحة من الجوارح وليكن كلام
اللسان عنده عملا من الاعمال كلها كما جعله الله تعالى والاعمال كلها
تنقسم قسمين خير وشر وكذلك الكلام فليصمت الانسان وليكف
عن الشر ولا يتكلم الا بالخير كما امران لا يفعل الا الخير ويترك الشر
بجوارحه كلها فاذا كان العبد هكذا كان حكيما عاقلا لان الصمت
حكم وقليل فاعله وكذلك الحكماء قليل واذا كان الانسان ممسكا لسانه
عن الشر متكلما بالخير صار ذلك عادة له فيثقل على اللسان الكلام
بالشر والباطل ويكرهه وينفر منه ويعي ويكل عنه فيكون العي الكلامي
في الشر صفة اللسان فحينئذ يكون بالوصف الذي قال النبي صلى الله
عليه وسلم فيه الحيا والعي شعبتان من الايمان فالعي في اللسان عن الشر
وفي الجوارح من اكبر خصال الايمان ومن الناس من تكل جوارحه عن فعل
الشر وتعي فلا تميل الى ذلك ولا تنشط وترك ذلك هو صمتها كما ان
عمل الجوارح هو نطقها فان الفقهاء قالوا ان الرجل اذا اكتب لامراته
بيده انت طالق ولم ينطق بلسانه ان ذلك كلام بمنزلة قوله انت
طالق سوا فعلى هذا يصمت العبد بجوارحه كلها ويضبطها عن الشر
واعظمهم في ذلك رتبة اللسان لانه الترجمان والمبين وقد كان
من السلف الفاضل من يحبس الحصاة في فيه رياضة للسانه لعله يصمت
كما تصمت الجوارح ويكون ذلك عادة له والاخبار والحكايات في فضل
الصمت وافات الكلام وفضل الكلام ايضا في الكتب اكثر من ان تحصى
من الله علينا بما ينفعنا به امين **واما المقام** الثاني من الصمت في مقام
الايمان فان اول ما يقع عليه نظر الايمان في الغيب النفس الباطنة
في الجسد وهي محادثة ابليس المستعمة له وهو ابدا متكلم بانواع الوسواس
وهي متكلمة بانواع التسويل وضروب الاماني والخواطر المذمومة على
اختلاف انواعها ولو لا هي ما تكلم اللسان بحرف في الظاهر وخواطرها
في ذلك تنقسم على نوعين واذ كثرت نوع منها تفكر في معصية وتدبير
لها كيف تكون ونوع منها في امتداد الامال الدنيوية وتدبيرها

والحوض

والموت في اودية كيف يكون ومما يكون بل هي المتكلمة في النوم واليقظة
والصلاة والاكل والشرب وفي كل حال فيجب على الانسان ان يصمت
هو الموت في ذلك والحديث به فانه زخرف وغرور الا ترى انه لا يكتب
للعبد من صلاته الا ما عقل منها هذا من اجل تحدث النفس في الصلاة
بخواطر اغراضها فكما يمضي باقي الصلاة باطلا ولا يكتب للعبد كذلك
يمضي عمره كله باطلا في حين حديثها في اي نوع كانت فيه من الطاعات التي
لا تحضر فيها وتسكت عن افسادها بالحديث بالعجب والريا وغير ذلك فافهم
فان قلت وكيف تسكت النفس فاعلم ان الله تعالى قد جعل في مقام
الايمان الموتات العظايم والاهوال الجسام مثل الموت والقبر وسوال
منكر ونكير والحشر والنشر والصراط والحوض والميزان والحساب والجنة
والنار وجميع امور الاخرة فاذا تفكر العبد في الموتات وتكلم فيها
بالفكر في عالم الغيب سكتت النفس عن تسويلها وحديثها بالامر بالسوء
وانصرفت صامتة عن امور الدنيا والشر الا فيما يجب وصارت متفكرة
في كيف يكون حالها في الموت وشدايد الامة والقبر واهواله والنار
الكبرى واهوال القيمة وتفكر في اعمالها السوء وما هي عليه فتلوم
نفسها وتنكسر فتصير لوامة بعد ان كانت امارة وذلك من رحمة الله
تعالى بها في قوله تعالى الا ما رحم ربي ولو لا الرحمة بها ما زالت عن
الامر بالسوء ابدا لانه طبعها فلا تسعى عن على ضمانها واشتغالها بالنظر
بالايمان في الموتات وذلك لسر فيه بعد مسافة وانما هو نظر بالايمان
في الموتات والانسان حيث كان قايما او جالسا او مضطجعا يدرك
ذلك كله من مقامه ويرى كيف يخاطبه كل شي في الغيب بلسان الحال وهو
صامت لم ينسخ الى قول المصطفى صلى الله عليه وسلم حيث قال تركت
فيكم واعظين صامتا وناطقا فالناطق القران والصامت الموت
فهذا متكلم وهو صامت فيقول لك انا الناقل لك عن هذه الدنيا
الفانية الى الدار الباقية وانا الذي احول بينك وبين اهلك و[لك]
وجيرانك واصحابك وذارك وبنيك وخدمك ومراكبك وجسدك
ولا ارى عي شيا من ذلك بل اخذك احببت او كرهت فاستعد لي فاني

مطلب كلام الموت

مستعد لك الشيء هادم اللذات ومفرق الجماعات ومهلك الاولين
والاخرين ومبيد كل جسد ذي روح من طير في الهوى او حوت في بحر او وحش
بري او حيوان انسي فانظر لنفسك فلا تنظر الى انزلك ولو تركت احدا
لتركت الانبيا واهل الكرامات على الله فانظر لنفسك يا مسكين
فقد مات سيد الاولين والاخرين صلوات الله عليه وسلامه وعلى
النبيين فكيف تطمع في الخلد يا نفسا مسكينة بخواطرك الكاذبة وليس
في الدنيا من مخلد **وكذلك** يخاطبه القبر وهو صامت انا بيت الدود
انا بيت الغربة انا بيت الوحشة انا بيت الظلمة انظر ما اقول لك
انا كان حقا ام لا الست تصير في غربتا عن كل ما نقلك الموت عنه
الى الست ترى ظلمتي كيف التراب تحتك وفوقك وبيمينك وشمالك
ومن كل جوانبك الست ترى كيف يصير جسدك قيحا وصديدا ونتنا ودودا
الست ترى وحشتك في حين اسلمك الخلق كلهم ولم يشتغلوا بك
ولا اقبلوا عليك بل انصرفوا عنك وتركوك واسلموك الست ترى
ضيقي هل رايت قط بيتا على هذه الصورة ولا تجد في اين تتصرف
يمينا ولا شمالا الا فصدقني يا مسكين فان كل ما قلت لك حق واستعد لي
بما يونسك في وما يوسع علي عليك وما يكرمك في ولا يهينك هكذا الى
تمام ما يحصى من كلام الحال **وكذلك** تقول له النار في الغيب قد عظم
عذابي وكثرت آلامي فما اعظم سلاسلي واغلالي وطمت اهوالي
وانكالي واشتد حري وغضبي وما اكره زقومي وغسليني وما اعظم
ما اعددت لمن يدخلني فانظر لنفسك واطلب النجاة مني **وكذلك**
تقول الجنة قد كثر حريري وطاب نعيمي وجرت مياهي وانهاري وجل
عن الوصف قدري فطوبى لمن حل بي فانظر يا مسكين ان لا تنصرف عني
وكذلك الصراط وجميع الاهوال يخاطبه كل احد من مقامه بلسان
الحال بانواع من الكلام وضروب من العلوم المحتمنة للنفس الامارة
المسكينة هادا لو تتبعتها لكان فيها اسفار من الحكمة فاذا اقبلت
النفس على ذلك وصغت اليه واستمعت له انكسرت عن محادثة ابليس
وصمتت عن خواطرها المذمومة ورجعت تتكلم باللائمة على نفسها

كيف يكون حالي في تلك الاهوال العظام مع ضعفي وقلة حيلتي ثم
ترجع الى ربها فتنال له الرحمة وتحسن التوبة فحينئذ يكون لها وصف من
الاوصاف المحمودة فان رجعت الى الحديث في امور دنياها وتكلمت في
ذلك بالفكر فيما لا بد منه وهي منكسرة فيكون حديثه طاعة اذ كان معينا
للاخرة فهذا حال العبد في مقام الايمان ومشاهدة المومنات الغيبيات
الساكنة عن الفكر في المحظورات والاماني الكاذبة المسولات انتهى

فصل واما المقام الثالث من الصمت والعي في مقام
الاحسان فانه اذا نظر العبد في مقام المشاهدة وشاهد العقل والسر
فرق ما بين قدر الخالق والخلق وشرف الباري سبحانه وفضله على ساير
المخلوقات امتنع الاذكار سوى ذكر الله وصمت الاسرار عن ذكر شرف
سواه مع ذكر شرفه وقال الله تبارك وتعالى لقد انزلنا اليكم كتابا فيه
ذكركم اي شرفكم فاذا لاح شرف قدر الباري سبحانه للعقول لم يذكر قدر
مع قدره ولا شرف مع شرفه وامتلا السر بذكره وصمت عن ذكر سواه ونسي
باستيلا تعظيم ذكره ذكر ما سواه وربما ارتفعت همم اقوام في هذا المقام
عن ذكر الذكر غيرة ان يذكر مع المذكور الشريف القدر سواه فيغيب عن
ذكر الذكر في الذكر شغلا بالمذكور الاجل الشريف الارفع جل جلاله
وتعالى علاه وشانه وفي هذا المقام كان علي بن ابي طالب رضي الله
عنه يتغير وجهه عند الوضو لانه كان ياخذ في التاهب للدخول على
المذكور العظيم في مقام الاحسان عند الصلاة الا تسمعه يقول سبحانه
ان الصلاة تنهى عن الفحشا والمنكر ثم قال ولذكر الله اي في الصلاة اكبر
من الصلاة وغيرها وهكذا في جميع انواع الطاعات صلاة او غيرها
الا ترى الى قول الصديق رضي الله عنه من ذاق شيئا من خالص محبة الله
انساه ذلك ما سواه وهذا لان ذكر جلال الله اصمت عن كل ما سواه من
جميل وغيره او لا ترى الى حال عثمان رضي الله عنه في مقام الاحسان
وحضوره فيه كيف كان يستحيي وينقبض حتى لا يرفع طرفه الا ترى الى
مقام عمر رضي الله عنه وجهره الله اكبر حين كبر قدر الله عنده فكان يشاهد
الاشيا متغيرة في جنب كبريا الله فكان يقول الله اكبر او لا تسمع الى

قول النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة حين نسي آية من القرآن فسألهم عنها فلم يجيبوه فقال أفيكم أبي الحديث إلى قوله لهم ما بال أقوام يتلى عليهم كتاب الله ربهم إلى قوله هكذا خرجت عظمة الله من قلوب بني إسرائيل إنما أمرا هذا كله من أجل أن الأسرار لم تصمت في مقام الحضور الذي هو الإحسان ولا أنصتت في موضع الإنصات وإن كانت الألسن قد أنصتت فلم ينفع ذلك الإنصات شيئا إذ المعول على إنصات السرائر لكلام الرحمن قال الله تعالى وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا وقد حصل الأمر في هذا الإنصات الروحاني الباطن بالصديقين إلى حد عظيم وجد ذلك من أكابر الأنبياء عليهم مثل الحديث الصحيح الذي ورد في الصحابي حين رد رأى الطائر في بستانه في الصلاة فتصدق بالحائط كفارة لذلك الفكر وكذلك فعل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بحديث نفسه في صلاة الليل بأمور التجارة التي كان أرسل بها إلى الشام فاشتغل حتى لم يدر ما كان فيه فتصدق بالعير كلها وأحمالها وأقتابها فكان ذلك [illegible] كثيرة فانظر إلى هذا الصمت كيف هو عند الرجال الأكابر وقد ورد في الصحيح من هذا المعنى كثير من ذلك حديث ما يقطع الصلاة فورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا صلى أحدكم إلى غير سترة فإنه تقطع صلاته المرأة والحائض والكلب وفي رواية أخرى الحمار والخنزير واليهودي والمجوسي والمرأة وورد أنه لا يقطع الصلاة شيء والمار هو الخاطر وقد نسخ ونزل العمل بقطع الصلاة في الظاهر بالحديث الآخر الذي قال فيه لا يقطع الصلاة شيء وبقي حكم الأمر في الباطن عند الراسخين في علم الناسخ والمنسوخ فإن المار كما تقدم الخاطر والخاطر الذي يخطر في حين الصلاة في باطن العبد بالحديث في المرأة التي هي الأنثى أو المرأة الدنياوية أو الخاطر الذي يكون في الكلب الحرصي والخاطر الحماري الذي تأمر بالإقبال على غير الله في الصلاة الجاهل بالمقام الذي هو فيه أو الخاطر الشبقي الخنزيري في الجماع في تلك الحال أو الخاطر المجوسي الذي يولد العجب في الصلاة برؤية الأفعال واستحسانها من النفس كما ورد أن القدرية مجوس هذه الأمة وإنما كانوا مجوسا لإضافتهم الأفعال

إلى أنفسهم فالحديث مع هذه الخواطر كلها وترك الصمت عنها يقطع الصلاة بلا خلاف عند الجميع أعني أنه لا يكتب له منها ما قطعت هذه الخواطر منها فلا يكتب له إلا عشرها تسعها ثمنها الحديث إلى آخره وإنما يكتب له منها ما حضر فيها مع الله تعالى ولذلك تجبر الصلوات بالتطوع إذا كانت ناقصة هنا النقصان وغيره **فالصمت** في مقام الإحسان عن الحديث مع غير الله من أوجب الواجبات والتوبة والاستغفار من ترك الصمت فيه من أوجب الواجبات وقتاله ودرؤه واجب كما ورد في الحديث ٭ فليقاتله فإنه شيطان ولكل حديث ظاهر وباطن كما للآيات فإن نسخ الحديث ظاهرا بقي حكمه باطنا فإن الباطن محكم كله **واعلم** أن قلة الصمت من العباد في هذا المقام إنما هو من قلة العلم بالله وقلة الحياء منه فنقصت الخشية بقلة العلم فيبقى النفس جنة فإذا ذكر القلب والسر الله سبحانه تحدثت النفس مع خواطرها وأقبلت على غيره ولو كان السر عالما بشرف قدر المذكور الذي قام بين يديه وحاضر معه لاستحيا أن يتحدث مع غيره وصمت بالأدب بين يديه كما يصمت بين يدي ملك من ملوك الدنيا حياء منه وخشية كما يصنع أهل الخشية والحياء مع الله سبحانه في مقام الحضور الإحساني فقد ورد في الخبر ما تجلى الله لشيء إلا خضع له وقد ورد في صفة قوم في الآثار وصفوا فيها بالخشية والصمت في هذا المقام فقال في بعضها إنهم قوم أسكتتهم خشية الله سبحانه وإنهم لهم الفصحاء البلغاء وهو لأمم الذين تصفوا بالعي بين يدي مليكهم فتعاميا ألسنتهم وجميعهم بالأدب إنصاتا للحكيم العليم واستماعا له وكذلك أحوالهم في جميع المقامات ألم تسمع إلى وصف النبي صلى الله عليه وسلم للمحب في مقام الحب حين قال حبك للشيء يعمي ويصم وهذا هو الصامت بالحقيقة لأنه إذا أقبل على محبوبه ولم يلتفت إلى سواه فقد صمت عن الحديث مع غيره ولعل معترضا يعترض فيقول إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يسهو في الصلاة في هذا المقام وينسى فشتان ما بين الحالين ونسيان النبي صلى الله عليه وسلم إنما كان حضورا لأن قرة عينه كانت في الصلاة فقد يكون النسيان لأركان الصلاة ومهما تهاون كثرة الحضور مع الله سبحانه في الإقبال

على ملامه والتقدم وقد وصل كثير من التابعين والمتأخرين في هذا
المقام الى حد عظيم من النسيان للخلق فكيف بالمصطفى صلى الله
عليه وسلم الذي لا يغويه شيطان ولا يحضره ولا يحضرها نا فيه
شيطان ولقد كان الشيطان يفرق من ظل عمر رضي الله عنه ويخافه
ويسلك فجا غير فجه اذا رآه فكيف بالنبي صلى الله عليه وسلم فالحضور
في مقام الاحسان في صلاة او غيرها لا يصح الا بالصمت الروحاني
وقطع الاصوات الخفية لان الاصوات مشوشة مشغلة وحينئذ
متى انقطعت يكون متى نظر الى الوجود كله يراه صامتا بين يدي مليكه
لا يقبل على احد بالكلام معه ثابتا لا يستطيع الا بلسان الحال الذي هو
اوضح من لسان المقال وصاحب لسان الحال صاحبه صامت لا يتكلم بلسان
المقال الا مع مكلمه اذا امره سبحانه واذا انطقه فكذلك ينبغي ان يكون
العبد في مقام الاحسان واحدا من تلك المخلوقات الصامتة فمتى
التفت الى مخلوق منها الى جانبه او اي مكان نظر ظاهرا او باطنا راه
صامتا وقال له صمته بلسان الحال اصمت كصمتي بين يدي مليكك
فمتى كان ناطقته البرايا كلها وهي صامتة فعلمته وتادب بها وكان
كاحدها وحصل له مقام الصمت الدائم فاستوى عنده الحضر والبادية
والخلا والملا لانه لا يجد في العالم موضعا ليس فيه مخلوق ولا يجد
موضعا خاليا من الخلق بوجه ولا منفذ ابرة فان الهوا من اعظم المخلوقات
الذي تتوهمه الناس خلا والمخلوقات كلها كما تقدم صامتة متكلمة
بلسان الحال للناظر فيها معلمة له الصمت فلا يرى خلقا الا هكذا
فلا يرى في كل شي الا الله بالدلالات عليه ولا يسمع الا التنبيه عليه
والاشارة بالادب والصمت بين يديه ولا يرى الا المسبحين له بلسان
الحال الذاكرين له الساجدين له القانتين الخاشعين الصامتين
بالهيبة فلو وقع بصره على ما وقع في هذا المقام في اي مكان لم يسكر
الحاضر متعبدا الدائما احوال الشريفة متادبا بالصمت في مقام
الحضور وقد عبر سهل بن عبد الله رضي الله عنه عن حاله الكريمة
في هذا المقام فانه كان اماما قطبا وصديقا عليما نفعنا الله في

الدنيا والاخرة بحبه وجعلنا من امثاله امين فقال رحمه الله اني لي اربعين
سنة اكلم الله سبحانه والناس يظنون اني اكلمهم وانما كان هذا لانه
تحقق في مقام الصمت وثبت فيه ورسخت قدمه فلم تزل عنه نسال
الله العظيم ان يثبتنا بالقول الثابت في الدنيا والاخرة وان يلحقنا
بعباده الصالحين ولا يجعل حظنا من اوصافهم وصفهم بمنه وكرمه
امين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم **الشعبة**
السادسة والعشرون الغيرة اما كونها من الايمان فقد
روى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يغار
وان المومن يغار فنسب الغيرة الى الايمان بقوله ان المومن يغار
وروى مسلم والبخاري عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اسمعوا ما يقول سيدكم يعني سعد بن عبادة قالها للانصار في
قصة ذكرها سعد فيمن وجد مع امراته رجلا انه لغيور وانا اغير منه
والله اغير مني فجعل الغيرة من صفات الله تعالى وصفة رسوله عليه
السلام وصفات المومنين والاخبار فيها كثيرة **واعلم** ان الغيرة
على معنيين ظاهر وباطن فاما الظاهر منها فالغيرة على الحريم وهي
على نوعين محمود ومذموم فالمحمود منها الغيرة في الريبة وسد الذرائع
الموجبة للريبة فان ذلك يودي الى العفة عن المحرمات وكذلك
ورد في الديوث من الشدة ما ورد لفقد الغيرة منه وتفسير معنى
الغيرة هو كراهة مشاركة الغير **واما** المذموم منها فالغيرة في غير
ريبة ومن الناس من يقوى فيه هذا حتى يكون بلاء على اهله وعليهم
ما لم تكن اهله تعرفه وروى جابر بن عتيك ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان يقول من الغيرة ما يحب الله ومنها ما يبغض الله فاما
الغيرة التي يحبها الله فالغيرة في الريبة واما الغيرة التي يبغضها
الله فالغيرة في غير ريبة والفرق بين الغيرة المحمودة والمذمومة
ان المحمودة حفظ الحريم عن اسباب التبرج والخروج بالثياب المزينة
الى المواضع التي ينظر الى المراة فيها فيقبل الغوي عليها ويميل بي ينتز بينها
وتطيبها وشبهها هذه كلها اسباب مذمومة والمنع من هذا احسن

محمود و ورد في وصفهن في الحديث نسآء كاسيات عاريات مائلات مميلات لا يدخلن الجنة ولا يجدن رائحتها وان ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام ومن اجل ذلك حرم الحمام على المراة الا لمريضة او نفساء لانها تهتك سترها بانكشافها لغير محرمها واما اذا خرجت المراة فيما لا بد لها منه من حوائجها متبذلة لا مختصرة الثياب محتشمة في مشيها فقد اباح الشرع ذلك روت عائشة رضي الله عنها قالت خرجت سودة زوج النبي صلى الله عليه وسلم بعدما ضرب علينا الحجاب لحاجتها وكانت امراة جسيمة تفرع النساء طولا لا تخفى على من يعرفها فراها عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال يا سودة اما والله ما تخفين علينا فانظري كيف تخرجين قالت فانكفأت راجعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي وانه ليتعشى وفي يده عرق فدخلت فقالت يا رسول الله اني خرجت لبعض حاجتي فقال لي عمر كذا وكذا قالت فأوحي اليه ثم رفع عنه وان العرق في يده وما وضعه فقال انه قد اذن لكن ان تخرجن لحاجتكن وفي الحديث نعم النساء نساء الانصار لم يمنعهن الحياء ان يتفقهن في الدين وقد اذن للمراة ان تسال عن دينها اذا لم يكن من يغنيها واببيح لهن الخروج الى الصلاة في المساجد والى المصلى في الاعياد ولكن على شرط ما وصفه الله في قوله يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المومنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يوذين فامرهن بالتستر بالجلابيب وان لا يعرضن نفسهن لان يعرفن والله يعلم المفسد من المصلح

وقالت عائشة رضي الله عنها يرحم الله نساء المهاجرات الاول لما نزلت وليضربن بخمرهن على جيوبهن شققن مروطهن فاختمرن بها وقالت اخذن ازرهن فشققنها من قبل الحواشي فاختمرن بها

واما الباطن فعلى ضربين ضرب في مقام الايمان وضرب في مقام الاحسان فاما الضرب الاول في مقام الايمان وعالم النفس فان النفس امارة بالسوء مؤنثة مطبوعة على اكثر معاني النساء واذا لم يكن لها عقل زاجر طلبت التبرج بمحاسنها والتزين بصفاتها وانفعالها والركون الى ابليس قرينها فاصطحب معه وقبلت وحيه فكانت عينه سره ومعدن وحيه كالمراة السوء التي

لا

لا تبذل زوجها على حبسها اذا كان قليل الغيرة وكانت اقوى منه فتكون من الما لكة له تفعل ما تهوى وهو المملوك لها تجري في اغراضها ولا يقدر على ردها وهذه صفة النفوس الردية الغالبة للعقول الضعيفة وقد نبه النبي صلى الله عليه وسلم على هذا المعنى في قوله الهوى والشهوة يغلبان العقل والعلم والبيان فاهل القوة العارفون بركاكة النفوس غارت عقولهم على نفوسهم فملكتها العقول بزمام القهر وساستها بسياسة الحفظ فكانت النفوس مملوكة والعقول مالكة قائمة عليها بما امر الشرع القيام به قال الله تعالى الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وقد ورد في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم في شرف العقل ما يويد هذا المعنى فقال في خبر فيه طول يذكر فيه شرف العقل لكل قوم راع وراعي العابدين العقل ولكل اهل بيت قيم وقيم بيوت الصديقين العقل فهذه رعاية باطنة للنفوس وادواتها وبيوت غائبة تحفظها العقول برعايتها لان قوله عليه السلام لكل قوم راع قد عم به الرعاية الجسمانية كلها في حق كل احد وقوله لكل اهل بيت قيم عام ايضا في البيوت الظاهرة كلها التي تسكنها الاجساد فاذا غار العقل سبحانه على نفسه وحمل النفس على ما امر به كانت النفس صالحة قانتة حافظة للغيب لانها ساكنة في الغيب بما حفظ الله فلم يصدر منها فعل الا بما يحب الله وتقوى هذه العبرة في العارفين وتتحكم هذه الرعاية فيهم فمنهم من يغار ان تخرج نفس من انفاسه لغير الله تعالى او لغير ذكر الله لانه ورد في الخبر ما قعد قوم مقعدا لم يذكروا الله تعالى فيه ولم يصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم الا كان عليهم حسرة يوم القيمة فكيف اذا كانت في معاصي الله عز وجل فاهل العقل غاروا على اعمارهم ان تمضي ضايعة في غير طاعة الله او خالية من ذكر الله فيخسرون ما لا درك له ولا خلف منه وهذه غيرة يا لها من غيرة ما توجد الا في الذكور من الرجال وفيهم تحققت صفات الرجولية كما اثنى الله عليهم بها في قوله رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب

فيه القلوب والابصار وقد اثنى الله عليهم انصافه اية اخرى فقال
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الى اخر المعنى ولعمري ان الرجل
ليثبت ما رضاه وما يستحق الثنا بالرجولية لظهور النفوس عليهم وقلة
الروحانية العقلية فيهم اللهم ثبتنا عندك ووفقنا لعمل يرضيك يا
اكرم الاكرمين **واما الضرب** الاخر الباطن من الغيرة في مقام الا
الاحسان فهو مقام من المعرفة يغارون عليه منه وهو مقام شريف
لا يتكلم فيه الا الصديقون والمقربون ومن ذلك قول ابي يزيد البسطامي
رضي الله عنه حين قال له يحيى بن معاذ هلا سألته المعرفة به فقال
له ويحك غرت عليه منه ان يعرفه سواه وغير ذلك من الاحوال التي لا
يصلح كشفها من اسرار المعرفة التي امر بصيانتها وسترها في مقام الاحسان
عن جميع الحدثان ومن ذلك غيرة الصديقين على كتمان الاسرار عن غير
اهلها وصون المكنون المصون عن اضاعته وهم اهل المكشوفات
والكرامات كما قال بعض اهل المعرفة لا يطلع على اسرار الملك الا امين
لان كشفها لغير اهلها اضاعة فالغيرة عليها وصيانتها كصيانة
الحرم من صفات الرجال واهلها من قرب من مقاماتهم او كان منهم ذكما
اباح الشرع رؤية القرابات بعضهم لبعض ولا يحل ستر الحرم عنهم
كالاخ مع اخته وامه وبنته والعم وغير ذلك فكذلك ايضا هذه الرابطة
الاخرى وقد امر النبي صلى الله عليه وسلم بهذا في قوله لا تؤتوا الحكمة غير
اهلها فتظلموها ولا تمنعوها اهلها فتظلموهم لان للصديقين مع الله
سبحانه وتعالى اسرارا وكشوفات لا يحتملها عقول اكثر الخلق كما قال
النبي صلى الله عليه وسلم لا تحدثوا الناس بما لا تدركه عقولهم أتحبون ان
يكذب الله تعالى ورسوله وذكر من ينتمي الى المحبة مقاما منها عند بعض
الاشياخ فقال له بعد كلام طويل هل رأيته في ليلة مرتين او ثلاثا
قال لا فقال لولا اني استحيي لاخبرتك انك محبته مغلولة تهتم بسوى
حبيبك ولا تراه في ليلك ثم قال لكني لا ادعي محبته وعلى ذلك ما اهتممت
بسواه منذ عرفته وربما رأيته في ليلة سبع مرات **وقال** بعض الابدال
رأيت الله سبحانه مائة وعشرين مرة وسألته عن تسعين مسئلة اظهرت

منها ادمته فانكرها الناس فاخفيت الباقي فلاجل هذا كانت غيرة اهل
الكمال وبخلهم بالاسرار لئلا تظهر للاجانب لا على الاهل لها والاقارب
واعلم ان اول من العامة هو الحريص على اخبار الاولياء الذي اذا سمع
حقا لم ينكره ولا يعترض عليه بالمنقول ولا المعقول بل يحرص عليه ويموت
نفسه شوقا بالكمد اليه وان اول من الخاصة الذي يفيد ويستفيد
ويجد في احواله وعلومه وكراماته الزيادة والمزيد اللهم ارزقنا
حبك وحبهم واعطنا ما اعطيتهم يا كريم واما غيرة الباري سبحانه
فقد فسرها النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ان الله تعالى يغار وغيرة
الله ان لا يأتي المؤمن ما حرم الله عليه ومن غيرة الحق سبحانه حجاب الاجانب
والاباعد عن مواطن القرب منه قال الله تبارك وتعالى واذا قرأت
القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا قال
سري السقطي رحمه الله هذا حجاب الغيرة فلا احد اغير من الله ومن
غيرة الحق على الاكابر انهم اذا ساكنوا شيئا سواه او لاحظوا غيره شوش
عليهم وامتحنهم حتى تصفو اسرارهم له كما فعل بيوسف عليه السلام حين
قال للذي ظن انه ناج منهما اذكرني عند ربك اي عند ملك مصر فلبث
في السجن بضع سنين من اجل ذلك وادم عليه السلام لما وطنت نفسه
على الخلود في الجنة والطمأنينة بها اخرج منها وابرهيم عليه السلام
لما احبه اسمعيل عليه السلام امر بذبحه **وقال** بعض المشايخ رأيت
بعض الاولياء يدمع عينه فسألته فقال نظرت مرة الى شاب نظرة فاذا
كف من الهوى قد لطمني فطارت عيني فسمعت صوتا يقول لطمة بنظرة
وان زدت زدناك وانما هذا من اجل كبر اقدارهم عنده ولو ان اقرب الناس
اليك واحبهم عندك من ولد صغير او ما اشبهه رأيته يفعل بنفسه فعلا
يضره ويهلكه لغارت نفسك عليه وضربته واغلظت له في القول لانه
عز عليك هلاكه وضرره فالله تعالى اغير على انفسنا التي هي اعز الاشيا
علينا ويمنعها من مواطن الهلاك الابدي وما هذا الا من ضعف غيرة الايمان
فينا وقلتها عندنا والغيرة اذا اعتبرتها وجدتها عامة في جميع العوالم
ومقامات الاسلام والايمان والاحسان كلها في جميع الاشيا لانها

نعمة عظيمة من شعب الايمان وهي باقية في الدنيا والاخرة فان الملك
الكريم جبرئيل عليه السلام حين رمى بالطين في فم فرعون وهو قد غرق
حين اراد ان يقول كلمة التوحيد انما فعل ذلك غيرة لله سبحانه من اجل
تمرده على الله عز وجل وكذلك غضب جهنم وتميزها من الغيظ انما ذلك
غيرة لله على العصاة له وكذلك الزبانية فيها وكذلك ورد ان
الارض تستاذن والسما ان تخسف بمن عليها او ترميهم بعذاب من فوقهم
انما ذلك غيرة لله سبحانه وكذلك في الجنة الغيرة باقية فيها فان
كل احد في ملكه قد حجبه عن غيره غيرة عليه فافهم فقد رحت الشعبة
وغر على نفسك لله تعالى لعل الله يغار لك فيحميك من كل مكروه *
من الله علينا وعليكم بما من على اوليائه واصفيائه امين وصلى الله على
سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم **الشعبة السابعة**
والعشرون ترك ما لا يعني اما كونه من شعب الايمان فدليله الحديث
المشهور من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه فجعل ترك ما لا يعني من
حسن الاسلام وحسن الشي بعضه وقد دل الحديث من قبح اسلام المرء
اخذه فيما لا يعنيه فما هنالك بهذه الشعبة شرفا اذ حسن الاسلام
بوجودها فيه وقبح بفقدها منه وقيل للقمان الحكيم ما بلغ بك ما
نرى يريدون الفضل قال الصدق في الحديث واداء الامانة وترك
ما لا يعنيني وتفسير ما لا يعني هو الفضول كله على اختلاف انواعه
والناس يسمون من دخل فيما لا يعنيه فضوليا فمن اشتغل بما لا يعنيه
تعطل وفاته ما يعنيه وترك ما لا يعني هو الاشتغال بما امر العبد
به والاقبال على ما يعود عليه نفعه ويثمر له فائدة في دينه واخرته
وترك خلافه وهذه صفة العاقل وضدها صفة الاحمق كما ورد
في الحديث الطويل الذي رواه ابو ذر رضي الله عنه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال فيه وعلى العاقل ان يكون له ساعات
ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يتفكر
في صنع الله عز وجل وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب
وعلى العاقل ان لا يكون ظاعنا الا لثلث تزود لمعاده او مرمة

لمعاشه او لذة في غير محرم وعلى العاقل ان يكون بصيرا بزمانه مقبلا
على شانه حافظا للسانه ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه الا فيما
يعنيه فالمشتغل بما لا يعنيه اسمه في لسان العلم المتكلف وقد امر
الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم ان لا يكون من المتكلفين فقال
له قل ما اسألكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين فما لا يعني هو ما لا
يعود فيه فائدة في دين او اخرة ومن اشتغل بما لا يعود عليه فيه
فائدة فقد ظهر سفهه وقبح حاله **واعلم** ان ترك ما لا يعني
على ضربين ظاهر في عالم الجسد ومقام الاسلام وباطن وهو على
ضربين ضرب في مقام الايمان وعالم النفس وضرب في مقامه
الاحسان وعالم الروح كما ان الانسان ظاهر وباطن وظاهر
الانسان هو جسده وجوارحه وباطنه هو نفسه وروحه فهو على
ثلاث مقامات على عدد الذوات الجسد والنفس والروح فمن قعد
بجسده مع البطالين وسمع كلامهم باذنه ونظر اليهم بعينه وخاض
معهم بلسانه ومشى اليهم برجله واشرح جوارحه في خوضهم واشتغل
بقيل وقال فقد عمر جوارحه بما لا يعنيه في مقام الاسلام وتعدى
ذلك الى قلبه في مقام الايمان فانه يفكر فيما تشتغل به جوارحه
والانفاس والساعات تمر عليه بالبطالة وربما جره ذلك الى ما يعنيه
تركه من المحرمات وترك الواجبات او نقصها وترك الفضائل والرغائب
والاعراض عن مراقبة الله عز وجل وما يعنيه من مقامات الاحسان *
فيلقى التعب ومن خدعته نفسه بامانيها والشيطان واغفلته *
عن التاهب للاخرة واطاعها بالفكر في الاماني واودية الغرور فقد
ترك ما يعنيه واشتغل بما لا يعنيه ظاهرا وباطنا في المقامات
الثلاث ومن شغل الظاهر والباطن بما لا يعني تعلم ما لا يهم العبد
من العلوم وتركه ما هو مهم به لمن ترك تعلم العلم النافع الذي فيه
اصلاح نفسه واخذ في تعلم ما يصلح به غيره فيشتغل بعلم مجادلات
الناس وخصوماتهم وهو لم يحكم اصلاح نفسه بعد ويقول في اعتذاره
ينبغي تعلم العلم ونفع الناس به ولو كان صادقا لاشتغل بالاهم فالاهم

فاذا اصلح نفسه فحينئذ يطلب كيف يصلح غيره واصلاح نفسه واهله يعلم صلاح قلبه ورياضته على اخراج الصفات المذمومة المهلكة في الاخرة مثل الحسد والحقد والريا والكبر والعجب والترؤس على الاقران والتطاول عليهم واخواتها وجملتها تصل الى مايه صفة مهلكة والكثر ثم علم الصفات المنجية مثل الرجا والخوف والخشية والقناعة والزهد والرضى والمحبة والتواضع والتوكل والتوبة من القليل والكثير والمراقبة وغير ذلك من صفات القلب المنجية وجملتها ايضا تصل الى المائة وهذه الصفات المهلكة والمنجية هي كلها من نوع ما اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ثلث مهلكات وثلاث منجيات فاما المهلكات فشح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه واما المنجيات فخشية الله سبحانه في السر والعلانية والقصد في الغنى والفقر والعدل في الرضى والغضب فالذي يشتغل بما لا يعنيه يترك باطنه مشحونا بالمهلكات خاليا من المنجيات ويطلب اصلاح غيره فيما يزعم ولو كان صادقا لاصلح نفسه ثم يطلب صلاح غيره كما يفعل العلما الصادقون من السلف الصالح ولذلك ورد في الاثر لا يفتي الناس الا امير او مامور او متكلف فالتارك للاهم عليه من العلوم وتعديه الى غيره مشتغل بما لا يعنيه وهذا اذا اعتبرته وجدته عاما في جميع الاحوال والاعمال والمقامات الثلاث فالذين اشتغلوا بما يعنيهم هم اهل الوقت كما قالوا المريد الصادق هو ابن وقته فالمريد لله سبحانه وللدار الاخرة راى وقته كله ثلاث ساعات ساعة قد مضت عنه في معصية وبطالة فيتوب الى الله منها ويستغفر ويندم ويبكي عليها واما في طاعة فيشكر الله ويساله القبول لها وساعة هو فيها فيشتغل فيها بما يعود عليه فيها نفع في دينه واخرته ولا يخلو هذه الساعة من ثلاثة احوال صالحة اما ان يكون فيها مشتغلا بعلم ينفعه او عمل صالح يقربه الى الله تعالى او مباح يستعين به على طاعة الله وكل معين على الطاعة طاعة وقد انخدع اكثر الناس في هذه الساعة من المباح فتراه اكثر الناس مشتغلا بدنياه والحرص عليها وهو يقول انما اشتغل بهذا المباح ليعينني على الاخرة وهو مخدوع بطلب التكاثر والفضول لو عقل والساعة الثالثة هي الاتية المستقبلة فالعمل بها والتدبير لها تضييع للحاضرة فاما الصادقون المشتغلون باشد ما يعنيهم فجعلوا الوقت كله لله سبحانه كان او غيره ومن ذلك ما ورد عن مالك بن انس رضي الله عنه انه كان يسد اذنيه بالكرسف لئلا يسمع كلام الناس فيحفظه فيشغله عما يعنيه لانه راى ذلك مما لا يعنيه وكذلك لشدة حفظه كان ابو بكر الصديق رضي الله عنه يضع حجرا في فيه لئلا يتكلم بما لا يعنيه والاثار عن الصادقين في هذا المعنى اكثر من ان تحصى وايرادها يجر الى التطويل وغرضنا الاختصار والذي يتبين لك في هذا الباب ان كنت صادقا في عزمك ان تنظر جوارحك وقلبك فان كان كل واحد منها مشغولا بما يعود عليك فيه فايدة في دينك واخرتك ودنياك المحمودة فانت مشغول فيما يعنيك وان كانت جوارحك وقلبك مشغولا بما لا يعود عليك فيه فايدة في دينك واخرتك ودنياك المحمودة المعينة على الاخرة فانت مشغول بما لا يعنيك وها انا اذكر لك صفة المشتغل بما يعنيه التارك لما لا يعنيه لتكون لك مراة تنظر فيها نفسك وهي صفة السلف الصالح رضي الله عنهم وذلك ان يكون العبد مقبلا على الخير مجانبا للشر مسارعا لما امر به وندب اليه اذا قدر عليه حزينا على ما فاته بريا من التكلف مصليا للخمس لوقتها في جماعة اذا امن الفتنة مجتنبا للغيبة ولذكر الناس طويل الصمت منفردا بحاله عن الناس تاركا للكثير من مجالستهم واجتماعهم خشية دخول الشبهات عليه وخوفا من تغيير قلبه فمن اجتمع فيه هذه الخصال فقد حسن اسلامه وترك ما لا يعنيه فاتخذها مراة تنظر فيها نفسك واما حقيقة شغل الباطن بما يعنيه فهو المعنى الذي وصفت عايشة رضي الله عنها به باطن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت في ذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير التفكر في تعرف الغائب من الباقي فهذا الوصف غاية

الكمالية هذا الباب لا يشتغل الباطن والظاهر الا بالذي هو الاول
والفاني والباقي الذي ذكرتهما يحتمل معنيين المعنى الواحد ان الباقي
هو الله سبحانه وتعالى والفاني هو ما سواه فكان عليه السلام يتعرف
صفات ربه من صفات مخلوقاته فيستدل بهذا على هذا او بهذا على
هذا وهذه اعلا المراتب في الشغل بما يعني وهو مقام الاحسان ومقام
الروح والمعنى الاخر ان الاخرة بما فيها باقية الى الابد والدنيا فانية
وكان يعتبر الدنيا وزوالها ويعتبر الاخرة وبقاها فيزهد في الفاني
ويحذر ويرغب في الباقي ويشمر له وهذا مقام الايمان ومقام النفس
في الغيب فيحصل من هذين الفكرين العلم بالله سبحانه وافعاله والعلم
والعلم بالدار الاخرة وفضيلتها وبقايها والعلم بالدار الدنيا وحقارتها
وفنايها ومن كان هكذا كان صمته فكرة ونطقه عبرة وكلامه حكمة ٠
لعمارة قلبه بالافكار والاذكار فمثل هذا القلب في القلوب كالبيت ٠
المعمور في البيوت شغلنا الله واياكم بما يعني عما لا يعني واعاننا على ٥
ذلك بتوفيقه وصلى الله على محمد النبي وعلى اله وصحبه وسلم ٥

الشعبة الثامنة والعشرون

التقوى اما كون
التقوى من الايمان فلا يحتاج الى استشهاد عليه لشهرة ذلك عن ابي
سعيد الخدري رضي الله عنه قال جا رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا نبي الله اوصني فقال عليك بتقوى الله فانه جماع كل خير وصف
التقوى بانه اجتماع الخير قال الله تعالى اتقوا الله ان كنتم مؤمنين
فعلق الايمان بشرط التقوى كانه لا يصح الا به وروى ابو هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ياخذ عني هولا
الكلمات فيعمل بهن ويعلم من يعمل بهن قال ابو هريرة قلت انا يا رسول
الله قال فاخذ بيدي فعد خمسا فقال اتق المحارم افضل جميع العبادة
والتقوى على معنيين ظاهر وباطن وهو على ثلاثة اصناف ضرب
في مقام الاسلام والجسد وضرب في مقام الايمان والدار الاخرة وعالم
النفس وضرب في مقام الاحسان وعالم الروح فقد عم المقامات
كلها وقد اكثر الناس القول في حد التقوى والحقيقة فيه ان شا الله

ان التقوى تنزيه القلب عن المدانات وطهارة البدن من الاثام وان
شئت قلت التقوى التحرز والحذر من موافقة المخالفات وهو الذي
شبه النبي صلى الله عليه وسلم التايب به في قوله عليه السلام التايب
من الذنب كمن لا ذنب له فالذي لا ذنب له هو المتقي وليس المشبه بالشي
كالمشبه به دليله ام حسب الذين اجترحوا السيات ان نجعلهم كالذين
امنوا وعملوا الصالحات سوا ويقال ان هذه الاية مبكاة العابدين
اذا وقفوا على معناه وتذكروا انما امنا بوامن الذنوب بكتهم وقال
في اية اخرى ام نجعل المتقين كالفجار وانما يتبين لك المتقي من غيره
ين من مثل نضربه لك وذلك ان نفرض رجلين ولدا في الاسلام طاهر
تقيين نشا على طهارتهما ونقاوتهما الى حد اشرفا فيه على المخالفات
والمحرمات فاما الواحد فبقي على حالته الاولى من التقى والبراءة
من المعاصي باجتنابه لها اما كلها واما بعضها واما الثاني فواقع
المحرمات وارتكب السيئات اما كلها واما بعضها فالباقي على حالته
الاولى من الطهارة والبراة من الاثام هو المتقي والواقع لها هو الفاجر
والراجع عن الذنوب هو التايب يسمى تايبا ولا يسمى متقيا الا فيما
يتجنب في المستقبل وقوعه فكل ذنب تركه العبد فاجتنبه يسمى متقيا
فيه فان واقع ذنوبا ولم يواقع اخر كان له من التقوى بقدر ما لم يواقع
منها فالبراءة والتحرز من موافقة الذنوب هو التقوى كما يتحرز المستتر
بالاتقاء والمجن عن ان تصيبه الحجارة والسلاح الا ترى الى قول الله تعالى
واتقوا النار اي احترزوا منها بالتقوى ليلا تصيبكم وتواقعكم
تعمكم عذابها وكذلك واتقوا يوما اي احترزوا منه اذ يصيبكم ذنوبا
مكروه ذلك اليوم والتقوى عام في كل شي ظاهره في امور الدين والدنيا
وباطن متقوى الموت وما بعده من امور الاخرة كلها وباطن ذلك كله وحقيقته
تقوى الله سبحانه في مقام الاحسان فقد عم التقوى كل شي فاذ كل طاعة
لها نقيضها وتسمى معصية ظاهرا كانت الطاعات او باطنا فان
طل الطاعات على نوعين ظاهر وباطن والمعاصي على نوعين ظاهر وباطن
وهو الذي عنى الله عز وجل بقوله وذروا ظاهر الاثم وباطنه فاما من

طاعة ظاهرة الا ولها ضد في الظاهر وكذلك ايضا في الباطن مثال ذلك
الايمان ضده الكفر والاقرار بالتوحيد ضده الشرك والصلاة ضدها
ترك الصلاة وهكذا الى اخر الطاعات كلها فمن اجتنب الاثام كلها
فهو المتقي الذي يتقي به العبد قلبه وجوارحه وهو سره وعلانيته
وظاهره وباطنه والجوارح سبعة وهي اليد والرجل والفرج والفم
والعين والاذن والانف وعلى كل جارحة ضرب من الاثام وهو ظاهر
الاثم وفيه تنحصر المعاصي كلها وهي على نوعين احدهما ارتكاب المعاصي
كلها التي نص الشرع على تسميتها معصية والنوع الاخر ترك فعل
الطاعات التي نص الشرع على تسميتها طاعة لانه لا معصية اعظم من
ترك الصلاة والزكاة او ترك طاعة امر العبد بفعلها ففي هذين
النوعين تنحصر المعاصي كلها فمن اجتنب وقوع المعاصي بجوارحه ولم يترك
الطاعات فقد اتقى الله سبحانه في ظاهره وهذان النوعان الكلام
فيهما يحتاج الى تفسير كثير وقد تكلم العلماء على ذلك في جميع الكتب في
الحلال والحرام فاغنى عن كلامنا فيه فان الفرج الذي هو احد الجوارح
يتعلق به من المعاصي مثل الزنا وعمل قوم لوط ونكاح البهائم ونكاح اليد
وقد ذكر في كتب الفقه ما يتعلق على من فعلها وكذلك يتعلق به من
التحريم مثل ما حرم عليه من النساء ذوات محارمه من النسب والصهر والرضاع
والخامسة مع وجود الاربع والمطلقة ثلاثا والامة مع وجود الطول
للحرة وتعدد من يصل الى خمسين امراة ونحوها فيما ذكر بعض اهل العلم
وذلك موجود في كتب الفقه كالانكحة الفاسدة وما جرى مجراها من
نكاح في العدة وغيره وكذلك اليد يتعلق بها ايضا انواع كثيرة كالسرقة
والخيانة ومنع الزكاة والحقوق والضرب والقتل وغير ذلك مما يتعلق
بجارحة اليد واحكامها في كتب الفقه ايضا كثيرة وهكذا كل جارحة
يتعلق بها جميع المعاصي التي نهى الله سبحانه عنها وترك جميع الطاعات
التي امر الله بفعلها فمن اجتنب المعاصي فقد اتقى الله سبحانه بظاهره
وعلى قدر ما يقع فيه ينقصه من التقوى فافهم واما الباطنة فان
المعاصي كلها الظاهرة انما تصدر عن فعل القلب وامره وله ايضا

معاص تستند وتتم في السر دون ظهورها على الجوارح كالاصرار واعتقاد
ما لا يجب اعتقاده والريا وانواع المعاصي المنسوبة للقلب يشهد بها
تغني عن تفسيرها وهي على نوعين ايضا ترك فعل المحمود وارتكاب المذموم
فمن اجتنب بقلبه المذموم كله ولم يترك المحمود فقد اتقى باطن الاثم
كله وكان ممن وصف الله تعالى في هذه الاية وذروا ظاهر الاثم وباطنه
وهو قسم الحرام كله الظاهر والباطن وكلما ذكر في جميع كتب الفقه والعلم
من ابواب المحرمات والمكروهات لا يخلو مما ذكرناه في هذين القسمين
الظاهر والقسم الباطن فمن عمل بهما فقد عمل بكل ما ورد من العلم
في ابواب المنهيات والمحرمات كلها ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم
لابي هريرة اتق المحارم تكن اعبد الناس يعني المحارم كلها وقال سهل
رضي الله عنه من اراد ان تصح له التقوى فليجتنب المعاصي كلها
والتقوى انما تكون عن المعصية وعن المكروه المحض فان الطاعة لا
يتقى منها ولا يتحذر وما ورد في قوله تعالى اتقوا الله حق تقاته
ان يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر معناه ان يتحذر
ان ينقص من طاعته شيء وان يعصي بالمخالفات او ان ينقص من ذكره
شيء وان ينسى فلا يذكر او ان ينقص من شكره شيء وان يكفر والنقصان
من الطاعة ترك لبعضها والنقصان من الذكر ترك لبعضه والنقصان
من الشكر ترك لبعضه وهذا هو المعنى الذي ذكرت لك في التقوى
قبل هذا فاذا فهمت هذين المعنيين فقد فهمت التقوى بحقيقتها
ان شاء الله ولتفهم حقيقة معنى النجاة مع التقوى في قوله تعالى ثم
ننجي الذين اتقوا لان النجاة انما تكون من العذاب والعذاب لا يكون
الا على معصية او ترك طاعة فمن لم يواقع منهما شيئا صح له النجاة فافهم
وبقدر ما يصح له من تقوى المعصية وتقوى ترك الطاعة يصح له
النجاة فان الله سبحانه بكرمه قد حكم ان لا يعذب الا من عصى واذا
فهمت ما ذكرت لك تعلم معنى قوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم
وقوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين وغير ذلك مما ورد في التقوى
من الجزاء عليها عاجلا واجلا فان هذا الكرم الذي ذكر الله تعالى في

قوله ان اكرمكم عند الله اتقاكم هو الكرم الذاتي وهو افضل من الكرم الفعلي الذي هو السخا كما ورد عن امير المومنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال سادة الناس في الدنيا الاسخيا وسادة الناس في الاخرة الاتقيا وبين السيادتين من التفاوت مثل ما بين الدنيا والاخرة هذا يبين لك ما بين الكرمين من تفاوت الفضيلة والكرم الذاتي من فوق لك فلان على كريم وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه وهو السيد الحسيب الذي يرفع لعظيم قدره وتزاهته عن الرذايل ومنه كرايم الملك ومنها الوجيهات المرفعات الاقدار عنده ليس ذلك بانهن يعطين الملك شيا لكن لعظم قدرهن عنده ومنه قولهم من كرم عليه ما يطلب هان عليه ما يبذل ومن هذا هو المعنى الكرم الذاتي الموصوف به رب العالمين في قوله تعالى ذو الجلال والاكرام اي الوجود كله يجله ويكرمه لعظيم قدره ولانه تنزيه بريء عن رذايل الاوصاف وبهذا الوصف كان كريما في احديته الازلية قبل وجود الافعال التي تكرم بها وجاد على رذايل الاوصاف الموجودات وكذلك المتقي الذي اتقى الذنوب ظاهرا وباطنا كريم عند الله سبحانه لسلامته من دنيات الافعال لان الذنب يجرح في فاعله والتجرح مسقط للقدر عند الجرح والمعدل فافهم وايضا فان الطاعة في ترك المعاصي اكثر من الطاعة لله سبحانه في فعل الطاعات ولذلك قالوا ليس كل من عمل بطاعة الله سبحانه كان حبيبا لله لكن من ترك ما نهى الله عنه كان حبيبا لله سبحانه فان الطاعات لو اجتهد العبد في تكثيرها غاية الاجتهاد كان الذي يفعله من طاعة الله اكثر اضعافا مضاعفة فانه لا يقدر ان يطيعه بجميع انواع الطاعات واذا اتقى المخالفات لله تعالى فقد اطاعه بترك العصيان كله فافهم فان الشر كله هو العصيان والخير كله هو الطاعة وهذا في ناحية وهذا في ناحية فاذا اتقى العصيان فقد ترك الشر كله واذا دخل في الطاعة لم ياخذها كلها ولا يقدر على ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم في هذا المعنى اذا امرتكم بشي فاتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شي فانتهوا وقد بين الله تعالى معنى ما ذكرناه من كرم التقوى في اية من كتابه العزيز

فقال تعالى ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته والخزي ضد الاكرام ولا يدخل العبد النار الا بمعصية فالتقوى في مقام الاسلام حفظ الجوارح عن الجنايات وعن نقص الطاعات وتركها والتقوى في مقام الايمان اتقا الاخرة وشدايدها واهوالها على اختلاف انواعها كما قال عز وجل واتقوا النار واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وتقوى النفس وخواطرها الداعية في الغيب الى المحذور والصفات المهلكة وتقوى الشيطان في التحرز منه ومن اغوايه وانواع خواطره والتقوى في مقام الاحسان تقوى الله سبحانه وحده وهو حقيقة التقوى ولان تقوى ما سواه من المخلوقات مجاز وتقواه هو الحقيقة وفي هذا المقام للصديقين احوال واسرار لا يجدها الا من هجمات الحقيقة وسطوات التجلي وغير ذلك وهي ثمرة كل تقوى قال الله عز وجل في ذلك يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون اي لعلكم تبلغون الى التقوى بعد العبادة فوصف التقوى انها ثمرة العبادة وان بعدها تكون وتحصل وذلك انه اذا استنار القلب بنور العرفان وراى فضل الباري سبحانه وتعالى على ما سواه وجلاله قدره انفت النفوس ان يعصيها وتحرزت من الاعراض الى سواه الى غير ذلك مما يحسن ترك الكلام فيه ويجمل السكوت عنه لان المتكلم فيه ليس هو حاله وان كان يجد علما من الله علينا وعليكم بما من به على عباده المقربين فالمتقي كريم القدر بري من الريبة وتنزيه من الرذايل وطاهر من الاوساخ وزكي النفس ومن اجتمعت فيه هذه الخصال قرب من الزكي المنزه الطاهر البري الكريم جل جلاله قرب المرتبة لا قرب المسافة فافهم قرب المقربين وذلك اذ نسط الصافي الى الصفات باريه سبحانه في مقام الاحسان وتزاهته وما هو عليه فيتقرب منه بالاتصاف على قدر طاقته جعلنا الله بكرمه منهم بمنه امين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم

الشعبة التاسعة والعشرون

الورع اما كونه من شعب الايمان فدليله الحديث المشهور في الصحيح روى النعمان ابن بشير رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

الحلال بين والحرام بين وبينهما امور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس
فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه فجعل اتقاء الشبهات استبراء
الدين والعرض والدين هو الاسلام ودخل الحسن البصري رحمه الله مكة
شرفها الله تعالى فرأى غلاما من اولاد علي بن ابي طالب رضي الله عنه
قد اسند ظهره الى الكعبة وهو يعظ الناس فوقف الحسن عليه فقال
ما ملاك الدين فقال الورع فجعل ملاك الدين الورع وروى قتادة
عن مطرف بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضل العلم
خير من فضل العبادة وخير دينكم الورع فجعل الورع من الدين وخير الدين
وروى من طريق اخر عن صعصعة بن سعيد عن ابيه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فضل العلم احب الي من فضل العبادة وخير دينكم الورع
فالورع شعبة من الايمان وهو من باب التقوى المتقدم قبل هذا الا ان
التقوى في الحرام كله والورع عن الشبهات كلها ولكون الشبهة قريبة
من الحرام كان الورع ايضا قريبا من التقوى فربما نعبر ههنا عن هذا في
مواضع ومر بما ذهبنا عن هذا العلة فان النبي صلى الله عليه وسلم
قال الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات فجعل الشبهة شيئا زائدا
على الحلال والحرام فالتقوى تقع على الحرام كله من المكاسب وغيرها من
الافعال الظاهرة والباطنة كما تقدم والورع يقع على الشبهة في الكل
وجميع الافعال الظاهرة والباطنة ايضا وهو على ضربين ظاهر وباطن
فاما الظاهر منه فهو الكف عن القدوم على الاعمال الظاهرة المشتبهة
في عالم الحس ومقام الاجساد كما ورد في الحديث لا ورع كالكف والورع
ايضا جار حكمه على الجوارح كلها مثال ذلك في اللسان اذا عرضت لك
كلمة مشتبهة لا تدري اهي غيبة ام لا فالواجب عليك الكف عن ذكرها
فان من الغيبة ما هو حلال وما هو حرام والشبهة ما لا تدري احرام هو ام
حلال وكذلك في الاكل اذا عرفت الطعام حلالا فهو حلال واذا
عرفته حراما فهو حرام واذا لم تدر احلال هو ام حرام فهو شبهة لاختلاطه
وكذلك فيما تتناوله الايدي والفروج وتبصره الابصار وتصغي
اليه الاذان فان نكاح الرجل المرأة على الوجه الذي لا خلاف فيه

حلال ونكاح الزنا وغير ذلك من الانكحة الممنوعة حرام ونكاح المرأة
بوجه تبيحه قوم وابى اباحته اخرون شبهة كالذي يقول من العلماء بالمرأة
ان تزوج نفسها وتباشر عقد النكاح بنفسها اذا كانت رشيدة لقوله
تعالى ان ينكحن ازواجهن وقوله تعالى حتى تنكح زوجا غيره وقوله تعالى
لا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن بالمعروف وقال اخرون لا يجوز لقول
الله جل جلاله الرجال قوامون على النساء ولقول النبي صلى الله عليه
وسلم لا نكاح الا بولي فالاولى ترك هذا النكاح والاخذ بالولي للخروج
من الشبهة وغير هذا من المسائل في الطلاق والنكاح كثير لا ينحصر وكذلك
مشيك بالقدم الى الطاعة او في طريق مسلوكة غير مغصوبة حلال ومشيك
الى معصية او في طريق مغصوبة حرام ومشيك الى شي لا تدري اطاعة
هو او معصية او في ارض مختلف فيها شبهة وهكذا جميع الجوارح وهذا
كله مذكور في كتب العلم في المكاسب وغيرها وقد قال الورع في المطلق
اشد منه في الذهب والفضة وكفوتهم فيما ملكت الايدي من المكاسب
من رجل توفي وكان غير حافظ لكسبه فمذهب طائفة من كبار العلماء التنزه
عن اخذه من غير تحريم ومذهب طائفة من كبار العلماء اخذه وترك وزره
على من اكتسبه وانه حلال ومذهب طائفة من كبار العلماء تركه كله ومذهب
مالك رحمه الله ان علم الوارث انه ظلم اقواما باعيانهم رد المظالمة
اليهم وان لم يعرف المظلومين وعرف المظلمة تصدق بها عنهم اذا لم يعلم
لهم وارثا وهذا اعدل من القول ان شا الله تعالى والشبهات في جميع الافعال
والجوارح اكثر من ان تحصى فالورع عنها في الظاهر في مقام الاسلام
تركها والخروج الى البين الذي لا اشكال فيه فان الشبهة مشكلة
لولا اشكالها لم تسم شبهة وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم فيها لا
يعلمهن كثير من الناس ولاشتباهها اختلفوا في تحديدها فقالت طائفة
الشبهة ما غاب عنك اصله فلم يعرف احلال هي ام حرام وقالت طائفة
ما اختلف فيه فقال قوم حلال وقال قوم حرام وقالت طائفة الشبهة
ليست في الاموال فان المال لا يعرف الا حلالا او حراما وقالت طائفة
الشبهة اكثرها حلال والحقيقة في تحديدها ان شا الله ان ما لم يتبين

لك فلم تنقطع عليه يقينا احلال هو ام حرام فهو شبهة لقول النبي صلى
الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات فقد فاتت
الشبهة وجودا ثالثا بين الحلال والحرام واما الباطن فعلى ضربين
ومقامين ضرب في مقام الايمان والنفس وضرب في مقام الاحسان
والروح والعقل فاما الضرب الاول في مقام الايمان فان الايمان
في القلب منبسط على المومنات كلها الاعتقادية وقد احاط بها الايمان
والتصديق والخواطر مزدحمة على القلوب من قبل النفس والهوى والامل
والاماني والشياطين والملائكة ومن قبل الروح والعقل بجميع انواع الخير
والشر في كل وقت وحين فيجب الوقوف عن الاقدام على الخواطر بغير تبين
وعلم والوقوف هو الورع والكف حتى يتبين الشي لان كثرة الخواطر كورقة
تحركها الرياح وقيل كالقدر استلات غليانا فالورع في ذلك المقام هو
الوقوف والنظر حتى يتبين الاشكال عنها وتميز خواطر الملك من خواطر
النفس والروح والشيطان والهوى الدنياوي فينفذ ما يجب تنفيذه
ويرد ما يجب رده هذا كله في امور الاخرة وامور الدنيا والدين واما الضرب
الثاني الباطن في مقام الاحسان فان النظر والفكر في هذا الباب ينقسم
قسمين نظر في المخلوقات ونظر في خالقها والاشد الالهيها عليه لانه
بها عرف فيجب الوقوف والتمييز بين صفات المخلوق وصفات الخالق
ولا يوخذ الامر جزافا فيقع العبد فيما لا ينبغي من التشبيه والشبهات
وقد ضل كثير من النظار في هذا الباب وزاغوا العلة ورعهم وايثارهم
الراي والمعقول بقلة الورع وترك الشرع المنقول فضلوا واضلوا
وذلك كاقدام العقول والقلوب على ما لم يتبين لها من العلوم ولذلك
كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول اتهموا الراي فانه انما كان مصيبا
من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى في هذا المعنى هو الذي
انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات فاما
الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء
تاويله وما يعلم تاويله الا الله الى اخر الاية ومن اجل قلة ورع الناس
في هذا الباب وقعوا في المراء لان الشي اذا لم يتبين وقع فيه المراء

وورد في المراء ان المراء في القران كفر فالوقوع في المراء عقوبة ترك الورع
كذلك اخبر النبي صلى الله عليه وسلم في قوله حرام بين وحلال بين
وشبهات بين ذلك فالامور مشتبهة فمن ترك ما شك فيه من الاثم كان لما
استبان له اترك ومن اجترا على ما شك فيه من الاثم يوشك ان يواقع
ما استبان له فاذا لم يكن العبد من الراسخين فليكن من المتبعين
الورعين المصدقين بالتصميم الجزم في طريق السلامة ولا يكونن
من الزايغين المتبعين القايلين بارايهم والناس في هذا الباب
ثلاثة راسخ تبين له المتشابه لرسوخه فهما وحكما في حقه وزايغ احال
المعنى الى غير ما اريد به كالذي يعتقد في يد الله جارحة وفي الاستوا
الاستقرار على المكان وغير ذلك من المسايل المشتبهات فهذا احق بالحرم
اي حرما اعتقاده والثالث رجل لم يصل درجة الرسوخ فالواجب عليه
التصديق الجزم بمعنى ما يستحيل اعتقاده في المسيلة والاقرار بالاخبار
كما وردت مع نفي التشبيه والتعطيل وعليه درج مالك والشافعي
وسفيان الثوري وابن عيينة وابن المبارك والبخاري والترمذي وجميع
المحدثين من السلف والخلف في فتاويهم وهذا الورع وهو طريق بل
درج عليه اكثر السلف وهذا هو معنى الاثر الذي ورد ان الامور
ثلاثة امر استبان لك رشده فاتبعه وامر استبان لك غيه فاجتنبه
وامر اشتبه عليك فكله الى عالمه او كما ورد ومن اجل هذه المسيلة
وقعت قعدة من الصحابة في وقت الحرب زمن الفتنة التي كانت وورد
عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه كان يقول لابنه محمد بن الحنفية
يوم الجمل وقدمه امامه اقدم اقدم ومحمد يتاخر ويتوقف بقائم الرمح
فالتفت اليه محمد ابنه رضي الله عنه وقال له هذه الفتنة المظلمة
العميا فوكزه علي برمحه وقال تقدم لا ام لك اتكون فتنة ابوك سايقها
وقايدها وكان علي رضي الله عنه يتقدم على امر لانه كان من الراسخين
وعلى يقين وكان ابنه محمد يجبن لانه كان في مقام الشبهة والورع هو الجبن
عن الهجوم والاقدام والوقوف عند المشكلات واليقين هو الاقدام
على الاشيا بصيرة والقطع في الامر على علم وهذه صفة العلما الموقنين

والتمثيل وهذا هو الورع في الحقيقة وضده الاعتراض بالراي وتاويلها على الهوى بغير دليل قاطع ولا علم راسخ فيجب الورع والايمان بالاخبار كما وردت مع نفي التشبيه مع

يقينا

ق

بهم الراسخين لا يحسنه سواهم وكان الثوري رحمه الله يقول انما العلم الرخصة من ثقة واما التشديد فكل احد يحسنه يعني ان التوقف والجبن صفة المؤمنين وهو الورع ومراحل هذا احسن الصنف لان الاقدام لا يحسنه كل احد وكنيه وورد ان الله تعالى يحب البصر الناقد عند ورود الشبهات فقد تبين مما تقدم ان الورع ترك الشبهات كلها ظاهرا وباطنا كذلك قال ابرهيم بن ادهم رحمه الله الورع ترك كل شبهة والكشف عن حقيقة هذه المسئلة خطير جدا لان الورع مقامه من الدين عظيم جزاؤه خفة الحساب قال الله تعالى فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وقيل في هذا المعنى ثواب الورع قلة الحساب وقيل في هذا المعنى ايضا الورع الخروج من كل شبهة ومحاسبة النفس مع كل طرفة وهذا حال من اقام نفسه في الدنيا مقام وقوفه بين يدي الله سبحانه وتعالى في القيامة فقد تبين والحمد لله ان الورع عام في جميع مقامات الاسلام والجسد الظاهر وفي مقامات الايمان والنفس في الباطن وفي مقامات الاحسان والروح العقلي لساير مقامات الدين فمن تبين الاشيا على ما هي عليه فهو من الراسخين ومن حرفها او زاد فيها او نقص بالراي فهو من الزايغين والمخلطين ومن توقف فصدق بالشي وامن به على ما هو عليه وهرب من التاويل بالباطل والحرام البين فهو من المهتدين واصل التوقف في ذلك كله الورع والوقوف حتى يتبين او يترك وانما يتبين هذه المسئلة على الحقيقة لمن فهم هيئة العالم على ما هو عليه وفهم قول النبي صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات وذلك ان الله تعالى خلق الجنة والنار وجعلهما دارين احديهما جنة اليمين والاخرى جنة الشمال هذه خير كلها صرف وهذه شر كلها صرف وانزل الدين للامر والنهي على معنى الدارين فالامر هو الحلال يدخل الجنة والنهي هو الحرام يدخل النار ثم خلق دار الدنيا بين الدارين وبينهما وبعدهما فالجنة من القبر الى اعلا عليين والنار من القبر الى اسفل سافلين روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار وقال ايضا والذي نفس محمد بيده ما بعد الدنيا من دار

الا الجنة او النار فهذا قسم من النبي صلى الله عليه وسلم انه ليس بعد الدنيا الا الجنة او النار فالناس بعد الموت اما معذب واما منعم في جنة او في نار فعلى هذا فالناس اذا وقوف في الدنيا بين الجنة والنار حقيقة وهم لا يشعرون الا الموقنين منهم والدنيا مخلوقة من الجنة والنار فلذلك كانت مشتبهة لانها ممزوجة من هذه وهذه خلقتها على الحقيقة من اربعة معان معنيان ظاهران للحواس ومعنيان باطنان في القلوب والذوات اثنان من قبل الجنة واثنان من قبل النار ويلتقيان في ورود بعضهما على بعض فكان ذلك ظاهر الدنيا وباطنها اما الاثنان من قبل الجنة فالواحد الظاهر هو ما ينزل الله سبحانه من علو الى هذا العالم من الانوار والازهار والروايح والمياه والالبان وكل طيب وحسن ظاهر للحس وتصعد من النار في مقابلته كل كريهة من الحرور والبرد والظلمات والامراض والاسقام والشائبات وكل مكروه ظاهر للحواس فيمتزج هذا بهذا وهذا بهذا فكان عنهما وجود ظاهر الدنيا وينزل من العلو بالمعنى الاخر الباطن وهو ما يجري الله في هذا العالم من الايمان والعلوم والاعمال والاذكار الباطنة والاخلاق الحسنة منها والصلوات وجميع امور الديانات وتصعد من النار في مقابلته الكفر والشرك والنفاق والاعمال القبيحة والغضب وجميع ما يكون من الفسوق والجدل لان فيلتقيان فلذلك كانت امور الدنيا كلها مزاجا خيرا وشرا فالاعمال والاحوال الواردة من الجنة هي التي احل للعبد فعلها وامر بها والواردة من النار هي التي حرم على العبد فعلها وهذا بمنزلة قول النبي صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين فاذا امتزجت الاعمال والعلوم والاحوال فهي شبهة فيجب تنقيتها وتصفيتها او الوقوف قبل العمل عنها فاهل الورع مواقفهم بجسده في الدنيا بين الجنة والنار والدنيا واردة عليه من الاخرة مع كل نفس ناظر الى الحلال والحرام في ورودهما من عند الله تعالى وعلى ايدي ملايكته وناظر الى الشر من سفل على ايدي الشياطين فيترك الحرام بالتقوى ظاهرا وباطنا ويأخذ

الحلال واذا اشتبه عليه الامر وقف وكذلك ضاقت على الورعين
الدنيا والحلال هو كل فعل انحلت عنه المطالبات كلها من الله تعالى ومن
العباد من اجل المظالم والحرام هو ما حظر ومنع من كل فعل فيؤاخذ ويطول
عليه من الله عز وجل والعباد فاذا قلت لا اله الا الله مثلا وسلم
القول والذكر من التزين والريا والسمعة والاعجاب والشك
والتشبيه وغير ذلك مما يمتزج معها حينا القول اذا امتزج فقد انحلت
عنه المطالبة وكان من الجنة من عند الله ورجعت الى الله سبحانه
وكلمة الكفر والشك والريا وغير ذلك اذا ورد على العبد حرم فعله
ووجب تركه لانه حرام فيرد بالتقوى فاذا امتزج العمل والفعل
وجب تفتيشه او الوقوف عنه وتركه وهو الورع والاحوط العبد
حسابا نشد يداعليه وكذلك كل شيء من منكح او ملبس ومطعم او اي فعل
كان اذا تبين بالشرع انه حرام وجب تركه واذا تبين انه حلال اخذ
وفعل ان احتيج اليه فاذا امتزج وجب الوقوف عنه فعالم الدنيا
بين الجنة والنار كالشفق بين الليل والنهار ممتزج بظلام الليل
وضياء النهار ودليل ما تقدم قول النبي صلى الله عليه وسلم حبب الي
من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة فجعل
الصلاة من الدنيا وفي حديث اخر الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا
ذكر الله وما والاه وفي اخر الا العالم او متعلم فجعل الذكر وما والاه
من كل خير والعلم والعالم من الدنيا وقال فيها اذا رايتم رياض الجنة
فارتعوا فذكر انها من الجنة ووردت فهذا هو المعنى الباطن والمعنى
الاخر من النار كل ملعون سوى ذكر الله وما والاه او العالم والمتعلم
المذكور في هذا الحديث المتقدم وقول الله تعالى اعلموا انما الحياة
الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر وهذه احوال واعمال
للقلوب والاجساد واما دليل المعنيين الظاهرين فقول النبي
صلى الله عليه وسلم ان النار اشتكت الى ربها فاذن لها بنفسين نفس
في الشتا ونفس في الصيف الحديث الى اخره وقوله ناركم هذه التي
توقدون عليها جزء من سبعين جزءا من نار جهنم ثم وصف المعنى الاخر الذي ل

من الجنة فقال ولولا انها ضربت بالماء مرتين ما انتفعتم منها بشيء وقال
صلى الله عليه وسلم النيل والفرات وسيحون وجيحون من الجنة وقال
الله تعالى واسقيناكم ماء فراتا وقال تبارك وتعالى في عموم جميع
ما نزل من الجنة ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها فكل رحمة
من الجنة من نور او طيب وغير ذلك لانه تعالى يقول فيما روي عنه
للجنة انت رحمتي ارحم بك من اشا وهذه الرحمة المفتوحة وهي التي
انزل الله من المائة رحمة التي ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ان الله
سبحانه خلق مائة رحمة انزل منها الى الارض واحدة وامسك عنده
تسعة وتسعين فاذا كان يوم القيمة فتضم هذه الى تلك فيرحم بها
عباده المومنين وهذا التصديق لقول الله تعالى ليميز الله الخبيث من
الطيب وقوله فيما روي عنه في الدنيا متنزه وما كان لي منها والغوا
سايرها في النار فالورع في دار الدنيا اقام نفسه هذا المقام من
التمييز يميز اعماله واحواله وعلومه واقواله ويخلصها من الاشتباه
فاذا ورد القيامة خف حسابه والذي ياخذ الامر بالتخليط امسك لنا
يوقف فيطول حسابه ومناقشته على قدر تخليطه ومن كان الحرام
غالبا عليه فالنار اولى به وهذه اشارات وحكم اذا فهمتها فهمت منها
معاني الاخرة كلها ووقع لك اليقين بها وكذلك يفهم منها الى شيء
لا تاكل الارض اجساد قوم وتاكل اجساد اخرين ونفهم منها احوال المعاد
كلها ان شا الله تعالى وكذلك ينظر العقل في مقام الاحسان ايضا
في المخلوقات وينظر منها الى الخالق وينظر في الكتاب والسنة ويكون
ورعا كافا عن الاقدام بغير بيان وبرهان كافي وعقلي لئلا يقع العبد
فيما وقع فيه الزايغون الذين يقولون بنفي الصفات والذين يقولون
بخلق القران والذين يقولون بالتشبيه والذين يقولون بحدوث
الصفات وغير ذلك من ارايهم المجانبة لاعتقاد اهل السنة وانما
وقعوا في ذلك لقلة ورعهم والاقدام والجراة بارايهم وتاويلاتهم
الكاذبة المضلة عصمنا الله واياكم برحمة من عنده وهداية كاملة وتيسير
شامل وعافية دايمة في الدنيا والاخرة بمنه وكرمه امين وصلى الله على

على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم **الشعبة الموفية ثلاثين**
القناعة اما كونها من شعب الايمان فان مكحولا روى عن واثلة بن
الاسقع عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم كن ورعا تكن اعبد الناس وكن قنعا تكن اشكر الناس فجعل القناعة
افضل مقامات الشكر والشكر نصف الايمان فكانت القناعة افضل
شعب نصف الايمان ولانها ايضا من كنوز البر والبر من شعب الايمان كما
روى جابر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال القناعة
كنز لا يفنى وورد في التفسير في قوله تعالى فلنحيينه حياة طيبة قيل
الحياة الطيبة في الدنيا القناعة والحياة من الايمان لانها ليست حياة
جسمانية وايضا فان القناعة غنى وعز بالله وضدها فقر وذل للغير
وكان عليه السلام يستعيذ بالله من اضدادها كالطمع والفقر واشباههما
ومتى لم يقنع العبد لم يشبع ابدا وان كان له من المال ما لا يحصى فانه طامع
في الزيادة فاغر فاه يقول هل من مزيد وورد في الصحيح عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم لو كان لابن ادم واديان من ذهب لابتغى واديا
ثالثا ولا يملأ جوف ابن ادم الا التراب وقيل انه قرآن نسخ فعلى قدر ما
عند الانسان من القناعة يكون عنده من شبع القلب والاستغناء بالله
وبالضد لمن فقد القناعة او بعضها وعلى قدر ما يفقد من القناعة
يكون عنده من ضدها ويذهب من دينه بقدر ذلك فاما ان يكون مسرفا
في الاسفار في طلب الزيادة المذمومة متبعا للهوى ومؤثرا للدنيا
على الاخرة فاذا كان مؤثرا الطلب الدنيا على طلب الاخرة فقد نقص
عمله ظاهرا وباطنا اعني عمل قلبه وجوارحه وفي ذلك نقصان دينه
وان كان فقيرا ولم يقنع فاما ان يطلب المال من غير حله فيسرق ويغصب
او يذل لابناء الدنيا وفي ذلك ذهاب بعض دينه كما ورد في الخبر من تواضع
لغني ذهب ثلثا دينه وانما تواضع له بالطمع الذي هو ضد القناعة
ولو قنع لكان عزيزا والطمع هو الفقر الحاضر المستعاذ منه الذي كاد
ان يكون كفرا حقيقيا وفي الزبور مكتوب القانع غني وان كان جائعا
ففي القناعة الغنى والعز المحمود اللذان هما من اجل صفات المؤمنين

مطلب الطمع الفقر الحاضر

دنيء فقد صار التعبد للغير كما ورد في الخبر تعس عبد الدنيا تعس
عبد الدنيا الى اخر المعنى ويقال في الفعل الثلاثي من لفظ القناعة
قنع يقنع قناعة اذا رضي فالفاعل منه قانع اي راض بما اوتي فلم
يطمح نفسه في غيره ومنه الرباعي اقنع الرجل رأسه يقنع اذا انتصب
قائما من نقصا فلم يلتفت يمينا ولا شمالا ولم يطأطئ رأسه وكان بصره
تلقاء وجهه ومنه الاقناع في الصلاة ومن هذا قوله تعالى مقنعي
رؤوسهم اي رافعي رؤوسهم فاذا فهمت هذا المعنى فاعلم ان القناعة
تظهر في الظاهر والباطن فاذا اقنع العبد بالحلال لم يقع في الحرام
بجميع جوارحه كالذي لا يقنعه شرب الماء فليشرب النبيذ الحلال
وليقنع به فان لم يقنع شرب الحرام وكالذي ينكح واحدة من النساء
فان لم يقنع امر بالزيادة الى اربع فان لم يقنع فملك اليمين فان لم
يقنع وقع في الحرام وفي بذل المعاصي وهكذا في كسب الاموال وسعي
الجوارح كلها واصل ذلك كله عدم القناعة من القلب واذا لم يقنع
بقليل من المال طلب الزيادة وطمع فيما هو لا يشبع ابدا ونال الذل
بالتعبد للهوى **وقال** وهب رضي الله عنه في هذا المعنى ان العز
والغنى خرجا يجولان فلقيا القناعة فاستقرا وكذلك قيل ان
العقاب عزيز في مطاره فاذا طمع في جيفة معلقة على مصيدة وقع
عليها فتعلق بالمصيدة وصار ذليلا فالقانع عزيز برقبة غير معطى يه
وهذه صفة الايمان قال الله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين
وقال تعالى ولا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين
وانما كانوا اعلين واعزة باعتزازهم وعلوهم بالله وحسن العز بالله
يحسن الذل له سواء وحسن الاستغناء به يحسن الافتقار اليه سواء
فالقناعة مقام رفيع من مقامات الدين رافعة للقلوب اهلها في
الحال الى عليين قال الله تبارك وتعالى في اوصافهم يحسبهم الجاهل
اغنياء من التعفف والتعفف هو حال القانع ووصف القناعة وفي
هذا المعنى قيل الفقراء كلهم اموات الا من احياه الله بعز القناعة
فيخرج من هذا ان القناعة بالشيء استغناء به عن غيره ويقال من رضي

من الله بالقليل من الرزق اي قنع رضي الله منه بالقليل من العمل

فصل اعلم ان القناعة على ثلاثة اضرب على عدد
الذوات الجسم والنفس والروح وعلى عدد مقامات الاسلام والايمان
والاحسان فضرب ظاهر في مقام الاسلام وعالم الجسد وضربان باطنان
في مقام الايمان والاحسان والنفس والروح فاما الضرب الظاهر
في مقام الاسلام فهو ما تقدم ذكره من القناعة بامور الرزق وامور
الدنيا وقد تقدم شيء من الكلام عليها **واما** الضرب الباطن في مقام
الايمان فان القلب اذا نظر بايمانه الى الاخرة ونظر الى الدنيا وراى
ما بينهما من التفاوت والبون قنع بالاخرة واغتنمه وصار مشتغلا بما
قنع به عن غيره وهذه حالة رفيعة نفع الله بذكر اهلها وقد ورد في الاثار
ان اهل القناعة يحشرون يوم القيامة ممنطقين بمناطق النور على
اوساطهم يزينون اهل المحشر ويتعجب الناس من حسنهم او كما ورد **واما**
الضرب الباطن من القناعة في مقام الاحسان فانه لاهل الهمم الرفيعة
فان الناس في القناعة درجات ولهم في القناعة مقامات رفيعة فمنهم
من يقنع بالاخرة عن الدنيا كما قنع اهل الدنيا بالدنيا عن الاخرة
ومنهم من ارتفعت همته فقنع بالله سبحانه عن الكل اذ وجد فيه غنيته
عن الكل وهؤلاء هم القانعون بالله وهم الذين غلب عليهم مقام الاحسان
الروحاني فطوبى لهم باي كنز قنعوا وباي موجود ظفروا وقال بعض
اهل هذه الهمم العالية لاحدهم انظر ان اعطيت جميع ما في الملك
فلا تقنع بشيء دونه بدلا منه او كما قال فالطالبون لهذا المقام
مجدون في طلب مرغوبهم لا يجدون راحة الا بالنظر على مطلوبهم وفي
الجزاء راحة لمن يريدون لقاء ربه ومنهم من يلقاه حالا او ماء الا كمل على
حسب رزقه وقسمته وهذه صفة العقول الراجحة السليمة الكاملة
لان صفة العاقل ان يختار الافضل على المفضول والكامل على الانقص
ويقنع به عن غيره فان فعل ضد ذلك كان منحوس الحظ لقناعته بالانقص
عن الكامل وبالمفضول عن الافضل وانما يظهر هذا الغبن عيانا يوم
التغابن في دوام الخلود فيقف كل عاقل في مقامه الذي قنع به في مقام

تعبده

تعبده في الدنيا ومن ذلك المقام يكون امداده بالمزيد في دار السعادة
والسعادة رزقنا الله واياكم الحظ الاكبر والنصيب الاوفر بمنه
وكرمه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

الشعبة الحادية والثلاثون الايمان بالله تبارك
وتعالى بالقلب وهذا هو الذي يقع عليه صريح اسم الايمان في اللغة
وهو التصديق بالغيب وما سوى ذلك من شعب الايمان فروع تتفرع منه
قال الله تبارك وتعالى وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين اي بما انت
بمصدق لنا فيقول اللسان لا اله الا الله محمد رسول الله يسمى اقرارا
منه وتصديق القلب بما اقر به اللسان يسمى ايمانا ومعناه التصديق
بوجود الله انه حق والوجود هو الذات واسم الله واقع على الذات
وهو الاسم الاعظم الواقع على الوجود الحق جل جلاله فلو قال الانسان
لا اله الا الكريم او الحليم ولم يقل لا اله الا الله لم يستقم ايمانه حتى
يصدق بالاسم الاعظم الواقع على الوجود لان الاسماء غيره واقعة
على الصفات ومن اقر بالصفات ولم يقر بالذات لم يصدق بموجود لان
الصفات لا تكون الا لموصوف ولا يصح وجودها دون الذات والذات
هو الذي عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله تفكروا في خلق الله
ولا تتفكروا في ذات الله تعالى وهو المعنى بقوله عليه السلام لا شخص
اغير من الله تعالى ولا شخص احب اليه العذر من الله تعالى من اجل
ذلك بعث المرسلين مبشرين ومنذرين ولا شخص احب اليه المدح
من الله تعالى من اجل ذلك وعد الله الجنة فذكر الشخص واقع على
وجود الذات سبحانه وقد ذكر الذات حبيب في شعره حيث قال حين
قتل في الله تعالى

وذلك في ذات الاله وان يشا ۝ يبارك على اوصال شلو ممزع

ومعنى قول حبيب في مرضات الله وهذا الباب ينقسم في النظر على
ثلاثة اقسام نظرا ظاهرا في مقام الاسلام والحس الذي هو عالم الجسم
وضرب في مقام الايمان وعالم النفس الاخراوي وضرب في مقام الاحسان
الروحاني فاما الضرب الاول في عالم الاجساد فينظر الناظر في الاجسام

ينفي الجسمية عن باريه ويؤمن ويصدق انه تعالى ليس بجسم ولا يشبه
الاجسام ولا الجواهر والاعراض المؤتلفة منها الاجساد فيصح اذ ذاك
ايمانه بباريه وتصديقه ويكون مؤمنا بالله سبحانه على ما هو عليه واما
الضرب الثاني من النظر الايماني في مقام الايمان فان العالم على
قسمين ظاهر وهو ما تقدم وباطن وهو عالم الغيب النفساني والروحاني
فينظر ايضا في عالم النفس واختلاف النفوس وعظم موجودات الاخرة
واختلافها فيرى عليها آثار الحدث والدلائل فينبغي ان يكون ربه
من قبيلها واذ كانت موجوداتها اشرف من عالم الاجساد فيعرف ان ربه
اعلى واجل من ذلك وانه تعالى ليس مثلها واما الضرب الثالث
من النظر في مقام الاحسان فينظر الارواح صادرة من امر ربنا سبحانه
فكانت خلقتها اعجب واعظم من غيرها من الاجسام والنفوس لانها
بسيطة لطيفة صافية فيرى ايضا عليها آثار الحدث وينفي عن ربه
عز وجل ان يكون من قبيل الارواح والعقول ويشهد على الوجود
كله جسمانيه ونفسانيه وروحانيه بالحدث وان الباري سبحانه
ليس من قبيل ذلك كله فيصدق به انه ليس مثل شيء من الاشياء فحينئذ يصح
ايمانه وتصديقه وقد ضل خلق كثير في الارواح والنفوس فقالوا
بقدمها واخرون بقدم الكل جسدا كان او غيره واخرون نفوا الصانع
فلم يصدقوا به حين لم يشاهدوه ولا ادركوه واخرون شبهوه والسلامة
من ذلك كله ان يؤمن العبد ويصدق ان الباري سبحانه موجود وانه
ليس كشيء من الوجود الا انه يحتاج المصدق بقلبه ان يعتقد بتصديقه
انه ليس كالاشخاص ولا ذاته كالذوات ولا وجوده كوجود شيء من الموجودات
والا كان معتقدا لشيء متوهم او متخيل او مشبه والاله سبحانه
يتعالى عن ذلك وانما يستقيم له هذا المعتقد وينتفي عنه الباطل في
اعتقاده بتصديقه بتسعة اشياء بها ينتفي عن وجود الله سبحانه ما لا
يليق به اولها التصديق بوجود الله وانه حق ثابت وانه قديم لا اول له
وانه باق لا آخر له وانه ليس بجوهر وانه تعالى ليس بجسم مؤلف من جواهر
وانه ليس بعرض من الاعراض وانه ليس مختصا بجهة وانه ليس مستقرا

على مكان ولا حالا في شيء وانه تعالى واحد لا ثاني له فاما دليل الاصل
الاول من القرآن اعني ان وجوده حق فقوله تعالى ذلك بان الله هو
الحق ودليله من العقل ان العالم كله حادث بعد ان لم يكن ولا بد للحادث
من فاعل يتولاه ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون اي من غير رب واما
القدم فدليله قوله تعالى هو الاول ودليله من العقل استحالة
التسلسل فاذا بطل التسلسل ثبت القدم لواحد قديم ودليل البقاء
قوله تعالى والآخر وقوله كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال
والاكرام ودليله من العقل ما ثبت قدمه استحال عدمه لانه قبل
الانفعال كلها وكل فعل من الافعال لا يكون بنفسه فكيف يعدم
الباري نفسه بفعله او يعدمه غيره لان كل فعل واقع في العالم فعله
ولا يقال انه ايضا ينعدم من ذاته لانه لو جاز ان ينعدم شيء بنفسه
دون ان يفعل فيه العدم لجاز ان يتكون شيء بنفسه دون ان يكونه مكون
ودليل مخالفته للاشياء وانه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض من النقل
قوله تعالى ليس كمثله شيء لان الاشياء كلها لا تخلو عن الثلاثة
الاشياء وهي الجوهر والجسم والعرض ودليله من العقل ان الجوهر هو
الموضوع في الحيز المحصور فيه فقد ظهرت فيه صورة الوضع في حيزه
بكونه والسكون عرض وحال معه يحدوه في الحيز بعد الحركة التي صار
بها الى الحيز وحينئذ سكن في الحيز فقد ظهر ان الجوهر مفعول لغيره
بالبرهان واما الجسم فانه لو كان جسما لكان مؤلفا من جواهر كثيرة
ولم تكن تلك الجواهر مؤتلفة الا بعد افتراقها فقد ظهرت في الجسم
صورة التاليف والمؤلف مفعول لغيره واما العرض فلو كان عرضا
لكان حالا في الاجسام والجواهر لان العرض لا يكون موجودا بانفراده
انما يوجد اللون والحركة وغير ذلك من الاعراض في الجواهر والاجسام
فاذا كان حالا فيها لا يوجد الا معها فقد ظهرت فيه الصنعة كما ظهرت
في الجسم والجوهر لانه طارئ عليهما واما دليل انه ليس مختصا بجهة
فقوله الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل وهو معكم اينما كنتم
ودليله من العقل انه لو كان في جهة لغابت عنه الجهة الاخرى لكونه

محدودًا والدليل على انه ليس مستقرا على مكان ولا حالا في شي قوله
تعالى لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وقوله ولا يحيطون
به علما ومن العقل انه لو كان على شي او في شي لادركته الابصار والاوهام
والامكنة والحواس واحاطت بما يليها منه واسبحانه وتعالى عن ذلك
والدليل على انه واحد من النقل قوله تعالى والهكم اله واحد لا اله
الا هو الرحمن الرحيم ودليله من العقل لو كانا اثنين لم يخل ان يكون
الواحد اقوى من الاخر فالضعيف مغلوب والغالب هو الاله او يكونا
ضعيفين لا يقدر واحد منهما على شي فلا يكون واحد منهما الها او يكونا
قويين متساويين في القوة لا يغلب هذا هذا ولا هذا هذا فاذا
اراد احدهما ايجاد مثل له منعه الاخر فلا يوجد لواحد منهما فعل
ابدا وقد ظهرت الاشيا ودلت على وحدانيته فثبت وجود الباري
تعالى واحدا للعقول بالافعال الدالة عليه لان فعلا لا يوجد
من اثنين كما تقدم ولا من دون فاعل وكيف تكون صنعة دون صانع
والصنعة قبل صنعها عدم فما ليس بشي كيف يكون شيا بنفسه والى هذا
نبه العقول في كتابه العزيز فقال تعالى افي الله شك فاطر السموات
والارض الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا وبقوله ان في خلق
السموات والارض واختلاف الليل والنهار الى قوله لايات لقوم
يعقلون ان فعلا لا يكون دون فاعل ومن اياته ان خلقكم من تراب كيف
يكون التراب شخصا بنفسه حتى يتحرك ويقوم وغير ما ذكرنا فعاله سبحانه
المراد بها الدلالة عليه **فان قلت** قد تبين لي دلالة الفعل
على الفاعل بالبرهان لكني لست ادري بالبرهان هذا العالم الذي
وجدت فيه هل هو حادث مصنوع ام لا بل هكذا وجدته ووجده غيري
قبل فلعله لم يزل هكذا الفلك يدور دورة قبل دورة الى غير اول
والحوادث تحت الفلك في عالم الكون والفساد تتعاقب كل ولد مسبوق
بوالد وكل زرع مسبوق ببذر وكل بيضة مسبوقة بدجاجة وكل ليلة
مسبوقة بيوم هكذا الى غير اول فاثبت لي بالبرهان حدث العالم
بعد ان لم يكن فيتم لي به قيام البرهان على الصانع الحق فاعلم ان معرفة

حدث العالم قد تقدم في صدر الكتاب طرف من الكلام عليه وله اربعة اصول
ما فهمها تبرهن له بالبرهان حدثه اولها اثبات الاعراض في الجواهر
والثاني اثبات استحالة وجود جوهر بلا عرض والثالث اثبات حدوث
العرض والرابع اثبات استحالة وجود حوادث لا اول لها فاما الاول
وهو اثبات الاعراض فان الحركة والسكون عرضان وهما موجودان في
العالم كله فان كل جسم وجوهر من الوجود كله لا يخلو اما ان يكون متحركا
او متحركا او لا ساكنا فينبغي اذ يعرف في غريزة العقل التي ليس عنده
منافي فاذا اثبت له الحركة والسكون ثبت له الاصل الثاني وهي
استحالة وجود جوهر بلا عرض فانه لم يعقل الا متحركا او ساكنا والحركة
والسكون غير الجسم والجوهر **واما** الاصل الثالث وهو اثبات الاعراض
انها حادثة فان ذلك مدرك بادنى تامل فان الحركة والسكون ضدان
لا يوجد هذا الا بعد فقد هذا فاذا اسكن الجوهر فبالضرورة يعلم ان
السكون حدث بعد ان لم يكن بعد ذهاب الحركة وفنايها ثم اذا اطرات الحركة
زال السكون وحدثت الحركة بعد ان لم تكن فبتعاقب الحركة على السكون
والسكون على الحركة علم بالضرورة انهما حادثان بعد ان لم يكونا في
الجوهر والعرض لا يوجد منفردا بنفسه لم يعقل قط حركة ولا سكون
بلا متحرك ولا ساكن ولا لون بلا متلون فالجوهر على هذا لا يسبق العرض
لا يوجد الا معه وفيه والعرض لا يوجد الا في الجوهر والعرض حادث
وما لا يكون له وجود الا مع الحادث فهو بالبرهان حادث فان جواهر
جسم السما والارض وكل شخص بالضرورة تعقل انها مؤتلفة بعضها
الى بعض ومجتمعة حتى صارت جسما والتالف لا يكون الا بعد الافتراق
وهكذا كل جوهر في الوجود لم يظهر من الغيب الذي هو العدم الى
الشاهد الذي هو الوجود الا بحركة تحرك ثم سكن فلم يكن موجودا الا في
حيز حركة الايجاد ثم سكن ثم تحرك او سكن فيما صرف فيه فلولا تجدد
العرض له مع كل نفس لم يكن له وجود لان الجوهر ليس له وجود الا بالعرض
فلم يبق الا الاصل الرابع وهو ان حوادث بلا اول لها محال والدليل
عليه انك ان قلت ان الجواهر لم تزل تسكن وتتحرك حركة وسكونا

وهو ابد ركه كل احد بلا تعب ونكر
فان من زعم انه يدرك جسما او جوهرا
لا متحركا ام

قبل حركة

قبل حركة الى غير اول وهكذا او حدث الاشيا فاعلم انا نقول هذا محال
ونعرض القول في الدورة الفلكية التي نحن فيها فنقول ان الفلك
لا يخلو ان يكون دار دورة واحدة او دورتين او اكثر او لم يدر ولا واحدة
ولا اثنتين ولا اكثر فان قلنا لم يدر ولم يتحرك فهذا باطل بالضرورة
فان الحركة والدوران مشاهد فيه فان قلنا دار دورتين فقط فالدورة
التي قبل هذه التي نحن فيها قد انقضت ومضت وهذه التي نحن فيها
لها اول لان وجودها بعد التي انقضت فان قلت هذه الثانية
باقية فهو باطل فان بالدورة الثالثة ينقضي وجود الثانية قبلها
وبالرابعة ينقضي وجود الثالثة وبالخامسة ينقضي وجود الرابعة
وبالسادسة ينقضي وجود الخامسة هكذا ابدا فقد ظهر بالضرورة
وجود السادسة بعد ان لم تكن لانها بعد الخامسة ووجود الخامسة
بعد ان لم تكن لانها بعد الرابعة وظهر وجود الرابعة بعد ان لم تكن
لانها بعد الثالثة وظهر وجود الثالثة بعد ان لم تكن لانها بعد وجود
الثانية وظهر وجود الثانية بعد ان لم تكن لانها بعد وجود الاولى
والاولى قد انقضت ولو كانت قديمة لبطل عدمها لان ما ثبت قدمه
استحال عدمه فبالضرورة يعلم ان الدورة الاولى حين انقضت كان لها
نهاية وهو انقضاؤها عادت على بدايتها الاولى وتلك الاولى هي
خروجها من العدم الى الوجود وهكذا كل ساكن ومتحرك من جميع الوجود
وهكذا الكلام في جميع الاعراض اللازمة للجواهر فقد ثبت لك
ان الجوهر لا يخلو عن العرض واذا العرض حادث على الجواهر لولاه لم
يكن لها وجود ولا يسبق واحد منهما صاحبه ولا يوجد واحد منهما متفردا
بنفسه عن صاحبه والعرض حادث بالضرورة وما لا يسبق الحادث
ولا يوجد الا معه فهو حادث مثله بالضرورة فالعالم كله اذا حادث
بعد ان لم يكن وبحدوثه بعد ان لم يكن دل على صانعه لان فعلا لا يكون
دون فاعل اصلا لانه قبل ان لم يكن لا شي ولا شي كيف يكون شيئا دون
فاعل يجعله شيئا واعلم ان العرض لا يبقى زمانين لان الجوهر يتجدد
وجوده ابدا ومتى تجدد وجود العرض تغير الجوهر بحدوثه فيه عما كان

عليه قبل فاكسبه حالا لم يكن عليها ولو جاز ان يبقى العرض زمانين
لجاز بقا الجوهر دون تغير ولو ثبت بقاؤه نفسا واحدا دون تغير لساوى
بقاؤه بقا البارئ جل جلاله وتقدست اسماؤه لانه كان يكون قائما
بنفسه وهذه صفة القديم الذي لا يطرا عليه شي وهو القائم بنفسه
الباقي على ما كان عليه فافهم فهمنا الله واياك وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى اله وصحبه وسلم **الشعبة الثانية والثلاثون**
الايمان بالصفات والاسما **واعلم** ان الكلام الذي تقدم انما هو في
الوجود الذي هو الذات وهذا الباب انما هو في الاسما والصفات
فهي شعبة ثانية من الايمان لا بد من التصديق بها ومن لم يصدق بالصفات
فقد كذب القران والسنة واجماع اهل السنة وكذب العقل وقد افرد
البخاري رحمه الله كتابا وسماه الرد على الجهمية لان جهما اول من تاول
ابطال حقائق الاخبار في الصفات **قال** الله تبارك وتعالى
فاعلموا انما انزل بعلم الله وقال تعالى وسعت كل شي رحمة وعلما فاثبت
لنفسه العلم والرحمة **وقال** تعالى يريدون ان يبدلوا كلام الله
فاثبت لنفسه الكلام **وقال** تعالى سبحان ربك رب العزة اي ذو
العزة والعزة صفة العزيز وقال تعالى ذو الجلال والجلال صفة
الجليل عز وجل وقال تعالى قد سمع الله فاثبت لنفسه السمع وقال
تعالى العظمة ازاري والكبريا ردائي فمن نازعني واحدة منهما قصمته
وقال النبي صلى الله عليه وسلم حجابه النور لو كشفه لاحرقت
سبحات وجهه ما ادركه بصره من خلقه والبصر صفة المبصر ولو تتبع
هذا لطال الكلام به والقران والحديث قد نطقا باسما الله تعالى
وصفاته وورد في قل هو الله احد انها صفة الرحمن في الصحيح واهل
السنة والحديث قد نقلوا الينا اخبار الصفات ونطقوا بالصفات
فلو كذبناهم فيما نقلوا من ذلك ونطقوا به وجب تكذيبهم فيما نقلوا
من الشريعة وكان ذلك هدما للاسلام نعوذ بالله من الضلال والله اعلم
فصل واما دليل ذلك من العقل فان الوجود كله على
اختلاف انواعه لا يخلو من جوهر هو ذاته وعرض حال فيه وهو صفته

القائمة بالجوهر لا يعقل إلا هكذا ولو تصور جوهر بغير صفة يوصف بها أو اسم يسمى به لم يكن له وجود فإذا فهمت الفرق بين القديم والمحدث في هذا أن الجواهر محدثة وصفاتها التي هي الأعراض محدثة عرضت فيه بعد أن لم تكن كما حدث هو بعد أن لم يكن والباري سبحانه لم يزل قديم الذات قديم الصفات لم يطرأ عليه اسم ولا صفة ولا يتغير عما كان عليه ولا يزداد ولا ينتقص فلذلك لا يقال في صفاته إنها أعراض لأنها لم تحدث قط إنما الباري سبحانه لم يزل على ما هو عليه ولا يزال على ما كان عليه فلا يشبه ذاته الجواهر ولا تشبه صفاته الأعراض فليس بجوهر ولا عرض فإن قال قائل إذا قلنا بالذات والصفات يلزمنا أن نقول إن الباري تعالى مجموع من ذات وصفات ومركب من صفات وذات قلنا هذا خطأ عظيم في النطق فإنه بإجماع أهل العقول أنه لا يقال مجموع إلا فيما اجتمع بعد افتراق ولا يقال مركب إلا فيما ركبه مركب وجمعه جامع وهذه صفة الجواهر والأعراض والباري سبحانه كما قلنا لم يزل ولا يزال على ما هو عليه فهو لا يشبه الأشياء ثم نعرض سؤالا على من يقول بنفي الصفات طلبا للتوحيد في زعمه فنقول أولا إذا قال القائل زيد فنعلم أن هذه كلمة أفادت فائدة واحدة وهي أن قولك زيد دلنا على وجود زيد فقط نعلم ذلك قطعا فإذا قلنا زيد عالم أفادنا قولنا عالم معنى آخر وهو العلم وإلا كان قولنا زيد عالم بمنزلة قولنا زيد زيد وكذلك إذا قلنا زيد ضارب كان قولنا هذا بمنزلة قولنا زيد زيد وهذا خلف من الكلام من يدعيه ليس عنده من العقل ما يخاطب به وكذلك إذا قلنا الله عالم ممت مصور يلزمه على قوله أن يفيدنا ذلك في الثلاثة الأسماء ما يفيد قولنا الله الله الله ويلزمه أن نقول أن معنى قولنا الله قدير أن يكون بمعنى الله مكلم موسى ورافع عيسى وجاعل الليل سكنا وإذا قلنا الله مريد كقولنا الله حي وإذا قلنا الله حي كقولنا الله السلام وإذا قلنا الله السلام كقولنا الله الظاهر والآخر وهذا بين الفساد لا خفاء به ولا بد من الرجوع إلى الحق فنقول إذا قلنا الله العليم أفادنا الله الوجود وأفادنا العليم صفة العلم وإذا قلنا الله الحي أفادنا الحي صفة الحياة وهكذا أسماؤه وصفاته

عصمنا الله من الزلل وإياكم برحمته فالأسماء والصفات قديمة بقدمه لا يجوز أن يقال شيء منها محدث بعد أن لم يكن فكان الباري سبحانه يوصف بالزيادة بعد النقصان ولا يجوز أن تفارقه أو تزول عنه فيتغير ويحول عما كان بل هو على ما كان ولا يزال على ما كان فأما قدم الأسماء فإن الخلق لم يسموا الخالق سبحانه ولو سموه باسم لكان ذلك الاسم محدثا لأنهم جعلوا لله اسما يعرف به لم يكن ولذلك لم يجز أن يسمى إلا بما سمى به نفسه في كتابه أو على ألسنة أنبيائه فإنه أعلمهم بذلك وإن اسم يوجب لله سبحانه الكمال والجلال من إجماع أو غيره فإن ذلك وصف له بما هو عليه وما كان الله عليه فهو سمى نفسه بذلك وحقيقة المعرفة بهذا الفن تحصل لك بمعرفة أربعة أشياء وهي الاسم والمسمى والاسم والتسمية فالمسمى والمسمى واحد هو الذات والاسم المعنى الذي بين وجود المسمى ودل على صفته إن كان الاسم يدل على صفة بسموه وسمته التي يعرف بها عن غيره من المسميات والتسمية هي قول المسمى وكلامه الذي سمى به نفسه وكلامه قد عرفنا لكل قديم والحروف جعلها تبارك وتعالى دلالة على أسمائه وصفاته ولذلك نقول في المخلوق سميت زيدا تسمية فالتسمية فعل فعلته وقت تسميتك إياه وقول قلته والاسم هو المعنى الذي سميته به ليعرف فإن كان ذلك المعنى لحقيقته في نفسه وإلا كان لقبا يعرف به والباري تبارك وتعالى سمى نفسه في قدمه بكلامه دون زمان فأسماؤه قديمة بقدم كلامه لأنها من كلامه والكلام قديم لم يزل وأسماؤه قديمة لم تزل **فإذا فهمت** هذا فاعلم أن أسماء الله تنقسم ثلاثة أقسام أسماء تدل على الذات وهو الوجود كشيء وموجود ومذكور وما كان نحو هذا فهذه الأسماء تدل على المسمى نفسه والقسم الثاني أسماء تدل على ذات وصفات ذات كالحي والعالم والقادر والمريد والسميع والبصير ونحو ذلك فهذا القسم يدل على ذات وصفة ذات وهي الحياة والعلم والقدرة والإرادة وغير ذلك والقسم الثالث أسماء تدل على ذات وصفة فعل كالمميت والخالق والرازق فالمميت هو الله والصفة هي الموت

والامانة وهي فعل الله تعالى فهي صفة فعل لا يرجع منها الى الذات
شي ولو جاز ذلك لدل على ان الموت قايم بذات البارى تعالى وذلك
محال وكذلك الخالق هو الله والخلق هي الصفة وهي فعل فهي صفة فعل لا
يرجع منها الى الذات شي ولو جاز ذلك لدل على ان الخلق قايم بذات البارى
والله سبحانه وتعالى يتعالى عن ذلك وهكذا كل صفة فعل فالاسما لا تخلوا
عن هذه الاقسام الثلاثة ثم اذا الاسما كلها من اي قسم كانت لكل اسم
منها معنيان نفي واثبات والاثبات اثبات ما يجب له حقيقة من معنى
كل اسم والنفي نفي ما يستحيل عليه من صفات خلقه التي اتصفوا بها مجازا
او حقيقة كالقادر مثلا فان اسم القادر واقع على الله حقيقة ويستحيل
عليه العجز فهو القادر على كل شي ولا يستحق التسمية بهذا الاسم الا
لعدم العجز عنه واذا اتصف احد من الخلق بالقدرة فذلك مجاز والله تعالى
يتنزه عن المجاز وهكذا اسم الخالق لله حقيقة ويستحيل عليه ان
يخلق احد معه شيا وذلك المستحيل منفي عنه او القدوس فان معناه
الطاهر المنزه عن معاني الحدث وصفات المخلوقين فالطهارة والنزاهة
له حقيقة وخلافها الذي هو صفة المحدثين مستحيل عليه وهكذا في
جميع اسمايه لا يساميه احد فيها بوجه وان تسمى احد بمعاني اسمايه
وصفاته فاذ ذلك وصف مخلوق ومجاز والله سبحانه يتعالى عنه وقد
اشار الى هذا المعنى في قوله تعالى فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له
سميا اي من يساميه او يدانيه في رتبة الربوبية وما هو عليه من اسمايه
وصفاته **فصل** اعلم ان النظر في هذا الباب ينقسم ثلاثة
اقسام كساير الابواب كلها قسم في عالم الحس ومقام الاسلام وقسم في
عالم النفس ومقام الايمان وقسم في عالم الروح ومقام الاحسان
من اجل ان الذوات ثلاثة ولكل ذات صفات محدثة فوجب ان تكون
صفات البارى لا تشبه صفات جميع الذوات **فاما** الضرب
الاول في مقام الاسلام وعالم الحس فان الظواهر اجسام وصفاتها
من نوعها كاليد مثلا الواقع على الجارحة الجسمية والقدم والوجه
والعين وساير الصفات فاذا سمع المومن ما وافق ذلك في التسمية

من صفات الله تعالى وجب عليه ان يصدق انها ليست من هذه الصفات
الجسمية كما قال تعالى ويبقى وجه ربك فيعلم ان وجهه ليس كالوجوه
وكقوله تعالى يد الله بل يداه مبسوطتان وكقوله تعالى تجري باعيننا وكقول
النبي صلى الله عليه وسلم يضع الجبار فيها قدمه ويكشف عن ساقه وغير
ذلك من الصفات التي وافقت صفات الاجسام في الاسمية فينفي
المومن جميع ذلك عن ربه عز وجل ويقول يد لا كالايدي ووجه لا
كالاوجه وكذلك ساير الصفات **واما** الضرب الثاني في مقام
الايمان فان النفس لها الارادة والقوة والرضى والغضب والعزم
والقدرة والكلام الداير في الخلد والحديث وغير ذلك من صفات
النفس التي يكثر تعدادها ويطول جملها فالنظر الحق ان تعلم ان
ذلك كله دليل على صفات البارى سبحانه ولكن ليس صفة كصفة
فان ارادة النفس تكون بتمن ولغرض ما والغضب منها يكون بالم
وتعب وكلفة والرضى بابتهاج وسرور وتنعيم وصفاتها كلها تحدث
في النفس احوالا تتغير معها فالواجب ان ينظر الانسان في ذلك
كله فيعلم ان صفات البارى تتعالى عن جميع ذلك فيومن ان صفاته ليست
كصفات الخلق **واما** القسم الثالث ايضا في مقام الاحسان فان الروح
موصوف بالادراك العلمي والحلم والنظر والتدبير والقيام بمملكة
النفس والجسد والقضاء والحكم فيها وغير ذلك مما يطول الكلام فيه ثم انها
كلها اعراض موجودة بعد ان لم تكن وليس منها صفة في مقام النفس
والروح الا وهي مربوطة بضدها لا تنفك عنه ابدا والبارى
تعالى منزه في اوصافه عن ذلك كله فوجب على العبد ان يومن
ويشهد ويقر ان صفات البارى تعالى منزهة عن صفات المخلوقين
فهو احدي الذات واحد الاسما والصفات وقد بينا في باب التوحيد
طرفا من ارتباط صفات الخلق باضدادها والفرق بينها وبين صفات
البارى سبحانه في ذلك فلينظر هنالك فقد تم الايمان بالصفات
النظر في جميع المقامات والعوالم كلها فالصفات كما قدمنا في صدر
الباب على ثلاثة اقسام نفسية ومعنوية وفعلية فالنفسية

الصفات النفسية

كالبقاء والدوام والقدم والنزاهة والرفعة والوحدة وشبه ذلك والمعنوية
كالحياة والإرادة والقدرة والكلام وغير ذلك والفعلية كالتصوير
والخلق والتقديم والتأخير والصنع والإتقان والإيجاد وغير ذلك
فالفعلية هي غيره وإذا قدرت زوالها أو وجودها استوى ذلك في حق
الباري تبارك وتعالى لأنها فعله وصفة النفس لو قدرت زوالها لبطل
وجود الذات ولم يكن للذات وجود وصفات المعاني لو جاز أن يقدر
عدمها لم يبطل وجود الذات وخلفها الصفة ضدها وهذا لا يجوز في حق
الباري سبحانه في صفات المعاني وصفات النفس على التقدير وقد
أطلق العلماء الأئمة في الصفات عبارة حسنة فقالوا إنها لا هي هو
ولا هي غيره لأنك إن قلت هي هو فقد نفيت عنه الصفات وأثبت
الذات منفردا بلا صفات أو أثبت الصفات منفردة ونفيت الذات
لأن قولك هي هو يحتمل معنيين أحدهما أن تقول هي هو أي الصفات
هي الذات فتكون الذات صفات وهذا محال لأن الصفة لا تكون
هي الموصوف لا تعرف الصفة إلا بالموصوف ولا يكون لها وجود إلا
بكونها قائمة بالموصوف الذي هو الذات والمعنى الثاني أن تقول هي غيره
أي هي غير الذات فتنفرد الذات بغير صفة وهذا مذهب المعتزلة وكثير
من المخالفين لأهل الإسلام يقولون عالم بلا علم وقادر بلا قدرة ونحو
هذا والصواب ما أطلقه أهل السنة فقالوا لا هي هو ولا هي غيره
لأنك إذا قلت هي غيره فقد أثبت الغيرية وقيل إلا له غيران وإن
قلت هي هو فقد نفيت الصفات فافهم والعمدة في هذا الباب أعني معرفة
الصفات المعنوية معرفة الصفات المعنوية معرفة عشرة أصول ينتظم
لك فيها ما بقي من معرفة الصفات إن شاء الله وهي الحياة والعلم والقدرة
والإرادة والكلام والسمع والبصر وكمال الإدراك للطعوم والروائح
وغير ذلك وأنه قديم الصفات لم يزل موصوفا بها ولا يزال وأنه
منزه عن شبه الحوادث وطروها عليه **فأما الأصل الأول**
وهي الحياة فدليله من القرآن الله لا إله إلا هو الحي القيوم فوصف
نفسه بالحياة لأن اسم الحي دل على ذات ومعنى وهي الحياة ودليله

من العقل أن الحي على الحقيقة هو الدراك الذي له شعور بنفسه وبغيره
والميت هو الذي لا يدرك نفسه ولا غيره ولا شعور له بشيء ولو كان ذلك
كذلك لما صح وجود الأشياء عنه فإن الحياة شرط في وجود العلم والقدرة
والإرادة وجميع الصفات ومن أجل هذه اللطيفة أشار من أشار إلى
أن الحي هو الاسم الأعظم لأن الحياة شرط في وجود جميع الصفات
الكاملة فالموصوف إذ لو لم يكن حيا لما كان عالما ولا قادرا ولا مريدا
ولا سميعا ولا بصيرا ولا مدركا شيئا ولا صح منه وجود شيء وقد ثبت
إيجاد الأشياء عنه فقد ثبتت حياته بالبرهان **وأما الأصل**
الثاني وهو العلم فدليله من القرآن وسعت كل شيء رحمة وعلما
ودليله من العقل أن الجاهل لا يصدر منه الفعل المتقن ولا الصنعة
المرتبة المحكمة بل العالم هو الذي يصدر ذلك عنه ومن نظر
في مخلوقات الله تبارك وتعالى وإتقانها وترتيب أشخاص الموجودات
وأعضاء الحيوانات حتى النملة وأقل منها يتبين له من لطف الخلقة
وتزيين الصنعة وترتيب الحكمة ما يبهر العقل واللب فحينئذ
يعلم أن هذا الصنع المحكم العجيب والملك المرتب العجيب يصدر
لأمر عالم عظيم لا يعزب عنه مثقال ذرة في جميع الملك ولو لم يكن عالما
لما صدر عنه شيء من ذلك فقد ثبت علمه بالبرهان كما ثبت بالخبر والقرآن
والحمد لله **الأصل الثالث** القدرة أما دليله من القرآن فقوله
تعالى وهو على كل شيء قدير فقدير دل على ذات ومعنى هي القدرة ودليله
من العقل أن العاجز هو الذي لا يقدر على شيء ولا يصدر منه فعل بوجه
وقد وجدت الأفعال ضرورة فقد ثبتت قدرته بأقل تأمل ونظر والحمد
لله **الأصل الرابع** الإرادة أما دليله من القرآن فقوله تعالى
إن الله يفعل ما يريد وربك يخلق ما يشاء ويختار ودليله من العقل
أن الذي يتصف بعدم الإرادة هو المهمل في نفسه ومن كان بصفة
الإهمال فإنه لم يصرف قدرته إلى أحد الجنسين أي الإيجاد أو ترك الإيجاد
فإن القدرة إنما تصدر الأفعال عنها بصرف الإرادة إياها إلى الفعل
ولا يترك المرتبا لفعل إلا بترك الإرادة للفعل وكذلك التكوين

بالكلام كما قال تعالى انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون
فقدم الارادة على التكوين بالكلام فكيف يصح وجود فعل عن القدرة
والكلام بغير ارادة والارادة متقدمة على الاحداث بالقدرة والكلام
فلا يكون فعل حتى يريد الفاعل الفعل ولو صح وجود فعل بغير ارادة
لكانت افعاله غير مختصة بالتقديم والتاخير والرفع والخفض والقبض
والبسط وكان يكون مهملة كما تصدر حرارة النار عن النار
والمعلول عن العلة فكان يكون مضطرا والاله سبحانه وتعالى
منزه عما يتوهمه الجاهلون ولو صدرت افعاله ايضا من غير ارادة كما
زعم كثير من الضالين لكانت افعاله التي احاط بها علمه تصدر عنه
جملة في وقت واحد فلا يبقى عنده فعل يوجد ويصدر عنه ويكون
ممكنه وافعاله محصورة وتامة لا تزيد ولا تنقص ولا تتحول ولا
تتغير ولا تتقدم ولا تتاخر وهذا مستحيل من قبل ان المريد هو الذي
يوجد ما شا ويترك ايجاد ما لم يشا ايجاده ويوخر ايجاد ما شا تاخيره
الى الوقت الذي شا تاخيره ويخص شيئا لم يخص به غيره فقد دل التخصيص
في الاشيا والتقديم والتاخير على ارادة الباري تعالى برهانا يقينيا
كما نطق به القران والخبر والحمد لله **الاصل الخامس** الكلام اما
دليله من القران فقوله تعالى وكلم الله موسى تكليما وما كان لبشر
ان يكلمه الله الا وحيا او من ورا حجاب وقوله تعالى يريدون ان يبدلوا
كلام الله وغير ذلك واما دليله من العقل ان القران العزيز الذي هو كلامه
ثبت بالتواتر والتواتر برهان قاطع ابين من كل برهان فان من لم
يدخل مكة ولم يرها قط فقد استوى علمه بوجودها مع من دخلها وراها
وكذلك مصر وبغداد وجميع البلدان المشهورة فقد استوى علمه بوجود
جميعها مع علم من دخلها وراها وانما ثبت هذا بالتواتر والشهرة وثبت
للعقول انه كلام الله وانه ليس بكلام ادمي ولا خلق بالاعجاز الذي فيه
فانه قد اعجز الخلق كلهم على فصاحتهم وبلاغتهم وتمكنهم عن
ان ياتوا بسورة مثله او بعشر او بقران مثله ثم كان الرسول صلى الله
عليه وسلم الذي اتى به اميا لا يكتب ولا يقرا ولا يقول الشعر فكان

ذلك

ذلك منه ابين بيان على انه كلام الله تبارك وتعالى ثم انه تحدى
الكل فقال لهم قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا
القران لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا اي معينا فلما لم
يستطع احد ان ياتي بمثله او بمثل سورة منه علم بالبرهان القاطع والدليل
الساطع انه كلام الله جل جلاله فاذا ثبت انه كلام الله ثبت انه غير
مخلوق ولو كان كلام بشر لكان مخلوقا مثل المتكلم به فافهم وروي
عن امام العلما وسيد الحكما علي بن ابي طالب رضي الله عنه حين قالت
له الخوارج حكمت في دين الله المخلوقين فقال والله ما حكمت مخلوقا
ما حكمت الا القران فاذا تحققت هذا علما فاعلم ان كلام الله تعالى
ليس بصوت ولا حرف والكلام الحقيقي هو كلام النفس كما قال الشاعر
• ان الكلام لفي الفؤاد وانما • جعل اللسان على الفؤاد دليلا •
فالاصوات والحروف انما وضعت دلالات على كلام النفس ومن قلت
له اكتب ارضا او سما او قرشيا او ادميا فكتبت الذي امليت عليه في
ورقة او لوح ثم زعم ان الارض او السما او القرشي هو المكتوب في
الورقة فاقطع طمعك عن عقله واقض بحماقته ومن زعم ان حركة
شفتيه او صوته وكتابته بيده في الورقة هو عين كلام الله القايم
بذاته فقد زعم ان صفة الله حلت بذاته ومست جوارحه وسكنت
قلبه واي فرق بين من يقول هذا وبين من زعم من النصارى ان الكلمة
اتحدت بعيسى عليه السلام والحروف ايضا والاصوات مختلفة فيها
خط حسن واحسن منه وخط غير حسن يعاب عليه صاحبه ويضرب
وكذلك الاصوات مختلفة باختلاف الخلق منها صوت مطرب
وصوت خشن وصوت يشتم عليه صاحبه فاي صوت منها او اي خط
هو كلام الله منها والحروف والاصوات متقدمة بعضها على بعض
فالالف قبل اللام والميم قبل اللام ولها حد واخر ونهاية وصفات
الله سبحانه لا توصف بالحد والنهاية والقبل والبعد ومع هذا كله
فكلام الله مكتوب في المصاحف ومقرو بالالسنة محفوظ في القلوب
وليس حالا في مصحف ولا في جارحة وقلب بل هو المسموع المفهوم

ولو كانت الحروف هي نفس كلام الله كيف كان يستجيز عثمان رضي الله عنه
أو كيف كان يتجاسر ويقدم على حرق المصاحف بمحضر الألوف من الصحابة وهم
القدوة رضي الله عنهم كلا بل علم عثمان والصحابة رضي الله عنهم
أن كلام الله سبحانه ليس بأشخاص وحروف فتحرق وأحرقوا الأوراق
والمداد وتبين بفعله ذلك رضي الله عنه الفرق بينه وبين الحشوية
المجسمة التي تزعم أن كلام الله صوت وحرف ففيه أسوة حسنة
لأهل السنة والحمد لله **الأصل السادس** البصر ودليله من القرآن
قوله تعالى وكان الله بكل شيء بصيرا ودليله من العقل أن البصير
هو الذي يتصرف بنظره في ملكه ويضع الأشياء في مواضعها ولو كان
عادما لصفة البصر كيف كان يتصرف في ملكه وينفذ أفعاله في
جميع مكوناته فقد ثبت بوجود الأفعال وتصرفه في ملكه تصرفه بالرأي
البين والحمد لله لأن من عدم البصر كانت به آفة العمى والأعمى
وإن كان عالما لا يهتدي سبيله ولا يتصرف فيما يجب **الأصل
السابع** السمع أما دليله من القرآن فقوله تعالى قد سمع الله وقوله
تعالى إنني معكما أسمع وأرى ودليله من العقل استجابته لخواص عباده
الأنبياء عليهم السلام عند بعثهم إلى الأمم وتمكينهم إياهم واقتراحهم
عليهم بالمعجزات فيسألونه ويدعونه فيجيبهم ولو لم يسمعهم لما أجابهم
وقد ثبت عقوبات الأمم وإهلاكهم بعد دعوة الأنبياء واستجابة
الله لهم بالبرهان المتواتر الذي لا يشك فيه كقول نوح عليه
السلام رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين ثم قال فاستجبنا
له ووهبنا له يحيى وكقول ذي النون عليه السلام لا إله إلا أنت
سبحانك إني كنت من الظالمين ثم قال فاستجبنا له وكقول عيسى عليه
السلام لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ثم قال
فاستجبنا له وكقول عيسى عليه السلام اللهم ربنا أنزل علينا مائدة
من السماء فقال الله تعالى إني منزلها عليكم وأمثال ذلك لا يحصى
فقد تواتر في حق كل من غاب عن تلك المواطن كما ثبت مشافهة في
حق كل من حضر تلك المعجزات والتواتر والمشافهة في العلم بوجود

التي

التي سواء في حق غير الأنبياء والإجابة لأولياء الله كثير وهو أفضل
الكرامات فيعطيهم ما يسألون ولو لم يسمعهم لما أجابهم قال الله تبارك
وتعالى في هذا المعنى وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب
دعوة الداع إذا دعان وعبادة العالم كله أكثرها بالألفاظ سرا
أو جهرا وحركات الوجود كلها أصوات خفيته وجليته وهو يعلم الخلق
بأسرار أفواههم وجهرها كقوله تعالى ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى
ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالإثم والعدوان وكقوله
قد سمع الله قول التي تجادلك ولو لم يسمع ذلك لما أعلم به كما سمعه
فافهم **الأصل الثامن** كمال الإدراك للطعوم والروائح
والملموسات أما دليل إدراكه لها من القرآن فكقوله تعالى من بين
فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين وقوله تعالى لم يتغير طعمه
دليله أنه يدرك ما تغير طعمه ومما غير آسن دليله إدراكه للآسن
وكقوله كلوا من طيبات ما رزقناكم فخص الطيب وهو الحلال وما فيه
اللذة أيضا ودل بتخصيصه اللذيذ أنه يدرك الكريه المطعم
المر المذاق وكقوله في الروائح ويسألونك عن المحيض قل هو أذى
وليس شيء أنتن رائحة من المحيض وكقوله من صلصال من حمإ مسنون
أي منتن متغير وكقوله تعالى إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أي
النتن كما قال تعالى فزادتهم رجسا إلى رجسهم أي نتنا إلى نتنهم
لأن الكافر رجس نجس وقال في رائحة يوسف عليه السلام إني لأجد
ريح يوسف لولا أن تفندون لأن كل طيب له رائحة طيبة كما كان
يوجد طيب رائحة محمد صلى الله عليه وسلم وقال تعالى ولا رطب
ولا يابس فعبر عن الملموس الرطب واليابس وقال سبحانه نارا حامية
أي حارة وإنما يجد المخلوق حرارتها بلمسها وقال تعالى يقلب الله
الليل والنهار أي بما فيهما وهذا كثير لا يحصى شواهد إدراكه
للأشياء جميع الوجود على الكمال الأرفع ودليله من العقل أن
إدراكه لذلك كمال وفقده نقصان ولو كان يعجزه شيء لا يدركه لكان
ناقصا والإله سبحانه لا يكون ناقصا ولأن مخلوقاته مثل شيء

ادم وغيرهم يدركون جميع ذلك بحواسهم وذلك كما لا تفضلوا به على غيرهم
ممن لا يدرك ذلك فتوهموا نقص فكيف يكون خلقه تبارك وتعالى اكمل
منه فافهم **الاصل التاسع** العلم بانه منزه عن شبه الحوادث
وطروها عليه واعلم ان الباري تعالى مخالف في اوصافه لجميع الاشيا
ليس ادراكه كادراك الخلق ولا كما يتوهمه الجاهلون بل هو جل جلاله
عالم بغير قلب ولا دماغ وقابض وباسط وفاعل ومالك بغير جارحة
ومريد من غير همّ ولا فكرة ومتكلم بغير لسان ولا صوت ولا حرف وسميع
بغير اذن ولا اصغا وبصير بغير حدقة ولا جفن ولا مقابلة ومدرك
للطعوم بغير شفة ولا ذوق وللروايح من غير انف ولا شم وللرطب
واليابس ويقلب الليل والنهار وما فيهما والقلوب والوجود كله
بغير ملامسة ولا لمس وكذلك يجي بغير حركة وينزل من غير هبوط ولا
سفول ويغضب من غير تغير ولا تشفي ويرضى من غير استبشار ولا
طيب نفس ويحب من غير سرور ولا فرح ويقرب من غير تلاصق ولا
اتصال ويبعد من غير تناء ولا انفصال ويعلو على جميع الاشيا من غير
استقرار ولا امكان بل بعلو الرتبة والمكانة وسمو الرفعة والجلالة
واحذر بمنزلة الوهم والخيال فان هذا الصراط ارق من الشعرة
واحدّ من الموسى وامور الباري سبحانه كلها اجل وارفع مما يتوهمه
الجاهلون ودليل ذلك من القران العزيز ليس كمثله شي وقوله
تعالى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد ودليله من العقل انه لو
كان يشبه الاشيا في اوصافه لوجب عليه ما يجب عليها لان حقيقة
الشبه ان يكون للواحد مثل ما للاخر ولو كان ذلك لما عرف الخالق
من المخلوق ولا الرب من المربوب ولا المالك من المملوك لانه كان
يلزمه مثل ما لزمها فيصير مثلها وهي مثله واذا كان مثلها فهو واحد
منها مصنوع كصنعتها لان الاشيا مصنوعة قد شهدت العقول
بالبراهين القاطعة وصنع صورها وهية تاليفها وتركيبها فلو
اشبهها في شي من صفاته لكان مصورا مثلها مصنوعا بالضرورة
القاطعة وجب ان يكون مخالفا لها في جميع صفاته واذا كان

مخالفا لها في جميع صفاته لم تشبهه ولا يشبهها فما ورد عليك في الشرع
من المتشابهات فاذكرت ممن ينهض فيها بطريق العلم الراسخ والا فارجع
الى هذا الاصل وهو علمك بانه مخالف لجميع الاشيا وانف عنه ما لا
يليق به وهو معنى قوله تعالى ليس كمثله شي **الاصل العاشر** العلم
بانه قديم الصفات اما دليله من القران فقوله جل جلاله وكان الله
على كل شي قديرا وكان الله بكل شي عليما وكان الله بكل شي محيطا بصيرا
وكان الله سميعا عليما وامثال هذا لا تحصى فمعنى كان في هذه الايات
وما اشبهها كان الله في ازله ولا يجوز ان تصرف فيقال كان تكون
وكذلك اطلق بعض العلما كان فقال كان ذهو الله اشار به الى كانه
القديم جل جلاله ودليله من العقل ان الله جل جلاله حين اوجد الا
الافعال والموجودات لو لم يتقدم له العلم بوجودها والقدرة عليها
والكلام المخاطب لها بالتكوين والارادة وجميع الاوصاف الموجبة
له رتبة الربوبية والملك لما صح منه وجود الافعال لان وجود فعل
من عاجز جاهل ضعيف غير قوي واذا صح قدم الصفات قبلها استحال
عليه طريان الحوادث في صفاته لانه لو طرا عليه لازداد علما وقدرة
وبصرا وسمعا وغير ذلك من اوصافه وكان ذلك بعد النقصان وعند
طروها عليه كان يشتغل بالفكر والروية واكتساب الفضايل فيشغله
شان عن شان ولو شغله تدبير اهل بلد من البلدان او جسد واحد
من اجساد الحيوان عن تدبير شي من الاكوان لتهت وتحيرت وتعطل الملك
والحدثان وكان يكون له في تكميل نفسه شغل شاغل على ممر الدهور
والازمان سبحان ربك رب العزة عما يقول المعتزلة وجميع اهل
الافك والبهتان وانما الحق الذي لا يجوز غيره ان تعلم ان صفات
الباري سبحانه قديمة بقدم ذاته لم يحدثها هو لنفسه ولا حدثت
عليه بل كانت بها من غير افتتاح وجود ولا ازدياد ولا تنقص عما كانت
عليه ولا تفارقه ابدا ولا تحل في شي ابدا بل هو منفرد باوصافه
عن جميع خلقه ولا يخلق منها بمعنى التبعيض شيا بل الاشيا كلها
فاعيلها ومفعولها ارواحها واجسامها مخلوقة لا من شي والله جل

جلاله ليس من شيء ولا منه على معنى التبعيض بشيء ولا هو مثل شيء انتهى

الشعبة الثالثة والثلاثون

الإيمان بالإقرار والقضايا الجارية على الخلق أما كونه من شعب الإيمان فإن حديث جبرئيل عليه السلام الذي سأل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإسلام والإيمان والإحسان قال فأخبرني عن الإيمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر كله خيره وشره قال صدقت فجعل الإيمان بالقدر من جملة الإيمان ومن أعداد شعبه وفي حديث آخر ثلاثة من أصل الإيمان الكف عمن قال لا إله إلا الله ولا نكفره بذنب ولا نخرجه من الإسلام بعمل والجهاد ماض منذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل والإيمان بالأقدار فجعل الإيمان بالأقدار من أصول الإيمان وحلف ابن عمر رضي الله عنه فقال والذي يحلف به ابن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر فقال يؤمن بالقدر فجعله من الإيمان وعن حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل أمة مجوس ومجوس هذه الأمة الذين يقولون لا قدر من مات منهم فلا تشهدوا جنائزهم ومن مرض منهم فلا تعودوهم وهم شيعة الدجال وحق على الله أن يلحقهم بالدجال فوصفهم بأوصاف مجانبة للإيمان من أجل عدم هذه الشعبة العظيمة فيهم **واعلم** أن الإيمان بالقدر من أعظم شعب الإيمان لأنه من التوحيد فإنه إضافة الأفعال كلها إلى الله تعالى وأنها صادرة عن قدرته لا شريك له فيها فإذا أضاف العبد شيئا من الأفعال إلى غير الله فقد أشرك به وهذا يلزم كل من كذب بالقدر ولأن تكذيب القدر تكذيب القرآن والحديث ومن كذب بالقرآن والحديث فقد كذب الله ورسوله قال الله تبارك وتعالى إنا كل شيء خلقناه بقدر وقال وكل صغير وكبير مستطر وقال وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم والإيمان بالقدر على ثلاثة أضرب ضرب في مقام الإسلام وضرب في مقام

الإيمان وضرب في مقام الإحسان **وأما** الضرب الأول في مقام الإسلام وعالم الحس فهو أن يؤمن بأن كل فعل في الوجود الظاهر ظهر بحركة الجوارح والأشخاص من العالم أو سكون بفعل الله تعالى لا شريك له في شيء من ذلك خيرا كان أو شرا طاعة أو معصية **وأما** الضرب الثاني الباطن في مقام الإيمان فهو أن يصدق بأن الاستطاعة والقوة المنسوبة إلى النفوس والأرواح على اكتساب الحركات والسكنات إنما ذلك مجاز أعني إضافتها إلى الخلق والكل عند الله هو معطي القوة والاستطاعة وخالقها وخالق المقدور الذي تقع عليه القدرة والقوة هذا في جميع الملكوت كله والجبروت سواء كان المقدور فعلا للنفوس أو نظرا للعقول أو أي شيء كان **وأما** الضرب الثالث في مقام الإحسان فهو مقتضى علم الله كان الضربين الأولين اللذين تقدم ذكرهما مقتضى قدرته جل جلاله وهو أن ينظر العقل ويؤمن أن مقادير الموجودات كلها وما يجري عليها سبق بها علم الله قبل وجود أعيانها فقد كان الله عالما بالكون كله وبما يكون من الكون من الأفعال قبل وجود الكون وهذا هو القدر المعلوم الذي قال الله تعالى فيه وما ننزله إلا بقدر معلوم أي معلوم قبل نزوله ووجوده ولو لم يكن ذلك كذلك على ما زعمه أهل الباطل لجاز على الله ضربان من المستحيل الضرب الأول أن يطرأ عليه ما لم يعلمه حين وجود الفعل الذي لم يسبق به علمه وفي ذلك إثبات حدوث العلم عليه وإضافة النقائص إليه والضرب الثاني من المستحيل أن يطرأ في ملكه سبحانه ما لا يعلمه أبدا من الأفعال كما يقول الذي ينسب إليه علم الكليات دون الجزئيات وغيرهم من القدرية ولو كان ذلك كذلك لأدى إلى أن العالم أجهل والجاهل أعلم وهو محال كان القدرة لو لم يتنازعها الكون كله وأعماله وحركاته وسكناته على ما زعمه المخالفون لأدى ذلك إلى أن القادر عاجز وأن العاجز قادر وكان الذي يصدر من الخلق من الأفعال أكثر من الذي يصدر عن الخالق سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا ومعرفة هذا تنحصر لك في تسعة أصول نعرف بها حكمة الله في أفعاله المقدرة كلها **الأصل** الأول

العلم بان الله خالق جواهر العالم طبائعه وجزئياته خلافا لمن يقول ان العالم العلوي والطبيعي تولد الجزئيات التي هي المولدات الثلاثة المعادن والنبات والحيوان **الاصل الثاني** العلم بان الله خالق اعمال العالمين الحركة والسكون والصنايع والافعال خلافا للقدرية واشباههم الذين يضيفونها لافعال المخلوقات **الاصل الثالث** العلم بان الاعمال كسب للعباد لا انها خلق لهم فانهم لا يحيطون علما باجزا تفاصيل ما تصدر عنهم من الحركات المكتسبة والسكنات ولا باعدادها والخالق لا يكون خالقا الا ان يعلم ما يخلق قال الله تعالى الا يعلم من خلق ولا انها ايضا جبر محض فانهم بالضرورة يدركون التفرقة بين الحركة المقدورة بالاختيار وبين الرعدة الضرورية فلم يبق بحالها الا انه يعبر عنها بالاكتساب وعلى ذلك يتبع الثواب والعقاب والكل خلق الله

الاصل الرابع العلم بان اعمال الخلق كلهم وان كانت كسبا لهم فانها مرادة الله تعالى ولو لم يرد الخير والشر جميعا لكان نقيصة كرها ولو كان ذلك كذلك كما تزعم المبتدعة وغيرهم من الضالين لكان الذي يجري على ارادة ابليس وجنوده واتباعه من المكروه اكثر من الجاري على ارادة الله تعالى من الخير وفي كتاب الله عز وجل دليل على انه يريد الشر من ارادة منه وهو قوله تعالى انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون تقديره الكلام ويريد ان تزهق انفسهم على الكفر وقوله تعالى فالهمها فجورها وتقواها **الاصل الخامس** العلم بان الله تعالى متفضل بالخلق والايجاد وتكليف العباد لا على معنى الوجوب واللزوم خلافا للمعتزلة التي تقول بوجوب ذلك عليه لما فيه من مصلحة العباد فان الذي يفعل ما يجب عليه يلحقه ضرر في ترك فعل ما يجب عليه وينتفع بفعله اذا فعله وهذا وصف المضطر الذي يلحقه النفع والضرر والباري سبحانه منزه عن الضرر وعن الحظوظ والاغراض فاذا لم يتضرر بترك مصلحة العباد ولم ينتفع بها لم يكن للوجوب في حقه معنى يعود عليه **الاصل السادس** العلم بان الله تعالى يجوز عليه ان يكلف عباده ما لا يطيقونه خلافا لقول المعتزلة وهذا شاهد ومعلوم

با

بالسمع فان الله تعالى يقول في كتابه العزيز ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به فانهم لم يسالوه محالا ولو كان تكليف ما لا يطاق محالا لكانت الاية لغوا وذلك مشاهد ايضا لان الرسل خاطبت الكفار بالايمان وهم لا يطيقونه وقد خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا جهل وغيره من الكفار بالايمان وقد اعلمه بانهم لا يومنون فقال الله تعالى سواء عليهم اانذرتهم ام لم تنذرهم لا يومنون وقد امره الله بالانذار والتبليغ والدعوة للكل الى الايمان وهذا تكليف ما لا يطاق **الاصل السابع** العلم بان له ايلام الخلق وتعذيبهم من غير جرم سابق ومن غير ثواب لاحق خلافا للمعتزلة لانه متصرف في ملكه لا يعدوه والظلم عبارة عن تصرف المالك في ملك غيره وهو محال على الله اذ لا يصادف لسواه ملكا وذلك مشاهد في البهايم فان ذبحها وما صبت عليها من انواع المحن والعذاب ايلام لها ولم يتقدم لها جريمة **فان قلت** ان الله تعالى يحشرها ويثيبها على ذلك ويجب عليه ذلك فقد تقدم انه لا واجب على الله لانه لا يتضرر بترك فعل من الافعال والثواب منه لكل من صح انه يثاب فضل ونعمة والعذاب عدل وحكمة **الاصل الثامن** العلم بانه يفعل بعباده ما يشا ولا يجب عليه رعاية الاصلح لهم خلافا للمعتزلة في قولها ان فعل الاصلح لعباده واجب وقد قدمنا ان الوجوب لا يعقل في حق الله تعالى فان قيل مهما قدر على فعل الاصلح ثم سلك بهم اسباب العذاب كان ذلك قبيحا لا يليق بالحكمة فالجواب ان القبيح هو ما لا يوافق الغرض والشي قد يكون قبيحا عند شخص وحسنا عند اخر لانه وافق غرض احدهما ولم يوافق غرض الاخر وان اريد بالقبيح ما لا يوافق غرض الباري سبحانه فهو محال لانه لا غرض له فلا يتصور منه قبيح بل هو الحكيم الحق والحكيم معناه العالم بحقايق الاشيا القادر على احكام فعلها على وفق ارادته فكيف يجب عليه بوصف الحكمة رعاية الاصلح وهو لا يستفيد برعاية الاصلح ثنا ولا ثوابا ولا يدفع عن نفسه ضررا ورقة وحنة ذلك كله ذلك على الحكيم الحق محال والحكيم من الخلق يرعى الاصلح نظرا لنفسه ليستفيد نفعا او ثنا او ثوابا عاجلا اذ

اصلا اذ يدفع عن نفسه به رقة وحنة او ضررا لا ان له غرضا والباري
سبحانه وتعالى منزه عن الحظوظ والاغراض

الاصل التاسع

العلم بان الحق معرفة الله تعالى وطاعته واجبة بايجاب الله وشرعه
لا بالعقل كما تقول المعتزلة وغيرهم من المخالفين ومعنى كون المعرفة
والطاعة واجبتان ان في تركهما ضررا على تاركهما ومعنى كون الشرع موجبا
انه يعرف ما يضر وينفع بعد الموت والعقل يفيد فهم ذلك والاحاطة
بامكان ما يخبر به منه في المستقبل ومنا من للعقل بمجرده دون الشرع
ان يوجب الطاعة والمعرفة وان يعرف الحسن والقبيح والضار والنافع
وايجابه لا يخلو من ثلاثة اوجه اما ان يوجب الطاعة والمعرفة
لغير فايدة وهو محال لان العقل لا يوجب المحال والوجه الثاني ان يوجب
الطاعة والمعرفة لفايدة وغرض الى المعبود جل جلاله وذلك ايضا محال
فانه متقدس عن الفوايد والاغراض بل الطاعة والمعصية والكفر
والايمان في حقه سيان والوجه الثالث ان يوجب الطاعة والمعرفة
لفايدة ترجع الى العبد وذلك محال لانه لا غرض له في الحال لانه يتعب
به وينصرف عن الشهوات الملايمة له بسببه وليس في المال الا الثواب
والعقاب فمن اين يعلم بمجرده ان الله يثيبه على المعرفة والطاعة ويعاقب
عليهما والطاعة والمعصية في حقه تعالى سيان وانه لا يتضرر ولا ينتفع
بهما وانما عرف الوجوب وامتياز الحسن والقبيح وما يضر وينفع في المال
بالشرع لان الباري جل جلاله ارسل الرسل واطلعهم على مغيبات الامور
الضارة والنافعة فهم يقولون للخلق امامكم المخوفات المهلكات
والمحبوبات المنجيات ان نظرتم كما امرناكم وتبصرتم ما به اخبرناكم واذا
ابصرتم علمتم فهم اوجبوا النظر الذي هو اول الواجبات عند اهل الاصول
وسبب العلم والنجاة والعقل صالح ومتهيئ لان يبصر ما اخبروه ويرشد
الى ما يضره وينفعه اذا اقتدى بهداهم وسلك منهاجهم

الشعبة الرابعة والثلاثون

الايمان بالرسل والانبياء عليهم السلام
بالقلب اما كون هذه الشعبة من الايمان فبين جدا لان الله تعالى قد
حتم على نفسه ان لا يقبل الايمان به الا مقرونا بالايمان برسله ومن
لم يفعل ذلك فهو كافر لقوله عز وجل ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله
الى قوله اولئك هم الكافرون حقا ولولا الرسل ما اهتدى احد من الخلق
خلافا لمن يقول لا فايدة في بعث الانبياء لان العقل يغني عنهم ويهدي
الى الاعمال المنجية في الاخرة وما يزعموه باطل فان الانبياء عليهم السلام
مشاهدون لامور الاخرة والعقل محجوب عن ذلك فكيف يهدي الى
النجاة بما لم يشاهده وهو غيب عنه فاذا لا بد من الانبياء ولا غنى عنهم
بوجه ولا بحال بل حاجة الناس الى الانبياء كحاجة العمي الى الادلا
فكما لا يمشي الاعمى الا بدليل فكذلك العقل اعمى في امور الاخرة لا يهتدي
اليها الا بدليل ولذلك وصف الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم
في التورية فقال في وصفه يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ
ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو
ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجا ويفتح به اعينا عميا
واذانا صما وقلوبا غلفا فوصفه بانه يبصر من العمى فكل عقل لم يتبع
الرسل فهو اعمى يقع ويقوم في مهاوي لا اخر لها حتى ياتيه الموت فاذا
لم يكن عنهم غنى ولم يكن منهم بد وجب تمييزهم ومعرفتهم من غيرهم وانما
عرفوا بالمعجزات التي عجزوا بها الخلق ولما اتوا بما ليس في طاقة البشر
الاتيان بمثله والانبياء بشر مثل الامم علم ان ذلك المعجز انما هو من عند
رب العالمين فوجب الايمان بهم انهم رسل الله وانه بعثهم الى هداية الامم
فلا بد من معرفة المعجز لانها شرط في صدق الرسول وهو تمييزها من
السحر والكرامة فاما معرفة المعجزة فتعتبر بامرين يعتبران عما وراء ذلك
مطلب المعجزة
من الامور احدها الامر صلاح الرسول في نفسه وفضله على غيره فان
الرسول لا يكون الا في غاية من الفضل والعصمة من الكذب
والفواحش والثاني تحدي الخلق بمعجزته وادعاؤه انهم لم ياتوا بمثل
ما اتى به على كثرتهم ومعرفتهم حتى يوقفهم على العجز الضروري فيقول
لهم ان كنت عندكم ساحرا فان السحر يتوصل الى علمه فاتوا بمثله على كثرتكم
وحذقكم فلما اعجزهم عن الاتيان وعرف صدقه وصلاحه وجب اتباعه

وحرمت معصيته وخلافه واما السحر فالفرق بينه وبين المعجزة
امران احدهما انه لا يظهر الا على يدي رجل فاسد غير مرضي الحال ولذلك
يقتل اذا عثر عليه والثاني انه يتوصل اليه بالتعلم كل من اشتغل
به ويبطل عند ظهور الحق عليه فلا يبقى لانه تخييل والتخييل يبطل
عند ظهور الحقائق عليه قال الله تعالى ما جئتم به السحر ان الله سيبطله
ولقد اجتمع على موسى عليه السلام سبعون الف ساحر مع كل واحد منهم عصى
وحبل فابطل ذلك كله بعصى واحدة فادخلهم في الايمان ساووا المرتبوا
والحمد لله **واما الكرامة** فالفرق بينها وبين المعجزة امران احدهما
انها لا تكون الا على يدي ولي ولا تظهر على يدي عدو والثاني انه مقر
ان كرامته بركة من بركات النبي صلى الله عليه وسلم الذي اتبعه واستن
بسنته ولو ادعى النبوة بها لبطلت كرامته على الفور وعاد فاسقا وانما
يدعي انها كرامة اكرم بها ببركة النبي صلى الله عليه وسلم المتبع فافهم فهمك
الله فقد ثبتت جميع النبوات بما اتى به جميع الانبيا من المعجزات الخارقة
للعادات وثبتت نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الذي لا نبي بعده
بالقرآن العظيم الذي تحدى به كافة الفصحا والبلغا وهو باق باين
الخلق لم يقدر قط احد من الخلق ان ياتي بمثله اية واحدة والحمد لله
ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم انشقاق القمر وتسبيح الحصى وانطاق
العجما وجري الما من بين اصابع يديه الكريمتين واطعامه النفر الكثير
من الطعام اليسير وغير ذلك من معجزاته واياته صلى الله عليه وسلم
واقواله الصادقة التي خرجت وتخرج كما اخبر بها وعنها ومن اعظم معجزاته
كونه اميا لا يقرا ولا يكتب ثم اتى الخلق ببحار من العلم لا تنفذ وبينا بيع
من الحكم كل عقل عنها يتحير ومن اهم اصول هذا الباب ان نعلم انه لا
نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم وانه قد ختمت به النبوة كما وصف الله
في قوله تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم
النبيين وكل من ادرك وقته ولم يومن به وان كان على طريقة نبي من الانبيا
قبله فهو كافر لا يقبل منه ايمانه لان جميع الانبيا قبله قد امروا بالايمان
به لامهم وبشروا به فالجاحد لنبوته والتارك لطريقته كافر لانه

مطلب السحر

مطلب الكرامة

قد كفر بامر نبيه الذي امره بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم قال الله
تبارك وتعالى في ايمان الانبيا به قبل مبعثه واذ اخذ الله ميثاق
النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتومنن
به ولتنصرنه قال اأقررتم واخذتم على ذلكم اصري قالوا اقررنا قال
فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين وقال النبي صلى الله عليه وسلم لو
ادركني موسى وعيسى ثم لم يومنا بي لاكبهما الله في النار وانما اشار بهذا
صلوات الله وسلامه عليه وعلى الانبيا من اجل اهل الكتاب من اليهود
والنصارى اتباع موسى وعيسى عليهما السلام الذين يزعمون انهم على الحق
لانهم مومنون بالنبوة فقال لو ادركني موسى وعيسى ثم لم يومنا بي لاكبهما
الله في النار فكيف بغيرهما ممن على شريعتهما بزعمه ولم يبدل ولم يغير ولم
ينسب الى عيسى ما ليس له باهل ولا افترى على الله كذبا من اليهود والنصارى
واما من بدل وغير فليس كلامنا عليه فلا يقع به اعتبار وانما لم يصح ان
يفرق بين الانبيا بالايمان من اجل انهم كلهم اولاد علات دعوتهم
واحدة الى دين واحد يعبدون ربا واحدا فمن كذب واحدا منهم فقد
كذب جميعهم ولذلك قال الله تعالى كذبت قوم نوح المرسلين ولم يكن
نوح الا رسولا واحدا وكذبت عاد المرسلين ولم يكن لهم نبي الا هود عليه
السلام كذبت ثمود المرسلين كذب اصحاب الايكة المرسلين والانبيا
عليهم السلام الذين وجب الايمان بهم عددهم مذكور في حديث رواه ابو
ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابو ذر قلت يا رسول
الله كم الانبيا قال مائة الف واربعة وعشرون الف نبي عليهم السلام
قال قلت يا رسول الله كم الرسل من ذلك قال ثلثمائة وثلاثة عشر
جم غفير قلت كثير طيب قال نعم قلت من كان اولهم قال ادم عليه السلام
قلت يا رسول الله انبي مرسل قال نعم خلقه الله سبحانه بيده ونفخ فيه من
روحه وسواه قبلا ثم قال يا ابا ذر اربعة سريانيون ادم وشيث
وخنوخ وهو ادريس عليه السلام وهو اول من خط بالقلم ونوح عليه
السلام واربعة من العرب هود وشعيب وصالح ونبيك عليهم السلام يا ابا
ذر اول الانبيا بني اسرائيل موسى واخرهم عيسى عليهما السلام واول

الرسل آدم وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين هولاءهم الانبيا
الواجب الايمان بهم اكرمهم على الله محمد صلى الله عليه وسلم فانه امام
الكل وسيد الجميع **فصل** فاذا تقرر هذا فان الايمان
في هذا الباب ينقسم على ثلاثة اقسام قسم في مقام الاسلام وقسم في
مقام الايمان وقسم في مقام الاحسان فاما الاول في مقام الاسلام فهو
التصديق بهولاء الانبيا الذين ظهرت اشخاصهم في عالم الحس المسمين
باسمائهم كنوح وهود وشعيب ومن ذكرهم الى مبعث محمد صلى الله عليه
وسلم وعليهم اجمعين ومن لم يذكر باسمه وذكر مجملا في ساير الانبيا
واما المقام الثاني الذي هو مقام الايمان بان تومن ان جميع الانبيا
اخذوا الايمان من الملائكة من عالم الغيب ومنهم تلقوا الشرايع والسنن
والوحي خلافا لمن يقول ان العقل يدرك النبوة وحده وذلك مذهب
الكنا اهل الضلال الذين يقولون ان عقل الانسان هو الملك وهو النبي
وبه يكتفى عن كل نبي واما المقام الثالث في مقام الاحسان فهو التصديق
بمقام الخصوصية للانبيا والرسل وان القدرة قد صرفت ذلك
المقام عن جميع الخلق وغيبته عنهم كما قال تعالى وما كان الله ليطلعكم
على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشا وقالت الرسل في هذا المقام
لاممهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشا من عباده اي بالخصوصية
فمقام الرسالة محجوب عن الخلق اعني مقام الرسالة ولا يا في احد بعده
ولا يشرع شريعة الا ان يكون رسولا مطلقا على مقام الرسالة لكن
مقام الصديقية والالهام والفهم والرويا الصادقة قد بث الله سبحانه
وتعالى ذلك في الوجود وندب الى الارتقاء في تلك المقامات الرفيعة
ليعلم بها الموفقون مقامات الانبيا ويترفعون على اثار الانبيا في
الدرجات والنبوة التي هي علو الدرجة تنقد وبما لها لكن على اثر الانبيا
والاقتدا بهم وذلك من بركات الانبيا عليهم السلام وفي ذلك المقام
مقامات الولاية والصديقية والتحديث ومنهم ابدال الانبيا
وورثتهم من العلما الراسخين قال النبي صلى الله عليه وسلم ان منكم مكلمين
وفي رواية اخرى محدثين وان عمر لمنهم وقال الرويا الصالحة من الرجل

الصالح جزء من ستين جزءا من النبوة وقال الحرازتي القران فقد ادرج ه
النبوة الا انه لا يوحى اليه يعني انه لا يكون رسولا فعلى قدر الارتقا
في درجات الصديقية ومقام الالهام والمحادثة والفهم في كتاب الله
واتباع نبي الله يكون ارتفاع درجة العبد في مقام النبوة التي هي
ارتفاع الدرجة واما مقام الارسال وشرع الشرايع فذلك مقصور
ومحجور على اهله اماتنا الله واياكم برحمته على سنته واستعملنا بما جا
به امين ورفع درجاتنا في القرب منه امين وصلى الله على سيدنا محمد
واله وصحبه وسلم **الشعبة الخامسة والثلاثون**
الايمان بكتب الله المنزلة من عنده على انبيائه عليهم السلام اما كونه
من شعب الايمان فلا يحتاج الى استشهاد عليه قال الله تعالى يا ايها الذين
امنوا امنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي
انزل من قبل والكتب المنزلة على الانبيا هي النبوة والوحي والاشيا
المنزل عليهم من الانبيا وجملة الكتب المنزلة من عند الله تبارك وتعالى
المشهورة مائة كتاب واربعة كتب يجب الايمان بها روى ابو ذر قال
قلت يا رسول الله كم كتابا انزل الله عز وجل قال مائة كتاب واربعة
كتب انزل الله عز وجل على شيث عليه السلام خمسين صحيفة وعلى خنوخ
ثلاثين صحيفة وعلى ابرهيم عليه السلام عشر صحايف وانزل الله على
موسى عليه السلام قبل التورية عشر صحايف وانزل التوراة والانجيل
والزبور والفرقان وكذلك يجب الايمان بكل ما انزل الله على جميع
الانبيا عليهم السلام في خاصة انفسهم وما امروا بتبليغه الى الخلق
لان الله تعالى يقول قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم
واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وقال تعالى انا اوحينا اليك
كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده واوحينا الى ابرهيم الى قوله ورسلا
قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك فالايمان
بجميع ما انزل الله على جميع الانبيا واجب لانه وحي من عند الله وكرى
من ذلك كله الايمان بالقران العظيم فانه قد وجب الايمان بكل اية
منه وقد ذكر فيه جميع الانبيا خصوصا وعموما وما انزل عليهم ففي

الإيمان به إيمان بجميع الكتب لأنه مهيمن على جميع الكتب وكذلك يجب
الإيمان بكل ما صح من حديث محمد صلى الله عليه وسلم وهو شعبة من شعب
الإيمان بذاته لكن قرنته في باب واحد مع الإيمان بالكتب لأنه وحي وقد
أخبر الله تعالى عنه أنه ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى فالإيمان
بحديثه واجب والمكذب به مكذب للرسول وقد زعم قوم من المتأخرين بمجرد
العقول أنهم يستغنون بالعقل عن الكتب والأنبياء وما زعموه باطل فإن
العقل لا يستغني عن الشرع والشرع لا يقبل إلا بالعقل لا يستغني واحد
منهما عن صاحبه ومن أجل هذه المقالة ضل جميع الخلق إلا أتباع الأنبياء
ودليل ذلك حديث النبي صلى الله عليه وسلم حيث يقول إن الله خلق الخلق
في ظلمة ثم أفاض عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن
أخطأه ضل والنور الذي أفاض عليهم هو نور الكتب المنزلة كما قال تعالى
واتبعوا النور الذي أنزل معه وأنزلنا إليكم نورا مبينا والنور الذي
أنزلنا وقال عليه السلام تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب
الله وسنتي وفي حديث آخر من ابتغى الهدى في غيره أضله الله يعني القرآن
وقال تعالى وإن تطيعوه تهتدوا ودليله من لم يطع الرسول فقد ضل
فإذا تقرر هذا فالإيمان بالوحي على ثلاثة أضرب كما تقدم في سائر
المقامات ضرب في مقام الإسلام وضرب في مقام الإيمان وضرب في
مقام الإحسان فأما الضرب الأول الظاهر في مقام الإسلام بأن
يؤمن العبد ويصدق بأن هذا القرآن والحديث المكتوب في الأوراق
هو كتاب الله وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يسره الله بلسان نبيه
للذكر والعمل به فوجب على كل مؤمن أن يعمل بجميع أعمال الإسلام بالكتاب
والسنة لأن الإيمان عمل بالجوارح وتصديق بالقلب ونطق باللسان
ويجعل المؤمن إمامه عمله الكتاب والسنة وما تفرع منهما ويشهد له أنه
منهما ويجتنب الآراء والأقوال الفاسدة الضعيفة فهذا من الإيمان
بالوحي في مقام الإسلام وأما الضرب الثاني في مقام الإيمان بأن
يصدق بأن هذا الكتاب والوحي هو الذي ظهر على لسان محمد صلى الله
عليه وسلم وعلى جميع الأنبياء وأنه من الأنبياء نزل من عند الله بواسطة

الملائكة من اللوح المحفوظ كما قال تعالى فيه إنه تذكرة فمن شاء ذكره في
صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام بررة في كتاب مكنون
لا يمسه إلا المطهرون فإن الكفرة قالوا فيه إنما يعلمه بشر وإن هذا
إلا إفك افتراه وغير ذلك مما كذبوا به فيجب على كل مؤمن أن يعتقد
خلاف ما قالوا ويصدق أنه من عند الله نزل على جبريل ثم على محمد صلى
الله عليه وسلم ثم يسره الله بلسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأما الضرب
الثالث في مقام الإحسان بأن يصدق ويؤمن بأنه قائم بذات الله
وصفة من صفاته يتكلم به أزلا وأبدا فإذا نظر الناظر في آياته وتدبر
في معجزاته وعجائبه تبين له أنه كلام الله يقينا لا سيما إذا فهم معانيه
وكان الباري سبحانه هو الذي يهديه فيه ويفهمه فحينئذ يرى في هذا
المقام كيف خاطب به الوجود كله وكيف هو كلمة واحدة متحققة بذات
الباري والوجود كله متكون بتلك الكلمة وكيف هو أعني القرآن مبين
لجميع الأشياء ومبين لصفات الباري سبحانه وما هو عليه مما يجب له
ويجوز عليه ويستحيل وكيف هو تبيان لكل شيء وكيف احتوى على علم الأولين
والآخرين كما قال تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء لأن القرآن هو تفسير
وتبيين للصفات والأسماء أسماء الباري سبحانه وتفسير وتبيين
لكل شيء فهذا مقام العلماء العارفين الروحانيين والربانيين ومن
هداه الله يهدي به من يشاء فمن زعم أنه يصل إلى معرفة الله وعبادته مستبدا
بعقله فقد رد على الكتاب والسنة وعليه الدليل والعقل فلا يهتدي
بعقله دون الرسل والكتب ولو واحد من الخلق ولن يجده فإن احتج
محتج بإبراهيم عليه السلام وأنه نظر إلى الكوكب والقمر والشمس وارتقى
إلى معرفة الله سبحانه وملكوته بالنظر فإن الله تعالى يقول قبل نظره
وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وأعلمنا أن الله علمه
وأراه الإيمان وتعليمه إياه هو الوحي خاصا بتعليم الأنبياء في المنام وحي
وكذلك ورد في الحديث رؤيا الأنبياء وحي والفلاسفة هم الكيس
النظار بالعقل المجرد وقد كفروا وابتدعوا في نظرهم فأي هدى يضاف
إلى العقل يوصل إلى الكفر والبدعة ولقد وصل بهم نظرهم إلى الحد تصور

لهم الباطل في صورة الحق وعضدوه بالبراهين وزعموا ان التنزيه
الكامل والنور الساطع فيما ادركوه من الباطل مثل قولهم ان الله تعالى
يعلم الكليات ولا يعلم الجزئيات بوجه وانه لو علمها لكان نقصا في حقه
جل جلاله والله تعالى يقول وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات
الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين فمن زعم ان هذا النظر مصيب
فليكفر بهذه الاية وبكل اية مثلها وانما النقص الحقيقي ان لو كان ما قالوه
حقا فان من غاب عن علمه شيء وان دق فقد نقص علمه ونشا عنه وانما العلم
الكامل الذي لا يتناهى ولا يعزب عنه شيء كبر او صغر فانظر كيف انقلب
الباطل عندهم حقا والحق باطلا حتى عضدوه بالبراهين في زعمهم وهذه
المسئلة اول ما كفروا به **فان قال قايل** فان في علوم النظار منهم
ومن غيرهم ما هو حق ومبرهن وحكم كثيرة تقبلها العقول السليمة **قلنا**
نعم لكن ذلك من اقوال الانبيا كانوا فيهم وحكما كانوا اتباعا لهم ثم حدثت
بعدهم الاهوا وكثرت الارا الفاسدة كالارا المبتدعة في شريعة محمد صلى
الله عليه وسلم وكتحريف النصارى واليهود لشرايع انبيايهم فما وافق
منها دليل الحق قبلناه كما قال معاذ بن جبل رضي الله عنه تلق الحق اذا
سمعته فان على الحق نورا وما خالف الحق الذي هو الشرع رمينا به وجه
الشيطان وقد ذكر المجوس انه كان فيهم انبيا وسموهم **وذكر اليونانيون**
ان امراة منهم حاكمت زوجها الى بعضهم فاصابته مشغولا بالتقديس يعني
الصلاة فانتظرته مع زوجها حتى فرغ وقال يا جاهلة بمقدار ما جنته
على نفسها اعترفي بذنبك واعلمي زوجك بجنايتك عليه فان السكران
الذي واقعك في ليلة كذا وزوجك قايم في الهيكل يدعو لك بدوام
البقا والسلامة قد احبلك لما استترت عن اعين البشر لم تستتر عني ترى
عينيك او لم تعلمي ان في ملكوت السما منها ما لا يحصى عدده وانت فيهم
كالمكنوفة بين المنجرين مشتدين بعد شهرين حبلت مشوها ثم قال
للزوج عقدت نكاح هذه المراة على غير استقامة فحصدت منها اكثر ما
زرعته فولدت شخص انسان له يدان ويدان في صدره صغيرتان وذكروا
ابا رجلا وافاه فقال يا نور الالباب اني دفنت مالا في موضع من منزلي

ونسيت

ونسيت مكانه فنفعا مرمعه وجا الى منزله فاثاره ثم قال يا ايها الممتحن
لي والشاك فيّ انه لا بد ان يتلف منك ما اثرته لك من المال في هذا
الاسبوع ثم لا استخرجه لك بعدها فانحقا على من لعب بنعم الله ان
يسلبه اياها فذهب المال ومن نوادر حكمهم من غلب هواه عقله افتضح
ومن غض طرفه استراح ايها الانسان اذا اتقيت ربك وحذرت
الطرق المودية الى الشر لم تقع في الشر لا تلم القضا فيما جنيت شر
يدفع خير من خير لا ينفع لا شي اشد من ترك الشهوة تحريك الساكن ايسر
من تسكين المتحرك من قل وفاوه كثر اعداوه احسن اذا احببت ان
يحسن اليك بالهمم العالية والنزاع الزكية تصل القلوب الى نسيم
العقل الروحاني وترقى في ملكوت الضيا والقدرة الخفية عن
الابصار المحيطة بالاقطار وترتع في رياض الالباب المصفاة من
الادناس وبالافكار تصفو كدرة الاخلاق المحيطة باقطار الهياكل
الجسمانية فعند الصفو ومفارقة الكدر تعيش الارواح التي لا
يصل اليها انحلال ولا اضمحلال الحكمة حياة النفوس وزراعة
الخير في القلوب ومشيرة الحظ وحاضرة الغبطة وجامعة السرور
ولا يخبو نورها ولا يكبو زنادها الحكمة حلة العقل وميزان
العدل ولسان الايمان وعين البيان وروضة الالباب ومراح
الهموم عن الانفس وامن الخايفين وانس المستوحشين ومتجر الرا غبني
وحظ الدنيا والاخرة وسلامة العاجل والاجل كل شي تنتهيا
فيه حيلة الا القضا ليس شي اقرب الى تغيير النعم من الاقامة
على الظلم فهذه كلها حكم صدرت عن الانبيا عليهم السلام وعن اتباعهم
من الاوليا الحكما وكتب بعضهم الى ملك زمانه وقدمانه ان
الله تبارك وتعالى جعل الدنيا دار البلوى وجعل الاخرة دار عقبى
فيا خذ ما ياخذ مما يعطي ويبتلي اذ ابتلي ليجزي الذنوب الفاضحة
تذهب الحجج الواضحة اعقلوا في ستر منا انتم فان كنتم لا تعقلون
فاحذروا الدنيا فان كنتم لا تحسنون ان تحذروا الدنيا فاجعلوها
شركا وانظروا اين تضعون اقدامكم واحذروا اكل الشهوات

فان القلوب المعلقة بالشهوات محجوبة عن الله تعالى ومن الفاظ
تذكرا لعيب والاخرة التي جاءت بها الانبيا عليهم السلام من اراده
ان يقوى على طلب الحكمة فليكفف عن تملك النسا نفسه لا ضرر
اضر من الجهل ولا شر اشر من النسا كانت الدنيا عنه سايرة فلا
يشك ان اعضاءه فانية ومهجته عن الدنيا راحلة من حسن خلقه
غفر ذنبه واقيلت عثرته ومن ساء خلقه عوقبت في حياته ولم يصفح
عن زلته تجدماته الدنيا واذ رمقت حظوة من لحظ ملتفت يحس
بالمرد التعلم ما دامت به الحياة وقال بعضهم ما احب ان
النفس علمت كل ما اوعدت به فقيل له ولم ايها الحكيم فقال لو انها
علمت لطالت فلم ينتفع بها ما عندي من فضيلة العلم الا علمي باني
لست بعالم الاتكال على القضا اروح وقلة الاسترسال
احزم اذا هرب الحكيم من الناس فاطلبه واذا طلبهم فاهرب منه
هذه حكم مقبولة لانها دالة على الحق وما وجد في كلامهم من الباطل
علم انها آرا فاسدة دخلت عليهم حين عدم الانبيا واتباعهم من الحكما
وانما العزم منا خلاف اقوالهم ان كل كلام وافق الكتاب والسنة
قبل وما لم يوافق طرح ولم يقبل فان الله تعالى يقول وان كثيرا
ليضلون باهوايهم بغير علم اي بغير علم من الله ومن رسوله كما قال تعالى
في اية اخرى فان لم يستجيبوا لك يا محمد فاعلم انما يتبعون اهواءهم
اي اراءهم ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله فالهدى انما هو من
الله وهداه هو الكتب المنزلة على رسله لا يوصل الى الحق الا بها
جعلنا الله واياكم من المهتدين بهداه المتمسكين بحبله المتبعين
لنبيه ورسوله عليه السلام ورزقنا النعيم عنه امين والحمد لله وحده
وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وصحبه وسلم

الشعبة السادسة والثلاثون الايمان بالملائكة عليهم السلام

اما كون هذه الشعبة من الايمان فبين لا يحتاج الى دليل قال الله تعالى
امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل امن بالله وملائكته
وفي حديث جبريل عليه السلام في سؤاله للنبي صلى الله عليه وسلم

عن الايمان قال لما الايمان قال ان تؤمن بالله وملائكته وشواهد هذا
الباب كثيرة اكثر من ان تحصى واعلم رحمك الله ان الايمان بالملائكة
واجب كالايمان بالرسل والجاحد للملائكة كافر لا يقبل ايمانه لانه
مكذب لكتاب الله ورسله وعددهم لا يحصيه الا الله تبارك وتعالى
فان الملك كله ظاهرا وباطنا والعرش بما حوى معمور بهم لم يخلوا منهم
مكان لانهم خدمة الملك كله ومتعبدون له في جميع اقطار العالم
كله فمنهم ملائكة موكلون بالارض لا يحصي عددهم الا الله ولذلك
امر النبي صلى الله عليه وسلم ان لا تستدبر القبلة ببول او غائط
اكراما للمصلين اليها وفي الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها
انها قالت قلت للنبي صلى الله عليه وسلم هل اتى عليك يوم اشد
من يوم احد قال لقد لقيت من قومك وكان اشد ما لقيت منهم يوم
العقبة اذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل بن عبد كلال فلم يجبني
الى ما اردت فانطلقت وانا مهموم على وجهي فلم افق الا وانا بقرن
الثعالب فرفعت راسي فاذا انا بسحابة قد اظلتني فنظرت فاذا
فيها جبريل عليه السلام فناداني فقال ان الله قد سمع قول قومك
لك وما ردوا عليك وقد بعث اليك ملك الجبال لتامره بما شئت
فيهم فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال يا محمد هو ذلك بما شئت
ان شئت ان اطبق عليهم الاخشبين قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم بل ارجو ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله وحده لا شريك
له ولا يشرك به شيئا فاثبت للملك انه موكل بالجبال والله اعلم بما تحت
يديه من الملائكة وانه شخص وانه ناجى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ومنهم ملائكة موكلون بالبحر ذكر ان منهم ملكا اسمه مهليهيا رتيل
يسبح الله بهذا التسبيح سبحان الله العلي الديان سبحان الله
شديد الاركان سبحان من يذهب بالليل ويأتي بالنهار سبحان من لا
يشغله شان عن شان سبحان الله الحنان المنان سبحان الله في كل اوان
ومكان يقال من قال هذا التسبيح مائة مرة لم يمت حتى يرى مقعده
من الجنة او يرى له ومنهم موكلون بالهوا ما بين السما والارض

ومنهم السياحون الذين يتبعون مجالس الذكر كما ورد في صحيح مسلم عن
ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله
ملائكة سيارة فضلا يتبعون مجالس الذكر فاذا وجدوا مجلسا فيه ذكر
الله قعدوا معهم وحف بعضهم بعضا باجنحتهم حتى يملؤا ما بينهم وبين
السماء والارض وذكر الحديث الى اخره ومنهم الذين ينقلون الصلاة
لمحمد صلى الله عليه وسلم ممن يصلي عليه ومنهم كلها صفات اشخاص عالمة
متكلمة بالاذكار ومنهم ساكنو السموات السبع وصفهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء وذكر ان تسبيح ملائكة السماء
الدنيا سبحان ذي الملك والملكوت من قالها له مثل ثوابهم وتسبيح اهل
السماء الثانية سبحان ذي العزة والجبروت من قالها كان له مثل ثوابهم
وتسبيح اهل السماء الثالثة سبحان الحي الذي لا يموت من قالها كان
مثل ثوابهم وتسبيح اهل السماء الرابعة سبحان الملك القدوس رب
الملائكة والروح من قالها كان له مثل ثوابهم وتسبيح اهل السماء
السادسة سبحان القدوس رب كل شيء من قالها كان له مثل ثوابهم
وتسبيح اهل السماء السابعة سبحان خالق النور من قالها كان له
مثل ثوابهم ومنهم خزنة الجنة ومنهم خزنة النار ومنهم حملة
العرش ومنهم موكلون بالحجب ومنهم موكلون بالمطر حتى قد ورد انه لا
ينزل قطرة من السماء الا ومعها ملك ومنهم موكلون بالارحام وخلق
النطف وموكلون بنفخ الارواح في الاجساد وموكلون بخلق النبات
وتصريف الرياح وجري الافلاك والنجوم ومنهم حفظة على اعمال
العباد ومنهم موكلون بحفظ بني ادم يحفظونه من امر الله اي بامر الله
وعلى الجملة فانهم عامرون للملك كله حتى انه ليس في العالم موضع شبر
الا وهو معمور بالعباد المكرمين الذين لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون
ما يؤمرون ويجمع لك ذلك كله على الاختصار ان تعلم ان العالم على ثلاث
مراتب عالم الملك والشهادة الظاهر للحواس والحس في مقام الاجسام
وعالم الملكوت الباطن الذي هو عالم الكرسي الذي وسع السموات
والارض وعالم النفس والثالث عالم العرش والحجب الذي هو عالم

الروحانيين والمقربين من الاملاك وعالم الروح فالعالم كله مشحون بهم من
اعلاه الى اسفله كما ورد في القران والحديث قال الله تعالى الذين يحملون
العرش ومن حوله فوصفهم ان الملائكة حافين بالعرش وبالملك كله ظاهره
وباطنه فالايمان بجميعهم واجب واعلم ان اوصافهم ستة اوصاف وهي
جامعة لكل فضيلة اولها العلم الكامل كما شهد الله لهم بذلك في قوله تعالى
شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة فثنى بشهادتهم بعد شهادته الثاني
العفة الكاملة عن الشهوات كما شبه الله تعالى نبيه يوسف عليه السلام
بهم في قوله تعالى ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم الثالث الاجتناب
للمعصية كما اخبر الله تعالى عنهم في قوله لا يعصون الله ما امرهم فليس فيهم
من يعصي الله طرفة عين الرابع الطاعة الكاملة والامتثال الكامل في
كل ما امر به المعبود جل جلاله كما اخبر عنهم في قوله تعالى ويفعلون ما
يؤمرون الخامس الذكر الدائم المتصل الذي لا يداخله فتور ولا غفلة
ولا يغلطه سهو ولا نوم كما اخبر عنهم في قوله تعالى يسبحون الليل والنهار
لا يفترون والسادس الاخلاق الحسنة الكاملة فليس فيهم فيما بينهم
تحاسد ولا تنافس ولا استطالة بعض على بعض ولا شيء يستقبح رحماء
بالمؤمنين يستغفرون لهم اشداء غلاظ في مواضع الشدة على من يجب ذلك
عليه نافعون للخلق محسنون لهم بضروب المنافع والاحسان فرغ هذا
كله وهب الله سبحانه وتعالى لهم الا عمارا لطائلة والذوات القوية
على الخدمة اذ هذا هو الفضل المبين واعلم ان افضل الناس
من تشبه بهم في اوصافهم حتى يكون ادميا ملكيا وشر الناس من تباعد
من اوصافهم حتى يكون ادميا شيطانيا فاذا فهمت هذا فاعلم ان الايمان
بهم عليهم السلام على ثلاثة اضرب احدها العمل بما لهم من امتثال
طاعة المعبود سبحانه واجتناب معاصيه والثاني التصديق بوجود
صلوات الله وسلامه على نبينا وعليهم والثالث التشبه بهم في
اوصافهم وافعالهم وعلومهم وهم في ذلك على مراتب ودرجات مرتبة
فوق مرتبة ودرجة فوق درجة من الارض الى حملة العرش وسكان
الحجب وعلى نحو هذه الدرجات ترتبت درجات المعراج الذي عرج فيه

رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان كان من ربه قاب قوسين او ادنى
والمعارج التي تعرج الملائكة والروح اليه فيها وفي بعض احاديث
الاسراء عن النبي صلى الله عليه وسلم وصف فيه مراتب الملائكة في درجات
المعراج قال وكان المعراج ارسل من جنة الفردوس منضود باللؤلؤ وما
من مؤمن الا ويحمل اليه عند موته معراج اما ترون كيف يتبع بصره روحه
والمعراج احسن شيء خلقه ثم قال في الحديث وما من درجة الا وعليها
زمرة من الملائكة لهم زجل وتسبيح وقال الله تعالى في ترتيب مراتبهم
وما منا الا له مقام معلوم فاحرص رحمك الله على الفكر والذكر ورفع
الهمة عن هذا العالم الخسيس الادنى الى المحل الكريم الاعلا محل
الملائكة فانهم الملا الاعلى الذين عكفوا نفوسهم على خدمة العلي
الاعلا ومن فعل ذلك حصل له العلم واليقين بوجود الملائكة والعلم
واليقين زايد على الايمان فانه اذا ارتفع الروح الى المحل الكريم
الذي هم فيه فتحس روحه بذواتهم فان الارواح تتشام فتجد
الالهامات والخطرات المرضية ثابتة في قلبه من ذواتهم وربما قوي
الالهام في حق قوم وربما كان الكشف لقوم على حسب ما يكون القرب
منهم صلوات الله وسلامه على نبينا وعليهم وافاض علينا من بركاتهم
برحمته امين قال الله تبارك وتعالى ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا
عنها لا تفتح لهم ابواب السماء ودليل الاية ان من لم يكذب بايات الله
ولم يستكبر عن قبولها والعمل بها تفتح له ابواب السما ولما كان الملائكة
عليهم السلام على مراتب كما تقدم منهم من هو في عالم الحجب والعرش مقامهم
المحبة والانس واستماع الوحي وغير ذلك من المقامات الرضوانية
الروحانية ومنهم من هو في عالم الملك في السموات والارض احوالهم الخوف
والخشية والقلق والحراسة والمراقبة كالكروبيين وحراس السما
وغير ذلك من احوالهم الشريفة وكاحوال ملائكة الارض السفلى ٥
وخدمة النار الغلاظ الشداد على الاعدا ومنهم النازلون في عالم
الحس للامور السماوية والصاعدون وخدمة النبات والاجسام
في العالم كله بضروب الاجتهاد وكان العبد ايضا له ذوات ثلاثة

جسد

جسد ونفس وروح فليجتهد العبد بجسده في طاعة ربه واجتناب
المعصية وارتفاع الهمة الى العلا ونزوله بالتواضع الى السفل ويكون
في عالم النفس حارسا لقلبه ونفسه عن الخطرات الشيطانية والهوى
فيرجم العدو بشهب الاذكار ويتقوى على النفس بالصوم والرياضة
في طاعة الله حتى يردها ويكفها فيتشبه بملائكة السموات والارض وحتى
ويكون ايضا بروحه وعقله مفكرا وناظرا الى العلو ومكتسبا
لاحوال المحبة والرضى والشوق وغير ذلك من صفات الروحانيين
اعاننا الله واياكم على الفهم عنه والقرب اليه بكل ما يحبه ويرضاه
ولا جعلنا من اهل البعد عنه بمنه وكرمه امين وصلى الله على سيدنا محمد
النبي وآله وصحبه وسلم

الشعبة السابعة والثلاثون

الايمان بالجن والشياطين اما كون هذه الشعبة من الايمان فدليله
من القران والسنة كثير منها قصة ادم عليه السلام مع ابليس نعوذ
بالله منه وغير ذلك من الايمان كقوله تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه
عدوا وكقوله تعالى في الجن قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن وقال الله
تعالى واجلب عليهم بخيلك ورجلك وقال النبي صلى الله عليه وسلم
لوفد الجن حين سألوه الزاد لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه تجدونه
اوفر ما يكون لحما وكل بعرة علف لدوابكم فاثبت لهم اكلا ودواب وخيلا
ورجلا فوجب الايمان بانهم اشخاص وانهم لا يعلم كثرتها الا الله خلافا
لمن يقول انما هي اخلاط النفوس ومن زعم هذا يدخل عليه الكفر من جهة
تكذيب القران والرسل عليهم السلام وقد ثبت في الصحيح عن ابي
هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان عفريتا
من الجن تفلت البارحة ليقطع علي صلاتي فامكنني الله منه فاخذته
فذعته يعني خنقته فاردت ان اربطه الى سارية من سواري المسجد
حتى تصبحوا وتنظروا اليه كلكم فذكرت قول اخي سليمان رب اغفر لي
وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي الاية فرده الله خاسئا فهل نربط
الاخلاط وصفات الانفس بالسواري هل هذا الا للعظيم ممن يراه
وثبت في الصحيح ايضا عن ابي هريرة رضي الله عنه قال وكلني رسول

الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان فاتاني آت فجعل يحثو ا
من الطعام فاخذته وقلت لارفعنك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اني محتاج وعلي عيال ولي حاجة شديدة قال فخليت عنه فاصبحت
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة ما فعل اسيرك البارحة
قلت شكا حاجة شديدة وعيالا فرحمته فخليت سبيله قال اما انه
قد كذبك وسيعود فعرفت انه سيعود لقول رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه سيعود فرصدته فجاء فجعل يحثو من الطعام فاخذته فقلت
لارفعنك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دعني فاني محتاج
وعلي عيال لا اعود فرحمته وخليت سبيله فاصبحت فقال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما فعل اسيرك البارحة قلت يا رسول الله شكا
حاجة شديدة وعيالا فرحمته فخليت سبيله قال اما انه قد كذبك
وسيعود فرصدته الثالثة فجاء يحثو من الطعام فاخذته فقلت لارفعنك
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا اخر ثلاث مرات تزعم انك لا تعود
ثم تعود قال دعني اعلمك كلمات ينفعك الله بها قلت وما هن قال اذا
اويت الى فراشك فاقرا اية الكرسي الله لا اله الا هو الحي القيوم حتى
تختم الاية فانك لا يزال عليك من الله حافظ ولن يقربك شيطان
حتى تصبح فخليت سبيله فاصبحت فقال لي رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما فعل اسيرك البارحة فقلت يا رسول الله زعم انه يعلمني كلمات
ينفعني الله بها فخليت سبيله فقال ما هي قلت قال لي اذا اويت
الى فراشك فاقرا اية الكرسي من اولها حتى تختم الاية الله لا اله الا
هو الحي القيوم وقال لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان
حتى تصبح قال ابو عبد الله البخاري وكانوا احرص شيء على الخير فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انه قد صدقك وهو كذوب اتعلم من
تخاطب منذ ثلاث يا ابا هريرة قلت لا قال ذلك الشيطان فانظر
هذه الصفة هل هي الا صفة شخص من الاشخاص وهل تكون الاخلاط
والصفات تاتي الى الطعام فتغرفه وتعلم العلم ومثل هذا في القرآن
والحديث الصحيح اكثر من ان يحصى فوجب الايمان بالجن والشياطين

لا

لا محالة والذي يزعم انها اخلاط السوداء وسائرها كلها من صفات
النفوس مع انكاره لعالم الشياطين كافر بالقرآن والحديث وجاحد
له نسأل الله السلامة من الزيغ في جميع الامور بمنه وكرمه وفضله بل
الذي في الانسان من الاخلاط السوداوية وصفات الانانية والاستكبار
بغير حق والمكر والخداع دليل واضح على ما في الوجود من الجن والشياطين
ولذلك من عرف نفسه عرف بها سائر الموجودات **وقال** النبي صلى
الله عليه وسلم الشباب شعبة من الجنون وفي حديث اخر يهرم ابن ادم
ويشب معه اثنتان وذكر الحديث فمن الاوصاف المركبة في جبلة
الانسان وخلقته بها يستدل ان في العالم جنا وشياطين كما ان بما فيه
من الصفات المحمودة والاخلاق الحسنة يستدل على ما في العالم
من الملائكة ملائكة الرحمة وبما فيه من الغضب في الله والغيظ
والغلظة والشدة والكبرياء لحق دليل على ما في العالم من الملائكة
الغلاظ الشداد الذين لا يعصون الله ما امرهم وبما فيه من صفات
الرضى وطيب النفس والهناء دليل على ملائكة الرضى كرضوان وخزنة
الجنة عليهم السلام وما فيه من صفات الحزن والخوف والكروب
والغموم دليل على الكروبيين في اهل الخشية والقلوب من الاملاك
وما فيه من الفطن والالهام والاذهان والالهامات دليل على
ملائكة الوحي والتعلم وهكذا استقر صفات الانسان بفهم وعلم
يحصل لنا اليقين بسائر الموجودات ان شاء الله فاذا فهمت هذا فاعلم
ان الايمان بالجن والشياطين ايضا على ثلاثة اضرب ضرب في مقام
الاسلام وضرب في مقام الايمان وضرب في مقام الاحسان اما الضرب
الاول في مقام الاسلام فان للشياطين علوما واخلاقا وحيلا وصفات
وانما لا يقتضي اخلاقهم وعلومهم فيجتنب الانسان اعمالهم ولا يطيعهم
بجوارحه ظاهرا فيكون شيطانا من شياطين الانس ومن اخوان الشيا طين
الا المؤمنين منهم فانهم بضد الكافرين وفيهم طايعون ومتصفون
بالاحوال الشريفة التي امر الانسان بها **واما** الضرب الثاني في
مقام الايمان فهو التصديق بوجودهم وانهم عالم كثير غيب عنا كما

ان الانس عالم كثير لا يحصى عددهم الا الله في عالم الدنيا والبرزخ من وساوسهم ومعرفة خواطرهم ووحيهم وتسويلهم الا المؤمنون منهم.
واما الضرب الثالث في مقام الاحسان فهو التخلق بضد اخلاقهم من الاباية والعناد والكفر وترك الاتصاف باوصافهم لان من اتصف باوصافهم فقد اشبههم ولذلك سماهم الله اخوان الشياطين لانهم اشبهوهم واخو الشيء شبيه اخيه لو لا شبه فيه منه لما فرق بينه بل سماهم شياطين فقال شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا فحقيقة الايمان بهم التصديق بهم والبعد من صفاتهم وافعالهم واذا لم يبعد العبد من اوصافهم وافعالهم اختلط الى عالمهم وصارت ذاته الباطنة في افقهم فلا يسمع باطنه الا كلامهم وزخرف القول من وحيهم وتشكيكهم وامرهم بالمنكر والفحشاء والامنية والالحاد والوسوسة والخواطر الردية كلها وذلك اصل كل كفر وشر في الوجود من اوله الى اخره الا المؤمنون منهم فاحفظنا الله واياك واعاننا على البعد من كل كافر منهم بكل وجه وبكل معنى ولا جعلنا منهم ولا من اخوانهم في الدنيا ولا في الاخرة امين

الشعبة الثامنة والثلاثون الكف عمن قال لا اله الا الله ولا يكفر بالذنوب اما كون هذه الشعبة من الايمان فدلائله كثيرة جدا من القران والسنة واجماع اهل السنة تغني عن الاستشهاد على ذلك قال الله تعالى في ذلك ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ولو كان كافرا لما غفر له ومن عذبه اخرجه بايمانه من النار **وقال** الله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فسماهم مؤمنين وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار فسماهم مسلمين وقال ايضا عليه السلام في النساء يكفرن فقيل يكفرن بالله قال يكفرن الاحسان ويكفرن العشير فهذا كفر دون كفر وقال ايضا عليه السلام سباب المسلم فسوق وقتاله كفر وروى انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة من اصل الايمان الكف عن

من

من قال لا اله الا الله ولا نكفره بذنب ولا نخرجه من الاسلام بعمل وذكر الحديث فجعل الكف عن اهل التوحيد اصلا من اصول الايمان وما كان من اصوله فهو شعبة منه بل هو من اعظم شعبه والحمد لله ومن لا يرى ذلك فهو من اهل الزيغ والضلال الذين يقولون بالتكفير بالذنوب غلوا في تعظيم الذنوب حتى خرجوا عن الحد واما القول العدل في ذلك ان من ارتكب الذنب متأولا وهو يحسب ويرى انه عاص بركوبه اياه غير مستحل له فهذا يحكم عليه بحكم الاسلام ويؤمر بالتوبة منه والرجوع عنه فان تاب لحق بالطائعين وان بقي على حاله فامره مخوف لركوبه طريق الاخرة لكنه في المشيئة بين المغفرة والعذاب ثم اذا دخل النار فلا بد ان يخرج منها بايمانه فالتكفير ساقط عنه بكل وجه والحمد لله لخروجه من النار اذ لا يخلد في النار الا كافر بهذا شهد الكتاب والاخبار **واما** من ارتكب الذنب من غير تاويل يقصد فيه الحق وهو عند الله على خلاف ذلك او من غير ان يرى نفسه عاصيا بل ركبه ركوب استحلال وترك الواجب عليه ترك عناد وجحود فهذا هو الذي يطلق عليه التكفير لانه كفر بايات الله ورسله وكتبه من اجل ان الكتاب اوجب الواجب واحل الحلال وحرم الحرام فاذا حرم هو ما احل الله واحل ما حرم الله او انكر ما اوجب الله فقد كذب الله ورد عليه قال الله تعالى فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته وقال تعالى ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب الاية وقال في اية اخرى قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل الله اذن لكم ام على الله تفترون وقد نسب الله من فعل ذلك الى الكفر وقال تعالى في سورة براءة انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء اعمالهم ثم قال تعالى والله لا يهدي القوم الكافرين ولو ان كل من واقع ذنبا وقع عليه التكفير ما دخل الجنة احد من خلق الله وبقيت الجنة خالية لان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من بني ادم الا وقد عصى او هم بالمعصية

فاظنك بسائر الخلق دون الانبياء والعجب كل العجب من القائلين بالتكفير بالذنوب وهم اكثر خلق الله ذنوبا لانهم يكفرون الامة ويخرجون عليهم بالسيف ويقتلون عباد الله بغير حق ويستحلون ما حرم الله ولا يرون ذلك كله ذنبا بل يرونه حسنا حقا وما هذا الا لان الله زين لهم سوء اعمالهم كما قال تعالى في الاية المتقدمة زين لهم سوء اعمالهم وكما قال تعالى في اية اخرى افمن زين له سوء عمله فراه حسنا هذا هو القول العدل في ذلك والايمان ثابت عند المتصف به لا يحبط الا بضده وهو الكفر الا ان الذنوب تنقصه وتضعفه وتخف وزنه ولو اردنا ايضاح هذا المعنى لكان تخفيفا اعني نقصان الايمان وضعفه فان القران شهد بزيادة الايمان ونقصانه وكذلك شهدت به السنة ولا معنى لقول من يقول ان الزيادة والنقصان لا يوصف بهما الايمان وانما الزيادة والنقصان في الاعمال التي هي فروع الايمان فان الباري تعالى يقول في قلة الايمان فلا يؤمنون الا قليلا والقليل انقص من الكثير بلا شك وقد ثبت في الصحيح عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار ثم يقول الله تعالى اخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان وفي الصحيح ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن شعيرة من ايمان ويخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن برة من ايمان ويخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه ذرة من ايمان فوصف صلى الله عليه وسلم درجات النقصان من الذرة الى ما فوقها وكذلك ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن الحديث الى اخره انما اراد عليه السلام وهو مؤمن ايمانا كاملا **وقال** علي رضي الله بن ابي طالب رضي الله عنه في زيادة الايمان ونقصانه ان الايمان ليبدو لمعة بيضاء فاذا عمل العبد الصالحات نمت وزادت حتى يبيض القلب كله فقد كشف رضي الله عنه للعقل حقيقة التدرج في زيادته فان البياض النوري له درجات

لا اخر لها في القوة النورانية فان نور الثوب الابيض ليس كنور السراج ولا نور السراج كنور الكوكب ولا نور الكوكب كنور القمر ولا نور القمر كنور الشمس ولا نور الشمس كالذي تستمد منه الشمس فقد ورد في وصف الحور العين لو برزت لطمس نورها نور الشمس وفي القدرة ان يزيد الله الشمس في نورها ويقويه مائة الف ضعف مما هي عليه واكثر من ذلك الى غير نهاية ان شاء كذلك يخلق الله سبحانه في قلب عبد من الايمان وانواره ويضعفه اذا شاء اضعافا مضاعفة على غيره فيكون قلب واحد يتلألأ كما يتلألأ الشمس واخر كالقمر واخر كالنجم واخر اقل منه وقد ورد في قلوب المشتاقين ان السموات تضيء بانوار قلوبهم فهكذا درجات الايمان في القلوب فانه ليس قوة ايمان من يصدق بالله ورسوله وباليوم الاخر وهو منهمك في المخالفات كقوة ايمان من يعف عن جميعها ثم ان وقع شيء منها سارع بالخروج منها ولا قوة ايمان من رغب في الدنيا كقوة ايمان من ظهرت له اعلام الاخرة فشمر اليها واستنار قلبه بانوارها ولا قوة ايمان هذا كقوة ايمان من استنار قلبه بنور الله تعالى فانه فائق على من سواه وكذلك في المنازلة والقرب منه درجات بعضها فوق بعض لا يحيط بتفصيل درجاتها الا العالم بها سبحانه هم درجات عند الله وهذا هو مذهب الصحابة والائمة الفقهاء رضي الله عنهم وقال ابن ابي مليكة ادركت ثلاثين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه ما منهم احد يقول انه على ايمان جبريل وميكائيل عليهما السلام وروى ابن وهب عن مالك رحمه الله وقد سأله عن الايمان ايزيد وينقص قال قد ذكر الله تبارك وتعالى زيادته ونقصانه في غير اية في القران والايمان يزيد فقلت فبعضه افضل من بعض فقال نعم وقال ابراهيم بن ابي الورد رحمه الله سمعت مالكا رضي الله عنه يقول الايمان قول وعمل يزيد وينقص وقاله ابن جريج ومعمر وسفيان وقال ابن نافع سمعت مالكا يقول انا مؤمن والايمان قول وعمل تزيد بالاعمال الصالحة قال الله تعالى ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم وقال تعالى رب ارني كيف تحيي الموتى الى قوله ليطمئن

قلبي فذلك زيادة في دينه عند ابرهيم عليه السلام فما ظنك بغيره
والذي لا يقول بزيادته ولا نقصانه يجعل ايمانه كايمان ابرهيم وجبريل
ومحمد وابي بكر عليهم السلام فيرى الكل سوا ولو كان الايمان في قلوب
الخلق على السوا لاستووا في الاحوال والاعمال والزهد في الدنيا •
والرغبة في الاخرة فان القوة التي في الايمان اثمرت الاحوال الزكية
والاعمال الرضية والضعف فيه اثمر الكسل والرغبة في الفاني والزهد
في الباقي واتباع الهوى وغير ذلك ولولا ان الايمان في قلوبهم على السوا
فاما لم اختلفوا في الطاعة والعصيان والاقبال والادبار هل ذلك
الا بسبب النقصان والكمال والضعف والقوة ولكن الكل مسلمون مومنون
والحمد لله هذا هو مذهب اهل السنة ومن لا يقول بزيادته ونقصانه
من اهل العلم فلقوله معنى يرجع الى هذا وذلك ان معنى قوله يرجع الى •
العدد اعني تعديد امور الايمان ومثال ذلك قول لا اله الا الله حروفها
عشرة لا يزاد فيها حرف ولا ينقص منها ولو زيد فيها حرف او نقص منها
حرف لانخرمت الكلمة وانخرم معناها فكذلك جميع امور الايمان قد
عددها الشرع عموما وخصوصا فقال امنوا بالله وكتبه ورسله
وبالملايكة وبالغيوب على اختلاف انواعها وكذا وكذا حتى استقرت
جميع المومنات في قلوب المومنين فكانت عقيدة لا يزاد فيها ولا ينقص
هذا المعنى هو الصحيح واما زيادته في نفسه بمعنى النمو والعظم
فلا شك فيه كما ورد في بعض الاخبار اذا امدح المومن بالايمان في
قلبه يعني المومن العارف بنفسه الذي يرى المدح من فضل الله في حال
المدح ويرى ستر الله لقبايحه فيتولد في قلبه الشكر على ما اظهر من الجميل
والشكر يشرح الصدر ويوجد معه طعم الايمان بل هو ايمان جديد
وكذلك نقصانه اذا امدح العبد واعجب بنفسه نسي مولاه وقل شكره
ونسي قبايحه ووجد طعم نفسه الامارة بالسوء وضعف الايمان •
في نفسه وهكذا في ارتكاب المعاصي والانهماك فيها حتى ان من الخلق
من يكون وزن ايمانه مثقال حبة خردل لكن اسم الايمان والاسلام
ينطلق على الجميع ولا يذهب الايمان بالكلية الا من هو الكفر

نعوذ

نعوذ بالله فاذا تقرر هذا فاعلم ان هذا المقام على ثلاثة اضرب
ضرب في مقام الاسلام وضرب في مقام الايمان وضرب في مقام الاحسان
فاما الضرب الاول في مقام الاسلام بان تكف عن اهل الذنوب
ان تكفرهم بالتكفير ولا تنطلق عليهم وتقطع بذلك وكذلك تكف
جوارحك الظاهرة عن مقاتلتهم بما يقاتل به الكفرة فتكون كالخوارج صح
الذين يكفرون بالذنوب ويستحلون دما المسلمين واموالهم وسبي
نسايهم وذراريهم وقد عابوا على ابن ابي طالب رضي الله عنه بترك
ذلك فقال لهم ابن عباس ما الذي نقمتم على علي فقالوا ثلاثة حكم
في دين الله الرجال ومحا اسمه من امير المومنين وقاتل ولم يسب فقال
لهم ابن عباس رضي الله عنهما فتسبون امكم عايشة رضي الله عنها بل
تامرهم بالمعروف وتنهاهم عن المنكر كما امر الله ولا تقطع فيهم **واما**
الضرب الثاني في الايمان فان لا تعتقد فيه الكفر بقلبك وتكف
عنه ظنونك السو كما كففت جوارحك وتعتقد له الرحمة والرافة
وان اظهرت له الغلظة وتبغضه مما امرك الله ان تبغضه ولا تفضل
نفسك على اذ ذاك لعلة وانت تحب نفسك الى ان تعتقد فيه الكفر **واما**
الضرب الثالث في مقام الاحسان فان بذلك يتهيا لك جميع المراد
في هذا الباب وذلك ان تنظر بتفكر عقلك وروحك الى ما سبق
له في علم الله وفي التقدير الازلي فما تدري بما يختم له ولعله ان يكون
عند الله من العارفين وانت بضد ذلك فان الاعمال بالخواتم فيرد ذلك
الخوف على نفسك وترى عيوبك فتشتغل بها عن غيرك لنظرك في
مقام الاحسان الى علم الله الازلي القايم بذات الله في غيب الغيب
وارفع الدرجات الروحانية الاحسانية فلا تدري ما سبق فيه
لك ولغيرك ونسال الله الكريم بكرمه ان يحبب الايمان ويزينه
في قلوبنا ويكره لنا الكفر والفسوق والعصيان وان يجعلنا من •
الراشدين المهتدين الامنين بمنه وفضله وكرمه امين والحمد لله
المنعم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم **الشعبة**
التاسعة والثلاثون والشعبة الموفية اربعين

النية والاخلاص اما كون النية من الايمان فلا يحتاج الى دليل عليه
لان اعمال الايمان كلها ظاهرا وباطنا مربوطة بها وتابعة لها فلا
يصح عمل الا بها وكذلك الاخلاص ايضا لانه من التوحيد وضده من
الشرك والتوحيد هو الايمان وفي الخبر من احب لله وابغض لله واعطى
لله ومنع لله فقد استكمل الايمان فجعل الاخلاص في الاعمال كمال
الايمان والشواهد على كونه من الايمان كثيرة جدا وقد جعل قوم الاخلاص
والنية شيئا واحدا وفرق بينهما اخرون وهو الصحيح وانما جعلهما شيئا
واحدا من جعلهما من اجل انهما قرينان لا يفترقان ابدا ولا يصح وجود
احدهما دون الاخر اعني النية الصحيحة فان العمل يحتاج الى النية والنية
تحتاج الى اخلاصها للمعمول له لتكون صحيحة صادقة فلما ارتبطا
هذا الارتباط جاز ان يعبر بالواحد عن الاخر فجعلتهما في باب واحد
فالاخلاص روح النية والنية روح العمل الا ترى كيف وقع الاسم
على النيات كلها بلفظ واحد في حق المومن والكافر والمرائي والمخلص
والطائع والعاصي واختلف لفظ النية وتفسيرها فيقال للمومن
في اعماله كلها نيات وللكافر نيات في اعماله وللمرائي في اعماله نيات
وكذلك اصناف الخلق فاشتركوا في اسم النية واختلفوا في صحة
النية وفسادها فسمي من صح نيته بالاخلاص مخلصا ومن افسد
نيته بالرياء مرائيا ومن ربطها بالطمع طامعا ومن ربطها بالشرك
مشركا والنية من اعمال السر تدركها الملائكة عليهم السلام والا
والاخلاص من سر السر لا يدركه احد الا الله ومن اطلعه الله عليه
ودليل ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم من هم بحسنة فلم يعملها كتبت
له حسنة ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة فالهمة هي ابتدا
النية والملائكة يطلعون عليها كما ورد في الخبر ان الملائكة
تقول عبدك فلان هم بحسنة فيقول ارقبوه فان هو عملها فاكتبوها
له عشرا الحديث فوصف في هذا الحديث ان الملائكة يطلعون على
النية الصالحة والفاسدة والهمة هي النية والاخلاص فقد

ورد

فقد ورد في حديث السبعة الاملاك الذي رواه معاذ بن جبل رضي الله
عنه ان الملائكة تصعد بالعمل وتجاوز صاحبه عند كل سماء من اجل الافة
التي دخلت العمل الا الاخلاص والرياء فانه لا يطلعون عليهما حتى
يصل العمل الى الله فيتقبله او يرده من اجل الاخلاص وضده الذي
هو سر السر وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى من السر فكذلك النية
سر العمل واخفى منها الاخلاص لها او ضده وقد سال جبريل رب
العزة عن الاخلاص فاجابه بانه سر من سره وروي الحسن البصري رحمه
الله قال سالت حذيفة عن الاخلاص ما هو قال سالت النبي صلى الله
عليه وسلم عن الاخلاص ما هو قال سالت جبريل عن الاخلاص ما هو
قال سالت رب العزة عن الاخلاص ما هو قال هو سر من سري استودعته
قلب من احببته من عبادي فالنية الصحيحة بالاخلاص قد اقترنت
مع الاخلاص اقتران الجوهر بالعرض اعني انه لا يفارقها كما لا يوجد
جوهر الا بعرض ولا عرض الا بجوهر فلذلك عبر من عبر عن الاخلاص
بالنية وهذا في لسان العرب جائز يسمى الشي باسم الشي اذا جاوره
او شاكله فاما اذا وقع التفصيل فان حد النية هو قصد الباطن
الى الفعل او همة الباطن ان يفعل او ارادته ان يفعل او وده
ان يفعل كما قال الله تعالى ود الذين كفروا لو يردونكم من بعد ايمانكم
كفارا حسدا وكما قيل ان نية الفقير بمجردها خير من عمل الغني كله
وذلك ان الفقير يود ويتمنى رخص الاسعار ورخص جميع السلع كلها
فهو يتمنى الخير لجميع العالم ويوده ضرورة ومن نجد بدا النية بالتمني
والود ايضا ما روي في الاسرائيليات ان رجلا فقيرا مر في مجاعة
بكثبان من رمل فقال في نفسه لو كان لي مثل هذا الرمل طعاما
لقسمته على الناس فاوحى الله تعالى الى نبيهم ان قل له ان الله قد
قبل صدقتك وقد شكر حسن نيتك فاعطاك ثواب ما لو كان طعاما
فتصدقت به فهذا انما ود وتمنى ان يكون له فاعطي ما تمنى وورد
هذا لان نيته اقترنت بالاخلاص لله سبحانه ولو اقترنت بالرياء
والسمعة ولتقال انه سخي اذكر لما قبلت نيته فحد النية

ارادة الباطن الفعل وحد الاخلاص افراد الارادة بالمعمول له دون شي
سواه او قيل النية تمني القلب او همة القلب او قصد القلب للفعل
والاخلاص افراد الهمة والقصد والتمني او قيل توجيه الارادة والتمني
والقصد بالمعمول له **واعلم** ان العمل الظاهر بالجوارح تابع للنية لان
النية فعل الباطن والباطن هو المحرك للجوارح فاول ما يفعل الباطن
العمل صورة روحانية في نفسه ثم يحرك الجوارح فتعمل على صورة ما صوره
كما قال سهل رحمه الله النية مقدمة العمل فالموفقون الحسد دون الذين
صحت اعمالهم الذين اذا ارادوا فعل شي فكروا في عاقبته فان كان رشدا
صححوا النية التي هي فعل القلب بالاخلاص فقامت صورة العمل في
النفس صورة روحانية مجردة من الافات ثم اظهروه بالجوارح على صورة
ما تصوره في القلب فان طرا آفة عليهم اماطوه بالكراهة له حتى يتم
العمل كما تصور باطنا صحيحا وهكذا الشيطان نوى شرا اول ما يصوره
في نفسه صورة ثم يعمله ظاهرا بجوارحه ولذلك ورد في الخبر اذا التقا
المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قلنا يا رسول الله هذا
القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل صاحبه معناه
انه نوى قتله واراده بباطنه فلم يقدر على تنفيذه على حسب ما اراد
ظاهرا كما قدر صاحبه القاتل فكان كالقاتل لانه في الباطن قاتل
وهكذا الامر في جميع الاشياء لا يخطر في باطن العبد شي يريده الا
وصوره صورة كاملة في باطنه فمن ذلك ما يعفى عنه ومن ذلك ما يواخذ
به وهذا سر عظيم من فهمه اشرف على بحار من العلم لا اخر لها واسرار
من العلوم الربانية لا مثل لها وكيف يخلق الله اعيان الموجودات
عن الارادة القديمة دون نصب ولا تعب بل كما قال تعالى وما
مسنا من لغوب وانظر قوله تعالى لكم فيها ما تشتهي انفسكم اي ما تتمنى
وانظر الى حال الذي نوى وقال للجبل تحرك فتحرك كيف انفعل
التحريك بارادته ثم التسكين وكذلك خرق العوايد كلها مبني عليها
على المال واي نوع كان من هذا الباب لمن فتح الله بصيرته **ولنرجع**
الى ما كنا بسبيله اعلم ان تصحيح النية والعمل وقتا ربما يتضح بمعرفة

العوالم

العوالم الثلاثة عالم الملك والملكوت والجبروت التي هي على عدد
المقامات الثلاثة مقام الاسلام والايمان والاحسان وبمعرفة
هذه العوالم الثلاثة تصح معرفة الانسان بنفسه ان شا الله تعالى
فالعالم الظاهر كله يسمى عالم الملك ومثله من الانسان الجسد الظاهر
واعمال الجسد هي الاسلام فيحتاج كل عمل الى نية واخلاص وعالم
الملكوت هو باطن الملك الظاهر وهو عالم الكرسي الذي وسع السموات
والارض وما فيهما ومثاله من الانسان نفسه واعماله الايمان والعقود
كلها ويحتاج في جميعها الى نية صالحة واخلاص كما ورد في الحديث من قال
لا اله الا الله مخلصا من قلبه دخل الجنة وعالم الجبروت هو موضع
تدبير الملك ظاهرا وباطنا وهو عالم العرش قال الله تعالى ثم استوى
على العرش يدبر الامر امر الباري تعالى خير محض لانه الارادة للامر
ومثاله من الانسان روحه قل الروح من امر ربي واعماله المواجيد
والاحوال والعلوم العقلية والاسرار الربانية ويحتاج في ذلك
كله الى نية صالحة واخلاص صحيح فقد عمت النية والاخلاص المقامات
الثلاث **وصل** اعلم ان اول ما يبدو الامر من عالم
الجبروت جزا من خاطر او غيره من الغيب فيظهر للعقل الذي هو وصف
الروح فاما يقبله او يرده بالكراهة بواسطة النفس فان قبله
صارت نية وعقدا مرسوما في خزانة ملكوت النفس وعالم النيات
ثم بعد ذلك تاخذ القوى في اخراجه الى عالم الجسد بالحركات والسكنات
فمن ايده الله بتوفيقه واراد تصحيح نياته وقبول اعماله ايد الروح
بنور العقل حين ظهور الامر والخاطر فينظر الى الامر فان كان من
امور الاخرة وراه صافيا بالاخلاص عقد عليه وحرك النفس
لقبوله والعقد عليه فيكون نية صالحة وان كان مما يخرج الى عالم
الجسد ويقع في عالم الملكوت ظهر للاملاك وكتب له عمل صالح وان
كان مما لم يتم الا باخراجه الى عالم الملك والشهادة اخرجه الى عالم
الملك الذي هو الجسد فتم وان كان من امور الدنيا نظر ايضا فان
كان مما يعود عليه فيه نفع في دينه او دنياه عقد عليه ان كان

محتاجا اليه وامضاه ايضا لان امور الدنيا معينة للاخرة لانها ركاب لها وان كان الامر لغير الله او لدنيا مذمومة او معصية اظهر قبحه للعقل فنفر عنه وكسل النفس عن قبوله فيرده بالكراهة فان زاد الخير حتى تقبله النفس وجب عليه فسخه والتوبة منه وعقد النية على تركه فيكتب له ايضا عمل صالح فمثل هذا تكون اعماله كلها من دين او دنيا صالحة لان نيته فيها كلها لله وللدار الاخرة وهذه صفة اهل التثبيت والتوقف في امورهم كما قال بعضهم كنت بواب قلبي سبع سنين يعني انه كان عقله واقفا على باب قلبه في عالم السر فكل خاطر اراد دخول قلبه نظره فان كان من قبيل الخير قبله وعقد عليه ونواه وان كان من قبيل الشر والهوى اغلق الباب في وجهه وطرده ولم يمكنه من الدخول قال الله تعالى في وصف اهل الكهف وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد يعني حارسهم باسط ذراعيه على عتبة الباب وقيل الكهف ومن كان هذا وصفه لم يغفل من عمل صالح في كل نفس من انفاسه

وساعة من ساعاته فان اوقاته في ليله ونهاره لا تخلو من اربعة اقسام ساعة يؤدي فيها ما افترض الله عليه وهي اجل الطاعات وساعة يعمل فيها فضيلة والفضيلة ترفع العبد الى الدرجات العلى وساعة يصنع فيها مباحا من اكل او كسب او غيره للنفس من انواع المباحات والمباح اذا قصد به الاعانة على الطاعة كان طاعة لا محالة وساعة يكون العبد خاليا كسلانا غير نشيط لا يجد نشاطا للذكر ولا الفكر ولا غير ذلك فلينو العبد حينئذ انتظار الفرج وانتظار الفرج بالصبر عبادة ولينو انتظار اوقات الفرائض ايضا فيكون طايعا كما ورد في الحديث ان العبد في صلاة ما انتظر الصلاة فهذه اوقات العبد في ليله او نهاره ليس فيها قسم خامس فاذا كانت نيته صالحة كانت انفاسه كلها وانواره طاعة وذلك بحسن النية فان النية هي التي تحسن الاعمال وبها تزكو وتكثر ولذلك كانت النية خيرا من العمل كما ورد في الخبر نية المومن خير من عمله لانه من حسن شيئا واصلحه وكثره فهو احسن منه لكن الذي واصلح منه لانه سبب صلاحه وخيره بل كل خير صدر عن العمل عن النية

اوقات اربعة

صدر فهي خير من العمل وهي ايضا ابلغ من العمل لان نية المومن الصالح النية اذا عمل عملا لله عز وجل يود ويتمنى ان لو كان العمل اصلح مما هو واصفى ويتمنى ايضا ويود ان لو كان اطاع الله بجميع انواع الطاعات وتقرب اليه بانواع القربات لكن لا يقدر بجوارحه على ذلك وكذلك يود ان لو اطاعه الخلق كلهم ولم يعصوه طرفة عين ويحزن على ما وقع في الامة وفي الدين من فساد حتى قال بعضهم وددت ان هذا الخلق اطاعوه واني قرضت بالمقاريض فمثل هذه النية تبلغ اهلها ما لا تبلغهم اعمالهم وكذلك ايضا تبلغ في المال ما لا يبلغه العمل فان نية المومن ان لا يكفر بالله ابدا ولو عمر في الدنيا ابد الابدين فاعطي ثوابا على هذه النية ان لا يخلد في النار ابد الابدين ونيته البقاء والثبات على الايمان ابد الابدين فاعطي على هذه النية الخلود في الجنة دار الثواب ابد الابدين ولولا انه نوى العصيان في بعض الاوقات والاعمال لم تبلغ هذا المبلغ ولا انتهى به فانه لو خلد العبد في الجنة على قدر اعماله لم يبق فيها الا مقدار سبعين سنة او ستين سنة او على مقدار ما يكون عمره الذي اطاع الله فيه

فصل

واما الاخلاص فيحصل كما تقدم افراد النية وتصفيتها من الحظ لله عز وجل في حين العمل من اوله الى اخره ثم اخفاء العمل عن التحدث به مع الخلق ونسيانا النفس له ان تطلع عليه بعد تمام العمل قال الله تعالى فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا يعني في حال العمل وقال في كتابه بعد تمام العمل يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى الاية ففرض الاخلاص الواجب في اعمال البر كلها على العامل ان يستوي في قلبه بنو ادم مع اشخاص العالم كله من ارض وحيوان ونجوم وافلاك وملائكة وغير ذلك فكما انه لا يرائي بعمله لشخص من اشخاص العالم كله فكذلك ينبغي ان يكون مع بني ادم ايضا **فان قلت** ان بني ادم ينفعون او يضرون فان اشخاص العالم كله اكثر منفعة لك من بني ادم كالشمس مثلا فانها نافعة لهذا العالم باسره بتنويرها وتسخينها في كل نفس من الانفاس وكذلك كل شخص في الوجود غيرها ولا يرائي العامل بعمله لشيء منها **فان قلت** ان اشخاص العالم ليس بيدها شيء تملك

انما الامر فيها بيد الله سبحانه فكذلك ايضا بنوا ادم لا يملكون ضرا
ولا نفعا هو يتصرف القلوب ويقبضها ويبسطها وان اعتقدت
غير ذلك وقعت في الشرك الاكبر والريا هو الشرك الاصغر واعلم انه
لا ينقطع اصول الريا من القلب حتى تنقطع اسبابه واسبابه خمسة
اشيا احدها الطمع في نيل منفوع الثاني الرغبة في دفع مضرة
والثالث حب الثنا والمدح الرابع كراهة الذم الخامس ضعف اليقين
وهو اصل الكل فانه اذا ضعف اليقين قل نظر العبد ومشاهدته
لربه عز وجل وقوي نظره الى الخلق وراى الفاعلين باستيلا الغفلة
عليه فيطمع فيهم لرؤية صدور الافعال عنهم فيخافهم ويرجوهم ويفرح
بمدحهم ويحزن لذمهم فيدخل عليه التصنع والريا ضرورة لاجل هذه
العلة الكامنة في باطنه فمتى قويت هذه الاشيا الخمسة في القلب
قوي الريا لانه فرع عنها ومتى ضعفت ضعف ومتى انقلعت بالكلية
انقلع الريا بالكلية ولا ينقلع بالكلية حتى يكون بنوا ادم عنده
بمنزلة اشخاص العالم كله كما تقدم فيكون العامل واقفا مع الله سبحانه
وحده الفرد ويشاهد اشخاص العالم كله كشخص واقفا مع الله في عبادته
وحده الفرد ليس فيها شي يرائي في حركة واحدة من حركاته لشخص اخر وهذا
في الحقيقة هو عمل السر الذي وردت الاخبار بتفضيله وان كان
صاحبه في العلانية او في السر فانه لا يسمع احدا ولا يراه بل جعل
سمع الله في مقابلة سمع الخلق وبصره في مقابلة بصر الخلق وكان
في غيب الغيب وسر السر عن ابصار الخلق وسمعهم ومن ضعف عن
هذه الدرجة امر بطلب اسبابها وهو ان يفر من بني ادم الى الخلوة
فيعمل في السر عنهم حيث لا يسمعونه ولا يرونه فيسمع سمع خالقه
وينزهه لبصره جل جلاله فان الريا انما هو لهاتين الحاستين
اعني السمع والبصر ومنها اشتقت السمعة والريا فالسمعة للسمع
والريا للبصر والمريد يجمعهما جميعا بتنزيه سامعه وتنزيه لرائيه
والى هذا المعنى المذكور ندب النبي صلى الله عليه وسلم في قوله الاحسان
ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك واول ما يدخل

العامل في العمل ينبغي له ان يسبق الى سره قبل كل شي هذا المعنى وذلك
ان ينظر الى ربه ويصفي سره لنظره ثم سمعه ويتزين له واذا كان
هكذا ينبغي للعامل ويود ان لا يطلع احد من خلق الله على عمله ويجد
الراحة والنشاط في العمل ومما علامة المخلص التبرم في الجماعة
والنشاط في الخلوة الا مع اقوام توجد الزيادة معهم من الاشياخ
والاخوان او رجل يظهر افعاله للاقتدا به كي يكون له اجر من اقتدى
به وتلك حالة من استوى وكمل من الانبيا والاوليا وعلامة المرائي
الكسل في الخلوة والنشاط في الجمع وقد ينشط المرائي ايضا في الخلوة
اذا كان العمل يظهر منه في المستقبل كالذي يجتهد في درس العلم والتعلم
ليظهر في المحافل ويثني عليه في المجالس فهذا ايضا افعاله ظاهرة
وباطنة كلها ريا وكل من لم ينتفع في افعاله كلها بنظر الله لها وسمعه
دخل الريا لا محالة عليه واعلم ان اسباب الاخلاص خمسة اشيا
على عدد اسباب الريا اولها وهي الاصل قوة اليقين بالله والمشاهدة
له جل جلاله ويتفرع عن اليقين اربعة فروع اولها الطمع فيما عنده
من الثواب الثاني الرغبة في دفع المكاره كلها عنه لانه شاهد الكل
بيده وانه الضار النافع الثالث طلب الحظوة عنده وحب المدح والثنا
من الله تعالى لان من اثنى الله عليه بكلامه بوصف من الاوصاف
لم يغير احد فذرما اعطي الرابع كراهة السقوط من عين الله والذم من الله
فان من ذمه الله بكلامه وسقط من عينه ذمه الكل وسقط عند الكل
اعني في الاخرة فمن حصلت هذه الاشيا الخمسة في قلبه جعل نظر
الله اليه عوض نظر الخلق وسمع الله سبحانه اليه عوض سمع الخلق وطمع
فيما عند الله عوضا مما عند الخلق ورغب اليه ان يحرسه من كل مكروه
عوضا من الخلق وطلب الجاه عند الله لا عند الخلق وكره السقوط
عند الله لا عند الخلق فمن كان هكذا كان عبدا مخلصا لله سبحانه
بفتح اللام وهو من المخلصين على اخلاصه بكسرها فاذا العبد لم يكون
مخلصا على الحقيقة حتى يخلصه الله لنفسه من الاستعباد للاشيا
فيكون مخلصا منها حينئذ تصفو عبادته من رق الاشيا كما ابتغي

الله سبحانه على اهل هذه الحال فقال تعالى الا عبادك منهم المخلصين
بالكسر والفتح لما لم يتملكهم العدو بشيء ولم يدخلوا تحت لواء سلطانه
يئس منهم فقال الا عبادك منهم المخلصين فاضاف عبادتهم لله وحده
دون من سواه وبذلك اثنى عليهم ايضا سبحانه وتعالى في قوله تعالى
انه من عبادنا المخلصين قرئت بكسر اللام وفتحها فاضافهم الى اسمه
المنفرد دون من سواه فقال عبادنا المخلصين وعن مثل هذا الحال اخبر
الله جل جلاله عن اسرار الابرار في قوله تعالى انما نطعمكم لوجه الله
لا نريد منكم جزاء ولا شكورا اذا تنبهت الاية وجدت فيها هذه المعاني
الحسنة المتقدمة وبذلك وصفهم ايضا في قوله تعالى وسيجنبها الاتقى
الذي يؤتي ماله يتزكى وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه
ربه الاعلى فهذا اتى ماله طلب التزكية عند الله والطهارة والقرب
منه والنظر اليه وانه لا ينبغي مقاما التخلف والذم لا انه طلب على
اعماله ثوابا من اغراض الدنيا ولا جاها ولا محمدة في الدنيا فاذا
خلص العمل من ان يطلب عليه ثواب دنياوي من الخلق فهو مخلص
وهذه اول درجات الاخلاص فان من عمل للاخرة وليثيبه الله في
الاخرة فهو من المخلصين لكن عمله للنفس لاجل الجزاء والجزاء حظ من حظوظ
النفس وفوق ذلك ان يعمل لاجل الله لانه اهل ان يعبد ويشكر
بالعبادة على وجوده سبحانه كما عمل نبينا صلى الله عليه وسلم في هذا
المقام حين عوتب في كثرة العبادة فقال افلا اكون عبدا شكورا
وبذلك امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى لئن اشركت
ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين
اي من الشاكرين على ان رضيناك لعبادتنا وعلى ان جعلناك اهلا
ان تعبدنا وهذه اعلى رتبة في الاخلاص وليس وراءها مرمى الا ترك
الركون الى الاخلاص وان يرى العبد نفسه مخلصا فان في ذلك
شركا خفيا قال الله تبارك وتعالى في عثمان بن عفان رضي الله عنه
امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه
فاخبر عن سره انه لا يرجو الا رحمة ربه مفردا حين صفى سره عن

الركون

الركون الى العمل وقطع اليأس عن النجاة الا بالله وبذلك امر الله نبيه
صلى الله عليه وسلم ايضا في قوله تعالى ولله غيب السموات والارض واليه
يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه لا على عبادتك فان النفس ان طالعت
اخلاصها كثر عندها عملها وذلك شرك خفي منها لانها اضافت لها فعلا
وهو كذب فان الله سبحانه خالق كل شيء ولن ينال العبد هذه المرتبة في الا خلاص
حتى يرى القلب بالمشاهدة كثرة اعمال الله وخدامه في ملكه وملكوته
على ممر الدهور والازمان وانهم لم يفتروا قط طرفة عين عن عبادته
ويرى مع هذا ربما تقع عبادته من عباده العابدين وهل تحس او تسمع
لها ذكر في عبادة العابدين فينبغي للعبد حينئذ ان ينظر الى الاصل صح
ويبقى فردا مع الفرد الحق لا يرجو الا اياه ولا ينظر الا اليه ولا
يتوكل الا عليه ويصير العمل واحدا من الخلق لا يركن اليه كما لا يركن
الى شخص من اشخاص الخلق لان العمل واحد من الخلق لا يركن اليه كما
لا يركن ~~الى شخص من اشخاص الخلق لان العمل~~ خلق الله كما الشخص خلق الله
والله خلقكم وما تعملون فهذا مقام الاحسان الروحاني والايماني
بلغ الله بنا وتاب علينا وعليكم من جميع الافات جليها وخفيها امين
والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم

الشعبة الحادية والاربعون

التوبة اما كونها
من شعب الايمان فبين واضح لا يحتاج الى استشهاد عليه من اجل ان
التوبة رجوع من شيء الى شيء فهي رجوع من جميع اضداد شعب الايمان
ودخول في الايمان وشعبه ورجوع الى الله تعالى بعد الفرار منه فهي اذا من
اكبر شعب الايمان وقد جعلها الله ايمانا في قوله تعالى فاذا انسلخ
الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم
واقعدوا لهم كل مرصد ثم قال فان تابوا اي رجعوا من الشرك الى الايمان
فهذا ايضا يبين كونها من شعب الايمان واعلم يا اخي اذا التوبة
قدرها عظيم واثرها جسيم لا يقدر احد قدر النعمة بها على عباده ولم
يبق اليوم في الارض سبب ارجى منها لان الباري تبارك وتعالى ترك
بابها مفتوحا لا اغلق عليه الى ان يبلغ الكتاب اجله وهو طلوع

الشرور منها وطاوع النفس على الآخرة ووعد المغفرة معها لكل نوع
من أنواع المخالفات فأي نعمة أعظم منها وبما أدل دليل على حسن أخلاق
الباري جل وعلا فإنه عامل بما هو عليه من الجلال والكبرياء وعظيم السلطان
والرفعة والسيادة تعظم في الوجود عصيانه وتكثر مخالفته بقدر
عظمته وكبريائه لأنه عظم الذنب على قدر الذي عصى كما قيل لا تنظر
إلى صغر الذنب وانظر إلى قدر الذي عصيت ومن واجهت بعصيانك
لكن عنده من العطف والحنان والرحمة واللطف وغير ذلك من صفات
العفو والمغفرة ما لا يعلمه إلا هو فيما يتوب على عبده العاصي ويرجع
عليه ويمهله حتى يتوب فإذا تاب قبله وتلقاه بما لا تقدر العقول
من الإكرام والإحسان فدلت التوبة على أمر عظيم من معرفة ما هو الله
عليه من الصفات والأسرار لا تسطرها الأقلام وتذهل عنه القلوب
والأحلام من أخلاق ذي الجلال والإكرام ولذلك حرم اليأس وكان كفرا
لأنه كفر بهذه الصفات الحسنى التي شاهدها التائب في مقام الإحسان
الروحاني والآيس محجوب عنها ألا ترى أن الباري تعالى يعصى في هذا
العالم في كل نفس من الأنفاس بأنواع العصيان كلها على ممر الدهور والأزمان
من كل شيطان وكافر ومبتدع وعاص وينسب له ما لا يليق به ويصرف
على ذلك وهو مع ذلك يحلم ويرزق ويعافي ويستر ثم يتوب على عبده
فإذا تاب قبله وعفى عنه وكتبه في زمرة المطيعين فلله الحمد على ما
هو عليه ربنا سبحانه من صفات علي وأسماء حسنى **واعلم** أن حد التوبة
في اللغة الرجوع يقال تاب فلان إذا رجع من مكان إلى مكان فحدها
وحقيقتها رجوع من شيء إلى شيء آخر سواه وذلك رجوع من كفر إلى إيمان
أو من بدعة إلى سنة أو من معصية إلى الطاعة أو من غفلة إلى يقظة
فهذه الأربعة محيطة بجميع أجزاء التوبة لا يشذ عنها شيء منها بحال
فهي إذا أول العبادات وأول الأساس الذي تبنى عليه المقامات
فمن لا توبة له لا مقام له قال الله تعالى ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون
والظالم لا مقام له حتى يقلع ويرجع عن ظلمه وهي أول حالة دعي الخلق
إليها على ألسنة الرسل والكتب فإن الرسل عليهم السلام إنما يدعون

مطلب حد التوبة

الخلق

مطلب أول التوبة

الخلق أول ما يدعونهم إلى ترك المخالفات والإقلاع عن الزلات وخلع
الأنداد قال الله تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك
بالعروة الوثقى فأول التوبة الإقلاع عن الذنب ظاهرا وباطنا
فالظاهر ترك الفعل والباطن حل الإصرار من القلب فإذا ترك الجول
الفعل وحل القلب الإصرار عليه فقد أقلع عما كان مقيما فيه ثم الفرار
مما سكن فيه وهو عبارة عن الرجوع إلى ما كان هرب عنه من الموافقة
ثم العزم على ترك العود وهو ربط القلب على أن لا يفر من الموافقة
إلى ما هو هرب من المخالفة ثم الندم على ما فات من الحالتين حالة
المخالفة وحالة الموافقة فمن صحت له هذه الأربعة صحت توبته
وكانت نصوحا لم يتعلق بها شيء سواها وكان صاحبها كمن لا ذنب له لأن
من ترك لا ذنب له لم يتعلق به ذنب وهو الطائع الذي لم يواقع
الذنوب فقد شبه النبي صلى الله عليه وسلم التائب التوبة النصوح
بمن لا ذنب له فقال التائب من الذنب كمن لا ذنب له فمثل التوبة
كالإكسير الذي يحول الأعيان ويبدلها ويقلبها جواهر قال الله
تبارك وتعالى منبها على هذا المعنى إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا
فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات فنص على أنه يبدل السيئات حسنات
وذلك لأن التائب إذا أقلع ورجع فارا إلى ما تاب إليه وتبين
له قبح ما كان عليه ووضح له سوء حاله حصل له الندم وهو الحسرة
والأسف والاستيحاش كان عارفا عالما بالله ويعتقد أن من عصى فيما سلف
قبل أحوال الموافقة له الفضيحة ويود أن لو كانت أعماله صالحة على
خلاف ما كانت عليه ويسترجع على هذا كلما ذكرها ويتمنى أنه لو كان
مطيعا فيما سلف وأن لو كانت معصيته طاعة فبالندم الحاصل في
هذه الحال فهذا هو الإكسير الذي تبدل له السيئات حسنات ويكتب الله
بفضله مكان كل سيئة حسنة كما ورد في بعض الأخبار ونص عليه الكتاب
في الآية المتقدمة فهذا الندم على ما مضى وسلف من العبد كمثل النية
الصادقة في المستقبل التي يكتب العبد بها عاملا ويعطى ما نوى
وإن لم يعمل حين عجز عن القدرة عن العمل **فصل** واعلم

اذ توبة التايب تنحصر في ثلاثة اقسام وهي مقام الاسلام والايمان والاحسان الثلاثة وعلى الذوات الثلاث التي هي الجسم الظاهر والنفس الباطنة والروح الذي هو باطن الكل فاما القسم الاول في مقام الاسلام فالتوبة فيه رجوع الجوارح عن المخالفات الى اعمال الصالحات والفرار من اقران السوء ومواضع المخالفات بغير جسده من ذلك الى مواطن الصالحات ويلبس الجوارح بالاعمال الصالحات **واما** القسم الثاني الباطني في مقام الايمان فهو حلول الاسرار من التايب وادخال الهم والحزن والاسف والندم على الذنوب عوضا من الفرح بها وعزم القلب على فعل الطاعات وعلى ان لا يعود الى السيئات الى غير ذلك من احوال التايب في الباطن ويستعين على ذلك بما هون القلب بموبقات في الغيب ويذكر امور الاخرة واهوالها فيعينه ذلك على التوبة لا محالة **واما** القسم الثالث في مقام الاحسان فهو رجوع السر الى من فر عنه حين المعصية بالانكسار والذل والدعاء والرغبة والنظر الى قدر من عصى الى غير ذلك من حال التايبين واسرار الهاربين الى الله بالتوبة وقال سهل رحمه الله مقام التايب الحقيقي مقام حملة العرش **فصل** واعلم ان العبد المنيب اذا نظر الى حالته المتقدمة في حين البطالة بعين يقينه انكشف له سر الملكوت ورأى ما كان عليه واين كان ومن اي شي انقذه الله تبارك وتعالى وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها الاية واعطى العلم المحجوب عنه قلوب الغافلين وذلك ان الله تعالى يقول ان كتاب الفجار لفي سجين وفي الحديث وهل يكب الناس على مناخرهم في النار الا حصائد السنتهم فالسيئات كتاب مرقوم في اسفل سافلين وصورتها مرسومة في ذات العبد كما ان الحسنات كتاب مرقوم في اعلى عليين والنار في اسفل سافلين والجنة في عليين ولا يدخل النار الا بعمل يوجب دخولها فاذا عمل العبد المعصية ارتسمت وكتبت في السفل وكانت طريقا الى جهنم السوأى وعلى ذلك الطريق تاتيه النار فتاخذه ولو لم يكن ذلك الطريق لما اهتدت النار اليه ولا اخذته وكذلك تلتقطهم في المحشر كما يلتقط

الطير الحب السمسم ويها عرف بالعصاة والجبابرة منهم بانفسهم لان النار المحسوسة الان لا تمشي الا بحطب تاكله وتوصل به الى المطلوب بها وكذلك الاخراوية لا تاتي للعبيد الا على طرق اعمالهم المرقومة فيها فهي تسعى في طرق السيئات حتى تصل الى العصاة فاذا وصلت الى العبد وهو غير تايب وجدت اليه سبيلا وتمكنت منه باذن الله سبحانه واذا كان العبد تايبا لم تجد النار اليه سبيلا لانه قد اقتلع عن مقامها وقطع اسبابها بينه وبينها وسد ابوابها التي تدخل اليه منها ومثال ذلك ان اللسان مثلا اذا عمل السيئة وتكلم بالكلمة من شر لا كذب او اضلال او نميمة او غير ذلك من الاعمال السيئة ارتسمت في ذات المتكلم نكتة سودا وارتسمت في قبضة الشمال من سجين واسفل سافلين فكانت طريقا متصلا بدار الجحيم وكان العبد على شفا حفرة من النار فصار ذلك الطريق يربطها وبه تصل حتى اليه لانه غير فان تاب فقد اقتلع عن الحفرة فتاتي النار على ذلك الطريق في المحشر فتجده منقطعا وتجد الصمت الذي هو توبة اللسان قد سد الباب واغلقه في وجهها فلا يكون لها عليه سلطان وكذلك الغض في العين والكف في اليد كفوا ايديكم وكذلك حبس الرجل عن المخالفة وقبض جميع الجوارح عن المخالفات والقلب باطنا عن العقود الموبقات والاصرار الموبق وهذا سر مكنون نبه الجليل جل جلاله عليه في قوله تعالى لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ومن هذا المعنى استغاث الناظرون بعين اليقين والمتفكرون في ملكوت السموات والارض الى ربهم في قوله تعالى ويتفكرون في خلق السموات والارض ويقولون ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار طلبوا الوقاية منها لما شاهدوها في باطن الملك اقرب الى الخلق من انفسهم الجنة اقرب الى احدكم من شراك نعله والنار كذلك فمن كانت حالة هذه من التوابين لا يخلوا من محو واثبات يمحو السيئات ويثبت الحسنات بالتذكر والاعمال الصالحات فينجلي قلبه ويصفو ويبصر ما كان تاب عنه لان الشي الذي تاب منه ايضا لا يخلوا كما تقدم من اربعة اشيا اما شرك واما بدعة او معصية او غفلة فالشرك على قسمين شرك اكبر وشرك ه

اصغرا خفي من دبيب النمل على الصفا فان خلا عن الاكبر كيف يخلوا عن
الاصغر والبدعة على قسمين بدعة تنقل عن الملة وبدعة اخف منها
لا تنقل عن الملة تشمل ما احدث الناس بينهم في القول والفعل وفي
امور الدنيا مالم يكن عليه الرسول صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح
من تشديد النية وسواس الوضوء والاغتسال بالماء الكثير وترك
السلام والبدو بقولهم كيف اصبحت وغير ذلك مما لا يحصى لكثرته وتكثر
تعداده وانما نيقظ لمن شغف بالعمل بالسنة فان خلا من البدعة
الكبرى أنى له بالسلامة من الاخرى لاسيما في هذه الازمنة وكذلك
المعصية ايضا على ضربين كباير وصغاير فان خلا عن الكباير واني
يوجد فلا يخلوا عن الصغاير ان الله تعالى كتب على ابن ادم حظه من
الزنا لا محالة فالعين تزني وزناها النظر الحديث الى اخره ولا
يخلوا احد عن ذنب حتى تسع الكل مغفرة الله الواسعة وقد نبه على
سعتها بقوله تعالى الذين يجتنبون كباير الاثم والفواحش الا اللمم
وهي الصغاير ثم قال تعالى ان ربك واسع المغفرة اي وسعها الكل
لانهم ان خلوا عن الكباير لم يخلوا عن الصغاير وكذلك الغفلات على
ضربين غفلة هي موت القلب وترك الذكر ونسيان النعم والنوم
عن الاشتغال بالباقي بالاقبال على الفاني وغفلة تتخلل احوال
الذاكرين في ذكرهم والمتيقظين في حال تيقظهم من نظر الى ذكرهم وتيقظهم
او سكون الى نفس او ملاحظة حظ من الحظوظ او ركون الى مقام وحال
او انقطاع برؤية نعمة عن المنعم وفي احوال الاكابر اعني رؤية التقصير
حتى ينقلوا الى ارفع مما هم فيه فيذكرون تقصيرهم ويرون انهم
كانوا في غفلة ومنه الغان الذي في الحديث انه ليغان على قلبي فاستغفر
الله في اليوم سبعين مرة فلا يخلوا احد عن التوبة وسيد الاولين
والاخرين صلى الله عليه وسلم دارج فيها في كل يوم مع ساير المقامات
نسال الله الكريم الرحيم ان يمن علينا بتوبة صادقة ومغفرة عامة
شاملة امين يا رب العالمين وصلى الله على محمد النبي واله وصحبه وسلم
فهذا ندرج في الكلام جميع المقامات التوبة من اولها الى نهايتها

مختصر

مختصرا غير مرتب لاني لم اقصد به قصد الوعظ فيكون مرتبا كترتيب
التواليف مبوبا مزينا بالحكايات محشوا من الاخبار والاحاديث لانه
ما يعظ الا من اتعظ ولا يولف ويزين الا عالم متبحر وانا لست هنالك
وانما قصدت في جميع فصول هذا الكتاب تذكيرا وتنبيها الى غرض
علمي يذكر ولا يتامر وينبه ولا ينبه كي لا تخرج ان شا الله من اقل من غرض
الطلاب ولعل وعسى يحصل لنا وتسعفنا بركة العلم فان الرايع حول الحمى
يوشك ان يواقعه **واعلم** ان الذنوب تنقسم بوجه اخر على قسمين
قسم في حق الخالق وهو على قسمين اما ارتكاب نهي واما ترك امر فاما
الفرايض فلا بد من الاتيان بها مثل الصلوات والزكوات والصوم
وغير ذلك وفي الحديث ودين الله احق ان يقضى واما ارتكاب النهي فلا بد
منه الاقلاع وان لا يعود وقسم في حق المخلوق وهي المظالم فالتوبة
في هذا القسم اعسر منها في القسم الاخر ولا تبرا منها الا برد المظالم
على اربابها وهي اما مالية او عرضية او بدنية فاما المال فيرده اليه ان
كان حيا او الى ورثته ان كان ميتا وذلك مجزي عنه واما العرض
فيستحل منه وكذلك القتل وضرب البدن وقطع الاطراف وغير ذلك
يعطي القصاص من نفسه له او يستحل منه ان كان حيا وان لم يقدر
على شي من ذلك فليكثر من الدعا والاستغفار للمظلوم في اكثر الاحايين
فان ذلك ينجع ان شا الله فان التوبة مفتوح بابها وهي الستر الكثيف
بين العبد وبين العذاب وبين الخزي والفضيحة والذم وقدرها
في الاخرة اعظم مما يتوهمه المتوهمون والحمد لله

الشعبة الثانية والاربعون

الصبر اما كون الصبر من الايمان فبين واضح
لا يحتاج الى استشهاد وقد ورد في الخبر عن علي بن ابي طالب رضي الله
عنه ان الصبر راس الايمان وفي الخبر الايمان نصفان نصف صبر ونصف
شكر والشواهد عليه كثيرة الا انه من اعظم الشعب واكبر دعايم الايمان
واعلم ان الصبر داخل في جميع الاحوال الباطنة والاعمال الظاهرة
وله بداية في اسرار المقربين نهاية وهو مقام عظيم لا يثبت فيه
الا خاصة الله من عباده وما ابي الخلق ولا وقعوا فيما وقعوا فيه

من المخالفات والآفات الا من قلة الصبر فاماحة الصبر ومعناه فهو
البيان والوقوف في مواطن الاختبار والامتحان فبالصبر يظهر من
العبيد جيدهم وخلاصهم اما ان تحسن اخلاقهم بالصبر على المحن فيظهر
منهم الكتمان وترك الشكوى وتحسين الخلق والاستعانة بالله تعالى
وغير ذلك من اصول الصبر فيحسن الصبر ويصبرون صبرا جميلا واما ان
يظهر منهم الشكوى والضجر والتبرم والجزع والهلع فيتقبح حاله بعدم
الصبر وما يظهر عليهم حين الاختبار فان الصبر مثله كمثل التمحيص
والكير يظهر الطيب والخبيث **فصل** واعلم ان الانسان
في هذه الدار لا يخلو من حال نعمة ومن حال محنة يجب عليه قضا حقهما
ومن حالة امر ومن حالة نهي يلزمه الوفا بهما ولا تتم له حالة من هذه
الاحوال الا بالصبر فاما حال النعمة بان يكون الانسان معافا في بدنه
وغنيا بما في يده وسالما من المصائب في اهله واقاربه واقربائه
فيجب عليه عند ذلك الصبر على القيام بحقوق هذه النعم لانها ابتلا من
الله كما قال الله تعالى فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه
ونبلوكم بالخير والشر فسماه ابتلا واكثر الخلق يظن ان الصبر على القيام
بحقوق هذه الاشياء هين وليس الامر كما ظنوا بل الصبر على هذه الاشيا
اعظم منازل الصبر واكثر الخلق يصبرون على المحن ولا يصبرون على النعم
بل تخرجهم النعمة الى الطغيان والبطر والعصيان وذلك من قلة
الصبر على النعم ولا يصبر عليها الا الصديقون كما قال المشايخ لا يصبر
على حلاوة الشكر الا صديق وقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه
ابتلينا بالضرا فصبرنا وابتلينا بالسرا فلم نصبر فقد تجد الانسان
فقيرا ليس عنده الا قوت يوم او شهر او سنة او بيده قليل من المال ويكون
حاله مستقيما فلو اختبر وملك الف دينار مثلا انعكس حاله وذهبت
استقامته لقلة صبره على اخراجها عن يده وعن القيام بحقها وعن
الجري على الاستكثار منها حين ذاق حلاوتها فتخرجه الى امور تفسد
حاله وهو يشعر بذلك او لا يشعر وتجده ايضا ضعيف البدن ومريضا
فيصبر عن الطعام وقلته ثم يصير قوي البدن صحيحه ويجد لذة النعم

فلا يقدر على ترك شهوة ولا صوم يوم واحد من قلة الصبر على النعمة فاذا
كان الانسان في حال النعم وجب عليه الصبر على القيام بحقوقها فيتخلص
من غوائلها واما حال المحنة فان يكون الانسان فقيرا او مريضا او ممتحنا
فيحتاج ايضا الى صبر ليسلم من السخط والتشكي بغير حق واظهار امور
الجاهلية في الامراض والمصايب والالام ومن التذلل للعبيد في حال
الفقر والقلة والسؤال بغير حق فانه من الفواحش ومن الطمع المفسد
للدين وغير ذلك من الآفات المفسدة الداخلة على اهل المحنة يكثر
تعدادها فهاتان حالتان حالة النعمة وحالة المحنة لا تصلحان
الا بالصبر واما حالتا الامر والنهي فان العبد مخاطب بهما في جميع
احواله ولا يقدر العبد على القيام بهما الا بالصبر فان العبد يحتاج
الى الصبر على حفظ جوارحه وقلبه من جميع المنهيات ويحتاج الى صبر على مجاهدة
قلبه وجوارحه على القيام بالاوامر المفروضات والمندوبات وعن
هاتين الحالتين خاف جبريل عليه السلام على الخلق ان لا يثبتوا ويصبروا
فيهما في الحديث الذي رواه ابو هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لما خلق الله الجنة قال لجبريل عليه السلام اذهب فانظر
اليها فذهب وجاء ٢ فقال اي رب فنظر ثم جا فقال وعزتك لقد
خشيت ان لا يدخلها احد قال فلما خلق النار قال فاذهب فانظر
اليها فذهب وجاء فقال اي رب وعزتك لا يسمع بها احد فيدخلها
فحفها بالشهوات ثم قال اذهب فانظر اليها فذهب وجاءه فقال اي
رب وعزتك لقد خشيت الا يبقى احد الا دخلها **فالمكاره** التي حفت
بها الجنة هي المأمورات والمندوبات التي دعي العبد الى القيام بها
والقيام بها شاق على النفس ولا ينال شي منها الا بالصبر الكثير وكذلك
الشهوات التي حفت بها النار هي المنهيات التي زجر الخلق عن مواقعتها
ولا تنزع النفس عن المنهيات الا بالصبر الكثير وهي من هوى النفس وحبها
والصبر عن المنهيات اعظم من الصبر على الامر وما صار الصديقون صديقين
الا بالصبر عن المنهيات فقد تجد الانسان يكثر العبادة وتخف عليه ويجد
عزمه كله لا يقدر على غض بصره وكف لسانه او نحو قصة النبي الحنيف من

اي رب وعزتك لا يسمع بها احد الا دخلها ٢ ثم حفها بالمكاره ثم قال اذهب فانظر اليها فذهب فنظر ثم جا فقال صح

المنيات وذلك من اجل ان المهني عيش النفس وروحها فالانسان لا يخلو
عن حالة الصبر بوجه في جميع احواله فان الله عز وجل يقول لقد خلقنا الانسان
في كبد اي في مكابدة المحنة والمشقة من اول خروجه الى الدنيا في
مكابدة مشاق التربية الى حين التمييز فيحتمل مشقة التاديب والتعليم
الى حين التكليف فيلزمه مكابدة الاوامر والنواهي والشهوات ثم في
حال الكسب والعبادة يدخل في مكابدة الخلق واذايتهم حين مخالطتهم
او اعتزاله عنهم لانهم لا يتركونه مخالطتهم او اعتزالهم في دعوتهم الى الله
اذ كان ممن يدعو الخلق الى الله ويكابد نفسه وابليس وجنوده ومع ذلك
تتخلله المصائب والنوائب والمخاوف ويحتاج في ذلك كله الى الصبر الجميل
الى حين الموت ثم بعد ذلك تلقاه امور الآخرة فان كان التزم الصبر في
الدنيا كفاه الصبر جميع امور الآخرة واستراح والا ابتدا بالصبر من حين
الموت على مشاق الآخرة حتى يفرغ منها بدخول الجنة ان كان من اهلها
والا بقي في مشاق الصبر المؤبد ومكابدة النكال المخلد نسال الله العافية
بمنه وكرمه امين **فصل** اعلم رحمك الله ان الصبر على ثلاثة
اضرب على عدد مقامات الاسلام والايمان والاحسان وكذلك اختلفت
اسامي الصبر على ثلاثة اسماء اولها التصبر وهو تفعل اي تكسب وهو
المقام الظاهر وهو الذي يتفعل فيه الصبر على فعل الحسنات وترك
المخالفات والتثبت في المصائب والشدائد فان الجسد ضعيف لا يحتمل
الا كتساب للصبر والتفعل له في مواطنه والضرب الثاني في مقام
الايمان هو الصبر في مواطن مجاهدة النفس والعدو وخطرات الهوى
في الباطن وحملها على مخالفة قطاع طرق الله حتى يثبت قدم العبد
فيكون صابرا والصبر كما تقدم هو الوقوف والثبات لان التصبر فيه
بعض التزلزل والاضطراب والصبر ثبات ووقوف بلا تزلزل ولا
اضطراب وانما يستعين العبد على اكتساب هذا المقام بنظر الايمان
في الآخرة فيشاهد الموتات الغيبية من الموت فما بعده من المومنات
ويتذكر اهوال الآخرة وشدائدها وعظائمها وحسرات الفوت على
درجاتها فتنزجر النفس عن الهوى وتثبت في مواطن اللقا في الجهاد

الباطن **واما** الضرب الثالث في مقام الاحسان وعالم الروح والعقل
فهو الاصطبار في طلب العلم بالفكر الصافي العقلي والنظر وطلب القرب
منه وكما قيل ان العلم اذا اعطيته كلك اعطاك بعضه وقليل من الخلق
من يصبر على الفكر والسلوك في طريق الحق سبحانه ومعنى الاصطبار هو افتعال
الصبر وطلب الزيادة من ذلك المقام الذي هو فيه وهذا مقام الانبيا
والاكابر من الاوليا وفيه بعض جلادة خففت اثقاله واتيانا الشدائد
العظام في المقام الاول قال الله تعالى في المقام الاول ام حسبتم ان
تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم الباسا والضرا وزلز لوا
اذ شدد عليهم فتزلزلوا بتجرع المرارة حتى يقول الرسول والذين
امنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب **وقال** في المقام الاوسط
والصابرين في الباسا والضرا وحين الباس اي الواقفين الثابتين الذين
لا يزولون عند اللقا **وقال** في المقام الاعلى يا ايها الذين امنوا
اصبروا وصابروا ورابطوا على وزن فاعلوا اي افتعلوا الاصطبار
وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم رب السموات والارض وما بينهما فاعبده
واصطبر لعبادته انما افتعل الصبر وقال وامر اهلك بالصلاة واصطبر
عليها لا نسألك رزقا ومنه قوله ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور على
وزن فعال الاضافة الفعل الكثير اليه لانه يتفعله ويطلبه وفي هذا
المقام اسرار للعارفين والمقربين في اللقا الكريم لا يفهمها الا هم
ولا يترنم بها سواهم جعلنا الله واياكم منهم بمنه وكرمه قال النبي صلى الله
عليه وسلم في وصف داود عليه السلام كان يصوم يوما ويفطر يوما
ولا يفر اذا لاقى وقال تعالى في وصف المؤمنين الذين يظنون انهم
ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة هذا هو طلب الصبر
والزيادة منه لان اللقا فيه ضعف عليهم واعذبه حتى عذب عذابه
بمشاهدة الموقن به جل جلاله **واعلم** ان احوال الخلق في هذا المقام
اعني الاصطبار على ثلاثة اقسام القسم الاول ابنا الدنيا تشمروا
في طلبها بقطع الفيافي والقفار وخوض الجوابي وتشقيق الانهار
والجري في لج البحار وغير ذلك من الحرف والاشتغال في جميع الاقطار

مرارة الصبر فيما ينالهم من المشقات حين وجدوا لذة الذبح او رجوا الظفر
بها وحين ذاقوا لذة المنفعة بمطلوبهم منها فتراهم ينالون من المشقات
ما لا يوصف ومن التعب والحر والبرد والسهر وغير ذلك فوق الوصف
ولكن خفف ذلك واعذبه لهم استشعارا لمنفعة بنيل المطلوب وهذا
مقام لا ينكره احد لانه مشاهد والقسم الثاني من الخلق ابناء الاخرة
واهل العبادة تحملوا وظايف العبادات ومشاق المجاهدات في طريق الله
سبحانه حين ايقنوا انما بعد الموت وانه لا بد لهم منه ومن لقاء الله وربما
وجدوا لذة الاذكار وحلاوة الخدمة للسيد الجبار فسهل عليهم الامر
وفي هذا المقام جملة الصالحين والقسم الثالث هم اهل السير بالباطن
واهل السلوك بالقلوب والاسرار حتى وصلوا الى الحضرة العزيز
الجبار فكانوا احباءه واهل مناجاته ومعرفته فكان الملك كله بالاضافة
اليه في اعينهم كلا شيء فاثروه على كل شيء وتحملوا فيه اعظم البلايا بالفكر الصافي
والذكر المزيد فبالغناهم في سيرهم باضعاف ما تقربوا اليه كما ورد عنه
سبحانه من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا فقال بني ولم يقل من غيرهم
ومن تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا ومن اتاني يمشي اتيته هرولة وهذا
هو مجيئه سبحانه للخصوص واتيانه قبل يوم الحساب ما هو للناس غيب
هو لهم شهادة وهذا هو لقاؤه لهم ولقاؤهم له وهذا المجيء والاتيان
انما هو بمعنى التجلي والاستتار اذا كان العبد في ستر وحجاب فكشف
عنه ذلك الحجاب والستر تجلى له ما لم ير قبل ذلك فكان في حقه مجيئا
وكذلك مجيئه في الحشر ايضا الى الوقت الذي قدر لهم ان يزورهم
سبحانه فيه كشف عنهم الاستار فشاهدوا ما لم يروا قبل ذلك وكان
مجيئا بلا شك بمعنى التجلي لا بحركة ولا سكون وقد جر بطلق الكلام الى
غاية اخرى فلنرجع الى الصبر فاذا لقيتهم في مقام الصبر والسير والسلوك
بالبواطن ابصروا امرا عظيما وعاينوا شيئا كبيرا عزيزا فكادت اركانهم
تتهدم من ثقل ذلك المقام كيف والجبل صار دكا في نفس واحد والارض
والسما لا تحمل ذلك فكيف تحمله اسرارهم لم يسعني ارضي ولا سماي ووسعني
قلب عبدي المومن وفي هذا المقام من الاصطبار يسهل عليهم البلاء ٥

بجمال

بجمال المتجلي اعني الصبر فلا يزولون عنه ولا يذهبون كما صنع الجبل حتى
صار دكا وقد اوردت في هذا المكتوب قوله لم يسعني ارضي ولا سماي.
ووسعني قلب عبدي المومن وهو من المشكلات فرايت ان لا ابحثا وراه
حتى نبين معناه ان شا الله فمعناه لم يسعني ارضي ولا سماي اي لم يطقني
ولم تحملني من قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها اي طاقتها وما في وسعها
ان تحمل ووسعني قلب عبدي المومن اي طاقني وحملني حين تجليت لقلبه
بعظمتي وما انا عليه من كبريائي وانما حمله واطاقه بما اودعه من اسرار
الفهوم وقوة العلوم وصلابة اليقين وما اقل علم من ينكر على المحققين
من اهل طريق الله التمزق والبكا والقلق والانزعاج والموت وما ٠
ذلك الا لامر عظيم يصيب بواطنهم ولنا في الجبل اسوة وقد خر موسى
عليه السلام صعقا وقد صعق بالنبي صلى الله عليه وسلم وكان ابو بكر ٥
رضي الله عنه لا يسمع الناس من كثرة البكا هل اضعف صوته على قوته الا
لشيء عظيم وقد غشي على عمر بن الخطاب رضي الله عنه على قوته ومات غيره واقل
احوال الغافل اذا لم يكن يعلم فلا يعترض على اهل التحقيق وليسلم فان
صاحب هذا المقام ان لم يصحبه انس الجمال ونسيم روح الجلال اهلك
ومات وانتلف وكان صاحبه من اكبر الشهدا جعلنا الله واياكم من خاصته
برحمته امين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم **الشعبة
الثالثة والاربعون** الشكر اما كونه من شعب الايمان فبين ايضا
فان ضده الكفر قال الله تعالى ولئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم
ان عذابي لشديد فقرنه بضده وقال واشكروا لي ولا تكفرون وقال
تعالى الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا اي جعلوا مكان الشكر كفرا
فالشكر ايمان وضده يتبين به نقصان الايمان من المزيد وقال ابن
مسعود رضي الله عنه الشكر نصف الايمان وفي الخبر الايمان نصفان ٥
نصف صبر ونصف شكر والشواهد عليه تطول **واعلم** رحمك الله ان الشكر
باب التوحيد ولذلك عظم مقدار الشكر وذلك انك ان حددت الشكر
فقلت انه الثنا على المنعم والاقرار بالنعمة للمنعم بها او رؤية النعمة
من المنعم فقد اضفت الافعال اليه ولم تشرك معه فيها احدا وهذا هو



التوحيد بعينه فاما اذا حددناه بانه الثنا على المنعم بنعمه وأياديه فهو ما
ماخوذ من قولهم شكرناب البعير اذا ظهر ودابة شكور اذا اظهرت من السمن
فوق الحد لانه اذا كتم الذي اعطي النعمة فلم يظهرها بالثنا على معطيها
فقد غطى عليها واذا ذكر معطيها فقد اظهرها ومن هذا قول النبي صلى الله
عليه وسلم لم يشكر الله من لا يشكر الناس والتغطية في اللغة كفر ومنه
اعجب الكفار نباته اي الزراع الذين يغطون البذر عن الاعين والاظهار
شكر كما تقدم واذا حددناه ايضا بانه الاقرار بالنعمة لواهبها فهو من قولهم
اقر فلان بالحق اذا اعترف به لصاحبه وضده الجحود والكنود ذم الله تعالى
في كتابه من لم يشكر فقال تعالى يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها حين لم يعترفوا
لواهبها منه واذكروا نعمة الله تجد من تبيان الاعتراف بالنعمة وان ٥
حددناه ايضا بانه رؤية النعم من المنعم فانه ذلك من صفات القلب وهو
اجل الشكر وينتظم فيه حدود الشكر كلها لانه اضافة النعم الى واهبه
ومعطيه واذا اضافه اليه فقد اعترف له واثنى به عليه لانه جعله
فاعلا ومعطيا وكريما فهو ثنا واعتراف وان لم يذكر باللسان ومنه قول
النبي صلى الله عليه وسلم لبعض اصحابه حين ساله ما نتخذ من الاموال
ذخيرة فقال لتتخذ لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا فامره بان يكون قلبه
متبصرا لما صنع الله معه ومع جميع الخلق من الفضايل والايادي فيكثره
ذخيرة عنده ويستغني بكثرة ما اعطاه من النعم التي لا يحصيها احد من
العالمين وعند ذلك يكون غنيا وامره ان لا يعمي قلبه عن مواهب الله
وعطاياه فتقل عنده فيكون مفلسا حين لم يستغن بكثرة ما اعطي من النعم
والمواهب ومن هذا المعنى قوله لبعض انبيائه اذا عرفتنا ذلك مني
فقد شكرتني والمعرفة هي رؤية القلب ان النعم كلها من الرب سبحانه
فعلى هذا لا بد للشاكر من النظر في المخلوقات وادامة الفكرة فيها فانها كلها
نعم من الله على عباده وما تنتسم روايح الشكر من لم يخض بحار الفكر ولا وجد
لذة النعمة من لم يعرفها ويشكر عليها **فصل** اعلم ان
الشكر على ثلاثة اقسام كسائر المقامات قسم في مقام الاسلام وعالم
الشهادة والحس وقسم في مقام الايمان وعالم الغيب وقسم في مقام

الاحسان وعالم الروح فاما القسم الاول الظاهر فاول ما يجب علينا ان
نعرف معنى النعمة ما هو ثم نشكر عليها فيكون الشكر جزا لبعض حقها وان
كان في لفظ الجزا تجوز ما فانه بالحقيقة معنى الشكر نفسه ومنه شكر الله
تعالى لعباده فانه الشكور اي المجازي لهم على شكرهم بالمزيد وعلى عبادتهم
بالثواب ويثني عليهم بذلك ليس له معنى سوى ذلك وقد ورد في الحديث
ذلك انصافين قالت المهاجرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما راينا
مثل قوم نزلنا بين اظهرهم حين انزلونا في ديارهم وقاسمونا اموالهم
فقالوا خشينا ان يذهبوا باجورنا او كما قالوا يريدون الانصار فقال
صلى الله عليه وسلم لا اما اثنيتم وقلتم خيرا فاجزاء الثنا وقول الخير
على واهب النعمة مكافاة النعمة غير ان ذلك في حق العبد مع ربه
مجاز لان الكل منه فعلى هذا تكون عبادة الجسد شكرا لله وهو شكر
الجوارح ومنه قوله صلى الله عليه وسلم افلا اكون عبدا شكورا حين
كان اجتهاده في كثرة العبادة فيكون قيام القدمين في طاعة الله ٥
اظهارا منهما لنعم الله عليهما وبسط اليد وقبضه في الطاعة وذكر اللسان
واصغا السمع وتحرك البدن كله وسكونه في الطاعة اظهارا منهما
لنعم الله عليها وثنا بنعمته عليه لسان حاله ومقاله ويعدد العقل النعم
ويغرق في بحر لا احصا فتعجز الجوارح والقلب عن القيام ببعض واجب
حق الله فيكون في عجزها ذلك شكرا له حين عجز عن الاحصا الى
المحصي الحسيب ورأى ذلك كله منه واليه مجملا وتفصيلا والى العجز
والحيرة في كثرة تعداد النعم تنتهي عقول العقلاء في مقام الشكر
وقد قال المصطفى صلى الله عليه وسلم لا احصي ثنا عليك انت كما
اثنيت على نفسك فاما معنى النعمة فانها ماخوذة من النعيم والنعيم
هو اللذة والموافقة والملايمة للطبع والانتفاع وضده المكروه
والضار والمولم للطبع فكلما تنعم العبد به او التذ واستراح وكفي
مؤنة التعب وانتفع به عاجلا واجلا فهو نعمة فتنقسم الاشيا
كلها الى قسمين نافع وضار ومتلذذ ومكروه ومنعم ومعذب فكلما
وافقه من الضدين فهو عليه نعمة سابغة وكلما لم يوافقه من ٥

الصدين ودفع عنه ولم ينزل به نهو عليه ايضا نعمة سابغة من حيث دفع عنه
ما يولمه ويضره ويجب عليه الشكر على النعمتين نعمة النفع والدفع وكذلك
ما لم ينزل به مما يوافقه ويلتذ به فصرفه عنه نعمة سابغة عليه من
حيث كفى مونة القيام بشكره وحقه وكذلك ايضا ما نزل به من مولم وضار
له فيه نعمة سابغة عليه من حيث انه كفارة له ومن حيث انه لم يكن ذلك البلا
والمولم اكبر مما هو هذا اما لم يكن النافع والموافق والضار والمولم عصيانا
فاذا كان عصيانا وجبت التوبة منه ولم يجب عليه الشكر فان الشكر في موضع
الاستغفار ذنب الا ان ينظر العبد فيما صرف عنه من الكفر والعصيان
فيكون ذلك نعمة يشكر الله على ما صرف عنه من ذلك وكذلك ينظر في جميع
الاضداد فيشكر الله على كل حسن وموافق نزل به ويحمده ويشكر على ما
صرف عنه من ضده ذلك ثم بعد ذلك ينظر في العالم الاكبر الكلي بعد نظره
في الجزئي فيرى الانفعال كلها نعما سابغة عمت الخلايق ولكن اكثرهم لا
يشكرون فاول ما ينظر الانسان في اقرب الاشيا اليه وهو نفسه كيف
صور من نطفة في احسن تقويم فسوى خلقته وركب اعضاه في اجمل
تركيب واحسن صورة فيشكر الله اذ حسن صورته وركبه سالم الاعضا ولم
يجعله على خلاف ذلك فان الانسان من قرنه الى قدمه لله عليه في كل
عضو وعرق وشعر وبشر نعم لا تحصى مما جعل فيه او دفع عنه فلينظر الانسان
الى حلية راسه كيف جعل على دماغه وياقوخه وقاية لدماغه ورآه
وجعل عليها الشعر في احسن الصور وقاية على وقاية وجمالا على جمال
وينظر ما صرف عنها من الافات المولمة والامراض المشعثة له كالجرب والقزع
وكثرة القمل والثعلب وتكسر الشعر وغير ذلك من البلايا النازلة
بحلية الراس كيف دفعت عنه والقى مكانها ضدها من الحسن الجميل
والموافق النافع وهو لا يشعر بذلك ثم انظر الى الدماغ كيف ركب في
اليافوخ سالما من الافات وجعل لك فيه الحس والتمييز والحفظ والانسانية
والتخييل والفكر وغير ذلك من المنافع الملذة والموافقة وانظر
الى ما صرف عنه من البلايا كالورم والصداع والزكام وفساد الذهن
والخيال والحفظ وغير ذلك مما يطول تعداده ثم اهبط ناظرا في نعم



مطلب في نعم اعضا الانسان

الله عليك في العينين وجمال صورتهما في كهفيهما المكتنفين لهما من الافات
والاعراض والى غشاوتيهما التي هي الحلقة والاشفار الساترة لهما عن
الابصار والدافعة عنها الافات ثم اعتبار ثم الى ما جعل فيهما من الحس
والابصار فيما قرب او بعد من الاقطار ثم الى ما صرف عنهما من العمى والعور
والحول والغشى والرمد والكمه والجرب والبياض والظفرة ونبات الشعر
والغدة والشترة الجحوظ والعشا والسبل والدمع والثقل والحمرة
والشعيرة والشعر الزايد والصدع وغير ذلك مما يكثر سوقه لله تعالى
عليك في جميع ذلك نعم سابغة لا تشعر بها ثم اهبط ناظرا الى الاذنين وحسن
تركيبهما في اعوجاج صماخيهما ليدور الصوت فيهما فيدرك العبد المسموعات
التي تنال بها منافعه وانظر كيف خلقتا لك سالمتين وركب فيهما
السمع ودفع عنهما الصمم وجعلتا صامتتين ودفع عنهما الدوي وجعلتا
نافذتين مفتوحتين ودفع عنهما السدد وهو من اكبر البلايا وصحيحتين
ودفع عنهما الورم وسيلان الدم والقيح وجعلتا خاويتين لم تعمرهما
الدود وساكنتين لم يحللهما الوجع والصداع وهكذا جعلت نعمه ودفعت
نقمه ثم اهبط الى الفم واللسان وما جعل الله فيهما من النعم الحسان مثل
النطق والصمت والذوق وجمال الصورة والماء الحلو العذب والعض
بالاسنان والمضغ والطحن بالطواحن ثم سلامتهما من البكم والنقصان
الكلام والخرق والاكلة وورم اللسان ووجع الاسنان وتحركهما وسقوطهما
والحروشة والنتن والبخر وغير ذلك من الحرارة وسيلان الدم وما يكثر
تعداده من نعم النفع والدفع ثم انظر فوق الى انفك ومنخريك وجمال
وجهك بهما كيف كانت صورتك تنظر لو عدمتهما وكيف جعلتا نافذتين
لجري الانفاس فيهما التي بها حياتك وقناتين للفضلات تسيل من
الدماغ الضارة بك لو لم تسل عليهما فترمى تلك الفضلات على تلك
القنوات ثم جعل فيهما من حاسة الشم المدركة للروايح النافعة والضارة
فتستجلب ما ينفعك وتندفع ما يضرك ثم انظر الى صحتهما وسلامتهما من
الجذع وعدم الشم وسيلان الانف والورم والقروح والنتن والنوا
والهلاك وكثرة الرعاف وغير ذلك من النعم السابغة ثم انظر الى وجهك

وحسن تركيبه وجمال صورته كيف جعلت فيه جملة الحواس الباصرة
والسامعة والناطقة والذائقة والشامة وانظر كيف خلق سويا
مستويا وترقيق البشرة فيه جمال البياض والحمرة والرونق الحسن
التام وكيف دفع عنه الاوجاع والنفخ والحشونة والبرش والكلف
والقروح والقوة وانتشار الشعر الحاجبين واللحية وداء
الثعلب وغير ذلك ثم انظر الى الحلق كيف جعله الله نافذا الى
الداخل والخارج وما جعل فيه من منافع ادخال النفس لتبريد حرارة
الجوف فيدخله باردا ويخرجه حارا ومنافع ادخاله واخراجه التي
لو منعت ادخاله واخراجه لطرفة عين حبسا عنك تدخله بغير تعب وتخرجه
كذلك بغير تعب الا فاز الانفاس في يومك وليلتك ومن منافع ادخال
الطعام والشراب عليه الغايتين بنيتك وانظر الى سعته ونعمة
الله عليك بذلك اذ لو كان ضيقا لم يمر عليه الطعام والشراب والله تعالى
ثم انظر الى ما رفع عنه من ضيق النفس والذبحة والبحة والخشنة
والخشونة والخنازير والورم وغير ذلك من افات الحلق وكيف يكون
حالك لو ابتليت بها فاعدد نعم الله عليك فيما نفع ودفع ثم اهبط
ناظرا الى الصدر فانظر حسن خلقته وما خلق له الصدر فانه تنور
البدن وكير البدن وفيه مسكن الانفاس لمبردة للحرارة الموقدة
لنارا لتنور والصدر ايضا حجاب على القلب والرئة والاعضاء الرئيسة
فهو عليها ستر وكير من الافات الحارة وانظر الى حسن تركيبه وجمال سعته
وما رفع عنه من امراضها الاوجاع وذات الجنب والسعال وضيق النفس
والنبش الكائن من الدم ونفث الدم وغير ذلك من افاته المهلكة
المؤلمة ثم انظر الى البطن وما حوى وما اسكن فيه من الاعضاء
الرئيسة المدبرة لصلاح البدن لان بالاعضاء الرئيسة قوام الابدان
ومنها تدبيرا لبنيته بادخال الغذا وامساكه وطبخه ونضجه وتصفيته
وتفريقه في العروق كلها ليأخذ كل عضو قوامه وكل شعرة في البدن
غذاها واخراج الثفل والبول وفضلات البدن فجعلت المعدة
لعمل مخصوص والرئة لشيء اخر والقلب لشيء اخر والكبد لشيء اخر والمراد

لشيء

لشيء اخر والطحال لشيء اخر والكليتان لشيء اخر فالرئة مثلا جعلت للقوة
الجاذبة للاثار وادخال الانفاس مع كل طرفة ثم القوة الدافعة
لاخراجه للاصوات التي يكون عنهما الكلام ولولاهما تان القوتان
لهلكت بترك النفس واخراجه وخرست عن الكلام وانظر الى من ابتلى
الله رئته بافات السل والقروح والزكام او السعلة او البثرا و
نفث الدم من قروح الرئة كيف تكون حالة وكلامه وانفاسه فكيف
لو ذهبت هاتان القوتان او احداهما بالكلية لهلكت وكذلك
انظر الى القلب فانه رئيس عظيم جعل الله تعالى فيه قوة نفض العروق
ح البدنية كلها فمنه قوى نبضها ومنه تاخذها وجعل منه انبساط روح
الحياة في البدن وانتشار الحرارة في كل طرفة ونفس وانعام تشعر
بالله سبحانه عليك في تلك القوى مع كل طرفة ونفس حتى لو اختلفت
تلك القوة هلكت ثم ان الله سبحانه سكنه وعافاه من الخفقان
ع وامنه من الصرع والفزع ونبهه من الغشي وسلمه من الورم والانقطاع
وغير ذلك من امراضه المؤلمة المهلكة وانظر كيف حال من ابتلي في قلبه
بالفزع والصرع او الخفقان او الورم والانقطاع والغشي وانتبه
غفلة مما تخللك من النعم الباطنة ثم انظر ايضا الى الكبد
ورياسته كيف جعل الله فيه القوة المعدلة والقوة المنضجة للغذا
والمغذية للبدن فهو ينضج الدم ويعد له ويحسنه ويصفيه ويغذى
به البدن باذن الله تعالى وما جعل فيه من تدبير القوى فلو اختل
شيء من ذلك عليك لهلكت ثم انعم عليك الله تعالى وما جعل فيه من
تدبير القوى فلو اختل شيء من ذلك عليك بمشيئته وعافاك من اصعاف
ومن الاورام والقروح والاوجاع وغير ذلك من امراضه وافاته التي
يطول الكلام بذكرها كل ذلك نعمة سابغة لا يقدر قدرها والحمد
لله رب العالمين وانظر ايضا الى المرارة فانه ايضا رئيس عظيم وفيه
من النعم والمنافع ما لا يحصى ففيه قوة تحسن المعدة وقوة تصفي دم
الكبد من الكيموس وتلطف العروق وفيه قوة تحريك الخلا والبول
وهذه نعم جسام من عند ذي الجلال والاكرام وانظر الى ما دفع عنها من

المضار الحاصلة والآفات فإن آفاتها الصفراء والسوداء واليرقان
وغير ذلك ثم انظر أيضا إلى الطحال فإن فيه قوة تبرد القلب
كي لا تفسد المعدة الطعام بقوة الحرارة ومنه وفيه من قوة المعدة
الماسكة التي لولاها لهلك الإنسان وفيه قوة تجذب دردي الدم
من الكبد إلى نفسه فتصير مرة سوداء بها قوام البنية وإصلاح
الجثة وله علل كثيرة دفعها الله عنا وعنك مثل انتفاخ الطحال ودبوله
وصلابته وأوجاعه وغير ذلك مما سلمنا الله وإياك منها وأنت لا
تشعر ثم انظر أيضا إلى المعدة فإنها مسكن للطعام وفيها مسكن
الشهوة التي بها نأخذ الطعام والشراب ولو عدمتها لهلكت وفيها
قوة تنضج الطعام وقوة تزلقه ونعم لا تحصيها وانظر سلامتها من آفات
المعدة كفسادها بالتي لو دام عليك لهلكت وكثيف الدم وداء
العطش الكبير وعدم العطش المعتدل أو الشهوة الكلبية التي
لا يشبع صاحبها شيء أو انقطاعها بالكلية أو داء القواق والجشاء
والتخم أو سوء الهضم وعلة القيء ونفث الدم وغير ذلك من العلل التي
لو ابتليت بها أو لازمتها هلكت فالحمد لله المنعم بالعافية وكذلك
انظر إلى الأمعاء فإنها جعلت مسلكا للغذاء والرياح وكيف عافاك منها
من السحج والقولنج والرياح وتوأم الديدان وحبس الثقل عن
إخراجه وغير ذلك ثم انظر إلى الكليتين والمثانة وما فيهما
من المنافع فإن فيهما قوة تجذب فضلة الدم من الكبد وتغسله وقوة
تصيره بولا وتخرجه من المثانة وقوة تدفع المني وتسوقه إلى الأنثيين
والذكر وانظر إلى ما دفع عنهما من المضار العظيمة مثل الحصى والسحج
والقروح وبول الدم والأوجاع وحرقة البول وسلس البول وتقطيره
ووجع الظهر أو حبس البول لما لو ابتليت بواحدة منها لعطبت وذهبت
فقل الحمد لله ثم انظر إلى الذكر والأنثيين فإنهما مخرجان للبول
والمني وبهما صلاح البنية وإقامة النسل الذي هو حياة الإنسان
بعد موته وانظر كيف اجتمعت فيه الظروف وما في ذلك من الحكمة
والنعمة وانظر إلى آفاته وما دفع عنك منها مثل الأدرة والفتق

والورم وداء الاسترخاء وضعف الشهوة أو انقطاعها بالكلية ومرض
العنة أو كثرة الشهوة الخارجة عن الحد والوجع والقروح والحكة
والجرب والعصيب والإنعاظ وكثرة الاحتلام والعقد ثم انظر
إلى المخرج وما فيه من منفعة إخراج الثقل الذي لولا خروجه لهلكت
وما عافاك الله منه من دفع المضار عنك مثل الوجع والثآليل والبواسير
وإخراج الناصور وأعظم من ذلك كله الداء الخفي فإنه ابتلاء من الله عز وجل
ثم انظر إلى الوركين فإنهما فيهما ملتقى عظما الظهر والفخذين
اللذين بهما يتمكن الإنسان من القيام والقعود اللذين لو حرمتهما كنت
كالجرد الخشب وانظر عوافي الله سبحانه فيهما من آفات عرق النسا وزوال
عظم الورك عن موضعه والأوجاع وغير ذلك مما صرف الله عنك من بلائها
ثم انظر أيضا إلى الفخذين والساقين والرجلين فإنها دعائم
البدن وعليها قوامه وبها المشي والحركة اللذان بهما القعود والسكون
اللذان لولاهما لهلكت وما تستجلب بهما من المنافع إلى نفسك وأهلك
وانظر عوافي الله فيهما من الكسر والفك والرياح المؤلمة والفالج
والخدر والنقارس وغير ذلك من البلايا التي صرف الله عنهما فالحمد
لله وكذلك انظر إلى يديك اللتين جعلهما الله سبحانه للإنسان لخدمة
الجسد لا قوام له إلا بهما فيهما تحك الجسد وتغسله وتكسوه وتجرده
وتطعمه وترجله وتكحله وهما المتصرفتان في خدمة البدن في النوم
واليقظة وبهما تكسب المعاش من خياطة وكتابة ورمي أو أي صناعة كانت
أو اعتداد عطاء كل ذلك منافع لا تحصى وتعود راحتها ومنفعتها على جسدك
كله ثم انظر عوافي الله فيهما أيضا فيما صرف عنهما من القطع والشلل
واليبس والفك والكسر والأوجاع وغير ذلك ثم انظر كل عظم في
جسدك وكيف ارتبط كل عضو بصاحبه واستعان كل واحد مع صاحبه
على قوام بنيتك وكذلك رباطات العظام بالعضلات فبها تنبسط
العظام وتنقبض وانظر عوافي الله تعالى في كل عظم منها وعضل من الكسر
والأوجاع والفك وغير ذلك فالحمد لله ثم انظر إلى اللحم في الجلد
كالشيء الواقي المحفوظ وكيف جعل الله في ذلك الجمال والحسن واللين

والرطوبة وغير ذلك من المنافع الكثيرة وكيف عوفيت من السل والذبول
والحبوب الكريهة من الدماميل والحكاك والجرب الغبيج والخزاز
والغوبا والكلف والخروشة والبرص والبرهن والجدري والحصبة
والبهق الاسود والابيض والجذام والمسامير والثواليل والبواسير
وانواع الحميات المهزلة وغير ذلك من البلايا التي لو طرت عليك وعمت
الجسد كرهت نفسك وقذرك غيرك وتالمت على قدر ما يكون البلا فان
اسلاك الله ببعض هذه البلايا في جسدك فلا تنس ما صرفه الله عنك
من جملتها فقد صرف عنك انواعا في جميع جسدك لو سجدت له على الجمر
عمرك ما اديت شكره على ذلك فلله الحمد **فصل** فاما
المقام الثاني من الشكر في عالم الغيب ومقام الايمان فاول ما سطرها
العبد في خلقته ذاتك الباطنة التي بها حياتك وانتظام جميع
حواسك واعضائك ولولا نفخة الروح فيك لكانت بنيتك الظاهرة
ترابا وجواهر منتثرة كما كنت قبل نفخة الحياة فيه وكما تكون اذا
قبضت عنك بالوفاة فمنفعتها اربت على كل منفعة وهي اصل المنافع
كلها ومنها تصدر وانظر الى ما جعل الله عز وجل فيها من المنافع وصرف
عنها من المضار مثل الصفات المحمودة والمذمومة التي بها سعادة
الدنيا والاخرة فاول ذلك غريزة العقل الذي لولاه لكنت بمنزلة
الحجر او الانعام السائبة التي تحمل وتساق وتركب وتمتهن وتحكم فيها
فشرفك الله بالعقل المميز فشرفت به على غيرك من المخلوقات وحكمتها
به وفضلك به تفضيلا به تدبر وتفكر وتستجلب كل منفعة وتدفع
كل مضرة فلو تفرغت تشكر انت وغيرك يشكر معك عنك ابد الابدين
ما اديت شكر ذلك ابدا واشكر على ما صرف الله عنك من ضده الذي
هو الحمق وكيف كان يكون حالك وتالم ظاهرك وباطنك وضحك الخلق
منك وتوزعك وافكارك وتصرفك في كلامك ونومك ويقظتك وغير
ذلك مما عوفي منه باطنك فالحمد لله **ثم** انظر الى ما تكسب به من المنافع
الاخراوية وتدفع به من المضار الاخراوية التي امرك الله بكسبها واعانك
بتوفيقه عليها وعلى التداوي من عللها فبه تكسب الايمان وتدفع

مطلب نعمة العقل

الشرك والكفران وبه تكسب العلم واليقين وتدفع الجهل والشك
والريب وبه تكسب التواضع والحلم وتدفع الكبر والغضب وغير ذلك
من الصفات المحمودة والمذمومة التي قد مليت منها البواطن وهي
جارية على الخلق مع الاتفاس وهذه النعم والمضار الباطنة في باطن
العبد لو تتبعتها لطال بها الكلام ولخرج الكلام بها الى ان يكبر حجم
الكتاب جدا وغرضنا الاختصار وسيره منها في باب حسن الاخلاق
كثيرا ان شا الله تعالى وانما الغرض من هذا الباب ان تتفطن لما عوفي
منه باطنك من امراض الشك والريب وتنعم به من السكون والطمانينة
وما عوفي به من رعب الكفر ونعم به من امن الايمان ونعم به من جمال العقل
وانتشاره وبهجته وعوفي من اهوال الحمق والخرافة وتهوره وما انعم
عليه من سلامة الصدر للصحابة رضي الله عنهم والكبرا والفضلا
والاوليا والسادة من الاصفيا والمسلمين والمسلمات وما عوفي به
من الغل لهم والحسد والوقيعة فيهم وانظر الى عظيم استراحة
ل باطنك من فتنة الاضلال وتنعم به من روح التوفيق فان بواطن الضلال
والكافرين المارقين في هول عظيم من وحشة الجحد ورعب الكفر والجهل
وعمى القلب وهذه كلها نعم باطنة يكثر تعدادها وفي مقابلتها نقم
صرفها الله بكرمه عنا وعنك لو شكرته على نعمة واحدة منها ابد الابدين
ما قمت بشكره فكيف بسايرها لكن اذا رايت ذلك كله منه وشغلت نفسك
بالثنا عليه وعرفت قدر نعمه عليك كتبك شاكرا واذا غفلت ولم تدر
قدر ما انعم معك شانك حالك وكما الله عليك في ظاهرك نعم وعوافي جميع
اعضائك من قرنك الى قدمك وصرف بلايا كثيرة لا تحصى كذلك في
باطنك نعم كثيرة سابغة منعمة لباطنك وصرف عنك في مقابلة كل
واحدة منها نقمة لا تحصى فاعددها واشكر ~~وان ابتليت~~
~~ببلاء ظاهر فاصبر وعالجه ان شئت~~ واشكر على ما صرف عنك من غيره وان
ابتليت بمرض باطن فانظر في علاجه واشكر على ما صرف عنك من غيره من
البلايا وان ابتليت ببلاء ظاهر فاصبر وعالجه ان شئت واشكر على ما
صرف عنك من غيره فسترى ان النعم قد عمرتك وانت لا تشعر ولا تحس بها

فصل وَاعلم ان المحنة ايضا ظاهرة وَباطنة فاما الظاهر
فقد تقدمت انواعها وَالباطنة محنة النفس بمنعها هواها وَسوقها
مكرهة الى الطاعة وَتالم القلب بجوالهم العدو وَصرفها وَهموم القلب
وَاحزانه على ما ابتلي به من التكليفات وَمقاساة انكاد الشيطان وَالهوى
وَصبره على اذاية الخلق وَانقطاعه حسرات على الفائتات كل ذلك
الالم باطنة له فيها اجر المجاهد الجهاد الاكبر كاله في تالمه على الامراض
وَالالام الظاهرة اجر المجاهد الجهاد الاصغر او اكثر فهذه الالام الكا
وَما باطنة اذا انظرت الى ما يؤول الحال فيها من الثواب عادت نعما
فن قولي فيه هذا النظر صار البلاء عنده نعمة وَشكر الله سبحانه عليها
وَسمي شكورا على المبالغة لشكره على السراء وَالضراء ضما كلها في باطن
العبد وَظاهره نعما جسا ما الاشيا ان وهو العصيان الظاهر وَالباطن
فانه لا يحل الصبر عليه وَلا الشكر وَلا علاج له الا التوبة وَالاستغفار
فصل وَاما المقام الثالث من الشكر في مقام الاحسان فهو
شكر المنعم سبحانه وَهو على قسمين القسم الاول ما يدرك بنوع كل نفس
من نعم صفاته الفعلية وَالقسم الثاني شكر على النعمة به سبحانه وَما هو
عليه من صفاته وَنعوت جلاله وَكماله **فاما** القسم الاول من الصفات
الفعلية فانه يمدك مع اللحظات وَالانفاس وَالخطرات بضروب انواع
من النعم على عدد المخلوقات اجمعها لانه القيوم بما مع كل نفس وَاذا
نظرت النعم عليك في هذا المقام فحينئذ ينقلب اليك البصر خاسئا
وَهو حسير فان هذه النعم المتصلة بذاتك انما تاتيك من خارجك وَليست
منك وَلا حالة بك فتدعيها بل يمدك العوالم كلها بالنعم ظاهرا وَباطنا
وَليس علمك منها من ذاتك قطميرا وَلا فتيلا بل تاتيك من العالم الاكبر
اتيان الاعراض في الانفاس وَالساعات وَالايام وَالجمعات وَالشهور
وَالسنين فقد جبر الله الوجود كله وَقهره حتى وصل اليك كل ما في العالم
الاكبر من اشخاص العالم وَاعضائه بما امر ان يوصله من منفعته اليك وَنحن
نكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه فاول ما تنظر في افعاله
الظاهرة في الارض كيف خلقت لك وسطحت يابسة غير سيالة فصارت

مطلب خلقة الارض

بذلك

بذلك قرارا يستقر عليها الخلق وَبساطا كفاهم مؤنة الوعر وَلولا ه
يبسها لخسف بكل ما على ظهرها فيبسها نعمة لازمة نافعة لك مع كل
طرفة وبسطها نعمة متصلة ايضا في كل نفس يستجلب لك من اجل ذلك
المنافع على ظهرها وَتتصرف انت بنفسك ايضا فيما ينفعك وَساكنة
هامدة لولا سكونها بالجبال الراسيات مع كل نفس لتزلزلت بك وَاضطربت
وَلو كانت متحركة يوما وَاحدا لاهلكت ما على ظهرها فسكونها لك فيه
نعمة نافعة منعمة لك دائمة بدوام سكونها وَبدوام يبسها وَبدوام
بسطها ومتخلخلة للحرث وَالحفر وَالغراسة وَلو كانت كالحجر هلك كل ما
على ظهرها **ثم** انظر الى ما يخرج من بركاتها الى فعته المنعمة وَمما
ينعقد في جوفها وَعلى ظهرها من الحجارة وَما يصنع منها من القراميد وَالطو ب
وَالاجر المهيات للبنيان المكن من الحر وَالبرد وَالساترة من الاعين الحا فظة
من السرق وَالسور الحاجبة للاعدا وَالقناطر وَالمساجد وَغير ذلك
من منافعها وَالى ما يخرج من معادنها كالحديد ذي المنافع وَالباس الشديد
وما يصنع منه من الات الصنائع كلها وَالحرف كالسكك للحرث وَالفئوس
وَالمساحي للحفر وَالفرش وَكالابرة وَالحلقة وَالجلمين للخياطة وَالمشط
وَالرادوج لصنعة الكتابة وكالسكاكين وَالمسامير وَالسيوف وَالرماح
وَالسهام وَالات السلطان الذي به صلاح هذا العالم بما فيه من الباس
الشديد وَالحديد يدخل في جميع الاشيا بل ما يوجد ادوات لا نوع يستغنى
عنه وَكذلك الصوف لو لم يكن فيه الا منفعته المغزل المتخذ للغزل
المصنوع للباس وَسترا للعورة فكيف بما يتصرف فيه من المنافع وَكذلك
جميع المعادن وما يخرج منها كالشب وَالملح وَالزرنيخ وَالروق وَربما
وَصلت عدتها اعني المعادن الى الالف وَالكل نعمة وَفيه منفعة ٥
كالذهب وَالفضة القاضيان على جميع الاشيا وَغير ذلك من انواع
المعادن الداخلة في الادوية وَالمتخذة للخواص فيخرج وَذكر خواصها
يطول وَانظر الى ما يخرج الارض ببركتها من النبات وَما جعل الله
فيه من المتاع لنا وَلانعامنا وَهو على ثلاثة انواع نوع يغرس غراسة
فينبت من عيدان وَنوع يزرع زراعة وَبذرا فينبت من حبوبه وَنوع

ونوع يخلق من غير بذر ولا غرس وهو العشب والمرعى وجميع اشجار الجبال
والارض مما لا يزرع ولا يغرس فاذا نظرت الى البري الذي ينبت
في الجبال وغيرها وجدته تتخذ منه الات الحرث والبنيان والابواب
والاغلاق للخزائن والرماح وخشب الانشاء والارحا والعصي للرماح
والنبل والقسي والسروج ومما لا يحصى من الالات النافعة لجميع الخلق
ومالم يصل الحدثان يتخذ منه الفحم للحرق للاتون والدور ومنه
الفحم لنضج للطعام والمذيب للحديد عند اهل الصناعات واما ما
ينبت بنفسه للمرعى فانه عيش للحيوان وبه يكون صلاحها وتسمينها
وقوتها وكل ذلك نعم لابن ادم لا تحصى ومنه ما يكون للادوية النافعة
للعلل والامراض وهي انواع لا تحصى يعرفها اهل صناعة الطب ومعرفة
العشب فاما ما يوكل مما يبذر بذرا فهو انواع كثيرة كالقمح والشعير
والسلت والذرة والفول والعدس وانواع المأكولات المنعم بها على بني
ادم واما ما تغرس فالزيتون المبارك والتين والاعناب والجوز واللوز
والرمان والنخل وغير ذلك مما لا يحصى منفعته ومنافع النبات ونعمه
اكثر من ان تحصى وانظر الى الحيوان المسخر كالابل والبقر والانعام
والمعز والوحش وما يبدي لك من نعم اللحوم والالبان والاسمان والاجبان
والاصواف والجلود والاشعار والريش التي لا يستغني احد عنها
في كل مكان ثم انظر الى منافعها في الحرث والحصاد والدواليب وحمل الاثقال
على الابل وانظر الى الخيل والبغال والحمير وما فيها من الزينة والمنافع
للحمل والركوب والجهاد والحرث والدرس والسواني ولولا ذلك لهلك
بنو ادم وانقطعت معايشهم لو تكلفوا جلب السلع والاثقال من بلد
الى بلد او يحرثون بانفسهم ويدرسون بها وما فروا بانفسهما في الفيافي
سلط عليه بنو ادم بالصيد والعقر فينتفع بلحومها وجلودها ثم
انظر الى بني ادم كيف سخر الله جل جلاله بعضهم لبعض فسخر لك الآباء
صغيرا يربونك باحسن اللطف حتى تكبر فتخالط الناس فتجدهم قد
سخروا فيما حبب لهم من الصناعات والحرف فتجد نجارين وخياطين
وصيادين وخرازين وفرانين ونجادين وفلاحين وغير ذلك مما يكثر تعداده

والكل نافع لك كاف مؤنة ذلك الشغل الذي لو كلفته بنفسك لم
تقدر عليه وهلكت ثم انظر الى ما نظم في المدن والقرى ورحمة
الله بذلك ولولا لالتقى بينهم الفتنة والعداوة والبغضاء كان الهلاك
بالفتنة وضرب بعضهم لبعض ولذلك جعل الله السلطان من اجل الرعية
وجعل السجون لاهل الفساد ليأمن الخلق وتصلح احوالهم فالامن
من اكبر نعم الله على عباده ثم انظر الى البحار وسعتها وجريها على
وجه الارض من اجل بعد المسافات كي تجري فيها الفلك بنعمة الله فتوصل
المنافع الى الاقطار البعيدة فان الحيوان لا يقدر على توصيل ذلك
فتكون جالسا في موضعك وياتيك منافع الهند والسند وغير ذلك
من الاقطار ثم انظر الى ما يخرج منه من الغذاء من انواع الحوت الطري
ومن الجواهر والاصداف وانظر الى ملوحته النافعة لاهوية
العالم فانه للهوى كالملح للطعام يقطع عفونته ويدفع مضرتها
في كل نفس والهوى يجار عليه واخذ تلك الملوحة النافعة له وانظر
الى العذب وحلاوته للشرب وانتفاع الخلق به وتنعمهم بذلك في
شربهم وطبخهم طعامهم وغسل ارجاسهم وطهورهم وازالة اوساخهم
في الحمامات وغيرها وغسل ثيابهم وجري الانهار والعيون لسقي ثمارهم
وزروعهم وطحن طعامهم في الارحية وغير ذلك من نزول الامطار
في مواضع الحاجة اليها فينبت به جميع انواع النبات المتقدم ذكرها
وتنعقد به المعادن ايضا ولولا الما لذهب هذا العالم فانه حياته
ثم انظر الى النار ومنافع الخلق بها في الطبخ للغذاء في الدور
والافران والاسواق وفي غير الغذاء في الحدادة والصياغة وغير ذلك
من الاستصباح في البيوت والمساجد والطرق والاسواق والليل
وحاجة الخلق اليها كحاجتهم الى الما وقد عدد الله النعمة بها كما عدد
بالما وقرنها بالما في سورة الواقعة ثم انظر الى اعجب من
ذلك كله وهو هذا الهوا الذي جميع الخليقة فيه كالحوت في الما لا
يستغني عنه طرفة عين فهو حياة الحيوان فلو خرجوا عنه طرفة
عين لهلكوا كما يهلك الحوت في الما اذا عدم الهواء ولولا عدم الهوا

ما عللنا وانظر الى رطوبته وحسن طعمه كيف يشرب ويستنشقه الحيوان
بلا مشقة ولا صعوبة ولو لا رقته لا هلك اذا امتلا الجوف كما يهلك
الما والتراب اذا امتلا به الجوف ولا تجد الهوا مثلكا فيه ولذلك ٠
تجد الهوا اذا اكتنف في قيعان الابار بكثرة مكثه فيها وسكونه عن
الحركة لضيق افواهها يقتل بنتا فته فنتنه خصلة واحدة من خصاله
ونعمة من نعمه ومن نعم رقته ولطافته تصرف الخلق فيه في جميع الجهات
والاسفار ولو كان كالما والتراب متى كانوا يخوضونه وكيف كان تنفذ
ابصارهم فيه لروية المبصرات وفي سكونه ايضا وحركاته نعم جمة بتحريكه
تجري السفن وبها تصفية الحبوب واذهاب الحر واصلاح الهوي وبالجملة
فالهوا والما والنار والارض لها نعم من النعم ليس فيها جز واحد الا و
وفيها نعمة لا يحصيها الا خالقها ثم اصعد بنظرك الى عالم السموات فانها
عاطفة بجميع المنافع المذكورة على هذا العالم ومنها بترك الاسركلها ومنها
تدبير الليل والنهار المخلوقين للحركة والسكون والنوم واليقظة
والتعب والراحة وكلها نعم للخلق لولاها هلكوا وبحركة العالم العلوي
تنشو الجمعات والشهور والاعوام فتختلف الحرارة في هذا العالم مرتبة
على فصول العام من الشتا والربيع والصيف والخريف وانظر الى شخص
واحد من اشخاص السما مثلا يستدل به على الغير كالشمس فان سراج هذا
العالم اذا طلع عليه استضا واخذت الابصار نورها وعملت جميع
الاشغال في جميع الاقطار ثم لا يزال دايما كذلك الى حين الافول
فيكون بافوله الليل فتستريح الابدان بالسكون والنوم هذا حاله
في طلوعه وغروبه وله حركة اخرى من الجنوب الى الشمال لتسخين
هذا العالم فتنبت به المعايش كلها وتصلح وتنضج في حين طلوعها
صعودها ثم في هبوطها ايضا الى الجنوب ياتي البرد والشتا
فيزرع الناس ويغرسون طعامهم اول ثم تصعد عليه فتصلحه ٠
فالعالم كله مفتقر اليها في كل نفس فكل حركة من حركاتها نعمة وكذلك
كل شخص في عالم السموات مثلها قد جعله الله سبحانه على عمل نافع لهذا
العالم لا يستغني عنه بل لا يستغني عن جوهر واحد من جرم السما اذ لو انخرم

منفعة الشمس

منه جوهر واحد لتبعه الذي يليه لانه معتمد عليه كحلقة السلسلة
المعلقة الواحدة تحمل الاخرى فاجزا السما والعالم معتمدة بعضها على
بعض كالمتصلة منضمة غاية الانضمام يحمل هذا هذا او هذا هذا وينفع
هذا هذا من حيث يحمله ويعتمد عليه وكذلك الامر في كل جوهر من جرم السما
يفتقر اليه جميع اجزايها على كثرتها وكل جزء ينتفع جميع الاجزا ولو انخرم
منها جزء لانبتر الكل وانخرم النظام لانه ليس منها واحد يقوم بنفسه
في حيزه والحمد لله على عدد اجزا العالم كله وعلى هذا الترتيب ينبغي ان
تفهم نعم الله في جميع المخلوقات حتى تبين لك العجز عن الاحصا فاذ العجز
عن الاحصا هي المعرفة بالشكر وليس كل احد يعرف صورة العجز الا من نظر
وعلم فان العجز ادراك كما سماه الصديق رضي الله عنه ويدركه اهل التحقيق
لا كما يزعم الجاهل الغافل عن مقام العالم الغافل ثم انظر الى كيفية
خلقتها فذلك اعظم النعم وكيف خلقت معتبة كالجبال تخبو من تحتها
قد عطفت باكنافها على صورة الحنان والرحمة وذلك لانها تتنزل
عليهم خيراتها وبركاتها في كل لحظة لان بها يستمد هذا العالم في كل
نفس كل شي لانها محل الامر النازل وجعلت ايضا حجابا ساترا ما تحتها
عن البروز والظهور لما فوقها لان سعتها الى الدنيا تمد دنيا بالاضافة
الى ما فوقها فهي اقرب وادني لان تحمل الخلق انوارها وعجايبها تحمل
خلقهم ذلك وتصلح امرهم ولو ظهر لهم ما فوقها بلا حجاب هلكوا
بل انما وردت السما الاولى بالاضافة الى الثانية كالحلقة الملقاة
في الفلاة وكذلك الثانية واهلها بالاضافة الى ما فوقها الى العرش
وانظر احاديث الاسرا وخلقة السما عند هذا ابنيا فيه فرحم الله
هذا العالم بان جعلها سترة لما تحتها عما فوقها وتتلقى ما يرد
عليها من علو بانلاكها وقواها وتنزله على ما تحتها هكذا اسما سما
الى الجنات وهكذا ايضا هذه الارض مع التي تحتها والتي تحتها
مع التي تحتها الى جهنم على هذا الاعتبار ما سفل الامر تحتها كان اشد
واطم واعظم الا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم قد قال اشد ما تجدون
من الحر فمن السعير واشد ما تجدون من البرد فمن الزمهرير والحمى من فيح

منفعة السما

فيح جهنم وان هذا الحر من الفيح لولا ما امتزجت بالرحمة حين صعود
الفيح لذابت الجبال لها وقال النبي صلى الله عليه وسلم ناركم هذه التي
توقدون عليها جزء من سبعين جزءا من نار جهنم ولولا انها ضربت بالماء مرتين
لما انتفعتم منها فكذا الحر جزء من سبعين جزءا من حر جهنم وكذلك ايضا
الماء النازل من السماء ومعاني الجنة والرحمة المنزلة الى الارض لتمتزج
مع ما صعد من الفيح من جهنم وكن هذا بهذا وهذا بهذا فكانت منهما
الدنيا كلها فانها لشيء النور مع الظلام والرحمة مع الغضب وكل ضد مع ضد
فخلقت منها الدنيا وما فيها **فصل** فاذا فهمت هذا علمت ان الجنة
والنار هما العاقبتان بهذه الدار بما فيها لا يستغني العالم عنهما طرفة
عين وهما نعمتان عظيمتان لاهل هذه الدار من حيث ليس لهم عيش ولا قوام
الا بهما وقد قال الله تعالى في الجنة انت رحمتي ارحم بك من اشاء وقال الجنة
مائة درجة وقال في حديث اخر ان الله تعالى خلق مائة رحمة انزل منها الى
الارض واحدة فبها يتراحم الخلق الحديث الى اخره فتنبه وتفطن واشكره
على جميع مخلوقاته فان الله سبحانه وتعالى قد حمد نفسه على ذلك فقال
الحمد لله رب العالمين والعالمون هو الخليقة باسرها فانظر منفعة
الدارين العظيمتين كيف نصل منفعتهما اليك من مقامهما وانت في معالك
هذه ثم اصعد ناظرا الى الكرسي فانه قد وسع الكل وسع كرسيه السموات
والارض وهو موضع حكم الملك والحكم ابدا على شيئين وعلى خصمين
كذلك وسع الكرسي اهل القبضتين ووسع الدارين العلوي والسفلي
فلا تتحرك ذرة فما فوقها في العالمين الا في مقام الحكم الذي هو الكرسي
فنافعه قد شملت جميع ما تحته لان الكل فيه كحلقة ملقاة في ارض
فلاة كما نطق به محمد صلى الله عليه وسلم فنعمه قد شملت كل ما تحته ثم اصعد
الى العرش العظيم الذي هو موضع تدبير الملك كما قال سبحانه ثم استوى
على العرش يدبر الامر فجميع الخلق والكرسي في العرش كحلقة الدرع
ملقاة في ارض فلاة قد ستر بعظمته كل ما تحته وما في ضمنه عن
تحمل عظائم الامور المدبرة الربانية التي لا يشارك في تدبيرها
والنظر فيها وتفصيلها احد من الخلق فلا يحتمل ذلك الا العرش الذي

مطلب الكرسي

مطلب العرش

اهل لتفصيل تلك الامور وهذه العلة خصصه الباري بالاستوا
فهو موضع التدبير لا انه مكان فان الرب عز وجل لا يسعه مكان
ولا يحتاج الى مكان فافهم هذا فانه معنى حسن في الاستوا ايضا فالعرش
اعظم نعم الله بل كل نعمة منه تزد فهو الجامع لها في الدنيا والاخرة والى
الابدين ودهر الداهرين والى هنا انتهى نظر الناظرين وشكر الشاكرين على
النعم المحدثة فوجب شكره سبحانه على عدد جواهر العالم كله وعلى عدد
جميع اعراضه في جميع احوال الدين والدنيا والاخرة ابد الابدين
ودهر الداهرين **واما** الضرب الثاني من الشكر في مقام الاحسان
فهو شكره لذاته سبحانه وشكره على النعمة به الذي لولاه لم يكن شيء
والذي لا يقدر قدر النعمة بوجوده حي الا هو شكر المنعم لذاته وصفاته
وهو شكر العارفين الذي اوله النضج والسرور واوسطه البهجة والحبور
ونهايته التعجب مما هو عليه والتحير وهو شكر المنعم الكريم الذي
لولاه لم يكن شيء مذكور لا رب ولا مربوب ولا خالق ولا مخلوق
فهو النافع وحده والخالق لا سواه فكلما اضيف لغيره مجاز لانه منه
حقيقة والشكر كله له ومنه واليه لا دعوى لاحد في ذلك معه فلما
راى الشاكرون كل شيء متصرفا بيد القدرة صادرا عن تدبير العلم
والارادة نازلا بامر الكلمة السابقة وتجلى لهم سعة علمه وتدبيره
وعظم قدره وجلاله وكيف صارت جميع المخلوقات افلاكا وجواهر
بالاضافة الى وجوده وتجلى لهم باوصاف الجنان واسمائه الحسان
وراوا منه فيض الفضائل والحنان في كل الاحايين والاوقات على
جميع الموجودات جودا محضا وكرما صرفا لا لغرض منه ولا لعرض
يعود عليه وتبين لهم غنا نفسه عن العالمين ليس الغنى عن كثرة
العرض انما الغنى غنى النفس لا يشغله وجود الخلق ولا يزيد له
كونهم ولا يضره ولا ينقصه عدمهم بل هو كما هو ليس على ما هو الا هو
فعند ذلك قالت الاسرار منهم وارباب الاستار الحمد لله الذي هو
ربنا على ما هو عليه فرحا به وسرورا فزادهم نضحا وحبورا فتحيروا
فيه او دهشوا عن كلامه فتحيروا في حضرة جلاله وتاهوا سكارى

من لحظات جماله ونطموا وفرحوا واحبوا ان يشكروه على ما هو عليه • فتبين لهم انه ذلك لا يكون الا اليه فقالوا مستلمين شكره له سبحانك سبحانك لا نحصي ثنا كما تستحقه عليك انت عليك انت كما اثنيت على نفسك فهذا شكرهم له اذا انظروا فوقا لفوق ثم اذا انظروا به الى جميع الموجودات وشاهدوا قيومته بالمخلوقات راوا جواهر العالم كله مفتقرة في كل لحظة اليه وان لا قوام لشي دون فيض العرض دايما عليه فوجب عليهم ان يشكروه عدد جواهر العالم كله او له واخره ظاهره وباطنه وعدد ما اجرى عليه ويجري ابد الابدين ودهر الداهرين من اعراضه فيشكروه على ذلك شكرا مجملا اذ لا يحيط به الا هو مفصلا والى هذا المعنى اشار النبي صلى الله عليه وسلم في قوله لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ملاء السموات والارض وما فيهما وما بينهما وملا ما شئت من شي بعد فرحم صلوات الله عليه وسلامه الى العموم والتجميل حين عجز عن احصا التفصيل والحمد لله

الشعبة الرابعة والاربعون

الزهد اما كون الزهد من الايمان فبين في النظر وكثير مجيه في الخبر اما دليل ذلك في الخبر فقوله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المومن وجنة الكافر ولم يجعله الا الزهد الذي هو كمال ايمانه ومما صارت جنة الا لمن ذهب ايمانه او نقص ومنه الحديث المروي في الحيا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استحيوا من الله حق الحيا وذكر الحديث الى قوله ومن اراد الاخرة ترك زينة الدنيا واثر الاخرة على الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحى من الله حق الحيا والحيا من الايمان ومنه حديث حارثة ان لكل حق حقيقة فما حقيقة ايمانك فقال عزفت نفسي عن الدنيا فوصف ان حقيقة الايمان الزهد واما من طريق النظر الذي لاشك فيه فان الاخرة غيب والرب سبحانه غيب والدنيا شهادة مدركة بحواس الخلق الا من نور الله سبحانه الخلق اليه والى الاخرة بكتابه وعلى السنة رسله فمن سر واجاب الى الدار الاخرة والى السلوك الى ربه وزهد في الدنيا فقد صرح بحقيقة ايمانه لان الايمان تصديق بالغيوب وعمل لها

فصل اعلم ان الزهد يقتضي اربعة اشيا زاهد وهو العبد وزهد وهو حاله ومزهد وهو العوض ومزهود فيه وهي الدنيا فاما المزهد فهو الله سبحانه والدار الاخرة والاشتغال بامور الدين ظاهرا والمزهود فيه التي هي الدنيا شيان فقط احدهما العرض المالي والثاني الجاه النفساني فاما الجاه فانه تفاخر ورياء واما المال فانه تكاثر واتباع هوى وهذان المعنيان يجمعان معاني الدنيا كلها التي امر الناس بالزهد فيها فان اللعب والزينة واللهو هو هوى النفس وكلها يطلب التكاثر

واما الجاه فانه رياء وبه يطلب التفاخر فمن زهد في الجاه واتباع الهوى فقد زهد في الدنيا باسرها اعني المذمومة ومعنى اتباع الهوى ما صد عن الله سبحانه والدار الاخرة فاذا فهمت هذا فاعلم ان الدنيا باسرها هو كل ما على وجه الارض قال الله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها وعلى ظهرها تنافس الخلق في الجاه والمال والارض اقل واذل واحقر ما في العالم لان نسبتها من العالم الفلكي نسبة النقطة الهندسية التي هي مركز الضابط اذا صنعت دايرة واقل كوكب في السما من الكواكب الثابتة اكبر من الارض مرات لان الكوكب يظهر اكبر من نقطة الضابط ونحن في النقطة يظهر لنا ابدا نصف الفلك ويغيب عنا نصفه ولو كانت الارض اكبر من نقطة لم يظهر لنا نصف الفلك بل اقل هذا البرهان عقلي لا مدفع فيه ومن الارض التي هي النقطة معمور وغير معمور والذي منها غير معمور اكثر من المعمور فانظر ما حصل للناس من تلك النقطة وكيف اقتسموها فطالب الجاه والكبر فيها غير مذكور في العالم الاعلى الكبير قد مسخ على مكانته في النقطة وقلة جاهه في العالم الاعلى وهو لا يعلم ولو شا لمسخناهم على مكانتهم اي جاههم لان نفوسهم ليس لها في العلو مسلك ولا يرتفعون الى السيد الاعلى ثم منيطا ولو نني بنيان اجسادهم بعضهم على بعض بالتجزو العلو وكانوا بالاضافة الى الذين ارتفعت هممهم الى الاخرة العليا والى السيد المولى تحت اقدامهم كالذر فالدنيا وما عليها بالاضافة الى ما فوقها اقل من جناح بعوضة بالكمية واقل وزنا بالقيمة فان ملك

معنى الزينة

العبد فيها بيتا او دارا عرضها مزج او اكثر او غرفة دراهم او قنطارا او اقل او اكثر يظن انه ملك شيئا بل لو ملك جميع اقاليمها ليس له في العالم العلوي قدر لانها تنقطع بالاضافة الى ما فوقها كما تقدم معمورها وغير معمورها فاين ملك من ملكها كلها من ملك فقير اهل الجنة الذي ليس في الجنة ادنى منزلة منه وهو اخر من يدخلها وفي الحديث انه لينظر الى قصوره وجنانه مسيرة الف عام الله اعلم من الى الاعوام وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون فالزهاد الذين عظموا فهم لعلو جاههم يتسع في العالم الاعلى على قدر سعة الملكوت الاسنى **واعلم** ان الجاه على ثلاث مراتب جاه دنياوي وقد تقدم ذكره وجاه اخراوي علوي على قدر درجات اهل الجنة ومنازلهم فيما بينهم بعضهم مع بعض وجاه عند الرفيق الاعلى كما قال تعالى وكان عند الله وجيها وهو ترتيب درجاتهم وعناياتهم في نفس الملائكة على قدر قربهم منه فاذا فهمت هذا فاعلم ان الزهد تحقير المزهود فيه وهوانه على الزاهد فيه ودليله قول الله عز وجل وكانوا فيه من الزاهدين لما هان عليهم وتنظروه بعين التحقير باعوه بالبخس اليسير ولو كان له عندهم عظيما كبيرا لما اخذوا فيه شيئا كثيرا كما قالوا اخراجين عظم قدره عندهم وزاد له الفضل عليهم تالله لقد اثرك الله علينا فحلفوا بالله العظيم حين تبين لهم شرف يوسف الكريم عليه السلام ولا يحلف احد على شيء الا اذا عظم عنده ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه انك لزهيد حين فرض عليهم شعيرة في مناجاة الرسول صلى الله عليه وسلم معناه انك لمقلل محقر شاكر وجميع معاني الزهد في الملبس والمطعم والمسكن او نداده انما هو من تحقير اشياء الدنيا وبه عند الزاهد فتقصد الى احقر ما فيها واقله فاقتناه واعرض عما في هذا المعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وبهذا النظر كان النبي صلى الله عليه وسلم ينظر الدنيا فعنه لربه **فصل**

واعلم ان الزهد منه ما هو فرض ومنه ما هو فضل وينقسم كله على ثلاث

أقسام على عدد مقامات الاسلام والايمان والاحسان وعلى عدد الذوات الثلاث الجسم والنفس والروح فاما القسم الاول في مقام الاسلام فتوابها والامور الدينية على الدنيا وترك الدنيا لها والامور الدينية منها فرايض وفضايل فالزهد ايضا منه فرض وفضل كذلك فاما الفرض فانه واجب على جميع الخلق واما الفضل فانه مخصوص بخصوص فاما الفرض الواجب والفضل المندوب فانه ملازم لجميع الطاعات متعلق بها لا يفارقها من فرض او نفل وبيان ذلك ان الخلق المخلوق في الدنيا لما رايتهم الدنيا من صغرهم الى كبرهم ونشوا فيها وتغذوا بلبانها شغفهم حبها لان حياتهم بها وفيها فشمروا لطلبها واجتهدوا في اقتنائها فلم تكن ليزيلها عنهم الا امر عظيم اما زهد فيها او موت ينفصل عنها فارسل الله الرسل الى الخلق يدعونهم منها الى عبادة الله تعالى وانزل الكتب تتلى عليهم وتذكرهم باحسن منها وابقى لعلهم يزهدون فيها ولا تشغلهم عن عبادة الله تعالى فشرعت لهم الشرايع وفرضت الفرايض ونصبت الذرايع كي تتدرجوا في الزهد فيها شيئا شيئا ورغبوا بالفضايل حتى يوثرون غيرها عليها فهذا دأب المرسلين عليهم السلام مع الناس من اول الدنيا الى اخرها فاول **فصل** ما فرض عليهم توحيد الله ومعرفته والشغل به ولن يتاتى ذلك الا بترك الاشتغال بما يقطع عن ذلك من فضول الدنيا ولو ساعة او حينا ما فترك الشغل بها في ذلك الوقت فرض تدبيرا كما اذا كلا او شربا او شرا او اي نوع كان منها ومن ذلك طلب العلم الذي هو فريضة على كل مسلم ما منع احد طلبه الا بطلب الدنيا والشغل بها وما طلب احد العلم المفترض عليه وقتا ما الا بترك الشغل بالدنيا ذلك الوقت والحين فتركه لها زهد فيها ثم الصلاة واوقاتها بينما الناس منكبون على الشغل بها اذ صعد المؤذنون على الصوامع بارفع الاصوات اشارة الى تعظيم ذكر الله على غيره فاول ما ينطق به التكبير تنبيها على ما اشتغلوا من النزر الحقير لعلهم يزهدون فيه ويتركونه لاداء الفرض ويجيبونه فتحققوا كذلك فصار د

عند ذلك ترك الشغل بالدنيا فرضا عليهم مادام وقت الصلاة لم
يخرج فهم في اجابة الداعي وايثاره على ترك ماهم فيه من العالي درجات
عند الله فمن خرج الوقت عنه ولم يبادر الى الطهارة والصلاة فقد
وجبت عليه العقوبة والدنيا المذمومة المزوقة الحايلة بينه وبين
دينه هكذا في كل يوم خمس مرات فرض عليهم ترك الشغل بالدنيا وتحقيرها
في جنب دين الله في تلك الاوقات ويرغبون فيما سوى تلك الاوقات
في التعامل وانظر الى الزكاة واوقاتها وغير ذلك من الحقوق المالية
اذا جا وقتها امروا باخراج تلك الحقوق من بين ايديهم وزهدوا في
ترك الرغبة فيها حتى يخرجها فمن وفق زهد فيها واستحقرها واخرجها
عن يده ومن اشتدت رغبته وحرصه وذهب الزهد من قلبه فيها
بالكلية امسكها ولم يخرجها لزمه من العقوبة ما ورد الشرع بذكره
وانظر الى الصوم ما ابين فرض الزهد فيه فاول ما فرض على الخلق
عند طلوع الفجر ترك الاكل والشرب والجماع والامساك عنها الى الليل
وهذه الامور التي امروا بتركها هي اعظم امور الدنيا وكذلك الحج اول
ما فرض على الخلق الخروج من دنياهم ومفارقة اوطانهم بما حوت من
اهل وغيره وهذه هي الدنيا باسرها وانظر الى الجهاد كيف فرض
عليهم الخروج من الدنيا باسرها اذا لزمهم فرضه والتعرض للموت
الحايل بين الدنيا واهلها وقد بين الله تعالى هذا المعنى في كتابه
العزيز فقال الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم الى قوله فلما كتب
عليهم القتال اذا فريق منهم الى قوله تعالى ربنا لم كتبت علينا
القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب فصرح لهم بالزهد في الدنيا حين
امسكتهم عن الواجب فقال قل متاع الدنيا قليل فحقرها بقوله
قليل والقليل هو الحقير ثم عظم الاخرة وشرفها لعلهم يرغبون
فيها ويزهدون في الحقير فقال تعالى والاخرة خير لمن اتقى ثم زادهم
بيانا وعرفهم انهم لابد لهم من مفارقة دنياهم وانهم يخرجون عنها بغير
اختيارهم حين لم يخرجوا باختيارهم فقال تعالى اينما تكونوا يدرككم
الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وهكذا الاشتغال بكل فريضة امر الخالق

بها او فضيلة ندبوا اليها تجدها مقترنة بزهد فرض او فضل ولو لم
يشتغل الخلق بالدنيا عن الفرايض المفترضة والفضايل الموظفة
لسموا زاهدين حين لم تلههم زخرفها عن دينهم الذي هو خير منها وان كانوا
مكتسبين لها ومتصرفين فيها كما كان السلف الصالح وانما اهلك
الخلق تعظيمها وايثارها وقد اثنى الله تعالى على قوم هي بايديهم بل
باحسن ثنا فقال تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله
واقام الصلاة وايتا الزكاة وصفهم ان بايديهم اموالا يؤتون منها
الزكاة لكن لم يلههم ذلك عن ذكر الله وعن القيام بفرايضه لان غيرها
اكبر واشرف منها في قلوبهم وقال تعالى في اية اخرى يا ايها الذين امنوا
لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك يعني الغفلة
عن الذكر فاولئك هم الخاسرون وصفهم بالخسران حين الهاهم الحقير
عن الشي الخطير وهو ذكر العلي الكبير فهذا هو المذموم من الدنيا وهي
رغبة القلب وحرصه وتعظيمه وايثاره للاشيا على ما هو افضل منها
حتى تقطعه عما امر به وندب اليه والانسان صنع ذلك بنفسه ولم
تصنع الاشيا به ذلك بل هي نافعات للخلق غير مضرات اذا لم يضروا
انفسهم بايثارها على ما هو خير منها وربما كان اخذ الدنيا واجبا على
العبد فما يكون واجبا كيف يوصف بالذم على الجملة وان الانبيا
والصديقين لم يتركوها بالكلية حتى كان اخذها واجبا عليهم وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ياكل ويشرب ويلبس ويركب ويسكن
وينكح ويعطي ويمنع وكانت دنياه كلها محمودة فمن ذم شيا من دنياه او
غيرها من اموره وجب قتله بلا شك فكل ما اعان على فرايض الله وطا عنه
من الدنيا فهو طاعة محمودة وقد تكلم ابو محمد سهل رحمه الله في هذا الغرض
بكلمة من الحكمة لم يترك فيها شيا من العدل لانه كان رضي الله عنه اماما في الحكما
وورائة الزهاد والفضلا فقال كل ما شغلك اخذه عن الله فتركه
فرض عليك وكل ما شغلك تركه عن الله فاخذه فرض عليك فهذا كلام
موزون بميزان العدل بريء من التعصب والميل والانبيا كلهم والصديقون
يحذرون من الدنيا ويذمونها ويزهدون فيها ومنها ياكلون ويلبسون

وفيها يتحيرون لكن انما يذمون ما يجب ان يذم وهو ما يبعد عن ذكر الله •
وطاعته وصد عن طلب العلم النافع واكتساب الفضائل وروى ابو هريرة
رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الدنيا ملعونة
ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه ولو امر الخلق بترك الدنيا كلها على
الجملة لهلكوا لانه لا قوام لهم الا بها **فان قلت** كيف تركها الاولياء
بالكلية وهم اوتاد الارض الذين يمشون على الماء ويطيرون في الهواء فما
اغفلك عن فهم المعاني فانهم هم الملوك على الحقيقة وغيرهم بالاضافة
اليهم هم الفقراء والمساكين وان ملكوا الدنيا باسرها وانظر الى حكاية
الخضر مع موسى عليهما السلام حين شكا اليه موسى الجوع واذا بظبي بينهما
نصفه مشوي مما يلي الخضر فاكل الخضر شيئا مفروغا منه ثمن بى الراحة
الكبرى والملك العظيم في الدنيا ومنهم من تصير له الارض ذهبا وفضة
ولو قبله لكان خازنا بل يأخذ شيئا مفروغا منه والى هذا المعنى اشار
ابو يزيد رحمه الله في قوله العاجز لا يصح زهده يعني الزهد الاعلى الكامل
ثم قال فمن يصح زهده هو ان يعطيهم كن وتعذرهم على الاشياء الى اخر
كلامه فلا يقولون لشيء كن الا كان فما يصنع من هذه حاله بخزن المال الذي
يلهي ويشغل ومنهم من يأخذ رزقه من الكون متى احتاج ومنهم من طلبت
الدنيا تخدمه ومنهم من جعل رزقه على ايدي الخلق ومنهم من يكون
بيده من الكسب او المال ما يعين ولا يشغل ولا يلهي بل هو سبب
الطاعة وقد ورد في الصحيح عن نبينا صلى الله عليه وسلم انه خير ان يكون
له جبال الارض ذهبا وفضة فابى وبقي بحال الافتقار مع الله لانه اعطي
كن فكان اذا اراد اظهار كن يروي الجيش الكثير من الاناء الصغير
ويأتيهم بالماء من بين اصابعه ويشبع الخلق الكثير من الطعام اليسير
ويزودهم منه الى غير ذلك وانما هرب عليه السلام حين خير ان تكون له
جبال الارض ذهبا وفضة من الاشتغال ومن التكاثر الملهي فبقي بحال
الافتقار وقطع ما خاف ان يقطعه كما رمى بالخميصة التي صلى فيها وكان
لها علم فقال انها الهتني عن صلاتي فاستحقر كل ما يلهي قل او كثر حسن او
قبح وزهد فيه وراه حقيرا في جنب ما اشتغل به لان راحته كانت

في

في الصلاة وكذلك الزهاد الذين وجدوا لذة العلم والمراقبة وحلاوة
العبادة والسرور بعمل شرايع الاسلام استحقروا في جنب ذلك النعيم
كما الهاهم عنه فانهم **فصل** اما المقام الثاني من الزهد
في مقام الايمان فان العقلاء انظر بنور الايمان وتبصروا الى الاخرة وفضلها
على الدنيا وبقايها وفناء الدنيا وكدرها وصغر الدنيا وعظم اهوالها
وعذابها وحسابها قاسوا قدر ما بين الدنيا والاخرة فاما خافوا من العذاب
والحساب والاهوال فزهدوا خوفا من الاخرة واستحقروا الدنيا كلها في اهوالها
وعذابها واما رجاء الثواب العظيم والملك المقيم فاستحقروا الدنيا كلها
في جنب ذلك فرغبت في الفاضل وزهدوا في الحقير المفضول فعلى هذا
القسمين انقسم الزهاد في هذا المقام وهم ابناء الاخرة الذين نظروا
بالعقول الراجحة فوزنوا احسن الدنيا بحسن الاخرة وقرنوا اهوالها
وعطاياها بشدايد الدنيا واهوالها فوجدوا لذة روح الاخرة باليقين
الايماني فخاطبتهم الاخرة بلسان الحال والمقال فقالت انظروا اكان قدر
ما بيني وبين تلك الصغيرة الحقيرة والذميمة القصيرة فافتتح
الدنيا وتغلبت عليها فكان معنى كلامها اف اف لها ففني في حقهم
الزعاق الدنياوي والملح البحراني بالحلو الاخراوي والعذب الفراتي
واظهرت لهم لطف الجذب لتجذبهم اليها بالزهد فطمس من الدنيا في اعينهم
جميع انوارها وقبح حسنها وجمالها منظر الدنيا باسرها فابدت لهم شبابها
المجدد • وبقاها المخلد • وقالت ليس غرى كغر الدنيا المنكد • ولا
حسني كقبح منظرها المسود • فيا لابنة العجوز الشمطاء المشوهة الخلق
النوداء السيئة الخلق النكداء المتزوجة لمن مضى ومن ياتي القليلة
الحياء الابنة القاطعة عن طريق المولى وانا الحرة العذراء الباقية
الجمال الحسناء الخيرة الملاعبة العيناء العفيفة القاصرة المقصورة
التي لم تزل فشتان ما بين الزوجين وكبير ما بين الشيئين فكان
كلامها هذا اذا انفقا بعضا وتغلا على الدنيا فاعذب نقلها كل ما لح
وطيب حلاوتها كل مر فطاب نعيمهم ولم تساو الدنيا ذرة في اعينهم •
لان نعيمها مالح وحلوها مر زاعق وكذلك ورد في الاخبار ان الحوراء لو

لو تغلغلت في البحار المالحة لعذب ماؤها ولو ظهرت لكنها لطمس نوره
الشمس والقمر فافهم وهذا الذي عذب لهم من الدنيا انما هو ما كان
لله واعان على الآخرة وكان زكاتها لهم فبني على هذا ثلاثة اشيا حرة
فاضلة وهي الآخرة وامة خادمة لها ولزوجها الزاهد وهي الدنيا المحمودة
الخادمة للحرة الفاضلة تخدم حتى يصل الزاهد الى الآخرة والثالثة
هي الدنيا المذمومة الملهية التي تقدم ذكرها وتسوية خلقتها المزهود
فيها فمن كان من اهل الآخرة خدمته الدنيا الامة المحمودة وكانت
ركابا له والركاب هو المركوب وكل مركوب خادم وعبد تحت الراكب
له المخدوم وكذلك ورد في الخبر الدنيا ركاب الآخرة حتى تصل المخدوم
السيد بها الحرة الفاضلة فافهم فمن شاهد ابنا الآخرة فمن كان
منهم كان للآخرة عاشقا وبها واثقا وللدنيا الملهية رافضا ولها
اذا استعملته راكضا قال الله تعالى كلا بل تحبون العاجلة وتذرون
الآخرة ومن لم يكن من ابنا الآخرة وكان من ابنا الدنيا وخطابها العاشقين
لذمومها كان وراها جاريا وقلبه من الآخرة خاليا ولسيده ومولاه
ناسيا فتجلت لهم محاسن الدنيا المزخرفة فاستحسنوها كل الاستحسان
وعظموها حتى خرجت من قلوبهم هيبة الايمان قال النبي صلى الله
عليه وسلم اذا عظمت امتي الدنيا والدرهم نزع منها هيبة الايمان فهم
في طلبها مشمرون وهي متعبة لهم كالمراة السودا اذا علمت ان الرجل
يحبها اتعبته واعرضت عنه وهو راغب لها وماش في اثرها عسى ان
تقبل عليه فينال مراده منها فكلما ازداد بها كلفا ازدادت عليه صعوبة
وولته ظهرها لان غرضها ان يزيد في حبها وطلبها والكلف بها فهو
ابدا جار وراها لانه لم يشبع منها وقد ورد في الخبر تنكحوا النسا
في ادبارهن ومراصيح ومن همه الآخرة جمع الله شمله وجعل غناه في قلبه
واتته الدنيا وهي راغمة اي الدنيا المحمودة جعلنا الله واياكم من
الفائزين برحمته امين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم

فصل واما المقام الثالث من الزهد في مقام الاحسان
فان العبد اذا نظر الى الخالق والمخلوق كاينا ما كان وغلبت عليه

ذكورية الرحمة وحانيه واستولت عليه معارف العلوم الربانية
واستغرقته محاسن المعاني الالهية فادرك فضل ما بين الخالق
والمخلوق والمولى والعبد والقادر والعاجز والقوي والضعيف
والغني عن كل شي والمفتقر الى كل شي والكبير الجليل والنزر الحقير
والحق الذي لا يبطل ابدا والباطل الذي يتطرق اليه الفنا دايما
سرمدا والاول الآخر الظاهر الباطن الذي لا يتقيد بالحدود
الزمانية والمكانية والمحبوس المنحصر المتقيد بانواع الحدود الحاجبة
له في الامامية والورائية والفوقية والتحتية والقبلية والبعدية
والغالب القاهر فوق عباده والمقهور المجبور على مراده وغير مراده
تعدد له تجليات معاني انفراد الواحد اليه عن المثيل والنظير
والمعين والوزير في القليل والكثير واستبان له على الممالك
اجمع وكيف افتقاره له واعترفت بين يديه مقرة بالخضوع متذللة
بالخشوع فعظم العقل ما اجتمع الكل على تعظيمه وحقر في جنبه
ما اجتمع الكل على تحقيره بالاضافة اليه فلم يعول على الاعلية
فالعقول في هذا المقام تستحقر نعيم جميع الجنان عند نظرة واحدة
ينظرون الى اسمايه الحسنى او فهم اية او سماع كلمة من كلام القران
المفرق بين الحق والباطل والغامض والمشكل في جميع الاكوان وعم
يوزن وهداه انواع الحدثان فاذا كان جميع الخلايق بكلمة واحدة
يكلمهم ونظرة واحدة الى لمعة من سبحات انواره اذا تجلت يهتدون
ويبصرون فقد جمعت الكلمة والنظرة جميع ما تفرق في الاكوان من انواع
النعيم وبقي فضل ما بين الوجه الكريم والكلام الحكيم على مشتهيات
جنات النعيم فزهدوا في سوى معروفهم فاجل غذا عندهم ذكر الله
واعلى شرابهم لذيذ محبة الله واجمل لباسهم لباس يلبسونه ما يخلعهم به وما
يخلع عليهم من الاتصاف والتخلق بمعاني صفات الله واجل مسكن
عندهم الغرفة هو فنا الغيبة به عن سواه واجل مركوبهم عندهم الهمم
الرفيعة الجارية على طريق القصد اليه مجالسهم مقاعد الصدق
ومنازلهم رضوان الانس بالحق فقد ظفروا بموجود السر وراه مطلوب

وشغفوا به فلم يبق لهم سواه مرغوب وهذا هو الزهد الكامل المتناهي
لانه تنقطع الرغبة وتنتهي الاماني فيزول فقرهم وتتعدى حاجتهم
فان زدتهم على الاغنيا رفاغا ذلك لقضا الحقوق والاوطار حقوق
المماليك والسيدات من الاحرار فيعلمون ان في تنفيذ امره رضاه فنعيمهم
في الحالين به وهو نعيم النظر اليه ونعيم الرضى فنعاينهم من ذلك دوننا
ومشاهدتان احدهما نعيم الروية بما تجلى منه لهم والثانية نعيم
ما اخفى في نفسه عنهم لانه اذا امرهم علموا انما يرضاه مما خفي في
نفسه وكان ذلك ادراكا لما اخفى في نفسه وغيبه عنهم فهم يرونه
ظاهرا وباطنا وهذا حقيقة الزهد وفيه انتها الامنية والرغبة
بالعوض العظيم الذي لا يقدره الا الله سبحانه ويكون ما سواه في جنبه
لا شي ۞ الا كل شي ما خلا الله باطل ۞ وكل نعيم لا محالة زايل ۞
حقيقته قال الله تعالى وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا وقال
تعالى ايضا وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا والزمرة الفوج والقطعة
من الناس وجمعها زمر ومعنى الاية ان الناس يدخلون الجنة والنار
زمرة بعد زمرة بترتيب وتدريج على قدر درجاتهم في درجات القرب
من الله والبعد منه بالتقوى وضده فاول زمرة تدخل الجنة اعلاهم
فيها درجة واول زمرة تدخل النار اسفلهم فيها دركا والزمرة الثانية
بعد الاولى تحتها في الجنة لاهل الجنة وفوقها في النار لاهل النار
وهكذا في الترتيب حتى يكون اخر من يدخل الجنة في اسفل درجة من الجنة
واخر من يدخل النار في اعلا درك من النار **فصل** قال
الله تعالى وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا الاية فاقرب الخلق
الى الله تعالى المتقون ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقوله اتقى على وزن
افعل يدل على تفاوت منازلهم في التقوى لان معنى اتقا اي اتقى من
غيره فاكثرهم تقوى في اعلا درجة من الجنة واقلهم تقوى في اسفل
درجة من الجنة واكثرهم تقوى الذي اتقى الشرك الخفي والجلي واتقى
الاثم ظاهره وباطنه واتقى الدنيا مخافة ان تقطعه واتقى ربه سبحانه
مخافة ان يفوته فقطع جميع العلايق دونه وهولاهم الفقرا الزاهدون

الصالحون قال الله تعالى اولئك يجزون الغرفة بما صبروا اي صبروا
على درجة الامامة التي طلبوها في قوله تعالى واجعلنا للمتقين
اماما وهي درجة الصبر على التقوى لانه لا يكون اماما للمتقين
حتى يقتدى بافعاله واقواله الا اتقا من غيره من المتقين الذين ائتموا
به قال الله تعالى وجعلنا منهم ايمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا باياتنا
يوقنون واهلا ليقين بالله والدار الاخرة والصبر على التقوى هم
الذين اتقوا الدنيا وصبروا على الفقر والزهد في الدنيا لان حبها
راس كل خطية وفي الخبر اتقوا الدنيا واتقوا النسا وفي الخبر لا يكون
العبد من المتقين حتى يدع ما لا باس به حذرا لما به الباس وهذه صورة
الحذر من الدنيا وصورة الورع والزهد فيها وفي الخبر الفقرا الصبر
جلسا الله يوم القيمة فهذه اول زمرة السالكين في الغرفة المذكورة
في سورة الفرقان والغرفة بلسان العرب العلية والعلية من سائر
عليين وعليون لاولي الالباب وفي الخبر ان الفقرا يدخلون الجنة
قبل الاغنيا بخمس مائة سنة وباربعين خريفا وهذا التفاوت ما بين
الخمس مائة الى الاربعين من اجل ان الفقرا لا يستوون في الصبر والزهد
فاعلاهم درجة الذين يدخلون الجنة قبل الاغنيا بخمس مائة عام
ثم الذين يلونهم في الفضل ثم الذين يلونهم في الفضل حتى يكون اخرهم
زمرة الذين يدخلون الجنة قبل الاغنيا باربعين خريفا ثم يدخل فضلا
الاغنيا بعد المتاخرين من فضلا الفقرا فتكون درجة فضلا الاغنيا
في الجنة تحت المتاخرين من فضلا الفقرا ثم ترتيب درجات الاغنيا في
الدخول زمرة بعد زمرة على قدر تقواهم في غناهم وقلة اموالهم فالكثير
المال القليل التقوى يكون ابدا تحت الذي هو اكثر منه تقوى في
ماله واقل مالا حتى يكون اقلهم تقوى في ماله واكثرهم مالا في
اسفل درجة في الجنة مصداق ما اوضحناه قول رسول الله صلى الله
عليه وسلم المكثرون هم الاسفلون قالوا يا رسول الله الا من قال
المكثرون هم الاسفلون قالوا يا رسول الله الا من قال المكثرون
هم الاسفلون حتى والله خشينا ان تكون واجبة لكل مكثر فقال رسول

الله صلى الله عليه وسلم الا من قال بالمال هكذا وهكذا وهكذا وهكذا
اربع مرات بالليل والنهار وقليل ما هم وهذا المستثنى الذي قاله رسول
الله صلى الله عليه وسلم انما استثناه تعددا للتوكيد ثلاث مرات لعلته
والاستثناء في العربية اخراج قليل من كثير والاشارة به الى فضلاء
اصحابه رضوان الله عليهم الذين كان بايديهم فضل مال ومن اتبعهم
اذ وصد بعدهم وكانوا اهل الانفاق في سبل الخير من كل جهة عن يمين وشمال
وامام ووراء كما وصف النبي صلى الله عليه وسلم في قوله هكذا وهكذا
اربع مرات اي في كل جهة من جهات الخير ولولا ذلك ما خرج احد منهم
بالاستثناء من المكثرين والحكمة في ذلك ان السخاء بالمال واخراجه من اليد
في طرق الخير فعزله وفقده منه فاذا انفقه من يده واخرجه منها فقد
افتقر منه واذا كان ذلك فقد تشبه بالفقراء لان الفقر فقد المال
وخلوه من اليد ومن تشبه بقوم فهو منهم فهذا ابين لك فضل الفقر
على الغنى لمن اتصف به وفضل الزاهدين على غيرهم وفضل درجاتهم
عند الله **بيان** قال الله تعالى ان الله مع الصابرين ان الله مع
الذين اتقوا والذين هم محسنون ومثله كثير فهذه المعية هي مجالسة
الحق في مقعد الصدق حالا في الدنيا ومآلا في العقبى فاما الحال في
الدنيا فتعدد ورد في الخبر الفقراء جلساء الله سبحانه وانما كانوا جلساء لانهم الصبر مع
طلبوه وقطعوا العلائق دونه بالصبر والزهد فانكشفت من قلوبهم
حجب الاغيار وتنزهوا لولاهم بالاجلال له والاكبار فكان ثواب
تركهم الدنيا وصبرهم على فقرهم منها الجلوس مع الله عز وجل والنظر في
الحضرة المعية الاحسانية الى الله تعالى والعلم بالله لان قلوبهم
خالية من الحجب الحاجبة وهذا لا يحصل في الدنيا سواهم لان الغير محجوبون
بالدنيا وقلوبهم مشحونة بالاغيار وناظرة الى الشهوات والاوطار
فان نظروا الى الله سبحانه وتعالى رفعوا قلوبهم اليه بالرغبة له
والطلب منه فانما ينظرون اليه في افعاله ويستدلون اعين الاكابر منهم
عليه بمخلوقاته فهم بين الاسباب ومع الحجاب لم يذوقوا شيئا من احوال
اهل التجريد الذين وحدوا الله بالوجد والوجود والغيبة والشهود

من غير تكييف ولا تحديد وقال قائلهم فلو كنت من اهل الوجود حقيقة
لغبت عن الاكوان والعرش والكرسي * وكنت بلا حال مع الله واقفا
تصان عن التذكار للجن والانس * فهذا ثواب خروجهم عن الدنيا وفقدهم
للاشياء في الحال **واما** في العقبى فان الله عز وجل يقول ان اكرمكم عند الله
اتقاكم اي اتقاكم لما يقطعكم ويحجبكم عنه والكريم على الله هو الرفيع القدر
عنده الوجيه لديه ودرجة الجاه عند الله وكرم المنزلة لديه هي درجات
اهل عليين واهل الشفاعة والمنزلة والعناية والزلفى والكرامة
ودرجات الرتبة والمكانة والحظوة والعناية فلا رتبة فوق العناية
ثم اهل عليين ابد الابدين فانهم جعلنا الله برحمته منهم امين وصلى الله
على سيدنا محمد النبي واله وصحبه وسلم **واما** دركات اهل النار فهم
بالضد من هولاء المذكورين اكثرهم مضادة للتقوى واكثرهم مالا اسفلهم
دركا واشدهم عذابا ادخلوا ال فرعون اشد العذاب واقلهم مضادة
للتقوى واقلهم مالا اعلاهم دركا في النار واخفهم عذابا قال
الله تعالى ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم الاية وفي الخبر عن النبي
صلى الله عليه وسلم يدخل فقراء الكفار النار بعد اغنيائهم باربعين
خريفا وروى انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم اول من
يقرع ابواب الجنة من امتي فقراؤهم واكثر اهل الجنة من امتي ضعفاؤهم
وشرار امتي اول من يساق الى النار الا قاع قيل يا رسول الله وما الا قاع
قال الذين اذا اكلوا لم يشبعوا وان جمعوا لم يستغنوا **الشعبة
الخامسة والاربعون** التوكل اما كونه من شعب الايمان فبين لانه
في نفسه تصديق بالمتوكل فيه وعليه لان الله عز وجل شرط الايمان
والاسلام بوجوده فقال تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين
وعليه فتوكلوا ان كنتم مسلمين وقال لقمن لابنه يا بني من الايمان
بالله التوكل على الله **وقال** بعض الصحابة التوكل نظام التوحيد
وجماع الايمان وقال ابو محمد سهل رحمه الله من طعن في التوكل فقد طعن
في الايمان والشواهد عليه من القران والسنة كثيرة يطول شرحها
الا انه منه ما هو فرض وفضل فالفرض واجب على جميع الخلق وهو ما لا يصلح

الإيمان إلا به والفضل به دكل الإيمان **فصل** اعلم أن مقام
التوكل ينتظم من أربعة أشيا متوكل وهو العبد وتوكل وهو حال العبد
ومتوكل فيه وهو ما ينال العبد ويلحقه من جميع الأشيا ومتوكل عليه
وهو الله فأما حد التوكل ومعناه فإنه يعلم من وجهين أحدهما من جهة
الحق والآخر من جهة الخلق فأما الذي من جهة الخلق فهو قطع السكون
والركون إلى الأشخاص والأسباب لعلمه أنها لا تضر ولا تنفع ولا تعطي
ولا تمنع وأما الذي من جهة الحق فهو السكون والركون والتولي على
الحق لعلمه أنه مدبر الأمور والمفوض إليه متاليذ الملك كله فافهم
هذين المعنيين فإنهما جامعان معاني التوكل كله لا يشذ منه شي ولفظة
التوكل التي هي التا والواو والكاف واللام تعطي معاني التوكل
كلها لمن تدبرها لأن لفظة التوكل تعطي معنيين وهو توكل على وزن
تفعل في المضاعف وتوكل على وزن تفعل في الأصل فهي لفظة كافية
الأولى ساكنة والأخرى متحركة فنصف الكلمة التي هو توك تعطي
معنى التوكي على الحق والتوكي هو الاعتماد والسكون والتفويض
وغير ذلك وإذا اتوكا واعتمد عليه فقد قطع الاعتماد والتولي على ما
سواه لأن لفظة حرف الجر في قوله عليه تعطي معناه توك عليه لا على
سواه ونصفا الكلمة الذي هو كل تعطي أيضا معنى الوكالة وهو أن يكل
الأمور على مدبرها الناظر فيها كأنه قال توك على الحق وكل تدبير الأمر
كله إليه فافهم **فصل** فإذا فهمت ما تقدم فاعلم أن التوكل
على ثلاثة أقسام كتابين المقامات الثلاث الإسلام والإيمان والإحسان
والذوات الثلاث الجسم والنفس والروح لأن التوكل يدخل في جميع
الأشيا من أمور الدنيا والأخرى والربوبية **فأما** المقام الأول
الظاهر في عالم الحس ومقام الإسلام فإن الأمور في الظاهر شيئان
دينية ودنياوية والتوكل فيهما يكون بسبب وبغير سبب فالدينية
تتوكل عليه في أن يعطيك العون على القيام بالأمر والنهي وأن يصلح
أعمالك ويتقبلها ويصرفك عن النهي ولا يبتليك به فإنه لا حول ولا
قوة إلا به مع التسبب لاقتناء الخير واجتناب الشر لأن ذلك عمل

حد التوكل

لا ينوب فيه عنك غيرك **وأما** الدنياوية فهي على ثلاثة أضرب الضرب
الأول وهو التلبس بالأسباب في جلب منفعة أو دفع مضرة فيتوكل
عليه في جلب الرزق والمنافع وتوصيلها إليك بيدك أو بيد غيرك حتى
في رفع اللقمة إلى فيك وإعطاء القوة لرفعها وفي تهيئة معدتك
وأعضائك لقبولها حتى تهيئا العيش وتصل النفع إليك وتتوكل
عليه في دفع الأسقام والآلام بتداوي وغير تداوي وفي دفع السرق
عنك بغلق أو غير غلق وتسأله دفع المطار والمضرات كلها عنك
وعن أسبابك وما لك وفي حفظ جميع أحوالك بسبب وغير سبب فإن
أسباب الدنيا تأتي بسبب وبغير سبب فيعتقد المكتسب والمتداوي
والخازن لماله والغالق بيته والمكتسب في جميع أموره أن الكسب
ما جلب إليه رزقا بل الكسب سبب والرزاق هو الله سبحانه والطبيب
والدوا سبب والشافي هو الله والحرز والغلق والحفظ سبب والحافظ منه
هو الله لا الملاح ولا الرايس الحاذق ينجي من الغرق ولا الريح ولا
السفينة ولا الألواح ولا الكلب النابح ولا شي من الأسباب فإن خلا
قلب عبد عن هذا الاعتقاد أو نطق فقال لولا كسبي وكلبي وما لي
والطبيب والملاح الفلاني هلكنا أو ضررنا فذلك شرك وطعن في
الإيمان يجب الاستغفار منه والرجوع إلى عقد الإيمان واعتقاد
التوكل هذه المنزلة الأولى من التوكل علامة صحة توكل المتسبب
فيه التحقيق في طلب الحلال **وأما** الضرب الثاني من هذا المقام
الظاهر فهو الخروج عن الأسباب وتركها والاعتماد على الله سبحانه
بلا سبب انتظارا لما يفعل الله وهذا المقام لأهل القوة وليس
برخص إنما هو فضيلة يختص بها أهل العزة بالله ومن يتوكل على الله
فهو حسبه وفي هذا المقام الأنبيا والصديقون والأوليا ومن أهل
هذا المقام هم الذين يدخلون الجنة بغير حساب عن أبي هريرة رضي
الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يدخل من أمتي الجنة
سبعون ألفا تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر بغير حساب قيل
من هم يا رسول الله قال هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون وعلى ربهم

منه

يتوكلون الحديث الى آخره ورواه ابن عباس رضي الله عنهما من طريق آخر
ورواه سهل بن سعد ايضا وفيه زيادة عن سهل ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ليدخلن الجنة من امتي سبعون الفا او سبع مائة الف متماسكون
آخذون بعضهم بعضا لا يدخل اولهم حتى يدخل آخرهم وجوههم على صورة
القمر ليلة البدر فاو في قوله او سبع مائة الف يكون بمعنى الواو لان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحدث بالشك فيكون معنى الحديث ليدخلن
الجنة من امتي سبعون الفا وسبع مائة الف واو بمعنى الواو كثير في كلام العرب.
ومنه قوله عز وجل وارسلناه الى مائة الف او يزيدون معناه ويزيدون
وكان قاب قوسين او ادنى معناه وادنى لان الله سبحانه لا يشك عز
عن ذلك وجل وفي هذا المقام قيل لابي بكر رضي الله عنه الا ندعوا
لك طبيبا فقال الطبيب امرضني وقد دخل الله تعالى في هذا المقام
المهاجرين واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجهم من مكة وغيرها
من ديارهم واموالهم فبقوا مع الله سبحانه بلا سبب ناظرين الى ما يجري
عليهم وكذلك كل من هاجر اليه وترك اهله وماله من سائر الاقطار
وخرج بغير شيء وفي هذا المقام يظهر صحة التوكل وصدقه من سقمه
وكذبه وقد يكون في الفيافي والقفار فان الاولياء من خرج عن الامصار
وقطع الاسباب كلها فيخرجون بغير زاد فيسكنون التيه والجبال
وسواحل البحار وهذا لا يحتمله الا الصديق عظيم وولي كريم ولا ينبغي
لاحد ان يتعاطاه الا ان يدخل عليه بغير اختيار او يكون من اهل
القوة فيطرح الكل ويلقي على الله الكل ومنهم من يكون في البلاد
ومع ابناء الجنس وهم الاكثر ولا يضرهم ذلك اذا كانوا صادقين فان
الله سخر الخلق اجمعين وهو حال اهل الصفة وغيرهم وحال المصطفى
والنبيين عليهم السلام كانوا مع الخلق وهم في مقام التوكل مع الله
وهذه المنزلة الثانية من التوكل علامة صحة توكل التارك فيه
السبب التحقق في اخلاص اليقين **واما الضرب** الثالث من هذا
المقام الظاهر فهو الرجوع الى الاسباب بعد الخروج منها كما ذكرناه
انما يرجعهم الله الى الاسباب ليستوي حالهم في اخذ السبب وتركه

ولا يشاهدون في الحالين الا الله وقد درج فيها الصحابة الكرام
والتابعون الاعلام وكانوا يكتسبون ويحتطبون ويعلفون بيوتهم
ولا يشاهدون الا الرزاق الكافي الحافظ ادخلهم الله في الاسباب
قدوة نقتدي بهم رحمة بنا وبالضعفاء امثالنا وقد كان سفين الثوري
وابراهيم بن ادهم من كبار المتوكلين وكانوا يحصدون ويحتطبون البساتين
وكان من الاولياء المتوكلين صناع وتجار وغير ذلك الا انهم شاهدون
يد الوكيل وانقطعت قلوبهم مع الجليل ينظرون تدبيره ويشاهدون
تقديره لعلمهم انه قد فرغ من الامور فهو ينفذها ويسوقها في اوقاتها
الى اهلها من اعطاء او منع او ضر او نفع وهكذا ينبغي ان يكون المتوكل
لا يتوكل ليعجل له مراده ويصنع له اختياره انما يتوكل ليفعل الله ما يشاء
ويحكم والى هذا اشار ابو يزيد رضي الله عنه حين سئل عن حد
التوكل فقال كلاما كثيرا معناه اذا التوكل هو ترك التمييز لبعض
الامور دون بعض فقد افهم المتوكلون في هذا المقام على ضربين
منهم من حفظ وكفي وسلم واعطي مراده ومنهم من قتل وضرب واهلك
وامتحن جوعا كيحيى وابيه عليهما السلام نشر بالمنشار احدهما وقتل
الآخر وضرب محمد صلى الله عليه وسلم وادمي في وجهه ومن الانبياء عليهم
السلام من مات بالجوع والقتل ومن الاولياء كذلك وكاين من نبي قتل
معه ربيون كثير والكل متوكلون قائمون باحكام التوكل وذلك
العمل زائد بهم في كراماتهم ومظهر لمكانتهم ومنهم من حفظ وكفي كالنبي
صلى الله عليه وسلم وقف على راسه رجل من الكفار والسيف في
يده والنبي صلى الله عليه وسلم نائم تحت الشجرة على خلوة ففتح عينيه
فقال له الرجل تخافني فقال لا فقال ما يمنعك مني فقال الله فارتعدت
يده بالسيف ولم يصنع شيئا وولى الرجل وكابرهيم عليه السلام حين
عرض له جبريل في كفة المنجنيق فجاءه السبب للنجاة وهو جبريل عليه
السلام فقال الك حاجة فقال اما اليك فلا فقلنا الله وجعل
النار عليه بردا وسلاما وكهود عليه السلام حين اغري بقومه وحرضهم
على اهلاكه بقوة التوكل فقال فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اني توكلت

على الله فعوقي ولم يقدروا له بشيء لان التوكل كفاه حين لم يشاهد
الا بيد الوكيل قابضة على نواصيهم الا تراه كيف قال ما من دابة
الا هو آخذ بناصيتها كانه قال لهم وانتم من جملة الدواب لا تتحركون
الا بتحريكه ولا تسكنون الا بتسكينه ومثل هذا خاطب نوح عليه السلام
قومه حين اظهر لهم قوة توكله فقال ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري
بآيات الله فعلى الله توكلت فلما اظهر لهم توكله اعزاهم واغضبهم بذكر
آلهتهم فقال فاجمعوا امركم وشركاءكم ثم لا يكن امركم عليكم غمة ثم اقضوا
الي ولا تنظرون فما استطاعوا قتله ولا تعجيزه وفي هذا المقام
سخرت للانبياء والاولياء السباع والهوام ولم يهابوها بل هابتهم لانهم
لا يشاهدون الا المسبب في الاسباب كانت بيد الغير او بايديهم كما قال
تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم فاعلم ان الايدي والاسباب كلها بيده
كالآلة بيد الصانع ان شاء امضى وان شاء صرف فمنهم من يكفى ومنهم من لا
يكفى ومنهم من شفي من مرضه ومنهم من لا يشفى فاستوى عندهم كون السبب
وعدمه فهذا هو التوكل الظاهر في مقام الاسلام

فصل

اعلم ان عقد التوكل وربطه بتصحيح اليقين وصحة اليقين فيه ان يعلم
العبد علم اليقين ان الله سبحانه قدر المقادير وانفذ الحكم والتدبير
فلا يرد ما قدر ولا بد مما حكم به ودبر وان الله سبحانه جل جلاله وتقدست
اسماؤه جعل لكل احد من خلقه رزقا معلوما مكيلا موزونا مسمى باسم
صاحبه لا يتعداه ولا يبرح ابدا الى سواه ثم فصله في تنفيذ المقادير
كما قدره قبل تنفيذه فجزأه على السنين لا يدخل رزق سنة على سنة
اخرى ثم على الشهور لا يدخل رزق شهر على رزق شهر اخر ثم على الجمع
لا يدخل رزق جمعة على رزق جمعة اخرى ثم على الايام لا يدخل رزق
يوم على رزق يوم اخر ثم على الساعات لا يدخل رزق ساعة على ساعة
اخرى ثم على الانفاس لا يدخل رزق نفس على نفس اخر منذ خلق الله
العبد وخرج الى الدنيا وعند اول سقوطه من البطن الى اخر نفس يخرج
من الجسد الروح ولذلك قال الله تعالى الله الذي خلقكم ثم رزقكم
ثم يميتكم ثم يحييكم ففصل الرزق بين بدو الخلقة وتنزل الموت وكل
رزق قدر للعبد عند سقوطه من بطن امه لا يأخذ في النفس الذي
بعده ولا في الساعة التي بعد تلك الساعة ولا في اليوم الذي بعد
ذلك اليوم ولا في الجمعة التي بعد تلك الجمعة ولا في الشهر الذي بعد
ذلك الشهر ولا في السنة التي بعد تلك السنة وهكذا الى باقي
عمره ما قدر للعبد عند طلوع الفجر اتيا له عند طلوع الشمس ولا يتاخر
عنه وما قدر له عند طلوع الشمس اتيا له عند طلوع الفجر لا يتقدم
له ولو طلبه بكل حيلة من في السموات والارض ولو اعانه على الحيلة فيه
اهل السموات والارض فلما علم الموقنون ان الامر هكذا توكلوا على
الوكيل الذي مقاليد الملك كله موكوله مفوضة الى تقديره وسكنت
قلوبهم عن الطلب والتشوف الى غير ما قدر فهم ينتظرون مجاري
الاقدار كما قسمت وجريت على الاعمار والاعمار متصرمة باختلاف الليل
والنهار ولا ينال العبد شيئا من المقدار الا في وقت ربط به ذلك
الشيء المقدر والوقت هو الزمان الذي يتشوفه نفسا بعد نفس وساعة
بعد ساعة ويوما بعد يوم الى انقضاء الاجال والزمان مرتبط بحركات
الافلاك العلوية ربطا لازما لا انفكاك عنه وحركات الافلاك
مرقومة بيد القدرة الازلية رقما لا بد منه لا تنقلت حركة واحدة عن
ذلك الرقم ولا تخرج عنه وخزائن الارزاق في جميع الافاق بيد
الرزاق هو مجري الانفاق ولا يخاف الاملاق قل لو انتم تملكون
خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق الاية ولله خزائن السموات
والارض ولكن المنافقين لا يفقهون فمن شهد بنور اليقين ملك البارئ
وزمة الاشياء علم انه وحده ينفق كيف يشاء وايقن ان لا يخرج ذرة
من يده فما فوقها الا بمشيئته فوض الامر الى الوكيل اليه واستسلم لما قدر
واجرى عليه فحينئذ يكون حال المتوكل ترك التدبير ومشاهدة
التقدير فيصح يقينه وتصفو ايمانه ويستوي عنده منعه وعطاؤه
فانهم لا يعني يستوي المنع والعطاء عند اهل الصفا

فصل

واما المقام الثاني من التوكل في مقام الايمان فهو التوكل في امور الاخرة
كلها ولا يكون الا بسبب وترك السبب فيه معصية وكفران وبدعة

واسباب هذا المقام هي وظائف الدين وشرائع المرسلين لا يتركها
الا زنديق مارق ولا يطرح اسبابها الا مبتدع او فاجر فاسق بل قد حتم
الله على نفسه ان لا يعطي الآخرة الا بسبب واسبابها الايمان والتوحيد
والصلوات والزكوات والذكر والصيام والحج وغير ذلك من امور الدين
ظاهرا وباطنا وقد استشار الصحابة رضوان الله عليهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم في هذا التوكل الاخروي بغير سبب فمنعهم ذلك وورد في
الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان في جنازة فجعل ينكت في
الارض فقال ما منكم من احد الا وقد كتب مقعده من النار او الجنة قالوا
يا رسول الله افلا نتكل فقال لا اعملوا فكل ميسر لما خلق له ثم قرا فاما
من اعطى واتقى الآيتين **وروى** ابن عباس رضي الله عنهما قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم صنفان من امتي ليس لهما في الاسلام نصيب
المرجئة والقدرية والمرجئة هم الذين تتكل على ما سبق ولا ترى العمل
ولا تعمل فشاركت القدرية في شركها حيث اشركت وانما تنال المنافع الاخروية
وينجى من اهوالها ومضراتها بالتوحيد والاخلاص في الاعمال مع التوكل
على الله وترك التعويل على الاسباب والنظر اليها لان العمل خلق من جملة
المخلوقات فلا يعتمد في المخلوقات انها لا تنفع ولا تضر كذلك في
الاعمال **وهذا** معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم لن يدخل الجنة احدا
منكم عمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله
برحمة منه وفضل وقد قال الله عز وجل ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون
واورثتموها بما كنتم تعملون وانما تجزون ما كنتم تعملون وانما معنى
هذه الآيات من اعطيته ايمانا وعملا ووفقته اليه فقد اعطيته براءة
يأتي بها فانجيه وادخله الجنة لا ان العمل هو المنجي والنافع واذا
اعتقد العامل ذلك في اعماله وتوكل عليها دخله العجب والفساد
وانما ينتفع بكثرة التوحيد فيها والتبري منها والتوكل على الله لغيرها
وتم لك الامر الله نبيه صلى الله عليه وسلم فقال تعالى ولله غيب السموات
والارض واليه يرجع الامر كله فاعبده فامره بالعبادة ثم قال وتوكل
عليه لا على عبادتك وكذلك امره بقيام الليل فقال تعالى يا ايها

مطلب دفع تعارض

المزمل قم الليل وامره بترتيل القرآن فقال ورتل القرآن ترتيلا
وامره بالذكر والانقطاع فقال واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا اي
انقطع اليه ثم قال له بعد ذلك فاتخذه وكيلا اي توكل عليه لا على
عبادتك وتلاوتك ولا ذكرك ولا انقطاعك فيعمل العبد ويتوكل على
خالقه اذ يحفظه في عمله ويحفظه في ايمانه من الخلل والزيغ وفي
تثبيته وفي ادامته وفي حسن الخاتمة والثبات في زلزال الموت الذي
لا تثبت له الجبال الرواسي ومن فوا ليتنبه ذلك المقام وفي القبر
والمسائلة والنجاة منه وتسهيل امور الآخرة واهوال الآخرة كلها وزلات
الصراط وشدائد الحساب والميزان ودخول النار والنجاة منها فان
الكل بيده وهو المنجي منها وفي دخول الجنة ونيل السعادة فيعمل العبد
ويتضرع اليه في كل الاوقات في ذلك ويتوكل عليه وحده لا سواه

فصل واما المقام الثالث من التوكل في مقام الاحسان
فهو التوكل عليه في نيل القرب منه والقربة وهو توحيد محض واعتماد
عليه لا حرف لعله يجذب العبد جذبة فيفنيه عن نفسه وعن توكله
ويكرمه بالانس به والنظر به سبحانه وهذا هو توكل الهمم الرفيعة
والعقول الراجحة السامية **اسباب** هذا المقام تصفية الاسرار
من جميع الاغيار وسياحة العقول في طرق الافكار وملازمة الاذكار
في اوقات الليل والنهار مع الخروج بالتوكل عن جميع ذلك وعن التوكل
بل ينظر الى عين الجود والمنة ويتعرض لنفحات الرحمة غير معتمد على الاسباب
مع كثرة الاجتهاد ولو بتقطع الاكباد وذلك من اجل ان الرب جل جلاله
رفيع القدر عظيم الخطر فلو تلفت كل الارواح فيه لكان يسيرا ولو
بذلت المهج كلها فاهلكت عليه لكان نزرا حقيرا ولو تقرب العبد اليه
بجميع انواع عبادة العالمين لكان قليلا ولا ينال ان يتملك الاسباب
يستحق معنى من معاني التجلي الكريم فان ذلك المعنى المتجلي منه لا يقابل
قدر قيمته بشيء ولا يعرف له قيمة ولا قدر لرفعته وعظيم خطره فكيف
ينال بالسعايات تعرض للنفحات فان جذب سر عبد من هؤلاء المذكورين
نفسا واحدا واعطاه منه معنى من معاني المقربين فقد اعطاه

مطلب العمل والتوكل

توكل الهمم الرفيعة

بل السعايات

ما لم يعط احدا من العالمين ولا يقومون بشكره لك ابد الابدين فتوكل
على الله ان الله يحب المتوكلين ومن احبه فقد جذبه ومن جذبه
نفر غيره وقطعه وسبقه اكرمه فعند ذلك كان كافيه وحسبه من سواه
فلا يريدون ولا يطلبون الا اياه لا يريدون به بدلا ولا يبغون عنه حولا
ارسل ذو النون وسادة الى ابي يزيد يتوكا عليها فقال ابو يزيد
رحمه الله لنا يغنينا قل لاخي ذي النون من كان اتكاوه على الحق لا يحتاج
الى وسادة فقال ذو النون هنيئا له هذا توكل عليه له وبه لا يطيق
حمل ذلك الا المحمولون في توكلهم بمولاهم لا بانفسهم ذلك فضل الله
يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

فصل

قال الله
تعالى والذين امنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا الى قوله
تعالى الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون فنعتهم بالصبر والتوكل تقول
العرب بوات الرجل منزلا واباته انزلته منزلا والغرفة بلسان
العرب العلية فدلت الاية ان اهل الصبر والتوكل هم اهل عليين
سكانهم المنازل الرفيعة كذلك هم في الدنيا ساكنون في المقامات
العالية بالصبر مع الله والتوكل عليه اجسامهم في الارض وبواطنهم عند
الوكيل ساكنون عنده في عليين بالصبر الصبر هو الثبات فكان ثوابهم
في الاخرة على حسب احوالهم جزاء وفاقا لانهم صبروا عن الدنيا السافلة
وارتفعوا الى مولاهم بالهمم العالية

فصل

قال الله
تعالى في ابليس نعوذ بالله منه ومن حزبه انه ليس له سلطان على الذين
امنوا وعلى ربهم يتوكلون اخبر في هذه الاية ان المؤمنين اهل التوكل
خرجوا عن مملكة ابليس وسلطنته وولايته وانما خرجوا عن ذلك
بفضل الله وبرفع الهمم الى الله وسكناهم في مقامات الايمان في التوكل
على الوكيل ومقامات الايمان درجات ومنازل في عليين عند العلي
الاعلى والدنيا هي مملكة ابليس فيها ينزل بسلطانه اهلها فالخارج
عن مملكته وسلطانه لا يحدها ولي الا عند العلي الاعلى لانه فار من
مملكة العدو السفلي ومساكنه هالاخ الدنيا وما لاخ العقبى في
الغرفات والدرجات العلى وهذا الكلام يدل على انهم اول من يدخل

مطلب الدنيا مملكة ابليس

الجنة

الجنة لان الجنة هي في العلا وسقفها عرش الرحمن سبحانه فاذا قاموا
من قبورهم بالبعث قاموا الى قصورهم بلا حساب وكذلك كانوا في
الدنيا قاموا بارواحهم من هذا العالم الخسيس الدنياوي ومن قبور الاجساد
الى عليين فدخلوا الملكوت والناس خارجون عنه مشغولون بالدنيا
مكبون عليها فوجدوا روح اليقين ولذة النعيم بالله والدار الاخرة
وورد في الخبر ان قلوب الاغنياء لا تدخل ملكوت السموات وفي الخبر ايضا
عن الله تعالى ان القلوب المعلقة بالشهوات محجوبة عني فهم اول
من يدخل الجنة في الدنيا بالمعنى وهم اول من يدخلها حقيقة في العقبى
مصداق ما اوضحناه ما اخرجه ابو هريرة رضي الله عنه في الصحيح ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يدخل الجنة من امتي سبعون الفا
تضيء وجوههم اضاءة القمر ليلة البدر بغير حساب قيل من هم يا رسول
الله قال هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون فاذا
دخلوها بغير حساب بقي العفو في الحساب والجزاء يكتوون بنار جهنم وما
وحرارة الحساب والسوال عن الاموال وكي الجنوب والجباه والظهور
على ترك انفاقها في سبيل الخير التي هي سبيل الله وعلى الاستناد والتوكل
والاعتماد عليها دون الله ويسترقون بالتعوذ من مفزعات اهوال
يوم القيمة التي لا تفزع مثلها ويتطيرون بالدنيا المشومة عليهم
القاطعة لهم عن الراحة من العذاب والحساب والفوز بمنازل اهل
الاقتراب ولذلك جاء في الحديث المتقدم حين سئل عن السابقين
الى الجنة فقال هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون وفي بعض الاحاديث
ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون وفي هذا الحديث ان عكاشة سأله
ان يكون منهم فقال له انت منهم وسأله اخر فقال له سبقك بها عكاشة
فشهد لعكاشة بالسبق والسابقون السابقون اولئك المقربون
هم اهل عليين

فصل

فاما اضاءة وجوههم كالاقمار
فان ذلك ثواب ترك نظرهم وتوجههم الى العالم الارضي المظلم الدنيا
ونظرهم الى العالم النوراني الاخراوي بالاقبال على الله والدار الاخرة
النورانية والرغبة فيها والاعراض عن الدنيا المظلمة والهروب عنها

وكانوا نورانيين في اكمل حسن وجمال وعلى قدر تلبس الانسان بالدنيا واقباله عليها يكون اظلامه وينقص حسنه وجماله فان زاد ظلمه زاد قبحه وظلامه الظلم ظلمات والظلم انما يكون ويتولد من حب الدنيا كما ورد في الخبر حب الدنيا راس كل خطية واقل الظلم ان يبخس الانسان نفسه وينقصها من درجة الكمال والكمال هو الاقبال على الله والدار الاخرة وترك التلبس بامور الدنيا والتجرد منها فان التلبس لباس لها واللباس ستر وحجاب والحجاب ظلمة والتجرد عنها كشف ووضوح ونور فالنبي صلى الله عليه وسلم انا النذير العريان اي المتجرد عن الاسباب الحاجبة المظلمة المستغرق في طلب الله والدار الاخرة ولظاهر هذا الحديث معنى ليس هذا موضع تفسيره وانما فسرناه الحقيقة التي تليق بهذا الباب فافهم واعظم الظلم الشرك ان الشرك لظلم عظيم والشرك جلي وخفي والمعاصي المتولدة من حب الدنيا التي هي راس كل خطية ظلم وظلام ونكت سود في القلوب والارواح والنفوس والاشباح ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون فاكمل الناس جمالا واحسنهم وجها وجمالا اهل الاعراض عن العالم الدنيا واهل الارض الذي فيه ظلم الخلق كلهم انفسهم فاظلمت ذواتهم وقبحت احوالهم وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون وفي الخبر ان فقيرا من اهل الصفة مات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يبعث يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ولولا خصلة كانت فيه لبعث ووجهه كالشمس الضاحية ثم فصل الخصلة فقال انه كان يدخر حلة الشتاء الى الصيف وحلة الصيف الى الشتاء فانظر ما نقص من جماله نظره وتدبيره لصيفه وشتائه واما دخولهم الجنة بغير حساب فانهم لم يكن لهم فضول اموال يحاسبون عليها وما كانوا مقبلين على الدنيا منافسين فيها بل كانوا متوكلين على الله وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم معنى ذلك حين سئل فقال هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فاما قوله لا يكتوون فله حق وحقيقة وظاهر وباطن فظاهره انهم لما توكلوا على الله وتركوا فضول الاسباب الشاغلة ربما دخل عليهم الضر والامراض في اجسامهم فلم يبالغوا في الطب توكلا

على

على الطبيب الرب والمبالغة في اخذ الاسباب نزول عن التوكل على خالق الاسباب واخر الطب الكي واما حقيقته وباطنه فان الكي بالحقيقة انما هو بنا رجهنم قال الله تعالى يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون واهل التوكل لم يكن لهم فضول اموال يستندون اليها ويتوكلون عليها ويشرفون بجباههم بالنظر فيها فيظلمون ويمنعوا الحقوق فتكوى ذواتهم بها ويقفون على المحاسبة والسؤال على فضول الاموال فيلتوون بطول الوقوف وحرارة المحاسبة واما قوله ولا يسترقون يقول رقيت الرجل رقية عوذته عوذة والعوذة والمعاذة ما يعوذ بها الانسان من فزع ودخلت التاء في قوله يسترقون للمبالغة في طلب الرقا يسترقون اي يستعملون الرقا وذلك كثير واهل التوكل اهل قوة وشجاعة بالله وعزة به قال الله تعالى في وصفهم الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فهم خاضوا الغمرات بتوكلهم فلا يجزعون من المفزعات ولا يخافون الاهوال لانهم في كل الحالات فربما دخل عليهم المرض فتركوا التداوي وان تداووا لم يبالغوا في اخذ الاسباب نظرا الى المسبب والفزع من الاسباب شرك خفي لقد قال بعضهم اني لاستحيي ان اخاف مع الله غيره فكان توانيهم على ذلك في المآل الامن من مفزعات جميع الاهوال لا سيما من ترك الاسباب وتوكل تحركت عليه اسباب الفزع الدنيا وتيه وترك الفزع والتبلغ من امور الدنيا كلها محمود في غاية الحسن واما قوله صلى الله عليه وسلم ولا يتطيرون التطير التشاؤم فلا يتشاؤمون بالاشياء فان ذلك نقص في التوكل بل هم ناظرون بتوكلهم الى المقدور فلا يتسخطون مقادير الباري واذا اصابهم ما يكرهون في طريق الله سبحانه فان الهم ذلك السعد الكامل فليس لهم في الاخرة سبب يتشاءمون به ولا يتطيرون اذ لم يكن عليهم شيء مشؤوما كما كانت الدنيا المشؤومة على اهلها القاطعة لهم عن سعد اهل التوكل والمنحوس هو المشؤوم والمتطير من تحسنه الاسباب وقطعته عن منازل الاحباب واما قوله صلى الله عليه وسلم وعلى ربهم يتوكلون فان المتوكل مستند متوكل على الوكيل في جميع اموره في الدنيا

مطلب اقل الظلم

مطلب اكمل الناس

تا ورثنه ذلك فالعقبى لهم اتكا على الارائك وفي منازل عليين والعيوب في
مقامات الحساب اوفي العذاب على سوء الاكتساب ولصورة اتكائهم
في عليين على الارائك شرح طويل وسر عظيم جليل لا يحتمل هذا المختصر
كشفه نفعنا الله بهم وبزهدهم امين وصلى الله على محمد النبي واله وصحبه وسلم
الشعبة السادسة والاربعون الرضى اما كون
الرضى من الايمان فلا يحتاج الى استشهاد عليه فانه من رضي بالله ربا
فقد وجد للايمان طعما وورد عن الله سبحانه من لم يرض بقضائي
فليتخذ ربا سوائي فامره بالخروج من الايمان وقال النبي صلى الله عليه
وسلم للوفد ما انتم قالوا مؤمنون فقال ما علامة ايمانكم فقالوا
نصبر عند البلا ونشكر عند الرخا ونرضى بمواقع القضا فقال بعده
تمام علامتهم مؤمنون ورب الكعبة والشواهد عليه لا تنحصر انتهى

فصل اعلم ان حد الرضى ارادة مقترنة بطيب وسرور
في الموافق الملايم وارادة مقترنة بنفي السخط والكراهة في المولم
غير الموافق وليس بارادة مطلقة كما ان السخط الذي هو ضد الرضى
كراهة للشي مقترنة بارادة غيره فالرضى اختيار العبد ما اختار الله
مع وجود السرور في الموافق او عدم السخط والكراهة في غير الموافق للطبع
وتفسير ذلك انا لا يريد العبد الا ما اراد الله منه شرعا فمعنى الرضى
الاسترسال مع الله فيما يريد قال الله تعالى وربك يخلق ما يشا ويختار
ما كان لهم الخيرة فنفى عنهم الخيرة وما كان لمومن ولا مومنة اذا قضى
الله ورسوله امرا ان تكون لهم الخيرة من امرهم فنفى ان تكون لهم الخيرة
من امرهم وقال فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا
في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما فهذا هو الرضى فافهمه والرضى
ثابت واسع يجري في كل شي كما ان القضا حكمه نافذ جار على كل شي وليس
يشذ عنه شي في الظاهر والباطن الا شي واحد بوجه ما وليس من كل وجه
وهو العصيان للرب تبارك وتعالى والكفر به ظاهرا وباطنا لان من
رضي بالشرك والكفر والبدع والعصيان منه او من غيره فقد انخلع من
الدين وليس في شي من المومنين وانما يجب الرضى بذلك من حيث هو تدبير

مطلب سر الرضى

الله وقضاؤه في خلقه فيرضى عن الله فيه قضا وتدبيرا وحكما وتقديرا
ولا يرضى به من المخلوق العبد بل يبغض عليه ويعادي نفسه وغيره
ويقاتل ويقتل ويامر بالمعروف وينهى عن المنكر كما امر الله جل جلاله

فصل اعلم ان الرضى على ثلاثة اقسام على عدد
مقامات الاسلام والايمان والاحسان فاما القسم الاول في مقام
الاسلام فهو الرضى عن الله فيما قدر وقضى واجرى على العبد وعلى جميع
الخلق في عالم الحس والشهادة وهو عالم الدنيا من قضاياه الدنياوية
وما شرع لهم من شرايعه الدينية فيرضى بما قسم الله له من الدنيا والعيش
فان ذلك ينفي عنه افات الحسد وجميع المهلكات ويرضى بما اجري عليه
وعلى غيره من البلايا والمصايب فان هذا موضع الرضى لانه ابتلا والبلا
مولم للطبع وذلك قضا الله وقدره في الاموال والابدان فلا يقول
ما لا يرضي الرب ولا يسخط ذلك بقلبه ويتطلع الى ثواب الله في الاخرة
فان ذلك يعين على الرضى فان وجد الالم في ذلك كله فان الالم لا يخرج
من الرضى لانه طبع البشر فان سخط ذلك كله وتكلم بسوء فقد خرج من الرضى
ومن سخط فله السخط قال النبي صلى الله عليه وسلم تدمع العين ويحزن القلب
ولا نقول الا ما يرضي الرب وان كان القضا موافقا للطبع من صحة
وغنى وانس بالاهلين وغير ذلك فالرضى في هذا النوع ان ينظر العبد
ما اراد الله منه في صحته وماله وعوافيه فليرد ذلك ويمتثله ويترك
هواه لمراد الله فان الرضى كما تقدم اختيار ما اختار الله وهذا هو ترك
مراد العبد فافهم واما امور الدين الشرعية الظاهرة فان الله تعالى
يقول ورضيت لكم الاسلام دينا فيرضى العبد جميع امور الدين على اختلاف
انواعها ويطيب نفسه بقبولها وامتثال فرايضها وفضايلها وامور الدين
وان كثرت فلا تخلوا من امر ونهي والباري سبحانه قد رضي بامتثال المامور
ورضي بترك المنهي وجعل ذلك دينا لنا وامرنا ان نرضى به فنطيب
انفسنا بالامتثال والترك في المامور والمنهي عنه على وفق رضاه فاذا
فعل العبد ذلك بطيب نفس فقد رضي عن الله جل جلاله وهذا اشد شيد
على النفس التي عيشها بالهوى لا يقدر عليه الا الصديقون فليستعن

بطيب نفس وسرور

العبد على عبادة الله بالرضى ما استطاع كما قال النبي صلى الله عليه وسلم
لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما اعبد الله في الرضى فان لم تستطع فان العمل بالرضى
اعلا المقامات والرضى لا يسلم منه راحة الا من رزقنا برضا الله تعالى كما
اوحى الله سبحانه الى موسى عليه السلام ان رضاي في رضاك بقضائي وهذا
هو ذبح النفس لانه مخالفة الهوى فليستعمل العبد في ذلك النظر
الى جمال دين الاسلام وحسن فرائضه وفضائله حتى يتبين جمالها وحسنها
لعقله فيرضى بها ويجتنب زهدها وينظر في قبح الكفر والمعاصي حتى يتبين
له قبحها فيرضى بتركها او ترى كيف لم يرض الله الا بالاحسن والافضل
ولم يرض له بقبح المخالفات وما يورث المهلكات ولو علم الله سبحانه دينا
اجمل واحسن من دين الاسلام لارتضاه لنفسه فدينه الذي ارتضاه
هو دين الاسلام بامتثال فرائضه وفضائله واجتناب نواهيه فليعبد
العبد ربه سبحانه بالنشاط وطيب النفس ما استطاع وليأخذ من
الاوامر ما استطاع فان الله سبحانه وتعالى يقول ولا تقتلوا انفسكم
ان الله كان بكم رحيما وليترك جميع المناهي وليخالف الهوى فان في ذلك
رضى الله سبحانه وتعالى ومخالفة الهوى هو ترك المنى فاذا تركت
النفس الهوى طاب عيش العبد بوجود لذة الطاعات ووجد فيها
نشاط الرضى وسروره فقد عم الرضى جميع الامور الحسية في عالم الحس
ومقام الاسلام فان القضايا في عالم الحس في الشهادة لا تخلو عن
اربعة انواع مأمورات ومنهيات وهي الدينية وعوائق ونعم موافقة
للطبع وبلايا وقضايا بمعقولة فاذا استعمل العبد في جميع ذلك رضوان
الله فقد عمل بالرضى اعاننا الله واياكم على ما يحب ويرضى بمنه وفضله

فصل واما المقام الثاني من الرضى في عالم الغيب ومقام
الايمان فلينظر العاقل الى عالم الاخرة بايمانه وينظر الى عالم الدنيا
فلا يرضى بالانصراف الى الدنيا فقد عاب الله سبحانه ذلك في كتابه وذكره
فقال ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمانوا بها
والذين هم عن اياتنا غافلون المعنى الى اخره وليطلب العبد معالي
الاخلاق فيتصف بالطفها وليترك سفسافها فان الله يرضى معالي

الاخلاق ولا يرضى سفسافها ويرضى الايمان المتصف به القلب الباطن
ولا يرضى الكفر قال الله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر وينظر الى القضايا
الاخراوية فيرضى بما يجري الله منها عليه وعلى العباد كلهم ولا يكون
من الذين خاصموا الله عز وجل في احكامه واعترضوا عليه في قضائه
حتى غاب عنهم حسن تقديره واتقان صنعه فقالوا اذا قدر الله
علينا المعصية وعذبنا عليها فقد اساء وظلمنا فهربوا من ذلك وقالوا
ان الشر من العباد ولا من الذين قالوا الواجب على الله ان يعمل لعباده الاصلح
والا لطف وغير ذلك من اقوال الزائغين والمارقين الذين لم يستحسنوا
قضاء الله ولم يرضوه فاعترضوا عليه وخاصموه في افعاله واحكامه
وكالروافض الذين لم يرضوا بخلافة الصحابة واعترضوا عليهم ونسبوا
اليهم ما لا يليق بهم فغار فؤادهم وكانوا اشيعا فالرضى عن الله في احكام
الاخرة من انعام واهلاك ودفع وخفض في جميع ما يجري فينا على العباد
واجب كاحكام هذه الدار سواء والى هذا المعنى اشار بعض العارفين
حين قال ارجو ان اكون عرفت طرفا من الرضى لو ادخلني النار لكنت
بذلك راضيا وانما عنى هذا العارف لو ادخله النار بغير ذنب لرضي
بذلك موافقة لمراد مولاه والبارئ سبحانه لا يدخل النار احدا الا
باستحقاق وجزاء لذنب ارتكبه ولا يوقفه موقفا من الحساب ولا
يشهده هولا من الاهوال في الاخرة الا جزاء لعمل عمله او ذنب ارتكبه
ولو ادخل الله الملائكة العباد كلهم جهنم وصب عليهم انواع العذاب
وهم براء لم يواقعوا ذنبا ولا قارفوا عيبا لكان واجبا على الكل
الرضى بذلك فانه اهل ان يرضى عنه ولا يعترض عليه اذ الملك ملكه
يحكم ما يريد ويفعل ما يشاء وانما كان يحسن الاعتراض عليه والسخط
لافعاله لو كان معه اله اخر يكون قدره كقدره وملكه كملكه فيتعدى
الى ملك غيره فيصب على اهله عذابه ويجري عليهم انكاله وفي هذه
المنزلة انزل اهل الاهواء انفسهم حين خاصموه وجوروه نسال الله
العصمة فالرضى واجب عن الله في جميع الاقضية في كل الاكوان لان قضا
حسن جميل من حيث اوجده هو فكان في غاية الاستحسان لانه

تنتفي اسمائه الحسنى قال الله تعالى الله خالق كل شيء وقال تعالى الذي
احسن كل شيء خلقه فلم يخل عن الحسن شيء لان الاشيا كلها مقتضى اسمائه
الحسنى ومعنى صفاته العلى واعلم ان الله تعالى لو اعطى لواحد من الخلق
من العقل وحسن التدبير مثل ما اعطى لجميع العالمين ثم اعطى لكل واحد
من الخلق مثل ما اعطى لذلك الشخص وزادهم اضعافا مضاعفة حتى
تنتهي عقولهم الى مرتبة لا يجدون وراها مزيدا من العقل ثم قال لجميعهم
انظروا هل ترون في تدبير الملك من شين او نقص منه شيء من الحسن ٥
والزين وهل نفيد اهل هذا التقدير فيزال ويعاد غير هذا ٥
التدبير لفنيت جميع العقول وقد خالطها الذهول • وقالت سبحانك
انت كما تقول وفوق ما تقول • لا تدبير الا تدبيرك الاحسن • ولا تقدير
الا تقديرك الاتقن • وهل هذا التقدير الا مقدور قدرتك • وهل
هذا التدبير الا تدبير علمك ونظرك • لا ينفذ ولا يظهر الا ما علمت
قبل الاكوان • ولا النظر اعليك نظرا اخر فتستفيد به علما اخر الآن
فلا تقتضي نقصا الا في نهاية الحسن والاستحسان • نحن لا نجد في صنعك
من فطور وقد انقلب البصر من حسن تدبيرك خاسئا وهو حسير • وكل ما
اظهرت او تظهر ابدا ومحو وتثبت دائما سرمدا • لا يجوز تبديله • ولا
يحسن تحويله • اذ لا يبدل القول لديك ولا اعتراض لخلق عليك .
قال النبي صلى الله عليه وسلم واعلم ان ما اصابك لم يكن ليخطيك وما
اخطاك لم يكن ليصيبك وكل موجود ظهر في اي حين ظهر على اي وجه
ظهر كذلك علمه ربنا وعلم انه لا يظهر الا في ذلك الحين والوقت على
تلك الصورة والهيئة فان كان يجوز ان ينقلب معلومه عما علم فبيس
القول ممن قاله وبيس ما زعم والرب سبحانه عالم بكل شيء وبكل وجه من
وجوه التدبير والتقدير فاذا اظهر موجودا في اي حال ظهر واجرى عليه
قضا اي شيء كان ثم بدله او غيره عما كان واظهره في وجه اخر وصورة
اخرى ولو اظهره في وجوه لا تحصى فكذلك علمه وليس منها وجه ولا
صورة الا في غاية الحسن ونهاية الجمال لا يجوز ان يقال لو كانت في
غير هذه الصورة لكانت احسن ومن يزعم ذلك فانما معنى قوله لو كان

الامر الى الصفة احسن مما صنع الله وقد عابا القران فساد رأيهم في قوله
تعالى لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا هاهنا فاذا شهد العبد حسن التقدير
وكمال التدبير في ظاهر العالم وباطنه رضي بقضا الله عليه وعلى جميع الخلق
مقرونا بطيب النفس في الموافق ونفي التسخط والاعتراض في المولم ولم يكلف
العبد ان لا يجد للالم طعما امن الله علينا وعليكم باليسر والعافية في جميع
امور الدنيا والاخرة امين وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم

فصل واما القسم الثالث من الرضى فمقام الاحسان
وهو الرضى بالله ربا ولا يرضى بسواه كبر او صغر معبودا لانه اهل ان يرضى به
وليس سواه اهلا للرضى به ربا وفي هذا المقام ارتياح الارواح واستنشاق
نسيم القرب بالارتياح فان العبيد يفتخرون وتطيب نفوسهم ويتيهون
اذا كان مواليهم عظما الاقدار وهم مكانة وجاه وكانوا من ذوي الاخطار
مع انهم كلهم عبيد مخلوقون فكيف بمن كان مولاه سيد العالمين وملك الخلق
اجمعين وهذا المقام من اقيمه طاب عيشه وصفى من كدر نعيمه اذا نظر
الى قدر مولاه طار قلبه وروحه رضى به وفرحا وينظر الى نفسه وقدرها
وخستها والجسد وقذارته وقلبه ونزارته فلا يرضى نفسه ولا
يراها اهلا للقرب من عبادته وخدمته ولا شانه لجرية الاذكار عليه
ولا انتسابه للخدمة من اجل ما هو مولاه عليه من الرفعة والعز لان
المولى العظيم لا يرضى للقرب منه الا ما يليق بها ما رضي لان الرضى
من العبد عن الرضى من الرب والرب راض لا يقرب الا مرتضى ومصطفى
ومنتقى فلولا استرواح الراضين الى التوبة مع الساعات لذابوا من
الحيا اذا نظروا الى قدره وقدرهم وييبسوا من شمة واحدة من الرضى
ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جلالة قدره يتوب في اليوم
مائة مرة من روية التقصير في حق ربه عز وجل فكيف بسواه ولكن
الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه العزيز رضي الله عنهم لقد رضي الله
عن المومنين فطمع الخلق في الرضى لانه سبحانه عنده من التجاوز وكريم الصفح
وحسن العفو والاخلاق على قدر ما عنده من الرفعة وجلالة القدر
فيطيب عيشهم بتحلي تلك المعاني الكرام ويقربهم ويكرمهم فيزيد

رضاهم ويعلمون ان الله قد رضيهم للايمان به ورضيه لهم وادخلهم في دين
الاسلام وشرح صدورهم له ودعاهم الى نفسه والى التقرب منه فيعلمون
انه قد اصطفاهم واختارهم والاصطفا والاختيار هو الرضى بهم منه ٥
جل وعلا فعند ذلك تسارعوا الى مرضاته ووجدوا طعم الايمان به
حين رضي بهم عبيدا ورضوا به ربا وهاهنا تظهر للعقل والروح من
مقام الاحسان من الرضى العجب العجاب فيقول ليس العجب من رضى الراضي
بك وعنك لانك اهل ان يرضى به وعنه وانما العجب من رضاك بي وعني
وانا احقر واقل من ان اصلح لشي مما اهلتني له الا بفضلك فتاج السرور
به وطرب الروح ولا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين فاذا نظروا اليه
في هذا المقام تبسمت قلوبهم فرحا به وسرورا بوجوده فيقولون الحمد لله
الذي كان ربنا على ما هو عليه من الرفعة والكمال فينتهي رضاهم به حين
اعطاهم سولهم منه وانتهت امانيهم به لان انتهاها السول والامنية
هو حصول المراد على تم وجوه التمني فلا يرى له يريد به بدلا ولا يبغي عنه
في هذا المقام حولا فرضوا به ورضوا عنه في جميع اقضيته فكانوا مع
مراده كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف يشا وقال بعض العارفين
العارف سره واقف كالماء في البير ان حرك تحرك وان ترك ترك ساكنا
فان قلت كيف هذا والماء والميت لا ارادة له وللعبد ارادة قد يجب
بها فاعلم ان مراد الله الذي هو رضاه قد ظهر في العلم الذي انزل وثبت
على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فينظر العبد ما رضي الله من المؤمنين
والمومنين فيتمثله فيزول مراد العبد وهواه وكان متحركا ساكنا بارادة
الله وابين من ذلك ان تعلم ان مقتضى الارادة القديمة على نوعين
مراد كوني ومراد شرعي فمراد الشرع هو الرضى فاذا استرسل العبد مع
مراد الله الشرعي في جميع اموره لم يبق له ارادة فافهم نسأل الله بنا وبكم
سبل العافية في الدنيا والاخرة بكرمه امين وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى اله وصحبه وسلم

الشعبة السابعة والاربعون

الخوف اما كون الخوف من الايمان فبين جدا لقوله تعالى وخافون ان كنتم
مؤمنين فجعله شرطا لوجود الايمان ولان الخوف في نفسه تصديق بالواقع

المخوف المنتظر ولانه ضد الامن ولا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون
واما ضده العدم الخوف الذي هو تحقيق الايمان ومن فاته التحقيق
كيف ينتفع بالتصديق

فصل

اعلم ان الخوف من اعظم ٥
شعب الايمان لانه بالخوف تكون التقوى والورع اللذان بهما ترك
المخالفات والمحذورات وبه يكون الزهد والخشوع والاخبات والانكسار
والفقر وغير ذلك من امتثال الطاعات فهو اصل لكل فضيلة اخراوية
وله اسامي كثيرة فمن اساميه الجزع والفزع والوجل والخشية والاشفاق
والحذر والرعب والهيبة والرهب والذعر وغير ذلك والاسم العلم له
الخوف فمن اساميه ما يبين حده ومعناه لان بعضها يفسر بعضا وهو
عام في جميع الاشيا وينقسم على ثلاثة اقسام خوف في مقام الاسلام
وعالم الحس وخوف في مقام الايمان وعالم الغيب والدار الاخرة وخوف
في مقام الاحسان عن الاسما والصفات المخوفة ومقام الخوف يقتضي
ثلاثة اشيا خائف وهو العبد وخوف وهو حال العبد ومخوف وهو
الشي المهوب والمخوف منه فاما الخوف الاول في عالم الحس والاسلام
فان الامور الحسية دينية ودنياوية والدينية امر ونهي فاذا خاف
العبد العقوبة على المنهي عنه تركه مثال ذلك اذا فتح عينيه ووقع
نظره على امراة حسنا او شخص حسن يحرم عليه فان خاف وغض كما امره
وحذر سلم من الخوف من فتنتها وان لم يخف ولم يغض طرفه جذبته حتى
تلقيه في المهالك وان عدمت من الخوف وقعت معه في العصيان
والخذلان وهكذا في جميع المنهيات واذا خاف فوتا للمامور به وخاف
العتاب على تركه امتثله وشمر في طلبه واذا خاف فوت منازل العلم
طلبه هذا حاله في كل مامور به او منهي عنه **واما** الامور الدنياوية
فان الله تعالى خلق الدنيا وملاها فتنا اختبارا لنا ثم حذرنا منها
كما قال تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا
وقال انما اموالكم واولادكم فتنة وجعلنا بعضكم لبعض فتنة وقال
تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم والحذر هو الخوف
وكل عدو او قاطع مخوف بلا شك والدنيا اعدا عدو واعظم قاطع ٥

وفاتن فاذا خافها العبد وكان فيها ومنها على حذر امن سنتها
اياته وحاله والكيس الخالق من كان منها على مثل حد السنان فلا يامنها
ولما امنها الخلق واطمانوا بها ولم يخافوا فوتها او فتنتهم فيما وتعوا
فيه **قال** النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا الدنيا واتقوا النسا
والمتقون هو الخوف فامر بالخوف من الدنيا والنسا وقال من اتى باب
السلطان افتتن فحذر من الفتنة فاذا كان الانسان خايفا من
الفتنة المملوة منها الدنيا وراى انه لابد له من مشاهدتها في اخذ
منها ما لابد له منه من تجارة او صناعة وغير ذلك اخذه كما امره الله
تعالى والخوف ملازم له يحجزه خوفه عن جميع المحذورات والفتن
ويحمله على الورع والزهد والعزلة والقناعة من الناس وعلى الصمت
طلبا للسلامة وغير ذلك مما لا يحصى وكذلك ايضا يخاف جوارحه
ان تعطبه فيخاف لسانه كما يخاف السبع والكلب ويخاف عينه واذنه
ويده ورجله وجميع الجوارح اذ يوذي نفسه بها او يوذي الخلق فان
اطمان اليها ولم يخفها ومنه ايضا في المهالك ومن كان هكذا كان غريبا
في الدنيا بين اهل الدنيا وبين الخلق وهو المجاهد في ارض العدو لا يستغني عن
الحرس واحشا متوحشا لا يطمين ولا يانس الا من كان خايفا مثله ومن
يجد المزيد معه من الخلق او دنيا حسنة تعجبه وقد ندب النبي صلى الله عليه
وسلم ابن عمر رضي الله عنهما الى هذا المقام فقال كن في الدنيا كانك غريب
او عابر سبيل والغريب غير مطمين وحاله حال المتوحش وعابر السبيل
كذلك يخاف قطاع الطريق وسباع البر فيما فيه اعاننا الله واياكم
على طاعته في خير وعافية امين **فصل** واما المقام الثاني
من الخوف في مقام الايمان فانه مقام عظيم وخوف جسيم قد شمل المومنات
المغيبات كلها فيخاف العبد من نفسه الغايبة في جسده فهي اعدا
عدو له فلا يطمين اليها ولا يركن لحديثها وخدعها لانها كما وصفها
الله سبحانه وتعالى امارة بالسوء وزينت له التكثير في كثير من الاحوال
بالسوء لا تامر الا به لذلك فهي العدو على الحقيقة صدقها
كذب ورجاوها تمن وخوفها امن ووعدها غرور وطلبها الرياسة
واخلاقها الهلع والجزع والشح والبخل من الطاعة والفخر والريا
وطلب المدح والثنا وعلى الاختصار فلا يرد منها الا السو فلا يسلم
منها الا بالخوف منها وانزالها منزلة العدو والمهلك الشجاع الملقي
بذاته في المهالك والخوف منها هو اللباس منها اذ لا ياتي بخير فمقام
الخوف الذي اسمه الياس لا يصلح الا في مقام الخوف من النفس والياس
من الطمع في الناس وكذلك يخاف في مقام الايمان العدو اللعين ويعوذ
بالله منه فانه من جملة المومنات ومن اكبر الاعدا المهلكة المخوفة ويستعيذ
بالله من شره وعلى محاربته والحراسة منه ومن اعوانه ويستعان على اصلاح
النفس والعون من الله يبصر بها بسيطا المخاوف الايمانية فاذا المخوفات
الايمانية قد احاطت بالنفس في الغيب ومن لا تشعر الا اذا ذكرت
ونبهت فاول ذلك حضور الاجل وكشف غطا الجسد عنها بالموت وهي
اول مشاهدة تشاهده في عالم الايمان حين لا ينفع نفسا ايمانها ولا
تقبل توبته بمعاينته الغيب وهذا المقام من اعظم المخاوف وخوف
الخاتمة لا يدري الانسان بم يختم له وما سبق له من القدر السابق في
الازل ولا تظهر تلك الا عند الموت وهذا خوف يكسر النفوس ويكسر
بالتواضع الروس ويذهب الاعجاب ويذهل الالباب ويكثر الاعمال
ويقللها في اعين العمال ويولد الاخلاص والتوحيد للواحد الاحد
حتى يتعلق القلب به وحده ولا يعول على عمل ولا على شي الا على الذي
كتب السوابق واظهر علامة الخواتم ولا يبالي مع ما في ذلك المقام
من حضور الم الموت وغصصه ومشاهدة اهواله وتجلي صفحة ملك الموت
بجملة اعوانه وضعف الجسم وثقل الجوارح وتجلي عظايم الامور في
تلك المواطن التي الدنيا فيها كاصبع الغمسة في اليم كما ورد في الخبر
والاملاك وسكانها على قدر عظمها وقد صعق النبي صلى الله عليه وسلم
على جلالته عند رويته جبريل عليه السلام في صورته التي خلقه
الله فيها فكيف بالضعفا المساكين في ذلك الموطن العظيم فياتي
هذا كله فجاة عند خروج العبد من عالم صغير الى عالم كبير لم يشاهده
فاذا كان الانسان خايفا ذلك المقام وعظمته فكانه يشاهده في

مطلب المخاوف محيطة بالنفس

مطلب خوف الخاتمة

كل وقت بالتذكر فيأتيه وقد حصل له من تذكره كأنه قد شاهده
فيسهل عليه ويكون عليه أخف ممن لم يذكره ولا خافه فأتاه بغتة
وفجأة ثم بعد ذلك المقام يخاف القبر ويتذكر مسكنه وضيقه كأنه
وهول منظره ووحشة غربته ورعب ظلمته ومشاهدة املاكه والفتنة
فيه قال النبي صلى الله عليه وسلم انكم تفتنون في القبور كفتنة المسيح
الدجال او قريبا من فتنة المسيح الدجال وكيف ينام العبد فيه على
بسر التراب بعد الفرش ويمزق شعره وتسقط عيناه وتتغير وجنتاه
وينفسخ بطنه وتنحل مفاصله وتجري الهوام فيه وينتن ريحه ولذلك
يقال ما رأى احد منزلا قطيعا الا والقبر افظع منه وانه ليخوف
وينادي ويهدد في كل يوم انا بيت الظلمة انا بيت الوحشة انا بيت
الغربة انا بيت الدود هذا ما اعددت لكم فما اعددتم لي ثم اعظم
من ذلك عذابه او فوت نعيمه فهذا ايضا موطن من الموطنات المغيبة
يخوف لا يستوي من خافه وتذكره مع من نسيه واغفله وفي الصحيح
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستعيذ بالله من عذاب القبر
ثم هول البعث ونفخة الصور التي يفزع لها اهل السموات والارض
وهول الحشر والموقف يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا والمتقون
هم الخائفون والمجرمون متقطعة اعناقهم عطاشا وهم المستهزئون في الدنيا
ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون والضحك والاستهزاء
من اضداد الخوف ثم خوف الحساب والمناقشة وكيف يكون العبد مع
ما قدمت يداه بين يدي الملك الجبار واعوانه ثم خوف الحوض وهول
العطش لديه وان لا يسقى العبد منه ثم خوف الميزان الذي كفتاه
طباق السموات والارض وهول منظره ووزن الاعمال فيه وخوف
الصراط وزلاته وحدته وعثاره ونكايته وخوف جهنم وزبانيتها
وما اعد فيها وخوف دخولها وذوق عذابها اللهم اجرنا من النار ثم
خوف فوت الجنة ونعيمها ثم رؤية ما فيها ومشاهدتها وما اعد الله
للخائفين فيها كما قال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان فهذه كلها
مخاوف ومفزعات وهو الفزع الاكبر بالاضافة الى مخاوف الدنيا

مطلب خوف القبر

من خافها في الدنيا واكثر ذكرها واستعد لها امن منها في الاخرة كما قال
تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر وتتنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا
تحزنوا وقال عز وجل لا اجمع على عبدي خوفين ولا امنين فمن خافني
في الدنيا امنته في الاخرة ومن امنني في الدنيا اخفته في الاخرة فانظر كيف
صار الخوف من هذه الاهوال مؤمنا منجيا من مخاوفها وقد عاب الله
سبحانه من لا يخافها فقال تعالى كلا بل لا يخافون الاخرة وقال تعالى
في مدح الخائفين ويخافون يوما كان شره مستطيرا ان في ذلك لاية لمن خاف
عذاب الاخرة وغير ذلك من الايات ويكفي من جميع ذلك قوله وبشر الله الذين
امنوا انه خافوا بمقام ربهم فذكر ان الخوف من ظفر به نجاه الله من مخاوف الاخرة
والنجاة هو الفوز والظفر

فصل

في صورة هذا الخوف
اعلم ان الاخرة بما فيها كالمرآة للقلب المؤمن وباطن العبد بايمانه منبسط
على هذه الموطنات كلها قد تجلى فيها واحاط بها فيدركها العبد بايمانه
من مكانه الذي هو فيه بلا مسافة وينظر اليها بتذكره اياها ويجري فيها
بفكره من غير تنقل جسماني فكلما نظر اليها ومر بفكره عليها لزعته مخاوفها
واكربته مناظرها فيرسخ في قلب المؤمن الخوف بالمشاهدة ويتيقظ ويخشى
ويثبت فايمانه في ذلك العالم يشتد الحذر فيتجافى عن دار الغرور ولا
تنام عقولهم لشدة المخاوف المحيطة بهم فاذا لاح للابصار الجسمانية
بهجة الدنيا وزينتها وعمارتها هاج ذكر الموت في القلب وفي الباطن
لما يشاهد من اصلها واذا لاح للابصار المباني العالية وما فيها من الجواري
والولدان والخدم والاثاث لاح للبصر القلب بلا زمان ظلمة القبور
ونقل الجميع اليها من تلك القصور وسكناهم تحت التراب والصخور
فصارت تلك في قلوبهم هباء منثورا وهكذا كلما لاح شيء من الدنيا
للبصر جلاه البصر الى القلب فيجده مغمورا بمشاهدة الاخرة فيهدمه
من مراصده ولا تثبت الدنيا بمشاهدة الاخرة بوجه فان الكبير
الشديد والعظيم الكثير يغلب الصغير الحقير فاذا كان العبد
هكذا خائفا للاخرة وناظرا بسمعه الى الدنيا خائفا منها الفتنة
والقطيعة خالطه الخوف ظاهرا وباطنا يحذرهن ويهرب ويأخذ

فيها

ويغيب الدار الخلود تتجافى جنوبهم عن المضاجع الدنيوية ولا تنطبع فيها قلوبهم الموقنة صح

من هذه لمن يمشي في موضع مخوف كثير المخاوف من جميع الجوانب جعلنا الله
وإياكم من حزبه الناجين في الدنيا والآخرة في عزة وعافية آمين وصلى الله
على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

فصل

وأما المقام
الثالث من الخوف في مقام الإحسان فهو الحقيقة في الخوف وجميع المخاوف
بالإضافة إليه كلا شيء بل إليه ترجع المخاوف كلها حقيقة بعد أن كانت
مجازا والخوف في هذا المقام الفزع أو الهيبة على حسب الأحوال لأنه عن
مشاهدة صفات المخوف وبذلك وصف عباده المكرمين من الكروبيين
والروحانيين والخدمة والأملاك في جميع العالمين فقال ولله يسجد
ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون
ثم قال تعالى يخافون ربهم من فوقهم فوصفهم بأنهم في أنفسهم تحت ما غشيهم
وأحاط بهم من هيبته فوقية الربوبية ورتبة السيادة ثم قال تعالى
ويفعلون ما يؤمرون فوصفهم بالمبادرة إلى الأمر كما يفعل الهائبون
عند مشاهدة الملوك فإذا فهمت هذا فاعلم أن هذا المقام الإحساني
ينقسم على قسمين لأن صفات الباري جل جلاله على ضربين صفات ذاتية
وصفات فعلية من انفعال الخلق مدة بقائه وتصريفه وتكوينه وتقليبه
في كل نفس وطرفة وذلك صنع الجليل الفعال صنع الله الذي أتقن كل
شيء وذلك أن المخلوق إذا أوجده الله سبحانه وكان بعد أن لم يكن لم يتركه
ولا تخلى الإيجاد عنه ولو فعل لانعدم على الحين ولا يجوز بقاؤه لأنه
لو بقي طرفة عين بنفسه لاستغنى في ذلك النفس عن الموجد وقام بنفسه
وهذه صفة ليست إلا لله سبحانه وتعالى بل الإنشاء والتصريف والإبقاء
والإيجاد والتكوين والتقليب جار عليه أبدا فالمشاهد لهذا المقام
من الصفات الفعلية يرى الأفعال صادرة عن الموجد جل جلاله وجارية
كجري الماء في الأودية في الأنهار ومتقلبة مرتعدة كارتعاد الماء وتلاطم
الأمواج في لجج البحار الجاري لذلك كلمح واحد يرفع ويضع ويعطي ويمنع
ويستدرج ويمكر ويقلب القلوب في الشكوك والحيرات والإيمان
واليقين ويرى في نظره ذلك ويعلم أن الله سبحانه وتعالى يحدث في كل وقت
وحين من الضلالة والإبعاد والعمى والجهل والعصيان والخذلان في

مطلب يجب الايمان به

باطن هذا العالم على قلوب الإنس والجن ما لا يحصى ويرى جميع ذلك نازلا
مع جميع المعنويات على القلوب من خزائن الغيب ويشاهد الآجال في كل وقت
تأتي على العباد والمحتوم لهم في هذا العالم بالشقاء والمحتوم لهم بالسعادة
والإيمان قال الله تعالى وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم
والمشاهد للصفات الفعلية واحد من جملة الأفعال لا يرى ربما يواجهه المدبر
ولا ما ينزل عليه المقدر في كل نفس ومن هذا المقام نطق الصادق الأمين
المكرم بالنبوة المكين بالخوف فقال صلى الله عليه وسلم يا مقلب القلوب
ثبت قلبي على دينك ولأن الشرك والكفر والبدع والزيغ والضلال
والظلم والعصيان أكثر في هذا العالم الإنساني والجني من التوفيق وما
عسى أن يقع المؤمنون في الكافرين وما يقع الصالحون في الطالحين وأهل
الاستقامة في الناسين وأهل الذكر في الغافلين وهداهم وضلالهم
ومحوهم صادرة كما قدمنا كل نفس فالمشاهد لذلك المقام الإحساني من
الخوف قد خالطه رعب ما يشاهد ويخاف أن يطرأ عليه مع الطرفات ما يهلكه
ومن هذا المقام قال السري السقطي رحمه الله إني لأنظر في اليوم إلى أنفي كذا
وكذا مرة مخافة أن يكون قد اسود لما أخاف من العقوبة وورد في
صفة العرش أنه ليئط بالله سبحانه أطيط الرحل الجديد بالراكب
وهذا الأطيط عبارة عن انفعال المأمور والمفعول على الدوام لما يصدر
عليه وعلى من حوله من تقليب المقلب وتصريف المدبر وهذا الخوف في هذا
المقام يستمر أطراف القائم فيه من جوانبه ويقبض أجاجه ويحاشيه
في كل ناحية ويشاهد الموجودات كلها منكمشة منقبضة في أنفسها فلا
يسكن إلى شيء ولا يطمئن بحال ولا بمحل ولا ينبسط إلا إلى الملك الحي وقد
ورد في صفة الكروبيين عليهم السلام أنهم من أعظم الملائكة وهم
صفوف متراصون وليس منهم واحد ينظر في وجه من إلى جانبه وهاد لجلاله
وكذلك إسرافيل عليه السلام ناظر شاخص ينتظر متى يؤمر وكذلك كل
من في الملك منقبض منكمش في هذا المقام مراقب للأمر فاعلم ذلك

فصل

واعلم أن تصحيح الخوف تخليصه للتوحيد من دقائق
الشرك الجلي والخفي وذلك أن الخوف فيه تشبيه وتمويه على العقول

تخيّب العقول ان الاشيا المخوفة من المهلكة فتمتنع في الشرك قال الله عز
وجل فاياي فارهبون واياي فاتقون فامر بالخوف منه وحده واذا امر
بالخوف منه وحده لم يجز ان يخاف سواه فالواجب تحقيق الخوف من الله عز وجل
وحده فان الاشيا لا تفعل شيا بوجه فكيف يخاف من لا يفعل شيا وقد نهى الله
عز وجل عن خوف غيره فان ذلك شرك فقال فلا تخشوهم واخشوني والنهي
يدل على تحريم المنهي عنه فالخوف من غير الله عمل الشيطان وضعف اليقين
ودقايق الشرك الخفي قال الله تعالى في تحقيق الخوف من الله وتخليصه
وتوحيده له الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ثم اثنى
على الموحدين بتحقيق الخوف منه واخلاصه له دون من سواه فقال فزادهم
ايمانا اي قولهم لهم فاخشوهم فذكرهم ذلك ان لا فاعل الا الله فقالوا حسبنا
الله اي لا نخاف سواه ثم اخبر ان الخوف من غيره من عمل الشيطان فقال انما
ذلكم الشيطان يخوف اولياءه ثم نهاهم عن خوف غيره فقال لهم فلا تخافوهم
وخافون ثم اعلم ان ذلك من شرط الايمان فقال ان كنتم مومنين اي
فلا تخافوا سواي **فصل** فان قلت فان الله عز وجل قال
حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين ثم ذكر
الخوف من العدو فقال فان خفتم فرجالا او ركبانا فاعلم ان القران
لا يتناقض وانما معنى الخوف من لقا العدو الخوف من الله ان يسلطهم على
المومنين كما قال تعالى ولو شا الله لسلطهم عليكم فان العدو قد صح في
عقيدة الايمان انه لا يتحرك حركة الا بقدرة الله سبحانه فانه لا فاعل
سوى الله وحده فالموفق انما يشاهد الكل بيد القدرة يسلط من يشا
وينصر من يشا **فان قلت** فان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحرس
حتى نزلت والله يعصمك من الناس **فاعلم** ان هذا حجة عليك انما كان
يخاف قبل نزول الاية ربه ويخاف تسليطه حتى امنه من التسليط
قال الله تعالى فلا تخشوهم واخشوني وهذا نزل في مواطن الحكم للحكام
والقيام فيها بالقسط ولا يتم ذلك الا لخايف من الله وحده خالص
التوحيد من دقايق الشرك **فان قلت** فربما يذم الانسان ويلام من الخلق
فاعلم ان الله سبحانه قد اثنى على الخايف منه وحده فقال تعالى ولا يخافون

لومة لايم واعظم الناس درجة في الخوف من الله وحده اهل الصدق
في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو اعظم الجهاد فان قلت فان الامر
بالمعروف والناهي عن المنكر يخاف عليه القتل والهوان والضرب
فقد اعلمتك ان الموحد في مقام الخوف انما يخاف التسليط من المسلط
جل جلاله لان نواصي الكل بيده فان سلط عليه الهلاك في ذات الله
فيالك بحق كان من الذين قال الله تعالى فيهم ومن الناس من يشري
نفسه ابتغا مرضات الله ومن الذين اثنى الله عليهم وذم من اذاهم
وقتلهم في قوله تعالى ان الذين يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين
بغير حق ثم قال ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس فبشرهم
بعذاب اليم فقرنهم مع الانبيا عليهم السلام لانهم على مناهجهم والاشبه
فالاشبه بهم **فصل** فان الله سبحانه قد نهى عن القا اليد
الى التهلكة فاعلم ان هذا لا يتناقض وموضع الالقا باليد الى
التهلكة مذموم لم يامر الله به فيقول الله له انا المهلك في هذا
الموضع ولما امرك بالقا اليد الى الهلاك فانت مذموم فخفني ان اهلكك
ولا تخف سواي في كل حال والمتحقق بالتوحيد في هذا المقام سواء
عنده الذرة والخلق كلهم لانه هو الفاعل في الذرة وعلى يدها وفي
الخلق وعلى ايديهم فقد يسلط شررة من النار فيهلك بها وتقبض الخلق
كلهم فلا يقدرون معه على اذاية شي فالكامل في هذا المقام عند
المتحققين به ان لا يبقى في القلب من خوف المخلوقين كلهم مثقال
ذرة ولا اقل ولا اكثر ويحصل في القلب خوف الخالق وحده ويملى
به ولذلك اثنى على عباده المكرمين فقال تعالى وهم لا يستكبرون
يخافون ربهم من فوقهم فاخبر انهم يخافون ربهم وحده ليس في قلوبهم مثقال
ذرة من خوف احد سواه وبهذا اثنى الله تعالى على الاوليا والاصفيا
المتشبهين في خوفهم بالملا الاعلى فقال الا ان اوليا الله لا خوف
عليهم ولا هم يحزنون ليس معنى الاية انهم لا يخافون الله وانما معنى الاية
انهم لا يخافون سواه الا تراه كيف وصفهم في الاية الاخرى بعد هذه
الاية بالخوف فقال الذين امنوا وكانوا يتقون والتقوى هو الحذر

هو الخوف **فصل** فان قلت فان موسى عليه السلام قد قال
فيه فخرج منها خائفا يترقب حين اجمع آل فرعون على قتله فاعلم انه
انما خاف تسليطه كما تقدم فلم يخف الا الله ولم يخف فرعون ولا آله فر
من تسليط الله الى المواطن التي امره الله ان يفر اليها ففر بامر الله الى الله
لا الى سواه كيف قال بعد ذلك رب نجني من القوم الظالمين لما علم انه لا منجي
ولا مسلط سواه وكذلك قوله ولهم علي ذنب فاخاف ان يقتلون انما
اراد بهذا الكلام استخراج ما عند الله من القضاء فيه وهل يسلطهم عليه
ام لا فلما قال له لا تخافا انني معكما اسمع وارى فثار لامره واستامن
ولو خافهم دون الله سبحانه لبقي على الحالة الاولى وكذلك جرى له في العصا
قال له القها يا موسى فالقاها فلما راها تهتز كانها جان ولى مدبرا
اي خائفا من الله كانه قال له ما هذا الفعل العظيم من فعلك يا رب مخافة
منه فقال له خذها ولا تخف فاخذها ولو خافها ما اخذها فلما امنه
واظهر له حكما اخر اخذها واستامن لانه كان في مقام التعليم يريه كيف ٥
يصنع اذا ارسله الى فرعون وقد امنه من قتله بايديهم وتحقق ذلك عنده
سار آمنا فلما القى السحرة عصيهم وحبالهم وراى ما راى من فعل الله في
الحبال والعصي اوجس في نفسه خيفة وليس الخوف الكلي لانه متثبت
بتامين الله حين ارسله فلما شاهد من الحبال والعصي ما شاهد قال وما
هذا الفعل الاخر يا رب فامنه امنا ثانيا فقال لا تخف انك انت الاعلى
والق ما في يمينك تلقف فمضى لما امره لم يخف احدا وكذلك لو ظهر له الف
فعل لم يخف في الكل الا الله وتسليطه لانه شاهد للصفات المخوفة المظهرة
للافعال وخوف الدنيا والفقر فيهما من دقائق الشرك الخفي والخوف من
الله وحده في كل حال هو التوحيد **فان قلت** فان الجبن قد يكون
طبعا في النفس فاعلم انه قد ورد في الخبر من الجبن الخالع والشح الهالع
وقد امر الانسان ان يتعلم السخاء والشجاعة بالجهاد والانفاق والمجاهدة
حتى لا يخاف الا الله وحده وفي الخبر من خاف من شيء سلط عليه فاعلم ذلك
واما القسم الثاني من الخوف الاحساني فليس وراءه مقام لانه عين
مشاهدة تجلي الصفات الذاتية وهو مقام الحاضرين العارفين ٥

والمحبين المحبوبين والراضين والروحانيين وجميع سكان الحضرة
العلية والروضة القدسية على اختلاف مقاماتهم واحوالهم ومراتبهم
مجالسة للحق في مقعد صدق نزلوا بروضة التعظيم وادبتهم الهيبة
بادب المصغي المتعلم في مقام التعليم بين يدي المتكلم المعلم الحكيم فخوف
هولاء لا يوصف ولا يعرفه الا من على شيء منه او ذاق خوفهم رعب
الجلال وهيبة العظمة والكمال وفزع العزة والكبرياء والمعالي
ودهش الجلال من رفعة التعالي فسعة خوفهم على قدر ما تجلى لهم من
عظمة الصفات التي هي على سعة الذات فهذا خوف لا يوزن ولا
يقدر قدره لانه موازي ما تجلى له كما طلبه بعض العارفين في دعائه
اللهم ارزقني من الهيبة لك والتواضع والذلة في نفسي ما يوازي
ما انت عليه من الجلال والعزة والعظمة وكل ما ظهر لهم في هذا
هذا المقام من صفة حنان او رحمة وجمال فانها في نهاية الجلال
والعزة والعظمة وتلك النهاية المحبون والعارفون والراضون
وانواع المقربين واختلفت انواع الخوف عندهم باختلاف المقامات
فخوف المقرب خوف الابعاد وانه لا يرى اهلا لتلك الحضرة العلية
فيطرد وخوف الناظر المشاهد خوف الحجاب وان تغلق في وجهه الابواب
لان بصيرته لا تصلح للتنزه في الحجال العجاب وخوف المحب المستانس
خوف الانقطاع عن المحبوب المؤانس فلا يكلم ولا يجالس لما خالط
قلبه من الحب العذري والوساوس وخوف المحبوب والخليل خوف التغير
والتبديل لاشرافه على اسرار الجليل واظهارها لنفسه من
خارج الغليل وخوف العالم والعارف خوف فوت جميع الاحوال
والمعارف من اجل ظهور سوء ادب او فترة تناقضت وخوف الراضي
المسرور خوف السخط المنغص المكدور من اجل التبرم بشيء من التقدير
والكراهة لامر من امور التدبير وخوف الهائم المشتاق خوف الزوال
والفراق من اجل قلة وفاء عهد المحبة او نقض ميثاق وخوف الهائم
الزاهد في الكون الوجه المبسوط خوف الادلال المورث للسقوط
من اجل تخطي رقاب الكون وانه عنده محطوط وهكذا اهل عليين

والرقيبو الاغلة مخاوفهم لازمة لهم وقابضة بالادب انفسهم عنهم يشربون الصافي الزلال على بساط الانس خالصا من كدورات النفس فنا هيك ثم ناهيك من مخاوف تعلم اداب الحضرة العلية بغير تعلم ولا درية اولئك المقربون وحزب الله المفلحون فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون وهذا الخوف الذي هو الاجلال والهيبة لا تزول ابدا ولا في الجنة لان هيبة العزة لا تزول وهو المعنى بقول القايل ۞ ومنك تراجت بعز تمام رجاه ۞ بما وصال كنت انت وصلته ۞ ولم يبق وراه الا الزيادة منه وخوفهما في نفس الملك لهم لانه سعة علمه فيهم وفي غيرهم لا يشاهدها الا هو سبحانه فخافوا كيف تزولهم في نفسه والحمد لله رب العالمين

الشعبة الثامنة والاربعون

الرجا اما كون الرجا من الايمان فبين جدا لانه في نفسه ايمان كما قال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه ولا فرق بين رجا اللقاء والايمان باللقاء لانه اذا رجا لقاء ربه فقد امن بلقاء ربه ولقوله تعالى انا عند ظن عبدي بي والظن يقين لان الرجا ضد الياس والقنوط اللذان هما كفر كما قال تعالى لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون فاذا كان ضد الرجا كفرا وضلالا لانه هو في نفسه ايمان وهذه الشواهد عليه تطول

فصل

اعلم ان مقام الرجا يقتضي ثلاثة اشيا راج وهو العبد ورجا وهو حال العبد ومرجو وهو الله جل جلاله وحد الرجا الطمع في المرجو وحسن الظن والاملة المرجو والطمع فقرها ضرها الرجا هو الفقر الى الله جل جلاله فلذلك كان الفقر اشرف المقامات والرجا والخوف فرقدان لا يجوز افتراقهما يكسر الرجا شدة الخوف كي لا يخرج الى الياس والقنوط ويشد الخوف الرجا كي لا يخرج الى الاهمال واما في النفس فيعتدل الايمان والاعمال في كفة الميزان ويحصل بمجموعهما حالة تسمى الاشفاق كما ان الشفق هو الحمرة الممتزجة من ظلام الليل وضيا النهار لا هي ليل خالص ولا نهار خالص واعلم ان الرجا على ثلاثة اقسام قسم في مقام الاسلام وعالم الحس وقسم في مقام الايمان وعالم الغيب وقسم في مقام الاحسان

مطلب حد الرجا

فاما

فاما القسم الاول في مقام الاسلام وعالم الحس فان امور هذا العالم على قسمين دينية ودنياوية فاما الدنياوية منها وهي المعيشة لمعيشته فان الباري تعالى قد قسم ارزاق الخلايق على انواع كثيرة فمنهم من رزقه ما لا ومنهم من رزقه صناعة ومنهم من اشغله بالدين وجعل رزقه من حيث لا يحتسب ومنهم من احوجه الى الخدمة مع الخلق ومنهم من احوجه الى السوال ومنهم تجار وغير ذلك فيدخل العبد في امور معاشه على الوجه الذي يسر له كما امره العلم من هذه الوجوه المتقدمة راجيا لفضل الله ورحمته وحده قاطعا طمعه ورجاه عن جميع الخلق لعلمه انهم لا يضرون ولا ينفعون احدا في رزقه ۞ ولا انفسهم وجعل بدل الرجا والطمع فيهم الرجا والطمع في الله فعاش بينهم حميدا عزيزا برجايه لربه سبحانه وطمعه فيه لانه ان اعطاه مولاه مالا فمن فضله ورحمته وان اعطاه صناعة وكسبا فبتعليمه وتيسيره وان اخدمه مع الخلق باجرة فبالقوة التي اعطاه مولاه ينفعهم كما ينفعونه وان احوجه الى السوال لما في ايديهم وكان صادقا فطلبا لحقه الذي جعله الله في ايديهم وما يلزمهم من حقوق السايل المسلم الصادق وذلك لحكمة من الله سبحانه فلا يتحرك حركة الا طامعا في فضل الله راجيا له قاطعا طمعه ورجاه من الخلق كلهم قلبه مع ربه بالرجا وبدنه مع الخلق متصرف

فصل

واما الامور الدينية في مقام الاسلام فانها على ضربين اوامر ونواهي فالاوامر امر بالحسنات والنواهي نهي عن السيات وقد قرن الله سبحانه الرجا في كتابه مع النوعين فقال سبحانه وتعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك يرجون رحمة الله فقرن الرجا مع العمل وقال ان رحمة الله قريب من المحسنين فقرن الرحمة المرجوة بالاحسان والحسنات وهكذا العمل ۞ الصالح ابدا مقرون مع الرجا وقال تعالى في المنهيات وقهم السيات ومن تق السيات يومئذ فقد رحمته فاعلم ان الرحمة المرجوة الوقاية من السيات وترك المنهيات فامتثل الراجي العمل الصالح واجتنب العمل السيي راجيا ان ينجيه الله من العذاب ويكرمه بالثواب دون ان يعول

مطلب اقسام الارزاق

على اعماله ويعتقد انها منجيه انما يكون راجيا في ربه سبحانه لا في
عمله وبذلك وصف الله العمال واثنا عليهم للاقتدا بهم فقال امن هو
قانت انا الليل ساجدا وقايما يحذر الاخرة ويرجوا رحمة ربه ولم
يقل يرجوا عمله وقال ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل
الله اوليك يرجون رحمة الله ولم يقل يرجون اعمالهم وانما العمل سبب
من عند الله وهو خلق من جملة المخلوقات فكما يعتقد المومن ان الخلق
لا يضرون ولا ينفعون فكذلك لا يعتقد في عمله انه ينجيه او ينفعه
انما الاعمال الصالحة برا ات من اتى بها نجى واعطي ومن لم يات بها لم يكن
له براة توجب له العطا فافهم وتصديق ذلك كله قول النبي صلى الله
عليه وسلم لن ينجي احدكم عمله فهذا هو الفوز من العذاب وقال في
الثواب لن يدخل احد الجنة بعمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال
ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمة منه وفضل فهذا كله لئلا يرجوا احد
مخلوقا فان الرجا اذا من التوحيد مخلص للايمان من دقايق الشرك لانه
تعلق القلب بالله وحده وطمعه فيه وقطع طمعه من المخلوقين فاذ ذلك شرك
خفي وجلي والطمع والرجا في المخلوقين لا يكون الا من عقل سخيف انما ينبغي
الطمع والرجا فيمن بيده ملكوت كل شي وفي مثله فليطمع الطامعون فهذا
معنى خروج القلب عن العمل لا انه يتهاون بالعمل وكيف والله سبحانه يقول
ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون انما تجزون ما كنتم تعملون وتلك الجنة التي
اورثتموها بما كنتم تعملون وينجي الله الذين اتقوا فالنجاة من العذاب
والفوز بالثواب لا يكونان الا من الله بواسطة الاسباب التي جعلها
الله ونصبها وهي الوظايف الدينية فافهم ومن راى غير ذلك وترك الاعمال
واتكل على الرجا فهو مرجي خبيث مبتدع مارق ومتمن جاهل مغرور
ليس من الرجا في شي وفقنا الله واياكم لما يحبه ويرضاه

فصل

قد تبين مما قدمناه ان تحقيق الرجا تخليص التوحيد لله عز وجل وانه
باب عظيم من التوحيد لان الرجا هو الطمع في المرجو وتاميل القلب
لما يحصل منه في المستقبل بحضر وقد اتفقت الاخبار واجمع اهل
العقول على ذم الطامع في غير الله لان الطمع في غير الله شرك من حيث

توهم ان احدا يفعل شيا ويعطي ويمنع ولذلك ظهرت قوة توحيد الراجين
الموقنين الذين يرون ان لا فاعل الا الله في مواطن الامتحان والمحن
قال الله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من
قبلكم مستهم الباسا والضرا وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين امنوا
معه متى نصر الله لما ازعجهم بالمخوفات في مواطن الهلاك من افعاله
الصادرة عن صفاته حتى اشتد خوفهم وكاد يحصر سبا ثم هاج الرجا
فيهم وفار من قلوبهم على السنتهم وظواهرهم فقالوا متى نصر الله الا
ان نصر الله قريب فاعتدلوا بالرجا ولم ينحرفوا بالخوف وثبتوا للقا
وهكذا الرجا اخو الخوف وقرينه يثبته ويعينه فظهر منهم قوة
توحيد الرجا حين انقطع طمعهم من جميع الاشيا فقصدوا الى غير
الحق فقالوا متى نصر الله لعلمهم انه لا ناصر لهم سواه وكذلك اخبر
عنهم الله عز وجل في قوله تعالى فلما جاوزه هو والذين امنوا معه
قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده فانتدب منهم اهل حسن
الظن بالله وحسن الظن افضل مقامات الرجا لانه يقين في نفسه
وتوحيده ولو سا ظنهم لقالوا مثل ما قال الاخرون لا طاقة لنا
اليوم بجالوت وجنوده بل اخبر عنهم بقوله تعالى قال الذين يظنون
انهم ملاقوا الله كم من فية قليلة غلبت فية كثيرة باذن الله
فافردوا التوحيد بقولهم باذن الله وحسنوا ظنهم الذي هو رجاوهم
ويقينهم بالله وانه ينصرهم فكان عند ظنهم به ثم لما كان ان لا التقا
في قوله ولما برزوا لجالوت وجنوده مدوا اطماعهم واملهم اليه لانهم
موحدين له بالرجا الصرف الخالص فقالوا له دون من سواه متضرعين
ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين
وانا لا نرجوا احدا سواك ينصرنا كما لا نخاف الا تسليطك فحقق ظنهم
فقال تعالى فهزموهم باذن الله مثل ما قالوا اولا كم من فية قليلة
غلبت فية كثيرة باذن الله ونضد هذا الوصف منهم الينا فقوم
لما فقدوا توحيد حسن الظن والرجا كانوا امنا فقيل مشركين قال
الله تعالى اذ جاوكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار

وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا فقرّعهم على ما علم
الله من ظنونهم به ورجائهم فيه ثم قال هنالك ابتلي المؤمنون ۞
وزلزلوا زلزالا شديدا انما اجرى على سوء ظن المنافقين بقوله
تعالى واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله
ورسوله الا غرورا فاساؤوا الظن بالله تعالى وقطعوا رجاءهم
منه فاشركوا وهلكوا ثم جعل سر الايمان في اوصافهم الى قوله
تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله و صح
ويرجوه في اليوم الآخر هكذا تقدير الكلام فاخبر ان الراجين
بضد المنافقين فتخليص التوحيد في مقام بالرجا فالرجا ان لا
يرجو العبد احدا من خلق الله تعالى ولا يطمع فيه صغيرا كان او
كبيرا دنيا وآخرة ازلا وابدا معلق القلب في كل شي بالله فينقطع
القلب من التعلق بغير الله تعالى قد صار قلبه فارغا من كل شي
ليس فيه مثقال ذرة من الرجا والطمع في مخلوق امتلا قلبه وتعلق
بالله وحده فبذلك ينتفي دقائق الشرك الخفي قال الله تعالى
لنبيه صلى الله عليه وسلم قل اني لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا ولما نزلت
وانذر عشيرتك الاقربين نادى اقرباءه واحدا بعد واحد فيقول
يا بني فلان انقذوا انفسكم ويا بني فلان حتى قال يا عباس بن عبد
المطلب لا اغني عنك من الله شيئا ويا صفية عمة محمد لا اغني عنك من
الله شيئا يا فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم لا املك لك من الله شيئا
فاخرجهم الى ان يعلقوا قلوبهم بالحق ويعلقوا له وحده فاسلمهم الى
المرجو الحق سبحانه فيكون كل احد منهم ومن غيرهم متعلقا بالله فردا
لفرد فالرجا مقام عظيم يبعث على الاعمال ويحث الاعمال في اعلى الكمال
وفقنا الله واياكم لما يحب ويرضاه امين وصلى الله على سيدنا محمد
النبي وعلى آله وصحبه وسلم **فصل** واما المقام الثاني
من الرجا في مقام الايمان فاول ما يقع عليه فكره من الغيب نفسه
فيجدها كما قال الله تعالى امارة بالسوء كارهة لفعل الخير جانحة
فيه مائلة الى الهوى والاعراض عن ربها ثم يجدها مرحومة باتباع

الآخرة كما قال تعالى ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي فلما ظهرت
الرحمة فيها على ما هي عليه من السوء قوي رجا العبد في الراحم لها بالايمان
الذي لو اجتمع الخلق كلهم ان يدخلوه في قلب عبد باجتهاد منهم ما قدروا
على ذلك ولا الانسان بنفسه لانه لا يملك من باطنه شيئا لا سيما مع
كراهية النفس الخير وامرها بالسوء فكتب الله الايمان في باطن العبد
برحمته وزينه وحببه والزينة محبوبة وكره الكفر والفسوق ۞
والعصيان والمكروه مبغوض فمن الرجا في عالم الغيب مجاهدة العدو
ابليس ومخالفة النفس فيما يدعوان اليه فان ذلك من اعمال القلوب
المقرونة بالرجا ومن الرجا ما امكن [illegible] الايمان به من التوفيق والهداية
كي يقوى ويثبت فاذا نظر المؤمن الى فعل الله اللطيف الرحيم به في
هدايته للايمان قوي رجاؤه في رحمة الله ورجا ان يختم له بالايمان
والتوفيق كما هداه اولا ابتدا والخاتمة انتها اولا لما يلوح له من الغيب
بعد النفس من احوال الآخرة وكذلك ينظر الى الكفر فكيف صرفه
الله عنه وكرهه اليه حتى كرهه فيرجو ان يصرفه عنه في خاتمته
ويحسن ظنه به في ذلك ويقول لما فعل لي هذا اولا هو يريد
ان يرحمني فيمتلي قلبه بتباشير الرجا ويرغب الى الله سبحانه ان لا يجعل
الايمان عنده عارية في كل وقت كما قال تعالى ويدعوننا رغبا ورهبا
والرغب هو الرجا والرهب هو الخوف وفي كراهية الكفر رجا عظيم
لان الكراهية للشي تبعاده عن محل الايمان وهما ضدان والضدان
لا يجتمعان في محل واحد ولا يدخل احدهما على الآخر ما دامت الكراهة
الضدية بينهما وفي معرفة العبد بالكفر رجا عظيم لان بالاضداد تبين
الاشيا فينفصل بعضها من بعض فلما عرفه بالكفر وهداه لمعرفته عرفه
كيف يجتنبه كما قال تعالى وهديناه النجدين فانظر له عند الخاتمة
فتنة تثبت بهداية الله التي هداه وعرفه في الماضي وبتوفيقه في
الحال وفي خوف العبد لسوء الخاتمة رجا عظيم لان من خاف على زوال
شي منه فقد اغتبط به وهذا كله من اسباب التثبت على الايمان ومن
الرجا العظيم ما يلقي الله من الرجا في القلب فينبسط الباطن والجوا

لتعمل الطاعات فينطلق اللسان بالشهادة بلا كلفة ولولا الغين
مكانه من سوء الظن أو يأس لا يرى ذلك انغلاق الباطن وضيق الصدر
وكسل الجوارح ألا ترى إلى الخلق لو اجتمعوا على أن يطلقوا لسان
العبد بالشهادة ما قدروا على ذلك وأن يبسطوا قلبه للصلاة
قال الله تعالى وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين بل يرى أثقل على تاركها
من الجبل أعني الصلاة وذلك من كسل الباطن لفعلها وكراهيته لها
ومن الرجاء العظيم تجديد الإيمان وإدامة خلقه في القلب فإن
المؤمن لا يستغني طرفة عين عن خلوق الإيمان وإدامة خلعه في قلبه
في كل نفس لأنه كالأعراض التي لا تبقى زمانين والعبد ربما عصى
وغفل وأعرض عن مولاه وهو يصنع به في باطنه هذا الصنع الكريم
فيطمع العبد في حسن الخاتمة لأن كل مرادة في نفسها خاتمة لأن
بإتيان مثلها في الأمداد قد تمت هي في نفسها فيقول العبد إذا عمل
معي هذا وأنا في حال القوة والمعصية والإعراض والغفلة فعسى أن
يفعل معي ذلك في حال الضعف في سكرات الموت إذا اضطررت إليه
غاية الاضطرار وكرهت ما كنت عليه من العصيان وتمنيت التوبة
وإني لم أكن عصيته قدر ذلك طرفة عين وقال النبي صلى الله عليه
وسلم لا يموت أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله وهذا رجاء عظيم في حق كل
مذنب عند الموت فكيف بالمطيعين المتقين ثم إذا نظر الراجي إلى القبر
وفتنته وسؤال الملكين له عن الربوبية والرسالة هل يجيء خاطر لا
ينظر إلى قلبه عند ذلك إن اعترضه خاطر في الربوبية والرسالة
فيود أن لو خر من السماء ولا يرد عليه ذلك أو لو قال له قائل إن الله
ليس بحق موجود والنبي والرسول ليس بحق أو نسب له الرسول إلى الكذب
لطار عليه من تغيظه وغضبه عليه ما يسفك به دمه ويسعى في هلاكه
إن قدر فيقول هكذا يفعل شيء يكرمه عن نفسه ومن غضبه لجلبه ما يسفك
به دمه ويسعى في هلاكه إن قدر فيقول هكذا يفعل معي يكرمه في الآخرة
عند المسائلة إن شاء الله فيقوى رجاؤه وإن كان مخلطا حين أظهر منه
النصرة له ولرسوله في قلبه ولسانه في الدنيا ثم ينظر الراجي بعد السؤال

نعم

نعيم القبر وعذابه فيجد الراجي قد أرصد الله له بعد موته في الدنيا
جماعة من المؤمنين يغسلون جسده ويحملونه على أعناقهم ويدعى إليه
من الأئمة الصالحين وجماعة من المؤمنين من يصلي عليه فيقومون قياما
على أرجلهم راغبين إلى الله سبحانه له شافعين فيه أن ينجيه من عذاب
القبر وأهواله وأن يؤنس وحشته وغربته وقليل ما يرد الكريم جماعة
من المؤمنين هذا إن شاء الله للمذنبين فكيف بمن يتلقى بالروح والكرامة
والمغفرة والرضوان تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا
الآية وكذلك إن ترك قرابته وأولادا وإخوانا يدعون له في قبره
ما ذكروه مع ما يرجوا من رحمة الله الذي هو خير له من الكل بل هذا
كله منه وهذا حال العبد يوجب الرجاء الكثير ويقوي العزم على فعل
الطاعات ثم ينظر الراجي خلا لا لوث العالمين ومحاسبته إياهم
في أهوال المواقف كلها فيجد المتولي لذلك كله ملك يوم الدين الرؤوف
الرحيم بالمؤمنين فلا يشك في أنه خير في المحاسبة له من كل أحد ولو كان
المحاسب له والديه وأرحم الناس به لأنه عند المحاسبة كريم سمح متجاوز لأنا
نراه يأمر بالسمح والعفو والصفح لعباده فيما بينهم ويثني عليهم بفعل
ذلك فقال تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب
المحسنين وقال تعالى ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور وإذا ما غضبوا
هم يغفرون ويقول ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة
كأنه ولي حميم أفتراه يكون لما يأمر به من المحاسن تعالى وجل عن ذلك
أكرم الأكرمين ولقد وصف الله عن عبد من عباده في معرض الثناء وهو يوسف
الصديق عليه السلام حين أخرجه إخوته على صغر سنه والصغير من جوهر
ففرقوا بينه وبين أبيه وأمشوه على قدميه حافيا وأبكوه وأجاعوه
وأعطشوه ثم ألقوه في ظلمات الجب ثم باعوه على عتاقة وجهه وحسن
صورته وحرية نفسه بالثمن اليسير وأوحشوا منه أباه وعرضوه
إلى السجن والفتن ثم لما أن ظفر بهم واعترفوا بين يديه فقال لهم لا
تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم فأزال عن قلوبهم بقوله اليوم خجلة الجناية
من أفعالهم القبيحة وحسمه العتاب بأقواله السمحة المليحة ثم

بعد ذلك في قيام الحشر والبعث
من القبور في تمام الإيمان وقيام الشكر
على أرجلهم م

ثم زادهم بقوله اليوم يغفر الله لكم ورفع عنهم لومة اللايمين لانهم لم
يؤذوا الا للعافر فلا تلومهم سواه برو لا فاجر ثم زادهم بيانا اخر
بقوله وهو ارحم الراحمين اي هو ارحم بكم مني فهذا فعل عبد من عباده المحسنين
فكيف بخالق الاحسان والمحسنين مع ما صح وثبت من شغل المصطفى المختار
محمد صلى الله عليه وسلم في تلك المواطن كلها بامته اقتراه يرد خايبا على
سعة جاهه وقبول شفاعته وهو القايل الصادق المصدوق امتي
امة مرحومة لا عذاب عليها في الاخرة عذابها في الدنيا الزلازل والفتن
وهو صلى الله عليه وسلم رحمة محضة كما قال سبحانه وما ارسلناك الا رحمة
للعالمين وقد امره بالاستغفار لامته فقال تعالى واستغفر لذنبك
وللمومنين والمومنات ايامره بما لا يريد ان يفعله او يامره بالاستغفار
لهم ولا يغفر لهم فقد صح استغفاره لهم ومن شفاعته التي اخفاها لهم
الى يوم القيمة وكذلك ابوه وابونا ابرهيم عليه السلام قد دعا لهم في زمان
قبل خلقهم فقال ربنا اغفر لي ولوالدي وللمومنين يوم القيمة يقوم
الحساب وهو ايضا ذو جاه عظيم ومقام في الخلة كريم وامة محمد
صلى الله عليه وسلم ابناؤه واحباؤه واتباعه على دينه الحنيفي وكذلك
نوح عليه السلام في قوله رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مومنا وللمومنين
والمومنات وقال النبي صلى الله عليه وسلم شفاعتي لاهل الكباير من امتي
اتروها للمتقين المصطفين انما هي للخاطيين المتلوثين فاذا نظر
الراجي بايمانه الى موطن القيمة واهوالها وشدايدها ورأى من الحاب
فيها من الشافع والاذ رجلا واحدا من امته يشفع يوم القيمة في عدد ربيعة
ومضر هذا رجل واحد كريم فكيف بجلة الابدال والاوتاد والشفعا الرحما
الامجاد على كثرتهم من اول الاسلام الى يوم المعاد مثل الصديق الرحيم
والفاروق الكريم وعثمان الحليم وعلي العليم وبقية العشرة العدول
وابنا فاطمة البتول وحمزة والعباس واهل السابقة المهاجرين والانصار
وخيار التابعين والمطهرات المكرمات امهات المومنين وساير العلما
العمال الاوليا يوم الدين يوم القيمة وورد في الصحابة رضي الله عنهم ان
ابا بكر الصديق رضي الله عنه يعطى باب الجنة فيقال له ادخل من شيت

برحمة الله وخفف ميزان من شيت بعدل الله ويعطى الصراط لعثمان رضي الله عنه
فيقال له جوز من شيت برحمة الله واترك من شيت بعدل الله ويعطى الحوض
لعلي رضي الله عنه فيقال له اسق من شيت برحمة الله واترك من شيت
بعدل الله فهذه الاربعة مواطن من اعظم مواطن القيمة واعطيت الاربعة
لعظم جاههم وهناك تظهر شفاعتهم في محبيهم وورد في فاطمة الزهرا بنت
المصطفى صلى الله عليهما وسلم انها انما سميت فاطمة من اجل انها فطمت
محبيها من النار وهكذا امهات المومنين كيف يكون رفقتهن على المحبين
لهن البارين لهن الراضين عنهن والمصلين عليهن متى ما ذكرهن وكيف
يكون قلوبهن على اولادهن ولا يخفى على ذي عقل شفقة الام على ولدها
وفداها له بنفسها فهكذا يشفع الرجال والنسا من هذه الامة حتى يظهر
يوم القيمة من رحمة الله وفضله ما لا يخطر على بال والكل من عند الله
الكريم وورد ان الكعبة تحشر يوم القيمة كالعروس المجلاه والحجاج
متمسكون باذيالها فتقول لمحمد صلى الله عليه وسلم شانك بامتك فقد
كفيتك الحجاج فتسير بهم الى الجنة وهم متعلقون بها واعظم من ذلك كله
ان امة محمد صلى الله عليه وسلم يقاومون في الحشر مقام الشهود العدول على
من سواهم من الامم حين ينكرون على الرسل رسالتهم وقال النبي صلى الله عليه
وسلم اكرموا الشهود فانه يستخرج بهم الحقوق فتنكر الامم على الانبيا تبليغهم تهم
فتدعى امة محمد صلى الله عليه وسلم فتشهد للانبيا وعلى الامم فتقبل شهادتهم
ومن قبلت شهادته فهو عدل والعدل مكرم غير مهان بلا شك قال الله
تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهدا على الناس مع ما ثبت وصح
في القران ان الله سبحانه وتعالى يجزي بالحسنة عشرا الى سبع مائة ضعف
الى ما لا يحصى والله يضاعف لمن يشا ويجازي بالسية مثلها اذا اخذها ويعفو
ويصفح ان هذا لهو الفضل المبين والرجا القوي المتين جعلنا الله واياكم
من عباده المومنين وختم لنا ولكم بخواتم الصالحين المكرمين امين وصلى الله
على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم

فصل

واما المقام الثالث
من الرجا في مقام الاحسان فهنالك الانقباض ولا اذكال الصبابات بالجار
وهو على ضربين لان الصفات على ضربين فعلية وذاتية فاما الفعلية

فان الاحسان فعل اسمه المحسن والاكرام مقتضى اسمه الكريم المكرم والستر مقتضى
عن الستير الستار والعفو عن العفو والغفران عن الغفور والرحمة
عن الرحمن الرحيم وحسن الصنعة واتقانها عن المصور الحكيم وهكذا
ساير الاسما والصفات اوجد عن مقتضى جميع الاسما والصفات
ما يليق بمعنى كل اسم وصفة لمقتضى الاسما من افعالها فاذا انظر الراجي
في العالم كله وصدوره عن اسمائه الحسنى وراى الخير والصلاح والحسن
والجمال قد عم الوجود ولم يقع الكفر والضلال والقبيح فيه الا كنقطة
في البحر او جوهر واحد بالاضافة الى جميع جواهر العالم فان القبيح
الذي هو العصيان انما ظهر في الوجود على يدي الجن والانس المخالفين
منهم وجميع العالمين من عباد الله طايعون محسنون والباري سبحانه
يجري على الكل في كل نفس الاكرام والاجلال والاحسان والافضال
ولم يروا قط منه طرفة عين الا الحسن الجميل اكرمهم بخدمته وقربهم من نفسه
وهكذا اشخاص العالم كله حتى جهنم بمن فيها من الاملاك وانواع الغذا
كل شخص منهم وكل عضو منها منعم عليه غير معذب مستغني متنعم بالانتقام
من الكفرة الفجرة المخالفين لمولاهم فما عسى ان يقع بنو ادم والشياطين
في جميع العالمين وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين فاذا راى
الراجي في مقام الاحسان ما اجرى الله تعالى على جميع خلقه من الاحسان
والاكرام اتسع رجاوه على قدر سعة ملك الله وخدامه وما يجري عليه
وعليهم من الطافه واحسانه واحسان الملوك الكرام اهل الفضل
والانعام لرعيتهم وعبيدهم على قدر مراتبهم وشرف منازلهم وانتشار
اياديهم وكرمهم فما ظنك برب العالمين فاياه فليرج الراجون وفي فضله
فليطمع الطامعون والى معروفه تمتد امال الاملين وهو القايل
سبحانه يا عبادي لو ان اولكم واخركم وانسكم وجنكم قاموا في صعيد
واحد فسالوني فاعطيت كل واحد مسالته ما نقص ذلك مما عندي
الا كما ينقص المخيط اذا ادخل البحر وفي الحديث ان الله سبحانه خلق مائة
رحمة كل رحمة منها طباق السموات والارض الحديث فقل ان هذه المائة
رحمة هي مقتضى اسمه الرحمن الرحيم وكل رحمة منها قد ملأت الوجود كله

كاملا البحر مياهه والجو هواه فكيف بساير الاسما ما علم منها وما لم
يعلم **واما الضرب** الثاني من الرجا في مقام الاحسان وهو
رجا الصفات الذاتية فانه مقام الروحانيين وخاصة العلما
العارفين وكل ما تقدم من الرجا فمنه وعنه يصدر وهو بالاضافة
اليه كلا شي الا تسمع الى قول الحملة ومن حول العرش من الحافين [illegible] حافين
ربنا وسعت كل شي رحمة وعلما انراهم يعنون بقولهم وسعت سعة
الظرفية الجسمانية حاشاهم من ذلك هل يعنون الا سعة الصفات
والاخلاق مثل العفو والصفح والحلم والسمح واللطف والرحمة وغير
ذلك من صفاته من الرضوانية والحنانية والرحمانية ولقد ورد
في الاخبار عن معوية بن ابي سفين رضي الله عنه وكان حليما انه قال
يوما لجلسايه اني لانف ان يكون في الوجود سفه لا يسعه حلمي لذلك
كان يوذي في وجهه ولا ينتصر لنفسه وهو في رتبة الملك على قدرته
على الانتصار فاذا كان عبد ضعيف مخلوق يقول هذا مع ان صفته
مخلوقة ضعيفة مثله فما ظنك بمن صفاته على سعة عظمته وهي غير
مكتسبة ولا مخلوقة ولا يلحقه في ذاته مشقة الغضب فيزيلها
بكظم الغيظ ولا يغصه كرهها فيزيل الاكراه بتعذيب من اكرهه كما ورد
في الصحيح عن الله عز وجل يا عبادي انكم لن تبلغوا ضري فتضروني
ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني فالباري سبحانه لا يتضرر بالمعصية ولا ينتفع
بالطاعة فطالبته الملايكة العارفون بلطيف التملق والدعا
والتواضع والاخبات في قلوبهم ربنا بمقتضى صفة الرحمة التي لا بد لها
ان تفعل مقتضاها في الوجود وهو صدور الرحمة عن الرحمن الرحيم
وبمقتضى اسمه الغفور فقالت فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك
الى اخر المعنى لاسيما وهو الرحمن الرحيم وهذان الاسمان يدلان على
كثرة رحمته وعظم سعتها لان فعيل في اللغة للتكثير ورحمان الذي
هو على وزن فعلان بناوه اعجب شي في هذا المعنى لانه لا يقال غضبان
ولا سكران الا للممتلي سكرا وعطشان الا للممتلي عطشا ورحمان
مخصوص بالباري سبحانه فهو يدل على سعة رحمة ذاته وعظمتها وكذلك

وكذلك صفة العفو والحلم وجميع الصفات الحسنى فلو عصاه العرش
وما حوى من جميع العالمين حتى لا يكون في العالمين من يطيعه طرفة عين
بانواع العظايم واجابر الكباير واجهوه بما لا يليق به ونسبوا اليه ما
لا يحسن وكان مخالفتهم له في ذلك كله على الكشف لا على الغيبة وداموا
على هذا ابدا الابدين ودهر الداهرين ما استطاعوا ان يستخفوه وان
يغضبوه فيغيروا حسن خلقه وسعة حلمه جل الواحد الاحد الذي لا
يشبهه احد قال الله جل جلاله وتقدست اسماؤه الرحمن على العرش
استوى وقال تعالى الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام
ثم استوى على العرش الرحمن فاخبر انه استوى على العرش بصفة الرحمة
لتدبير الخليقة والذي تجلى للعرش وما حوى من الرحمة ليس منتهى الصفة
بل ستر عن العرش والكل من صفة الرحمة الحنانية ما لو ظهر لهم منها اكثر
مما اظهر لتدكدك العرش والكل من قواعده وانخرم النظام وهلك
الكل لسعة الرحمة ولم يكن ذلك استوا وبطل معنى الاستوا ولم يكن
العدل في حق المخلوقات الا ان يتجلى لها من الرحمة ما تحتمل فافهم هذا
في الاستوا فانه من اغرب المعاني المكنونة المصونة في الاستوا فاذا
نظر الراجي في مقام الاحسان الى صفات المرجو وما هو مستحق به عليه
اتسع رجاؤه بقدر ما علم من صفات المرجو فلم يرجوا الا تجلي صفات المرجو
وكان نطلبه اياها ولم يرد في الملك سواها فامله وطمعه متعلق به في كل
حال فهو المطلب الكامل فوق كل كمال واليه تنتهي مطالب العلماء والعمال
وبه تتسع مطامع الطامعين وتنزل حاجتنا لفقرنا اليه والسوال
لانه يغني عن كل شي ولا يغني منه شي وفي الجبلة الطمع ففقر حاضر في حاجتهم
ففقرهم اليه وليس في الاحوال اشرف من الفقر الى الغني الحميد فاذا
افتقروا اليه بالطمع واعطاهم نفسه اغناهم به وسد حاجتهم فلم
يبق لهم حاجة لان الذي اعطوه ليس له نهاية ولا غاية ولا
مرمى فلم يبق لهم عنده حاجة الا المزيد من تجلي الصفات الباطنة
عنهم فيطمعون ان يرقيهم الى الرتب العالية ليدركوا منها وفيها ما
غاب عنهم مما طمعوا فيه ففقرهم الذي هو الرجا من هذا الوجه لا يزول

ابدا

ابدا فاهل مقامات عليين يرجون المزيد من كل وجه من وجوه القرب والكرامة
ممن حاز رتب الفضل والسيادة والخايفون يرجون تامينهم من كل انواع
المخاوف التي خافوها وهابوها حين تجلى لهم ما تجلى من الجلال والهيبة
والعظمة بما تجلى لهم من صفات الحلم والرحمة والحنان فاعتدل خوفهم
ورجاؤهم فالخوف يؤديهم احسن تاديب والرجا يغريهم بالتبسط احسن
تغريب جعلنا الله واياكم منهم في ستر وعافية امين وصلى الله على محمد
واله وصحبه وسلم **الشعبة التاسعة والاربعون**
المحبة لله عز وجل اما كون المحبة من الايمان فلا يحتاج الى استشهاد
وبيان لان ضد الحب البغض ومن ابغض الله كفر بعداوته له والايات
والاخبار في كون المحبة من الايمان كثيرة قال الله تعالى والذين امنوا
اشد حبا لله ويغني من ذلك كله قوله تعالى من كان عدوا لله وملائكته
ورسله الى قوله فان الله عدو للكافرين فاطلق عليهم الكفر بضد
المحبة **اعلم** ان الناس قد تكلموا في تحديد المحبة واكثروا فيها
واختلفوا لدقة معناها حتى انكرها قوم ينسبون الى العلم ولا علم
عندهم حين جهلوا هذا القدر من الدين وحد الحب ان شاء الله يتبين
من معنيين وهو الثبوت والصفا فنقول الحب هو الود الثابت الصافي
ماخوذ من الود وهو العود الثابت والوتد في الارض الصافي اي الخالي لص
من الكدر والثوب المحبوب ماخوذ من حبب الاسنان وهو بياضها وصفا وله
من الصفرة وشوب الالوان المغيرة للبياض ومنه الحبة وجمعها حبوب
والحبة بزور البقول تنبت في الارض وتغرز فيها فتتفرع وتثمر كذلك
المحبة في القلب ثابتة وتتفرع اغصانها على الجوارح ويقال ايضا
احب الرجل بالمكان اذا اقام به وثبت والحباحب ذباب له شعاع عجيب
بالليل وشبها نور المحبة الثابتة في القلوب الحبة العجيب وحباب
الما معظمه وكذلك معظم الحب في القلب لعظم المحبوب فيه وتثبت
حتى لا يرى المحب ولا يسمع الا محبوبه وان كان غايبا عن حسه ومثل
هذا كثير والود ارادة ساكنة ثابتة في القلب صافية من محبته
غيره الا انه يحب ان يحب هو فاذا ذلك يكون حاله فاذا افهمت هذا علمت

اذ المحب يريد للمحبوب الخير الدائم اللازم الذي لا يزول الصافي من جميع
الشوائب ارادة سكون المحبوب وثبوته في سويدا القلب والحدقتين
ان قدر على ذلك ولذلك ترى المحب يطلب الاتصال بالمحبوب حتى لو
قدر ان يدخله في باطنه بل يطلب الاتحاد به حتى يكون هو هو وهذا
الاتحاد المتنا هي هو الشغف المفرط فهذا يبين لك معاني الحب كله ان
شا الله على اختلاف احوال المحب والمحبوب فصل اعلم
ان مقام الحب يقتضي ثلاثة اشيا محب وهو العبد وحب وهو حال
العبد ومحبوب وهو المامور بحبه كاينا ما كان والحب على ثلاثة
اضرب ضرب في مقام الاسلام وضرب في مقام الايمان وضرب في مقام
الاحسان فاما الضرب الاول في مقام الاسلام وعالم الحس فهو حب الله
على ما اردف العبد واسدى اليه من نعمه كما ورد في الخبر احبوا الله لما يغذوكم
من نعمه ويحب من الامور الظاهرة ما امر بحبه والامور الظاهرة دينية
ودنياوية فيحب من المواطن ما يحب الله وامر بحبه وهو كل مكان يطاع
الله فيه ويذكر مثل المساجد كما ورد في الخبر ان احب البقاع الى الله مساجدها
وابغض البقاع الى الله اسواقها فيحب المساجد ويفضلها في حبه على
جميع بقاع الارض ويخص بارفع الحب منها الثلاث المساجد المسجد الحرام
ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم والمسجد الاقصى ويحب حلق الذكر
ومجالس العلم النافع فهذا حب محمود يثاب عليه ويحب من مساكنها ما ليس
فيه سرف فان الله لا يحب الاسراف والمسرفين وحد الاسراف ما اخرج
عن الاقتصاد والتواضع الذي هو سكنى الانبيا والاوليا العلما
الى حد التطاول والرغبة والزينة المذمومة ويحب من اللباس
ما تزين به لله كما قال خذوا زينتكم عند كل مسجد وهو ما ستر العورة
ورد الحر والبرد ولم يخرج الى الاسراف المبغوض عند الله وكذلك من
الطعام والشراب وهو الحلال ومن النسا ما اعان على دين الله لاما
اخرج وجر الى اقتحام المهالك وعلى الاقتصاد ينظر كلما كان من الدنيا
سبحانه فيحبه ولا يتجاوزه ان قدر فان تجاوزه فليستغفر الله فان
حبه راس كل خطيئة ثم يحب صلاح الدنيا بالدين والعدل وزوال

الاضطرار وحسن الحال والرخا للناس ولا يكون ممن يحب الغلا والفتن
والغلا كالحكار وشبهه روى معاذ رضي الله عنه عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال بيس العبد العبد المحتكر اذا رخص الله الاسعار
حزن وان اغلاها فرح وفي لفظ اخر ان سمع برخص ساءه وان سمع غلاء
فرح فالمحب في هذا المقام الظاهر الدنياوي يحب رخص الاسعار
وزوال رحمة الاضطرار والامن فهو يحب الخير للخلق كله لبني ادم والا نعام
والنبات لان بالاضطرار والامن صلاح بني ادم والدنيا والدين وما
احب ... من مباحات الدنيا بطبعه لا يخرجه من الحب ما لم يكن حراما كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم احب اللحم اليه الذراع وكان يحب من الشراب
الحلو البارد وكان يحب الدبا وكان يحب النسا والطيب والاولاد
وكان يحب بنته فاطمة رضي الله عنها حبا شديدا وساير اولاده
وحفيديه الحسن والحسين عليهما السلام وكان يحب من المباحات اشيا
وهو راس المحبين لكنه لم يكن يحب شيا يلهيه عن ذكر الله ولا ما فيه
اسراف فان ذلك يخرج عن ان يكون نعمة بل يخرج ان يكون نقمة وفي
الخبر احبوا الله لما اردفكم به من نعمه او يغذوكم به من نعمه فكل نعمه نازلة
بالعبد يحب العبد ربه عليها وذلك حب الاحسان كما ورد في الخبر
جبلت القلوب على حب من احسن اليها والباري جل جلاله قد احسن الينا
في كل شي صنعه بنا في حسن صورتنا وتركيب خلقتنا في احسن تقويم وكذلك
في تحسين اشخاص العالم كله لانه احسن كل شي خلقه وحسنها عايد منفعته
علينا لانها لبني ادم سخرت ومن اجله خلقت وكذلك كل نعمة تنعمنا بها
ونقمة صرفها فاذا اراى العبد ان الله سبحانه وتعالى قد احسن اليه في
كل شي وبكل شي والقلب مجبول على حب من احسن اليه احبه على قدر
احسانه اليه ولكن الغفلة والجهل والعمى غلبت والظلمة على قلوبنا
وترى الانسان اذا احسن اليه عبد مثله واعطاه شيا احبه
بقلبه على ذلك فكذلك اذا تبين للعبد احسان الله اليه احبه
على جميع افعاله لانه قد احسن اليه بها ومن احب شيا احب كل شي يتعلق
به حتى كلبه كما قال الشاعر

احب لحبها السودان حتى ● احب لحبها سود الكلاب
هذا لان محبوبه كان اسود فان قلت كيف يحب العبد ربه على
جميع افعاله على العموم والكفر والجهل والمخالفة افعال الله فكيف
يحب على ذلك فاعلم ان المحبة لها وجهين مرة تنظر من العباد ومرة
من الله وفي النظرين يختلف الامر فانك اذا انظرت مثلا الى الجهل علمت
ان صاحبه لا يدرك شيا ولا يتقنه ولا يحكمه فاذا انظرت الى الجهل
والى الحكمة في خلقه قال لك الجهل بلسان الحال اعلم ان الباري سبحانه
وتعالى منزه عن صفة الجهل فانه لولا ان جاهلا سبحانه ما خلق شيئا
ولا صدر منه فعل متقن محكم فيعقد ذلك الجهل على معرفة الباري سبحانه
وعلى ان كل شي منه صدر وبجمله اتقنه واحكمه كما ذلك العلم سوا وكذلك
الكفر الذي هو جحد الالهية يقول لك بلسان الحال لو ان الباري
يكون باطلا ولا يكون موجودا لم يكن رب ولا مربوب ولا موجد
ولا موجود فارشدك الكفر لغاية الايمان كما ارشدك الايمان
فاي حسن مثل هذا وكذلك الشرك يقول بلسان الحال لو كان مع الله
عز وجل شريك او ند او صاحبة او ولد لكان ناقصا متغيرا محتاجا الى
مكان تحله ولو كان كذلك لفسدت السموات والارض ومن فيهن ولم يكن
رب ولا مربوب وهكذا كل شي ولو تتبعت لك تفسير هذا في الاشيا كلها
المضدة لطال الكلام وغرضنا الاختصار فاستعن بالله في نظرك
يعنك **وقال** اهل المعرفة استحسان الكون على العموم دليل على
صحة المحبة واستحسانه على الخصوص يودي الى الفرق [illegible] لكن يحتاج
الى نظر شديد لانه صراط حديد يتبين منه احسان الله الى العقول
واما الامور الدينية فانها ضربان اوامر ونواهي فيحب الله على
احسانه اليه في ان صرف لسانه عن كلمة الكفر واطلقه بالتوحيد وان
اطلق جوارحه في فعل شرايع الدين وصرفها عن المخالفات فان ذلك
اعظم الاحسان اليه في هذا العالم ويحب دين الاسلام وعلوه وظهوره
وظهور المسلمين على الكفر والكافرين فانه ما خلق الله شيا في هذا العالم
احسن من الحسنات واجتناب السيئات ولذلك سماها حسنات والاجتناب

للمنهيات حسنة من اعظم الحسنات واي شي احسن من ذكر الله وطاعته
فيحب ذكر الله ويطلق به لسانه ومن احب شيا اكثر من ذكره ويحب
طاعته ويدخل فيها ومن احب شيا اطاعه ويحب اجتناب معاصيه
ويهرب منها ومن احب شيا احب ان لا يعصيه ويهرب من عصيانه
ويستعين على ذلك بالنظر في حسن الدين وجماله فرضا ونفلا
نفلا حتى يتبين له الحسن فيه والاحسان من الله في هدايته اليه
فان الحسن والجمال سبب الحب والاحسان فالهداية اليه من اعظم
النعم وقد جبلت القلوب على حب من احسن وانعم اليها وعليها ومثال
ذلك على الاختصار ان تنظر في جمال التعبد للاله الكبير سبحانه
فلا شي اجمل من تعبد العبد للسيد ولا شي اجمل من اجتناب التعبد
لمن هو عبد ولا شي اجمل من الاقرار للسيد بالسيادة لاسيما اذا كان
اهلا لها ولا اقبح من اضافتها الى من لا يستحقها فتبين بهذا جمال معنى
لا اله الا الله فيحبها العبد ويغرى بها حتى تكون احب اليه من سمعه
وبصره وكذلك تنظر في جمال الطهارة للتاهب بها للدخول على الملك
ثم جمال الصلاة ركنا ركنا بين يدي العزيز الكبير سبحانه وتعالى
وهكذا جمال الزكاة وزوال البخل بها والتزكية والطهارة من
رذايل البخل وهكذا الصيام وجماله وما فيه من كسر الشهوات البهيمية
والتشبه بالصفات الملكية في العفة وكذلك الجهاد وما فيه من عز
الاسلام والى الحج وغير ذلك حتى يتبين جماله ويحبه القلب فما خلق
الله اجمل من الدين ولذلك قال الله تعالى حبب اليكم الايمان وزينه
في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان فيحب الدين ويحبه
الله على احسانه اليه به فعلى هذا لا يرى شيا الا احب الله به وفيه
دينيا كان او دنيويا **فصل** واما المقام الثاني
من المحبة في مقام الايمان فاول ما يقع عليه نظره من الغيب نفسه
الغايبة في جسمه ولا شي احب اليه مما احسن الى نفسه فيحمد الباري
تبارك وتعالى قد كتب الايمان في باطنه واحسن اليه بهداية النفس
لقبوله وانعم عليه بان جعله من المؤمنين ولم يجعل باطنه محلا للكفر

به وينظر بايمانه الى الاخرة ويرى ببداية العلم واليقين ما اعد الله فيها
للمومنين وما يحسن فيها الى كل مومن بانواع الاحسان والايادي الاخراوية
التي لا يقدر على وصفها احد من الخلق ويرى بايمانه ما يصرف الله عن
المومنين من انواع العذاب والاهلاك الاخراوي الذي لا تقوم لها الجبال
ولا يصفه احد الا وهو اعظم من وصفه فلا يرى منها نجاة الا بالايمان
ولا احسانا الا المومن فيعلم قدر احسان الله اليه فيحبه على قدر احسانه
اليه بالايمان اذ قد علم ان ذرة من الايمان اذا وهبت لعبد وان كان
عاصيا قد تخرج من دار الهوان ولو بعد طول الازمان ولا يخلد فيها
كل الاحيان من اجل تلك الذرة من الايمان ثم تدخله تلك الذرة بعد
الخروج من النار الى سكنى دار سقفها عرش الرحمن فصح وثبت بالبرهان
عنده ان تلك الذرة منه لا وزن ولا قدر لقيمتها في الحين ولو اجتمع
جميع العالمين ان يقدروا قدرها لعجزوا عن ذلك اذ وصل قدرها عند
الله ان ينجي من الخلود في جهنم وتورث الخلود في بحبوحة دار الكرامة
والنظر الى وجه الله الكريم فهذا احسان من المحسن لمن اعطاه تلك الذرة
لا يعلم قدرها الا المحسن بها لا اله الا هو فاذا علم المومن هذا احب
الايمان وخلطه بلحمه ودمه وكان احب اليه من نفسه فكثر ايمانه واستنار
وصفى فابصر المومنات فاشتاق الى الغيب واحب الدار الاخرة واوثرها
على الدنيا ويشتاق الى الاحسان الذي كل احسان فيه كلا شي وقد مدح
الله سبحانه وتعالى اهل هذا المقام فقال تعالى كلا بل تحبون العاجلة
وتذرون الاخرة اي يذرون حب الاخرة التي فيها النعيم المقيم والاحسان
الدائم الكريم والتي تنظرون فيها ويرى السيد العظيم فان قوي
الايمان اشتاق الى الموت وهو اول المومنات وتاهب له وربما تمنا
ان كان ميا دعا من اجل انه يرحل الى دار الاحسان فيتذكر الموت مع
الاحيان لمرحل اليها وقد قال الصديق للفاروق رضي الله عنهما
ان حفظت وصيتي لم يكن غايب احب اليك من الموت وقال الله تعالى
فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ومن قصر عن هذه الدرجة فانه يحب
الموت من وجه اخر لانه يحسن اليه من اجل انه ينبهه من الغفلة ويذكره

بالدار الاخرة فيجعله من الذاكرين ويرقق قلبه ويخشعه وذلك
كله احسان عظيم من الله سبحانه وتعالى تجد اهل التخشع في حال
تخشعهم وهكذا القبر ايضا له فيه احسانا عظيما اذا تذكره وخاف
من هوله ورجا نعيمه فيرقق قلبه ويخشعه ايضا ويجعله من المنيبين
الى الاخرة فاي احسان اعظم من هذا لاهل الايمان وهكذا كل هول
من اهوال الاخرة من البعث وما بعده اذا تذكرها المومن المحب للاخرة
الناظر اليها بايمانه فنفعته جميع اهوالها وذكرته واخشعته وولهته ت
عنها الزهد والانابة والانكسار والاخبات وكل وصف محمود من
التعبد فعلى هذا لا ينظر بايمانه الى موجود من موجودات الاخرة
الا وله فيه احسان ديني اخراوي يجد ذلك في قلبه وباطنه وظاهره
في الحال ويوصله الى كل فضيلة من المقامات والاحوال فيصير كل
موجود من الاخرة احسانا له ولذلك اذا اغفل المومن المحب عن ذكر الاخرة
وما فيها من نعيم او عذاب وعدم الخوف احزنه ذلك وفزع فلا يستقيم
احواله حتى يتذكر النار والاهوال والدار الاخرة بما فيها وهذا الما
يجد من احسان الله باطنه بتذكره لذلك فان كان محبا للدار الاخرة
بصدق ثبت قلبه ابدا فيها مسكن وجسده في الدنيا لا فكرة له الا في
الاخرة وكيف يكون الحال فيها وهذا هو الحب الذي هو الود ما خوذ
من الود وهو العود الداخل الثابت في الارض فقلبه ثابت في الاخرة
وجسده في الدنيا روت عايشة رضي الله عنها عن امام المتقين وراس
المحبين صلى الله عليه وسلم انه كان كثيرا التفكر في تعرف الفاني من
الباقي والفاني والباقي في احد الوجهين هو الدنيا والاخرة
وفي الوجه الثاني الباقي هو الله سبحانه وتعالى والفاني هو الاشيا
كلها الا كل شي ما خلا الله باطل فاذا علمت هذا فاعلم ان صاحب
هذا المقام لا ينظر بايمانه ويتذكر الى موجود في الاخرة مفزعا
كان او غيره الا احب الله تعالى به لان الله سبحانه وتعالى يقربه به
ويرهبه ويخوفه ويزعجه ويقربه اليه بالمرغب فيه والمشتهى المستلذ
فلا يرى من محبوبه شيا الا احبه به ومنه فالكل احسان من الله للمومن

والقلوب مجبولة على حب من احسن اليها فلو علم الانسان هذا المقام من الاحسان لراى ان كل احسان دونه كلا شي من الله بفضله علينا وعليكم بالايمان والغفران وجعلنا واياكم ممن احسن اليه في كل شي في يسر وعافية امين وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم تسليما

فصل واما المقام الثالث من المحبة في مقام الاحسان فهو الغاية القصوى من المحبة وهو حب الله سبحانه وتعالى لما هو عليه ولما هو اهل له وهذا المقام الاحساني هو حب متولد عن الرؤية كما ورد في الخبر الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فانبت له معنى من الرؤية فاذا ارانه القلوب باليقين والعقول بالبراهين انكشف لهم جمال الاسما الحسنى والصفات العلى فاحبوه لانه اهل ان يحب والجمال محبوب في جميع الاشيا قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه جميل يحب الجمال فهو سبحانه وتعالى يحب نفسه ويحبه كل من راه لذاته ولما هو له اهل ولانه غاية اللذات العقلية الروحانية ولان كل منفعة منه فهو المحبوب بكل وجه وبكل معنى وعند العموم من هذا الحب مقام حب السماع وهو مقام حسن شريف وذلك ان من سمع بشخص عظيم القدر كريم له خصال شريفة وفضايل جمة احبه ضرورة كما يحب الانسان حاتم طي على كرمه وعنتره على شجاعته وهما ميتان لم يرهما هذا وكحب الصحابة والفضلا والباري سبحانه وتعالى قد وصف نفسه بما هو له اهل واخبرت عنه الرسل فامن الخلق به واحبوه لما سمعوا عنه مما هو عليه من الصفات الكريمة فهم يحبونه الحب المفترض الذي لا يثبت الايمان الا به وذلك انهم لا يريدون الالهية لسواه ولا يحبونها الا له فنافي قلوب الموحدين ان يحب الالهية لغيره ويحبها له سبحانه وتعالى وحده فكل مومن والحمد لله فله مقام من الحب وقد انبت النبي صلى الله عليه وسلم الحب لنعيمان وكان يتبع في الحدود فسبه رجل فنهى عن سبه وقال انه يحب الله ورسوله فانبت له الحب لكن ابتلي بهوى النفس فكان ذلك خلطا بنقص صفا المحبة الذي منع ابا بكر وعمر رضي الله

عنهما وغيرهما من الوقوع فيما وقع هو فيه وهذا المقام الاول هو فرض المحبة فان ذلك فضل زايد على الفرض يختص به من يشا الذي بيده الفضل والبسط فيتولد ذلك الحب عن ذوق الجمال وكشف حسن الكمال ومن راى شيئا جميلا كاملا احبه شا ام ابى لا محالة فالذين استدلوا عليه باياته وراقبوه في عباداته راوه بالعلم فاحبوه حبا زايدا على حب السماع والايمان فاعلاهم رتبة في ذلك الذين تحررت نفوسهم من رق الاغيار فرفعت عن قلوبهم الحجب والاستار فلحظوا سبحات الوجه الجميل فاحرقتهم لهيب الحب المتوقد في ضمير الغليل واطارتهم زفرات الشوق المقلق المزعج الى حضرة الجليل فاحبوه حين راوه شاوا ام ابوا وذلوا له وخضعوا لجلاله وكل من احب شيا لجماله ذل له وخضع والذل هو التعبد للمحبوب وبعد فان الارواح الزكية حياتها في التجلي والاستتار لانها حدثت عن معاني اوصاف الباري تبارك وتعالى فهي الطف الموجودات واشرفها فهي تشتاق وتنزع الى معادنها التي عنها صدرت لانها في اجسادها في دار الدنيا كالغريب عن وطنه قلبه متعلق بالوطن حتى يرجع اليه فليس لها راحة الا في لقا مولاها وكذلك ورد في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم لا راحة لمومن دون لقا ربه فهذه الارواح الشريفة لا تحل لها في مقام المعرفة والمحبة الا اللقا الكريم لانه قد صح وثبت انه من تقرب من الله شبرا تقرب منه ذراعا ومن تقرب منه ذراعا تقرب منه باعا فهولا المقربون الى ربهم ابدا ناظرون لجلاله وكماله ملاحظون فاحبوه الحب الخالص عن رؤية الجمال فاستولى عليهم ذكره وغلب عليهم حين ذاقوا خالص لذيذ الحب فانساهم خالص الحب كل شي سوى المحبوب **وقال** ابو بكر الصديق رضي الله عنه من ذاق شيا من خالص محبة الله الهاه ذلك عما سواه وقال الله تعالى اني لاطلع على قلب عبدي فاجد الغالب عليه ذكري الا كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي عليها وقلبه الذي يعقل به ومن هذا الباب دخل المحققون

واما فضل المحبة

علامة المحبة

شروع

في مقامات التوحيد الخاصية من الغيبة والحضور والفناء والبقاء وغير ذلك من مقامات التوحيد التي لا توجد إلا بعد مقامات المحبة فعلامة المحبة استيلاء ذكر المحبوب على القلب والجوارح والذكر جلاء القلب كما ورد في الخبر إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد قيل فما جلاؤها قال ذكر الله فالذكر يجليه كما تجلى المرآة فتتجلى فيها الصور المحاذية المقابلة لها فكذلك القلب إذا صفا بخالص الحب واستولى عليه الذكر وجلاه نور الاستيلاء فصار وضيئا بلا قفا وتجلى فيه المحبوب بحيث ما نظر لم ير إلا محبوبه فيه يسمع وبه يبصر وبه يتكلم وبه يتحرك ويسكن في كل شيء قد أفرد محبوبه بالذكر وتوجه نحوه في كل شيء قال الله تعالى عن إبرهيم عليه السلام بعد ما ترقى عن حب كل آفل إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا مسلما الآية وقال عز وجل واجعلوا بيوتكم قبلة وفي الخبر الصحيح سيروا سبق المفردون قيل وما المفردون يا رسول الله قال هم المستهترون بذكر الله والاستهتار هو إفراد المذكور مقرونا بالافتخار والاهتزاز بذكره لا سيما إذا كان المذكور عظيم القدر جليل الخطر يستحقر كل شيء عظيم وجليل في جنبه فهؤلاء هم الذين احتووا لما هو عليه من جلالة القدر وعظم الرفعة وهم على درجات فمنهم المحبون المشتاقون لحالهم القلق والحزن والحنين ولزموا الباب والتأوه والأنين كما قيل رب منظر أورثت في القلب حزنا طويلا تحزنهم الستر لأنه فراق وتعلقهم التجلي بحرقة الاشتياق فعذابهم عذب لشرك العذاب لأنهم مغرمون بجمال سيد الأحباب قال الشاعر

وما في الأرض أشقى من محب • وإن وجد الهوى حلو المذاق
تراه باكيا في كل حال • مخافة فرقة أو لاشتياق

فأما أحباب الحبيب وتملقوا بمناجاة القريب المجيب يستغرقون كلامه ويراقبون أعلامه فإذا تجلى لهم عاشوا وإذا استتر عنهم طاشوا لأن محبوبهم شيء عظيم لا يعبر عنه من وصف له يتحقق وصفه فكيف بمن رآه بقلبه وأبصره يستغرقون الجهد في طلب وصاله بعبادة الخلق

والأحشاء ولم يدخروا منهم شيئا حتى تقطعت منهم الأقدام والأكباد فأسرارهم مشغولة بذكره وقد حاطهم العجب العجيب من حبه لا يرون شيئا ولا يكلمون مخلوقا إلا ببعض قلوبهم كما قال بعض التابعين إن لي ثلاثين سنة ما كلمت أحدا بالجملة قلبي طلبهم عين الجمع بالمولى الحق وهمتهم الفرار من الخلق كي لا يستغرقهم الغرق ومنهم المحبوبون المأخوذون من أنفسهم المنعمون بروح نسيم أنسهم المغيبون وراء الحجب والأستار المكشوف لهم عن الغيب والأسرار لأن من قربه شبرا أطلعه على أسراره وأحضره معه من وراء حجبه وأستاره ومقام المحبوب أعلى وأفخم من مقام المحب وأعظم لأنه اجتمع له مقامان مقام المحب ومقام المحبوب إلا أن الغالب عليه مقام محبوب كما أن المحب أيضا محبوب لكن الغالب عليه مقام محب وفي هذا المقام أعني مقام محبوب درجات الخلة والاصطفا ولذلك اطلع الخليل إبرهيم عليه السلام على الأسرار قال الله تعالى وكذلك نري إبرهيم ملكوت السموات والأرض فاعلم أنه أراه ملكوت السموات والأرض لأنه خليل الله وبعد ذلك مقام الحبيب الذي هو الغالب على مقام محمد صلى الله عليه وسلم ويعطى كل من أهل الله على مقدار ما قسم له منه كان نبيا أو وليا والخليل هو الذي تخلل الحب أسراره • كما قال

قد تخللت مسلك الروح مني • فلذا سمي الخليل خليلا
فإذا ما نطقت كنت حديثي • وإذا ما سكت كنت الغليلا

وتخللت أسرار الغيب والحبيب من شغف الحب قلبه بكثرة نجواه وبعد نظر منهم مقام الإدلال وأقسموا على محبوبهم بجاههم عند ذي الجلال وفي هذا المقام ظهر بسط المصطفى صلى الله عليه وسلم في مواطن القبض حين انبسط لطلب الشفاعة للخلائق أجمعين لما انقبض بأسباب القبض العظيمة جميع العالمين فأهل هذه المقامات الثلاث مقام محب ومحبوب وحبيب هم الذين تعلم نفس من غير نفوسهم ما أخفي لهم فطوبى لهم وهنيئا لهم نفعنا الله بمحبتهم ولا أخلى حظنا وصفهم

كما قال قائلهم

واستوينا فراق قوم • هم المصابيح والحصون
والمدن والمزن والرواسي • والخير والامن والسكون
لم تتغير لنا الليالي • حتى توفتهم المنون
وكل جمر لنا قلوب • وكل ماء لنا عيون

فصل واعلم ان هذا المقام من الحب المتولد عن الروية
انما هو رويته العقل والعلم لان الله سبحانه وتعالى لا يرى بالبصر في
الدنيا ولا حبه من موجبات المشتهيات الجسمانيات وانما هو حب
روحاني عقلي واعياني يقيني وجماله سبحانه لا يشبهه الجمال وكماله
ليس كمثله كمال فانه ذاته لا تحويه الامكنة ولا تحيط بوصف عظمته
الالسنة ولا تبليه ولا يغيره طول الازمنة فهو الواحد في رتبة
الالهية الذي ليس فوق رتبته رفعة درجة فيرتقي اليها فينزل
عنه نقص الرتبة التي كان فيها وعبيده كلهم اعني جميع المخلوقات
على حسنهم ودرجاتهم بالاضافة اليه ناقصون وفي الارتقاء الى معالي
الامور متفاوتون وفي السبق الى المقامات المكانة والتمكين ابدا
متلونون وفي قبول فيض الجود والكرامة وطلب الفضل والزيادة
متغيرون والرب سبحانه وتعالى مشرف على الكل وعال على الجميع قد
تجاوز نهايات النهايات وفاق غايات الغايات في علو الرتب والدرجات
فهو سيد العالمين واله الخلق اجمعين وحسن اياديه وفيض جوده
وكرمه جار علينا وعليهم ابد الابدين والممالك باجمعها على كثرتها
يصرفها بيده على اطوار التصوير من اعظم المخلوقات الى الذرة واصغر
منها في التقدير وركب باتقان الحكمة ولطيف العلم اجزا الكبير
منها والصغير وينفذ بصره في كل الموجودات فيبصر العظم والحقير
فجواهر العالم كله على اختلاف عوالمه وجميع اشخاصه ناطقة بالحال
والمقال مدة بقايهم في الاباد والازال بالثنا عليه فلكل جوهر
وشخص لسان يثني عليه وينزهه ويقر بالعجز عما هو عليه هذا حال
جميع المخلوقات ابد الابدين تنطق بالثنا عليه في كل حركة ونفس
بثنا لا يشبه الثنا الذي كان في النفس الذي قبله لانه قد ظهر

مطلب وجوب الايمان

له في النفس الثاني من حسنه وشرف قدره اكثر مما كان ظهر له فما عسى
ان يصف لسان واحد من بين هذه الالسنة على كثرتهم واختلافهم
في الازمنة والامكنة فهذا جمال لا يشبهه انواع الجمال وكمال فاق جميع
رتب الكمال فكيف لا يجب ضرورة نشا الخلق ام ابوا ان يحبوا المحبوب كونا
احب شرعا ام لم يحب وكل من سمع به احبه فكيف من راه بقلبه وعرفه
فاذا سمعت العقول ما ذكر عنه في الشرع المنقول وابصرت بنظرها
في المعقول احبته فذلت له وخضعت واستعبدها بذل الحب فاذا
حين رفعها الله من تواضع لله رفعه الله تنقاد بذل الحب وتعرج
بترفيع الرب في مقامات القرب وتزداد تكشف الحجب وتشرب في
حياض الحب فتجد طعم الفرات العذب فسكران وصاح ومثبت
وماح وفان عن نفسه وباق بغيبته عن انسه واحوالهم كثيرة لا
تحصى واسرارهم خفية لا تستقصى الا ان كلهم ملك محبوبه فرح مسرور
بنعيم محبوبهم اعلام نعيم الجنة وعطاهم من بحر صفا المنة لكن وان
اختلفت انواعهم فتجمعهم ثلاثة انواع النوع الاول المحب المتقرب
والثاني المحبوب المقرب والثالث الحبيب المحبب وكلهم محبوب وحبيب
ومحب الا ان المقامات بعضها ارفع من بعض فالمحب متلون طاير برفرف
الشوق والمحبوب ساكن متمكن مستانس بالحق والحبيب متسع بين
ظهراني الخلق لا يوحشه كونهم ولا يونسه فقدهم والكل لم يبق لهم
حاجة من الحاجات الا المزيد من تجلي الصفات العاليات والرب
سبحانه وتعالى ما يتجلى بنوع واحد من التجلي بل مرة يتجلى بصفة الجمال
ومرة بشرف الكمال • ومرة برفعة التعالي • واخرى بسعة الرحمة
ومرة بوصف العطف والمنة • ومرة بصفة العفو والحنان ومرة
بصفة الجود والاحسان • ومرة بصفة جمال العدل واخرى بصفة
الفضل • ومرة بصفة العزة • ومرة بصفة الغنى • ومرة بصفة
الكبريا • واخرى بعدم الشبه للاشيا • ومرة بصفة الحمد والشكر
والثنا • ومرة بلطيف العلم • واخرى بعظيم الحلم • وهكذا يتجلى بمعاني
اسما لا تحصى وهم يتلونون في معاني اسمايه الحسنى • فلكل معنى منها

مطلب انواع التجليات

دت

حب وذوق كريم عذب. وكل معنى في نفسه لا يتناهى إذ المعاني في سعة
الكثرة لا تتناهى فمحبتهم تتزايد أبدًا والتجلي لا ينقطع سرمدًا
فصل إخواننا بحقنا نقول لكم نحن وإن لم نكن من أهل
هذه الأحوال الرفيعة والمقامات الكريمة لما حل بنا ونزل من الغفلة
والركون إلى اتباع الهوى والشهوات وارتكاب المحذورات ولعدم
أهل هذه الأحوال في هذه الأزمان فقد عدموا وانقرضوا إلا من
كان منهم من أولياء الخارجين عن الخلق لفساد أحوال الخلق وعدم
طيب الرزق فبقينا بلا دليل حيارى ومن حب الدنيا المذمومة
بلسان الشرع سكارى فنحن نحب أهل هذه الطريقة ونؤمن بهذه
الأحوال والمقامات الرفيعة ونقر على أنفسنا بالعجز ونتبرأ من الدعوى
ونقول من لنا بحن أو من نكون حتى نرتقي إلى تلك الرتب العاليات
ومن يصلح لحضور تلك المشاهدات فنفوسنا أحقر وأقل من ذلك
إذ لا يقرب الملك من حضرته إلا من يرى أنه يصلح لآداب حضرته
وهم عباده المقربون الصادقون الصابرون الزاهدون الموثرون
المطهرون المكرمون ونحن الفقراء المساكين الناظرون بعين الذلة
والمسكنة إلى تحت أقدامهم المتعلقون بأطراف أذيالهم راغبين
بالضراعة في شفاعتهم لعل قلوبهم الرحيمة تنظر إلينا لرقتهم ورحمتهم
فيرانا مولانا في قلوبهم لأنهم موضع نظره من الخلق فيرحمنا بنفحة
من نفحاته ويجبرنا ويشفعنا بمحبتهم وإذا أعطانا محبتهم والإيمان
والتصديق بطريقتهم فقد أعطانا ما لا نقوم بشكره أبدًا فنقول
الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله
ولعل إن شاء الله وعسى أن يدركنا معنى الخبر المرء مع من أحب جعلنا الله
وإياكم من أوليائه الأصفياء ونفع الجميع بالتبري والافتقار وأعاذنا
وإياكم من أهل التكذيب بهم والنفور والاستكبار وصلى الله على سيدنا
محمد النبي المختار وعلى آله وصحبه السادة الأبرار وسلم تسليمًا كثيرًا
فصل قال الله عز وجل وقالت اليهود والنصارى نحن
أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم دليل هذه الآية أن الله

سبحانه

سبحانه وتعالى لا يعذب أحباءه وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم
ما كان الله ليعذب حبيبه بالنار وأبين من هذا كله أن الله سبحانه
وتعالى قد شرط على نفسه غفران الذنوب لأهل المحبة وإذا غفر لهم
لم يعذبهم وذلك في قوله عز وجل قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم
الله ويغفر لكم ذنوبكم وروى أبان عن أنس رضي الله عنهما قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم إن الله سبحانه وتعالى إذا أحب عبدًا لم يضره
ذنب **فصل** هؤلاء الذين سلموا من العذاب هم أهل المحبة
الخاصة لأن أهل الحب المفترض الذي لا يثبت الإيمان إلا به قد
يدخلون النار بذنوبهم لأن الأخبار قد صحت أن من أهل الإيمان من
يعذب ويسود عليه ويشفع فيه فيخرج من النار وأهل المحبة الخاصة
هم أهل المقامات وهم المقربون وأهل الفضل العظيم قال الله
عز وجل فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه إلى قوله تعالى ذلك فضل
الله يؤتيه من يشاء وشأن المشيئة التخصيص فهؤلاء المذكورون اختصهم
الله بمحبته لهم وحبهم له وقال تعالى في آية أخرى ويؤت كل ذي فضل
فضله فمن كان ذا فضل في إيمانه وأعماله وأحواله آتاه الله فضله
والله ذو الفضل العظيم **فصل** فأهل المحبة الخاصة
هم الذين أحبهم الله وأحبوه كما قال تعالى يحبهم ويحبونه ومعنى المحبة
الخاصة إفراط الحب وزيادته وشدته قال الله تعالى والذين آمنوا
أشد حبًا لله أشد على وزن أفعل يدل على أنه أشد من غيره وأوصاف
أهل المحبة الخاصة مذكورة في الكتاب والسنة لمن تتبعها وفهمها
وأنا الآن أكشف من أوصافهم وأبين بعض أحوالهم لعل الله أن ينفع
بذكرهم ويدخلنا في طريقتهم فأول ذلك الإيمان الكامل والعمل الصالح
قال الله تعالى إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن
ودا والود هو الحب أي يجعل لهم ودا في قلوبهم يؤثرونه به على كل شيء
ونيسا فوز لديه ويجعل لهم الود في نفوس أهل الحب فدلت الآية
أن العبد على قدر كمال إيمانه وصلاح أعماله يكون وده لربه وحالته
فصل فأهل المحبة هم الموقنون الصالحون ومن

مطلب أهل المحبة الخاصة

ومن اوصافهم التوبة قال الله عز وجل ان الله يحب التوابين وقال النبي
صلى الله عليه وسلم التائب حبيب الله والتائب الحقيقي قد احب الله
واحبه الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب له من اجل ان المحبوب مغفور له
ومن اوصافهم الطهارة فهم الطاهرون قال الله تعالى رجال يحبون
ان يتطهروا والله يحب المطهرين والطهور شطر الايمان والطهارة
ظاهرا وباطنا اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم دليل ان قلوب
المرادين والمحبوبين مطهرة ومن اجل ان الرجس كله يبعد من اوصاف
القدوس والحبيب قريب من الحبيب والمقربون مطهرون قال الله تعالى
والله لا يحب كل كفار اثيم ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما انه لا يحب
المستكبرين ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا ان الله لا يحب الفرحين
والله لا يحب الفساد انه لا يحب المفسدين انه لا يحب المسرفين والله لا
يحب الظالمين وفي الخبر ان ابغض الخلق الى الله الالد الخصيم وفي الصحيح
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ابغضكم وابعدكم مني مجلسا يوم القيامة
الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون ومن ابغضه رسول الله صلى
الله عليه وسلم وبعد منه فهو بغيض لله وبعيد منه لا محالة ومثل هذا
في الكتاب والسنة كثير ومجمعه على الاختصار ان كل وصف وخلق وعمل
ظاهرا وباطنا نهى الله عنه فهو رجس نجس والرجس النجس بعيد من الله المنزه
القدوس لانه قبيح ومبغوض عند الله غير محبوب والطهارة من ذلك كله محبوب
لله لان من اوصافه الطاهر فطوائف المحبوبين وانواعهم مطهرون لان
الله سبحانه لا يحب الا الطاهر الطيب ومن اوصافهم التقوى فهم
المتقون قال الله تعالى ان الله يحب المتقين والتقوى جامع لاحوال
اهل الحذر فهم الخائفون الوجلون المشفقون الخاشعون الورعون
المنكسرون الى غير ذلك ومن اوصافهم الذل للحبيب والتملق للقريب
المجيب بالحنين والانين فهم المخبتون المتواضعون المستكينون للمولى
الى غير ذلك من اوصاف اهل الطمع في محبوبهم وحسن الظن به فهم الطامعون
الراجون الراغبون الى غير ذلك من اوصاف الذل والرقة والحنان
والرحمة قال الله عز وجل في اوصاف المحبوبين المحبين اذلة على

المؤمنين بعد قوله يحبهم ويحبونه وانما ذلوا للمؤمنين من اجل من امنوا
به فكيف بذلهم له ومن اوصافهم العزة لله والغلبة على الاعداء
والغضب لله والمحبة لله وفي الله قال الله تعالى ان الله يحب الذين
يقاتلون في سبيله صفا وقال بعد قوله يحبهم ويحبونه اعزة على
الكافرين يجاهدون في سبيل الله الاية والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا فدخل في ذلك اوصاف المجاهدة والمراقبة الى
غير ذلك مما يطول ذكره ومن اوصافهم الصبر والشكر قال الله تعالى
والله يحب الصابرين وفي الصحيح ما احد احب اليه المدح من الله سبحانه
من اجل ذلك حمد نفسه واذا احب المدح احب المادح به لابد ولا
محالة وما مدح الله بمثل تلاوة كتابه وترتيل كلامه لانه مثاني كما
قال تعالى كتابا متشابها مثاني اي من الثناء والمدح عليه فلذلك
ترى المحبين لا يشبعون من تلاوة القرآن في الاسحار ولا يفترون
عن الذكر اناء الليل واطراف النهار فهم الشاكرون الذاكرون المتهجدون
العابدون الصابرون على مذكورهم ومحبوبهم

فصل

وقد يبلغ المحب بالتحقق في مقام الصبر والشكر الى امر عظيم يحصل من
مجموعهما اعني الصبر والشكر حالة تسمى الرضى عن المحبوب فاذا كان
ذلك حسن عند المحب كل شيء من محبوبه فلا يرى منه الا كل شيء مليح
فيجازيه محبوبه على ذلك ان يحسن منه كل قبيح فاذا احبه الصابر
الشاكر الراضي حتى يحسن عنده كل ما ابتلاه به فيحمد ويرضى عنه في
السراء والضراء ويرى منعه عطاء ويعتقد العافية منه في البلاء جازاه
الودود الحق باغرب شيء من الفضل والسماح والطول فيحسن منه قبيحه
فيبدل سيئاته حسنات ويتدارك موضع هلكاته ولذلك ترى
المحب ربما فعل القبيح فيحسن عند المحبوب لان المحبوب محب له
ايضا وفي مثل ذلك انشدوا

ويقبح من سواك الفعل عندي • فتفعله فيحسن منك ذاكا

وفي مثله ورد الخبر عن زيد بن ارقم رضي الله عنه ان الله تعالى يحب
العبد حتى يبلغ من حبه له ان يقول له اصنع ما شئت فقد غفرت

لك وفي الصحيح من قصة حاطب ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه
قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما يدريك ان الله اطلع على اهل
بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم وما حدث به رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا والامر كذلك والى هذه اللطيفة من احوال
المحبين والمحبوبين اشار المحققون في قولهم استحسان الكون
على العموم دليل على صحة المحبة واستحسانه على الخصوص يودي
الى حيرة وظلمات فاذا فهمت هذا فالمحبوب هم الصابرون الشاكرون
الراضون **ومن** اوصافهم التوكل بالاعتماد والتسليم والتفويض
بجميع امورهم الى محبوبهم قال الله تعالى ان الله يحب المتوكلين فتوكل
المحبين سكونهم الى وعد محبوبهم لان من احب شيا لا يريد فراقه لان
الفرقة تشتت وكثرة النظر الى الاسباب تشتت القلب من المحب
ولذلك قال الله عز وجل لحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم وتوكل على الله
وكفى بالله وكيلا فامره سبحانه بالسكون اليه وتفويض الكل الى تدبيره
ثم اعلم بعد ذلك انه ليس لمخلوق الا قلب واحد اذا اشتغل
بشيء او اشتاق طمعه عنه تشتت وافترق عن محبوبه فقال
تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ومن اغرب ما سمع في هذا
المعنى ان رجلا مر بجارية على غنى فاعجبته فجعل ينظر اليها ولا يلتفت
الى سواها فامرته ان يرد بصره عنها فقال لها وكيف وقد امتلا قلبي
بك فقالت له فكيف لو رايت التي وراك في العين الاخرى فانها
اجمل مني فالتفت وصرف بصره فلم ير شيا فقالت له ما احسن الصدق
واقبح الكذب لو تفعل انك تحلى عليك فالتفت عني فنظر اليها
فاحتجبت عنه فلم ير شيا فالمحبون هم المتوكلون المفوضون المسلمون
المستسلمون الساكنون بطمانينة السكينة عند محبوبهم ومن اوصافهم
العلم الكامل والمعرفة التامة بمعروفهم قال النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله سبحانه عليم يحب كل عليم وعليم على وزن فعيل للتكثير وقال
امام الائمة وعليم الملة علي بن ابي طالب رضي الله عنه من لم يعرف لم يحب
انما يمانح نفسه والجهل بعيد من اوصاف القدوس جل جلاله والمحبون

هم العارفون والمعرفة انما تكون بالتدبر في امور الحبيب والتفكر
والنظر في مصنوعات الحكيم فقلوبهم مشحونة بالافكار وعقولهم
جائلة مستغرقة بالنظر والاعتبار في عظمة الجبار وقال قائلهم

اَمُرُّ على الديار ديار ليلى • اقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي • ولكن حب من سكن الديارا

فالمحبون هم المعتبرون المتدبرون الناظرون المتفكرون العالمون
العارفون **ومن** اوصافهم الاحسان قال الله تعالى والله يحب
المحسنين والاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه
فانه يراك وقال سبحانه وتعالى وان الله لمع المحسنين فالمحبة توجب
القرب والروية توجب المحاضرة والمطالعة والمشاهدة والمكاشفة
والغيبة والحياء والمجالسة الى غير ذلك من اوصافهم فالمحبون هم المحسنون
المستحيون الغائبون الحاضرون المشاهدون المكاشفون المطالعون
والمجالسون في مقعد صدق عند مليك مقتدر والمجالسون هم المخاطبون
والمحدثون واهل الانس المستانسون **فصل** ومن
اوصافهم واحوالهم ادل دليل على كون المحبة بين اعطائهم حب لقاء
الحبيب الودود جل جلاله قال النبي صلى الله عليه وسلم من احب لقاء
الله احب الله لقاءه فهم المستوحشون من الدنيا وابنائها الفارون
الى الخالق عنها وعن اهلها الغرباء فيها النافرون المقلعون عنها
الباكون على الرجوع الى اوطانهم منها قال النبي صلى الله عليه وسلم
لا راحة للمومن دون لقاء ربه ولولا ان الله عجل لهم محبوبهم معنى من هذا
اللقاء الكريم في الدنيا في صلواتهم وقرة العين فيها وفي خلواتهم
وان ارواحهم لطارت ارواحهم من اجسادهم صعدا وتلفت وتفتت
اكبادهم بالشوق كما قال الله تعالى الم يروا الى الطير مسخرات في
جو السماء ما يمسكهن الا الله وفي الخبر انما نسمة المومن طاير تعالق من
ثمار الجنة وقال النبي صلى الله عليه وسلم في تعجيل اللقاء في الدنيا
ارحنا بها يا بلال يعني الصلاة وقال عليه السلام وجعلت قرة
عيني في الصلاة **ومن** اوصافهم متابعة الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم

المحبون
المتلعون
المطلبون
محبة لقاء الله
وسلم

في اعماله وسلطانا ما كان باطنه واحواله وقد كان صلى الله عليه وسلم مؤثرا
لله سبحانه وتعالى على كل شي ومستحقرا في جنب مولاه كل حي ومؤثرا
للآخرة الباقية على هذه الدنيا الفانية قال الله تعالى قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الآية اثبت لهم في هذه الآية حبا في
اولها بقوله تعالى ان كنتم تحبون الله ثم اعلم انه يثيبهم على الاتباع
لحبيبه صلى الله عليه وسلم حبا ثانيا زائدا على حبهم الاول بقوله
تعالى يحببكم الله وفي زيادة الحب على الحب يشتد الحب واذا اشتد
الحب ظهرت اثاره على المحب وبدت اعلامه على المحبوب ولذلك
ظهرت الباء الثانية في الفعل الثاني الزايد في الحب في قوله يحببكم
الله ولم يخففا لكافة لادغام ولولا ان الباء ظهرت بتسكين الجزم
لها لا تلف الحب اهلها والسكون هدو وطمانينة وتؤدة فلذلك
كان للآية الاعلام المحبوب المتبعون النبي صلى الله عليه وسلم اهل
تؤدة وطمانينة وسكون في حبهم وهم احب خلق الله في الله وفي رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقد عوتب الجنيد على ترك الحركة فقال وترى
الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب وهكذا قال اهل المعرفة
لكل حرف وحركة وسكون من حروف القرآن علوم واسرار ومفهوم لا تنقضي
ابدا فاهل هذا المقام ظهرت على اجسامهم وفي احوالهم واعمالهم المحبة
حتى لم يشك انهم محبوبون لكن لما كان قوله يحببكم الله جامعا لهم جذبهم
حبه لهم اليه سبحانه وتعالى وادفعهم بالتثبيت معه والتمكين ·
في حبه والثبات والوقوف ترك الحركة جزم والجزم قطع للحركة ·
وتسكينها وليس في احوال الخلق ارفع من درجة التمكين وانما ·
ورثوا ذلك باتباعهم للمتمكن المكين في حب رب العالمين محمد سيد المرسلين
فانه كان احب الخلق الى الله وكان اثبت في حبه من الجبال الرواسي
صلوات الله وسلامه عليه وعلى اله وصحبه وسلم **فصل**
فان قلت فان قوله يحببكم الله مخصوص بالله وهو حب الله لهم وحب
الله باين من حب الخلق وانت انما وصفت حب المحبين المخلوقين فاعلم
ان الامر كما قلت وحبه لهم جذبهم اليه كما تقدم لكن في حبه لهم

تأثير الحب عندهم وازداد لا انصفا بدونه الى في الوجود ولا يحب العبد
خالقه حتى يحبه خالقه فيحبه لهم زاد الحب عندهم وتنزهت بواطنهم
بالحب كما انفسهم عن شيئه وما تساووا الا ادنيا الله **فصل**
بقوله يحببكم الله كانوا محبوبين لله لا بد ولا محالة ومجذوبين اليه
من الاشيا القاطعة بلا شك وبذلك اخرجهم من الظلمات الى النور
وحين اخرجهم اليه تولاهم فكانوا في كنفه وتحت توليته ولما تولاهم
صاروا في ملكه فنصته قبضهم عن الاغيار فاكرمهم بقبضته فاذا
قبضهم عنده استمسكوا بالعروة الوثقى فاذا استمسكوا بالعروة
الوثقى لم يكن لهم زوال ولا خروج من القبضة لان العروة الوثقى
لا انفصام لها فمن يكفر بالطاغوت الآية الله ولي الذين آمنوا الآية
لاستيما الاخراج الكلي والولاية الخاصة فحالهم في هذا المقام كحال
الحوت في الما ان خرج منه تنفس وكاد يتلف كذلك المحبوبون لا يستطيعون
الخروج من عند محبوبهم ولا الالتفات الى الاغيار ردا للقواطع الا
كما جرى للحوت اذا خرج من الما **فصل** فان قلت كيف اقبلت
الانبيا عليهم السلام على الخلق وخاطبتهم وعلى الاكل والشرب
والنكاح والاوليا الاكابر الذين وصفت فاعلم ان الله جل جلاله
وتقدست اسماؤه يقول واقسطوا ان الله يحب المقسطين فمن اوصافهم
القسط والقسط هو العدالة والعدل وضع الاشيا مواضعها التي
امر الله بها واعطا الحق لكل ذي حق فيشاهدون الاشيا ويباشرونها
لان الله تعالى منزه عن مباشرة الاشيا وملامستها فلا بد لهم من مباشرة
المخلوقين لتوصيل الحق الى كل ذي حق لاخراجهم ودعوتهم الى النور
الحق من ظلمات الخلق **فصل** فان قلت فان ذلك
الرجوع نزول من اعلى الى اسفل وذلك انحطاط ونقص درجة فاعلم
ان ذلك كمال وزيادة الا ترى الى قوله تعالى ان الله يحب المقسطين
فالحب من الله لازم في حال قسطهم والحب ناشئ عن حبه لهم في قلوبهم
في حال قسطهم فالمحبة لا تفارقهم وكلما اخرجوا مخلوقا من ظلمة الخلق
الى نور الحق قاموا كل ذي حق الى حقه تعدى الفعل منهم الى غيرهم

فاحبهم الله على ذلك التعدي وازدادوا جاهيه الى جنهم وازداد جذبهم الى
الله لحبه لهم فالحب لا يفارقهم والمشاهدة لازمة لهم فانهم مربوطون ومزموما
بزمام المودة الوثقى التي لا انفصام لها وانما لم يكن لها انفصام من اجل
ان المحبوب الذي احبوه لا يبطل ابدا ولا يحول ولا يزول فلذلك لم يكن
لها انفصام وان غفلوا هو لا المذكورون او ناموا كان نومهم وغفلتهم زيادة
لهم في المستقبل لا نه جام للمتعوق ونشاط **فصل** قال الله تعالى
في صفة المتمكن الكبير محمد صلى الله عليه وسلم ثم دنا فتدلى فكان قاب
قوسين او ادنى فبالدنو القرب تمكن واستمكن بالحق وبالتدلي كان ابدا
في اعطا الحقوق ومشاهدة الخالق والمتدلي مستمسك بالعلو وان كان
في السفل وانشد بعض المحبين المحبوبين في مثل هذه الحالة
تراك ترى للذي قلبه • معلق في مخلبي طاير •
ولا سيما وكل ذي من ذكرنا من المحبوبين الخوف والحذر محيط بهم كي لا ينقطعوا
عن محبوبهم ولا يغيبوا عنه ولا يميلوا الى سواه فهم مع الخالق كالماشي حافيا
بين الشوك فلا احد اكثر خوفا وحذرا من اهل المحبة وخوفهم في ظال محبتهم
اعلا من كل خلو لانهم يخافون ان يفوتهم محبوبهم او يفترقوا عنه او يزولوا
فلو فقدوا الخوف هلكوا فالخوف يقبضهم عن الاشيا ويمنعهم من الاشيا
لا بد من طبع الخوف للعبد لا سيما مصاحبة اهل الكمال ومشاهدتهم فانها
زيادة وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في اكمل النسا ان عايشة الصديقة
بنت الصديق الكامل ما نزل علي الوحي وانا في لحاف امراة منكن غيرها
فنسب ذلك لكمالها وجعله من فضايلها واهل الكمال المذكورون كان
عند الواحد مثل ما عند الاخر فكل واحد منهم لا يحب ان ينقطع عن محبوبه
الحق او يكون الاخر فالاعن الاخر فيفيض الاخر عليه مما عنده فيزيد
هذا وهذا او يكون الشي المفعول او المشاهد محبوبا لله تعالى وبامر
الله او يكون الشي المباشر عدوا لله ومبغوضا عند الله فيباشر بسطوتهم
وازالته من ملك الله كالكفر والمناكير المحببة فاتلوهم يعذبهم الله
بايديكم وهكذا المقسطون ويمنعوا كل شي في موضعه لم ينقصوا من كمال
الحب بل يزيدون في حبهم وورد في الخبر مما ورد في فضل الامام العادل

وانه اعظم درجة واحب الخلق الى الله والخلق كلهم ايمة على جوارحهم وما استرعوا
عليه لكن اكثرهم جورة وفي الخبر كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته لكن الجور
اهلك الكل فاذا فهمت هذا علمت ان الراعي الامام كلما كثرت رعيته وعظم
ملكه وكان من المقسطين كان افضل الناس واقربهم الى الله وارفعهم درجة
واكثرهم حبا وذلك لسر عظيم القدر من المعرفة الخاصية يلوح لك به
معنى القرب من الربوبية بالمعنى والصفات والرتبة لا بالمكان وتنفا رب
الذوات وتفهم بالحقيقة معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك
وتعالى خلق ادم على صورته فان الله جل جلاله وتقدست اسماوه
غني عن العالمين فوصف نفسه بالتنزيه ليس الغني من كثرة العرض
ولكن الغني غنى النفس لا يشغله تدبير ملكه ولا يتعبه بل انما هو نفسه
وبما هو ملكه وتصرفه سوا عنده وجوده وعدمه وكذلك اعطى خلفاوه
واحباوه معنى من التخلق باوصافه واعطاهم العنايه ومحبته والاقبال
عليه عن كل شي لانه الماسك لهم عنده بحبه لهم ثم عطف بهم على الاشيا
فاقبل عليها ليمتثلوا اوامره كما يصنع هو في ملكه وكل ذلك له ومنه
وهذا معنى عظيم لاحصا الاسما الذي ندب اليه رسول الله صلى الله
عليه وسلم بقوله ان لله تسعة وتسعين اسما ماية الا واحدا الله وتر
يحب الوتر من احصاها دخل الجنة فندب للاحصا والتخلق باوصاف •
الاله واخلاقه على قدر طاقة الانسان واعظم الناس درجة اكثرهم •
اتصافا وتخلقا بالاسما الحسنى والصفات العلى ولدقة هذه
المسيلة تحدث الناس واختلفوا في الغنى والفقر ايهما افضل فمن
مخطي غاية الخطا بفضل الاعراض الدنيا وبالقاطعة عن الله ومن
مخيب في بعض ومقصر في بعض ولكن ان شا الله تعالى نكشف لك الحق
في هذه المسيلة حتى يتبين لكل منصف غير متعسف **فصل**
اعلم ان الغنى على ضربين والفقر على ضربين فاما الضرب الاول من
الغنى فهو غنى النفس والضرب الثاني كثرة المتمولات والمتملكات
ووجودها في يد الغني وتصرفه فيها وهذا على الكمال الارفع ليس الا
لله لانه الحق فهو الغني بنفسه عن العالمين وهو الغني بكثرة الاماليك

التي لا حد لها ولا نهاية لكثرتها وزيادتها ابد الابدين فهو رب العالمين
ومالك الملك والخلق اجمعين فاما الوصف النفساني الذي هو غنى
النفس فهو لازم للغني الحق قبل وجود الكون ومع وجوده وبعد اعدامه
ان شا إعدامه بعد وجوده **واما** الضرب الثاني وهو وجود المتملكات
في ملك الغني جل جلاله فان ذلك في حقه سوا وجوده او عدمه لا يستغنى
به ولا يفتقر اليه ان اعدمه بل هما سيان لا يترجح احدهما على الاخر
واذا افهمت هذا افهمت معنى حديث النبي صلى الله عليه وسلم ليس الغنى
عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس فان لفظة انما في اللسان العربي
والنطق الحقيقي نفي واثبات وانما في اللسان ايضا للحصر كقوله تعالى انما
الله اله واحد اي حصرت الالوهية والوحدانية له لا لسواه ومنعتها
من غيره فالغنى الحقيقي غنى النفس عن الاسباب وفقدها سيان
في حق الباري لان الغني هو عدم الاشيا ووجودها وعدمها في حقه
سوا والى هذا المعنى اشار بعض العارفين وقد رجح الاخر فقال
الغنا افضل من الفقر لانه صفة الحق فقال له عارف اخر فالله غني
بالاسباب اذا انقطع ولم يتطق بحرف **فصل** ومن اجل هذه
الشبهة كفر القايلون بقدم العالم لانهم يقولون ان الاشيا معلومات
الله سبحانه وهي معه كالظل مع الشخص والعلة مع المعلول لو زال التعين
لما طرا عليه النقص في صفاته فصار عندهم لا يكمل الا بها فجعلوا الغنى
النفساني من صفاته تعالى عز وجل لانه اذا كمل بها وبوجودها معه
ولم يستغن عن كونها فقد افتقر اليها فجعلوا الغنى من صفة نفسه وجعلوا
الغني بلا واسطة ووجود الاسباب من كماله وقد خطاهم النبي صلى الله عليه
وسلم بقوله كان الله ولا شي معه فاثبت الغنى النفساني عن جميع الاشيا
للغني الحميد جل جلاله وقال في حديث اخر كان الله ولم يكن شي غيره فنفى
الغنى بالاغنيا وعن العزيز الجبار سبحانه قبل وجود الاغنيا ربهم لما اوجد
جل وعز الغنى العرضي ورتب الممالك ذكر الملك كله وان غنى الممالكة
كلها ملكه فقال سبحانه هو الغني له ما في السموات وما في الارض فاعلم
ان الكل ملكه وعبيده فاستعبد الكل ووسع المتملكات من جميع الموجودات العني

وفرض

وفرض عليهم العبادات اعلم الكل انه غني عنهم وعن عباداتهم فقال
تعالى ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ان الله لغني عن العالمين وقال
عز وجل وكان الله غنيا حميدا اي كان في ازله كما قال النبي صلى الله
عليه وسلم كان الله ولم يكن شي غيره فقوله كان الله غنيا حميدا اشارة
بكان الى كاينه القديم قبل ايجاده الاشيا فاثبت لنفسه الغنى في الازل
وقوله تعالى ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ان الله لغني عن العالمين
جود اشارة الى الوقت فاثبت لنفسه الغنى عن الكل واستوى عنده الو
والعدم فهذا هو الغني على الاطلاق المنزه من كل وجه من وجوه التر
فان وجد من الاغنيا المخلوقين المتصفين بالغنى المخلوق من حصل
له معنى من هذا الوصف حتى يستوي وجود الشي عنده وعدمه وفقره
وغناه فهو الكامل على الحقيقة **فصل** فان قلت هل يوجد
ذلك ام لا فاعلم انه لا يوجد على الكمال الا في المال عند صفوة الرجال
المتصفين بالكمال ومعنى ذلك ان غنى الاخرة افضل من فقرها والاغنيا
وهم يعني الاخرة هم ملوك الجنة وفقرا اهل الجنة اخر من يدخلها والاغنيا
اول من يدخلها وقد ورد في صفة الابدال انهم ملوك اهل الجنة
عراض وهم فقرا الدنيا وزهادها **فصل** اغنيا اهل الجنة في الا
اكثرهم ملكا وافضلهم حولا واكثرهم غنى الغنى النفساني اكثرهم ايثارا
للنظر الى الله وارغبهم واحرصهم على المقام في المشاهدة لا يشتغلهم
شي دون الخروج يا التجرد عن المقصود والتمتع بالحور العين فيعطيهم
نفسه فغناهم به عن كل شي لا يشبه ولا يقاس به شي **فصل**
فاذا ردهم على الاغيار لادا الحقوق وقضا الاوطار وادامهم ما
اعطاهم وما اغناهم به من الممالك والامصار علموا ان في ذلك رضا
فاتبعوا رضوانه وراوا انعامهم برضاه ما في نفسه فكان ذلك زيادة
رويته على رويته فرجعوا به الى الملك وانما هو بجودهم على الممالك
كما افاض عليهم بجوده ملكهم وكانوا مع الاشيا بالله والله معهم لانهم
جوز موحدون يرون ان الله منفرد لكل شي لا يحجبون عنه في شي فهم
عن الاشيا وهم مع الاشيا وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي

رضي الله عنه يا علي ان الله يحل لك فيما لنبدك وازواجك واهلك
ولا يشغلك ذلك عن ربك او كما قال وقال النبي صلى الله عليه وسلم
في هذا المعنى رايت ربي في احسن صورة اي لم يشغلني حسن الصورة عن
المصور فالغنى الكامل في الجنة اذا اشتهى النظر نظر ولا يحتجب عن شي
لان ابصارهم كانت مستيقظة نافذة في الدنيا في كل شي واغنى الناس
في الاخرة محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم والانبيا عليهم
السلام والاوليا ثم يترتب الغنى الى اخر من يدخل الجنة فالغنى في
الاخرة افضل من الفقير بلا شك لان الذي في اسفل درجة فقير
بالاضافة الى ما فوقه لان الذي فوقه اعظم ملكا واوسع حولا واكثر
نظرا منه وهكذا الى اعلاهم درجة واما الفقر بالحقيقة فهو لاهل
النار في الاخرة فانهم مملوكون بيد المعذبين لهم ساكنين بين ايديهم
لم يملكوا من انفسهم شيا ولا اعطوا من الاشيا قليلا ولا كثيرا بل الاشيا
كلها عليهم قد خسروا ربهم وخسروا الجنة وخسروا انفسهم وخسروا
اهليهم وخسروا كل شي فليس ثم من اهل الغنى شي فالفقر بالاخرة شر
بالاخر **فصل** واما احكام الدنيا فان الدنيا خلقت للعبادة
ولم تخلق للتنعيم والرفاهية ولانها قاطعة عن الله وعن الدار
الاخرة فالفقر فيها والزهد افضل بلا شك لانه شعار الانبيا عليهم
السلام فلا عبادة افضل من الفقر الى الله ومن جهل هذا وقال بخلافه
فقد صرح بحبه للدنيا وقد صح وثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم خير
بين ان يكون نبيا عبدا وبين ان يكون نبيا ملكا فاختار التعبد
واختار الفقر على الغنى ولا كلام لاحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما جا نبي ولا رسول من عند الله الا بالتحذير من الدنيا والتزهيد فيها
ولا يوجد لواحد منهم بوجه الى انه اتى بالترغيب فيها والاستكثار
منها وجعلوا اجتنابها راس كل خطيئة فاي كلام لاحد معهم **فصل**
فان قلت فاين ما قدمت من صفة الخلفا والرعاة فاعلم ان من هنا
دخلت الشبهة على الخلق وقد اعلمتك ان ذلك في الجنة ومثال ذلك
ان غنى الدنيا العرض الحال فيه بخلاف حال الاخرة وذلك ان تملكات

الاخرة موجودة لهم ابدا بايدي مالكيها ويزدادون منها ابدا انهم في التساع
وتزيد من الغنى وان التملكات ابدا في ملكهم واقف يوبد ولا يفنى ولا ينقص
وغنى الدنيا واموالها العرضية يذم صاحبها ولا يمدح اذا اصابها بيده
ولم يخرجها بالانفاق لها في سبيل الخير وانما يمدح بانفاقه منها وفقره
لها اذا اخرجها من يده لا على ما يمسك فالمدح انما يقع على الغنى في
الدنيا على ما ينفق لا على ما يمسك ولا يمدح ايضا على تمتعه بالشهوات
والاتباع فيها للذات فان ذلك قاطع مشغل لا محالة عن الله والدار
الاخرة وما شغل عن ذلك فهو مذموم فاذا وجدنا في الدنيا خليفة
وراعيا مقسطا في رعيته فلا يكون ذلك الا ان تكون حاله حال
الفقرا وعيشه عيش الفقرا يرى انه مستخلف فيما اعطي للاخبار
لا يملك له كما ملك اهل الجنة لما اعطوا فانهم ملكوه حقيقة لا يخرج
من ايديهم ابدا قال النبي صلى الله عليه وسلم ليس لابن ادم من ماله الا ما
اكلت فافنيت او لبست فابليت او تصدقت فابقيت وما سوى
ذلك فللوارث فالدنيا عارية عند اهلها مختبرون بها فالمقسط
فيها حاله حال الفقر وان كان غنيا لانه خازن امين الا ترى ان
اغنى الناس في الدنيا انما هم الملوك والشرع لم يسم ما بايديهم مالهم
وانما سماه بيت مال المسلمين فهو مالهم بلا شك ينفق في حوائجهم
وما نفعهم فاذا كان الملك فقير النفس فاكل مال المسلمين وانفقه
في اغراضه فقد اتلفه وربما زاد الفقر عليه حتى ياخذ ما بايديهم
زائدا الى ما عنده من بيت مالهم فاي فضل في هذا فان كان غني
النفس منزها عن كل حقوق الخلق الذي هو رجوع وقف بحاله على
حال المقسطين واعطى بالعدل كل ذي حق حقه فكان فقيرا في صورة
غني كالانبيا والخلفا وكذلك ايضا من وجد من الفقرا الصادقين
الذين ليس بايديهم شي انما هم فقرا في صورة الاغنيا بالتعفف والقناعة
قال الله عز وجل للفقرا الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا
في الارض يحسبهم الجاهل اغنيا من التعفف فنسب الى الجهل من ظن انهم
اغنيا وغفل عن كونهم فقرا **فصل** وانما نسبنا الرعاة

الى الفقر في الدنيا لان الدنيا دار الصبر والضر مرة ومشقة وهم
يمقتون القسم منها للتنعم الكثير في الدنيا الذي هو صفة اهل
الاتراف وذلك للخوف من عذابهم ومن الحساب عليه وعلى ما لهم الكوامن
الرعايا والاموال ومتكدرون بذكر الموت والانتقال منها وباكون
وخائفون من ان تقطعهم الدنيا عن الله تعالى والدار الاخرة ومن هذا
حاله فهو فقير مسكين وقيل ان عمر بن عبد العزيز كان يجامع اهله فلا
ينفك حتى يبتل صدر امرأته بدموعه من خشية الله تعالى وهو خليفة
الله في ارضه فهذا فقير في صورة غني مسكين في صورة ملك وكذلك
جميع الانبياء والاكابر من الاولياء والخلفاء فهم لا ابدا في الملك ولم
تقطعهم عن الله تعالى والدار الاخرة الملك لكن ظاهرا الفقر فهم
منسوبون الى الفقر حتى ينتقلوا الى دار الغنى والملك واعجب من
هذا كله ان الدنيا كلها بما فيها من اولها الى اخرها اقل عند الله من
جناح بعوضة وعمرها كلها في عمر الاخرة اقل من نفس بل لا يتجزى
فاي اسم اولى بالدنيا الفقر او الغنى

فصل

واما الذي يختبط ويتسع في شهواته ولا ينفق منه لكانه فانه هالك
بما له فلا يسال عن حاله قال الله عز وجل وانفقوا في سبيل الله
ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة نزلت في ترك الانفاق في سبيل
الله فوصف ان امساك المال وترك انفاقه تهلكة فان امسكه للكبر
والطغيان حق عليه الخسران كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى
فحال الفقر بكل وجه في الدنيا احسن وافضل من الغنى فان اردت
الشفاء البين في هذا فان الفقر على نوعين كما تقدم في الغنى فقر من
المال وفقر نفساني فالفقر الى الله والغنى بالله اخوان لا يفترقان
والفقر الى الخلق والمال والغنى بالخلق والمال اخوان لا يفترقان
على قدر فقره تغلبه الى ماله يكون غناه به وعلى قدر فقره الى ربه
يكون غناه به فاثنان محمودان واثنان مذمومان فالغنى بالمال
الدنياوي يولد الاستغناء عن الله لان صاحبه يطغى فيه والطاغي غني
عن الله ويولد الفقر الى المال لانه طالب للزيادة منه وهو فاغر

فانه

فانه يقول هل من مزيد وهذان هما الفقر المنسي والغنى المطغي وكلاهما مستعاذ
بالله منه وعلى ضده فقير الى الله غني به الواحد ممدوح باجماع والثاني
مذموم باجماع فلنفرض غنيا طاغيا ظالما لا يمتنع من الظلم بماله ونفسه
واعوانه وفقيرا مفسدا لا يمتنع من سرقة وجنايته وفساد في طلب المال
من اجل فقره فالغني الطاغي اكثر عصيانا واعظم اثما لانه قد يظلم امة
من الامم في ساعة واحدة فيعصي الله في تلك الساعة ما لا يعصي الفقير
المفسد في عمره كله فالغني شر منه لا محالة والفقر هنا خير من الغنى ثم لنفرض
غنيا صالحا يعمل الصالحات في ماله وفقيرا صالحا انقطع الى ربه وولى
الى مولاه بحاله هذا يتنعم بماله وهذا يتصبر على قلة ماله الواحد شبيه
بالانبياء لان الانبياء ليسوا متنعمين بالدنيا والشهوات انما ياخذون
منها البلغة قال النبي صلى الله عليه وسلم ان عباد الله ليسوا بالمتنعمين
فالعبودية في دار العبادة افضل بلا شك وانما الاتراف في الاخرة
والاشبه بالانبياء هو افضل بلا شك والواحد لا يحاسب والاخر يحاسب
وربما يوقف والواحد سابق الى الجنة والاخر متاخر عنه والسابق
هو المقرب والمقرب ارفع درجة من المتاخر بلا شك فان قلت فان
الغني قد انفق ماله في مرضات الله فاعلم ان الفقير ترك المال وطلبه
لمرضات الله وهذا كله الذي ذكرناه انما هو في الحلال واما الحرام
فعذاب والشبهة حساب وعقاب او عتاب مع الحساب والعتاب
والفقير الصادق ناج من هذا كله وسالم منه فهو افضل بلا شك
لانه سابق الى الجنة والسابق مقرب كما تقدم فان قلت ان الغني ربما
اخرج ماله كله فله الفضل فاعلم انه اذا اخرج ماله كله لله لم يبق عليه
اسم غنى وانما حصل بذلك الفضل في الفقر فاذا فعل ذلك فحينئذ
يلتحق بالفقراء وامدح ما يكون على ما له حينئذ لتشبهه بالفقراء الزاهدين
التاركين فان قلت فان انفاق المال وكسبه من الحلال محمود فاعلم
ان ترك المال وكسبه لله احمد واحمد فلنفرض رجلين احدهما اشتغل
بكسب المال وحفظه وانفاقه في سبيل الله جمعه هو لله وحبسه
لله وانفقه لله ورجل ترك كسب المال لله ولم يمسكه لئلا يشتغل

عن الله ولم يثنه لاشتغاله بالله ووقوفه بالمشاهدة مع الله فبينهما فرقان
بيّن في الفضل فان الاعمال كلها انما هي اسباب للوصول الى الله والمشاهدة
لمن الكون معه فالواجد في الطريق والاخر قد جاوز الطريق فان قلت
فلنفرض ان غنياً قد استوى عنده الفقر والغنى ولنفرض ايضا فقيرا قد
استوى عنده الفقر والغنى فهو محو واذا استوى عنده الحالات فلاي
شيء يمسكه والدنيا لم يؤمر فيها بالامساك ولا هي دار الامساك قال
امسكه للغير فليس له فيه شيء وهو اذا فقير منه لا ينسب اليه منه شيء لا
تقدم في الخلفاء الراشدين فالفقر في الدنيا بكل وجه خير وافضل والغنى
في الآخرة بكل وجه خير وافضل ومن وجه آخر ان الغني في الدنيا ينقلب
فقيرا في الآخرة لان المكثرين في الدنيا هم المقلون في الآخرة وهم
الاخسرون وهم اشد حسابا واول من تدخل النار من تدخلها منهم وهم اشد
اهل النار عذابا كما نطقت به الاخبار وحتى الكفار وقال الله تعالى
ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما
ومن ازداد اثما هو اشد عذابا والمقسطون العادلون في الدنيا انما
كانوا مقسطين وعادلين وفاضلين من اجل انهم كانوا فقراء حالهم حال
الفقراء وان كانوا اصونوا الاغنياء فاذا ثبت ان اعظم الناس درجة
امام عادل فلا شك ان دليل الخطاب ان شر الناس واقلهم درجة امام
جائر وفي الخبر كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فاذا كان الراعي كثير الرعية
جائرا بغناه فيهم فهو شر الخلق بلا شك لان هذا المفلس الذي قتل هذا
واخذ مال هذا وضرب هذا فعل هذا فيأخذون من حسناته ان كان له
حسنات ويطرح عليه من سيآتهم ولا بد له من سيآت فيخرج من مجموع هذه
المسئلة كلها ان الغنى على الحقيقة انما هو غنى النفس وان الفقر بالحقيقة
انما هو فقر النفس ومن كل واحد محمود ومذموم فالغنى بالله عن غيره الذي
هو غنى النفس محمود غاية الحمد ممدوح نهاية المدح والفقر الى الله سبحانه
في كل شيء لا سواه محمود في غاية الحمد وهما اخوان لا يفترقان وكفتا
ميزان عدل لا يميلان ولا يترجحان والغنى عن الله وبغير الله الذي هو
غنى النفس الطاغية مذموم في غاية الذم والفقر الى غير الله في كل شيء مذموم

في غاية الذم وكلاهما مستعاذ بالله منهما **فصل** نفس الشيء
وجوده والوجود على ضربين مستفاد وغير مستفاد فالمستفاد لا يستغني
عن المفيد طرفة عين لان قوام وجوده به والغنا مشتق من قولك غني
الرجل غنى فهو غني اذا اكتفى واجتزأ بالشيء عن غيره والفقر مشتق من
قولك افتقر الرجل اذا احتاج الى الشيء ولم يستغن عنه فالوجود
كله محتاج الى الغنا الحق لان به يتم وجوده في كل نفس فالفقر طبعه واصله
والغنى مستعار له من غيره فتسميته بالغنى مجاز لا حقيقة وانما الغني
المطلق من جميع الوجوه المنزه عن الحاجات المكتفي بوصفه عن المكان
وغيره مما يلزم المخلوقات من ضروب الحدث وانواع الضرورات والذي
يفيض غناه على غيره فيستغني به جميع الموجودات فالمعنى الواحد من
قولك غني يغنى غنى هو في نفسه غني والمعنى الثاني من قولك اغنى غيره
يغني غنى واغنا اذا اغنى غيره وافاض عليه الغنى فهو الغني بالحقيقة
وضده فالفقر وصف الخلق والغنى وصف الحق وواجب تسليم صفات
الحق للحق لان غنى الخلق المستفاد من الغنى الحق مستفاد ايضا وجوده
وغير قائم ومكتف بنفسه جوهرا كان او عرضا فقد عاد غنى المخلوق
فقرا بلا شك اذ غناه محتاج الى ادامته وله في اللسان العربي معنى
ومورد تقول افقر الرجل دابته اذا اعاره ظهرها واغناه بذلك وكفاه الرجل
عن المشي والتعب فاذا ادعى المستعير العارية لنفسه كان متشبعا
بما لا يملك والمتشبع بما لا يملك كلابس ثوبي زور وانما كان ثوبي زور لانه
ظالم من وجهين ومدع في شيئين ادعى غنى غيره وادعاه لنفسه والزور كذب
والكذب قبيح فدعوى الغنى للمخلوق حقيقة غير جميل ودعواه للفقر
اجمل من كل جميل فلا شيء اجمل على جميع العبيد القريب منهم والبعيد من
نسبة الفقر الى الغني الحميد ولذلك ورد في الخبر الفقر ازين على المؤمن
من العذار الحسن على خد الفرس الجواد واجمل من ذلك الجمال المنسوب
اليهم تطاول الغنى الحق وانزافه باوصاف الغنى عليهم وتطاوله بغناه
عليهم وتمدحه نفسه بذلك لهم لا يخ للعقول في قوله تعالى يا ايها الناس
انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد وفي قوله تعالى والله الغني

وانتم الفقراء وفي قوله ان الله لغني عن العالمين وفي قوله تعالى ان تكفروا
فان الله غني عنكم ولا احد احب اليه المدح من الله سبحانه وتعالى من اجل ذلك
حمد نفسه والله غيور على صفاته فليلزم كل احد قدره ولا يتعد قدره
وطوره رحمنا الله واياكم وعنه الفهم المقرب اليه آمين وصلى الله على محمد
النبي وآله وصحبه وسلم

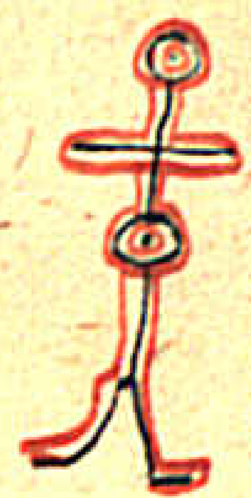
الشعبة الخمسون

حب الرسول
صلى الله عليه وسلم اما كون هذه الشعبة من الايمان فبين لا يحتاج الى
دليل قال الله تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم الى قوله
وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله
فتهدد على ذلك وتوعد فقال تعالى فتربصوا حتى ياتي الله بامره والله
لا يهدي القوم الفاسقين وفي الصحيح عن انس رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من والده
وولده والناس اجمعين وفي الناس اجمعين الانبياء والرسل والاولياء
وعنه ايضا في الصحيح قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث
من كن فيه وجد حلاوة الايمان من كان الله ورسوله احب اليه مما سواهما
فقرن الله حبه مع حبه وزاده مزية بذلك على سائر المخلوقات
لقوله مما سواهما وما سوى الله ورسوله هو جميع الخلق من نبي او ملك او ولي
جلت رتبته او علت منزلته ومن نعيم الجنة ومن الاهل والقرابات
ومن نفس الانسان ومن كل شي فلما افرده الله بهذه المرتبة وجب كونها
شعبة مفردة من شعب الايمان بنفسها ووجب له مزية في الحب على
سائر الخلق لا يثبتها باحد ولا يقبل الا بكون هذه الشعبة
التي هي حب الرسول صلى الله عليه وسلم في ايماننا لانا نرى رهبان بني
اسرائيل يحبون انبياءهم ورسلهم ويعبدون الله ولم ينفعهم شي من ذلك
لعداوتهم محمدا صلى الله عليه وسلم وهم مقرون بانه نبي فبالذي خص
ما اكرمه على ربه واعظم منزلته عنده واحبه اليه حين لم يرض
من احد الا بحبه ولا قبله الا مقرونا بحبه

فصل

اعلم
ان هذا الباب على ثلاثة اقسام قسم في مقام الاسلام وقسم في مقام
الايمان وقسم في مقام الاحسان فاما الظاهر في مقام الاسلام فحبه

عليه السلام باللسان واظهار ذلك على الجوارح بالنصرة له ولدينه وسنته
وكثرة الصلاة والثنا عليه والدعا له والغلظة باللسان والمعاداة
لمن عاداه وعادى طريقته واتباع سنته في الاعمال ومخالفة الاهوا
والبدع المخالفة لسنته هذا هو حبه ظاهرا في مقام الاسلام وعالم
الخبر كما قال صلى الله عليه وسلم من احيى سنتي فقد احبني ومن احبني كان
معي في الجنة واما حبه في مقام الايمان فهو وده بالقلب حتى يكون
اودا اليه من كل شي سوى الله عز وجل كما قال صلى الله عليه وسلم وجد حلاوة
الايمان من كان الله ورسوله احب اليه مما سواهما واما حبه في مقام
الاحسان فهو ان ينظر العقل الى تشريف الله له وما اتاه من الفضيلة
والكرامة ورفعة المنزلة على جميع المخلوقات فيعظمه ويوقره
ويعزره ويحفظ ذاته الظاهرة والباطنة تعبيرا للتعظيم والتوقير
بانه معظم موقر في جميع العوالم من اسفل العالم الى اعلاه الى محله الكريم
الذي هو قاب قوسين او ادنى فاذا فهمت هذا فلابد من ذكر شي من
محاسن اوصاف هذا الشخص الكريم وجمال ذاته الظاهرة والباطنة
حتى يتبين وجوب حبه ظاهرا وباطنا وفي كل عالم ومقام فان الحسن
والجمال والاحسان سبب المحبة فاول ذلك ان تعلم ان القلوب
مجبولة على حب من احسن اليها وقد احسن الرسول صلى الله عليه وسلم
الينا بان كان سبب الايمان للجميع فهو فرض الاسلام وشرع الدين
ونور العقول بالهداية واطلق الالسنة بل هو سبب كل خير ظاهرا
وباطنا لانه رحمة عامة في اصل خلقته فهم ذلك من فهمه وجهل ذلك من
جهله كما قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وسترى ان شا
الله فيما ياتي ذلك مبينا في صورة خلقته صلى الله عليه وسلم فاما
جمال شخصه الكريم الظاهر الذي هو جسده الطيب الطاهر فان الله سبحانه
وتعالى خلق آدم عليه السلام وولده اجمعين على صورة حروف اسمه صلى
الله عليه وسلم كي لا يرى بالبصر الا اسمه ولذلك من احب شيا لا يرى الا
الا صورته فجعل الميم الاول من محمد صلى الله عليه وسلم هي الراس وجعل
الحاء من حروف اسمه هي اليدان وجعل الميم الثانية من اسمه هي البطن



وجعل الدال هي الفخذان والساقان والقدمان وهكذا صورته في الخط القديم وعلى هذه الصورة صورة اهل الجنة رجالا ونساء وولدا نالك يري اسمه في كل مكرم ومحبوب معظم منعم محبته كل شي برويه اسمه وانما خرجت البهايم والنبات والاشيا المعادن والجواهر والاثاث وساير الاشخاص عن هذه الصورة المحمدية من اجل انها مستخدمة مملوكة لبني ادم مخلوقة من اجلهم كيلا يستخدم اسم الحبيب ولا يستذل

فصل فاسمه محمد موافق لخلقته ذاته اذ سماه الله في الازل بكلامه محمدا واسمه مشدد مضعف في التركيب والشدة في اللغة تعطي التضعيف في التمييز ومعناه زمه وادخل في ذاته من المحامد ما لا يحيط به الا الله بالذم والشد كما يشد المتاع ويزم اذا اراد الانسان ان يعني فيه شيا كثيرا فشدة بالتضعيف في الميم تعطي انه ضعف فيه المحمود تضعيفا اربي على كل تضعيف فهو سبحانه نظمها استبدادا لنا التضعيف المدمج فيه بالكتب الالهامي وخط يد القول الحميد ما لا يحيط به سواه ثم اسمه خمسة احرف ثلاث ميمات وحا ودال عجز الله فيه المحامد محما على عدد هذه الحروف وركب ذاته الطاهرة على عدد هذه الاحرف وذلك ان الدال اربعة في العدد وكذلك خلق ذاته الكريمة من اربع طبايع واخذ جوهر كل طبع ونوره وبهاه واشراقه وضم بعضه الى بعض وطبعه على كل شريف وطيب ومحمود طبعا لا يشبهه طبع كما ورد في الاخبار ان طينة محمد عجنت بما التسنيم وصنع بها من الاكرام ما لم يصنع بطينة احد قبله ولا بعده ثم الميمات الثلاثة لما جمعت الاربع طبايع عجنت اربعين يوما ثم اربعين يوما ثم اربعين يوما لان الميم في العدد اربعون كما ورد في الصحيح نطفة اربعون وعلقة اربعون ومضغة اربعون والحا في العدد ثمانية وبها يتم العدد الذي يتم به الخلقة ثم ينفخ فيه الروح في الشهر الخامس التي تكون عدة المتوفى عنها زوجها من اجل هذه الحكمة فيها يتحرك الولد بالروح المنفوخ فيه قال الله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا الى قوله عشرا فان قلت ان الحا ثمانية فقد نقص من العشرة يومان فارجع البصر واعلم ان العدة المذكورة

انما هي بالحساب العربي وهي اربعة اشهر شهران كاملان وشهران ناقصان شهران من ثلاثين يوما وشهران من تسعة وعشرين يوما ثم بعد نفخ الروح الكريم في الجسد الطيب بينا نشا اخر قال الله تعالى ثم انشاناه خلقا اخر فارتبط الروح مع الجسد والتام ونشا بالقدر الذي قدر له فروح محمد صلى الله عليه وسلم لما نفخ في الجسد ادرجت في ذاته جميع النبوات وطبع عليها وامتزج الجسد مع الروح بالطبع مدة بقا الجسد في البطن فاذا اردنا ان نفهم ذلك فاعلم ان راس الرسل والرسل ثلثماية وثلاثة عشر رسولا والانبيا كلهم في ضمن الرسل نعم ذلك من فهم انفصام النبوة من الرسالة والولاية من النبوة وهذا العدد من الرسل على عدد اسمه الكريم عجنت فيه بالشي المطبوع جميع شرايع الرسل واخلاقهم وطباعهم الكريمة مع طبعه الكريم فكان بعضويهم فالميم ثلاثة احرف ميم ويا وسم والحا كذلك حو فانه حا والف والهمزة لا تعد لانها الالف والميمات المضعفان كذلك ستة احرف والدال ثلاثة احرف دال الف لام فاذا عددت حروف اسمه كلها ظواهرها وبواطنها الخفية بعضها في بعض حصل للعز العدد ثلاث ماية واربعة عشر الثلثماية والثلاثة عشر على عدد الرسل الجامعين للنبوة وبقي واحد من العدد هو لمقام الولاية المزق على جميع الاوليا التابعين لجميع الانبيا الله ولي الذين امنوا والاوليا صغار وكبار والولاية انما انفصلت عن النبوة فهو الجامع للكل قال النبي صلى الله عليه وسلم الانصار كرشي وعيبتي فسماهم عيبته وهو

خلاف الوعا ومحمد صلى الله عليه وسلم وعا لما تقدم من النبوة والولاية والاعتبا هما ورمهما فيه خالقه ومخلقه كما ورد في الحديث عن انس بن مالك رضي الله عنه في حديث الشفاعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاذا اتوا ادم يسالونه ان يشفع لهم الى ربهم قال لهم ادم عليه السلام ارايتم لو ان احدكم جمع متاعه في عيبته ثم ختم عليها فهل كان يوتى المتاع الا من قبل الختم فاتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فهو خاتم النبيين فلما نفخ فيه الروح الكريم المخلق بالخلق العظيم وخلقه العظيم ايضا اتصافه باوصاف الربوبية واوصاف محمد هي معاني اسما الله تعالى وصفاته

المثبوتة عن معاني اوصافه القديمة فنشا الروح مع الجسد في البطن في
مدة الحمل وهو معنا دنصف المدة المتقدمة للجسد فاصطحب الروح
مع الجسد على هذه الاخلاق واتحدا وهذه المدة الانقص للروح وهو
النصف كما تلك للجسد فحصلت المدتين للروح والجسد بخطا الكتب الالهي
كل محمود بثبته الله في الوجود عن معاني اسمايه وصفاته تدعو لذلك ايضا
كلها ان يحمد الله على هذه المحامد المثبوتة فيه فقيل له محمد مفعل اي
ملقن بمحامد يلهمه الله ابتدا مع الازال والا لا باد من المحامد والثنا
والشكر على فضل الله العظيم الذي له عليه وكان فضل الله عليك عظيما
وعلى ما فعل مع جميع الخلق ما لم يلهمه احد من العالمين وانما خصصه
بذلك دون غيره لكمال ذاته وعقله اذ علم الله ان ذلك لا يعقله ولا
يحمله الا محمد صلى الله عليه وسلم ولذلك سماه باسم اخر وهو اقرب اسمايه
الى الاسم العلم محمد وكاد يكون على صورته لولا الالف التي دخلت عليه
بدلا من الميم الاول فهو احمد على وزن افعل اي احمد من غيره فهو احمد الخلق
واشكرهم يحمد عن نفسه وعن الخلق وينوب عنه وعن الكل في مقام الحمد
والشكر ولذلك وزن الكل ورجح بهم ومن اسمايه المقفى هو من اعظم اسمايه
صلى الله عليه وسلم الدالة على كرم ذاته وفضله وهو على وزن مفعل اي قفى
الله مقفيا حتى نهضت في الفضايل ودرجات القرب حتى قفيت الكل وجعلتهم
خلفي وورايي وجعلتهم يسعون في كل عمل وفضل جسماني وروحاني وحكمه
الالف واللام فيه للتعريف اي عرف الخلق كلهم انه امامهم وهم اتباعه في
جميع الملكوت والملك من تملك اوادني دليل ذلك من الشرع حديث المعراج
وصعوده في الملكوت ودرجات الايمان والعلم وذلك كله عبادة منهم منه
لرافعه حتى قفا الكل وجعلهم خلفه ووصل الى مقام لم يصله ملك مقرب
ولا نبي مرسل ولعبادته في عروجه وخروجه من مكة علوم جمة لم تفرغ الى شارع
وللمقفى ايضا معنى اخر وذلك انه قفا الكل اي جعل الملك كله بما فيه وراه
الشي المطروح خلف الظهر والقفا ولم يلتفت اليه ولا عرج عليه لما اثنا
مولاه على الكل ولمعرفته وحبه وشغفه بمولاه ومن اسمايه صلى الله عليه
وسلم الحاشر وهو يدل ايضا على عظيم فضله وكرمه الذاتي والعقلي

مطلب الحاشر

الذي

الذي لا يدانيه كرم والحشر الجمع والاجتماع من الاماكن الى المحشر الذي هو
الجمع والاجتماع لا يكون ابدا الا على كبير القوم ولامر عظيم منهم والحاشر
اسم فاعل من قولك حشر يحشر فهو حاشر اي جامع الخلق اليه وقد دخلت
الالف واللام في اسمه الحاشر للتعريف به في اليوم العظيم والحشر الجسيم
الذي لا يتجرا احد فيه ان يحشر اليه احدا لشغله وخوفه على نفسه فهو
صلى الله عليه وسلم يحشرهم اليه لمقامه وفضله الكريم واذ لا اله العظيم
اذ لا يعدون على من والى من يجتمعون الا اليه وعليه فهم يقصدون من
كل مكان الى مقامه وموضع مولاه يخلع عليه خلعات جلال الجود والكرم
ودنا جيه باسراره والناس يحشرون اليه من كل مكان يستظلون في ظل
جاهه ويلوذون به السلطان ظل الله في الارض فهو سلطان ذلك اليوم
العظيم ترغب اليه فيه الخلايق كلهم حتى ابراهيم الخليل وبيده لوا الحمد
تحته ادم فمن دونه وقوله يحشر الناس على قدمي اي يسعون ويجتمعون
ويتزاحمون بالاجتماع على مقامي وموضع قدمي ويتلذذون بالزحام تقول
العرب قد حشرتهم السنة اي شملتهم القحط والشدة اذا اضمتهم من البوادي
الى الحاضرة ومواضع الرفق وكذلك ايضا يحشر الناس اليوم من الدنيا
على قدميه ويجتمعون في البرزخ من اولهم الى اخرهم حتى يرد محمد صلى الله
عليه وسلم وامته دكا لها فيحشرون الى المحشر على اثره فالكل محبوس عليه
حتى يتقدم فيحشر الجميع على قدميه اي على اثره وهذا افضل وكرم ذا لي
لا يدانيه فضل ولا كرم اذ حشر من الخلق ما لا يحصيه الحاسبون ولا يحيط
به الا الله من اجل شخص واحد وكذلك هم ايضا على اثره في الجنة وفي الزيادة
وعند ربهم ولا يتبع الا هو ولا يجتمع الا عليه واليه فهو الحاشر بكل وجه
وبكل معنى حتى في مقامات الفنا بالنظر الى الباقي اول ما ينظر يوم ينظر
الناس على اثره **فصل** ومن اسمايه صلى الله عليه وسلم العاقب
عاقب كل شي وعقبه وعاقبته اخره وتقول ايضا عقبت الشي شددته
وهذا الاسم في اوصاف النبي صلى الله عليه وسلم من اكرم الاوصاف
واعظمها وادلها على فضله العظيم وذلك ان الله عز وجل خلق الخلق
في الدنيا وارسل اليهم الرسل يدعونهم الى العاقبة والعقبى الحسنة والى

كل ما يعقب الخير من امور الدين والدنيا والاخرة فمن الرسل من لم يقدر ان
يخرج الى العاقبة احدا ومنهم من اخرج الرجل الواحد او الرجلين او
الثلاثة او النفر اليسير واما اكثر اتباعا من كثر منهم لغيرهم من متبعيه
العاقب صلى الله عليه وسلم الذي اعقب كل خير فأريحيته اسمه عقبت
ذلك وعقب الرجل ما يتولد عنه من ولد فنعت عليه السلام بعد الانبيا
الى الامم موافقة لانه فاشتدت به الدعوة وقويت به النبوة كما يقول
اعقبت الشي شددته وهو شد الازر وقوى الامر لانه العاقب وهو في
نفسه يعقب كل خير فغاض تغير اسمه وفعل كل عقبى حسنة وشد ظهر الانبيا
واقام اود النبوة كما يجب فانظر الى هذه الاسما ما اعظم قدرها واكرم
اومافيها وقوله صلى الله عليه وسلم انا العاقب الذي ليس بعده نبي لم يكن
بعده نبي لانه قد انتهى في عواقب الخيرات الى تمامها لحيازتها واكملها كلها
فلم يبق لاحد موضع يبعث معه ولا لما يبعث فلذلك تنظر عواقب الامور
الاخراوية وتقوم عليه وفي يومه لانه قد اتم ذلك واكمله فافهم وهو العاقب
ايضا بمعنى اخر في المقامات والاحوال للانبيا والاملاك والاوليا
درجات بعضها فوق بعض فارتقى هو في المقامات كلها يطلب نهايات
المقامات وعواقبها حتى حاز عواقبها فكان هو العاقب بعد هذا كله
واخره فوق كل درجة ليس بعده احد الا الواحد الاحد الماحي يقال محا
يمحو فهو ماح اذا اذهب اثرا المحو وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم قال
وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر فقوله يمحو فعل حال وهذا الاسم مخصوص
بالنبي صلى الله عليه وسلم وايضا هو من امدح اسمايه وادلها على عظيم فضل
ذاته وكرمه على الله عز وجل وذلك ان الانبيا عليهم السلام بعثوا لازالة
الكفر من الوجود الدنيا وفيهم من لم يقدر على محوه بل كلهم كما تقدم حتى
يظهر الدين على الدين كله ونبينا صلى الله عليه وسلم قال انا الماحي انا
الذي يمحو الله بي الكفر ويمحو لا تقدم فعل حال وهو الدايم فابتدا المحو
من وقت المبعث بظهور ذاته الفاضلة ولم يزل يمحوه مدة حياته ثم اشتاق
الى لقا مولاه فلقيه ولو اختار البقا لاتم في اسرع محوفات وبقي نوره ذاتا
في امته فلا يزال نوره يمحو حتى يظهر الله دينه على الدين كله على يدي

فصل ومن اسمائه صلى الله عليه وسلم

امته

195

امته المهدي رضي الله عنه وعصابته وعيسى بن مريم في جيته الاخيرة
تابع لمحمد صلى الله عليه وسلم ومومن به وبدينه حتى يطهر الارض من ياجوج
وماجوج والدجال ومن جميع الكفرة وحتى تقول الشجر والحجارة يا مسلم
هذا يهودي ورايي فاقتله ويمحي دين ابليس من الارض ويبقى في نفسه
معذبا بالحسد ولو بعث محمد صلى الله عليه وسلم في الدنيا قبل الانبيا لمحى الكفر
كله باسمه الماحي وبطلت النبوة والرسالة بعده لانه لم يكن يبقى لهم
ما يبعثون له فاخره وقدمهم في المبعث ليظهر فضله ويباهيهم به
فيقال لكل بلسان الحال والمقال انظروا الى هذا الماحي بعثته اخرا
وحده في زمانه لكافة الخلق جميعا وبعثتكم في الازمنة قبله جماعات
جماعات في وقت واحد الى بعض الناس فلم تقدروا على ما قدر عليه وبعض
وحده في محو الكفر الى الغايات فقام وحده مقاما لم يقمه الجميع منهم بل
زاد وازبى مع غربته ووحدته على الجميع بهذا فضل عظيم لا يدانيه فضل فان
قلت فقد يعود الناس في الاخر الى دين اباييهم والى الكفر حتى لا يبقى في
الارض من يقول الله الله فالحق ما قلت ونعم ما نبهت عليه فان ذلك حين
يقبض الله نور محمد الماحي صلى الله عليه وسلم ويرسل الله ريحا من تحت العرش
تقبض من الارض الاوليا لاقامة القيمة ولما توجه النور الى الاخرة
واعرض عن الدنيا لحكمة عظيمة فابتديها محو الكفر كله بالجملة وذلك انه
انما قبضه الله ليقيم الساعة فلا يبقى كفر ويومن الكل حين لا ينفع نفسا ايمانها
فهو كان سبب المحو بكل وجه وبكل معنى ووجه امر عظيم القدر في المحو
وذلك ان الكفر على ضربين كفر جحود وكفر نعمة فكفر النعمة الركون والالتجا
الى مخلوق بالشرك الخفي اي مخلوق كان فليس الا الخالق وخلقه فلا ركون
الا اليه ونبينا صلى الله عليه وسلم هو الماحي في الحقيقة لذلك كله فانه
لم يفرح بشي الا به سبحانه فخرج صلى الله عليه وسلم من الدنيا بركوبه البراق
ولم يلتفت اليها مدة ركوبه للبراق وهو في الاعتبار كسير الانسان مدة
حياته من الدنيا الى الاخرة ثم عرج في الملك والملكوت وهو في الاعتبار
كسير السلوك الى الله تعالى في درجات العلم والعمل والانقطاع من
الاشيا الى الله فمحى من قلبه كل مخلوق طبقا بعد طبق حتى وصل الى حقيقة

نبيه

المحو محو الكون كله عنه وانما نوجد فيه محو الله ما يشاء ويثبت محو الوجود
عن قلب حبيبه ويثبت نفسه فيه دون سواه المحو للعارفين دنيا واخرى دار نفي
العارفون في اثره في درجات المحو والاثبات وهكذا انهم في الزيادة الاخراوية
ابدا يرتقون على اثره لانهم اولوا الامام فلا يرون ربهم الرؤية الحقيقية
بلا حجاب حتى يمحو الكون عن قلوبهم وابصارهم ويثبت نفسه هكذا ابدا
على اثر الماحي محمد صلى الله عليه وسلم **فصل** ومن اسمائه صلى
الله عليه وسلم خاتم النبيين وبعضهم قرأ خاتم بالكسر والفتح تقول
فيه ختم يختم ختما اذا طبع والختم الطبع وخاتمة كل شيء آخره بالكسر
وخاتمه وخاتمته بالفتح ما يوضع على الختام من الطين الذي يختم به
ويقال ختم زرعه سقاه اول سقية لانه سقاه في الاول سقيا ينهيه
الى آخرها به وهذا كله من اوصاف المصطفى صلى الله عليه وسلم وخصوصه
به دون سائر الخلق فضله بذلك تفضيلا على الجميع فاذا قلت ختم
بمعنى طبع فان الله طبعه على خلق وطبائع واوصاف ما طبع عليها احدا
لعلو جوهره الشريف لذلك الطبع الذي لم يقدر طبع غيره ان يقبله واذا
قلت ختم زرعه سقاه اول سقية فان محمدا صلى الله عليه وسلم ادرجت
فيه في اول الغذر السابق جميع النبوات واخفى فيه من تخصيصات الفضائل
ما ذكرناه ويحلوا به ابد الابدين على كل موجود وفي الغذر السابق حصل
لكل احد ما قسم له واذا قلت خاتم النبيين بالفتح وهو ما يوضع على
الختام اي الطين الذي يختم به فان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم وعا
حلت فيه النبوة كلها باجزائها لانها اجزاء كثيرة وغيره اعطي من
اجزائها على قدر ما يحتمل ولم يحتمل الجميع الا محمد صلى الله عليه وسلم فلما
كملت فيه كان الخاتم على الكمال كما يطبع الكتاب ويختم اذا اخفي وطوي
على ما فيه فلم يختم غيره من الانبياء لانه لم تكمل فيه النبوة وبقي له شيء لم
ينله ونياله بالارتقاء ابدا ولذلك كان الخاتم في ظهر نبينا صلى الله عليه
وسلم وتخصيصه بظهره صلى الله عليه وسلم فيه من الحكم ما لم يقرع اسماع
الجماهير من العلماء ومعنى ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم والرسول حامل لما
ينزل عليه من السماء من الوحي فينزل على ظهره اثقال اعباء النبوة ويقوم

فيه

فيه وقد ورد في الخبر ان من الانبياء من كان ينفصم تحت النبوة مع انه
لم يلق اليه كما القي انا سنلقي عليك قولا ثقيلا فينزل على ظهر كل حامل
منهم ما يحتمل ويطيق ولم يختم واحد منهم في موضع النزول لانه بقي له ما يرتقي
اليه عاجلا واجلا في مقامات النبوة ومحمد صلى الله عليه وسلم انزلت
عليه جميع الاجزاء فحملها واطاقها فكان الختم في موضع النزول والحمل مما
يلي المنزل عليه ومن الحكمة في كون الخاتم مما يلي موضع النزول دون العلو
وفي الظهر وهو موضع الحمل ان النبي بذاته ساجد الى الارض مستند بظهره
الى المنزل عليه بالتوكل والاعتماد والتبري من الحول والقوة وذلك
اعلام واخبار واشارة الى ان النبوة محجوزة على الانبياء مخصوصة بهم من
عند الله من جهة العلو لا تنال بكسب عملي ولا عقلي ولا نظر علمي ولا اجتهاد
ادمي بل بفضل من الله ورحمة منه تنزل اليهم تنزل الرحمة والفضل وتخصهم
دون غيرهم ويكونون انبياء الى الخلق دون غيرهم ولو لم تكن محجوزة ينالها
كل احد بالاكتساب لبطلت النبوة والرسالة ولم يبعث لنا برسل الرسول
ويبعث النبي بحكمة ومن الحكمة ايضا في تخصيص الخاتم بظهر نبينا صلى
الله عليه وسلم الذي هو موضع الحمل للوحي المنزل على الانبياء ان ذلك المو ضع
مما يلي الانزال عليه ليس بينه وبين المنزل عليه حجاب فهو الرسول والله
المرسل وهو النبي والله الخبير المنبي وكان الخاتم في موضع لا يرتقي اليه
احد ولو ارتقى احد اليه لصار في موضع الخاتم فوق الحامل له فيكون جميع
الانبياء تحت ذلك الختم لا يرتقي اليه احد ويكون هو فوق الجميع والكل في
ضمنه يقتبسون من موضع ذلك الختم والانزال عليه وهم تحته وكانه
ابو الكل والجامع لهم والكفيل بهم والقائم عليهم وجه اخر اذا جعلت الانبياء
كلهم سالكين وسائرين في القيمة وغيرها كان الخاتم في ظهر النبي صلى الله عليه
وسلم يأتمون به ويمشون وراءه لانه الامام فهم يؤمون موضع الخاتم من كل
وجه من امامه ومن خلفه ابدا وينالون من بركات كمال الختم في كل وقت
من الله عز وجل ما لم تره عين ولا سمعت به اذن ولا خطر على قلب بشر
وجه اخر اذا قلنا خاتم بالكسر فيه اثنا فانه الاخر ووضوح المعنى فيه
انه تمام النبي وكماله ولو لم يكن لظهر التنقص في النبي لم يكمل التمم وكان محمد

صلى الله عليه وسلم هو المكمل المتمم فاعطى روح المعنى بالرتبة والدرجة في
التتميم والتكميل فزين الجميع وكمل الكامل وتمم التام ولهذا المعنى عدد عليه
السلام في فضايله التي اعطيها دون الانبيا فقال ختم بي النبيون وانا خاتم
النبيين فافهم فانه معرض المدح من الله له والتفضيل وجه اخر في الختم
كان الانبيا قبله في اوقاتهم يبعثون جماعات جماعات الى اقوام متفرقين
في زمان واحد ويعين بعضهم بعضا ومع كثرتهم لم يأت الكل بل كان امر التبليغ
ولم ينفذوا من الخلق الا اليسير ومنهم من لم ينفذ شيئا وخاتم النبيين
صلى الله عليه وسلم بعث في الاخر غريبا من ابنا جنسه ولحوته وبهم الانبيا
لم يعنه منهم احد فنهض بجنانه الفاضلة في ذات الله وشمر عن ساقه فادخل
في دين الله ما لم يدخله الجميع ولا اقدر عليه احد فهذا افضل لا يدانيه فضل
ومن اسمايه صلى الله عليه وسلم الاول والاخر والظاهر والباطن الاول
في الخلقة والرتبة والاخر في البعثة والظاهر بالرتبة والباطن
يوم سايل الشفاعة والنبي والرسول والامي والشاهد والشهيد والبشير
والنذير والمبشر والمنذر وحرز الاميين وعبد والمتوكل والغفور
والصفوح والمحسن والرؤف ورحمة ورحيم والداعي والسراج والمنير
والسلام والمومن والقانت والصادق والصابر والصبور والصبار
والخاشع والكريم والعالم والمخلص والمحب والمحبوب والخليل والحبيب
والمستقيم والمبارك والميمون والملك وفي الحديث هذا نجم ملك الجنان
قد ظهر بكسر اللام والمنيب والمهدي والهادي والمهدي والنور وذكرا
رسولا والذكر والشرف والناصر والمنصور والمبين والامين والامام
والمذكر والمهاجر والعامل والاجر الثاني والطيب والمحلل والمحرم
والواضع والرافع وقاسم والمزمل والمدثر والعلي والحكيم والشفيع والمشفع
والتواب والولي والغني والفقير الى الله والمسكين بالذل بين يدي الله
ومما انتزع من اسمايه والحامد والشاكر والشكور والقايم بامر الله والطاهر
والمطهر والمرتعب والمنتظر والشريف والحسيب والذكي والبري والعزيز
وذو الفضل وجواد وبحر وحاكم وقاض وعدل وشاف وتاج ومنجي والجليل
والاحسن ولطيف ورفيق وحبي وسبر والخطيب والمولى والسيد والبر

والنقي

والنقي والاتقى والاعلم والسميع والبصير ثاني اثنين والمتقي من كل
جور والماجد ومنعم ومفضل ومحسن ومعطي ونوال وعصمة والكلية وعظيم
قال الله عز وجل انك لعلى خلق عظيم قيل على اخلاق الربوبية وفي الصحيح
كان خلقه القران والخلق من الاوصاف والاوصاف اسما حسنى مخلوقة
عن معاني اسما الله القديمة فلكل وصف من اوصافه واسم من اسمايه
فضل ومزية يزيد بها على كل ذي فضل من المخلوقين ولولا ايثارنا الاختصار
لشرحنا لك ذلك وما شرحنا في اسمايه المتقدمة يستدل العالم على
ما لم يشرح منها واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شي عليم ولو تتبعت
فضايل اسمايه لكان فيها اسفار من الحكمة لم يتفرغ لاستماع مثلها واذ قال
الله عز وجل وانك لعلى خلق عظيم وكان كل خلق من اخلاقه عظيما فلا
عظيم اعظم مما عظم الله ولا سيما وصفه العظيم ليشرح الاوصاف من الاسما
ما تعالوا على العظيم وكل خلق من اخلاقه عظيم فليس يداني عظيم اخلاقه
خلق احد الا ترى ان اسم الله الاعظم هو الغاية القصوى في الاسما
والاسما كلها متعلقة به فاذا كان كل وصف من اوصاف نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم عظيما كما وصفه الله تعالى والخلق كلهم متصفون بالاخلاق
الحسنة فقد ازري وزاد بكل وصف من اوصافه واسم من اسمايه على كل ذي
وصف واسم حسن بالاضربية وقال النبي صلى الله عليه وسلم اكمل المومنين
ايمانا احسنهم خلقا والله يوتي فضله من يشا وقد قال الله تعالى لرسوله في
هذا المعنى وكان فضل الله عليك عظيما ولم يقله لاحد من الخلق الا له
صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم

فصل

فاما الكفار والمنا فقون
فانهم في الباطن ممسوخون منكوسون ولذلك لم تحبه بواطنهم ولو كانت
بواطنهم في احسن تقويم لاحبوه كما احبه غيرهم من المومنين واما في الظاهر
فانهم محجوبون هذا الاسم شاوا ام ابوا لان صورهم الظاهرة في الدنيا
رجعة لادمي على هذه الصورة من انشيه لانهم خلقوا على الفطرة فاحب
بعضهم بعضا في دار الدنيا فظنوا انهم على مثل الفطرة وبواطنهم ممسوخة
فاذا كانت الاخرة ظهر عليهم المسخ الباطن وتغيرت خلقتهم الظاهرة
وتشوهت صورهم كما وردت الاخبار والايات بتشويه خلقة الكفار

اي اسم محمد المتقدم ذكره صلى الله عليه وسلم

وانتكاستها فقال عز وجل افمن يمشي مكبا على وجهه وقال تعالى وهم فيها •
كالحون وروى ابو سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في
تفسير تشويه اهل النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط راسه
وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ سرته وفي حديث ان الكافر يسحب
لسانه الفرسخ والفرسخين فاي تشويه ونكس بشينه هذا مع هذا كله
فقد ثبت ان ضرسا من اضراسه كاحد فاذا كان كل ضرس من اضراسه
مثل احد وشفته في وسط راسه والاخرى في سرته ولسانه يسحب اميالا
امامه فانى تشبه هذه الصورة الخلقة الانسانية المصورة على صورة
محمد صلى الله عليه وسلم وورد ان المتكبرين يحشرون امثال الذر وهذا
مسخ وفي الصحيح ان ابا ابرهيم يرى في صورة ذيخ وقد مسخ الله بني اسرائيل
ظاهرا في الدنيا قردة وخنازير فاظهر حالهم الباطن وما لهم عاجلا فقال
تعالى وجعل منهم القردة والخنازير وقد ورد في الصحيح ايضا انا الفا
مسخ وورد ايضا ان اهل النار ممسوخون منهم على صورة الحيات والقردة
والخنازير والكلاب والشياطين وغير ذلك من الحيوانات كما ورد في
والد ابرهيم وغيره من الروافض انهم كلاب اهل النار لا سيما من ختم له بكفر
فاذا ظهرت الاخرة ظهرت معاني البواطن على الظواهر فانتكسوا
وردوا الى اسفل سافلين بعد ان كانت ظواهرهم في احسن تقويم قال
الله تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل •
سافلين وقال تعالى ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فافهم هذا فانه
لا يبقى على جمال صورة هذا الاسم الكريم المحمدي الا اهل الجنة فيحب
بعضهم بعضا لبقاء هذه الصورة المكرمة فيهم رجالا ونساء فليس فيها
شكل ولا نقص ولا موضع الا صورة هذا الاسم فيه ومحبته ثابتة
في الجميع وكل ما في الاخرة والجنة مما هو على غير هذه الصورة فانه مملوك •
مستخدم لمن هو على صورة هذا الاسم من لباس وقصور ومراكب وانهار
واشجار وغير ذلك من سائر المتخولات وقد الف في حسن صورة جسد
نبينا صلى الله عليه وسلم تواليف وبينوا فيها ما ظهر لهم من جماله فان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اجمل العالمين صورة خلقه الله كذلك •

الذيخ بالدال المعجمة والياء التحتية والخاء المعجمة ذكر الضباع الكثير الشعر صحاح

لاجل

لاجل الحب له صلى الله عليه وسلم فان الجمال محبوب ولئلا يقع نظر احد
من الخلق على شيء من جسده فيكرهه او يذمه فيعود الذام بذلك كافرا
وحسن يوسف وغيره جزء من حسنه لانه على صورة اسمه خلق كما تقدم
وروي ان يوسف عليه السلام اعطي شطر الحسن ومحمد صلى الله عليه وسلم
اجمل لانه اعطي الكل ولولا ان الله سبحانه وتعالى ستر جمال صورة محمد
صلى الله عليه وسلم بالهيبة والوقار واعمى عنه اخرين لما استطاع احد
النظر اليه بهذه الابصار الدنياوية الضعيفة وقد وقعت لعائشة
رضي الله عنها ابرة في ظلمة الليل في بيتها فراتها وابصرتها بنور ضياء وجه
محمد صلى الله عليه وسلم وفي الصحيح ان وجهه كان مثل الشمس ومثل البدر
على قدر ما يستطيع كل احد ان ينظر اليه صلى الله عليه وسلم ومنهم من لم
يكن يملا عينه منه وروى انس رضي الله عنه وغيره في صفته صلى الله
عليه وسلم قال كان ربعة من القوم ليس بالطويل البائن ولا بالقصير
المتردد هذا لان القصير يحتقر والبائن حيا في الطول يمل ويستثقل
وليس بالابيض الامهق ولا بالادم لان السمرة فيها سواد والابيض
الامهق شبيه بالابرص وذلك كله مكروه ليس بجعد قطط ولا سبط •
والجعودة تشبه شعر السودان والسبوطة مثل شعر الروم وليس من
الجمال الكامل هذا كله لئلا يكره شيء منه وكذلك ورد انه مات صلى
الله عليه وسلم وليس في راسه ولحيته عشرون شعرة بيضا اي مات
ولم تظهر عليه الشيب بياض راسه ولحيته والنساء تكره الشيب في
الرجال ولا وصل سنه حد الهرم المستثقل الذي كان يبغض منه
في حياته فانظر كيف لم يظهر عليه شيء من الاشياء التي تظهر على اهل الهرم
كي لا يكره ولا يستثقل منه شيء فيكون ذلك كفرا فجماله رحمة عظيمة
بالرجال والنساء دنيا واخرة وكان بعيد ما بين المنكبين هذا المعظم
في النفوس ويكبر في الصدور فيحب وضد ذلك مكروه مستحقر وفي الحديث
ما مسست ديباجة ولا حريرة الين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذا لان الخروشة والخشونة مستثقلة مكروهة في البدن ولا شممت
رائحة من مسك ولا عنبرة اطيب من رائحة رسول الله صلى الله عليه وسلم

هذا لان الريح المضاد للطيب مكروه وكان ريحه اطيب من المسك والعنبر
كيلا يساويه احد في الطيب لا المسك ولا غيره فيحبب ريح شي كريحه ٥
فيساويه في الحب لما وانه في الطيب وكان صلى الله عليه وسلم ٥
ضليع الفم اي عظيم الفم هذا لان صغر الفم وضيقه مستقبح جدا وكان
اشكل العينين يعني طويل شق العينين هذا لان ضيق العينين ودقتها
عيب مكروه في الجمال وكان منهوس العقبين يعني قليل لحم العقبين
وهو اجمل شي في الرجال وضده مكروه في الرجل وانما يستحسن كثرة اللحم
في الاعقاب والمواخر للنسا وعلى الاختصار فان وصفه وخلقه في احسن
صورة واجمل تركيب فلا يقع بصر عليه ولا يسمعه احد الا احبه ولم يكن
فيه شي تنفر منه العين ولا يعاب ويكره لان من كره شيئا منه وعابه
فهو كافر حتى ان المراة شربت بوله ولو وجدت له طعم البول لما ادخلته جوفها
وكرهته وقالت عايشة رضي الله عنها كنت ادخل الخلا بعد خروج
رسول الله صلى الله عليه وسلم منه فاجد رايحة المسك وكذلك ثيابه
صلى الله عليه وسلم كانت عايشة رضي الله عنها تفركه وما ورد في الاخبار
عن غسله فانما ذلك على وجه التنظيف للثياب كلها كما كان صلى الله
عليه وسلم يغتسل بنية تنظيفا هذا خصوص له دون غيره وكذلك في
موته لم يظهر منه شي نتن مما يظهر على الاموات بل كان طيبا حيا وميتا
صلى الله عليه وسلم وكذلك ثيابه كان يحب الدون من الثياب وذلك
لانه في دار العبودية فكان يلبس ما يوافق البذاذة والتعبد ولا
يتشبه باهل الترف والرفاهية الذي لا يوافق اهل العبودية
وكان بذلك في اجمل صورة في دار الزهد والتعبد وقد قالت العلما
رضوان الله عليهم من قال ان ثوب النبي صلى الله عليه وسلم وسخ يريد
بذلك عيبه فقد كفر وقتل كفرا حدا فقد تبين انه خلق في اجمل
الصور ولباسه واموره كلها اجمل الامور كيف لا فان الجمال محبوب ولا
يكره فيكون ذلك كفرا فهذا اختصار في وصف ظاهره فجاءت صفاته
واعضاوه الظاهرة في غاية الحسن والجمال المحبوب منزهة عن كل شي
دني وخلي من الشين او العيب المكروه **فصل** واما جمال ذاته

الباطنة

الباطنة وروحه المقدس فمن ذا الذي يصفه من المخلوقين وقد اثنى عليه
رب العالمين فقال سبحانه وتعالى وانك لعلى خلق عظيم فلا اعظم مما عظمه
الله فالخلق صفات ذاته الباطنة وقد روت عايشة رضي الله عنها في
الصحيح في تفسير قوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم قالت كان خلقه القران
والقران هو النور المبين الذي منه يستمد كل نور في الموجودات والقران
هو الجامع للاسما والصفات الربانية القايمة بجميع الاشيا اوجد
الله سبحانه عن كل معنى من معاني اسمايه وصفاته القديمة معاني محدثة
بها في العالمين فاوجد العلم عن معنى علمه والرحمة عن رحمته والنور عن
نوره والكرم عن كرمه والحلم عن حلمه وهكذا جميع اسمايه وصفاته فخلق
نور محمد صلى الله عليه وسلم وذاته الباطنة عن معاني القران وخلق بكل
صفة محمودة فيه والقران جامع لمعاني الكتب كلها والمهيمن عليها ولذلك
سمي قرانا والقرء هو الجمع فهو جامع لكل خير وبركة ونور وحسن وجمال
ومنه يستمد جميع العوالم وقد ورد في الاخبار ان اول ما خلق الله سبحانه
وتعالى نور محمد صلى الله عليه وسلم يعني ذاته النورانية الباطنة وورد
عنه صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى خلق الارواح قبل الاجساد
وقال ايضا صلى الله عليه وسلم كنت نبيا وادم بين الما والطين وقال
صلى الله عليه وسلم انا اول الانبيا خلقا واخرهم بعثا وروي عن عالم
الامة امير المومنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال ان الله تعالى
حين شا تقدير الخليقة وذرا البرية وابداع المبدعات نصب الخلق
في صور كالهبا قبل دحو الارض ورفع السما وهو في انفراد ملكوته وتوحد
جبروته فاشاع نورا من نوره فلمع قبس من ضيايه فسطع ثم اجتمع النور في
وسط تلك الصور الخفية فوافق ذلك صورة نبينا صلى الله عليه
وسلم فقال الله عز وجل انت المختار المنتخب وعندك مستودع نوري
وكنوز هدايتي ثم اخفى الخليقة في غيبه وغيبها في مكنون علمه ثم نصب
العوالم وبسط الزمان وموج الما واثار الزبد واهاج الريح فطفا عرشه
على الما فسطح الارض على ظهر الما ثم انشا الملايكة من انوار ابتدعها
وانوار اخترعها وقرن بتوحيده نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فشهدت

في السما قبل بعثه في الارض يعني نبوته ثم ذكر كلاما كثيرا تركته لطوله
ثم قال ولم يزل الله سبحانه يخبو النور تحت الزمان الى ان اظهر محمدا صلى
الله عليه وسلم ثم قال رضي الله عنه فدعا الناس ظاهرا وباطنا وندبهم
سرا واعلانا واستدعى صلى الله عليه وسلم التنبيه على العهد الذي قدمه
الى الذر قبل النسل فمن وافقه قبس من مصباح النور المتقدم اهتدى
الى سره واستبان واضح امره ومن البسته الغفلة استخفه الحظ فقد
اعلمك رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم عقدت له النبوة قبل
كل شي وانه دعى الخليقة عند خلق الارواح وبدء الانوار الى الله كما دعاهم
اخرا في خلقة جسده اخر الزمان ومن هذا المعنى قوله تعالى واذ اخذ
الله ميثاق النبيين الاية الى قوله لتؤمنن به ولتنصرنه الى اخر المعنى
فقد امن الكل به فهو ادم الارواح ويعسوبها كما ادم عليه السلام ابو الاجساد   اي سيدها واميرها
ونسيبها ولذلك ورد في الاخبار ان نور السموات من نور محمد صلى الله عليه
وسلم ونور القلم من نوره صلى الله عليه وسلم ونور العرش من نوره صلى
الله عليه وسلم ونور العقل واللوح ونور المعرفة والنهار والشمس
والقمر ونور الابصار من نور محمد صلى الله عليه وسلم في كل حين واوان وقال
سهل بن عبد الله التستري رحمه الله في كتابه التفسير له في قوله تعالى
ولقد راه بالافق المبين قال الافق المبين ما ورا الدنيا والاخرة
اي راى ربه سبحانه في عبادته له قبل ابتدا الخلق بالف الف عام ٥
بطبائع الايمان ومكاشفة الغيب بالغيب في العبودية النور الكثيف الذي
خلق الله منه العرش والكرسي وجميع الانوار الانزاه كيف خبر الله عنه
في قوله تعالى ولقد راه نزلة اخرى وهو بالافق الاعلى فقد تبين ان
نور الوجود وجماله وخيره في البواطن والظواهر انما استمد ويستمد من نور
ذاته الباطنة وقد سماه الله سراجا منيرا في قوله تعالى يا ايها النبي انا
ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا
كما قال تعالى في الشمس وجعل الشمس سراجا فذاته شمس الوجود منها يستمد
جماله ونوره وحسنه كل موجود فكما ان الابصار تستمد من اشعة الشمس
المنبثة منها لعرض الى اقطار العالم فيرى بنورها ويظهر ويتبين

كل

كل شي فكذلك تستمد العقول والبصاير والذوات من ذات المصطفى صلى الله
عليه وسلم النورانية التي هي شمس الوجود وسراجه فافهم فاول ما خلق الله
تعالى نوره صلى الله عليه وسلم في البدء فكان بزرة الوجود واقرب موجود
هو مقام الحبيب من الحبيب ثم نشا عنها الوجود كله كما تنشو الشجرة عن
البزرة حتى كملت الموجودات الكليات ثم خلق ادم عليه السلام وولده
والنور عند الكل من الاصل حتى ظهر جسده الطاهر في اخر الدنيا وكمال
الخلق كما تظهر ثمرة الشجرة بعد كمالها فهو الاول والاخر وعليه تقوم
لته   الاخرة لانه الاخر كما عنه نشات الاوايل لانه الاول كما بظهوره تمت
وعظم شرفه ظهرت رتبته ومنزلته على المنازل وظهر دينه على الدين
كله فكان هو الظاهر كما بنو تسله وخفي اسراره في مقامات شفاعته ٥
فخفيت اسراره مع حبيبه في غيب الغيب بدخوله عليه وخرج لا يدخل
الوزير المقرب على الملك فكان هو الشفيع للكل والمطلع على السر المحدث
في الغيب والمتوسل بالوسايل لخليله في الغيب عن الكل لا يتم ذلك
المقام غيره شفاعة للغير رحمة للكل فكان هو الباطن في درجات
الحب وغيب القرب فكان اولا واخرا وظاهرا وباطنا اولا في الخلقة
يعه   والمتقدمة واخرا في البعث ورجوع الكل اليه وانتظارهم ليومه وظاهرا
في المنزلة وباطنا في الوسيلة **فصل** انظر قوله تعالى تبارك
الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا والعالمون هم
جميع الخليقة فقد انذر الخليقة اجمع وامن الكل به في الاولية والاخرية
وانتقال النور في جميع العالم من صلب الى صلب فافهم وانظر قوله تعالى
وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران جملة واحدة كذلك مع قوله
تعالى انا انزلناه في ليلة القدر اي جملة واحدة مع قوله عليه السلام
ان الله قدر مقادير الخلق قبل ان يخلقهم بخمسين الف سنة فقد انزل
عليه ايضا في ليلة القدر حين قدرت المقادير والخلق في ظلمة ليل
العدم ففي تلك الليلة انزل عليه القران حين انفصالها بظهور فجر
يوم الايجاد والانشا حين بدا نوره قبل الاشيا فاضات الاضوا بانفجار
انواره صلى الله عليه وسلم المقتبسة من نور القران والى عبادته الاولى

الاشارة في حقايق قوله تعالى قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين
ردا على من نسب الى الله سبحانه الولد معنى ذلك لو كان لله سبحانه ولد كما تزعمون
فانا كنت احق بذلك من غيري لاني اول العابدين لاني اول مخلوق ولست
ادعي اني ولده بل انا عبده فكيف تنسبون الى غيري النبوة وهو لم يشهد
من القرب منزلتي ولا من المكانة مكانتي ولا من الاولية اوليتي وانظر
احاديث الاسرا ايضا والايات الواردة فيه فقد ركب البراق ورقي
المعراج وركب الرفرف وجاوز مقامات الاملاك والانبيا الى ان
كان قاب قوسين او ادنى وانما صعد صلى الله عليه وسلم الى مقامه الاول
الذي هو محمد والنور الذي خلق منه العرش من نوره الاول الذي ليس بينه
وبين الله واسطة بل هو الواسطة للوجود كله ومن هذا يفهم حديث
قتادة رضي الله عنه ان الله سبحانه وتعالى يجلس محمدا صلى الله عليه وسلم
على العرش لاستغنائه هو جل جلاله عن العالمين فيتعين مكان الربوبية
ويثبت ملكه له لاستغنائه عن الكل فيكون مشرفا على الوجود كله لان
الوجود من نوره وجا له استنادا فاذا فهمت هذه الكلمة على الاجمال علمت ان
كل حسن في الوجود وكل جمال فمن نوره يستمد وليست تظهر منزلته
صلى الله عليه وسلم التي ظهرت لاهل العلم الا في الاخرة لعموم الخلق
وعموم العلما فهو افضل الخليقة وهو رحمة للعالمين وعليه اسبغت
جوامع النعم وخلعت خلال الجود والكرم وكان فضل الله عليك عظيما
وهو الملقب بالمحامد والثنا على ما اوتي من النعم والفضايل فقيل له
محمد على وزن مفعل اي فعل بالمحامد محمد على ما اعطي وقيل له احمد على
وزن افعل اي احمد من غيره فكان اكثر الخلق حمدا لربه فلذلك كان
لوا الحمد بيده الذي يستظل تحته كل حامد واللوا هو الراية والعلم
فتكون علما لما جعلت عليه من حرب او غيره فتعلم الناس وتريهم موضع
الامير وكونه ماشيا او قائما تحتها او امامها وقال النبي صلى الله عليه
وسلم لكل غادر لوا عند استه يعرف به وخص الغادر انه عند استه
وهي سوته لانه يعلم ويعرف بسوات الغادر وقبح غدراته فلوا الحمد
انما يعلم بامامة محمد صلى الله عليه وسلم للكل وتبعا ما نه الشريفة

التي يحمد عليها الاولون والاخرون في المقام المحمود منصوب على راس
محمد صلى الله عليه وسلم وعلى راسه تاج الوقار والهيبة توفيرا لرتبته
واجلالا له وتوقيرا لله له واجلالا له حين خصه بما لم يخص به احدا وعليه
حلل الكرامة وهي خلعات الجود من الملك المعبود في المقام المحمود فالبسه
بذلك حلل الثنا والمحامد فكان لباسا لم يلبسه احدا غيره وتحته
البراق العظيم يلوح لونه في افاق عرصات القيمة كما يلوح البرق بين
السما والارض تنويها بمركبه العظيم العالي الذي حضر به وضعه وفي
رجليه نعلان من نور يسمع صريرهما بين الخافقين والكل راغبون
اليه في الشفاعة لاتساع جاهه وعظيم منزلته عند حبيبه فهذا جمال
لا يوازيه جمال وكمال لا يدانيه كمال فهو حبيب رب العالمين وسيد الخلق فمن
قال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فهو المرحوم به العالم
بنص هذه الاية فاذا شئت ان تفهم كونه رحمة للعالمين فاعلم مع ما تقدم
انه حبيب الله المخصوص بمقام المحبة العظمى فوجب حبه على جميع الخلايق
لتخصيص الله اياه بمحبته العظمى فكل قلب وروح احبه من جميع الخلايق
ائتلف مع روحه الكريمة في غيب الغيب كما قال صلى الله عليه وسلم ان
الارواح اجناد مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف
فائتلفت ارواح العالم كله بالمحبة له وعلى حبه فكان امير الارواح كلها
وسيدها واجتمعت على محبته كاجتماع النحل على يعسوبها وهو ملك النحل
الجامع لها فاجتمعت الارواح على حبه وعلى دينه وتوحيده وحجا لغته
اذ هو الداعي الى التوحيد في الاولية لجميع الارواح في كل مكان فكان
ذلك من الارواح اجماعا عليه والاجماع والاجتماع في الايمان والتوحيد واجتماعا
سبب الرحمة كما ورد في الخبر الجماعة رحمة والفرقة عذاب فرحم الكل به
صلى الله عليه وسلم وعلى اله وازواجه واصحابه وسلم تسليما الا من شذ
وابى ان يتبلل الرحمة وهم الكفار وهم اقل العالمين من الذرة في الوجود
كله فاذا فهمت هذا كله وعلمت انه رحمة للعالمين وكل خير وبركة ونور
شاعت وظهرت في الوجود او تظهر من الاتحاد الى الاخرة فذلك بسببه
صلى الله عليه وسلم فوجب حبه لاحسانه للكل والحسن اذ انه في كل مقام

وموطن فقد احسنت ذاته لجميع الوجود وتجلى جماله في جميع جهات العالم ٥
فالويل لمن خاب منه وخسر وقد ورد في بعض عصاة بني اسرائيل انه عصى الله
سبحانه وتعالى عمره كله ومقته اهل زمانه لكثرة عصيانه وقلة صلاحه
للخير واجتنابه فمات فاعلم الله سبحانه انه من اهل الجنة وان الله سبحانه
قد غفر له ذنوبه فسئل عن سبب مغفرته فقيل انه فتح التوراة يوما فراى
فيها اسم محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبا فقبله ومسح به وجهه تبركا
به وحبا له فغفر الله له جميع ذنوبه من اجل تعظيمه لاسم حبيب الله فحبه
احسن الحسنات والناس في حبه مقامات ودرجات فاحبهم فيه اتبعهم لسنته
في الظاهر والباطن والمقامات والاحوال لقوله صلى الله عليه وسلم
في حديث انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احيا
سنتي فقد احبني ومن احبني كان معي في الجنة فهذا افضل الحب له لانه
يوجب الجوار معه في مقامات الجنات والرفيق الاعلى واقلهم رتبة
في الحب المتلطخ امثالنا في اوساخ المعاصي والمخالفات المتعلق بمجرد
حب القلب الغائبي كما تقدم في حب الاسرائيلي العاصي وحبه نافع ٥
على كل حال وليس مثله عمل بلا اقبال جعلنا الله واياكم بفضله وكرمه
من خاصة احبابه في عافية شاملة في الدنيا والاخرة امين وصلى الله
على سيدنا محمد النبي واله وصحبه وسلم ومن علامات حبه كثرة الصلاة
عليه صلى الله عليه وسلم في كل حين وان افضل الصلوات وازكاها
واطيبها وانماها صلوة جامعة لانواع الالاء والانعام ودائمة بدوام
ذي الجلال والاكرام امين امين **الشعبة الحادية والخمسون**
الحب في الله سبحانه اما كون هذه الشعبة من الايمان فبين جدا فمن ذلك
ما ورد ان اوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله فجعل ذلك
افضل اعمال الايمان وروى انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وقوله ثلاث
من كن فيه وجد حلاوة الايمان من كان يحب الله ورسوله احب اليه
مما سواهما ومن احب عبدا لا يحبه الا لله الحديث والشواهد على هذا كثيرة
جدا **فصل** اعلم ان هذا الباب ينتظم من ثلاثة اشياء محب

وهو العبد وحب وهو ما له محبوب وهو على انواع كثيرة وهم المؤمنون
من حيث قال الله تعالى انما المؤمنون اخوة فاقتضى ان يحب كل مؤمن خصوصا
وعموما وهو ثلاثة اقسام قسم في عالم الدنيا ومقام الاسلام وقسم
في عالم الاخرة ومقام الايمان وقسم في مقام الاحسان فاما القسم الاول — مطلب حب اهل الاسلام
في عالم الدنيا ومقام الاسلام فيحب العبد اهل الاسلام على اسلامهم ٥
ويحب لهم الصلاح في دينهم ودنياهم ويود ان لو كانوا في غاية من الصلاح — ح
للدين وغاية من العافية الدنياوية حتى لا يصيبهم فيها مكروه وبذلك
ينتفي عنه الحسد وغير ذلك من الصفات المهلكة وميزان ذلك ان ينظر
ما يحب لنفسه في ظاهر دنياه من امور دينه ودنياه فيحب ذلك لغيره
من المؤمنين هذا ميزان عدل **واما** القسم الثاني في مقام الايمان فيحب
كل مؤمن في عالم الغيب من الملائكة واهل البرزخ من النبيين والمؤمنين
فيكثر الصلاة على الملائكة والنبيين والدعاء لسائر المؤمنين بالمغفرة
والرحمة وان ينور الله قبورهم ويونس وحشتهم ويفرج كروبهم وميزان
ذلك ان ينظر كيف يحب ان يكون في الاخرة اذا قدم عليها فليحب ذلك ٥
لكل مؤمن فيها فيدعو لهم ويدعو له بذلك فهذا ميزان عدل لا جور فيه **واما**
القسم الثالث في مقام الاحسان فهو ان ينظر الى ارادة الله في الازل لاهل
الايمان به وتخصيصهم بالهداية واكرامهم بالولاية وحبه لهم فيحبهم لحب
الله لهم لا لعوض ولا لغرض بل لانهم احباء الله واولياؤه وينظرهم بعين
التوقير والاجلال كما اجلهم الله ووقرهم ويكرمهم لاكرام الله وهذا
ميزان عظيم في تعظيم حرمات المؤمنين كلهم على اختلاف انواعهم فاذا ٥
ثبت هذا فاعلم ان المحبوبين على انواع كثيرة فاول تلك الانواع ملائكة — مطلب حب الملائكة
الله الكرام صلوات الله وسلامه على جميعهم وهم احباء الله وخدامه فوجب
حبهم لمعنيين احدهما كثرة احسانهم الى الخلق والثاني لذواتهم وما
خلقوا به من جمال الطاعة والعفة وحسن الهيئة وجمال الصور فاما حبهم
لذواتهم فان الله سبحانه وتعالى يقول فيهم لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون
ما يؤمرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون وقال تعالى بايدي سفرة
كرام بررة فوصفهم باحسن وصف واجمل نعت وقال علي رضي الله عنه ان

ان لله سبحانه ملايكة لو ان ملكا منهم اهبط الى الدنيا لما وسعته لعظم خلقته وكثرة اجنحته ومنهم من لو كلف الجن والانس ان تصفه ما وصفته لبعد ما بين منكبيه وحسن تركيب صورته ومنهم من لو القي في نقرة ابهامه جميع مياه الدنيا لوسعتها ولو القيت السفن في دموع عينيه لجرت دهر الداهرين تتدافع لا يدرك غوره الا انه قد لاح وتبين للعقول وان لم يشاهدها بالابصار فضل ذواتهم النزيهة وجمال صفتهم حتى شهدت النسوة يوسف الكريم الجميل بهم فقلن ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم وقد تبين لكل كامل العقل او ناقص حسن اخلاقهم ورقة قلوبهم ورحمتهم لاهل الارض وشفقتهم عليهم في قوله تعالى الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين امنوا ربنا وسعت كل شي رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا الى اخر المعنى فقد جمعوا كل فضيلة فهم في غاية الفضل والحسن والجمال عليهم السلام واما حبهم لاحسانهم الينا وقد جبلت القلوب على حب من احسن اليها فانهم خدام الملك والملكوت وهم في العالم كالقوى في جسد ابن ادم لو زالت عنه القوى لهلك من ساعته وكذلك الافلاك فهم المحركون للعالم والمصرفون له باذن الله وقوته فليس بايدينا خير الا على ايديهم فمنهم المصورون لنا في الارحام ومنهم النافخون فينا الارواح ومنهم الحافظون لنا من بين ايدينا ومن خلفنا ومن جميع جهاتنا ومنهم كتبة كرام يسترون علينا المساوي وينذرون المحاسن ومنهم موكلون بالارض يمسكونها لنا لنستقر عليها وكذلك الجبال والبحار والرياح واخرون بالنبات والامطار والكواكب والافلاك يديرونها وبالسموات والارضين وخدمة الجنة والنار وعلى الجملة والاختصار ليس في العالم موجود الا وهو معمور بهم ومنهم وتصلنا منفعتهم واحسانهم من مقاماتهم في منافع الابدان والاديان كمنفعة جبريل عليه السلام الامين القوي المكين لنا ومحبته فينا وكذلك هو احبهم الينا اذ هو السفير بالوحي الى الانبيا عليهم السلام فكان هدى الخليقة على يديه صلوات الله وسلامه عليه وعليهم اجمعين وكمنفعة ميكايل عليه السلام الرحيم الموكل بالارزاق ومخازن الانفاق على جميعنا في جميع الافاق.

وكمنفعة

وكمنفعة اسرافيل عليه السلام الموكل بالارواح الموصل لها بقوته ولطفه الى الاشباح وعلى الجملة فليس يا تينا منفعة الا على يدي ملك كريم فحبهم واجب لذواتهم واحسانهم فن حبهم كثرة الصلاة والسلام عليهم صلوات الله وسلامه على الانبيا والرسل وعلى الملايكة والمقربين كما يحب ربنا ويرضى

والنوع الثاني من المحبوبين في الله سبحانه الانبيا والرسل من نبي ادم وهم اخوان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم وشركاوه في النبوة والرسالة وعددهم مائة الف نبي واربعة وعشرون الف نبي عليهم السلام كلهم كريم فاضل في نفسه في احسن الاحوال واكمل الطاعات وذلك كان فتروغ لانهم اكمل الخلق ايمانا واحسنهم اخلاقا وافضلهم حسبا وجمالا في انفسهم وانما لم نوجب ايضا حبهم لذواتهم وحبهم لاحسانهم الى الخلق ومنفعتهم وشفاعتهم لهم فاولهم ابونا ادم عليه السلام خلقه الله في احسن تقويم ونفخ فيه من روحه واسجد له ملايكته فكان اماما لهما وعلمه علم الاسما الحسنة وجماله وعلمه وشرف ذاته وعظم امامته لابنايه جمال وهو سيد النسل والذرية الى يوم القيمة وهو الان في البرزخ كلما مر به من السعدا فرح به واذا مر به احد من الاشقيا بكا عليه وحزن وكذلك الانبيا كلهم رحما احرص شي على الهداية ومن احسانهم الى هذه الامة انا كنا غير مخلوقين وهم مبشرون برسولنا وداعون لنا كنوح عليه السلام حين قال في دعايه رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مومنا ثم قال وللمومنين والمومنات فاجمل ودعا وهو مقبول وكابرهيم عليه السلام حين قال رب اغفر لي ولوالدي وللمومنين يوم يقوم الحساب ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم اياتك ويعلمهم الله الكتاب والحكمة ويزكيهم الايات فدعا لنا بكل خير واسمعيل ابنه عليه السلام يومن على دعايه وموسى عليه السلام كيف اظهر حبه في هذه الامة حين قال اللهم اجعلني من امة محمد وعيسى عليه السلام بشر بمحمد صلى الله عليه وسلم وامته وحض على اتباعه ولاسيما وقد صح انه ينزل فينا وينصرنا على عدونا الدجال وينفعنا غاية النفع وكما سيصرنا وينفعنا في نزلته الى الارض كذلك نفعنا ونصرنا هو وجميع الانبيا عليهم السلام كلهم قبل مبعثنا بالقول والدعا

محبة الانبيا

والوصاة والبشارة فوجب علينا حب الجميع لذواتهم وما هم عليه من الفضيلة
والجمال والحسن والكمال ولكثرة احسانهم الينا والى ساير المؤمنين من امتهم
ومن محبتهم كثرة الصلاة عليهم صلى الله على نبينا محمد وعليهم الجميع منهم
افضل صلاة وتسليم تسليما **النوع الثالث** من المحبوبين اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم واهل بيته وبذلك يتم ايمان العبد ويبرا من
النفاق فيجب ان نخص بالحب اهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم كفاطمة
الزهرا رضي الله عنها وامها وبنيها وبعلها واعمام النبي صلى الله عليه وسلم
وقراباته فان لاهل بيته مزية على الناس لا يدري قدرها وكذلك
ازواجه المطهرات امهات المومنين فيجب الجميع كثرة الصلاة عليهم
والترحم والدعا لهم متى ذكروا سرا واعلانا وكذلك اصحابه الكرام
كالصديق والفاروق وذي النورين وعلي وباقي العشرة وساير المهاجرين
والانصار وغير ذلك من الصحابة الفضلا الاخيار رضوان الله عليهم
اجمعين والتابعين وتابعي التابعين لهم باحسان الى يوم الدين وسلم
تسليما وروى عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي ومن
احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني
ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله فيوشك الله ان ياخذه ومن ياخذه
فيوشك ان لا يفلته ومن اجماع اهل الحق من احب ابا بكر فقد اقام الدين
ومن احب عمر فقد اوضح السبيل ومن احب عثمان فقد استنار بنور الله ومن
احب عليا فقد استمسك بالعروة الوثقى ومن قال الحسنى في اصحاب محمد
صلى الله عليه وسلم فقد برئ من النفاق وفي الصحيح اية الايمان حب
الانصار واية النفاق بغض الانصار ومناقبهم وفضايلهم كثيرة كل
ذلك ينبي عن فضل ذواتهم وكرم طباعهم وما خصوا به رضي الله عنهم
والذي يجمع لك المعنى في ذلك على الاجمال والاختصار انهم اختارهم
الله لصحبة حبيبه المختار صلى الله عليه وسلم ولو علم الله سبحانه خلقا
احسن وافضل واجل واكرم منهم لاختصهم لصحبة حبيبه الذي لا
يعدله شي عنده فكذلك الصحابة لا يعدل بهم شي وذلك ان الفضل في

مطلب حب الصحابة

المنازل

المنازل انما هو بالعلم والعمل به الموافق لرضى الله والتخلق والاتصاف بالعلم
فاعلم الناس بعد الرسل الصحابة رضي الله عنهم لانهم كانوا في الوقت
الذي تجلى الله وتنزل بكلامه الى هذا العالم حين بعث النبي صلى الله عليه
وسلم فمقامهم من المعرفة والعلم مقام من تعرف الله اليه وتجلى له وعلمه
ومن نظر الله سبحانه اليه واقبل عليه وتجلى له لا يقدر احد قدر ما حصل
في باطنه وظاهره من البرهان وفضايل العلم والصفات وانواع الخيرات
فافهم واما العمل فالصحابة اطوع الخلق لان افعالهم عن امر الله لهم
على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم في كل نازلة تنزل بهم ولا يامر الا بما
يحب ويرضى فاطاعوه فيما امرهم فوافقوا رضوانه على مشاهدة المخاطبة
ومكاشفة نزول الامر فانهم اعظم الناس منزلة وجاها واوجب
مدحا وثنا فوجب حبهم لذواتهم وما هم عليه من جمال الفضايل وكرم
حسن الطبايع والمنازل ووجب ايضا حبهم لاحسانهم الى كل من ياتي
بعدهم فلهم على الكل منة دايمة الى يوم القيمة فانهم كانوا العون
والانصار لدين الله حتى ظهر واستقر فلولاهم ما ظهر ومنهم اخذ وهم
سنوا السنن فلهم اجرها واجر من عمل بها فلولاهم كنا كفارا من لدن
التابعين الى يوم الدين فحبهم واجب لا ينكره الا حاسد ومن حبهم
الدعا لهم والرضى عنهم والترحم عليهم اذا ذكروا سرا واعلانا والكف
عما شجر بينهم فرضي الله عن جميعهم افضل الرضوان في كل حين وفي كل اوان
ونسال الله الكريم ان يرزقنا حبهم وشفاعتهم وان يعصمنا من الاذاية لهم
والوقيعة في واحد منهم بمنه وفضله وكرمه امين وصلى الله على سيدنا محمد
النبي الامي وعلى اله وصحبه وسلم **والنوع الرابع** من المحبوبين في الله اوليا
الله واوتاده في ارضه وهم العلما بالله وبدين الله الزاهدون المبلغون
الدين الى الامة المرحوم بهم الخلق في كل عصر ولولاهم لمات الدين فحبهم
واجب والدعا لهم والترحم عليهم مندوب اليه ومرغب فيه فهم فضلا
كرام في انفسهم وهم بالعلم في اجمل صورة وهم زينة الارض وجمالها والكمال
محبوب واي فضيلة لمن لم يكن عنده علم ووجب حبهم ايضا لاحسانهم الى
الخلق بارشادهم الى دين الله وتوصيله وكفاهم انهم ورثة الانبيا واعظم العلما

مطلب اوليا الله

رتبة الابدال لانهم العلما بالله والدار الاخرة وانما سموا ابدالا لانهم ابدال
النبيين وقلوبهم على قلوب الانبيا كما شبه النبي صلى الله عليه وسلم ابا بكر
بابرهيم وعمر بنوح وعليا بهرون وابا ذر بعيسى في زهده وساير نجبا الصحابة
ومنهم هو القطب الذي يصاحب الخضر ويجالسه في العلم والاحوال وهو
رحمة الارض وغياث الامة وهو في زمانه في الاعتبار بدل من النبي عليه
السلام ووارث بعض مقاماته في الاحوال وبعد القطب الاوتاد
الاربعة في نواحي الارض وجهاتها الاربع كالجبال الرواسي تمسك الارض
ان تميل بكثرة الفساد والمعاصي فتمحو احسانهم ظلم الظالم وعصيان العاصي
عن وجه الارض وهم في الاعتبار بمنزلة الخلفا الاربع بعد النبي صلى الله
عليه وسلم وبعدهم في المرتبة الابدال الستة وهم في الاعتبار بمنزلة
الاربعين اهل الدار وبعدهم في المرتبة النقبا الاربعون وهم في الاعتبار
بمنزلة الاربعين اهل الدار وبعدهم في الرتبة النجبا وعددهم ثلثماية
بمنزلة عدد اهل بدر في الاعتبار وبعد ذلك الصالحون المتفرقون
في البلاد فاذا مات القطب ورث خير الاربعة مقامه وورث خير الستة
مقام الرابع وورث خير الاربعين مقام السادس وورث خير الثلثماية
مقام الميت من الاربعين وورث خير الصالحين مقام الميت من الثلثماية
فهكذا عددهم من اول الاسلام الى اخر الدنيا فبهم يرحم الله الارض وهم
الشافعون في دفع الشدايد ونزول الامطار وغير ذلك وهم اهل الكرامات
وخرق العوايد فاذا اراد الله خراب الدنيا لم يبق احدا منهم جعلنا
الله من المحبين لهم ونفعنا بانتشار العوايد من قلوبهم علينا ولا جعلنا
من المنكرين عليهم ولا لهم امين وصلى الله على سيدنا محمد النبي واله
وصحبه وسلم **النوع الخامس** من المحبوبين في الله ساير المومنين يحبهم
لما ظهر منهم من الايمان والاسلام ويحب لهم ما يحب لنفسك قال الله عز
وجل انما المومنون اخوة فان كان فيهم العصيان والمخالفة والظلم
وغير ذلك فتكره منهم ذلك وتبغضهم عليه فقط ويحب لهم التوبة كما تحبها
لنفسك وتدعو لهم وتحبهم على ما ظهر منهم من الايمان والطاعة فقط
وكما تحب الستر على عيوبك فلتحب الستر لهم على عيوبهم ولا تحب ان تشيع

مطلب القطب
مطلب الاوتاد
مطلب الابدال والنقبا والنجبا
مطلب سائر المومنين

الفاحشة فيهم ويدعو الجماعتهم بالصلاح والتوبة والرحمة وهذه كلها
اعمال صالحة بها ينتفي الحسد والغل ولا بد من هذا اما في الدنيا واما
في الاخرة ولا يدخل الجنة الا على صونه الحب في الله قال الله عز وجل ونزعنا
ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين ومن افضل الاعمال سلامة
الصدر للامة وبذل النصح فان الابدال ابدا لا تاب الله علينا وعلى جميع
العاصين والعاصيات ورحمنا والمسلمين والمسلمات في الدنيا وفي الموت
وفي الاخرة امين وصلى الله على محمد واله وصحبه وسلم **والنوع السادس**
من المحبوبين في الله هم الاصحاب والاخلا والاصدقا وقد جعل الله الصديق
من الاقارب وضمه اليهم فقال تعالى ولا على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم
او بيوت اباءكم الى قوله او صديقكم فختم بالصديق وجعل الصداقة رضا
وقرابة رضيه ووردت اخبار المحبين المتحابين في الله ولا بد لكل احد
من خليل وصديق في كل عصر واوان وقد اخا النبي صلى الله عليه وسلم
بين اصحابه وخالل بين المهاجرين والانصار فكان يرث هذا هذا وهذا
هذا كالاقارب ومراثه موجود في كتاب الله عز وجل في قوله تعالى والذين
عاقدت ايمانكم فاتوهم نصيبهم حتى نزلت واولوا الارحام بعضهم اولى
ببعض فهي عند مالك وغيره رحمه الله منسوخة الا ابا حنيفة رحمه الله فانه
يورث بها وحكمها باق عنده والمواخاة في الله عمل عظيم لا يعدله شي من
اراد الاشراف على فضايلها فليستطر ما الف العلما في باب الصحبة
والاخوة ولو لم يكن فيها الا ان الصاحب يموت وربما ينساه اقاربه وصاحبه
لا ينساه فهو احب من الاقارب وان كان احدا رفع درجة من الاخر
رفعه الى درجته في الجنة ولا يطيب نفسه حتى يكون مثله في الدرجة
ولما اخى النبي صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه فضل ليلة فقال
له ابشر يا علي فاني ما سالت الله لنفسي شيا الا سالت لك مثله وقال
له في حديث اخر انت معي في قصري في الجنة مع فاطمة ابنتي في اعلا درجة
في الجنة وكذلك دعا لابي بكر رضي الله عنه لما كان صاحبه فقال صلى
الله عليه وسلم اللهم اجعل ابا بكر معي في درجتي في الجنة فهكذا ينبغي
ان يكون الاخ مع اخيه والصاحب مع صاحبه لا يريد شيا لنفسه الا

مطلب محب الاصحاب
مطلب المواخاة في الله

الفاحشة

الا ارادة لا حبه الا انه هذا الباب اليوم قليل نسال الله الكريم ان يرزقنا من الاصحاب ومن كل شي افضل شي انه على كل شي قدير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم

الشعبة الثالثة والخمسون

البغض في الله اما كونها من شعب الايمان فقد تقدم في باب الحب في الله ان اوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله وكذلك في حديث ابي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل الاعمال الحب في الله والبغض في الله فجعل البغض في الله افضل الاعمال وجعله علي رضي الله عنه دعامة من دعايم الايمان فقال في حديثه الطويل الايمان على اربع دعايم على الصبر واليقين والعدل والجهاد ثم قال والجهاد على اربع شعب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وشناق الفاسقين والصدق في المواطن فجعل شناق الفاسقين شعبة من شعب الايمان والشواهد عليه كثيرة جدا وقد قال الله تعالى اصدق القايلين لا تجد قوما يومنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا اباءهم الاية وقال سبحانه يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اوليا الى اخر الايات

فصل اعلم ان هذا الباب على ثلاثة اقسام قسم في عالم الحس ومقام الاسلام وقسم في عالم الغيب ومقام الايمان وقسم في مقام الاحسان فاما القسم الاول في مقام الاسلام بان تبغض كل كافر بالله في مشارق الارض ومغاربها والعصاة والعتاة ومبغض فعالهم وهذا يحتاج الى تفصيل ياتي بعد ان شا الله تعالى **واما** القسم الثاني في مقام الايمان بان تبغض كل كافر في دار البرزخ من الفراعنة والطغاة وتبغض ابليس وجنوده الذين في عالم الغيب وتبغض فعالهم **واما** القسم الثالث في مقام الاحسان فان تنظر الى بغض الله لهم في الازل وغضبه عليهم ولعنته اياهم وابعادهم عن قربه ومحل كرامته فتبغضهم لذلك موافقة له لا لاجل عصيانهم له لا لعوض ولا لغرض فاذا فهمت هذا فاعلم ان هذا الباب ينتظم من ثلاثة اشيا مبغض وهو العبد المومن ومبغض وهو حاله ومبغوض واصنافهم كثيرة وانواعهم مختلفة **فاول** الاصناف والاولاها بالبغض والعداوة ابليس وجنوده عليهم لعنة الله ونعوذ

بالله

بالله منهم وهم الذي عادى ابانا ادم عليه السلام وعادى بنيه وكان سبب اخراجه واياهم من الجنة ومن الاسلام والايمان ومن الطاعات والاعمال الصالحات واوقعهم في البليات والمهلكات الابديات وبارز الله عز وجل وخاصمه بعداوتنا فقال بعد مخاصمة لربه عز وعلا لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم الى اخر المعنى وقد فرض الله علينا عداوته وامرنا بها فقال تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ولو لا اصل بني ادم بعداوته ما اطاعه احد ولا تبع وبقي العدو في نار الحسد يتلظى حتى ينقل من الدنيا الى نار تلظى فان البغض للعدو والابعاد له ونفيه عن محل القرب من يبغضه ومن ابغض شيئا لا يحب ان يراه ولا يسمع حديثه ولا ينهنا عيشا حتى يحجب عنه هذه صورة البغض والعداوة الكلية لكن انما نحول عندنا في صورة المحب بحيلته وخداعه فانست النفوس بمجالسته وانشرحت لاستماع وساوسه لجهلها بالعدو والصديق وكان ما كان من قضا الله على يدي عدو الله فانا لم نجد معصية في العالم الا على يدي شيطان يوسوس ويامر بها فان عدم القلب بغض الموسوس والنفور عنه والابعاد له تغور عنه ناصحا محبا وبهذه الحيلة دخل على ابينا ادم عليه السلام في الجنة لكنه عليه السلام لم يكن لها عودة ابدا ولم يلدغ من جحر مرتين لانه منزه غاية التمييز فجعله عدوا حقا وابغضه بغضا صدقا لنفوذ بصره في المشكلات وتمييزه ومعرفته بالعدو من الصديق وبذلك وصف الله المتقين في قوله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طايف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وهذا يستدعي معرفة الخواطر التي هي سهام العدو وقد تقدم ذكرها في باب الجهاد فلننظر هنالك عصمنا الله واياكم من الفتن واسبغ علينا وعليكم سوابغ المنن بمنه وكرمه امين وصلى الله على محمد واله وصحبه وسلم

واما الصنف الثاني من المبغوضين فهم اخوان الشياطين من انواع الكفار المناصبين بالعداوة للانبيا في جميع الاعصار فان الله لا يحب الكافرين وان الله عدو للكافرين ومنهم طغاة وفراعنة وجبابرة وصغار فنخص كل واحد من البغض بقدر فرعنته وعداوته لله ولرسوله عموما

مطلب بغض الكفار

وخصوصا وان كان الكل اعدا الكل لكن ليس فرعون وعاقر الناقة
ونمرود وابوجهل ومن قاربهم كغيرهم من ساكنين الكفار ومن لا ذكر له وبغض
الكل على العموم يجزي وذلك كله عمل صالح يوجر العبد عليه وفي تذكر
الغضب للاعدا الكفار ومشاهدته اياهم علم غريب لمن وفق له فانهم يقومون
مقام الانبيا والملايكة في الهداية فان الله سبحانه وتعالى قد سماهم
ائمة يدعون الى النار فهم ائمة انس وجن منصوبون للاقتدا في الشر كما ان الانبيا
والملايكة في الطرف الثاني من الخير فالموفق اذا سمع ذكرهم وشاهدهم
بقلبه وتذكر اخبارهم عمل بضد ما يدعون اليه وما عملوا به وابغضهم
وهرب بقلبه وعمله من طريقتهم فكانوا له ائمة في الخير فمن شاهدهم
ظاهرا وباطنا فاين غطية لان بالضد تتبين الاشيا والعارف لا يحجبه
شي بل يرى سروره في كل شي فمتى ذكر العداوة والبغض عنده سرورا
وفرحا فافهم **واما** الصنف الثالث من المبغوضين فاهل الاهوا
والبدع المخالفين لاهل السنة في العقايد والاعمال واصنافهم اربعة
كل صنف ينقسم على ثماني عشر فرقة فكل عددهم في اثنين وسبعين فرقة
كما جا في الحديث الصنف الواحد الخوارج وراسهم الذي قال لرسول
الله صلى الله عليه وسلم اعدل يا محمد فانك لم تعدل وقال فيه رسول
الله صلى الله عليه وسلم يخرج من ضيضي هذا قوم يقرؤن القران ليس
تراقيهم الى قراتهم بشي وقال فيهم يمرقون من الاسلام مروق السهم من الرمية
والمروق هو الخروج **ومنهم** الذين خرجوا على علي رضي الله عنه وسموا بالحرورية
واصنافهم كثيرة لا ينقطع الى يوم القيمة كما روى علي رضي الله عنه في
الصحيح قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ياتي في اخر الزمان
قوم حدثا الاسنان سفها الاحلام يقولون من قول خير البرية يمرقون من
الاسلام كما يمرق السهم من الرمية لا يجاوز ايمانهم حناجرهم فاذا لقيتموهم
فاقتلوهم فان في قتلهم اجرا لمن قتلهم يوم القيمة وقال في حديث
اخر لان ادركتهم لاقتلنهم قتل عاد فانظر ما اعظم بغض النبي صلى
الله عليه وسلم فيهم ومذاهبهم مختلفة منهم من يكفر الناس بالذنوب ومنهم
من يحلل المحرمات ويحرم المحللات واشيا اخر تبلغ الى ثماني عشرة كما قدمنا

مطلب بغض اهل البدع

والصنف الثاني هم المعتزلة وهم اصناف القدرية وقال النبي صلى الله
عليه وسلم فيهم في رواية ابن عمر القدرية مجوس هذه الامة ان مرضوا
فلا تعودوهم وان ماتوا فلا تشهدوهم فانظر صورة هذا البغض الذي
امر به ما اعظمه وقال في حديث اخر فيهم حق على الله ان يلحقهم بالدجال
ومذاهبهم ايضا مختلفة تبلغ الى ثمانية عشر والصنف الثالث
المرجية الذين يقولون ان الايمان قول بلا عمل واصنافهم مختلفة
ايضا يبلغون الى الثمانية عشر فرقة وقال النبي صلى الله عليه وسلم فيهم
صنفان من امتي ليس لهما في الاسلام نصيب القدرية والمرجية
وبغضهم واجب لانهم يريدون هتك شرايع الاسلام وتضييع حدودها كلها
فهم شر الفرق والصنف الرابع الروافض وهم المنتقصون لاصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم والطاعنون في الخلافة والخلفا
واصنافهم متشعبة تبلغ ايضا الى ثمانية عشر فرقة فمنهم من ينتقص
الشيخين ومنهم من ينتقص عليا ومنهم من ينتقص عثمان ومنهم من ينتقص
جبريل عليه السلام ومعاونيه واهل الشورى ويصفون الى الصحابة
ما لا يليق بهم فبغضهم واجب من اوجب الواجبات وكلها في النار كما جا في
الحديث والصنف الرابع من المبغوضين اهل العصيان والفساد
من عصابة السنة وهم على ضربين مجرم ومعترف فالمجرم مثل الظلمة
الباغين على العباد والمفسدين في الارض والله لا يحب الظالمين وورد
في الخبر لو قتل رجل بالمشرق ظلما ورضي به اخر بالمغرب لكان شريكه في
الوزر ومثل العصاة المجاهرين وقطاع الطريق على المسلمين والمتهتكين
حرم المومنين والمستخفين بطاعة الله واوليا الله المتطاولين على
الضعفا واهل عبادة الله فهولا كلهم يجب هجرانهم على ما هم عليه من
الفساد واما الصنف المعترف المتواضع من العصاة فان كان عندهم
صلاح وفساد احب منهم الصلاح وابغض منهم الفساد ودعى لهم بالتوبة
واظهر لهم الغلظة والشدة وابطن لهم الرحمة والشفقة في مواطن
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واما نفس الانسان الامارة بالسوء الجانحة
فيجب حربها والشدة في ذات الله عليها حتى تنقمع وترويضها بعين المقت

مطلب بغض اهل العصيان

مطلب نقض الامان

لها وان لبس في الوجود شر منها ولا اعدى للعبد منها فان قلت كيف
يكون نفس الانسان عنده شرا من الكفرة والشياطين فاعلم علما حقا
وتيقن يقينا صدقا ان كل عدو في الوجود على اختلاف انواعهم انما اضرهم
على الحقيقة انفسهم فالشيطان هو اهلك نفسه وكذلك كل كافر
وعاص باستحسان راي نفسه فان الشيطان نعوذ بالله منه لا ياخذ
الانسان قهرا وغلبة فيرميه في المخالفة وانما يلقي اليه وحيا وكلاما
فتميل النفس اليه وتستحسنه وتقبله وتعمل به او تخاطرها المذموم
فيما ضرت نفسها والشيطان اضر بنفسه فيما جنى ووسوس وكذلك
كل كافر وعاص في الوجود انما يهلك نفسه بنفسه واذا كان فرعون
في الهاوية فلا يضرك كونه فيها اذا لم تعمل عمله الذي يدخل الهاوية
فاذا عملت ما يضرك في الاخرة او يغتم عليك حدا في الدنيا ويورثك
الخزي والعار فما اضر عليك من نفسك فنفس الانسان شر للانسان
من كل شي واضر به من كل شي فافهم هذا فانه لا ينبغي اشكال لان هذا
الباب ومعرفة النفس ورويتها شرا من كل شي قد حوم كثير من العلما
على هذا الغرض فلم يصب كثير منهم الا اطرافا منه فاجعل هذا الكلام
مراة لمعرفة النفس تنظرها فيه بهذا العين واستعن بالله يعنك
فتنزل منها اكبر ومن كثير من المهلكات وانظر عداك الذين يضرونك
من غيرها فان من ضرك عدو منك ان يشتمك او يضربك او يوذيك فيوجر
اذا صبرت او تصبرت بتحسن خلقك او يقتلك فتدخل الجنة او يغتابك
فهم في ضررهم لك نافعون ونفسك بضد ذلك انما غرضها تنفيذ هواها
واهلاكها ان تركت قال الله عز وجل شاهدا لهذا المعنى فاخبر عن
ابليس حين ظهرت الحقايق في الاخرة وتبين كل احد هذا المعنى
فقال تعالى لا تلوموني اي فما عملت لكم شيا ولوموا انفسكم اي هي
التي عملت الشر فلم يكذبه الباري سبحانه وتعالى في ذلك ولا كذبه
احد وكذلك ورد عن الله تعالى في الصحيح ما اخبر عنه فقال صلى الله
عليه وسلم انما هي اعمالكم ترد عليكم فمن وجد خيرا فليحمد الله لا نفسه
ومن وجد غير ذلك لا يلومن الا نفسه فرفع اللايمة عن ابليس وغيره

بحرفا النفي واوجبه بالاستثنا للنفس واوقعه عليها والشواهد
على هذا كثيرة فترك الرضى عن النفس ومقتها ورويتها اقل من كل نفس
في الوجود واجب على من عرف نفسه وذلك موجب لها وتشكره نبي على
ذلك اذا ظهرت لها حقايق الاشيا اما عاجلا واما اجلا من الله علينا
وعليكم بمعرفتها وتاب علينا واعاننا ونجانا من غوايتها ورحم نفوسنا
ونفوسكم رحمة لا نشقى معها ابدا في عافية شاملة بمنه وفضله وكرمه
امين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

الشعبة الثالثة والخمسون الحيا اما كون الحيا من

الايمان فمنصوص في الحديث الصحيح قال النبي صلى الله عليه وسلم
لرجل من الانصار وهو يعظ اخاه في الحيا قال دعه فان الحيا من
الايمان وقال صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة والحيا
شعبة من الايمان

فصل اعلم ان الحيا من اعلا شعب

الايمان وهو على ثلاثة اقسام قسم في مقام الاسلام وقسم في مقام
الايمان وقسم في مقام الاحسان وينتظم من ثلاثة اشيا مستحي وهو العبد
وحيا وهو حال له ومستحى منه وهو الرب سبحانه او من يجب ان يستحى منه
والحيا هو التستر والاحتشام امام النظر ولذلك غطى النبي صلى
الله عليه وسلم فخذه حين دخل عليه عثمان رضى الله عنه وقال
استحي من رجل تستحي منه الملايكة اما القسم الاول في مقام الاسلام
وعالم الحس فان اعمال الجوارح الظاهرة تنقسم على ثلاثة اقسام
قسم نهى الله عنه وهي المعاصي وقسم امر الله به وهي الطاعات وقسم
يخص العبد في مباحاته ومعيشته ومكسبه والانسان ماموز بالحيا
في ذلك كله فاما المعاصي فالحيا واجب فيها وهي غاية الحسن لان
المعاصي سوات فاذا واقعها العبد بجوارحه كشف ستر الحيا عنه
فبدت وظهرت السوات ولذلك قيل اذا لم تستحي فاصنع ما شيت
ومن ذلك الخبر الوارد لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن ولا يسرق
السارق حين يسرق وهو مومن الحديث الى اخره فالايمان المرتفع عنه
في حين المعاصي هو شعبة الحيا فان الزاني اذا كشف عورته للزنا

انما يكشفها في خلوة من اعين الناس حيا منهم وانما قل حياؤه من الله لغفلة علمه بنظر الله اليه وكذلك السارق وانواع المعاصي فلو استوى حياؤه من الله مع حيائه من الناس لم يتبع في المخالفة والحيا من الناس في المعاصي حسن وتركه المعاصي احسن وهو معنى الخبر الوارد الحيا خير كله فان العبد اذا استحيى من الخلق ان يفتضح عندهم وان يعير بارتكاب المعاصي وان يفتضح عند الحكام فيضرب ظهره او تقطع يده وان يطاف به على جماعات من الناس او غير ذلك من الفضايح الممنوعة المنظور اليها كف عن الرذايل من اجل ذلك فكان حيا وحسنا جدا وتبقى مروته غير ساقطة وقد قيل استحي من الله كما تستحي من الرجل الصالح ومن هذا المعنى يكون المومن للمومن كالبنيان المرصوص يشد بعضهم بعضا فان المومنين اذا استحى بعضهم من بعض وقف كل احد على حده ولم يهتك ستر حرمة اخيه المومن من حريمه والاموال والاشيا وظهر حسن الحيا وجماله لانه في غاية الحسن كما ورد في الخبر الحيا في كل شي حسن وهو في النسا احسن وانما كان في النسا احسن منه لان الحيا ستر كما قدمنا والمراة كلها عورة فاذا كانت كثيرة الحيا اوقعها الحيا في العفة وقصرها في كن الصيانة ولم تتبرج تبرج الجاهلية فان خرجت في حوايجها كانت في ستر الحيا في مشيها وملبسها وبذاذة هيئتها حتى ترجع الى كنها وكانت ممن ذكر الله تعالى في قوله قل لازواجك وبناتك ونسا المومنين يدنين عليهن من جلابيبهن الاية واذا قل حياوها لبست احسن ثيابها وتبرجت في تطوافها وتعرضت لكشف محاسنها ومايلت وامالت فظهرت قبايحها بزوال جمال ستر الحيا وفي مثلها ورد الخبر نسا كاسيات عاريات مايلات مميلات لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها الحديث فقدم الرجال الحيا والنسا والصغار والكبار فان الصغير اذا استحى من الكبير وقره وعظمه فكان الحيا موديا له احسن تاديب والكبير اذا استحى من سنه ان يسقط من منصب ذوي الاسنان لم يتبع فيما يقع فيه الشباب واقبح شي شيخ تشبه بصبي امرد

الجذلان فالحيا من الخلق حيا من الله لانهم شهود في ارضه فاذا علم العبد ان الله رقيب على جوارحه كلها وعباده شهود عليه واستحيا

مطلب الحيا من الخلق حيا من الله

منه

منه ومن شهوده حفظ جوارحه وقبضها عن المنهيات فلم يتح له في المحسوسات شي من المنهيات الا ذكره الحيا من الله فقبضه عن الذنب وحفظه من الوقوع فيه وكان الحيا من الله سترا على العبد فمنعت به الجوارح مما لا ينبغي فكان العبد في حفظ صيانة الحيا في احسن صورة فصل

واما قسم الطاعات فان الحيا فيها ايضا واجب وذلك ان العبد امر بفعل الواجبات في اوقاتها ومواظبتها على الكمال ووجوهها بقدر طاقته ووسعه واعلم ان اعماله معروضة على ربه جل وعز وصاعدة اليه مع الكرام الكاتبين عليهم السلام كل يوم غدوة وعشية لانها قربات يتقرب بها الى الملك الاكبر ويهديها اليه ليتقرب بها اليه ولو ان ملكا من ملوك الدنيا امر رجلا ان يعمل له عملا ويتقنه وياتي به في وقت معلوم لبادر الى العمل لئلا يذهب الوقت فيقع في خلف الوعد وكان يعمله في احسن صورة حيا من الملك ان يواجهه بشي فيه نقص او بشي حقير ولو امكنه ان يبيع نفسه وينفقها على عمل ذلك الشي كي يكون مما يصلح لمثلك فكيف بالباري سبحانه وتعالى ملك الملوك الذي يعرض عليه القربات والاعمال غدوة وعشية بل يراها في كل وقت وحين العمل فاذا فكر العبد في عرض الاعمال على الله سبحانه وتعالى استحيا منه ان يتركها او يخلط فيها ما ليس منها ومن النقص والتقصير فيها ولا يستحي العبد من الله ان يراه حيث نهاه فكذلك ايضا يستحي منه ان يفقده حيث امره وان يواجهه بعمل قبيح ويتذكر عرضها عليه في كل يوم وليلة فيوجب له الحيا ان لا يهدي الى الملك الاكبر الا ما يليق به سبحانه ويتنزه من التقصير في حقه الا ترى الى الملايكة عليهم السلام كيف قالت في مقام الحيا من التقصير سبحانك ما عبدناك حق عبادتك لانك تستحق اكثر من هذا لعظيم قدرك فالحيا يوجب تحقير العمل من العبد وادخاله ويورث الاخلاص والجد والاجتهاد في تحسين الاعمال المعروضة ليلا ونهارا على ذي الجلال جعل الله علينا وعليكم بكثرة الحيا من الله في كل شي بمنه وفضله وكرمه امين وصلى الله على محمد واله وسلم واما القسم الثالث من الحيا في امور المعيشة والمكاسب المباحات فان العبد يحتاج فيها الى المخالطة

الخلق فيحتاج الى الحيا ومعاملتهم به كي لا تسقط مروته فان لم يعاملهم
ويخالطهم بالحيا انسب الى القحة والرذايل ومن فضايل الحيا في المباحات
ترك الاسراف في طلب الدنيا وزينتها فان الدنيا دار عبادة فاذا تخلق
باخلاق المسرفين والمترفين فقد خرج من زي العبودية وترتب بزي
الحرية وتشبه بالسادة في دار العبودية الدنيا وقد امر ان يكون
عبدا فيها حتى تنقل الى لبس الحرير والذهب والفضة والاسورة
والتيجان والمراكب العالية والقصور والحور والولدان وغير ذلك
فان طلب الترفه في دار الدنيا والاسراف في المباني والملابس اللينة
الرقاق وفرش الديباج والحرير وستر الحيطان وغير ذلك من زخارف
الدنيا المباحة فقد قل حياؤه في دار العبودية لم تسمع الى حديث
النبي صلى الله عليه وسلم روى ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال استحيوا من الله حق الحيا قلنا يا نبي الله انا نستحيي من
الله والحمد لله قال ليس ذلك ولكن من استحيا من الله حق الحيا فليحفظ الراس
وما وعى والبطن وما حوى وليذكر الموت والبلا ومن اراد الاخرة ترك
زينة الدنيا واثر الاخرة على الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله
حق الحيا فالحيا في فضول الزينة في دار العبودية فضيلة مثوبتها في
الاخرة اعلا الدرجات من كل زينة وفضيلة في الجنات والحيا في ترك
المنهيات وامتثال الطاعات فريضة فقد عم الحيا جميع الامور كلها
المحسوسة فهو خير كله من الله بفضله وكرمه علينا وعليكم به امين وصلى
الله على محمد وعلى اله وصحبه وسلم **فصل** واما المقام الثاني
من الحيا في عالم الغيب ومقام الايمان فاول ما يقع عليه بصر الايمان
في عالم الغيب نفس الانسان ثم الملكان الكاتبان ثم جميع الملايكة
الذين عمروا ملك الله كله والملكان عليهما السلام ناظران ابدا الى عمل العبد
فاذا رأت الامة بالخطية قالت اي رب عبدك فلان هم بخطية فاذا
عملها لتسران عليها اعينا ناظرة في الغيب والملكوت استحيت لا سيما
مع الصالحين من عباد الله وهم الملايكة وهذا الباب يستدعي الكلام
في معرفة النفس فاوجب ذلك الكلام فيها وذلك ان نفس الانسان

كما قال ذو النون رحمه الله بسيطة منبسطة على الاشيا كانبساط نور
الشمس على كل شي فان جوهر النفس ليس كثيفا كالجسد بل بسيطا كانبساط
الذوات الروحانية وبالانبساط تتصرف بالخواطر والافكار في جميع
العالم بلا مسافة فلا يردها شي وتتغلغل الى علو العالم وسفله فالوجود د
لها كالمراي للصور ومثال ذلك انك لو قدرت نفسك قايما في بيت
يكون كله صقيلا كالمراي المصقولة او بيت من زجاج ذي الوان شتى
صافي لتجلت صورتك قايما في كل مراة منها في البيت كله فلو حركت يد ك
وانت قايم في البيت تحرك مثالك في جميع المراي او فكك او عينك او
شيا دق او جل منك وورد في الخبر ان العرش جوهرة تتلالا الكون
ولكل احد مثال منطبع في العرش وكذلك الموجودات كلها تحت العرش
كالمراي ايضا ما خلا الارض الا ترى ان الكواكب تنفذ اجرامها الافلاك
والاهوية حتى ينطبع صورها في الما وفي الاماكن الصقيلة ولا يردها
الا الارض الكثيفة فاذا فهمت هذا علمت ان الانسان متجل بنفسه
وذاته في الوجود كله وان الوجود معمور بالحياة والافلاك فاذا تحرك
العبد في عمل من الاعمال انطبعت مثالاته في المراي فابصر كل احد
من مقامه بلا مسافة ولا كلفة الا ان يستر الله العبد في حين المعصية
باشتغالهم عن رويته كما يشتغل الجالس عابثا بعمل جليسه فلا يبصر
وهو معه اذا كان متفكرا غايبا عنه بذهنه وقد قال النبي صلى الله عليه
وسلم لبلال رضي الله عنه اني سمعت خشف نعليك في الجنة وراى موسى
عليه السلام ليلة الاسرا قايما في قبره يصلي وراه في العالم العلوي
في عالم السموات وكذلك ملك الموت قايم في مقامه ويتجلى في ساعة واحدة
لكل من يموت في مشارق الارض ومغاربها في تلك الساعة وكل احد منهم راى
ملك الموت حين تجليه لهم في مراي انفسهم فقبضها ولم يبرح من مقامه
وكذلك نفس الانسان منبسطة في العالم كما تقدم فانظر كيف يكون
حالنا عند المعاصي فانا لله وانا اليه راجعون على مصيبة العصيان
فليس مثلها مصيبة فاذا علمت النفس هذا قبضها الحيا في نفسها
من نظار الملكوت واسرعت الى التوبة من كل ما سلف لها ببركة الحيا فما دعت

إلى محو الزلة وستر الفضائح المكشوفة لأهل الملكوت فإن العبد إذا أذنب
نكت في قلبه نكتة سوداء فيسود بها باطن العبد فيبصره أهل الملكوت
أسود عاصيا ولو ظهر سواد الذنوب على ظواهرنا لهرب منا وافتضحنا عند
الناظرين فكيف لا يستحي العبد من الكرام الكاتبين والملائكة علوا
وسفلا وهو مكشوف لهم **فصل** ثم تعدد ذلك من المستحيات الموت
والقبر وسؤال منكر ونكير والحشر والميزان والحساب وساير مواطن القيمة
فإذا فكر العبد في تلك المواطن كلها وخشي الفضيحة في الموت وما بعده
استحيى فيقول كيف تكون فضيحتي عند رسل الله التي في الموت وفي القبر
وعلى رؤس الخلائق إذا كشف عني غطاء الدنيا وعلم أني عبد سوء فيرجعه
الحيا إلى ستر الفضائح بالتوبة وتحسين الحال بالأعمال الصالحة الحسنة
وورد في الخبر أن لكل غادر لواء عند استه يعرف به يوم القيمة يعرف سوأته
وكيف بالفضيحة عند الميزان والصراط والحوض إذا لم يكن له ما يستر
سوأته السوأى من خفة ووزن وزلة قدم وطرد عن حوض ودخول نار
وكيف يكون افتضاحه عند سكانها وتعيير أهل النار له والعرض
على الله في عالم الآخرة والقيمة إلى غير ذلك فإذا ذكر العبد ذلك استحيى
من كل شيء ظاهرا وباطنا جعلنا الله وإياكم بكرمه من أهل الحيا وسترنا
بمنه وفضله في الدنيا والآخرة آمين وصلى الله على محمد النبي وآله وصحبه
وسلم **وأما** القسم الثالث من الحيا في مقام الإحسان فاعلم أن ذلك
المقام من أعلى المقامات وأشرفها فإذا تذكر العبد مقام مرتبته
سبحانه وحيطته به وقربه منه وتذكر لقائه ومواجهته بها أخذه
من الحيا ما يجل وصفه عن الألسن فتذوب النفس وتخشع وتنكسر
وتذوب الروح ويحرق الجسد ويود أن لم يكن شيئا مذكورا فيقول
النفس بأي جسد أقف بين يديه وبأي لسان أذكره وبأي بصر أنظر
إليه فيرجع طرفه إليه خاسئا وهو حسير أي كليل قصير عن الامتداد
إلى تلك الحضرة العلية وقد وقع ما وقع فلولا علمه في هذه الحال
بعظيم حلم الله وكنف ستره وأنه قدر عليه تلك المخالفة لذاب كما يذوب
الملح في الماء فالحيا يوجب له تنقية السر الذي هو موضع نظر الله وتصفية

مطلب حيا التذكر

القلب

القلب والرغبة إليه بالذلة والانكسار في محو الذنوب والعيوب بالعفو
والصفح وتطهير جوارحه حيا أن يقف بخدمة في طاعة الله متلوثا بالذنوب
هذه حالة الحيا إذا كان العبد ذاكرا لذنوبه وأما إن كان ناسيا لها لاشتغاله
بالطاعة فينظر في مقام الإحسان إلى عظمة ربه سبحانه فيستحيي من تقصيره
في عظيم حق الله وأن يراه متزينا لأحد من خلق الله أو طامعا في أحد من عباده
وإذ يذكر نعم الله عليه استحيا من كثرة نعم الله عليه وقلة شكره فيرجعه
الحيا على المبادرة إلى الشكر وإذا نظر في مقام الإحسان في بر الله به وإكرامه
إياه وترفيعه وحبه له وتقريبه إياه وجعله من المؤمنين وتخصيصه له
بما خصه من ذكره وكتابه واصطفائه لتعلمه واجتبائه إياه على علم منه
بعيوبه وذنوبه كما قال تعالى ولقد اخترناهم على علم أي على علم بما هم عليه
من النقصان والعيوب النفسانية ومواجهة الله له بالستر وإظهاره
الجميل وإخفاء العيوب على عظيم قدر الله سبحانه وحقارة النفس فيقول
الستر بالحيا في ذلك المقام الإحساني لا إله إلا الله الرب على ما هو عليه
من جلالة القدر وعظيم الخطر تنزل إلى من جلالة عظمته إلى سهولة
رحمته وكريم لطفه فخاطبني بكلامه وأظهر علي أنواع الإكرام وكلما واجهته
بمخالفة وغفلة وتقصير وتثاقل عن مسارعة في طاعته واجهني بكرمه
سبحانه بخلافهما وألقى الكنف علي في مقام الحضور وتصرم في نا فذروانا
على ما أنا عليه فيا خجلة إذ ذاك من الحيا ما لا يعلمه إلا الله سبحانه فحينئذ
يخوض العبد في بحر المعرفة معرفة النفس فيعرف بها الرب تعالى فيعرف
ما هو وبين يدي من هو وفي حضرة من هو ومن يخاطب ومن أقبل عليه
على حقارته وقلة نفسه فيتجلى له صفة الأزل بكلامه العزيز لا
يغضبه من عصاه ثم يتجلى له عظيم الحلم حين عصاه فأسبل عليه الستر
وأظهر المحاسن وكتم العيوب وأمر بالتوبة ووعد المغفرة ولم يغلق باب
الرجوع إليه والاستكانة والإنابة وهكذا لا يخوض السر بحر المعرفة
بوصف من أوصاف الله الكرام إلا فاض منه بحر من العرق في الغيب عن
مشاهدة أوصاف النفس اللئام فيخاطبه كل وصف من أوصاف النفس
بلسان الحال والمقال انظرها عملت مع ربك وما عمل معك فلكل وصف

لسان يخاطب في داخل الجنان وفي مقابلة كل وصف منها يتجلى له وصف
من اوصاف الرحمن بضروب الاحسان والستر والامتنان فيزداد حيا على حيا
واستحيا على استحيا واخبات على اخبات فيقول يا ليتني كنت نسيا
ولم اكن شيئا مذكورا فانه مثل لا يتساهل ولا يستحي ولا ينفتح لمثا هذه
هذه الحضرة العلية فلا يزال كذلك فيما لا يعلمه الا الله من اسرار
المعرفة ومقامات الحضور حتى تفنى وتغيب اوصاف العبد حين تقابل
بها اوصاف الرب سبحانه فلاح له حينئذ مقام اعز من الحيا وليس له اسم
يقع عليه اقرب من ان يقال حيا الادب وهو الحيا من مثل هذه الصفات
في مواقف الحضور ومجالس القرب وليس بعده مقام الا الزيادة منه
والتلون في انواع حيا الاداب على ممر تجلي الصفات الغايبات فلكل
تجلي صفة حيا تدهش وتودب ولكل حيا ثواب مكرم ويقرب من الله علينا
وعليكم بما من به على اوليايه واصفيايه في الدنيا والاخرة في يسر
وعافية امين وصلى الله على محمد النبي واله وصحبه وسلم تسليما

الشعبة الرابعة والخمسون

حسن الخلق اما كون حسن
الخلق من شعب الايمان فبين جدا لانها من كمال الايمان وفضايله
وروى ابو هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اكمل المومنين ايمانا احسنهم خلقا فجعل حسن الخلق من كمال الايمان
وروى ابو ذر رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله اي المومنين افضل
قال احسنهم خلقا فجعل حسن الخلق افضل الايمان وروي ابو امامة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا زعيم او قال
ضمين ببيت في ربض الجنة لمن ترك المرا وان كان محقا وببيت في وسط
الجنة لمن ترك الكذب وان كان مازحا وببيت في اعلى الجنة لمن حسن
خلقه فجعل حسن الخلق علامة الايمان لانه يعلي الى اعلا الدرجات
وشواهده كثيرة فاما معنى الخلق فانه اتصاف العبد بجملة الاوصاف
التي امر الشرع بالاتصاف بها جبلة كانت في العبد او رياضة وكسبا
وقد اكثر الناس القول في معنى حسن الخلق فمن بين مصيب ومقصر ومخطي
والذي يحققها ويفسرها حديث عايشة رضي الله عنها في الصحيح حين

سئلت

سئلت عن تفسير قوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم فقالت كان خلقه
القران اي يتخلق باوصاف الربوبية لان القران هو الجامع لصفات الباري
تعالى

فصل

اعلم ان هذه الشعبة تنقسم على ثلاثة اقسام
قسم منها في مقام الاسلام وعالم الحس وقسم في عالم النفس والغيب ومقام
الايمان وقسم في مقام المشاهدة والاحسان فاما القسم الاول في مقام
الاسلام فان العبد لا يخلو من ثلاثة اشيا وهي الاوامر والنواهي ٥
ومعاشرة الخلق ويحتاج في ذلك كله الى خلق حسن فاما قسم المنهيات فيحتاج ح
العبد فيها الى خلق واحد وصفة واحدة تجمع له كل فضيلة وهي العفة
والصيانة فاذا كان العبد متخلقا بالعفة عن الرذايل فقد حسن
خلقه وعظم قدره وصان دينه ونفسه وانتفت عنه اخلاق الرذالة
والسفالة كلها فكان تزنيه النفس بالعفة

فصل

واما قسم
الاوامر المامورات فيحتاج فيها الى خلق واحد وهو الاقدام على فعل
الطاعات دون غلو ولا تفريط ولا يضيع من المفروضات شيئا على قدر
طاقته فان ذلك من شجاعته الباطن وقوته وضده الجبن والضعف
فاذا كان العبد شجاع الباطن قوي العزم لم تكبر عليه امور الطاعة
وانتفى عنه صفات الجبن والكسل والتفريط وكل صفة مذمومة في
هذا الباب قال الله تعالى شاهدا على هذين الخلقين اللذين هما الصيا نة
والاقدام يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم واهليكم نارا اي عفوها ومنو نوها
عن كل قبيح يوجب الخزي بدخول النار وقال عز من قايل الذين يستمعون
القول فيتبعون احسنه قيل في التفسير العزايم فان احتاج العبد الى
رخصة في موضعها اخذها فان ذلك ايضا من العزم فان كل شي اذا
كان في موضعه حسن

فصل

مطلب في معاشرة الخلق

واما قسم معاشرة الخلق
فيحتاج الى اربعة اخلاق تجمع الفضايل كلها في هذا الباب مع الخلق
وهي الحلم والبسط والعدل والاحسان فالحلم يحتمل الاذى والجفا ٥
ويكظم الغيظ ويداري الناس ويكون متاديا وينفي عنه الطيش والحدة
وغير ذلك من اضداد الحلم والبسط يكون الفا مالوفا منبسطا للسلام
على المسلمين واسع الصدر رحوما قليل الحقد والغل منتوا ضعا وملا

مما زحا بالحق لاهل والاخوان من غير تكبر ولا معجب الى غيره للشر اضداد
البسط المحمود وبالعدل يستقيم حاله فينصف من نفسه ويكون منصفا
والانصاف من النفس من اعظم الاخلاق الايمانية وبامر غيره بالانصاف
اذا رايه يعتدي انحرافا او غشا وينتفي عنه بذلك صفات الحيل والمداهنة
والخديعة والمكر وبخس الحقوق واصله الاعتدال والتنصف كلها فان الملق
في الدين معصية والغضب في الله محمود وهو من العدل لانه توفية لحق الله
وكذلك النصح من الدين لا بد فيه من قوة وشدة في الله فان رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان لا يغضب لنفسه فاذا انتهكت حرمة من حرم الله لم يقم
لغضبه شيء وهو احسن خلق الله خلقا فهذا الغضب الذي هو لله والشدة
جمال على الوجه ونور في القلب والغضب للنفس ظلمة في القلب وقبح
وحمرة تتوقد في الوجه والجسد **واما** الاحسان فيه تمليك الكل فيحسن
معاشرة عياله واهله في الانفاق وغير ذلك ويحسن الى ملك اليمين بالرفق
ومع البهائم والحيوان وبالاحسان يعفو ويصفح ويكرم من اكرمه فان زاد
الاحسان فوصل من قطعه واعطى من حرمه وعفى عمن ظلمه فقد عظم
قدره وكان ممن قال الله عز وجل وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها
الا ذو حظ عظيم ومن قال الله سبحانه وتعالى في هذه الاية خذ العفو
وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين فقوله خذ العفو وامر بالعرف واعرض
عن الجاهلين مع قوله ادفع بالتي هي احسن الاية كلمات تجمع محاسن
الاخلاق كلها في معاشرة الخلق في امور الدنيا والدين وقد ورد في
تفسيرها ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك ففي
قوله خذ العفو وامر بالعرف معنى البسط كله الذي هو السمح والتنزل
الى كل احد في اخلاقه ومعاشرته بما يليق به اي خذ العفو من اخلاق الناس
واسقط ما وراء ذلك وفي قوله تعالى وامر بالعرف هو العدل والانصاف
كل احد من حقه لان الامر بالمعروف والعرف المعتاد يقتضي توفية الحقوق
دينا ودنيا واعرض عن الجاهلين يقتضي الحلم والعفو والصفح وما في معناه
وفي قوله تعالى ادفع بالتي هي احسن تقتضي الاحسان والمداراة ومقابلة
السيء بالاحسان الى ما في معنى ذلك ومن استعمل هذه الخصال الستة في

ظاهره

ظاهره فقد جمع الاخلاق الحسنى وهي العفة والاقدام والحلم والبسط
والعدل والاحسان حسن الله خلقنا وعاملنا واياكم في الدنيا والاخرة
بمقتضى حلمه وعفوه واحسانه وكرمه امين امين والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على محمد النبي واله وصحبه وسلم **فصل** واما المقام
الثاني من حسن الخلق في مقام الايمان فان اول ما ينبغي عليه تصرف الايمان
من الغيبيات نفس الانسان فينظر فان كان طبعه الله بغرائز حسنة غريزية
فيه فليشكر الله وليسع بالرياضة في تنميتها وتكميلها فانها ليست تكمل
الا بالشرع قال النبي صلى الله عليه وسلم بعثت لاتمم محاسن الاخلاق فالشرع
مرآتنا وفيه ننظر وما كان فيه من خلق سيء اخذ في الرياضة لزوالها
واكتساب ضدها وقد ندب الشرع الى رياضة النفس واكتساب الاخلاق
الحسنة والرضاع يغير الطباع **فصل** فان قلت فان
النفس حرونة مجبولة على الخلق التي كيف تحسن اخلاقها وترتاض فاعلم
ان المومنات كلها الغيبية التي ينبغي عليها تصرف الايمان اذا نظر الايمان
اليها بصدق كانت له رائضة ومودبة ومعينة احسن رياضة واعظم
تاديب فاول ذلك الملائكة عليهم السلام والشياطين نعوذ بالله منهم
فيجعلها مرآتين في الغيب فينظر بايمانه وعقله الى اخلاق الشياطين
من الاباية والنفور عن الحق والاستكبار والعجب والعناد والجراءة في
الباطل والتصميم عليه والحزم والحدة والحيلة والمكر والخديعة
والخبث والغش والازدراء بالاوزار الرفيعة وغير ذلك من اخلاق الشيا[طين]
المهلكة الرذيلة الدنية والتي يامر بها ويحض عليها من حقد وحسد
وغل وبخل وكبر ونميمة وغير ذلك مما يطول ذكره فيجتنبها العبد ولا
يقبلها ويا خذ في قلعها من باطنه ثم ينظر الى المراة الاخرى وهي ذوات
الملائكة وهم على نوعين ملائكة رحمة وملائكة عذاب ويتبع لما يامر
به من اخلاقها الكريمة من التواضع والانقياد للحق والنفور عن الباطل
والعفة والكرم والنزاهة عن الرذائل والحيا والبر والرهب وذوي
الافتقار والاستغفار للخلق والخدمة لهم والعطف عليهم والدعوة
لهم الى الله والغلظة في الله والشدة على ابليس وجنوده والتعزز على

الطغاة والجبابرة والتكبر عليهم بالحق الى غير ذلك من اخلاقهم الناصرة وصفاتهم القاهرة وبذلك امر النبي صلى الله عليه وسلم فقيل له جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقال في اصحابه اشداء على الكفار رحماء بينهم اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين فيتخلق بذلك كله وقد تقدم ذكر غضبه لله في مقام الاسلام فليكن ايضا كذلك على ابليس وجنوده وصفات النفس المهلكة باطنا حتى تستقيم حاله وامره ظاهرا وباطنا واعلم ان التماوت والتذلل في غير موضعه من اسواء الخلق وهو انوثية لا تشبه اخلاق الرجال المتصفين باخلاق الكمال وههنا غلط كثير من الناس يظنون ان الملق والمداهنة من حسن الخلق وعدوا ذلك مداراة وليس كذلك فان المداراة ما سلم فيه الدين والمداهنة والملق ما سلمت فيه الدنيا ولم يسلم ونقص فيه الدين وكذلك انعكست عليهم اشياء كثيرة فرأوا المنكر معروفا والمعروف منكرا وداهنوا عليه بقلوبهم وجوارحهم ورضوا به ومعاذ الله ان يكون هذا حسن خلق وجبريل عليه السلام هو عدو اليهود من اجل انه ياتي بالرحمة ويأتي بالعذاب في مواطنهما وهو واجب الملائكة الى اهل الحق فاذا نظر العبد في مقام الايمان الى اوصاف الملائكة والشياطين فاتصف بالمحمود ونفر عن المذموم كان كاملا في حسن الخلق ثم ان المؤمنات كلها في عالم الغيب معينة له ورائضة غاية الرياضة فان اقرب موجود له بعد الملائكة من الغيب حالة الموت فاذا تذكر الموت هدم صفات البهائم وكسرها من نفسه ونقص حرص الكلب وجرأته على اقتحام المهالك التي هي صفات السباع المؤذية وانكسرت حدة غضبه على الخلق بغير حق وذلك من اخلاق الكلاب وزال بذكر الموت والاخرة عنه الغفلة والبلادة والشهوة والذهول الذي هو اخلاق الحمير والبهائم وكذلك اذا نظر ببصر ايمانه الى جميع المؤمنات في القيمة واهوالها ومواطنها والجنة والنار والميزان والصراط وعظائمها كثر ذلك حذره وكثر واورثه اخلاق الخضوع والخشوع والرحمة وارتفاع الهمة عن الخسيس الفاني فلا يرى ببصر ايمانه شيئا غائبا الا كان له رائضا احسن رياضة وكسبا

له

له الاخلاق الحسنة ومزيلا عنه اخلاق السوء المهلكة من الله علينا وعليكم بذلك في عافية امين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

فصل واما القسم الثالث من حسن الخلق في مقام الاحسان فهناك العجب العجاب ومعناه يرجع الى الاحصاء والتعبد بمعاني اسماء الله الحسنى كما ورد في القرآن ان لله تسعة وتسعين اسما مائة الا واحدا انه وتر يحب الوتر من احصاها دخل الجنة ومعنى الاحصاء لها الحفظ لها والاتصاف والقيام بها وبمعانيها والتعبد لها والتخلق بمعانيها على حسب ما امر القرآن به من التعبد ونهى عنه من الخروج عن التعبد بها فان القرآن هو الجامع للاسماء والصفات وهو معنى الخبر الذي روت عائشة رضي الله عنها في قوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم قالت كان خلقه القرآن فاخلاق النبي صلى الله عليه وسلم من القرآن ماخوذة فكان صلى الله عليه وسلم ينظر الى اوصاف باريه واخلاقه فيقتدي بها ويتعبد له بها على حسب ما امر وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم في ذلك خبر روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال تخلقوا باخلاق الله فاذا نظر العبد في مقام الاحسان الى قيام الباري سبحانه وتعالى بالموجودات وصنعه معهم وكيف فاضت معاني الاسماء والصفات في جميع الاشياء وتعبد بمعانيها واتصف بما امر به من ذلك كان كماله وكمال ايمانه على قدر تخلقه واتصافه وتعبده بها قال الله تعالى ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها والدعاء هو العبادة بالاقوال والافعال والاوصاف واذكر لك معنى مختصرا من معنى ذلك ان شاء الله تعالى تستدل به على غيره فان هذا بحر لا يدرك غوره ولا يبرح في استفادة من كل المخلوقات كلها في الدنيا والاخرة متلونة متعبدة بمعاني الاسماء والصفات لا ينقضي ذلك ولا يتم ابد الابدين ودهر الداهرين وورد في الخبر ان الله تعالى خلق مائة رحمة كل رحمة منها طباق السموات والارض الحديث قيل معناها خلق على معنى اسمه الرحمن الرحيم مائة رحمة وكما خلق على معنى اسمه الرحمن انواع الرحمة التي ملأت الوجود كله فكذلك خلق على معنى اسمه العليم انواع العلوم والمعارف التي لا تحصى ولا تنقضي على ممر الاباد والدهور وكذلك الحكم عن الحكيم

وكذلك الحلم عن الحليم وكذلك الرافة عن الروف والعزة عن العزيز والعفو عن العفو والكرم والجود عن الكريم الجواد والنور والبيان عن النور المبين والكلام والنطق عن المتكلم وكذلك كل اسم وصفة ه فاذا فهمت هذا علمت ان من اسمايه المومن وسماك مومنا بل فرض عليك الاتصاف بالايمان واوصافه لتكون مومنا حقا وعذب عذاب الابد من ابا ان يتصف بذلك وكذلك اسمه السلام فقد نبهك الى ان تكون مسلما سالم الصدر سالم الجانب من كل شي قبيح فتسلم ويسلم منك كل شي ويدخلك دار السلام مخلدا في السلامة والامن وكذلك من اسمايه الرحيم فامرك ان تكون رحيما وكذلك روفا وكريما وجوادا ومحسنا وعفوا وغفورا ه وعزيزا وغنيا به وكبيرا لقدر به ومتكبرا على اعدايه فان اعترضتك شبهة في بعض اسمايه فاسال اهل العلم بها فان هذا باب لا ينحصر ابدا ولا يعترض عليه الا من جهله مثال ذلك ان من اسمايه سبحانه في النسا خادع المنافقين قال الله تعالى يخادعون الله وهو خادعهم فان قلت كيف الاتصاف بهذا الاسم فاعلم ان الحرب خدعة فالخداع مع الاعدا في مواطنه من احسن الاخلاق والاوصاف فاستعن بالله يعنك وارجع الى قول عايشة رضي الله عنها كان خلقه القران تعني رسول الله صلى الله عليه وسلم وانظر الى كل لفظة من القران فانها تدل على وصف واسم من اسما الله ذ تامر بالتعبد بها خبرا كان او امرا الا ترى الى قوله تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم فامرك ان تتخلق بصفة الكيس حتى لا تخدع فتكون حذرا ثم قال وان تعفوا فامرك بخلق العفو وتصفحوا فامرك بالتخلق بالصفح عن الزلل وتغفروا فامرك بالتخلق بصفة اسقاط الحقوق والغفران والستر وترك الاستقصا ثم نبهك ان ذلك من اوصافه فقال تعالى فان الله غفور رحيم ثم قال انما اموالكم واولادكم فتنة فنبهك على ان تكون متخلقا بصفة الفطنة والذكا فلا تفتتن بالفتنة فتنقطع عما قطعك الله اليه وهو قوله تعالى والله عنده اجر عظيم ثم نبه وامر بصفة العفة عن القبيح والاتصاف بالكرم الذي هو التقوى فقال تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وحذر من الانبتات بقوله

ما استطعتم فان المنبت لا ظهرا ابقى ولا ارضا قطع ثم امر العبد ان لا يكون اسير البطن فان ذلك من اخلاق البهايم والحيوانات فقال واسمعوا ثم امر بالانقياد والتواضع للحق فقال واطيعوا ثم امر سبحانه بالجود والكرم فقال وانفقوا خيرا لانفسكم ثم نهى عن اخلاق الشح والبخل فقال ومن يوق شح نفسه فاوليك هم المفلحون وهكذا كل اية وكلمة في القران لمن تدبرها اي نوع كانت مثل قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين الى اخرها امر سبحانه فيها بالعدل وهو صفة من صفاته ونهى عن الجور ه وبخس الحقوق الذي هو الظلم المبعد من اوصافه وكذلك قوله يا ايها النبي اذا طلقتم النسا فطلقوهن لعدتهن الى اخر المعاني من السورة امر بالاخلاق الحسنة من التثبت ومن الانقا وترك الاضرار والعدل وغير ذلك وانما نبهتك على هذه الايات لان معاني الاخلاق فيها اخفى من غيرها وفي غيرها ابين كي لا تنطق اذ في القران كلمة الا وفيها امر بخلق حسن واوصاف لا تتناهى حسنا فان القران صفة من صفات الله وفيه شرح لنا معاني اسمايه وصفاته القايمة بالموجودات كلها وعلم الاسما والصفات اعظم العلوم وارفعها واوسعها وليس يمكن الكلام في هذا المختصر على ذلك فاستعن بالله يعنك واستهده يهدك وليس في الاسما ما لم يومر العبد بالاتصاف بمعانيه الا اسم الله جل جلاله فانه لم يوجد عن معناه الوهية امرنا بالاتصاف بها كما اوجد عن الرحمن الرحمة وعن العليم العلم وغير ذلك ومن احصى من علم الاسما شيا فقد دخل الجنة بذوق معانيها في الدنيا على قدر احصايه لها بل الجنة نبذة من معاني الاسما والصفات الا ترى الى قول النبي صلى الله عليه وسلم من احصاها دخل الجنة يدخلها حالا بالمعنى ومالا بالحقيقة ان شا الله ولا يدخل احد الجنة حتى يحصيها ويتخلق بمعانيها مثال ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر فمن كان من اهل الكبر وهو من اهل الاسلام ودخل النار لاجل كبره فقد ذل في نفسه وتصاغر وتواضع وافتقر الى الكبير ذلا وتصاغرا وافتقارا لا يعلم قدره الا الله لان ذلك فاته في الدنيا

فاذا ذل غاية الذل للعزيز وتواضع للكبير اخرج منها وادخل الجنة فافهم
فليس يدخلها حتى يتخلق بالاخلاق الحسنة وكذلك ادم عليه السلام في قوله
تعالى وعلم ادم الاسماء كلها لما احصى الاسما وعلم بها الاشيا كلها المخلوقة
كان في احسن صورة وخلق فدخل الجنة فقال بعد الاحصا وقلنا يا ادم
اسكن انت وزوجك الجنة ثم لما خدعه الشيطان ولم يحفظ الوصاة ونسي
العهد كان ذلك سقوطا عن التخلق باسم الحافظ والاتصاف بصفة
الحفظ للوصية والامر وخروجا عن التخلق باوصاف الذاكر الذي لا ينسى
فاطاع عدوه فخرج بذلك من الجنة ثم رجع الى الاتصاف باسم التواب
فتاب الله عليه وبقي حافظا للوصية وذاكرا للعهد فلم يقدر الشيطان
عليه بعدها بشي ثم احصى الاسما وجدا ذوات الجنة واشرف على معاني
درجاتها فانها مائة درجة على عدد الرحمة التي عن اسمه الرحمن الرحيم
وعلى معاني الاسما والصفات وهذا علم غريب مخصوص باهله رزقنا
الله واياكم ورضي عنا وعنكم ووفقنا لما يحب ويرضاه بمنه وكرمه امين

فصل واعلم ان اهل الجنة اذا دخلوها وكملت اخلاقهم
واوصافهم وتجلى لهم ربهم سبحانه بمعاني الاسما الحسنى والصفات العلا
تخلقوا بمعانيها وبقي فعالته في الوجود ابدا وفي ذواتهم فيتصفون
بمعانيها المخلوقة ويترقون في الاتصاف والتخلق ابدا ثم يطلبون
الانتهاء الى الكمال من ذلك لان اوصافهم مخلوقة قاصرة عن اوصاف
الباري القديمة فهم ابدا طالبون للزيادة ومتصفون بالكمال حالا
بعد حال ووقتا بعد وقت ويخلع الباري عليهم ويلبسهم خلع الحسن
والجمال والكمال والانعام والافضال والاكرام والاجلال والاعزاز
وساير معاني الاسما والصفات ابد الابدين ودهر الداهرين فمن
اشتهى لبسة لبسها ومن تمنى صورة تقلدها ودخلها وورد في الخبر
ان في الجنة سوقا ما فيها بيع ولا شرا الا الصور من الرجال والنسا
فاذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها فتلك الصور من اتصف بها
يدرك بذلك ما لم يدرك من الزيادة والترقي ابد الابدين لا حرمنا
الله واياكم دخول الجنة وجعلنا من اهلها في يسر وعافية بمنه وكرمه

امين

امين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم

الشعبة الخامسة والشعبة السادسة والخمسون

الاحسان وهو على مقامين فلذلك صار شعبتين لان النبي صلى الله
عليه وسلم قد جعله شعبتين في حديث جبريل عليه السلام حين ساله
عن الاحسان فقال ان تعبد الله كانك تراه فهذا مقام فان لم تكن تراه
فانه يراك هذا مقام اخر فاما كونه من شعب الايمان فبين لانه في نفسه
تصديق بالنظر الى الله سبحانه في الحال وتصديق بان الله سبحانه ينظر
اليه لانه ثمرة الايمان واعلاه وخالصه فوقع عليه اسم الاحسان
كما ان الاسلام فرع الايمان وثمرة ايمان لكن وقع عليه اسم الاسلام فافهم

فصل نتكلم اولا على الشعبة الاولى الينا وهو علمنا بان
الله تعالى يرانا فنقول هي على ثلاثة اقسام قسم في مقام الاسلام
وقسم في مقام الايمان وقسم في مقام الاحسان نفسه فاما القسم الاول
في مقام الاسلام ظاهرا فان الامور في عالم الحس ثلاثة معاصي وطاعات
ومباحات المعايش فاما قسم المعاصي على اختلاف انواعها فان العبد
مامور بان يعلم ان الله يراه فاذا هم بمعصية وعلم ان الله يراه ويبصره
على اي حالة كان فانه يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور كف عن
المعصية ورجع عنها وانما الانسان يذهل عن نظر الله اليه فينسى
حين المعصية انه يراه او يكون جاهلا فيظن ان الله سبحانه بعيد
منه لكونه على العرش وهو على الارض ولا يتذكر ويعلم انه يحرك جوارحه
حين العمل المعمول فينسى ذلك او يجهل فيقع في المعصية ولو علم
وتحقق ان والده او رجلا كبيرا يراه حين المعصية لكف عنها وهرب
منها فاذا علم العبد ان الله يراه في حين المعصية كف عنها لحصول
البرهان الاحساني عنده وهو البرهان الذي اوتيه وراه يوسف
عليه السلام في مراودة امراة العزيز اياه وهذا البرهان كل ما قيل
فيه من الاقوال فالى هذا المعنى يرجع وهو الحقيقة فيه وان الله
تعالى يقول ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه فاضاف
البرهان الى الرب سبحانه والبرهان هو قيام الدليل الواضح الجلي

بان الله سبحانه موجود حق وانه ناظر الى كل شي ومتصرف لكل شي ومحركه
ومسكنه فمن اراه الله هذا البرهان عند جميع المنهيات صرف عنه
السو والفحشا من جميع المنكرات كما قال تعالى كذلك لنصرف عنه السو
والفحشا ونقصانه من المعاصي حين العصيان زجرة عظيمة به لانه
لو عصى على جراة وهتك حرمة نظر الله اليه وهو يعلم ويرى انه ينظر اليه
لكان عصيانه بقلة المبالاة وهتك حرمة نظره كفرا اشد من كل
عصيان في الوجود قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين
يزني وهو مومن يعني انه مومن بنظر الله اليه او بنظره الى الله ولذلك ترى
العاصي اذا تاب من المعصية وتفكر معاصيه وذكر ان الله كان يراه في
حين المعصية اختزى واستحى من قلة حيائه من نظر الله اليه والله اعلم

فصل واما قسم الطاعات في هذا المقام الاسلامي
فان الطاعات كلها مستعبد بها الانسان والاحسان واجب فيها
للحديث الوارد فيها الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن
تراه فانه يراك ولابد من علمها والاخلاص فيها فاذا علم العبد ان الله
سبحانه موجود حق وتبرهن عنده انه يراه عنده لا محالة الا ان يكون
زنديقا جاحدا لا يقر بوجوده فانه كان منكرا بوجوده فترك العبادة فانما
تركها تهاونا لنقصان البرهان الاحساني عنده وهذه حال المضيعين
للفرايض لجهلهم بقدر الامر وقدر امره لانه لا يعرف قدره وقدر امره
الا من شم روايح الاحسان البرهانية والدلايل العقلية القطعية
فاذا علم قدر الامر وقدر نظره اليه سارع الى امره على قدر طاقته
فيعترضه في العبادة شوايب الريا والعجب والتزين والافات
المفسدة للعمل فيحتاج حينيذ في العبادة الى الاخلاص والاخلاص
يحتاج الى مقام الاحسان لاغنا له عنه لانه اذا علم ان الله يراه في
حين تزينه لعبد مثله ومراياه لغيره لا يملك شيا استنكف من ذلك
واخلص العبادة لربه سبحانه فجعل سمع الله مكان سمع المخلوقين
وبصره مكان بصرهم فصار يتزين لمولاه الذي ينظر اليه ويراه والذي
كل شي في جنبه كلا شي فاذا غلبه القضا وزل عن مقام الاحسان

ووقع



ووقع في مشكل مبطل للعبادة سارع الى الاستغفار والرجوع الى المقام
الاحسان هكذا دابه في جميع المامورات فيسلم من السمعة والريا
للمخلوقين ويسلم من العجب وغيره لمعرفته بقدر مولاه واستحقار
كل عبادة في حقه وعظيم قدره سبحانه **فصل** واما القسم
الثالث في المباحات والكسبيات فان ذلك محل الغفلة والسهو عن
هذا المقام الاحساني فاذا تذكر العبد ان الله سبحانه يراه في تصرفه
وانه امره بالقناعة والاجمال عليه وقلة الاعراض عنه استحيى
ان يراه مكبا على الخسيس الفاني مستغرقا في الاشتغال به عن ذكره
وعن الاقبال على ما ينقطع عنه وعن الاخرة فيدخل في الاشيا وقلبه
بالذكر على مولاه متذكرا ان الله يراه كان تفرغ قلبه من امور الدنيا
على قدر نظره الى نظر مولاه اليه فيقبضه ذلك عن الاستكثار الملهي
والاشتغال المنسي والاسترسال بالكلية في امور الدنيا فيكون مكتسبا
بنية صالحة وهي العون على طاعة الله وذكره اذ لاغنا له عن معيشته
وان الله امره ان يمشي في ارضه ويا كل من رزقه فيمشي لله ويكتسب لله
ويتحرك ويسكن لله لان نيته في اكتسابه الاستعانة على الطاعة
لله الذي تحقق وتبرهن عنده انه يراه وانه المحرك له في جميع حالاته
من اكتساب او غير اكتساب فتعدم الاحسان جميع الاوامر الحسية الظاهرة
ومن اجل قلة هذه الشعبة في الجم الغفير كان التكاثر والطغيان
والاقبال على الدنيا والتهاون بالاوامر والنواهي عصمنا الله واياكم
بهدايته وتوفيقه في كل حال امين وصلى الله على محمد وعلى اله وصحبه وسلم

فصل واما المقام الثاني من الاحسان في عالم الغيب
ومقام الايمان فان العبد اذا فكر في مواطن الاخرة من موت وقبر وسوال
وحشر وعرض وحساب وغير ذلك وعلم انه معروض على الله في ذلك العالم
ومواطنه تهيا لذلك العرض كما ورد في الخبر تهيوا للعرض الاكبر وهو
العرض على الله فيتزين للاخرة بزينة اهل الاخرة ما استطاع ويتوب
من القبايح عند الله ويرغب في كل وقت الى سيده ومولاه ان لا يهتك
ستره في تلك المواطن ولا يكشف له فيها عيبا ولاسيما اذا افرات

التقرأ اذا الشمس كورت الى قوله علمت نفس ما احضرت الى ما احضرت
مما يصلح للعرض على الله جل جلاله وما اشبههما من السور والايات فيعلم
تحقيقا انهما من المنجيات فاذا كان ذاكرا للعرض على الله سبحانه
في مواطن الاخرة اشرع الى ما يليق بكل موطن منها مثل ان يذكر الجنة
والنار ويعلم ان الله سبحانه ناظر اليه في ذلك العالم فان كان يراه يصلح
لمسكني الجنة والا طرحه في النار وان كان يصلح للشرب من الحوض
والا ذاده عنه وان كان يصلح للكرامة والظل في عرصات القيمة والا
اهين وترك للاهوال وهكذا جميع المواطن اولها الموت واخرها
الاستقرار في الجنة فيسارع الى الاصلاح ما استطاع نسال الله الكريم
ان لا يكشف استارنا وعيوبنا وان يجعلنا من اهل كرامته وعنايته دنيا
واخرة في عافية منه وفضله وصلى الله على سيدنا محمد واله الطيبين
وصحبه وسلم تسليما **فصل** واما المقام الثالث من
الاحسان في مقام الاحسان وهو معاينة بالحقيقة وما تعدى فرع عنه
فان العبد اذا علم ان سره موضع نظر الله منه وجب عليه تصفية سره
لمولاه واصلاح ذلك وتنقيته مما يكره الله ان يراه وينظر اليه في
قلوب اوليائه فيزيل الصفات المهلكات ويطهره منها ويتصف
بالمحمودات حتى يجعل سره كالمراة المجلوة ليتجلى النظر من الله فيه فيعتقد
اولا اعتقادات اهل السنة ولا يضمر خلافها ويستحي من الله ان
ينظر اليه وهو يضمر خلاف ما يظهر للناس ثم بعد ذلك يطهره من
كل صفة مهلكة ويحليه بكل منجية على قدر استطاعته ويكون همه
بسره اكثر من ظاهره كما ورد في الخبر ان الله سبحانه لا ينظر الى صوركم
ولكن ينظر الى قلوبكم وقال ابن مسعود رضي الله عنه السرائر اللاتي
يخفين على الناس هن عند الله بواد فاذا اخذ العبد في ذلك في
مقام الاحسان وفرغ قلبه لمولاه قرب الله جل جلاله منه لان الخبر
قد صح انه قال من تقرب مني شبرا ذراعا تقربت منه باعا المعنى الى
اخره فيتيقن له قرب الله منه فيحصل في مقام اهل العلم بالله بلا تعلم
من خلق بل بتعليم الله وتجليه لقلبه فحينئذ يسمع ما لم يسمع قبل

ذلك

قبل ذلك ومنهم من لم يفهم ويحس بقرب الله منه لانه اقرب الى الروح من جثمانه
والى البصر من بصره والى كل شيء من نفس ذلك الشيء بقرب لا يليق الا به
لا يشبه قرب المخلوقين فحينئذ لا يقدر العبد ان يشير الى الله بخاطر
ولا فكر ولا ان ينظر اليه بحركة سره الى جهة من الجهات لانه ليس في جهة
ولا امكان وانما هو متجلي يراه اليقين بغير حلول ولا ان الاشارة
يوتى بها سبحانه وهو اقرب الى الاشارة من الاشارة فيلتقي السر
بنظر الله اليه وينبهر هو من نظره وتامله ويرجع بصر السر من العبد
نفسه في نفسه حتى يفني نفسه بشغله بنظر الله اليه وهو الناظر سبحانه
وحده ومن ههنا دخل العارفون الى مقامات من القرب واسرار من المعر فة
لا يحتمل العموم ذكرها لبلادتهم وقلة فهمهم وقد تكلم فيها فانكرت
على المتكلمين فيها غير ان الحاصل في هذا المقام بالعلم يعلم ان الاشيا
كلها قرب الله منها كقرب العالم من معلومه فالمعلوم متصور في مراة
العلم بغير حلول ولا هو ظرف لها فيجب سره للعالم به القايم بمعلومه
المحيط به فان تحرك اللسان مثلا بالذكر او خطر خاطر بالقلب علم ان
الله هو الذاكر وهو المذكور بالحقيقة لانه مجري الذكر بقدرته
وكلامه وهو اقرب الى الذكر من الذكر وقد كان ابو يزيد وغيره من
العلما يقول في مناجاته كلاما مع ربه عز وجل تكل عنه افهام
الجماهير وتحار فيه عقول الحذاق من غير اهل هذه العلوم لقلة
شغلهم بها واشتغالهم بطريق اخر غيرها من الله علينا وعليكم بالفهم
عنه والعصمة من الجهل والانكار وجعلنا من المحبين العارفين
الاخيار اهل الاشراف والاسرار امين وصلى الله على سيدنا محمد
النبي واله وصحبه وسلم تسليما كثيرا **الشعبة السادسة
والخمسون** الاحسان ايضا وهو قوله صلى الله عليه وسلم
ان تعبد الله كانك تراه وقد تقدم الكلام على قوله فان لم تكن
تراه فانه يراك الا انهما حالتان وشعبتان **فصل**
اعلم ان هذه الشعبة على ثلاث مقامات ايضا مقام الاسلام والايمان
والاحسان ولا الاحسان مقام واحد ولكن لما كانت العبادة ظاهرة

وباطنا واذا فرقت العوالم في الظواهر والبواطن انقسم الاحسان على
حسب العوالم والنشاة هذان كسائر شعب الايمان كلها فاما المقام الاول
في الظاهر وهو مقام الاسلام فان العبادة كما تقدم في الظاهر على
ثلاثة اضرب اوامر ونواهي ومباحات وهذا المقام الذي هو ان تعبد
الله كانك تراه هو عكس المقام الاخر الذي تقدم وهو فان لم تكن تراه
فانه يراك لان ذلك المتقدم الله ناظر فيه اليك وهذا الثاني انت
ناظر فيه الى الله وبينهما اشتراك وارتباط لكن هكذا وقع التفسير في
الشرع بينهما فاذا كان العبد ناظرا الى الله كان في مقام المراقبة فلا
يرى شيئا في هذا العالم الظاهر الا راه حادثا عن القدرة الازلية
فاذا راى معصية او اشباهها علم ان الله سبحانه خالقها ومنشيها وانها صدرت
عن اسمه الفاتن المبلي بها المختبر لعباده فيسبق نظره الى القادر الفاتن
بها اذ هو مقام المراقبة والغيرة فيغيب عنها بغيرته ومراقبته لاشتغاله
بالصنعة على الصانع وبالفتنة على الفاتن المبلي الذي خلق الموت
والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا والموت اشد من العصيان والحياة
الطيبة الطاعة وحياة الاديان وفي مثل هذا المقام قال القايل منهم
ما رايت شيئا الا رايت الله قبله ونحوه فيعصمه الله بالهروب من المفعول
الى الفاعل فهذا دابه في كل فتنة ينهى عنها ما دام في هذا المقام لانه
لانه اعطي نفاذ البصر وورد في الخبر ان الله يحب البصر النافذ عند الشبهات

فصل وامامسم الطاعات الاسلامية فاذا تلبس العبد
المحسن بعملها في مقام الاحسان في نفس العمل سبق نظره وتوجهه الى الباري
وكان الله تواجهه كما ورد في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا
كان احدكم يصلي فلا يبصق قبل وجهه فان الله سبحانه قبل وجهه اذا صلى
فاذا كان ناظرا الى مولاه مناجيا ومحادثا ومراقبا في اي عبادة كانت
غاب عن العبادة وعن العباد فسلمت عبادته من كل افة تدخل على من
ليس في هذا المقام فيعرج سره ويسبق الى المعبود ويصل اليه قبل عروج
العبادة ورفعها بل اسرع من طرفة العين وكان من الذين قال فيهم
اولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون قيل فيها اقوال قيل

ان

ان اللام بمعنى الى اي هم اليها سابقون وقيل ان اللام بمعنى الباء اي هم
بها سابقون وهذا يكون قبل الدخول في فعلها والتلبس بها واما في
حين فعلها فاللام باقية على اصلها كما تقول سبق فلان لفلان اي تقدمه
وجاء قبله قال الله عز وجل ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اي تقدمت فما
دام العبد في هذا المقام من السبق الاحساني لو اتى باعمال الثقلين
مثلا ما نظر الى العمل نظرة واحدة ولا التفت اليه لان نظره سابق
الى المعبود وكذلك اذا عرف قدر المعبود في مقام الاحسان سارع الى
طاعته قدر وسعه فهذا حال المحسن الذي يعبد الله كانه يراه في
انواع المامورات فصل واما المباحات وجميع انواع
التصرف في الكسب فان العبد اذا تحرك او سكن في التلبس بها راى في هذا
المقام الاحساني ان الله سبحانه محركه ومسكنه وراى الافعال كلها
صادرة عن قدرة الله تعالى فيتحرك بالله ويسكن به وله ويعطي
لله لانه ناظر اليه وياخذ من الله لانه المعطي له ويتسع من الله وهذه حالة
ما دام العبد فيها لا زال ذاكرا حاضرا كان في السوق او في الخلوة فان
لحقته الغفلة والذهول عن هذا المقام سارع الى الاستغفار
والتوبة من غفلاته وجاهد نفسه على الاعتبار والرجوع الى المقام
النظر والمشاهدة من الله علينا وعليكم برحمته امين امين وصلى الله
على محمد واله وصحبه وسلم فصل واما المقام
الثاني من الاحسان في مقام الايمان فان الناظر اذا نظر الى الامور
واعتبر عظيم قدرها فاذا الدنيا فيها كالاصبع ادخلته في اليم كما ورد
في الخبر وعلم بالاعتبار انها افعال الله نصبها في باطن الدنيا لعدوم
الخلق عليه في تلك المواطن ونفسه متعبدة بالايمان والاعتبار
بتلك العظايم فيكبر قدر الصانع عنده على قدر عظم المصنوعات
فاول ما ينظر الى ملك الموت فيراه ملكا واحدا مهوبا عظيما مهولا
له من الاعوان كثير وهو متولي قبض ارواح الخلايق في المشارق والمغا رب
في البر والبحر فلا يشغله روح عن قبض ارواح وهو عبد واحد من جملة
عبيد الملك الحق فيقول هذا فعل هذا الملك الواحد فيعلم ان الارواح

اذا رآنه تندهق وتخرج من الاجساد ولا تثبت وانه يجذبها بقوة ذاته
وشدة قواه من المشارق والمغارب كما يجذب المغنيطس قطع الحديد اليه
وكما صعق النبي صلى الله عليه وسلم عند رؤية جبرئيل عليه السلام حين رآه
قد سد الافق فيختبر منه قدر المستعبد له جل جلاله وهكذا ايضا في المؤمنات
شيئا شيئا كالملكين السائلين في القبور بايديهما مرازب الحديد لو ضرب
بواحدة منهما جبل لصار دكا فكيف باجسادهما وقوتهما وتمايلهما ولا نكل
من يقبض المشارق والمغارب ومن يموت في ساعة واحدة كما يقبض ملك الموت
عليه السلام الارواح في ساعة بل امرهما اعظم واهول من ملك الموت وكذلك
النافخ في الصور وجميع انواع الملائكة وعظم محالها في الغيب فيرى امرا عظيما
لا تصفه الالسن لان اعظمهم يرجع على عظمته كالوصع وهو الطير الصغير
وكذلك لكل منهم فيرى من مقام الاحسان بالاعتبار قدر المسخر الجبار لجميعهم
القهار لانواعهم وهكذا يتذكر وينظر الى المحشر وسعة تلك الارض
المفروشة التي امتدت حتى اخذت اكناف السموات والارضين كلها لقيام
جميع الخلق في صعيد واحد على ذلك البساط العظيم الذي يسع الخلق
والاملاك النازلين فيه فيرى منه قدر الباسط الذي تزلزلت الملائكة
من هيبته فيه وكيف يحاسبهم في حالة واحدة فلا يشغله شيء عن شيء
وكذلك يتذكر الميزان الذي كفتاه طباق السموات والارض والاملاك
الخادمة له فيرى منه قدر ناصبه للعدل والقسط والرحمة والفضل
وكذلك يتذكر الصراط وارتفاع قناطره على متن جهنم ويتذكر الحوض
العظيم حوض محمد صلى الله عليه وسلم وسعته وكثرة كوسه وحياض الانبياء
ويتذكر الجنة والنار وما هما عليه من العظم وما فيهما من العجايب والعظايم
فيعتبر بها قدر الصانع لها فيمر على جميع المؤمنات في الغيب ويرى نفسه
ويعلم انها معروضة في تلك المواطن كلها ويشاهد ربه فيها كما ورد
انكم ترون ربكم كما ترون الشمس صحوا ليس دونها سحاب وكما ترون القمر ليلة
البدر على قدر ذلك العالم وجلالته فيتاهب للتاهب ومشاهدته
في تلك المواطن على قدر استطاعته وجهده فالناظر في عالم الايمان
يرى من مقام النظر الاحساني فيه ما لا يرى في هذا العالم الدنيا وفي

من

من معاني الربوبية وعظم قدرها فان قدر عالم الدنيا وعجايبها بالاضافة
الى الآخرة كالنقطة الواحدة في البحار الواسعة بل اقل من الله علينا
وعليكم بالتوفيق في كل حال امين وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

فصل واما المقام الثالث من الاحسان في مقام الاحسان
نفسه وهو مقامه بالحقيقة فان الناظر فيه يجمع الموجودات كلها ظاهرا
وباطنا والاوايل والاواخر في نظرة فيراها كلها مع العرش العظيم
وما كان وما يكون وان عظمت وكثرت في مقام الاعتبار كالجزء الذي لا
لا يتجزى بالاضافة الى الموجد لها مع كونها باقية على عظمها وكثرتها لكن
عقله في ساحة التعظيم وانفتح له ابواب من معرفة العليم العظيم ووجد
ثمة من احوال اهل المعرفة فان اعظمها حالا لا واحدا في عمره كله فليشكر الله وذلك
انه لا يرى الا الله بالحقيقة حتى يغيب عن الاشيا باستحقارها بالاضافة
الى عظمة الله وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في احاديث الاسرا وما
راى من الايات الكبرى وقال قربت الى السدرة العرش فرايت امرا مهولا ثم
قال بعد ذلك كله ولم ار عند رؤية ربي احدا من خلقه سواكانت الرؤية
رؤية قلب او عين وقد رايت بعض الفقهاء سال عن هذه المسيلة بعض المتكلمين
في هذا الشان فقال له لاي شيء صعد النبي صلى الله عليه وسلم في المعراج
وقطع مسافة عليين لرؤية ربه وسماع كلامه اوليس الله معه في الارض
اقرب من حبل الوريد وقد سالت عن هذه المسيلة ذمرا فلم اجد من يشفيني
فيها فقال له المسؤول ان التجلي التي المرئي انما يظهر في المحل الذي يظهر
فيه على قدر موجودات ذلك المحل فالنبي صلى الله عليه وسلم اخرج من هذا
العالم الى الملكوت الاعلى ليشاهد الايات الكبرى التي لم يسع شيء منها
في عالم الدنيا فيظهر له صانع العالم على قدر العالم وعجايبه ويترقى رب في
مشاهدة كل عالم حتى وصل الى العرش فراى منه عظمة الحامل له والمستولي
عليه العظيم حتى رفعه التعظيم الى المستوى الاعلا واقتطعه عن جميع
الاشيا فتجلى الله له في كل موطن على قدر ذلك الموطن فاعجب السايل بذلك
والسالكان يجد في نفسه من ذلك الخاطر وهكذا الناظر في مقام الاحسان
بالاعتبار اذا راى السموات والارضين بما فيهن وما بينهن ظاهرا وباطنا

في الكرسي كحلقة ملقاة في ارض فلاة من خلق الدرع والكرسي والجنة
والنار وساير المخلوقات في العرش كحلقة ملقاة في ارض فلاة بل الامة
والاشيا باقية على عظمها وصورها وسني في الاعتبار الى الموجد للكل
الذي لا يشغله وجود الخلق واذكروا وعظموا لعظم قدر الذي لا شبيه
قد استولى عليه التعظيم ولاحت له لوايح البروق ولوامع الانوار
وطوالع المشاهدات وهام في اودية الفنا والبها والغيبة والحضور
وتحير في فسحة العظمة وساحة الاجلال فان كان من اهل الاحوال
وجدا ذوقا سالما حوال الاشياخ المكرمين اهل المعرفة الدارجين
على مسالك المصطفى وسيد الانبيا صلى الله عليه وسلم وقد انشد قايلهم

فقال

ولو كنت من اهل الوجود حقيقة • لغبت عن الاكوان والعرش والكرسي

ومن هذا المقام الاحساني دخلوا الى ذلك فوجدوه ذوقا وحالا لا كما
ادركناه نحن علما وبين الحال والعلم زيادة تتنبه فانا مقطوعون
بالغفلة عن الاحوال وهم ركبوا مراكب السرعة والمسابقة الى الخيرات
على مناهج التقوى والسير الى الاخرة بالاعراض عن الدنيا كما ركب النبي
صلى الله عليه وسلم البراق الى عالم البرزخ وصعدوا بالفكرة طرايق
المعقول لانهم تذللوا بالعمل الصالح وقطع الشواغل سني الدرجات
كما ارتقى النبي صلى الله عليه وسلم المعراج في عالم السموات وابدوا بروح
الايمان الروحاني كما ركب النبي صلى الله عليه وسلم اجنحة الملايكة هم
وجناح التاييد وايدهم بروح منه وطارت بهم وفادى الشوق طلبا
للقرب من الحق كما ركب النبي صلى الله عليه وسلم الرفرف المدلى ودنى
منهم الجبار سبحانه لانه وعد بكلامه انه من اتاه يمشي اتاه هرولة كما
دنا الجبار من المصطفى صلى الله عليه وسلم فتدلى فكان قاب قوسين
او ادنى • او هاهنا بمعنى الواو اي فكان قاب قوسين وادنى لان الله
تعالى لا يشتبه في شي فيذيقهم حلاوة الوجد ويخرجهم من الوجد الى الوجود
ويذهلهم عن وجود الاشيا وعن وجود الوجد والوجود اما تسمع قوله
تعالى واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه • فيصير العبد صاحب حال

قاب قوسين او ادنى او هاهنا بمعنى الواو

منهم

منهم عند نفسه كان لم يكن كما بدا نا اول خلق نعيده فيفنى ما لم يكن ويبقى
ما لم يزل نحو لانهم اهل الاحوال الذين درجوا على منهاج المصطفى صلى الله
عليه وسلم ورقوا بعض مقاماته ظاهرا وباطنا فلم يكن عروج المصطفى
صلى الله عليه وسلم واخباره عن كل ما راى لا منه الا للايذان بذلك
كله والا لاقتدا به والكل ياخذ منه قدر له فمن الخلق من لم ياخذ من ذلك
الا التصديق به وهو خير كثير ومنهم من علم ذلك علما ولم يجده حالا ومنهم
من وجده علما وحالا وهم سادتنا في الدنيا والاخرة وعند الله يحتسب
الفقر والافلاس من احوالهم ومقاماتهم نفعنا الله واياكم بمحبتهم
ولا حرمنا بشومنا الكون منهم امين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله
وصحبه وسلم

الشعبة السابعة والخمسون

الذكر اما كون الذكر من الايمان فبين جدا لانه تجديد للايمان بالمؤمن
به بعد تجديد لانه اذا ذكر المذكور تجدد الايمان به فالذكر ايمان على
ايمان وتجديده وزيادة ايمان على ايمان ومن ذلك حديث عبد الله
ابن بسر رضي الله عنه ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ان شرايع الاسلام قد كثرت على واني قد كبرت فاخبرني بشي اتشبث به
قال لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله سالة عما يلتزم من الشرايع الايمانية
فدله على افضلها وروى ابو الدردا رضي الله عنه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال الا انبيكم بخير اعمالكم وازكاها عند مليككم وارفعها
في درجاتكم وخير لكم من اعطا الذهب والفضة وان تلقوا عدوكم
فتضربوا اعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا وما ذاك يا رسول الله قال
ذكر الله فاعلم صلى الله عليه وسلم ان خير الاعمال الذكر وروى ابو سعيد
الخدري رضي الله عنه قال سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اي
العبادة افضل درجة عند الله يوم القيمة قال الذاكرون الله كثيرا
قيل يا رسول الله ومن الغازي في سبيل الله قال لو ضرب بسيفه حتى
ينكسر ويختضب وما كان الذاكر افضل فاعلم صلى الله عليه وسلم

ان الذكر من العبادة الايمانية وانه افضلها

فصل

اعلم
ان الذكر على ثلاثة اضرب ضرب في مقام الاسلام الظاهر وضرب في

يحتسب الفقر وعند الله من والافلاس احوال العارفين ومقاماتهم

مقام الايمان الباطن وضرب في مقام الاحسان باطن الباطن فاما القسم
الاول في مقام الاسلام فان الامور الحسية الظاهرة ثلاثة امر ونهي ومباح
والانسان متصرف فيها بجسده والجوارح في الجسد سبعة والمخصوص منها
بالذكر اللسان وان كانت كلها ذاكرة لكن اللسان هو المبين المفصح بالكلام
والاذكار على انواع منها البسملة في اوايل الاشيا ومنها التهليل ومنها
التسبيح ومنها التكبير ومنها التحميد ومنها الاستغفار ومنها التبري
من الحول والقوة ومنها السلام عند لقا المسلمين ومنها التلاوة ومنها
الدعا ومنها الاستعاذة ومنها الاسترجاع ومنها الصلاة على النبي صلى الله
عليه وسلم ولكل نوع منها مكان من العبادة وذوق ومعنى فاما النهي فاذا
اشرفا العبد عليه وراه اي نوع كان وذكر الله وما اوعد عليه حجزه الذكر
عنه وهذا من افضل الذكر فالذكر للمتواعد يوجب ترك المنهي عنه ويخوف
منه فصار الذكر عاصما من الوقوع في المعاصي فاعظم به فرزا كما ورد في
الحديث المشهور سبعة يظلهم الله تحت ظله يوم لا ظل الا ظله فذكر فيهم
ورجل دعته امراة ذات منصب وجمال فقال اني اخاف الله رب العالمين
فهذا التوليد الذكر في هذا الموطن افضل العبادة واما الاوامر فان العبد
اذا اراد فعل الطاعات فذكر من المعبود بها سارع الى فعلها وكان الذكر
سببا لفعلها وكذلك اذا تذكر وذكر ما وعد الله من ثوابها ازعجه الى
المسارعة في فعل الخيرات فصار الذكر سببا لفعل الخيرات كلها واما
المباح فانه محل الغفلة وورد في الخبر ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل
عن الفارين وقد نهى الله الانسان ان يكون غافلا وامره ان يذكره في كل
الاحيان فقال تعالى اذكروا الله ذكرا كثيرا وقال تعالى الذين
يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم فاثنى عليهم بذلك وذم اهل
الغفلة فعلى العبد اذا دخل محل الغفلات ان يذكر ويعزم على الذكر
ليكون كالمقاتل عن الفارين وكالحي بين الاموات فان غفل وغلبه محل
الغفلة فليتذكر من ذلك ان ربه سبحانه ليس بصفة الغافلين
ولا يجوز ان يغفل وانه هو مخلوق ضعيف محل الغفلة وهي صفته ولتعالى
سبحانه ان يغفل ولو جاز ان يغفل لتدكدك الكل من الممالك عن قواعده

فينزهه عن صفته فتعود غفلته ذكرا او تذكره بمقام عظيم من المعرفة
واذا اكل او شرب قال سبحان من ليس صفته هكذا سبحان من لا يطعم واذا
نام قال سبحان من لا ينام ولا ينبغي له ان ينام ولو نام كيف كان يكون الحال
واذا جامع قال سبحان من لا يزدوج الي شي الغني عن كل شي واذا تحرك او سكن
قال سبحان من لا يتحرك ولا يسكن ولا يحل الامكنة وهكذا يذكر كل شي في
مقام الذكر بصفات الغني الحميد قبل فعل الشي او معه او بعده فيكون له كل
شي ذكرا وتذكرا ويوقعه الذكر في مقام المعرفة ويجعل كل نوع من انواع
الذكر في محله فاذا ابتدا بشي قال بسم الله الرحمن الرحيم واذا تلبس به قال
لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم واذا صعب عليه الشي استغاث
بالدعا وطلب من الله تسهيله واذا استهل عليه قال الحمد لله رب العالمين
واذا اصابته مصيبة قال انا لله وانا اليه راجعون واذا وقع في ذنب
وعمله تاب واستغفر الله واذا راي شيا مخوفا مفزعا استعاذ بالله واذا
راي اسباب الشرك وكثرة الاشيا ووحد الله فقال لا اله الا الله واذا
راي عجبا قال سبحان الله وتعجب من قدرة الله واذا راي الهداية والسنن
الصالحة تذكر الهادي عليه السلام فصلى على محمد صلى الله عليه وسلم
وهكذا في كل شي فقابل الشي بما يشاكله من الذكر وكذلك وضع الشارع
الاذكار كل ذكر في موضعه حتى انه صلى الله عليه وسلم كان في حركاته اذا صعد
على علو واشرف كبر وهلل فكان يتذكر شرف الله على الموجودات
وعلوه عليها بالرتبة والرفعة وكان صلى الله عليه وسلم اذا استهل
قال الحمد لله لان التسهيل الوطي يذهب التعب الذي يكون في الوعر
وذلك نعمة توجب الشكر فكذلك اذا صعد العبد من سفل الى علو
فليقل لا حول ولا قوة الا بالله واذا كان في انخفاض وانحطاط فليقل
سبحان الله وكذلك يضع كل شي في موضعه فيكون ذاكرا في كل الاحيان
باحسن الاذكار وكان الذكر محكما متقنا لصدوره عن الحكمة العلية
فان التزم ذكرا من الاذكار اي نوع كان في احواله كلها فجايز وحسن وكلها
فاضل ولكل واحد منها معنى في نفسه فمعنى البسملة التبرك باسم الله المنا
وان ينوي بالبسملة في اول الفعل والحركات والسكون بالله ابتدي وباسمه

واذا راي امرا عظيما قال الله اكبر
ورای کل شئ عظیم حقیرا بالاضافة
الیه صح

رك

ابراك ومعنى التهليل اقرار بالمعبود وافراد له ومعنى الحمد الثنا على المعبود
والشكر له ومعنى التسبيح التنزيه له والتعجب من غرايب قدرته ومعنى
التكبير الاعظام للمعبود والاجلال له ومعنى الاستغفار التوبة والاعتذار
ومعنى التبري الذي هو لا حول ولا قوة الا بالله الاستعانة بالله ومعنى الدعا
الطلب من الله ومعنى الاستعاذة الالتجا والاعتصام بالله ومعنى الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم الحنو والعطف من الله عليه ومعنى التلاوة
القراءة والاتباع للمتلو ومعنى الاسترجاع التسلي والاقرار بربوبية
الملك لله ومعنى افشا السلام التحية ورفع الاذاية ومعنى تركها على
اهل العناد والكبر والاهوا التاديب والاعزاز للاسلام ولكل واحد
من هذه الاذكار تاثير حسن في القلب عجيب والعبد متقلب طول ليله
ونهاره في الامر او النهي او المباح ويتلون عليه الاذكار ويتلون الاحوال
وفقنا الله واعاننا واياكم لذكره وجعلنا ممن ذكره عنده باطيب ذكر في
الدنيا والاخرة امين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم

فصل واما المقام الثاني من الذكر في مقام الايمان فانه
من لازم انشراح القلب غيب في الجسد والمومنات بها كلها غيب فيتذكر
العبد اذا انظر الى الايمان الذي حصل في باطنه وكيف حببه الله اليه
وصرف عنه الكفر فيهيج في السر ذكر الالا والنعما والمنن وهذا الذكر
يثمر انواع جميع الخيرات في الباطن من الخوف والرجا والشكر والصبر
وحب المولى والاخبات له وغير ذلك من انواع العبادات الباطنة
ثم يجد بعد ذلك ادلة غايب بعد النفس وابليس والملايكة كل نوع اليه
ويذكره بما يليق بكل واحد منهم فيتذكر قلبه الخير والشر فيبصر سبيل الرشد
والغي كما قال تعالى تذكروا فاذا هم مبصرون ثم يتذكر من الغيبيات
بعد ذلك الموت فيذكرها هادم اللذات كما امر النبي صلى الله عليه وسلم
فيورثه ذلك الحزن وتحقير الدنيا في عينه الى غير ذلك من الاحوال الرفيعة
ثم يتذكر القبر واهواله فيثمر له رقة القلب والانابة وغير ذلك ثم النفخ
في الصور واهوال الموقف ومواطن الاخرة من حوض وميزان وصراط وجنة
ونار وحساب وغير ذلك فلا يتريشى من المومنات الا ويرشد ذلك حالا لا

وذكره

وذكره كيف يكون الحال في ذلك الموطن فيثمر له ذكر الاخرة انواعا من
الخيرات لا تحصى وذكر الاخرة ذكر لله لانها افعاله المذكرة به وهذا
الذكر اذا حصل في القلب زالت الغفلة عنه وابتهل اللسان بالذكر
متضرعا الى الله تعالى ان ينجيه مما يخاف في الاخرة وان يوتيه ما يرجى
فيها فليكن هم العبد هذا الذكر فانه اذا حصل في القلب طرد عنه
الغفلة واستقام الذكر الظاهر باللسان عمر الله قلوبنا وقلوبكم بالذكر
النافع وختم لنا ولكم بخير في عافية امين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله
وصحبه وسلم

فصل واما المقام الثالث من الذكر في مقام
الاحسان فهو افراد المذكور جل جلاله وفي اهله ورد الخبر الصحيح روى
ابو هريرة رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في
طريق مكة فمر على جبل يقال له جمدان فقال سيروا هذا جمدان سبق
المفردون قالوا وما المفردون يا رسول الله قال الذاكرون الله كثيرا
وفي رواية اخرى الذين يستهترون بذكر الله يضع الذكر عنهم اثقالهم
وياتون يوم القيامة خفافا وهذا الذكر يجلي القلب ويصفيه وينير
العقل وورد في الخبر ان القلوب تصدا كما يصدا الحديد قيل فما
جلاوها قال ذكر الله ومنه دخل الاكابر الى علوم المشاهدة والاسرار
المكنونة وراء الحجب والاستار وهو على ثلاثة اضرب فاما الضرب
الاول فهو ذكر الله بافعاله كلها وهو اذ يكون في مقام الاحسان العالم
كله فيراه ملكا واحدا للملك واحد فيتذكر العبد بذلك شرف المتعبد
له وقيومته به فاذا راى حدثا ذكره بالقديم وشرف القدم ونزاهته
واذا راى عجزا وضعفا ونقصا في الوجود ذكره بالقوي القادر الكامل
وشرفه ونزاهته واذا راى متحيزا محبوسا في حيز ذكره الموجود الذي
لا يتقيد بالحدود وان راى تواضعا وذلا ذكره بالكبير العزيز وعلى
الاجمال والاختصار فلا يرى شيئا مصنوعا فانيا عن القدرة فيتذكر
منه شرف المذكور ونزاهته عما يلحق الحوادث عليه وشرف فضله وفيض
جوده على جميع الحدثان وهذه اذكار تثمر عجايب العلوم والاسرار

فصل الضرب الثاني من افراد الذكر في مقام الاحسان فهو مقام من الذكر عجيب

ويتذكر العبد ذكر الله له بكل ما ذكره به فيتذكر كيف ذكره سبحانه في نفسه وفي الملا الاعلا بذكره القديم حتى جعله من الذاكرين له والتالين لكتابه ويتذكر كيف ذكره بكل ما وصفه به من الايمان والاسلام حتى جعله من المومنين والمسلمين ولولا ما ذكره بذلك في نفسه بكلامه ما آمن ولا اسلم ولا ذكر وكذلك ذكره بكل ما خوله من رزق او نعمة او شي من امور الدنيا والاخرة في نفسه كما قال لبعض انبيايه اذا اتتك خولة مغوشة فاعلم اني ذكرتك بها فيقول الذاكر في نفسه من انا في كثرة عباد الله ومن لي انا على حقارتي حتى ذكرني في نفسه الاله العظيم القدير بان جعلني من عباده وذكرني بكل شي اجراه علي من انواع الالا والنعم الدينية والدنياوية فهذا ذكر يولد المعرفة والسرور بالمعبود والرجا وغير ذلك مما لا يحصى من مقامات العارفين وكذلك اذا تذكر مخالفاته وان الله قد ذكره بها في نفسه وعلمه مخالفاته تولد عنده خوف الخاتمة والحيا والذل والانكسار والتوبة وغير ذلك فاذا تذكر العبد في هذا المقام كيف ذكره مولاه بجميع ما ذكره به من توفيق لذكره واصطفا بكلامه وكيف جعله من الخاضعين له الراجين في فضله وذكر كل نعمة دينا واخرة ودنيا على جلالة قدره اذ هو رب العالمين وسيد الخلق اجمعين كاد يطير من الفرح والفخر بمولاه سبحانه

والضرب الثالث من ذكر الافراد في مقام الاحسان هو ذكر وجود الباري وحده منفردا وليس وراه مقام من الذكر وهو ذكر الاستيلا والغلبة وذلك ان يشتغل القلب بذكر الله وحده دون غيره حتى يغلب ذكره على ذكر الاشيا وهذا هو معنى قول الله عز وجل اني اذا اطلع على قلب عبد فاجد الغالب عليه ذكري الا كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ورجله التي يمشي عليها ويده الذي يبطش بها وعقله الذي يعقل به ولهذا الحديث لمن ورد كل تا اجعل الهم هما واحدا فكفاه الله كل همهم وكان قرة عينه ومولاه بنفسه وهذا هو الولي حقيقة اعني ولاية الخصوص لان الله تعالى يتولاه فكان الولي به يسمع وبه يبصر وبه يتحرك ويسكن ويتقلب في كل احيانه ومولاهم الذين كان ثواب ذكرهم العلم بالله الذي لا يصفه واصف ولا يكتبه في الاوراق عارف ه

جعلنا الله واياكم من اوليايه في عافية في الدنيا والاخرة بمنه وفضله وصلى الله على سيدنا محمد النبي واله وصحبه وسلم

الشعبة الثامنة والخمسون العلم اما كون العلم من شعب الايمان فبين لا يحتاج الى دليل لان جميع الاعمال الايمانية ظاهرا وباطنا اذا لم تكن بعلم والا فهي باطلة فهو الفرض العام الواجب على كل مسلم قال النبي صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم وفي الصحيح عن معاذ رضي الله عنه تعال بنا نومن ساعة اي نتذاكر علم الايمان فسمى علم التذكر ايمانا والشواهد عليه كثيرة

فصل اعلم ان العلم ينقسم على ثلاثة اقسام قسم ظاهر في مقام الاسلام وعالم الحس وقسم باطن في مقام الايمان وعالم الغيب وقسم في مقام الاحسان وهو العلم بالله فاما القسم الظاهر فهو على ثلاثة اقسام علم بالاوامر الشرعية وعلم بالنواهي الشرعية وعلم بالمباحات الدنياوية ومدارك الحواس الضرورية والضرورية العقلية فاما علم الاوامر فهو علم الفرايض والسنن والفضايل واما علم النهي فهو علم الحرام والكراهة والتنزيه واما علم المباحات فهو العلم بالدنيا واهلها وكيفية اداب المخالطة والاكتساب المعيشة وهذه الاقسام الثلاثة تتعلم من الشرع وطريقها السمع واما مدارك الحواس والعلوم الضرورية فقد اشترك فيها الحيوان العاقل فلا تحتاج الى اكتساب وانما مقصدنا الكلام على الشرعية هنا فقد عم العلم الظواهر كلها فلا يجوز لاحد ان يعمل عملا الا بعلم وقد ورد في الحديث عن سلمان رضي الله عنه انه قيل له قد علمكم نبيكم كل شي حتى الخراة فقال اجل فعلم الامر الظاهر موجود في كتب الفقه كالعلم بالاستنجا والطهارة والصلاة وما يتعلق بها واختلاف انواعها والزكاة وانواعها والصوم وانواعه والحج والجهاد وغير ذلك من الاوامر واما علم النهي فالعلم بالمحرمات كلها على اختلاف انواعها كالعلم بما يفسد الطهارة والصلاة والصوم والحج والزكاة والجهاد والعلم بالحدود والانكحة المحرمة والاشربة المحرمة والاطعمة المحرمة وانواع الربا والاخذ والعطا وغير ذلك وكالعلم بالمكروه كله وذلك كله موجود في

كتب الفقه وأما علم المباح وأمور الدنيا فكالعلم بالنكاح لانه ليس
بواجب عند أكثر العلما والصيد وآداب الاكل والشرب والجماع والمخالطة
كلها ومعرفة الدنيا وابنايها واسبابها وهذا كله مشحون به الكتب
ومن هذه العلوم ما يلزم العبد تعليمه وهو عليه فرض عين ومنها
ما لا يلزمه الا ان شا فاذا انزلت به النازلة طلب علمها وعملها •
بعلم مثال ذلك ان علم الطهارة والصلاة وما اشبه ذلك فرض
عليه بعينه وعلم القضا ليس بواجب عليه فاذا ابتلى بالقضا وجب
عليه ان لا يقضي الا بعلم وهكذا الكل شي فاذا اراد العبد ان لا يتحرك
حركة الا بعلم وجد ذلك في العلم لان العلم واسع جدا مثال ذلك ان
اراد ان يسبح في نهر فيقول هل للسباحة اصل في العلم ام لا فيجدها
منصوصا عليها او مثلا انه يريد ان يمشي في السوق للكسب او للجلوس
او للذكر فيجد لذلك كله اصلا في العلم ومثل انه يريد ان يمزح مع
صاحب او اهله مزاحا حقا يجد ذلك في العلم حتى لو اراد ان يرسل
ولده يلعب او يلعب مع اقرانه بحق لوجد ذلك في العلم قال الله
تعالى ارسله معنا غدا نرتع ونلعب قرئ بالنون وبالبا لكن مع
سعة العلم قد ترك الناس العمل به واثروا العمل بالجهل واصول
العلم ثلاثة والسنة والاجماع وما استنبط من هذه الاصول هو
مردود اليها لان الفروع من الاصل فعليكم باتباع العلم في جميع حركاتكم
وسكناتكم فهو العصمة من الجهل والعار في الدنيا والاخرة من الله
علينا وعليكم باتباعه في الدنيا والاخرة امين **فصل**
واما القسم الثاني من العلم وهو العلم الباطن هو العلم بالنفس •
واخلاقها وخواطرها والعلم بالشيطان وخواطر الملك وخواطر
وما يفسد الاعمال والعقايد والقلوب من ريا وعجب وغير ذلك من
الصفات المهلكات وما يصلحها من نية واخلاص وغير ذلك من الصفات
المنجيات وهذا العلم واجب على كل مسلم وفرض عليه فرض عين فان العلم
بالشيطان والملك مثلا ان لم ياخذ علم ذلك من الشرع ويعتقد فيهم
ما امر به الشرع والا ضل ان اعتقد مذاهب الملحدة التي تعتقد

في

في الجن انها اخلاط السودا وغير ذلك من المعاني وانها ليست باشخاص
سوى صفات الانس وكذلك الملايكة يعتقدون انها القوى والنفو
الحيوانية والعقول الانسانية وكذلك امور الاخرة كلها من امر الموت
وما بعده من برزخ وسوال قبر ونعيمه وعذابه وبعث ونشر وسوال
وميزان وحوض وصراط وجنة ونار وجميع امور الاخرة الواجب على
العبد المومن ان يتعلم ذلك ويأخذ علمه من الكتاب والسنة ولا ياخذ
علمه من آرا الملحدة الذين يرون ان الموت انما هو انحلال تركيب الجسد
فقط ولا يرون عذاب القبر ولا نعيمه ولا ينكرون بعث الاجساد
والجنة والنار يرونهما هاهنا فقط وغير ذلك من امور الاخرة فضلوا عن
العلم كما قال الله تعالى وان كثيرا ليضلون باهوايهم بغير علم •
فواجب على العبد ان يغرس في باطنه علم الايمان ويتعلم ما يجيب به
الملكين ويغرس في نفسه ويتعلم امور الاخرة ويفكر فيها حتى يحصل
له العلم واليقين بها قال النبي صلى الله عليه وسلم تعلموا اليقين
فاني اتعلمه والخواطر تنظر على القلوب اسرع من طرفة عين •
وما نعلم ثبات القلب وصلاحه نسال الله في كل وقت الثبات على
العلم النبوي وان لا يضلنا عنه الا نسمع الى قول الراسخين ربنا
لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا والهدى هو العلم قال النبي صلى الله
عليه وسلم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك هل يساله الا •
الثبات على علم الدين الذي جابه وارسله به وهداه اليه فاذا
ثبت هذا علمت ان القلب لا يستغني عن العلم طرفة عين لان كل
شي يخطر عليه وفيه يجب عرضه على العلم النبوي فيتصور القلب
كما امره العلم النبوي فهذا هو الفرض الواجب تعليمه فاذا العقل
قايده الشرع في امور الاخرة لا يستغني بنفسه عنه ثم بعد ذلك
ينظر العقل ويفكر في امور الاخرة ويطلب علمها والعمل به ويعد
ايثاره لعلم الاخرة واشتغاله به يكون من علما الاخرة الممدوحين
فالعقل يومن بما اخبر به العلم النبوي لانه من مجوزات العقول
السليمة فالعقل يجيزه ولا يحيله ويحيل ما امره العلم النبوي ان

تخيله في عالم الغيب ايضا ونوحي ما اوحيه وتخيل ما احاله وهذه
المدارك الثلاثة هي مدارك العقل وعلومه لا يردها الا المفتونون
بالحمق القائلون في الآخرة لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير
فقولهم لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير اي لو كنا نومن ونصدق
وقولهم او نعقل اي نعقل علم الشرع الذي امرنا به في الدنيا فلم نعقله
بل رددناه قال الله تعالى وما يعقلها الا العالمون وقد كانوا في
ظاهر الدنيا عقلا عقلا العقل المشترك لكن العقل العلمي المكتسب
من الانبيا لم يكن عندهم منه شيء فكانوا كما قال الله تعالى ام تحسب ان
اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام ثم حطهم عن رتبة الانعام
فقال بل هم اضل سبيلا **فصل** واما القسم الثالث من
العلم في مقام الاحسان فهو العلم بالله تعالى الذي لا تدركه الحواس وطريقه
السمع والعقل عند اكثر العلما وعند طايفة منهم العمل بالعلم طريق
الى العلم فمداركنا العقل والشرع معا العلمية ثلاثة معرفة ما يجب
لله سبحانه ومعرفة ما يجوز عليه ومعرفة ما يستحيل عليه فالذي يجب له
الوجود الثابت الذي لا بداية له والبقا الدايم ازلا وابدا والكمال
المتنزه بالصفات الكاملة فهذه الثلاثة واجبة له عقلا وشرعا فاما
وجوب الوجود الثابت عقلا فان نفعلا لا يستغني عن فاعل وقد وجدت
الافعال ضرورة فوجب وجود الفاعل عقلا ضرورة واما وجوبه شرعا
فقوله آمنوا بالله فاوجب الايمان بوجوده ثم امر بالنظر والاعتبار في
غرايبه لنعلم ما اردنا امرنا بالايمان به واما وجوب البقا له عقلا ازلا
وابدا فبطلان التسلسل في العقل فانه لو كان محدثا لوجب افتقاره
الى فاعل وهكذا ابدا يتسلسل حتى ينتهي العقل الى قديم واجب له القدم
ضرورة واذا ثبت قدمه استحال عدمه واما وجوب ذلك شرعا فقوله
تعالى كل شيء هالك الا وجهه اي ازلا وابدا وقوله تعالى هو الاول
والآخر وقوله كل من عليها فان ويبقى وجه ربك وغير ذلك واما وجوب
الكمال له عقلا بالصفات الكاملة فقيام الدليل بانه واحد ولو كان
اثنين لم يصح منهما وجود الافعال فلا بد ان يكون واحدا وقيام الدليل

على

على علمه وقدرته لوجود اتقان صنعته واستحالة وجودها من عاجز وغير
عالم وكذلك ساير صفاته واما وجوب ذلك شرعا فقوله عز وجل والهكم
اله واحد ولو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا والله بكل شيء عليم والله على
كل شيء قدير وغير ذلك من آيات الصفات والاحاديث الواردة في اسمايه
وصفاته واما معرفة ما يجوز له سبحانه فثلاثة وهي ايجاد العالم
بعد العدم واعدامه بعد الوجود واعادته بعد العدم او ترك ايجاده
واعادته واما جواز ذلك في العقل فقيام الدليل على حدث العالم بعد
عدمه وكما اوجده بعد عدمه فكذلك يعدمه ان شا لان وجوده ليس
بواجب لنفسه بل بغيره فاذا اعدمه ان شا فيعيده ان شا كما اوجده
بعد العدم اولا واما اخبار الشرع عن جواز ذلك فقول الله تبارك وتعالى
الله يبدا الخلق ثم يعيده وهو الذي يبدو الخلق ثم يعيده وهو اهون
عليه وكل من عليها فان وان الله يفعل ما يشا ويريد وغير ذلك من
الاخبار الشرعية عن احوال العالم والباري سبحانه قادر لا يعجزه شي
واما معرفة ما يستحيل عليه جل جلاله فثلاثة اشيا العدم
والمثل والتناقص فاما استحالة عدمه اولا وآخرا في العقل فلو لم
يكن الفاعل لم يكن فعل وقد وجدت الافعال فاستحال عدم الفاعل
كذلك يستحيل عدمه في المستقبل لاستحالة عدم القديم ودليله
من الشرع قوله عز وجل ام خلقوا من غير شي اي من غير خالق وغير ذلك
واما استحالة مماثلته للاشيا من العقل فانه لو كان مثلها لوجب له
ما يجب لها وجاز عليه ما يجوز عليها وفي ذلك بطلان الحقايق
في انقلاب الواجب جايزا والجايز مستحيلا ومن الشرع قوله تعالى ليس
كمثله شي ولم يكن له كفوا احد وغير ذلك واما استحالة التناقص عليه
من العقل فانه لو كان ناقصا للزمته الآفات ولم يجب له التقديس
والتنزيه والاله لا يكون موصوفا ناقصا ودليله من الشرع قوله عز
سبحان ربك رب العزة عما يصفون وما ربك بغافل ولا يعزب
عنه مثقال ذرة وغير ذلك **فصل** واعلم ان العقل اشرف
موجود وبه تكتسب الفضايل بتوفيق الله تعالى ورحمته وله طرق

مطلب العقل واعوانه

الى العلوم واعوان لا تستغني عنها في طرقه واعوانه الحواس الخمس التي هي السمع المدرك للاصوات على اختلافها والبصر المدرك للالوان وسطوح الاجسام وهيأتها واللمس المدرك للملموسات وانواعها والذوق المدرك للطعوم وانواعها والشم المدرك للروايح وانواعها فهذه اعوانه في الظاهر التي يقتنص بها الفوايد وله في الباطن اعوان اخر فمنها القوة المتخيلة وهي التي تنطبع فيها امثلة الصور المحسوسة المدركة بالحواس المتقدمة الذكر ومنها القوة الحافظة التي تحفظ وتحصي ما يدرك العبد من العلوم السمعية والصور المرئية المحفوظة وهي التي آفتها النسيان ومنها القوة الذاكرة التي يتذكر العبد بها ما حفظ وتخيل فيشاهده كما قيل اذكر غايبا تره . ولولا الذكر ما شاهدنا ولا اداه ومنها القوة الظنية الوهمية المتصرفة في الجسمانيات المحاليات وبعض الممكنات واكثرها كذب كما ورد في الخبر الظن اكذب الحديث ومنها القوة الفكرية الجائلة في المعقولات ومدارك هذه القوى المتقدمة كلها فتميز بين الواجب والجائز والمستحيل فيعدو عن ذلك القوة الايمانية المصدقة بالغايبات المخبر عنها او المكذبة الجاحدة فاذا نظر العقل بحواسه في المحسوسات علم ان ربه سبحانه ليس من قبيل المحسوسات ولا يدرك بالحواس وكذلك ينظر في القوة المتخيلة فيعلم انه ليس من قبيل المتخيلات ولا يدرك بالخيال لان المتخيل انما هو صورة المحسوس وكذلك ينظر في القوة الحافظة فيعلم ان ربه سبحانه لا يحصى ولا يحاط به منضبطا ويجزم كسائر المحفوظات المرسومات وكذلك يتذكر ما حفظ وتخيل ورأى فيعلم انه ليس من قبيل ما تذكر وعهد من المعهودات وكذلك ينظر في الوهمية الظنية فيعلم انه ليس من قبيل المتوهمات وينظر بالفكرية فيمحو كل شكل يتشكل ويستدل على ربه عز وجل ويعلم انه مخالف لجميع المدركات فيصدق بالقوة الايمانية انه موجود ليس كالموجودات ويجحد بالمكذبة ان يكون مثل شي من المحدثات فاوجب لله ما يجب ويجوز عليه ما يجوز واحال عليه ما يستحيل وله في كل قوة منها فايدة عظيمة من حيث ينفي عن الله تعالى انه ليس

متوهما

متوهما ولا محسوسا ولا متخيلا ولا محفوظا محاطا به الى امثال ذلك واما طريق العمل فان طايفة من خيار العلما تقول ان من عمل بالعلم واخلص علمه الله تعالى من لدنه علما وله دلايل منها القران والسنة قال الله تعالى ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا وفي الخبر من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم الا انه لا بد لصاحب هذا المقام ان يورد ذلك على ادلة الكتاب والسنة فان كان مما يجب او يجوز على الله تعالى قبله وصدق به وان كان مما يستحيل عليه نفاه وجحده من الله علينا وعليكم بتوفيقه وهدايته وايدنا واياكم بروح متصل الامداد من عنده في الدنيا والاخرة بمنه وفضله وكرمه والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم

الشعبة التاسعة والخمسون

اليقين اما كون اليقين من الايمان فبين لان الايمان لا يثبت الا به فانه حقيقة الايمان واساسه وقال النبي صلى الله عليه وسلم لابي هريرة رضي الله عنه اذهب بنعلي هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحايط يشهد ان لا اله الا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة فذكر يقين القلب في الايمان وقال علي رضي الله عنه الايمان على اربع دعايم الصبر واليقين والعدل والجهاد فجعله دعامة للايمان به يثبت ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه اليقين الايمان كله لان بثباته يثبت الايمان وبزواله يزول الايمان وبه يطمين القلب ويسكن قال الله تعالى لابرهيم عليه السلام اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمين قلبي واليقين هو المطالعة والمعاينة وان غيب قلت المكاشفة والمشاهدة للشي المصدق به وهو على ثلثة اضرب ضرب في عالم الحس ومقام الاسلام وضرب في عالم الغيب ومقام الايمان وضرب في عالم الغيب ومقام الاحسان فاما الضرب الاول فهو اليقين بالانبيا والرسل عليهم السلام وما جاءت به من الشرايع الاسلامية فانهم شرعوا الشرايع في عالم الحس كما اخبروا عن الغيب وهم ظاهرون مع الخلق ولا يثبت الايمان الا باليقين بانهم انبيا

مطلب معنى اليقين

غيب صح

مطلب طريق اليقين بالانبيا

فصل

اعلم ان طريق اليقين بهم على ضربين احدهما

بيقين التواتر والثاني بيقين المعجزة اما التواتر فقد تواتر بنقل الكافة
عن الكافة وجود الانبيا في الدنيا فلا يشك احد ان نبينا محمدا صلى الله
عليه وسلم بعث بمكة وهاجر الى المدينة ومات بها وانه المدفون بالمدينة
المزور الآن قبره بالمدينة وكذلك ساير الانبيا عليهم السلام المتقدمين
قبله فان لم تشاهد قبورهم فقد تواتر بنقل الامم من اليهود والنصارى
وغيرهم انهم بعثوا في الدنيا الى الخلق كنوح وهود وشعيب وموسى
وعيسى عليهم السلام كالتواتر بوجود مكة وبرها والعراق والشام
وغير ذلك وان لم يدخلها الانسان ولا شاهدها بل اليقين بذلك
بتواتر النقل عن وجودها فكذلك يوقن بتواتر النقل عن وجود الانبيا
عليهم السلام وبعثهم الى الامم واما يقين المعجزة فانهم لما طولبوا
بيقين ما اتوا به وادعوه من الانبا اتوا بالمعجزات الخارقة للعادات
ظاهرا للحس فحصل اليقين بهم من جهة المعجزة انهم انبيا مرسلون فاذا
ثبت انهم انبيا مرسلون وجب اتباعهم في الشرايع الاسلامية وغيرها
والعمل بذلك على اليقين فمن حصل له اليقين بوجودهم ومعجزاتهم
ثبت له اذا الاسلام حتى بلا شك فهو يعمل على بينة وبصيرة اي
يعمل على يقين بالمعبود وانه يثاب على اعمال الاسلام وعلى ترك
المنهيات وان لم يعمل ويترك على يقين لم يصح منه ذلك وكذلك ساير
المباحات الدنياوية لا يثاب على كل شي ينوي بها الصلاح ان لم
يكن موقنا فقد تبين ان اليقين داخل في الامور الشرعية كلها
المتعبد بها الانسان **فصل** واما الضرب الثاني من اليقين
في مقام الايمان وعالم الغيب فانه اليقين بالدار الاخرة قال الله
جل جلاله وبالاخرة هم يوقنون وهو مقام عزيز وهو على درجات
واقل درجة منه ما ثبت به الايمان واطمان به القلب وذلك ان
الانبيا لما ثبتت نبوتهم بالمعجزات الخارقة للعادات علمت العقول
بالبراهين القاطعة الضرورية انهم صادقون في كل ما اخبروا به غيبا
كان او شهادة وتبرهن عند العقول انهم لا يكذبون ولا يجوز عليهم
الكذب فكلما اخبروا عنه فهو كما اخبروا من غير زيادة ولا نقصان

لانهم

لانهم عن الله اخبروا ومن اصدق من الله حديثا فايقنت القلوب
بكل ما اخبروا به من امور الغيب وانتفى عنها الريب كما انتفى الريب
في انهم انبيا ام لا لان النبي انما معناه الخبير والمخبر فانه يخبر العبيد
بالغيبيات التي اطلع عليها فلولا ذلك ما نبي ولا سمي نبيا لانه
لم يكن نبيا بنفسه فان احدا لا يشك ان النبي انسان وانما كان نبيا
بالخبر فاليقين بالحقيقة انما وقع بالخبر الذي اتى به النبي والشرع
الذي شرع ومن شرع الانبيا الاخبار عن الغيوب فقد حصل بحمد
الله اليقين بالانبيا من هذا الوجه وثبت به الايمان لكل مومن
والحمد لله وهو اول درجة اليقين ووراه درجات من علم اليقين
بها يتفاضل الموقنون كما ورد في الخبر ليس المخبر كالمعاين وكما قال
الموقن لو كشف الغطا ما ازددت يقينا وكما قال عمر بن الخطاب رضي
الله عنه في صفة الموقن انه ينظر الى الاخرة من ورا ستر رقيق وانما
يوصل الى هذا المقام بكثرة ترداد الفكر والنظر في امور الاخرة
والتفهم لكتاب الله عز وجل الذي هو اليقين واخبار الرسول صلى
الله عليه وسلم التي هي وحي قال الله تعالى انه لقول رسول كريم
وما هو بقول شاعر الى قوله وانه لتذكرة للمتقين الى قوله وانه لحق
اليقين فاعلم ان القران هو حق اليقين فالحق هو اليقين اي
اذا تحققت الشي على ما هو به فقد ايقنت به كما قال الله تعالى في
الذاريات فورب السما والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون وقال
تعالى في سورة النور يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون ان الله هو
الحق المبين اي يوقنون ان الله حق اذا انكشف الغطا وراوا
ان القوة لله جميعا وبذلك سميت القيمة الحاقة لانها تحقق
الاشيا الغايبة عند منصرها اذا قامت فلا يشك في شي منها
فعلم اليقين موجود في القران والسنة فاذا قرا التالي الاية
من القران والحديث من السنة وتفهم ما اخبرت به لاحت له دلايل
علم الاخرة وحصل له اليقين قال الله تعالى لو تعلمون علم اليقين
لترون الجحيم وهذا المقام الثاني فيه على حالين من الكشف كشف

على ما خوذ من الكتاب والسنة وبراهين العقل المكتسب من الانبيا
وكشف اخر من قبيل الرويا مخصوص به اهل الكشوفات وذلك من نوع
كشف مريم ابنة عمران عليها السلام حين رات الملك فتمثل لها بشرا
سويا ولم تكن نبية ولا رسولا لان المراة لا تكون اماما ومن قبيل
قول الصحابي يوم احد وهو انس بن النضر عم انس رضي الله عنهما حين لقي
سعد بن معاذ فقال له الى اين يا سعد اني اجد ريح الجنة دون احد
فهذا عبد اخبر عن وجده حين كشف له عن الاخرة فوجد ريحها كما وجد
يعقوب ريح يوسف عليهما السلام على مسافة بعيدة وامثال هذا من
اخبار المكاشفين الموقنين يطول ذكرها وقد راى النبي صلى الله
عليه وسلم الجنة والنار في عرض الحائط وقال الجنة اقرب الى احدكم
من شسع نعله والنار كذلك وكما ينظر الميت الى الاخرة والاملاك حوله
ولم يزل عن مكانه والناس حوله جلوس لا يرون ما يرى حين كشف له
الغطا فاذا الاخرة غيب في باطن الدنيا كما النفس غيب في باطن الجسد
وكما نعلم يقينا ان النفس تحرك الجسد وتظهر اسرارها فيه وعليه لانه
ملكها فكذلك الاخرة روح الدنيا في المحركة لها والقائمة لها فيها ٠
تظهر اسرارها واحكامها فاذا نظر الناظر وفكر في الايات والاحاديث
واشتغل بالفكر والاقبال على الاخرة فراها غيبا في الدنيا كما ينظر
الى نفسه وهي غيب في الجسد فيوقن بها فعليك بطلب علم اليقين ٠
جعلنا الله واياكم من الموقنين اهل السعادة في الدنيا والاخرة امين

فصل واما الضرب الثالث من اليقين في مقام الاحسان
فهو اليقين بالله جل جلاله والناس فيه درجات على قدر نفوذ بصايرهم
في مقامات المشاهدة فاول درجة منه ما ثبت به الايمان وانتفى به
الريب وبعده ما يقوى به الايمان من البراهين العقلية النظرية
وبعده ما ينزل من السكينة في قلوب المومنين وهو مزيد من الله لمن يشا
من عباده وكشف لبصاير الموقنين فينظرون اليه في ملكوت الغيب
بنوره الذي به ظهر كل موجود قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله
سبحانه خلق الخلق في ظلمة ثم القى عليهم من نوره فمن اصابه من ذلك

النور

النور اهتدى ومن اخطاه ضل فتفاوت الموقنين والمبصرين على
قدر ما اصابهم من النور وكشف لهم منه قال الله عز وجل ومن اياته
الليل والنهار والشمس والقمر فالليل ظلمة به تخفى الاشيا ولا
تظهر فتنعدم عن الابصار فهو دليل على العدم وعلى الالهة الباطلة
فقد دل الليل على وجود الباري كما دل النور الذي هو النهار والشمس
والقمر مثال ذلك ان الليل يعدم الاشيا من الابصار ويخفيها وينام
الخلق فيه ولا يبقى لهم حس فيقول لو كان الاله عدما وباطلا لم
يوجد فعل ولا موجود لانه لا ظلمة احق من العدم والعدم ليس بشي
فكيف يوجد شيا وقد ظهرت الاشيا ووجدت فعلم ان الصانع لها
موجود حق فقد دل الظلام على وجوده سبحانه دلالة قطعية واما
النهار والانوار ففي اجلا واوضح وذلك ان النهار الذي هو الضيا
به تظهر الاشيا وتتبين وترى لان الضيا على سطوح المبصرات هو
تجليها وهو متصل بالابصار المبصرة للالوان وصور الاشيا وذلك
الضيا فايض عن قرص الشمس فان القرص سبب له فلولا النور لم تظهر
الاشيا فالنور موثر في ظهور الوجود وغاية وضوحه وبه ظهرت
الاشيا كلها كما تقدم الله نور السموات والارض به ظهرت الاشيا
ووجدت ولو لم يكن موجودا لما ظهرت ابدا ولا وجدت فلو قدر عدمه
وغيبته عن الوجود طرفة عين لانعدم الوجود بالجملة في تلك الطرفة
ولم يكن ابدا كما لو قدرت كسوفا عظيما ياتي بغتة فيكسف الشمس
كلها ولا يبقى شيا من النيران لما ظهر شي من الاشيا ولانعدمت كلها
من الابصار فبالحقيقة انما يرى على الاشيا النور الذي يظهرها
وكذلك بالحقيقة لا ترى العقول في الوجود الا نور الانوار الذي
به ظهرت الاشيا كلها وبه ترى الاشيا وتبصر والاشيا كلها اظلام
لا من شي ليس من طبعها ووضعها ظهور بنفسها وطبعها الرجوع الى
اللاشي والعدم الذي هو اصلها ووجود الباري وكونه وارادته
يمنعها من اللاشي ويظهرها بكونه موجودا فهو الظاهر حقيقة
وكل شي ما خلا الله باطل وقد اخبر الله عن راس الموقنين واما مه

المشاهدين ابرهيم الخليل صلى الله عليه وسلم فقال لابيه يا ابت اني
اراك وقومك في ضلال مبين وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات
والارض وليكون من الموقنين ثم اخبر عن مشاهدته وسداد نظره ومكاشفته
فقال جل وعلا فلما جن عليه الليل راي كوكبا قال هذا ربي فلما افل
اي غاب وذهب قال لا احب الافلين ثم كذلك في القمر والشمس ثم كذلك
في جميع المنظورات فقال وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض
حنيفا وما انا من المشركين به شيئا من الاشيا كلها لانها افلة زايلة
ذاهبة اذ لا ولا ابدا او اعنا وجهت وجهي للفاطر لها من العدم الذي هو
اصلها وليس بمفطور ولا افل فلم يغب عن الوجود ازلا ولا يغيب ابدا
فملكوت السموات والارض الذي اراه سبحانه هو رؤيته عليه السلام
ملكه سبحانه للاشيا وكيف قامت به لا بانفسها فلم يبدع ملكوت
السموات والارض كل شي فالكل يبدع بزمه وينطق ويجيد مالكه
وهي صنعته للاشيا بالقدرة فكان عليه السلام يرى الصانع في الصنعة
ظاهرة به لا بنفسها وتقول العرب ملكت العجين املكه ملكا اذا احدث
عجنه وصنعه عجينه فملكوت الله للاشيا هو صنعه لها وكيفية قيامها
بها بالصنعة والايجاد والانشا واظهاره لها به لا بانفسها فهذه
مكاشفة الموقنين ومشاهدة الموحدين وهم فيها درجات على قدر
ما قسم لهم من ظهور النور المبين لا يرى سبحانه الا بنوره ولا يشهد
الا بكونه فانظر الى امام المحترسين الخليل عليه السلام كيف سلك
هذا المسلك بنظره القويم فلم ينظر اولا الى الكوكب ولم ينظر الى غيره
من الاشيا المجسمة غيره وان كبرت في عينه لان الكوكب يظهرها بنوره
وهو اوضح وجودا امنا لان الوجود هو الظهور والنور اشد ظهورا
من غيره من الاجساد فهو ظاهر بنفسه وظهر به غيره ثم لما افل انف
منه وارتقى الى القمر الذي هو اشد ظهورا منه ثم الى الشمس التي هي اكمل
نورا ثم لما راي الافول والتغيير لازما للكل تبرا من الكل وتوجه
بنظره الى الذي لم يافل ولا يافل ابدا **فصل** اذا
فهمت ما تقدم وتحققت فاعرف ان تلاوة كلام الله الذي انزله

الي صدرك حتى حفظته وانطق به لسانك واعلم كيف تتلوا فانه هو الذي
يلقي التلاوة في قلبك وينطق به لسانك فكلامه في قلبك ولسانك
وهو اقرب اليك منك فاستمع لما يوحى اليك وانما سمي العبد تاليا وكانت
بلسان العرب هو التابع فسمي القاري تاليا لانه تال اي تابع اي
يتلو بعد ان التي المتلو عليه وهو المحرك لسان عبده بالتلاوة
فاذا كان هو المخاطب لك وانت مناج له في مقام المناجاة والمحادثة
فاجعل حينئذ المخلوق من الجبلات والطبايع الاربع بمنزلة الجبل
وباطنه الحقيقي الشرعي الخواني الوادي الايمن والوادي في لسان
العرب ما انخفض من الارض وهو من جانب الباطن الايمن اصحاب اليمين
ما اصحاب اليمين وهو محل الايمان والحكمة يمانية والايمان يماني
واصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة والسموات مطويات بيمينه وفيه
البقعة المباركة الحافظة للكتاب المبارك وهذا كتاب انزلناه
مبارك وبه كانت مباركة من الشجرة وهي في هذا الاعتبار شجرة التوحيد
في هذا المقام برؤية كل شي من الله وبالله وهي الكلمة الطيبة التي
اصلها ثابت اي راسخ في سر السر وفرعها في السما اليه يصعد الكلم
الطيب فاجعل لسانك من ورايك وفي قلبك واتل ما اوحي اليك
من كتاب ربك واستمع لما يوحى اليك فستنادى وتغشاك من نور المتجلي
لك في كلامه وتغشاك من شهاب قبس ضيايه ما يوضح لك الحق المبين
وقال جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه والله لقد تجلى الله لخلقه
في كلامه ولكن اكثرهم لا يعلمون او كما قال وقال عز وجل لو انزلنا هذا
القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله ثم قال عز وجل
وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون وهذان الطريقان
اللذان هما النظر المتقدم وسماع كلام الله هما طريق اليقين وفيهما
يوجد الحق المبين وباليقين تفاضل الناس وهو اعز ما نزل من السما
وقد نطر اعلام القدرة وتخرق العوايد لمن اريد به ظاهرها فيه
مشوا على الما وفي الهوا وذلت لهم السباع والهوام وراوا الايات
وعجايب الكشف والكرامات ويعبر عن حال مكاشفة اليقين بالسبات

في معنى التلاوة

وهي حالة بين النوم عن الدنيا واليقظة بالآخرة والنائم في الدنيا
نيام ما لا اقبال عليها فاذا ماتوا اعتبها بالموت او الانقطاع الى الله
والدار الآخرة انتبهوا وهم فيها في حالة بين حالتين وتحسبهم ايقاظا
فيها وهم رقود عنها فالمكاشفة ابدا باليقين حالة اهلها كالسنة
بين النوم واليقظة وقال الله تعالى الذين امنوا وكانوا يتقون
لهم البشرى والفرقان الذي هو جز الا لتقول منا البشر والبشرى
هي الرؤيا الصالحة والرؤيا على ضربين رؤيا النوم المعهود ورؤيا
المكاشفة قال النبي صلى الله عليه وسلم لم يبق بعدي من النبوة الا
المبشرات وقد قال الله تعالى في مشاهدة النبي صلى الله عليه وسلم
ومكاشفته للغيوب ليلة الاسرا وما جعلنا الرؤيا التي اريناك
الا فتنة للناس فسماها رؤيا قال ابن عباس رضي الله عنه هي رؤيا
عين اريها النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاسرا وذكر النبي صلى الله عليه
وسلم حديث الاسرا وما راى الى اخره ثم قال ثم نزلت فاستيقظت فاذا
انا بمكة فذكر في الصحيح انه نزل من مقام العلو الذي رقا اليه بالمعراج
وغيره وانه استيقظ حين شاهد هذا العالم لانه قد كان نام عنه بالخروج
عنه والاقبال على غيره وروى مسلم والبخاري ايضا عن مالك بن ابي
صعصعة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم بينا انا عند البيت وقال
في الحطيم بين النائم واليقظان اذ جاءني ثلاثة نفر فعبر عن حالة
بين حالتين وهو الشبات الذي هو كالسنة فان المفكر والناظر
في الفرق بين العالم الفاني والباقي والدنيا والآخرة حالته حالة
بين حالتين فاذا فهمت هذا لم يشكل عليك شي من امر المكاشفة وخرق
العوائد لانهما من عالم الملكوت المتصل بعالم الملك والنائم في الكشف
على انواع شتى بكل مكاشف ومنادى بما اريد به قال الجنيد رحمه الله
تمشي قوم باليقين على الما ومات اخرون بالعطش وهم ارجح منهم يقينا
رزقنا الله واياكم مسرة الموقنين وجعلنا من اهل اليقين التام
في عافية كاملة من جميع المحن في الدنيا والآخرة بمنه وكرمه امين

الشعبة الموفية ستين كراهة الكفر

وهو

وهو والايمان بالله قرينان لا يفترقان فاما دليل كونه من الايمان ففي
قال الله تعالى حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر
وقال تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى
فقرنه بالايمان معا اذ هما لا يفترقان وفي الصحيح عن انس بن مالك
رضي الله عنه ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان من كان الله ورسوله
احب اليه مما سواهما ومن احب عبدا لا يحبه الا لله ومن يكره ان يعود في
الكفر بعد ان انقذه الله منه كما يكره ان يلقى في النار فذكر ان هذه
الشعبة التي هي كراهة العود في الكفر بها توجد حلاوة الايمان
التي هي اعلا المقامات

فصل

اعلم ان الكفر على ضربين
كفر هو الجحود والشرك وكفر هو كفر النعم وفي الحديث الصحيح في صفة النسا
يكفرن الاحسان ويكفرن العشير وقال تعالى الم تر الى الذين بدلوا نعمة
الله كفرا فاذا فهمت هذا فاعلم ان كراهة الكفر على ثلاثة اضرب ضرب
في مقام الاسلام وضرب في مقام الايمان وضرب في مقام الاحسان ولما
كانت نعم الله سبحانه قد شملت الوجود كله ظاهرا وباطنا كما قال تعالى
واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة والباري سبحانه وتعالى هو المنعم بها
وهو الحق المبين الموجود الذي لا بد منه ولا غنى عنه وجب ان لا يكفر
به ولا يجحد وجوده ولا تكفر نعمه ظاهرا وباطنا فاما الضرب الاول
في مقام الاسلام فالواجب على العبد ان يكفر بكل ما يدعي من دونه من اله
وان يكره ذلك ويكره العود والدخول في ذلك كله اين كان وممن كان
واذا تلبس بافعال الطاعة لله كره ان يضيف شيا منها الى غير الله تعالى
وان يشرك فيها غيره ويكره العصيان والمخالفات لله فان ذلك كفر
للنعم وقال النبي صلى الله عليه وسلم سباب المسلم فسوق وقتاله كفر وقال
تعالى وكره اليكم الكفر والفسوق الاية وكذلك يكره ان يضيف شيا من
نعم الله الظاهرة الى غير الله فان ذلك من دقايق الشرك بل يرى كل شي من
الله وقلبه مطمين اليه ولسانه شاكر له غير كافر واذا تلبس بالمباحات
والمكتسبات فلا يريدها لغير الله ولا يطغى بها ويستكثر ويكره ذلك كله
فانه من كفر النعم ودقايق الشرك فقد عم كراهة الكفر والعود فيه جميع

الظواهر كلها جليلها ودقيقها وكذلك يكره كلام الملحدة والحلولية ومنهم
والاخذ في شراسلتهم بالاذلال والتأنيس فان ذلك كله يأتي الى ○
الكفر قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى
اولياء وقال تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء وانما امر بالكراهة
لمذاهبهم في هذه الايات واذا كره العبد كل كفر في بلاد الكفرة كلها
وهو في موضعه جالس وود ان ذلك كله عاد ايمانا بالله حتى لا يوجد
كفر به اوجر على ذلك وكان من اكبر الحسنات كما ان لو احب ذلك واستحسنه
لكان كفرا فالواجب على العبد ان يكره كل شرك في الوجود وان يكره ○
العود فيه بلسانه وقلبه وجوارحه كما يكره ان يلقى في النار عصمنا الله
واياكم من جميع انواع الكفر ومن النار في كل حال من احوال الدنيا والاخرة
امين **فصل** واما الضرب الثاني من هذا المقام في
مقام الايمان فان الاخرة غيب وقلب العبد محل الايمان وهو غيب
ايضا وقد امر العبد بالايمان بالاخرة وترك الكفر بها والكراهة من
وضعف القلب فيكره الكفر بشيء من امور الدنيا الاخرة والشك في شيء
منها ولا يلتفت الى الخواطر الردية الدالة على الشك والكفر بالاخرة
فانها ترد على القلوب فتنة واختبارا ثم تزول فيعرض عنها ولا يقبلها ويكره
ذلك ويتبرأ منه ويطمئن قلبه الى ضدها فبذلك توجد حلاوة
الايمان وطمأنينته الامن من حزازات الشكوك والكفر ويكره ان يعتقد في
الموت وما بعده من قبر وبرزخ وحشر وميزان وصراط وسؤال وجنة
ونار وغير ذلك من امور الاخرة مذاهب الملحدة وان يجحد شيئا من ذلك
فيكون مؤمنا كما امر **فصل** واما الضرب الثالث من هذا
المقام في مقام الاحسان فهو كراهة الكفر به في غيب الغيب فان الخواطر
طارية على القلوب اختبارا الا ترى الى كراهة النبي صلى الله عليه
وسلم الكفر في هذا المقام واستغاثته الى الله تعالى بالدعا فقال
يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك حين شاهد الوجود كله بين
الاصبعين يقلبه كيف شاء فهو اعظم الناس كراهة للكفر وهو سيد
الاولين والاخرين وكذلك الراسخون في العلم حيث قالوا ربنا

لا

لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا لما كرهت قلوبهم الزيغ استغاثوا الى الله
في صرفه عنها حين شاهدوا من مقام الاحسان تصريفه للوجود كله ○
وتقليبه اياه وكراهة ذلك يدل على امر عظيم وهو اغتباطهم بالله الذي
لا مثل له وبدينه الذي لا دين احسن منه فعلى قدر ما يكون الشيء نفيسا
يكون الاغتباط به وكراهة الزوال عنه في الحال وفي المآل ولذلك
كره المؤمنون الكفر في الحال وفي الخاتمة قبل حلولها واستغاثوا الى
الله في سؤال الثبات حالا ومآلا عند الخاتمة فدل ذلك على عظيم
كراهتهم للكفر بالله واغتباطهم بمولاهم وكذلك ينبغي للعبد ان يكره
ويرد ما يرد على القلوب والعقول من خواطر التشبيه والتجسيم ويود
ان لو قدر ان يصف ربه سبحانه وينزهه كما وصف هو نفسه ونزهه
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه حين سألوه عما يكرهون
مما يجدون في نفوسهم مما يرد عليها اخبارا من الله ومنا لعدوهم فقال
او قد وجدتموه ذلك محض الايمان الحمد لله الذي رد كيده الى الوسوسة
فجعل كراهية ذلك كله محض الايمان ولا سيما وقد صح في العقول
وثبت ان من كفر بالله فقد خسر خسرانا لا يدرك خسر نفسه والجنة وعباد
الله المؤمنين واعظم من ذلك كله خسر ربه وحق عليه العذاب الابد
والنكال المؤبد فينبغي ان يكره الكفر ويستغاث الى الله في كل حين في
صرفه عنه اذ يصرفه عن العبد ولا يوقعه فيه ابدا حالا ومآلا لانه
اذ ينصرف عن جوار السيد العظيم الذي لا مثل له ولا يقدر احد
قدره ولا يصف الواصفون اجمعون ولو خلدوا ابد الابدين
مقدار ذرة مما هو عليه ربنا جل جلاله من شرف القدر ونزاهة
النفس فكيف لا يغتبط به سبحانه وهو على ما هو عليه ولولا فضل
الله ورحمته وحنانه وكرمه ما استحق بشر من الابصار المخلوقة
ان يمتد الى النظر الى حضرة جلاله ولا يتنعم في حسن جماله صيانة
لذلك الكمال الارفع واكراما لذلك الجمال الذي حاز المحاسن اجمع
وقال بعضهم في مجاز القول من الشعر
اشتاقه فاذا بدا ● اطرقت من اجلاله

لا خيفة بل هيبته • وصيانة لجلاله •
لكن كرمه وحسن اياديه وصنايعه وتحننه وكرم صفاته فاضت
كل الفيض بالجود على المحسن والمسيء وبسطهم بانعامه وافضاله حتى
طمع فيه كل احد وفي نيله فليطمع الطامعون لا فرق الله بيننا وبينه
في حال من الاحوال وجعلنا واياكم من حزبه المفلحين ذا البشرى واياكم
ثوب عافيته ومننه ولا ازال عنا وعنكم لباس العافية في الدنيا
والاخرة بمنه وفضله وكرمه امين وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم

الشعبة الحادية والستون

الامامة اما كون
الامامة من الدين والايمان فبين لا خفا به فان فيها معنى
التوحيد الذي هو الاجتماع والاجماع اتحاد والافتراق كثرة
والتوحيد هو الايمان لان النبي صلى الله عليه وسلم امر بطاعة
الامير فهي طاعته طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم وطاعة الرسول
صلى الله عليه وسلم طاعة الله وقد ثبت في الصحيح عن علي رضي الله
عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج قوم من امتي
يقرؤون القران ليس قراءتكم الى قراءتهم بشيء ولا صلاتكم الى صلاتهم
بشيء يقرؤون القران يحسبون انه لهم وهو عليهم لا تجاوز صلاتهم تراقيهم
يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية لو يعلم الجيش الذين
يصيبونهم ما قضي لهم على لسان نبيهم صلى الله عليه وسلم لاتكلوا على
العمل وذكر الحديث وانما خرجوا من الدين وسموا خوارج لخروجهم عن طاعة
الامير فاداهم ذلك الى الخروج عن الدين فكيف لا تكون الامامة
ورؤيتها من اعظم شعب الايمان وروى مسلم عن عبد الله بن ابي رافع
مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحرورية لما خرجت وهو مع
علي رضي الله عنه قالوا لا حكم الا لله فقال علي رضي الله عنه كلمة حق
اريد بها باطل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف ناسا يعرفون
من الدين اني لاعرف صفتهم في هؤلاء وذكر باقي الحديث في خروجهم من
الدين وقد رأوا الحكم لله وحده ولم ينفعهم ذلك **فصل**
من شرائط الامام الذكورية والاسلام والحرية والعقل والنسب

القرشي

القرشي والعدالة والكفاية في تدبير الامور وتنفيذها والعلم
فاما الذكورية فلان المرأة عورة لا تباشر الامور بنفسها ولا يجوز
لها تقدم امام القوم للاقتدا بها وفي الخبر لا فلح قوم تدبرهم امرأة
واما الاسلام فلان الكفر لا يعلو الاسلام وذلك نقيض الدين
قال الله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء واما الحرية فلان العبد
ناقص بالرق غير مقبول الشهادة وفي ذلك قلب الحكمة من جعل المملوك
مالكا واما العقل فلان الاحمق غير مخاطب بشيء والتكليف ساقط عنه
واما النسب القرشي فلقول الله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا
الله وكونوا مع الصادقين وهم قريش ولقوله تعالى الى انه امر للفقراء
المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا
وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون ولقول النبي صلى الله
عليه وسلم قدموا قريشا ولا تقدموها **واما** العدالة فذلك من
كمال الامامة لانه جعل للاقتدا به ونصب للناس يهديه فينبغي له
ان يكون افضل الناس في وقته وقال النبي صلى الله عليه وسلم
اقتدوا بالذين من بعدي ابي بكر وعمر رضي الله عنهما **واما** الكفاءة فلانه
نصب لتدبير الخلق لكثير ولا ينضبط له امورهم الا ان يكون
ذا نجدة ومنة في نفسه ورايه لا يلحقه جبن ولا خور عن اقامة
الحدود وضرب الرقاب والجهاد وغير ذلك **واما** العلم فلانه يحكم امور
الناس فيجب عليه ان لا يكون جاهلا فينفذ الامور بالجهل وذلك
ضلال قال الله تعالى لخليفته في ارضه داود عليه السلام يا داود
انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى
فيضلك عن سبيل الله فاذا اجتمع في الامام هذه الخصال فهو الكامل
الفاضل الواجب حبه والاقتدا به في جميع الاشيا البرى عن الظلم
والنقايص **فصل** فان عدم شرط العدالة الكاملة
في الامام وظهر منه ظلم واذاية فليصبر على ذلك حتى ياتي امر الله
وليدع له بالصلاح فان في صلاحه صلاح المسلمين ولا يخرج عليه
بالسيف فان ذلك خروج عن الدين الا ان يظهر منه كفر او شيء عظيم

يجب خلعه به فلاهل الحل والعقد خلعه ونصب غيره من الائمة القرشيين فالطاعة للامام دين يدان الله به فاذا ثبت هذا فاعلم ان هذا المقام على ثلاثة اضرب ضربان واجبان والثالث فضيلة على عدد مقامات الاسلام والايمان والاحسان الثلاث فاما الضرب الاول الظاهر في مقام الاسلام فواجب على العبد ان يطيع الامام فيما امره به من طاعة الله وان لا يخرج عليه بالسيف وان يطيعه فيما كان من شان الامام وذلك الدنانير والدراهم والموازين والمكاييل والصلاة والخطب والاعياد والاحكام والدعوة ان دعاه اجابه وان لم يدعه فلا يتكلف ما لم يدع اليه هذا كله في الامام الذي وجبت له الامامة بالشرع واتفق اهل العلم بانه امام

فصل واما الضرب الثاني في مقام الايمان فهو اعتقاد امامته بالقلب الذي هو محل الايمان كما دخل في طاعته بظاهر جسده ويبغض من خرج من طاعته وقام عليه وقال سهل بن عبد الله من لا يرى السلطان في زمانه فهو زنديق يعني انه لا يعتقد امامته وقد تقدم ذكر الاحاديث التي وردت في الخوارج فذلك كاف في اعتقاد الامامة

فصل واما الضرب الثالث في مقام الاحسان فان ذلك فضيلة تعتبر على اعتقاد الامامة مخصوص بها اهل الاعتبار في حكمة الله وفضله للاشيا وذلك ان الله سبحانه وتعالى جعل الامام في الارض اية عظيمة على توحيده لانه جعله خليفة على خلقه بدلا منه فليعتبر الانسان الامامة فيرى وجه الحكمة فيها فانها من التوحيد وذلك ان الخلق خلقوا في الدنيا واعدادهم كثيرة لا تحصى وارادتهم مختلفة في جميع الانواع فلو كان الناس مسيبين بغير امام لاختلفت الارا والاهوا واختلف الناس واذى بعضهم بعضا وادى ذلك الى فساد العالم وقتل بعضهم بعضا وسرق امتعتهم وقطع طرقهم وغصب ابكارهم ونسا[ئهم] وغير ذلك فجمع الله الكل على امام واحد يخوفهم بالسوط والحبس والسيف والقطع والتنكيل وغير ذلك فاستقام امرهم ورجع الكل شيا واحدا

وصلح

وصلح بالسلطان الدنيا والدين جميعا كما صلح بالوحدانية كل شيء ولو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا فهو اية عظيمة على توحيد الله تعالى والله اعلم

فصل فاذا فهمت هذا وجب عليك الايمان بخلافة ابي بكر رضي الله عنه في زمانه فهو اهل لها واحق بها وكذلك عمر رضي الله عنه استخلفه الصديق بعده وهو اهل لها واحق بها وكذلك عثمان رضي الله عنه استخلفه اهل الشورى العدول بنظرهم وهو لها اهل وقتل مظلوما وكذلك علي رضي الله عنه امام عدل وهو لها اهل واحق بها ولا ينظر الى من قاتله فانهم بغاة قال النبي صلى الله عليه وسلم في عمار تقتله الفئة الباغية وكان من اصحاب علي رضي الله عنه ويحسن الظن بعائشة ام المؤمنين رضي الله عنها فانها انما قصدت اطفاء نار الفتنة فلم يقدر ذلك وكذلك يحسن الظن بسائر الصحابة وتعتقد فيهم انهم قصدوا الخير باجتهادهم وان اخطؤا في الاجتهاد وتلتمس لهم احسن المخارج ثم كذلك الامر في الحسن بن علي رضي الله عنهما فهو خلع نفسه لسيادته وخوفه على دينه وارادته الاصلاح بين المسلمين ثم كذلك الامر في قريش الى يوم القيمة باق ويلحق بهذا الباب الايمان بالمهدي عليه السلام فانه امام عظيم في زمانه وظهوره وقت اضطراب امور الناس وحاجتهم الى امام يجتمعون اليه ويتبعونه فوجب القيام بحقه والنصرة له وقد صحح الترمذي حديث المهدي وانه يملا الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا ونظر امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه الى ابنه الحسن رضي الله عنه فقال ان ابني هذا سيد كما سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم يشبهه في الخلق ولا يشبهه في الخلق يملا الارض عدلا فهذا نص ان اخلاقه كاخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وافعاله صادرة عن اخلاقه فافعاله كافعال النبي صلى الله عليه وسلم فهو رجل عظيم وامام كريم رتبة امامته مقصورة عليه لا يطمع فيها كل احد لشبه افعاله واخلاقه بافعال النبي صلى الله عليه وسلم وقال النبي صلى الله عليه وسلم في القيام الى الصلاة لا تقوموا حتى تروني يعني

مطلب المهدي

تروون شخصى اذا توجهت الى الصلاة فقوموا الى الصلاة يقول
هذا للمصلين وفيه اشارة حسنة غريبة الى معنى المهدي اي لا
تقوموا مع كل من يدعي الهداية ويدعوا الناس الى الاقتداء به فان
الامام في الصلاة انما وضع للاقتداء به كذلك الامام المهدي
عليه السلام انما نصب للاقتداء به والائتمام فقال لا تقوموا حتى
تروا صورتي التي تشبه اخلاقي وافعالي والحكم بشريعتي على اتم
وجوه الكمال وترو اهيئتي كما ورد في الحديث يشبهني في الخلق ولا
يشبهني في الخلق فاذا هذا الشخص الذي اظهر الله فيه اخلاق نبيه
صلى الله عليه وسلم وصفته وجرت افعاله على وفق افعاله واحب
نصرته والقيام معه وجب جعلنا الله واياكم من عباده الصالحين
وحزبه المهتدين امين وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم

الشعبة الثانية والستون

الايمان بفناء هذا العالم الدنياوي وهو وقت عند موت الخلق اجمعين
والنفخة الاولى اما كونه من شعب الايمان فلا يحتاج الى دليل
لاجماع اهل الاديان والشرائع عليه ولا يكذب به الا الزنديق دهري
والذين يقولون بقدم العالم ولا يرون فناءه لقدمه عندهم فرون
دوام الدنيا ودوام النسل فيها الى غير نهاية وذلك تكذيب للكتاب
والنبيين قال الله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات
ومن في الارض الا من شاء الله اي من الملائكة مثل ملك الموت وغيرهم
ثم يموتون بعد ذلك وقال عز وجل كل من عليها فان فان كل شيء هالك
الا وجهه واما الاحاديث فاكثر من ان تحصى وروى ابن عمر رضي الله عنهما
قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وبيده كتابان فقال
اتدرون ما هذان الكتابان قلنا لا يا رسول الله الا ان تخبرنا
فقال للذي في يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين فيه اسماء اهل
الجنة واسماء ابائهم وقبائلهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم ابدا ثم قال
للذي في شماله هذا كتاب من رب العالمين فيه اسماء اهل النار واسماء
ابائهم وقبائلهم ثم اجمل على اخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم ابدا

وذكر

ابدا وذكر انه قد اجمل على اخرهم ونقل الزيادة الا بدية فيهم كما زعمت
الملحدة ويلتحق بهذا الباب الايمان بالاشراط المتقدمة بين يدي
النفخة الاولى وهي شعبة ايضا من الايمان لكنه من اشراط الساعة
وعلاماتها نلحقها في باب واحد روى عبد الملك بن حبيب مرفوعا عن
ابن عباس رضي الله عنهما قال سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه
يقول سيكون قوم من هذه الامة يكذبون بالرجم ويكذبون بالدجال
ويكذبون بطلوع الشمس من مغربها ويكذبون وذكر الحديث الى قوله
فلان ادركتهم لاقتلنهم قتل عاد وثمود قال عبد الملك من كذب
شيئا مما ذكره عمر في حديثه استتيب فان تاب والا قتل وقد صحت
الاحاديث في الاشراط واجمعت الامة على الايمان بها وانما خص
الايمان بهذه الاشياء من اجل انها مؤذنة بقيام الساعة واتيان
الاخرة التي وجب الايمان بها فالايمان بها ايمان بالاخرة الا
ترى ان الناس يؤمنون عند طلوع الشمس من مغربها فلا يقبل ايمانهم
كالذي لا يقبل ايمانه حين رؤيته الاخرة بالموت والاشراط كثيرة
منها خروج نار بارض الحجاز تضيء منها اعناق الابل ببصرى وخروج كنز
من ذهب يحسر عنه الفرات وظهور الدجالين وكثرة الزلازل وقبض
العلم ورفع القران وتقارب الزمان وكثرة الفتن والهرج وهو
القتل وكثرة المال حتى لا يوجد من يقبله وتطاول الناس في البنيان
وان تلد الامة سيدتها وفتح قسطنطينية العظمى مدينة الروم
بالتكبير والتهليل على سورها وخروج الدجال وظهور المهدي
ونزول عيسى بن مريم عليهما السلام في دمشق وخسف بالبيداء وجزيرة
العرب وخسف بالمشرق وخسف بالمغرب وتخريب البيت بمكة والدخان
والدابة وطلوع الشمس من مغربها وفتح السد وخروج ياجوج وماجوج
والريح يرسلها الله عز وجل فتقبض روح كل مؤمن وفساد
احوال الخلق ورجوع الناس الى دين ابائهم وعبادة اللات والعزى
وتكلم السباع للانس وعذبة سوط الرجل اياه وشراك نعله
وفخذه وتكلم الشجر والحجر وغير ذلك وانما ظهرت هذه الايات

مطلب
من اشراط الساعة

الخارقة للعادات من اجل ان الساعة كالحامل المثقل التي قربت
ولادتها فيظهر منها امارات الولادة وكذلك الساعة اذا قربت ظهرت
اياتها وعلاماتها **فصل** اعلم ان القيامة قيامتان قيامة
خاصة وعامة فالعامة هي النفخة الاولى في الصور حين تصعق
الخلق ويموت الكل فلا يبقى الا الله سبحانه والخاصة هي الموت
في حق كل انسان وفي الخبر من مات قامت قيامته وبين يدي الموت والنفخة
يرى كل انسان معاني الاشراط والفتن ففي الموت تظلم الانسان
اماكنها الباطنة والجوارح تخبر وتشهد وينطق عمله وتظهر له انسانا
ومن يدعوه الى غير الله ويفتنه وفي الحديث انكم تفتنون مثل او قريبا
من فتنة المسيح الدجال وروى مسلم في صحيحه عن ابي سعيد قال لما
رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك سألوه عن الساعة
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ياتي مائة سنة وعلى الارض
نفس منفوسة اليوم فهذه قيامة ذلك القرن انما هو موت اهله
وفي الصحيح ايضا عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم الاعراب اذا قدموا على رسول الله صلى الله عليه
وسلم سألوه عن الساعة فينظر الى احدث انسان منهم فيقول ان يعش
هذا لم يدركه الهرم حتى قامت عليكم قيامتكم يعني الموت فالموت
قيامة مستمرة من اول الدنيا الى اخرها فان الموت مكتوب على اهلها
مذ خلقوا فيها **فصل** واما القيمة العامة التي تعم كل من
تقوم عليه فهي النفخة الاولى وفيها الفائدة العظمى التي بها يكون
العبد مؤمنا اعلم ان هذا العالم الظاهر خلقه الله سبحانه للفنا
كما خلق العالم الاخراوي للبقا وذلك ان العالم انما خلق لاجل
بني ادم قال الله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا من حيوان
ونبات ومعدن وكذلك البحر وغيره كما قال تعالى وسخر لكم البحر
وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم وسخر لكم ما في السموات
وما في الارض جميعا منه فهذه نصوص ان العالم لم يخلق لذاته
بل من اجل غيره فاول ما خلق الله العالم فلما كمل وتم خلق بني ادم

وجعلهم

وجعلهم خلفا فيه فمن اجل ذلك قدم خلقه قبل خلق الخلفا روى
مسلم رحمه الله في صحيحه عن ابي هريرة رضي الله عنه قال اخذ رسول
الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال خلق الله التربة يوم السبت
وخلق فيها الجبال يوم الاحد والشجر يوم الاثنين والمكروه يوم الثلاثا
والنور يوم الاربعا يعني النيران والعلويات وبث فيها الدواب
يوم الخميس وخلق ادم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة في اخر الخلق
واخر ساعة من النهار فيما بين العصر الى الليل فهذا نص جلي وكذلك
اذا نظرت بالعقل وجدت الامر لبني ادم فان الحيوان كله انما
خلق للتسخير والركوب والاكل والمنافع لبني ادم وكذلك النبات
كله لم يخلق الا لعيش الحيوانات التي تعود منفعتها على بني ادم
ولعيش بني ادم وكذلك المعادن والحجارة والارض وكذلك البحر والهوا
وفلك النار والما والسحاب والافلاك انما تحركت من اجل الليل
والنهار الذي بهما عيش وسكن لبني ادم وللفصول الاربع التي بها
قوامهم فعلى بني ادم حفت العلويات واليه صعدت واستقرت عند
العقليات فكان من العالم كالقلب من الجسد الذي هو موضع الفكر
وتدبير الجسد وكذلك ورد اذا صلح القلب صلح الجسد واذا فسد
فسد الجسد فما دام الايمان بالله والصلاح في الخلفا الادميين
بقي العالم جاريا على هذا النظام واذا فسد دين الخلفا الادميين
ولم يبق في الارض من يقول الله قامت القيمة على الكل وفني كل من عليها
لان الدين كان المراد من الكل فاذا انقطع لم يكن في ادامة هذا العالم
فائدة قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تعبد اللات
والعزى ويرجع الناس الى دين ابائهم وروى مسلم في صحيحه في حديث
طويل رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وذكر فيه قال رسول الله صلى فارسي
الله عليه وسلم يخرج الدجال في امتي فيمكث اربعين لا ادري اربعين
يوما او شهرا او سنة فيبعث الله تعالى عليه عيسى بن مريم كانه عروة
ابن مسعود فيطلبه فيهلكه ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين
عداوة ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الارض

احد في قلبه مثقال ذرة من خير او ايمان الا قبضته حتى لو ان احدكم دخل
في كبد جبل لدخلت عليه حتى تقبضه سمعته من رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال فيبقى شرار الناس في خفة الطير واحلام السباع لا يعرفون
معروفا ولا ينكرون منكرا فيتمثل لهم الشيطان فيقول الا تستجيبون
فيقولون فما تأمرنا فيأمرهم بعبادة الاوثان وهم في ذلك دار رزقهم
حسن عيشهم ثم ينفخ في الصور وذكر بقية الحديث فتضمن هذا الحديث
ان الساعة لا تقوم وفي الارض مؤمن وفي الموطا عن ابي الاحوص
عن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة
الا على شرار الخلق ولا تقوم الساعة حتى لا يقال في الارض الله
الله والاخبار في هذا كثير وهذا ايد لك ان الساعة لا تقوم الا
على اهل الكفر وان الكفر سبب فساد هذا العالم فان ابن ادم قلب
هذا العالم فاذا فسد القلب فسد الجسد فان الكفر والعصيان
هما الفساد بعينه فقد بان ذاك وظهر ان العالم انما خلق من اجل بني ادم
فاذا ذهب بنو ادم فسد هذا العالم وتبقى وهما بين النفختين
الامد الذي قدر الله انا ذلك حتى تنبت الاجساد في الارض ثم
يبعثون بالقيامة الاخرى الى البقاء ابدا **فصل** واعلم
ان الاهل التيقظ والانتباه على الله سبحانه وتعالى حالة شريفة
من امور القيمة وهم اهل الانتباه من نوم الغفلة وآلاء الدنيا وهم
واهل الحياة الحقيقية الذين اماتوا انفسهم في ذات الله سبحانه
وتعالى قبل الموت وبادروا بالتاهب للقاء الله فهم شاهدون العيان
واحوالها وهم اهل الفناء عن الدنيا والتغافل بها فاقاموا بالتغني
قيامتهم قبل ان تقوم عليهم فكانوا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم
لابن عمر رضي الله عنهما وعد نفسك من اهل القبور وهو الا جاهم الموت
وهم قد لاقوا معانيه وغصصه كما ورد في الموت انه اشد من الف
ضربة بالسيف وكذلك ترك هوى من محبوبات النفس اصعب عليها
من الف ضربة بالسيف فالموت تحفة لهم وهم مشتاقون الى لقاء الله
قال الله تعالى فتمنوا الموت ان كنتم صادقين واعلم ان المجاهد في

مطلب الانتباه من نوم الغفلة

سبيل

سبيل الله خفف عليه الموت من اجل ملاقاة العدو ومشاهدته
للموت كما قال الله تعالى ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه
فقد رأيتموه وانتم تنظرون وكذلك اهل الجهاد الاكبر المعنيون
بقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا مشاهدون
للموت وذايقون غصصه ومتحملون مرارته وهم في الدنيا بمفارقة
الهوى والمحبوبات والصبر على المكروهات والموت بالحقيقة
انما هو مفارقة الدنيا والمحبوبات كلها واهل هذه الحالة التي
يعني
في هذه الاعصار عزيز وجودهم في الامصار ولم نشاهدهم الا اخبارهم
في الكتب نفعنا الله واياكم بذكرهم ولا جعله حجة علينا بكرمه فانه
ليس عندنا من احوالهم الا نهما فقط وصلى الله على سيدنا محمد النبي
واله وصحبه وسلم

الشعبة الثالثة والستون

الايمان بدار البرزخ واحواله وبقاء الارواح فيه وعذابه ونعيمه
وسؤال منكر ونكير وجميع احوال دار البرزخ اما كون هذه الشعبة
من الايمان فبين لانه تصديق بالغيب الذي اخبرت به الرسل ه
وذكره القرآن في آيات كثيرة والاجماع قد اتفق على ذلك من اهل
السنة والمكذب به كافر زنديق والبرزخ مكان وزمان وحال
فاما المكان فمن الثرى الى عليين تعمر ارواح السعداء ومن القبر الى
سجين تعمر ارواح الاشقياء واما الزمان فهو مدة بقاء الخلق فيه
من اول من مات او يموت من الجن والانس الى يوم يبعثون واما الحال
فاما معذب او منعم او محبوس حتى يتخلص بالسؤال من الملكين الفتانين
هذا كله الايمان واجب به والاخبار قد تواترت به والقرآن
قد افصح به والعقل يجوز له غير محيل له والبرزخ معناه الحاجز بين
الشيئين ولما كانت دار الدنيا دار العبادة والعناء والاخرة دار
الجزاء والبقاء ابدا كان البرزخ دار نزول لاهل دار الدنيا حتى يجتمع
جمعهم بين الدنيا والاخرة الباقية فدار البرزخ اذا ليس بدار
البقاء بقاء دائم بل هو محل لا بد من الانتقال منه ومن اجل ذلك كان
نعيم الارواح وعذابها لا نهاية لها شاهد الدار الاخرة الباقية بما

البرزخ

فيها من عظيم الثواب وعظيم العقاب فيتنعم بذلك او يتعذب على حسب
الحال **فصل** واول احوال البرزخ تلقي الملايكة عليهم
السلام حين خروج الروح من الجسد بالبشرى او بالهوان فمن بين فارح
محب للرحلة من دار الفنا وبين كاره على قدر ما يشاهد كل احد من
الاكرام او الهوان ومعنى ذلك ان الرسل عليهم السلام لما جاءت بالشرايع
من عند مرسلها انقسمتهم الى الخلق قابل ومكرم لامر الله تعالى وآبي
راد ومود لانبيا الله ولاوامر الله تعالى فلما صار الرجل من هذه الدار
الى الاخرة جوزي الرجلان وفاقا على اعمالهم لان الاخرة جزاء
على ما تقدم في دار الدنيا فافهم ثم بعد ذلك سوال الملكين الفتانين
في القبر ومعنى ذلك ان الخلق في التزام الشرايع وقبول الايمان
لابد لهم من الاختبار لامر الله تعالى ومما النظر فيه في امر الرسل عليهم
السلام وما جاءت به وهو المعبر عنه باول الواجبات عند عرض الشرايع
على العقول فيعتقد كل احد في قلبه وسره على حسب ما قدر له حين
تعترضهم افكار النظر والفكر فيما جاءت به الرسل عليهم السلام
من امور الغيب فمن بين منكر جاحدا وشاك مرتاب ومن بين مومن
مصدق وموقن مطمين ثابت هذه حالة الكلمة الدنيا كل اول ما وجب
عليهم الواجبات الى حين الموت فلما حصل الخلق في الاخرة فتشوا بالجملة
عن عقايدهم واحوالهم جزاء وفاقا وكذلك يقول الملكان للمسول
قد علمنا ان كنت لمومنا ولا دريت ولا تليت وعلى الشك حييت
وعليه مت على حسب اختلاف اسرار الخلق في الدنيا ثم بعد ذلك
يفتح لكل عبد باب الى الجنة وباب الى النار ينظر الى مقعده منهما
ومعنى ذلك ان الرسل عليهم السلام لما جاءت من عند الله وفتحت
للعقول ابواب دين الاسلام حين عرضته على العقول وحين وجوب
الواجبات وامرت بالدخول فيه وفتحت بالذكر للجزا على ذلك لمن التزم
ابواب الجنة للعقول وامرت بالاعراض عن الكفر وفتحت ابوابه
للعقول بالذكر لقبحه وجزا عاقبته وامرت بالتزام الطاعات
واجتناب المعاصي وذكرت للعقول ان من التزم الطاعات

ودخلها جوزي بالجنة ودخلها ومن اعرض وابا ووقع في الكفر
ودخل النار فكان ذلك الذكر كله فتحا واظهارا لابواب الجنة
والنار ولما اعني الجنة والنار فمن بين داخل مفتوح له بدخوله
في الاسلام والشرايع ومن بين خارج نافر فيقال للعبد ذلك
الوقت هذا مقعدك من الجنة او النار ابدلك الله به مقعدا من
الجنة او النار كما صنع مومن شبهه في دار الدنيا فافهم ثم بعد ذلك
يوسع له في قبره ويفسح له وذلك جزا انشراح صدره بالاسلام واتباع
لقبوله او يضيق عليه كالرجل جزا الحرج صدره وضيقه عن قبول الايمان
والشرايع فيفسح لكل احد مد بصره فالكافر لم يمتد بصر ايمانه في
امور الربوبية والاخرة فتراوا حدا فلذلك كان قبره اضيق الضيق
واما المومن فيفسح له على قدر بصيرته واتساع ايمانه وتجافي روحه
عن دار الغرور وايابها له على رتبة والدار الاخرة فافهم ثم نعترف
بكل احد جزا عمله ان كان خيرا فخيرا وان كان شرا فشرا ولتشرح تلك
المعاني التي هي جزا الاعمال طول كثير واذكر منها طرفا يسيرا مما
تقدم ذكره يستدل به على غيره ذلك ان شا الله ورد في الحديث انما نسمة
المومن طير يعلق من ثمار الجنة وكذلك كانت نسمة المومن الذاكر هنا
تطير بالافكار وتسرح بالنظر والاعتبار وتقتطف بالذكر من ثمار
الحكمة والاذكار نتيجة لانها في الملك والملكوت وورد في الحديث
ان غراس الجنة سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وكذلك
ساير الاذكار فافهم وورد في بعض الاحاديث ان من ادخل على مومن
سرورا خلق الله من ذلك السرور ملكا يدخل عليه في قبره يونسه الى يوم
القيمة فانظر لما كان السرور يطيب قلب المومن ويزيل همه ويونسه
كان الجزا على ذلك في محل الوحشة موافقا لعمل العبد فدخل عليه
ملك في احسن صورة لان السرور احسن شي فاستدل بهذا كله على ساير
الاعمال حسنها وقبيحها فان الله تعالى يقول سيجزيهم وصفهم انه حكيم
عليم فيبقى كل احد فيما قدر له ناظرا الى دار الخلود التي تتردد منها على
اهل البرزخ معاني النعيم والعذاب فيفزع الكافر من هول ذلك

المنظر فيقول رب لا تقم الساعة ويفرح المؤمن لما يرى من عظيم دار الخلود
فيقول رب اقم الساعة وهما كالنايمين لان النوم اخو الموت وورد في
الحديث انه يقال للمؤمن نم نومة العروس الذي لا يوقظه الا احب اهله
اليه وقد سمى الله النوم وفاة في قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل
كما قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها وكما
ان النايم يرى في منامه المرائي الحسنة المونسة المنعمة المفرحة فكذلك الميت
المؤمن السعيد يرى ويشاهد من دار الخلود وكما ان النايم يرى المرائي
المفزعات ويتردى من الجبال العاليات ويجزع من الحيات والاهوال
المفظعات فكذلك من يشاهد من الاموات دار الخلود النار الكبرى
مع ما يتصل بالفريقين ويباشر كل احد منهم في ذاته من النعيم والعذاب

فصل فان قلت ان الميت اذا مات انحلت اجزاؤه فلا عينا
ولا نشاهد من هذا كله شيئا ولا نعلم الارواح اين صارت وهل هي باقية
ام حالها حال الاجساد سوى الايمان بما ورد من الاخبار فيها فاعلم يا اخي
انك لو تفكرت وتدبرت في الوجود والايات والاخبار مستعينا بالله
لعلمت ذلك الا ترى انك اذا فكرت الان ونظرت في اهل بلدك كلهم بل
في جميع البلاد في المشارق والمغارب وما فيهما من الحيوان والانسان
تعلم يقينا ان لكل واحد روحا قد سرت في العالم وهي غيب عنا لا نراها
ولا نشاهدها بابصارنا وكذلك في العالم من ارواح الجن والملايكة
ما لا يحصى والكل سار في الوجود متصرف لا يزاحم احد احدا ولا يضيق عليه
فنعلم قطعا انها موجودة ولسنا نشاهد بالبصر من ذلك كله شيئا فكذلك
اذا خرجت الارواح من الاجساد تغيب في عالم البرزخ منعمة او معذبة ولا
نشاهدها بابصارنا بل بالعلم وكما نشاهد الرجل نايما الى جنبك وتعلم
قطعا ان كل نايم في مشارق الارض ومغاربها في كل ليلة تخرج ارواحهم
الى عالم النوم فتوفى اليها ربك سبحانه وتلك الاجساد كلها ملقاة في الارض
ليس فيها الا التنفس وتلك الارواح تسرح في العالم وهي موجودة فيه
حتى ترجع بالانتباه الى عالم اليقظة فكذلك الاموات اجسادهم في قبورهم
ساكنة وارواحهم في الملك منعمة او معذبة وهي متصلة بالقبور والاجسا

كاتصال روح النايم بجسده الى يوم يبعثون فان قلت ان اجساد الاحيا
غير متحللة ولم تخرج الارواح في النوم منها بالكلية واجساد الاموات
متحللة ولا نشاهدها حقا فاعلم يا اخي ان الارواح لما كانت حين
الحياة الدنيا في اجسادها متطلعة في الحواس الى عالم الدنيا وكانت
اثار الروح ودلايله تظهر في الجسد ظهورا واضحا لاقباله على الجسد
وعالم الدنيا فلما توجه بالموت الى عالم الاخرة ادبر عن الدنيا بالكلية
وتبعه الجسد واقبل الكل على عالم الاخرة بالتوجه اليها بالكلية انما
كما ادبرا بالكلية عن الدنيا فخفيت حركاتهما بالكلية عن اهل هذه الدار
الدنيا كما صح في الحديث عن العلا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
الم تروا ان الانسان اذا مات شخص بصره قالوا بلى قال فذلك حين
يتبع بصره نفسه فهو ناظر مستغرق مجذوب بالكلية الى الاخرة متحدد
النظر بجمع التوجه الى الاخرة والاخرة تجذبه اليها في الباطن كل
الجذب فحركات الكل والتذاذهم واحساسهم اخراوية فلا يدرك اهل الدنيا
ما تحس الارواح والاجساد من نعيم وعذاب لان الاخرة لا تدرك
بالحواس فالجسد في الغيب والروح متصل به اتصالا حقيقيا لان
الموالفة التي كانت بينهما في الدنيا توجب الاتصال بينهما في البرزخ
وتمنع من افتراقهما بالكلية فانهم كما ورد في صفة العلما الاموات مع
الخلق الاحيا ان اعيانهم مفقودة وامثالهم في القلوب موجودة فكيف
بالجسد مع الروح الذي قد وقعت الموالفة بينهما في دار الدنيا وانطبعت
صورة الجسد في ذات الروح انطباع الصورة في المراة الصافية
المصقلة التي هي وجه من جميع وجوهها وظاهرها وباطنها التي تتجلى
الصور في اصلها وتتصور فيها فلذلك لزم كل روح جسده في قبره يسرح
حيث شاء ويتصرف وهو متصل به كالنايم الى جنبك كالحصاة الملقاة
والروح متصل به وهو متصرف في عالم المنام حتى ان النايم ربما يرى
انه يجامع المراة في بلد بعيد من موضع جسده ويركب الفرس ويمشي في
موضعه الذي فيه جسده ويفرح ويسر ويفزع ويتعذب في نومه
والجالس على راسه لا يشاهد ذلك لا سيما والقبر اما روضة من رياض

الجنة او حفرة من حفر النار والقبر اول منزلة من منازل الاخرة والاخرة
غيب فاحوال القبر ايضا غيب وليست من احوال الدنيا المحسوسة ولذلك
لم تظهر فيها نار ولا روضة لان ذلك كله في باطن القبر خفية وليس في ظاهرهم
وكذلك اقعاد الميت وسواله وجميع احواله انما ذلك في باطن الدنيا
التي هي الاخرة **فصل** واعلم يا اخي ان الارواح اذا اقتبضت
بالموت لا تخرج الا باجساد لطيفة وهي باطن هذه الاجساد الكثيفة
وبها يعمل البرزخ الى يوم تتركب عليها هذه الاجساد المنحلة فتلك الاجساد
اللطيفة هي المشهودة والنسمة التي ورد ذكرها في الحديث وهي الطير
انما نسمة المومن طير تعلق من ثمار الجنة وورد ان ارواح الشهدا
في حواصل طير خضر وارواح المومنين في حواصل طير بيض وارواح الكفار
في حواصل طير سود نسماها في الحديث نسما وطيرا وليست بطير غيرها كما
زعم كثير من الخلق وقد ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم في حديث العزل
حين استشاره اصحابه في العزل فقال لما عليكم ان لا تفعلوا ذلك
فانها ليست نسمة كائنة كتب الله ان تخرج الا هي خارجة فسماها نسمة
وقال في الحديث الاخر انما نسمة المومن طير وارواح المومنين في حواصل طير
ومعنى في حواصل طير من الحصول اي هي حاصلة فيها كما تقول النفس حاصلة
في الجسد وسميت طيرا لسرعة سيرها ولطافة حركتها فافهم فهمنا الله
واياك **فصل** ومن حقايق الايمان بهذا الباب ان يعد العبد
نفسه من اهل القبور ويجعل الجسد للروح كالقبر يغيب فيه بالخلوة
والاخلاص عن الخلق ويعلق الروح بالعالم الاخروي العلوي فيسير
ويطير مع النفس في الملكوت بالفكر ويتنعم بانواع الذكر فيكون في روضة
من رياض الجنة ياوي اليه في كل حال كما ورد في ارواح السعدا من اهل
البرزخ انها تاوي الى قناديل معلقة تحت العرش وشاهد من المقربين
في الدنيا كالذي قال طلبت لنفسي موضعا في الملك فلم اجد فخرجت
حتى بازا العرش جعلنا الله واياكم من السعدا برضاه في الدنيا والاخرة
امين

الشعبة الرابعة والستون

الايمان بالبعث من القبور تبعث الاجساد مع الارواح وخروجها من دار

البرزخ الى دار الخلود واما كونها من الايمان فبين لا يحتاج الى دليل لان
الله تعالى قد نسب جاحد ذلك الى الكفر فقال تعالى وقال الذين كفروا
ااذا كنا ترابا واباونا اينا لمخرجون وقال الذين كفروا هل ندلكم على
رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد وفي السنة والاجماع
ما اصفقا على ذلك اعلم ان البعث هو اثارة الشي وتحريكه واخراجه
من موضع الى موضع اخر ولما كانت دار البرزخ دار انتقال ورحلة ولم
تكن دار مقام كانت الاخرة هي البقاء الدائم والخلود للسرمد فلذلك
وجب انحلال الاجساد الدنياوية في دار البرزخ كي تنشا نشا اخر
اكبر واتم مما هي عليه فتعمر الدار العظمى التي هي دار البقاء الابدي
باجساد عظيمة باقية فتنحل الاجساد وتاكلها الارض في البرزخ
والقدرة تصرفها في العفن وتحفظ اجزاءها حتى تعود كما كانت اول
مرة فينزل الله تعالى الماء من تحت العرش كمني الرجال فتنبت الاجساد
به بغير واسطة ادمي بل كما خلق ادم عليه السلام فلذلك لا تفنى
تلك الاجساد كما لم يفن جسد ادم عليه السلام لان الله تعالى
صورها بقوته وقدرته للبقاء بغير واسطة وكلما خلق بواسطة
الذكر والانثى للابدان يفنى وتنظر اعليه زيادة في البعث كاجساد
الانبياء التي لا تاكلها الارض لابدان يزاد فيها حتى يكونا لكل
على صورة ادم عليه السلام الذي خلقه الله بيده اول مرة اذ على
صورة من خلقه للبقاء في الدار الباقية من اهل السما فتكون الاجسا د
كلها باقية كما ان ارواحها ونفوسها باقية كبقاء اجسام الكواكب
والنيرات واجرام الافلاك والسماوات التي صورها الله بقدرته
بغير تناسل فلا تفنى ولا تنحل الا ان يريد صانعها تبديلها وافنا ما
فاجساد الادميين تفنى وتاكلها الارض كما صح عن النبي صلى الله
عليه وسلم في حديث ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ما بين النفختين اربعون ثم ينزل من السما ما فينبتون
كما ينبت البقل وليس من الانسان شي لا يبلى الا عظم واحد وهو عجب
الذنب منه يركب الخلق يوم القيامة فقد تبين النبي صلى الله عليه وسلم

في هذا الحديث صورة البعث في غاية البيان في قوله صلى الله عليه
وسلم كما ينبت البقل فان البقل يفنى في كل سنة وينبت بالما النازل
عليه ويحيى لان بزوره في الارض وهي الحبة التي هي في النبات
كعجب الذنب من الانسان وفي الحديث فينبتون كما تنبت الحبة في
حميل السيل والحبة اذا نزل عليها الما جذبت غذاها من الارض
والما ونشات فكان منها النبات وكذلك عجب الذنب حبة نسل
بني ادم اذا افني الكل منهم ونزل عليه الما الذي هو من جنسه مما
كمني الرجال فينبت به الاجساد للبعث والحياة الباقية وروى
ابو رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله كيف يعيد الله الخلق
وما اية ذلك في خلقه فقال اما مررت بوادي قومك جدبا ثم
مررت به يهتز خضرا قلت نعم قال فتلك اية الله في خلقه كذلك
يحيي الله الموتى وقال الله عز وجل ونزلنا من السما ما مباركا فانبتنا
به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا
للعباد واحيينا به بلدة ميتا ثم قال كذلك الخروج اي خروج
الاجساد من الارض بالبعث اذا انزل عليها الما الذي هو من جنسها
كمني الرجال فيحيى الذنب اذا انزل عليه هذا الما المذكور جذب اليه
كل ما انحل من الجسد في العالم في حال الحياة والموت فان ذلك كله
محفوظ وجواهره مصونة في خزاين العلم التي هي الاصول الارض
والما والهوا والنار قال الله تعالى قد علمنا ما تنقص الارض
منهم وعندنا كتاب حفيظ فيجذب ذلك كله عجب الذنب باذن الله
تعالى كما يجذب حجر المانز الحديد فيرد كل شي اخذ من الجواهر شيا الى المغناطيس
عجب الذنب فيتركب عليه خلق الاجساد مرة ثانية كما خلق منه
اول مرة قال النبي صلى الله عليه وسلم كل ابن ادم ياكله الارض
الا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب وقد ضرب الله عز وجل لابرهيم
عليه السلام مثلا عجيبا في بعث الاجساد اراه فيه صورة اليقين
حين ساله ذلك فقال رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تومن قال
بلى ولكن ليطمين قلبي قال فخذ اربعة من الطير فصرهن اليك

ضمهن

ضمهن اليك على قراة من قرا بضم الصاد اي املهن اليك بضم لتتعلمن
ان الاشارة والندا كما تعلم جوارح الصيد فتزجر اذا زجرت وتاتي
اذا دعيت وهذا مثل ضربه الله له والمراد به الممثل به وهي الاصول
الاربعة التي هي الارض والما والهوا والنار المتركب والمخلوق عنها
جميع ما في هذه الدار الدنياوية من الاجساد الحيوانية والنباتية
والمعدنية فيقول سبحانه لخليله ابرهيم عليه السلام كما انك اذا دعوت
الطير الاربعة فاتتك واجابتك حية او مقطعة على قراة من قرا
بكسر الصاد من قوله فصرهن اليك اي قطعهن فكذلك اذا دعوت
انا هذه الاصول الاربعة التي هي اسرع اجابة الي من الطير اليك
اذا دعوتها من الجبال فاتاك كل واحد او كل جزء من الجبل الذي جعلته
عليه سعيا اي جريا وكذلك الجبلات الاربع التي خلقت منها
الاجسام كلها اذا دعوت كل واحد وكل جزء من مكانه اجابني واسرع
وركبت منها جميع الاجساد كذلك فعلت حين اول الدنيا الى اخرها
وكذلك افعل في النشاة الاخرة اذا رجع كل جزء وجوهر الى اصله
ادعوه مرة ثانية فيجيبني كما اجابني اول مرة فليس الاجابة اخرا اهون
على المخلوق من هذه الاربعة من الاجابة اولا لانه قد تعود الا
الاجابة وعرف طريق الدعوة الى باريه وداعيه قال الله تعالى وهو
الذي يبدوا الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه الهاء في قوله عليه
عايدة على المخلوق اي العود اهون عليه من البدو لان الكل على الله
هين ولا يجوز ان يكون شي اهون عليه من شي جل الله عن ذلك فلو
كان شي اهون عليه من شي للحقه في الصعب مشقة ووجد في السهل
راحة وذلك في حقه مستحيل قال الله تعالى ولقد خلقنا السموات
والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب ولذلك قال عز
وجل في اخر المثل واعلم ان الله عزيز حكيم اي عزيز لا يمتنع عليه ولا
يعجز قدرته شي حكيم في صنعه يحكم الاشيا ويبرمها ويتقنها فعل
الاجسام اذا انشاها وركبها بحكمة اذا انشا للبقا تركيبا لا ينحل بعده
لانه خلقها للبقا كما خلقها اولا للفنا فلذلك انحلت اولا والله اعلم

فصل انقسم المنكرون لبعث الاجساد الى اقسام ثلاثة فمن قايل باستحالة ذلك واستبعاده وهم الكفار العمي الذين قالوا اذلك رجع بعيد رد الله عليهم قولهم ونبههم لو فطنوا فقال افلم ينظروا الى السما فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والارض مددناها والقينا فيها رواسي الاية يقول الله عز وجل من قدر على ايجاد العالم من عدم الى وجود على عظم العالم وكثرة عجايبه كيف يعجزه اجسام لطيفة واشباح لطيفة ضعيفة ان هذا لهو العمى المبين والجهل العظيم من قايله والقسم الثاني من الملحدة زعمت ان الارواح تبعث فقط لان الاجسام تغذت من اجسام اخر حيوانات ونبات واكل جسم جسما فلو اعيدت لكان في ذلك ابطال اجسام اخر والله تعالى يقول واذا الوحوش حشرت وفي الحديث يوتى بها او بغيرها كانت تعني البهايم فتاولوا البعث على ارائهم واخرجوه عن مقصوده وهذا جهل عظيم من منتحليه فان الاجساد لا تاكل ولا تتغذى الا باجزا مقدرة لها واقسام مقسومة في الاجسام الماكولة تاخذها منها ولا تنقص الاجسام الماكولة ولا تبطلها فان الانسان اذا اكل ملا طايرا بجملته انما ياخذ منه فضلا زايدا على ذات الطاير قدر للاكل له فيه ثم يرمي سايرا اجزا الطاير فضلات في التراب ويبقى الذي قدر له فيه ولا يبطل ذات الطاير بجملته كالانسان يخرج منه المني فيكون منه انسان سوي وقد خرج ذلك المني من جملة جسد الوالدين ولم ينقص منهما شي فان ذلك شي زايد فيهما قد قدر ان يخلق منه ما شا الله من الاولاد ولا يبطل اجسام الوالدين فهكذا اجسام الماكولات لكل اكل في ماكوله شي مقدر في ذاته يتغذى به ويتصور منه جسمه فياخذه ويرمي الماكول سويا لم يبطل من ذاته عضو قال النبي صلى الله عليه وسلم ان اللقمة تثبت اللحم اي تغذيه وتربيه بما تعطيه من الشي المقدر له فيها ولم يقل صلى الله عليه وسلم ان اللقمة بجملتها تجي اللحم فان بالمشاهدة يرى ان اللقمة يوخذ بالغذا منها ما قدر للعبد فيها ويرمي سايرها

في الثفل والفضلات او كالذي يوقد مثلا الف مصباح من مصباح واحد فتتقد كلها ولا تبطل ذات المصباح فكذلك اذا حصل الغذا في الجسم نشا به وخلق الله النشا والاشباع والنمو بقدرته والغذا سبب ليس بعده شي ثم يرمي في الفضلات وهكذا في البعث الاخر يامر الله كل شي اخذ من شي شيئا فيرد ذلك الشي الزايد عنده ويبقى كل شي كما قدره واحكمه فيعيد الاجسام كما انشاها وقدرها اول مرة ولا يبطل شي وهذا بين لا اخفا عليه الا على من اعمى الله بصيرته القسم الثالث المنكرون لبعث الاجسام قالوا لو بعثت هذه الاجسام لكانت مثل ما كانت في دار الدنيا تحتاج الى غذا كغذا الدنيا وتحتاج الى بول وغايط وتشيب وتهرم الى غير ذلك من احوال الاجساد اهل الدنيا والاخرة منزهة عن هذا كله وهذا ايضا جهل منهم فان الاخرة عندنا غذاوها واخبارها كلها ليس مثلها بالكلية لامور الدنيا بل هو اطيب والطف وليس فيها شي من الرجس وهي كلها حياة وليس فيها فنا اعني الجنة وقد شبه الله سبحانه اجسام اهل الجنة باللولو والياقوت والمرجان فقال تعالى اذا رايتهم حسبتهم لولوا منثورا وقال تعالى كانهن الياقوت والمرجان وهذه الاجسام في الدنيا لا يسرع اليها الفنى اعني الياقوت واللولو والجواهر النفيسة مع حقارتها لانها من الدنيا الحقيرة فكيف باجسام الاخرة التي هي الحيوان وياقوتها ولولوها رطب حي لا يفنى ولا يتغير بل تزيد ابدا اعتاقة وحدة وحسنا وحياة على مر الازمان والاوقات وقد خلق الله تعالى اجسام الفلك العلوي لنا اية واجسام الكواكب فيها ايضا كذلك خلقها كلها في غاية الاعتدال العجيب لا تفنى مع سرعة حركاتها وطول اعمارها الا اذا اراد مبدعها افناها وتبديلها واجسام الاخرة الطف واجل من اجسام الفلك والنيرات لانها حية معتدلة ليس فيها من الموت والانحراف قليل ولا كثير وقالت ايضا هذه الطايفة الاجسام اذا هيئت وكملت خلقتها فاضت اليها الارواح كما تنقبض الصور في المرايا فلو اعيدت

الاجسام لفاضت اليها عندا كمال خلقتها ارواح غير ارواحها وهذا جهل بل هو كفر فان الروح ليس بعفيض الى الجسد الذي يفيض اليه الا بامر الامر وارادة المريد الحق سبحانه ولو كان كما زعموا لفاضت اليه الروح حيث يفيض على كره منه ولا يقدر على ردها عن ذلك تعالى الله عن قول الذي بعنى المبطلين ولو كان قولهم صحيحا لما فاض روح من الصور الا الى جسده الذي عمره في الدنيا لانه قد حصلت بينهما الالفة والعلاقة وتصورت صورة الجسد ومثاله في ذات الروح بحيث لا يغفل الا الجسد ولا يعرف طرفها الا طريق جسده واذا كان عند البعث بعث الله كل روح الى جسده وقرنه به وفا ما جميعا الى الجزا والثواب الابدي ولا يجوز ايضا ان يدخل روح في غير جسده الذي عمر به الدنيا واطاع الله او عصاه فان الله سبحانه وتعالى لا يعذب جسدا لم يعصه ولا يجازي الا من اطاعه او عصاه قال الله تعالى من يحيى العظام وهي رميم فهذا نص انه يحيى الاجساد الدنيا وية بعينها لا غيرها والتناسخ الخرا جزا من اجل انه بني متقدم وعلى شي متقدم **فصل** ومن البعث الروحاني حياة الارواح والقلوب بالايمان والعلم والانتباه من الغفلات قال الله تعالى في ذلك اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس ولا موت اشد من الجهل والكفر كذلك لا حياة اكمل من الايمان والعلم وعن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها قال يلين قلوبنا بعد قسوتها فيجعلها مخبتة منيبة والافضل احيا الارض بالمطر بالمشاهدة وقوله اعلموا تنبيها ان الله سبحانه وتعالى يحيي القلوب الميتة بالعلم والحكمة والشواهد على هذا كثيرة في اقوال العلما والحكما والايات والاخبار وفي الحديث مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير اصاب ارضا الحديث الى اخره فالعلم كالمطر اذا نزل على القلوب حييت الارض به وراح به من موت الجهل واهتزت الجوارح بالنبات العلمي وانبعثت الجملة على فعل الخيرات وشغل العبد نفسه في يوم

البعث قبل يوم البعث وصارت حاله كقول القايل

رايت الامر يفضي الى اخر • فصير اخره اولا •

احيا الله قلوبنا وقلوبكم حياة طيبة من عنده وحشرنا واياكم في زمرة المتقين في يوم البعث وحملنا واياكم على العافية في جميع امورنا في الدنيا والاخرة امين وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم

• الشعبة الخامسة والستون

الايمان باليوم الاخر وهو يوم القيمة الذي يكون فيه بعث الاجساد وغيره من الكاينات الاخراوية واما كونه من شعب الايمان فان الله تعالى يقول انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر وفي سوال جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم عن الايمان قال فاخبرني عن الايمان قال ان تومن بالله وملايكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والاجماع من اهل الايمان عليه ومقدار حسبون الف سنة يظهر في كل نفس من الخمسين الف سنة من الامور العظيمة ما لا يقدر قدره الا الله تعالى واوله النفخة الثانية في الصور واخره الاستقرار في الجنة او النار **فصل** اعلم ان الكلام في هذا الباب يستدعي الكلام في حدث العالم وان العالم في حكم الجواز لصانعه ايجاده واعدامه وتبديله وتصريفه كيف شا فاذا كان من المجوزات العقلية وقد اخبرنا الباري سبحانه بتبديله وخبره حق وصدق لا يجوز خلافه كما قال تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات الاية واذا السما انشقت وغير ذلك من الايات فقد وجب التصديق به وذلك لا يكون الا في يوم القيمة فيه تظهر الايات والحوادث العظام فهو اليوم العظيم كما قال تعالى الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم وذلك ان الله جل جلاله لما خلق العالم واكمله ورفع العلو منه في محله ووضع السفل موضعه ورتب الموجودات في اكمل الترتيب والاستوا والعدل باستوايه على العرش فجرى العالم كله على سنته وعرفه الذي خلقه الله لها وعليها في الملك والملكوت ولم يظهر ولا تجلى للعالم بكله من صفات بوجه الا بمقدار ما يحتمل ويصح جريه به على

على الوجه والعادة التي اريد منه وستر عن الجميع من قدرته وارادته
وعظمته وتجليه ما لو اظهره لانخرم النظام الذي اريد منه وكان
تدبيره سبحانه ذلك في امثل التدبير لجميع المخلوقات ان يجري
على هذا الحكم والعرف الى وقت معلوم فاذا اتى الوقت وانقضى
الامد اجراه على سنة اخرى فاذا جا الاجل المسمى واراد الجليل
جل جلاله التنزل بصفات الحكمة والعدل والرحمة الى الكرسي للحكم
وفصل القضا والجزا تجلى لهذا العالم بامره من معاني اسمائه
وصفاته ما لم يعهد العالم قبل ذلك فلم يحمل ذلك فظهر في العالم
كله من التبديلات والحوادث ما نطقت به الاخبار والايات فاول
ما ظهر فعل ذلك التجلي في العرش العظيم الذي لم يسع المخلوقات
مثله فلم يحمل العرش ذلك على عظمته فكاد ان يهد ويتلاشى فلولا ما زاده
سبحانه من الاتساع والقوة والعظمة لذهب وجوده لكن قواه
وزاده اتساعا وامده بالحملة اضعافا فاضاعفه فصار حملته ثمانية
بعد ان كان تحمله اربعة قال الله تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ
ثمانية ثم ظهر فعل ذلك التجلي واثره في سائر المخلوقات فتنزلت
الجنان واتسعت على السموات وسرت امام التجلي فيها حتى ازلفت وقربت
من المتقين فعادت العلويات السماوية جنان وتشققت السموات
وتنزلت الملائكة صفا صفا من مقاماتها وانتثرت النجوم الى غير
ذلك مما تظهر تلك اليوم في يمين العرش وكذلك ظهر في شمال العرش بما
تجلى لجهنم من صفات الغضب والشدة فضاقت على الخزان وفار بعضها
على بعض حتى خرجت على الارض وسرت في العالم حتى صارت الارضون
والبحار نارا وكذلك طارت الارواح الى جميع الاجساد بما تجلى من معالم
عظمة العلام الذي لم يعهد مثله وامتدت الارض تواضعا امام التجلي
والهيبة حتى اخذت اكناف السموات والارضين كلها فصارت فراشا
لجميع الخلق من ملك او انس او جن او حيوان وتفجرت البحار بامدادها م
قال الله عز وجل يوم تشقق السما بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا وهذا
الغمام هو الذي ياتي فيه رب العزة ويجي كما قال تعالى هل ينظرون الا

ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة فاخبر سبحانه ان السما تشقق بالغمام
الذي ياتي فيه رب العزة وورد من تجلي معاني الغضب في شمال العرش
والسلطان في حديث الشفاعة عند الصحيح ما تقول ادم وغيره من الانبيا
اذا سئلوا الشفاعة ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله فهذا
نص صريح وورد في الحديث الصحيح انه تجلى للعالم من صفات الغضب ما لم
تظهر قط في الوجود منذ خلقه الله تعالى الى ذلك اليوم فلذلك تدكدكت
الارض دكا دكا وكورت الشمس والقمر وانتثرت النجوم وتفجرت البحار
الى غير ذلك الا ترى الى قوله عز وجل فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا ولو
كان ذلك لغير الجبل او في الارض كلها لتدكدكت وقامت القيمة
وتجلي عظيم عدله في يوم القيمة كان شدة الحساب ووضع الموازين القسط
ونصب القناطر الصراطية وتجلي عظيم صفات الفضل اكثر مما عهده
يكون مما يكون ذلك اليوم من الغفران والصفح والتجاوز والسح وظهور
الرحمة التي لا توصف فبذلك التجلي العظيم لم يثبت العالم على العرف
والعادة المعهودة قضا وتسنته اخرى وذهبت سنة الفانية الدنيا
في جميع العالم فافهم فان من اجل ذلك المجي والتجلي كان وقوف الخلائق يو
في ذلك اليوم قياما على اقدامهم ولم يبق احد من الخلائق الا قام على
ساق الاجلال يوم يقوم الناس لرب العالمين وقامت الملائكة فيه
صفا صفا وقام الوجود كله على ساق اجلاله لا لسبب بالحقيقة والمعنى

فصل فان قلت فاين يسع هذا الخلق كله والملائكة في هذه
الارض فاعلم ان الارض اذا انشقت عن الاجسام ثم امتدت امام التجلي
والهيبة اخذت في امتدادها الى ارجا سما الدنيا في كل ناحية من الافاق
وذلك مسيرة خمسمائة عام وغلظ السما خمسمائة عام اخرى وتمتد
الى اخر ارجايها فيكون امتدادها مسيرة خمسمائة عام وغلظ السما خمس
مائة عام اخرى وتمتد الى اخر ارجايها فيكون وذلك الف سنة في
كل ناحية من الافاق فيقام الخلائق فيها وتنزل ملايكة السما الدنيا
وغيرها من الملائكة الارضية في ذلك البساط العظيم وفي امتدادها
تتفجر البحار ثم تمتد ايضا كما يمد الجلد العكاظي كما ورد في الحديث

فزاد امتدادها الى اكناف الارض الثانية وارجا السما الثانية
وهي اعظم واوسع من السما الاولى فتنزل في ذلك البساط ملايكة
السما الثانية وكذلك تمتد من ارجا سما الى سما حتى ياخذ اكناف
الارضين وارجا السموات كلها فينزل اهل كل سما اذا تشققت
بهم بالغمام فيما يليه من ذلك البساط فتكون الارض بساطا للعالم
كله قد عمت ارجا السموات واكناف الارضين فتقوم الملايكة
صفا صفا في ذلك البساط العظيم المتسع الى قول الله عز وجل
وانشقت السما فهي يومئذ واهية والملك على ارجايها فاذا قد رايت
امتداد الارض في جميع الافاق في كل ناحية حتى ياخذ ارجا السموات
كلها واكناف الارضين ظهر لك اتساعها وقيام الخلايق عليها
صفا صفا مع تزاحمهم حتى لاحد العبد منفذا ولاح معنى قوله يا معشر
الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض
فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان اي بحجة فيقف الخلق ما شا
الله ما شا الله حتى يدعون الى الحساب اظلنا الله واياكم في ظله
يوم لا ظل الا ظله امين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم

الشعبة السادسة والستون

الايمان بالحساب وهو موعد على حسب احوال الخلق وعلى ما اراده
الله تعالى من الخفة واليسر لمن يشا والمناقشة والشدة لمن يشا
اما كون هذه الشعبة من الايمان فبين لاجماع اهل الشرايع عليه
وقال الله تعالى اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يومن بيوم الحساب
وقال تعالى فسوف يحاسب حسابا يسيرا وعن عبد الله ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اول ما يقضى بين الناس يوم القيمة
في الدما واول ما يسالون عن الصلاة وقال تبارك وتعالى واقسم
فوربك لنسالنهم اجمعين عما كانوا يعملون **فصل** اعلم
ان الحساب مقام عظيم من اعظم مقامات الاخرة والناس فيه متفاوتون
في اليسر والمناقشة على قدر منازلهم وعلى حسب الاعمال فيسال الرسل
عن تبليغ الرسالة الى الخلق قال الله تعالى يوم يجمع الله الرسل

فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب وقال
سبحانه وتعالى واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أانت قلت للناس
اتخذوني وامي الهين من دون الله الاية ويسال الكافرين عن
الايمان والتوحيد واجابة المرسلين فلا يوجد لهم ايمان ولا اجابة
فيومر بهم الى النار ولا يسالون عن ساير الاعمال فيدخلون النار
بغير حساب اي على اعمالهم وهو المعنى بقوله عز وجل ولا يسال عن
ذنوبهم المجرمون وقد اشكلت هذه المسلة والايات على كثير من الناس
وليس فيها اشكال ولا اختلاف ولان السوال تقع او لا على الاصل
وهو الايمان والتوحيد فلا يوجد فلا يحتاج الى سوال عن الفرع
قال الله تعالى بعد ذكر الكفار فوربك لنسالنهم اجمعين عما كانوا
يعملون وروي الصحيح في تفسيرها عن قول لا اله الا الله فاذا لم
يوجد لهم توحيد لم يسالوا عن باقية الذنوب والاعمال مصداق
ذلك من القران قوله تعالى ويوم يناديهم فيقول اين شركاي الاية
وقوله تعالى اين الاتي كنتم تعبدون وقيل ادعوا شركاكم
فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وامثاله كثيرة وهذا كله سوال عن التوحيد
والمعبودات فقط لكن كل واحد منهم تحيط به خطيئاته ويجازي
بها ويشاهدها كلها صغيرا وكبيرا ويسال المومنين عن التوحيد
وجميع الاعمال وعن العمر فيما افنى والشباب فيما ابلى وعن الاموال
من اين اكتسب وفيما انفقت وعن العلم ما عمل فيه وعن ما دق
وجل فلا يبقى احد الا حوسب وسيل وروى ابو هريرة رضي الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لتوردن الحقوق الى
اهلها يوم القيمة حتى يقاد للشاة الجلحا من القرنا ويسيل المجد
الذي انكب على الحجر ويسيل الحجر لم نكا رجل الرجل وهذا كله في
مقام واحد لجميع الخلايق فلا يشغل سريع الحساب شان عن شان
فينظر كل عبد الى جميع اعماله دقيقها وجليلها في حالة واحدة
معمولة في ذاته وقايمة بذاته وينشر عليه دواوين الاعمال متفرقة
على اوقات الاعمار نشرا واحدا فيرى جميع عمره كيوم واحد حتى

على اعوام وشهور مضمنة تحت ضمن الاعوام وجمعات تحت ضمن الشهور وايام
تحت ضمن الجمع وساعات تحت ضمن الايام وانفاس تحت ضمن الساعات
فتصير اعماله كلها دنيا ودنيا خيرا وشرا مسطرة في اليوم الفلاني في عمل
كذا او في الساعة الفلانية كذا كل عمل مرتبط بالوقت الذي عمل فيه
فلا يستطيع احد ان ينكر منه حرفا واحدا ايشا هذا العبد هذا كله
مومنا كان او كافرا قال الله تعالى في معنى ذلك وكل انسان الزمناه
طايره في عنقه ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا اقرا كتابك
كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا فينظر كل احد جميع عمله منشورا على
جميع عمره في حالة واحدة فيسال كل واحد بكلامه العزيز والمخاطبة
واحدة كما انه يقول الماد للوجود كله كن فيكون عن كلمته والوجود على
اختلافه واختلاف احواله لا يخرج عن ضمن تلك الكلمة الواحدة
ولا يشغله شي من الوجود عن شي بل يعم كل شي من الوجود من كلمته
ما يليق به فيكون على مقتضى ما فهم من الكلمة الواحدة وكذلك
الحساب يوم القيمة يكلم الرب سبحانه وتعالى الخلق في سواله اياهم
في حال واحدة ويلقى كل واحد ما قدر له من يسر وهو العرض او شدة
وهي المناقشة فاما اهل اليسر وهو العرض فيدخلون الجنة بغير
عذاب ولا حساب انما هو العرض فقط وانما يلقى الحساب اهل المناقشة
ومن نوقش الحساب عذب لان المناقشة في نفسها عذاب روي عن عايشة
رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس احد
يحاسب الا هلك قلت يا رسول الله جعلني الله فداك اليس الله يقول
فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال ذلك العرض
من نوقش الحساب هلك وفي رواية اخرى ليس ذلك الحساب انما هو
العرض من نوقش الحساب يوم القيمة عذب **فصل** اعظم
الناس خفة في الحساب واقلهم حسابا اهل الورع في الدنيا واهل
المحاسبة للنفس والمتقون لانهم حاسبوا انفسهم في الدنيا فلم يبق
لهم الا العرض على الملك المحاسب فقط وانما مثل ذلك مثل رجل عمل
للملك عملا اخرجه اليه فان حاسب نفسه قبل رجوعه الى الملك ووضع

كل شي في موضعه الذي امره به الملك الى الملك فعرض عليه فوجده كما امر
الملك فلم يكن له شي يتوقف فيه ولا يناقش عليه فكان حسابه كله
يسيرا بلا حساب وانما هو عرض وان خلط في عمله وعمل برايه وظلم
نفسه وغيره فاذا رجع الى الملك ووقف على عمله سيل وحوسب وكان
امره على ما اراد الملك **فصل** اذا فهمت ما تقدم فالناس
في الايمان بالحساب على ضربين ضرب غافل عن محاسبة نفسه
في الدنيا فيترك الامر مهملا الى يوم القيمة وهذا حالنا وحال
الجم الغفير وضرب اخر وهم العقلا انتبهت عقولهم بالبعثة
اليقينية فجعلوا الاخرة لانهم مشاهدون الاخرة باليقين
ووا ...قفون بين يدي الله فحاسبوا انفسهم في كل لحظة وفي كل يوم
وليلة وعلى ما سلف لهم من العمر فادوا الحقوق الى اهلها واستغفروا
وتابوا من المخالفات واستبدلوا مكانها الاستغفار والحسنات
وتهيئوا وتزينوا للعرض على الله ولم ياخذوا الامر بالجزاف فاعلاهم
درجة في ذلك المقربون واهل التوكل الذين لا حساب عليهم في
الاخرة ولا عذاب لانهم لما قوا ربهم في الدنيا باليقين ولم تكن لهم
راحة دون لقايه في الطاعات والمناجاة فاوقفهم على القليل
والكثير من اعمالهم ونبههم على ما سلف من اعمارهم بالالهام في اسرارهم
فاستحيوا واخشوا من مشاهدته وتنبيهه لهم بمحاسبته وتزلزلت
ارضهم بخوف الوعيد وبعثرت مخبات اسرارهم فاخرجت الجوارح اثقال
ما عملت حين اعترفت واقرت بما كسبت وحدثت بجميع ما عملت ولم تكتم
شيا مما اجترحت حين الهمها بوحي الالهام ذو الجلال والاكرام
فصدرت الى ربها عن مخالفتها ورات جميع اعمالها قايمة بذاتها
من ذاتها فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا
يره وقد كان الصالحون يحاسبون انفسهم في اخر النهار وعند
النوم على ما سلف من نهارهم وعند الفجر على ما سلف في ليلهم فيتوبون
ويستغفرون من الذنوب والتقصير في كل يوم وليلة ويجدون على
الطاعة والتوفيق وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحاسب

نفسه ويضربها بالدرة والمراد منه بالدرة سوطا للتخويف والوعيد وعلى هذا درج اهل التحقيق من العلماء والعارفين والاولياء والصديقين في القرون الممدوحة قبل هذه الازمنة التي ماتت فيها القلوب والافئدة فنسأل الله الكريم ان يحيي قلوبنا بذكره وان يجعلنا من خواص عبيده بمنه وفضله وكرمه امين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم ومن استوفي الحساب في الدنيا وترك الدنيا وتوكل في جميع اموره على الله واشتغل به دون من سواه دخل الجنة عند مفارقة الدنيا بالموت بغير حساب ولا عذاب ودخل جنة النعيم بالذكر والطاعات والعلم والكمالات قبل يوم الحساب فلا يجمع عليهم حسابين ولا خوفين قال الله تعالى في اهل هذه الاحوال الكريمة الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة فاخبر انهم يدخلون الجنة البرزخ عند الوفاة فافهم والناس بعد هذا في الحساب درجات في الخفة والتيسير والثقل والعسر واطول الناس حسابا اكثرهم اموالا ودنوبا واخفهم حسابا اقلهم اموالا واولادا وذنوبا وفي الحديث يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء بخمس مائة عام وباربعين خريفا وهذا يدل على خفة الحساب على الفقراء وشدته على الاغنياء من قبل الاموال واما ثقله على اهل السيئات فدليله قوله تعالى فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا والاخذ باليمين لا يكون الا في الحسنات فان الحسنات لا تكون من جهة الشمال ولا يكتبها صاحب الشمال فافهم

فصل اعلم ان الشيء الذي يقع عليه الحساب على ثلاث درجات درجة في مقام الاسلام الظاهر فيما يعم اعماله الظاهرة الدينية والدنياوية وعموم الظاهر وشابه وجانبه الجسمانية فيما ابتلاها والدرجة الثانية في مقام الايمان وهو ما يضمر العبد من العقيدة عقيدة اهل السنة في امور الايمان والاخرة وما انضم عليه الفكر وتضمن من النيات في جميع الاعمال واعمال القلوب كالكبر والعجب والرياء وسائر الصفات المهلكات واعمال القلوب التي يؤاخذ بها العبد وينال عنها قال الله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله

اختلف في تفسيرها على قولين وكلا القولين فيها شايع فان من الذنوب ما يؤاخذ العبد بها وان لم تظهر على الجوارح فانها عمل من اعمال القلب يتم في القلب دون ظهوره على الجوارح كالاصرار والعجب والكبر والرياء وغير ذلك ومن الاعمال ما لا يتم في القلب الا بظهوره على الجوارح فهذا معفو عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم عفي عن امتي ما حدثت به نفوسها ما لم تعمل به او تتكلم وفي الحديث لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة خردل من كبر وورد لامثال المعنيين في الكتاب والسنة كثير لمن تدبرها ونظر في الاخبار والدرجة الثالثة في مقام الاحسان فتمثل العلم بالله سبحانه فلا يتوهم ربه عز وجل ولا يتخيله ولا يشك فيه فانه مشتغل عن جميع ذلك وعن جميع الخطرات التي لا تليق بالباري سبحانه وضبط هذا المقام الاحساني ومقام الايمان ان يعلم ان الاعمال على ضربين لا يتم الا باخراجه على الجوارح فهذا معفو عنه اذا لم يخرج على الجوارح وضرب يتم في الباطن دون ان يخرج على الجوارح فهذا معفو عنه ما لم يعقد عليه وينعقد في الباطن فعلى العبد ان يناقش نفسه ويفتش اعماله في الظاهر والباطن في كل وقت ويعلم انه مسؤول عن ذلك كله فبذلك يخف الحساب في الاخرة ويكون العرض دون المناقشة من الله علينا وعليكم باليسر في جميع احوال الدنيا والاخرة بكرمه امين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين

الشعبة السابعة والستون

الايمان بالميزان وانه حق وعدل اما كون الميزان والوزن من الايمان فان الاجماع من اهل السنة على الايمان به وقد نطق القران والسنة به قال الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيمة فاما من ثقلت موازينه وغير ذلك وروى ابو هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كلمتان حبيبتان الى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله العظيم سبحان الله وبحمده وروى عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سيخلص رجلا من امتي على رؤوس الخلائق فينشر عليه

تسعة وتسعين سجلا كل سجل مد البصر ثم يقول له اتنكر من هذا شيئا
اظلمك كتبتي الحافظون فيقول لا يا رب فيقول الك عذر فيقول
لا يا رب فيقول بلى ان لك عندنا حسنة وانه لا ظلم عليك اليوم
فتخرج له بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده
ورسوله فيقول احضر وزنك فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه
السجلات فيقول انك لا تظلم قال فتوضع السجلات في كفة والبطاقة
في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله
شيء فذكر في هذا الحديث كفتي الميزان وروى ابو الدردا رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من شيء اثقل في الميزان من حسن
الخلق ودلايله كثيرة وورد في الخبر كفتاه طباق السموات
والارض فاذا فهمت هذا فاعلم ان الوزن عام في كل شيء ودلايله في
الوجود اوضح من الشمس فان الموازين انما وضعت لمعرفة مقادير الاشيا
فهي واسطة لتعريف مقادير الاشيا والباري تعالى يعلم مقادير
الاشيا كلها ووزنها ويعلم وزنها من الذرة فما دونها وما فوقها ويتعالى
عن الجزاف فليس عنده شيء جزافا فافهم قال الله عز وجل وان من شيء
الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم وانبتنا فيها من كل شيء
موزون وقال تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملايكة واولوا
العلم قائما بالقسط والقسط هو الوزن والميزان كما قال تعالى ونضع
الموازين القسط ليوم القيمة وزنوا بالقسطاس المستقيم فقد عم الوزن
والميزان الوجود كله وما اظهر الله لنا في هذه الدار الميزان والمكيال
المحسوس والمعقول ليظهر لنا مقادير الاشيا ولنتعامل بها ونستدل
على موازين الاخرة ونوزنها وفي الحديث الصحيح اخرجوا من النار من في
قلبه مثقال من ايمان ونصف مثقال ووزن شعيرة ووزن برة ٥
ومثقال حبة من خردل وادنى ادنى ادنى من مثقال حبة من خردل من
ايمان فقد عم الوزن والميزان الوجود كله البواطن والظواهر وقال
عمر رضي الله عنه حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا
فوصف ان النفوس توزن **فصل** اعلم ان الوزن قد عم المقامات

الثلاثة مقام الاسلام والايمان والاحسان فان الانسان بجسمه ونفسه
وروحه فروحه في مقام الاحسان في العلو وجسده في مقام الاسلام
في السفل ونفسه واسطة في مقام الايمان ويميل الانسان بجملته فيخف
او يثقل علوا او سفلا باعماله وعقايده وعلومه فان قلت كيف
ازن ولست ادري ميزانا فاعلم ان هذه بلادة وغفلة الست ترى الوزن
في الوجود كله عاما والقسط قد شمل العوالم فترى الموجودات منها
فوق وتحت ويمين وشمال وامام وخلف وظاهر وباطن وخفيف
وثقيل وجسماني وروحاني وعلو وسفل وليل ونهار وحركة وسكون
وصغير وكبير قد لزم كل شيء من ذلك مقامه لا يتعداه واعتدل بذلك
الوجود كله فلو نقص شيء من ذلك لظهر الميل في الوجود فكذلك
زن نفسك واعمالك ظاهرا وباطنا زيادة بيان ورد في صفة الميزان
ان احدى كفتيه ظلام والاخرى نور وورد ايضا كفتاه طباق السموات
والارض الخير كله في كفة النور والشر كله في كفة الظلام والسموات
كل ما علا وارتفع والارض كل ما سفل واتضع فهذه الكفتان قد
شملتا العلويات والسفليات وهذا الميزان العظيم ميزان الله
العظيم قد وسعت كفتاه كل شيء في الوجود وكل عمل فاذا جمع الله الخلق
يوم القيمة صار الحسن كله من علم وايمان وخلق حسن وعمل خير في كفة
النور من اعمال جميع الخلايق وصار السوء كله من جهل وكفر وخلق سوء
وعمل قبيح في كفة الظلام فمن لم يكن عنده الا الشر الصرف والكفر
الخالص خلت كفة النور من خيره وحسنه فلم يكن له فيها اثر فثقلت
به كفة الظلام الى اسفل سافلين فلم تظهر لهما قايمة ووزن لان
كفة النور لم يكن للكافر فيها مثقال حبة من خردل من خير ولا ادنى من
ذلك وكان من الذين قال الله تعالى فيهم اولئك الذين كفروا بايات
ربهم ولقائه فحبطت اعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا واقامة
الوزن انما هو لمن له في الكفتين نصيب وهو لاهم المرادون بقوله
تعالى واما من خفت موازينه يعني كفة النور فامه هاوية ومن
خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم في جهنم خالدون ومن لم

زياده ببيان

يق

يكن عنده الا الخير الصرف كالانبيا ومن يدخل الجنة بغير عذاب من المقربين
الذين وزنوا انفسهم في دار الدنيا خلت كفة الظلام من شرهم وثقلت كفة
النور ورجحت بثقل اليقين ورزانة الخلق واعمالهم الحسنة فرفعتهم
كفة النور الى عليين ومن جا بالحسنات والسيئات من كل شي ظاهر وباطن
من الخير والشر ان وزنت حسناته وسيئاته في كفتي الميزان النور والظلام
فان رجحت حسناته على سيئاته بفضل الله سلم من العذاب وكان من المفلحين
والتحق بالفايزين الاولين من المقربين السابقين ومن رجحت سيئاته
وخفت كفة حسناته واراد الله تعذيبه وتنفيذ الحكم والوعيد فيه دخل
النار وبقي فيها بمقدار ثقل سيئاته حتى تنتقص منه فكلما انتقص منه بثقل
عمله سقط عنه شيا شيا وكفة الحسنات التي فيها حسناته ولو مثقال حبة
خردل او اقل تمنعه ان يميل كل الميل وان يهوي الى الهاوية التي هوى
اليها من ليس له في كفة الحسنات حسنة فكلما انتقص منه من عمل خفت كفة
السيئات منه وسقط قصاصه مع الانفاس والساعات وثقلت كفة
الحسنات الى ان تخف الى الغاية التي ترجح بها كفة النور فيرقى الى الجنة
ويلتحق باهلها **فصل** قال الله تعالى كلا ان كتاب الفجار لفي
سجين وان كتاب الابرار لفي عليين وقال النبي صلى الله عليه وسلم
وهل يكب الناس على مناخرهم في النار الا حصايد السنتهم فاذا اردت
ان ترى صورة الوزن هاهنا فانظر الى نفسك في هذا العالم ما علاه
فوقك نور كله وسمو وارتفاع الى الله تعالى والى الدار الاخرة والجنة
وما سفل من الدنيا الى اسفل سافلين غفلة وعصيان وجهل وظلام
الى سجين ونار جهنم والعبد قايم بينهما موزون بحركاته وسكناته
في الخير والشر فاما من طغى واثر الحياة الدنيا ولم ينه النفس عن
الهوى كتبت اوزاره في سجين لانه ليس للسيئات في العلو سبيل
وثقلت به اوزاره ومالت به جوره الى النار واسفل سافلين لانها
من كون فاذا الاعمال المتعلقة بذات العبد تجذبه من سجين الى نفسها
حيث هي مكتوبة الا ترى الى قول النبي صلى الله عليه وسلم وهل يكب
الناس على مناخرهم في النار الا حصايد السنتهم والكتاب انما هو على

الوجه

الوجه لان ذنوب اللسان خارجة من الوجه فترتسم في سجين فتجذبه
الى نفسها فيشتغل معها سفلا فان قلت فاي علاقة بين العمل وبين
العبد فاعلم ان العبد اذا اذنب ذنبا نكت في قلبه نكتة سودا وتصير
ذلك العمل في ذات العبد صورة مصورة المراة متى ذكره ابصر عمله
كما عمله وصورته ايضا مكتوبة في قبضة الشمال وسجين فهي كصورة
في مراتين المراة الواحدة سجين والاخرى ذات العبد فتجذبه
بذلك المعنى المتصعد الى محلها فان كان للعبد عمل اخر يجذبه الى
العلو ويمنعه من التنقل بالكلية الى اسفل والا مادت في الهاوية
يهوي ابدا بقلبه وباطنه فيها حتى ينتقل بجسده اليها قال الله
تعالى ومن يشرك بالله فكانما خر من السما فتخطفه الطير او تهوي
به الريح في مكان سحيق لانه ليس له فيها ما يمسكه عن الهوي من ايمان
ولا اجر مكتوب في علو فتخطفه الطير وتهوي به الريح في مكان سحيق
ومن ارتفعت همته الى الله سبحانه والى الدار الاخرة وهو في هذا
العالم وارتسمت حسناته في عليين رجحت به جهة العلو وارتقى وخفت
اوزاره بالذكر والتوبة وفعل الخيرات والاقبال على الله تعالى
قال الله تعالى كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وهي ايضا مصورة في
قلبه وذاته ومكتوبة في عليين كصورة في مراتين فتجذبه الى محلها
فافهم فان اذنب ذنبا نكت في قلبه ومال بقدر صغر الذنب وكبره لان
هذا الميزان العدل ترجحه الخردلة والذرة من حيث هو عدل فعلى
العبد ان يبادر الى الاستغفار ومحو الذلة وقطع تلك العلاقة
فيلتحق بالاولين والخلق بين هذين المقامين المتقدمين درجات
لا يحصيها الا علام الغيوب المطلع على مقادير الحسنات والذنوب
فهذا ميزان ينظر العبد فيه ويزن نفسه كما امر وينظر هل هو موثر لله
والدار الاخرة على الهوى والدنيا وموثر الحسنات على الذنوب
والسيئات والعلم على الجهل وجميع الاضداد او هو بضد ذلك او هو
مستو بينهما او هل رجح بعض على بعض وفضل الله في كتب الحسنة بعشر
امثالها واكثر من ذلك لا يودي شكره على ذلك ابدا عاملنا الله واياكم

في الدنيا والآخرة بفضله وكرمه آمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الشعبة الثامنة والستون

الإيمان بالشفاعة أما كون الشفاعة من الإيمان فإن الإجماع من أهل السنة على الإيمان بذلك وقد نطق بها القرآن والسنة قال الله عز وجل قل لله الشفاعة جميعا وقال تعالى وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى وقال تعالى من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وهي للملائكة وللأنبياء وللصديقين وأهل الجاه على قدر مراتبهم ومنازلهم

فصل

اعلم أن الشفاعة عامة في الدنيا والآخرة والظاهرة والباطنة فأما شفاعة الظاهر فإن الخلق خلقوا في الدنيا لا يعلمون شيئا ولا يهتدون سبيل مراشدهم المنجية من العذاب فلولا إرسال الأنبياء إليهم لكانوا أمثال البهائم قال الله تعالى وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها أي بمحمد صلى الله عليه وسلم وكذلك كل أمة بنبيها فالشفاعة الظاهرة وهي بالحقيقة الباطنة هي إخراج الأنبياء عليهم السلام الخلق من الكفر إلى الإيمان ومن الجهل إلى العلم ومن المعصية إلى الطاعة فقد عمت شفاعتهم الخلق ولم يبق أحد لا دخل فيها لأنهم على أيديهم نجا من نجا وكذلك العلماء والمذكرون والهادون يشفعون فيمن أخرجوه تبيين للكل أنهم يخرجون من النار على أيدي الأنبياء والهادين بما هي أعمالكم ترد عليكم ومن أخرجه أحد بمجرد الحب فإن الحب عمل من أعمال القلوب الباطنة ويتصل بالمحبوب كالسبب والحبل يخرجه الشافع به فافهم والشفعاء في الدنيا والآخرة على ثلاثة أقسام الملائكة والأنبياء والمؤمنون أهل الجاه كما ورد في الحديث يشفع النبيون والملائكة والمؤمنون والشفاعة كلها بالحقيقة لله تعالى كما قال الله جل وعلا قل لله الشفاعة جميعا

فصل

فأما شفاعة الملائكة عليهم السلام فقد نطق بها الكتاب والسنة كما تقدم قال الله تعالى فيهم الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا إلى آخر المعنى وفي آية

أخرى ويستغفرون لمن في الأرض فيتضرعون إلى الله بالشفاعة بقولهم ربنا وسعت كل شيء إلى آخره المعنى فهذه شفاعتهم لنا في كل وقت صلوات الله وسلامه عليهم لا سيما الملك المكرم جبريل صلى الله عليه وسلم فإنه المنزل على الأنبياء بالهدى والبيان نجاة للخلق فاهتدى به ونجا جميع المؤمنين فصلوات الله وسلامه عليه أبد الآبدين وأما شفاعة الأنبياء والمؤمنين فقد تقدم ذكرها فهذه شفاعة الكل منهم في الدنيا

فصل

في شفاعة النبي محمد صلى الله عليه وسلم اعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث والخلق كلهم في ظلمة وعمى فأول من أخرج من الخلق وشفع فيه علي وخديجة وأبو بكر وبلال ثم الناس يدعون إلى الإيمان به ثم لم يزل يخرج الخلق من الظلمات بواسطة وغير واسطة إلى يوم القيامة وأما شفاعته صلى الله عليه وسلم في الآخرة فهي في ثلاث مواطن الأولى شفاعة الموقف وهي عامة في أهل الموقف في المقام المحمود لا يقوم أحد ذلك المقام غيره كما ورد في الحديث أنهم يأتون آدم فيردهم إلى نوح ونوح إلى إبراهيم وإبراهيم إلى موسى وموسى إلى عيسى كلهم لا أراها لنفسه حتى يأتوا محمدا صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين فيشفع لهم إذا أراحهم من موضعهم إلى ما شاء الله لأنه صلى الله عليه وسلم أوسع جاها من جميع الخلق روى أبو هريرة رضي الله عنه قال أتي النبي صلى الله عليه وسلم يوما بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهش منها نهشة فقال أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون لم ذلك يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الكرب والهم ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس بعضهم لبعض ائتوا آدم فيأتون آدم عليه السلام فيقولون له أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا إلى ربنا ألا ترى إلى ما نحن فيه وذكر الحديث بطوله إلى قوله فيأتون محمدا صلى الله عليه وسلم فيقولون أنت رسول الله وخاتم الأنبياء قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجدا

لربي ثم يفتح علي ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه ما لم يفتحه على احد
قبلي ثم يقول يا محمد ارفع راسك وسل تعطه واشفع تشفع الى اخر
الحديث ولما كان الامر عظيما في يوم عظيم وظهرت فيه عظائم الامور
وغضب الرب فيه غضبا لم يغضبه قبل ذلك خاف كل احد من عظم جاهه
وكبر قدره على نفسه فرد الامر الى من هو اوسع جاها واعظم قدرا منه
ولم يكن ذلك الا لمحمد صلى الله عليه وسلم لانه سيد الكل فيسال في وقت
الغضب ومواطن الشدائد فلا يرد في شيء ولانه ايضا امام الكل في
النبوة الاولى في خلقة الارواح قبل الاشباح كما قال صلى الله عليه
وسلم انا اول الانبياء خلقا واخرهم بعثا فحينئذ اقر الكل بنبوته
وامامته فكان اماما للجميع فاذا رجع الامر من الدنيا الى الاخرة •
كما كان اول مرة صار اماما وشافعا للكل فلهذا كانت شفاعة الموقف
موقوفة عليه فيشفع فيها للكل ويتقدم وشيعته كل ذي نور قال النبي
صلى الله عليه وسلم انا اول من يقرع باب الجنة لانه امام الجميع ومتقدمهم
قائمهم **فصل** فاما المقام الثاني من شفاعته صلى الله عليه
وسلم فانه خاص لاهل الذنوب ومن دخل النار كما قال صلى الله عليه
وسلم شفاعتي لاهل الكبائر من امتي فهو للامم الذين تعلقوا بالنبي صلى
الله عليه وسلم بمجرد الحب ولم يكن لهم في الدنيا اعمال يتبعون بها سنته
وطاعته فيتبعوه في الموقف الى الجنة كما اتبعوه في الدنيا ولما لم
يكن لهم ذلك وما ثقلتهم اوزارهم فيتعلقون به بالحب فيخرجهم به من
النار ومن شدائد الكرب روى انس رضي الله عنه قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيمة شفعت فاقول يا رب
ادخل الجنة من كان في قلبه مثقال خردلة من ايمان فيدخلون ثم اقول
ادخل الجنة من كان في قلبه ادنى ادنى شيء قال انس فكاني انظر الى
اصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقللها وفي رواية اخرى عن
انس فاقول رب امتي امتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال
من ايمان فاخرجوه منها فانطلق فافعل ثم ارجع الى ربي فاحمده
بمثل تلك المحامد ثم اخر ساجدا فيقال لي يا محمد ارفع راسك وسل

تعطه

تعطه واشفع تشفع فاقول امتي امتي فيقال انطلق فمن كان في
قلبه نصف مثقال من ايمان فاخرجوه منها فانطلق فافعل ثم ارجع
الى ربي فاحمده بمثل تلك المحامد ثم اخر ساجدا فيقال لي يا محمد
ارفع راسك وسل تعطه واشفع تشفع فاقول امتي امتي فيقال
انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان فاخرجوه منها
فانطلق فافعل وذكر الحديث الى اخره فهذه شفاعته الخاصة
في اهل الذنوب **فصل** واما المقام الثالث من شفاعته
صلى الله عليه وسلم في الجنة الاخرة فانها في الجنة وهي دائمة
وهي مقام الوسيلة التي لا تنبغي الا لمحمد صلى الله عليه وسلم روى
ابو سعيد الخدري رضي الله عنه في الصحيح ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول وصلوا علي فانه
من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة
فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون
انا هو فمن سال لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة وهي مشتقة
من التوسل الذي هو الطلب والدعاء والتشفع فالنبي صلى الله عليه
وسلم في الجنة في قربه من الله بمنزلة الوزير من الملك في درجة الوسيلة
يتوسل ويشفع في قضاء الحاجات ورفع الدرجات ويستاذن في •
الزيارة العلية والنظر الى الوجه الكريم وفتح ابواب حضائر
القدس وغير ذلك وهو اول من يتقدم الى الزيارة واول من ينظر
الى الله تعالى واول في كل شيء فيتوسل لنفسه ولغيره فلا يرد على
الخلق في الجنان خير الا على يديه صلى الله عليه وسلم لانه اول
من يرتقي في الدرجات فيرتقي بارتقائه ويتزايد بزيادته كل من
في الجنة فافهم فهمنا الله واياك **فصل** واما
شفاعة الانبياء عليهم الصلاة والسلام في العقبى فيشفعون ايضا
بجاههم فيمن احبهم واستحق العقاب باوزاره من اممهم كما يفعل نبينا
صلى الله عليه وسلم باهل الكبائر من امته وكذلك الاملاك والمومنون
كما ورد في الحديث فيشفع النبيون والملائكة والمومنون وفي الحديث

اتكلم شفعا وكرم وقال صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة بشفاعة
رجل من امتي عدد ربيعة ومضر وقال صلى الله عليه وسلم رب
اشعث اغبر مدفوع بالابواب لو اقسم على الله لابره لا سيما الابدال
والفقرا الصالحون فان لهم جاها كثيرا في الدنيا والاخرة يدفع
الله بدعايهم الشدايد وبهم ينتصر الخلق ويمطرون ومن دعوا له
في الدنيا افلح ومن شفعوا له في الاخرة شفعوا فيه وكذلك العلما
المذكورون الزاهدون الداعون الى الله الامرون بالمعروف والناهون
عن المنكر ومن احب اهل الخير ولم يبغضهم فقد وصل بينه وبينهم
بسبب وهو الحب وتعلق بهم السبب فان اغرقته ذنوبه ولم ينجه
اقتداوه بهم في الدنيا شفعوا فيه في الاخرة بذلك السبب
فيشفع النبيون والملايكة والمومنون حتى لا يبقى احد في النار
ممن بينه وبين الخالق وصلة وسبب فيخرج الله سبحانه وتعالى
بعد ذلك من النار من قال لا اله الا الله وتعلق بالتوحيد فقط
وليس بينه وبين مخلوق سبب وهم والله اعلم اهل الاهوا والبدع
مومنا تمنهم على التوحيد لانهم ليس لهم عمل يكتب في ديوان القبول
لمخالفتهم السنن فاعمالهم محبطة واهل السنة مبغضون لهم ومعادون
وهم كذلك فانقطعت الاسباب بينهم وبين الخلق وبقي لهم التوحيد
المجرد مومنا تمنهم عليه فيخرجهم الله به من النار وانه لا يخرج من
النار في العقبى الا من خرج منها في الدنيا يعني فافهم قال النبي صلى
الله عليه وسلم في حديث الشفاعة الطويل رواه ابو سعيد الخدري
رضي الله عنه قال فيشفع النبيون والملايكة والمومنون فيقول
الجبار سبحانه بقيت شفاعتي فيقبض قبضة من النار فيخرج اقواما
قد امتحشوا فيلقون في نهر بافواه الجنة يقال له الحيوة فينبتون
في حافتيه كما تنبت الحبة في حميل السيل قد رايتموها الى جانب
الصخرة ما كان الى الشمس منها كان اخضر وما كان منها الى الظل
كان ابيض قال رجل يا رسول الله كانك رعيت الغنم بالبادية
فيخرجون كانهم اللولو فيجعل في رقابهم الخواتم فيدخلون الجنة

فيقول

فيقول اهل الجنة هولا عتقا الرحمن ادخلهم الله الجنة بلا خير عملوه ولا
خير قدموه فيقال لهم لكم ما رايتم ومثله معه وفي حديث اخر فاقول
يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رب ايذن لي فيمن قال لا اله الا
الله قال ليس ذلك اليك او قال لك لكن وعزتي وكبريائي وعظمتي
وجبريائي لاخرجن من قال لا اله الا الله قال اشهد على الحسن انه حدثنا
به عن انس فلا يبقى في النار الا من حبسه القران اي وجب عليه الخلود
وهم اهل الشرك الذين حقت عليهم كلمة العذاب قال الله تعالى ان
الله لا يغفر ان يشرك به والحكمة في ذلك ان المشرك والكافر ادعيا على
الباري سبحانه ونسبا اليه ما ليس له ولا يليق به فتبرا الله من ذلك
وتنزه عنه وبعد منه وكذلك ادعا الكافر والمشرك على المخلوق
المحدث ما ليس له ونسب اليه ما لا يليق به من الربوبية فانقطع
بالكلية من الله وتبرا الله منه بالكلية فلم يبق بينه وبين الباري سبحانه
وتعالى سبب ولا علاقة يخرجه بها من النار ولان معاني الشرك
والكفر ليس لها في صفات الباري امثل الجهل ليس له سبحانه وتعالى ولا
الكذب ولا الظلم ولا صفات الكفرة التي هي ضد صفات المومنين
والله الطيب الطاهر القدوس والشرك نجس رجس والله نور والكفر
ظلمة والشرك ظلم والظلم ظلمات وغير ذلك من ضد صفات المومنين
التي امرهم الله ان يتخلقوا بها ويتعبدوا له بها والمشركون لم يتخلقوا
بصفات القدوس الطاهر من الايمان والعلم والنور وغير ذلك بل بخلافه
والخلاف فيها لا يقرب من خلافه بوجه فلذلك انقطع ما بينهم وبين الباري
تبارك وتعالى فتركوا مع معبودهم فكانوا ظالمين للمخلوقات
حين ادعوا عليها من الربوبية ما ليس لها بوجه من الوجوه ان الخلق
لا يعود ابدا خالقا ولا ينقلب الحقايق بوجه ابدا فكانت مظلمة
لا تغفر فافهم فهمنا الله واياك ونسال الله الكريم ان يجعلنا واياكم
من اهل الجاه عنده والكرامة في الدنيا والاخرة امين وصلى الله على
محمد وعلى اله وصحبه وسلم

الشعبة التاسعة والستون

الايمان بالصراط اما كون هذه الشعبة من الايمان فان الاجماع من اهل

السنة والشرايع فما نعتقد عليه ومن لم يؤمن بالحق به فهو عند جميعهم مارق
او زنديق فاسق وقد نطقت به الايات والاخبار الصحاح عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم فوجب الايمان به **فصل** اعلم ان دلايل
الصراط واياته في الوجود ابين من الشمس الضاحية وقد عمت دلايله
الوجود كله ظاهرا وباطنا فمن اياته ودلايله في الوجود طرق الانام
في بسيط الارض فليس يمشي احد ولا يهتدي الا على طريق وسبيل ولولا
ذلك لاضطر الناس مراشدهم وضلوا عن مرادهم قال الله تعالى الذي
جعل لكم الارض مهادا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون والسبل
في اللغة هي الطرق والصراط فالسبل قد مدت في الارض من قطر الى
قطر ومن مكان الى مكان اخر وكذلك الشوارع في داخل البلدان من
موضع الى موضع وفي الدور من بيت الى بيت فلا ينصرف احد حيث تصرف
الا على طريق وشارع يهتدي عليه الى مقصوده وكذلك جري السفن
في البحار من موضع الى موضع اخر انما تجري بتقدير علامات الجبال والكواكب
فقدر لها طرق من موضع الى موضع تجري على ذلك الى مقاصدها وكذلك
جري المياه وانصبابها في الانهار وحركات الرياح والافلاك والشمس
والقمر والكواكب الكل من ذلك جار على طريق محدود لا يتعداه وكذلك
جري الغذا في الاجسام من موضع الى اخر وجري المخلوق في سبيل الخلقة
ليس شي يجري الا على سبيل لا يتعداه وكذلك نزول الامر من السما الى
الارض ونزول الملايكة وصعودهم وصعود الاعمال من اسفل الى علو كل
على طريق محدود وسبيل منصوب له قال الله تعالى والسما ذات الحبك
اي الطرق يعني طرق الامر النازل والملايكة النازلة والصاعدة
وكذلك القناطر والجسور المنصوبة في الارض على الاماكن الوعرة
والانهار الصعبة دالة على صراط جهنم الاخراوي المضروب على متنها
وكذلك الوجود كله لا بد فيه من طريق مسلوك عليه الى المقاصد حسا
وغيبا فدلايل الصراط قد عمت الوجود كله ظاهرا وباطنا وخص
الصراط المضروب على متن جهنم بالايمان به لعظمه وكبر قدره لانه
ممر الى دار السعادة الابدية والشقاوة الابدية فهو اعظم الطرق

واكبر

واكبر السبل وذلك ان الله سبحانه وتعالى يجمع الاولين والاخرين يوم القيمة
في صعيد واحد فلا بد لهم من طريق ينصرفون عليه الى مستقرهم من
الدارين فمنهم من يزل به هذا الطريق الى دار الشقاوة ومنهم من يثبت
عليه حتى يخلص الى دار السعادة فكان اعظم الطرق لنصبه للمشي الكل
عليه فافهم روى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال يجمع الله الناس يوم القيمة فيقول من كان يعبد شيا فليتبعه
فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القمر القمر ويتبع من
كان يعبد الطواغيت الطواغيت وتبقى هذه الامة وفيها منافقوها
ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم فاكون انا وامتي اول من يجيز ولا يتكلم
يومئذ الا الرسل وذكر الحديث وفي حديث اخر فياتيهم ربهم فيتبعونه
ويضرب جسر جهنم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكون اول من يجيز
قال فيتبعونه كما اتبعت كل امة ما كانت كذلك يتبع الموحدون ربهم
فصل اعلم ان هذا الصراط المضروب على متن جهنم في عالم
الايمان والدار الاخرة هو باطن الصراط المشروع والمسنون في الدنيا
للسلوك والقصد الى الله والى طاعته قال الله تعالى انك لمن المر سلين
على صراط مستقيم اي الصراط الطريق الذي حده القران والسنة لاهل الايمان
وهذا الصراط المشروع في الدنيا انما يظهر للحواس وانما يظهر للعقول
معنى مشروعا وصراطا منصوبا وما كان في الدنيا معنى يظهر في الا خرة
حسا وعقلا قال الله تعالى قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة
انا ومن اتبعني اي عليها وقال تعالى ان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه
ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله والصراط المضروب على متن جهنم
لم يرد فيه نص صحيح انه من حديد ولا من حجر ولا تراب اكثر من انه
جسر مضروب على متن جهنم ومن زعم ذلك فليات ببرهان واضح وسلطان
بين على ذلك ولا يقدر على ذلك فالصراط في الاخرة هو باطن صراط
الاسلام وباطنه يظهر في الاخرة حسا كما ظهر ظاهره هنا معنى ويضرب
على متن جهنم للمشي عليه كما ضرب هنا هذا الصراط للمشي عليه الى طاعة
الله والقصد الى الله في كل شي فمن زل عليه هنا زل على الحقيقة هناك

ومن استقام هنا استقام هناك وفي الصحيح قال رجل لابن مسعود رضي
الله عنه ما الصراط المستقيم قال تركنا محمد في ادناه وطرفه في الجنة
وعن يمينه جواد وعن يساره جواد وثم رجال يدعون من مر بهم فمن اخذ
في تلك الجواد انتهت به الى النار ومن اخذ على الصراط انتهى به الى
الجنة ثم قرا ابن مسعود وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا
السبل فتفرق بكم عن سبيله وهذا بيان ليس بعده بيان انظر الى قوله
في هذا الحديث تركنا محمد عليه السلام في ادناه وطرفه في الجنة وانظر
قوله فمن اخذ في تلك الجواد انتهت به الى النار ومن اخذ على الصراط
انتهى به الى الجنة وهل يجوزه الناس في العقبى على الصراط الى
الجنة وهل يسقط من يسقط عنه الا الى النار وفي الموطا عن عبد الله ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعن
جنبتي الصراط سوران فيهما ابواب مفتحة وعلى الابواب ستور مرخاة وعند
راس الصراط داع يدعو يقول استقيموا ولا تعوجوا وفوق ذلك داع يدعو
كلما هم عبد ان يفتح شيئا من تلك الابواب قال ويحك لا تفتحه فانك
ان تفتحه تلجه ثم فسره صلى الله عليه وسلم فاخبر ان الصراط الاسلام
يعني صراط الدين والسنة وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الصراط
في العقبى فاكون اول من يجيز وكذلك هو اول من شرع الشرائع في
التقدير والمبعث الدنياوي وهو اول سالك عليه وقال صلى الله عليه
وسلم ولا يتكلم يومئذ الا الرسل اي على الصراط ودعوى الرسل يومئذ
اللهم سلم سلم وكذلك لم تشرع الشرائع في الدنيا ولا ضربت الصراط
والسبل الا الرسل عليهم السلام ليسلم الناس من الضلال والوقوع
في النار ولذلك تقول في العقبى اللهم سلم سلم ومن شرع طريقا من رايه
فقد ابتدع وضل واتبع سبل الشيطان وزل عن الشرع وكذلك
يزل في العقبى وكذلك طرق المعاصي وهي كلها الجواد التي مثلها رسول
الله صلى الله عليه وسلم في الخط في الحديث الذي رواه عبد الله رضي
الله عنه قال خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا فقال هذا
سبيل الله ثم خط عن يمين ذلك الخط وعن شماله خطوطا فقال

هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليها ثم قرا وان هذا صراطي
مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله فهذه السبل
التي عن يمين الصراط وشماله هي التي زاحمت الصراط وضيقت جوانبه
حتى صار احد من السيف وادق من الشعر لان الشياطين تدعوا من كلا
الجانبين بتزيين في كل نفس الى طرقها يمينا وشمالا وتجذب الخلق عن الصراط
فيفر المؤمن بقلبه وطاعته من تلك الطرق ليبقى على الصراط مستقيما
وهي تزاحمه وتضيق عليه يمينا وشمالا وهو يمشي على ما حد له وشرع فصار
احد من السيف وادق من الشعر فافهم وورد ايضا ان في حافتي الصراط
في العقبى كلاليب وخطاطيف معلقة مامورة باخذ من امرت به
كذلك تجذبه في الدنيا خطاطيف الوساوس والشهوات المحرمات
والشبهات فتجذبه عن الاستقامة على صراط الدين فافهم والله اعلم
فصل فاذا فهمت هذا فلا يكن همك الا كيف تمشي على الصراط
هنا وكيف سرعتك في الجري الى الخيرات والمسابقة والهروب من المخا لفات
لان ذلك تكون السرعة في المشي على الصراط في العقبى فمن الناس من
يجوز كالبرق ومنهم من يجوز في عدد كثير من السنين قال النبي صلى الله
عليه وسلم في الصحيح ترسل الامانة والرحم فيقومان جنبتي الصراط
يمينا وشمالا فيمر اولكم كالبرق قيل اي شيء كالبرق قال الم تروا الى
البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين ثم كمر الريح ثم كمر الطير وشد الرجال
تجري بهم اعمالهم على قدرها ونبيكم قائم على الصراط يقول رب سلم سلم
حتى تعجز اعمال العباد وحتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير الا زحفا
وذلك العجز من العجز عن الهروب من المخالفات والعجز عن المسارعة للطاعات
والسير على مناهج التقوى وكذلك ورد في الاخبار ان قناطر الصراط
وجسوره صعودا واستواء ونزولا عن الاستواء وان له حافتين وانه
مزلة مدحضة وكذلك الصراط الشرعي الذي امر المؤمن ان يمشي
عليه هنا لا يثبت على الاستقامة عليه الا الافراد ولا يعلو ويسرع
قطع عوائق عقباته الا المخفوف من الذنوب والدنيا وهو مضروب
على متن جهنم اي على ظهرها وكذلك هذا الصراط الشرعي مضروب

على ترك المنهيات المحرمات قال النبي صلى الله عليه وسلم حفت النار بالشهوات
وورد في بعض الاخبار انه يصعد في قنطرة الصراط ويستوي عليها ٥
ويتزلزل عن الاستوا الى قنطرة ثانية وعظم ارتفاعها على قدر ذلك
المقام العظيم وكذلك كان العبد في الدنيا اذا لاح له المنهي ومر
على هذا الصراط الشرعي نزع عنه ونشا بقلبه عنه الى العلو بالتضرع
والدعا الى ربه وهربا الى العالم العلوي الذي فوق السموات ليرتفع
عن الافات ولعله يثبت في العلو ثم ينزل بالتواضع لله الى الارض
هكذا في جميع الاعمال الطاعات والمنهيات اذا نزع عنها وهرب الى
ربه وان وقع في محظور زلت به بادر بالاقلاع والهرب الى الله تعالى
والى الرجوع الى الصراط الذي زل عنه قال الله عز وجل وان منكم
الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا والمتقي
هو الفارع عن المنهي النافر عنه وان اختطفته الخطاطيف الشيطانية
والشهوانية المحرمة ابصرها فرماها بسهم الذكر والرد والكراهة
لها والبعد فسلم منها ومن خدشها على الصراط في العقبى وان خدشته
ورب منها نجا وفي الحديث فمخدوش ناج ومكردوس في النار فاذا وقع
العبد وزل عن هذا الصراط الشرعي في المعاصي والغفلات والاهوا
فليسرع التوبة والاقلاع والرجوع فان التوبة تجذبه الى النجاة
في العقبى كما تجذبه المعاصي الى النار ثبتنا الله واياكم في الدنيا ٥
والاخرة على صراطه المستقيم ولا جعلنا ممن ضل عن سبيله وزل عن ٥
طريقه وصلى الله على محمد واله وصحبه وسلم وتسليما الى يوم الدين

٥ الشعبة الموفية سبعين ٥

الايمان بالحوض المورود حوض محمد صلى الله عليه وسلم انما كون هذه
الشعبة من الايمان فان الاجماع على ذلك من اهل السنة والشرايع
والمكذب به مارق وقد نطقت به الايات والاخبار فوجب ٥
الايمان به قال الله عز وجل انا اعطيناك الكوثر وقال النبي صلى الله
عليه وسلم انا فرطكم على الحوض وقال صلى الله عليه وسلم منبري على
حوضي وعن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

بينا

بينا انا اسير في الجنة فاذا انا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف قلت
ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي اعطاك ربك فاذا طينه
او قال طينه مسك اذفر والحوض هو موضع منصب الما ومجتمعه وروى ابو
ابو ذر قال قلت يا رسول الله ما انية الحوض قال والذي نفس محمد
بيده لانيته اكثر من عدد نجوم السما وكواكبها في الليلة المظلمة
من شرب منه لم يظما اخر ما عليه يشخب فيه ميزابان من الجنة عرضه
مثل طوله ما بين عمان الى ايله ماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى
من العسل وفي حديث اخر عن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم ان قدر حوضي ما بين ايلة وصنعا من اليمن وانه فيه من الانية
كعدد نجوم السما وعن ابي برزة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا مرة ولا ثنتين ولا ثلاثا ولا اربعا ولا خمسا
يقول تردون على الحوض فمن كذب به فلا سقاه الله منه ولا بد لكل
مومن يدخل الجنة ان يشرب منه وان تطهر وان دخل النار وفي
حديث الصحيح عن جابر رضي الله عنه ان قوما يخرجون من النار بعد
ان يكونوا فيها يخرجون كانهم عيدان السماسم فيدخلون نهرا من •
انهار الجنة فيغتسلون فيه فيخرجون كانهم القراطيس ومثال ذلك
في الدنيا العلم والعمل به فتعلم العلم وفهمه شرب والعمل به تطهر
واغتسال وفي الحديث مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث
الكثير اصاب ارضا فكان منها نقية قبلت الما فانبتت الكلا
والعشب الكثير وكان منها اجادب امسكت الما فنفع الله بها الناس
فشربوا وسقوا وزرعوا واصاب منها طايفة اخرى انما هي قيعان •
لا تمسك ماء ولا تنبت كلا فذلك مثل من فقه في دين الله •
ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك راسا ولم
يقبل هدى الله الذي ارسلت به وروى هذا الحديث ابو موسى
في الصحيح فهذا نضح الشرب والسقي وغير ذلك وفي الحديث مثل
الصلوات الخمس كمثل نهر غمر عذب بباب احدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات
فما ترون ذلك يبقي من درنه فهذا امثال التطهر وكذلك ساير الاعمال

المقربة الى الله تعالى كلها تطهير **فصل** اعلم ان الحوض ولله
في الوجود كثيرة فكل حوض حسن كريم في عالم الحس دليل على ذلك وقد
يستعمل الملوك والاكابر في الدنيا الحياض الواسعة المتقنة الكبيرة
لعظم افتخارهم في الدنيا وذلك دليل على حياض الاخرة والعرب تسمى
مجتمع الما حوضا وكل ما طيب عذب بارد في عالم الحس دليل على مياه
حياض الاخرة الا ان هذا الحوض العظيم الموعود في الاخرة لا يشبهه
حوض لانه صنعة الرب الكريم وله طول عظيم وعرض عريض واسع
فان حوض كل احد على قدره وعلى قدر المحل والموطن وورد في الحديث ان
عرضه مثل طوله وورد انه مسيرة شهر وفي خبر اخر كما بين الحجر الاسود
والكوفة وورد في خبر اخر ما بين مقامي الى عمان اي كما بين المدينة
الى عمان وفي خبر اخر كما بين جربا واذرح وقد قيل في معنى ذلك ان الحوض
له طول وعرض وزوايا واركان فيكون اختلاف هذه المسافات
التي في الحديث على حساب ذلك والحقيقة في ذلك والله اعلم ان
هذا الما المبارك والنهر العظيم له ثلاث مراتب المرتبة الاولى هي
الحقيقية في الجنة وفي جوار الرب الكريم كما ثبت في الصحيح عن انس
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما انا اسير
في الجنة اذا انا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف قلت ما هذا يا
جبريل قال هذا الكوثر الذي اعطاك ربك فاذا طينته او قال
طينه مسك اذفر وعن معاوية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ان في الجنة بحر الما وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقق الانهار
بعد المرتبة الثانية الحوض الذي في القيمة مادة انهار الجنة
كما قال صلى الله عليه وسلم يصب فيه ميزابان من الجنة احدهما ذهب
والاخر فضة المرتبة الثالثة مياه العلم التي جا بها صلى الله
عليه وسلم فروى من شربها رواة العلم ومتعلموه ومعلموه الى يوم القيمة
على حسب درجاتهم في الشرب والفهم والذوق وميزاباه الكتاب والسنة
جابهما جبريل ونبينا محمد صلى الله عليهما وسلم خرجت على افواههما صلوات
الله وسلامه عليهما وعن ابي هريرة رضي الله عنه في الصحيح ان رسول

الله

الله صلى الله عليه وسلم قال ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة
ومنبري على حوضي فقد اعلمك ان منبره على حوضه حالا ومالا لانه موضع
كلامه ومخاطبته للخلق بالعلم الذي اتاه الله وحيث ما كان صلى الله
عليه وسلم فهو على منابر النور العالي العالية الشاهقات درجات البر والتقوى والرفيع
والاكرام لقدره الكريم صلى الله عليه وسلم وقد كان في حياته يرد عليه
الخلق والوفود وهم عطاش الى العلم فيشربون ويروون بتعلمهم
من رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواياتهم واخذهم عنه فينصرفون
الى اهليهم ويسقون غيرهم هكذا الى ان توفي صلى الله عليه وسلم
وقد كان هو صلى الله عليه وسلم بحرا عظيما من العلم كان العلم ينصب
عليه وينزل من قباب العرش وحافات السموات وعلو الجنات فيعلم
العباد ويسقيهم من الما المبارك الى ان توفي صلى الله عليه وسلم
فصل فمن روي العلم الشرعي وارتوى بالفهم فقد
شرب ووجد حلاوة العلم النافع الذي لا شي حلاوته ولا الذه
ووجد برد اليقين المحض ومن استعمل العلم فقد تطهر باستعماله
العلم واغتسل به وفي الصحيح ان امتي يدعون يوم القيمة غرا محجلين
من اثار الوضو وقال الله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم الاية
وقال صلى الله عليه وسلم من حج هذا البيت ولم يرفث ولم يفسق رجع
كيوم ولدته امه يعني طاهرا مطهرا فاستعمال العلم تطهير اجمل واحسن
من كل تطهير واغتسال وكذلك تعلم العلم الايماني لذيذ احلا من
كل حلو وصفاوه انور من كل لبن ويقينه ابرد على الكبد من كل ثلج
ما لم يغير طعمه ولذته بالهوى والابتداع والاراء الفاسدة وارادة
غير الله به فان ذلك كله سبب لطرد المنافقين والمبتدعين والمتكبرين
عن الحوض فمن بدل هنا وغير ذيد عن الحوض في المحشر كما وردت الاحاديث
واصفقت بذلك **فصل** فائدة لعلك تشتهي ان تعرف صفة
الحوض الكريم وعظم قدره ومعاني الاحاديث الواردة في حدوده ومسا
فتها مما كل اكثر الناس عن فهمه والكلام فيه فاعلم ان الله سبحانه وتعالى	مطلب

بعث نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ليسقي الناس من هذا الما الكريم
الذي ارسل به وهو النبي العربي جا بلسان عربي مبين صلى الله عليه
وسلم وجزيرة العرب هو المبعوث فيها وقد احاطت بجزيرة العرب
القبايل من بني ادم من جميع جهات الارض كالسودان والاحابش
والنوبة والقبط والروم وفارس وغير ذلك من القبايل في اقطار
الارض وجزيرة العرب بين الامم حدها من المدينة المكرمة الى
ارض العرب الحجاز الى ديار اليمن وقريب من ارض فارس وكذلك من
ناحية الشام مما يقرب منه ونزل القران والشرع بالسنتها فكان الحوض
على مقدار مسافة جزيرة العرب فكل من دخل دين محمد صلى الله عليه وسلم
وشرعه من ساير القبايل كان لابد ان يتعلم من اللسان العربي وان كان
اعجميا مقفولا ولو كلمة لا اله الا الله محمد رسول الله وفاتحة الكتاب
وما يصلي به ويقيم به دينه ولو كان حيث كان من البلاد البعيدة من
جزيرة العرب فلا بد ان يتعلم من لغة اللسان العربي ما يشرب به
من ما العلم المبعوث به محمد صلى الله عليه وسلم ولو بالنية لعظيم عجمته
والاعمال بالنيات قال الله عز وجل وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه
ليبين لهم وارسل رسولنا صلى الله عليه وسلم الى كافة الخلق فوجب
عليهم ان يتعلموا كلمة لا اله الا الله محمد رسول الله وما يقيمون به دينهم
بلسان نبيهم بحيث ما كان العبد وان بعد من جزيرة العرب تعلم ومن
ما الحوض الذي هو على سعتها شرب وجزيرة العرب مسيرتها قدر شهر فيكون
الحوض في المحشر على قدر ما كان في الدنيا وكذلك النبي صلى الله عليه وسلم •
بعث بين الحرمين كما ورد عنه ذلك فافهم فهمنا الله واياكم والناس في
الشرب درجات ومن شرب منه لم يظما لكنهم طالبون للزيادة من الشراب
لان لذته لا يصفها الواصفون ولا يقدر حلاوته المقدرون فهم شاربون
ابدا دنيا واخرى سقانا الله واياكم من حوض نبيه الكريم صلى الله عليه
وسلم دنيا واخرى ازلا وابدا ولا فتننا واياكم عن دينا وعصمنا واياكم
من الزيغ والزلل ولا اهلكنا بالعطش في مواطن الشرب ورضي عنا وعن

المكلفين

المكلفين اجمعين امين امين الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى اله وصحبه وسلم

الشعبة الاحدى والسبعون والثانية والسبعون

الايمان بالجنة والنار وانما اتى
انا نفرق بينهما في باب واحد لانهما قرينتان ابدا في الذكر قال النبي
صلى الله عليه وسلم اذكروا العظيمتين الجنة والنار فقرن بينهما
في الذكر والعظم فاما كونهما من شعب الايمان فانها الاخرة خفيفة
والقران والسنة انما ورد بالايمان بالدار الاخرة وليس يحتاج
في ذلك الى اقامة دليل لعموم ادلته قرانا وسنة واجماعا انتهى

فصل

اعلم ان الجنة والنار دار كل واحدة منهما ضد
الاخرى فما في هذه من انواع الاكرام والنعيم في هذه ضده من الخزي
والعذاب الاليم فالجنة نور والنار ظلمة فهذه انس وامن وحسن
محض وهذه وحشة وفزع وقبح محض وهذه لذة وراحة وسرور
محض وهذه مشقة وتنغيص وكرب محض وليس في هذه شي من الخير
الا وفي النار ضده من الشر وهما مخلوقتان قبل خلق الدنيا وقد
زعم قوم من اهل البدع لا عقول لهم انهما غير مخلوقتين الان اذ لا فايدة
في خلقهما قبل دخولها عندهم ولم يتفطنوا لجهلهم بالشرع للفايدة
في خلقهما قبل الدنيا وهي الفايدة العظيمة لو عقلوا وذلك
ان الدنيا انما خلقت منهما جميعا تنزلت الرحمة من الجنة وانواع الخير
والفتح وصعدت من دار الغضب انواع الشر والقبح في نفسيهما
فامتزج المخلوقان فكان منهما الدنيا فلم تكن الدنيا جنة صرفا •
ولا نارا صرفا قال الله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك
لها وقال للجنة انت رحمتي ارحم بك من اشا وقال النبي صلى الله عليه
وسلم ان الله خلق مية رحمة انزل منها الى الارض واحدة وامسك
عنده تسعة وتسعين فاذا كان يوم القيمة قبض هذه الى تلك •
يرحم بها عباده المومنين وانما يقبض هذه الرحمة التي قام بها العالم
وكان بها كل خير وحسن فيها اذا ميز الله الخبيث من الطيب من كل شي
من الدنيا فيزول المزج وتفسد دار الدنيا الممتزجة من الفتح

والفيح فيجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم ويجعل
الطيب كله في الجنة فيعود كل شيء الى اصله الذي خرج منه فيفنى وجود
الدنيا وتبقى الاخرة كما كانت اول مرة وورد في الحديث ان الله سبحانه وتعالى
يقول في الدنيا مرة واما كان لي منها والفوا سائرها في النار فالماء والنور
والطيب والجمال والخير كله من الجنة والخبيث والنار وكل شر من جهنم
قال النبي صلى الله عليه وسلم الحمى من فيح جهنم الحمى حظ كل مؤمن من النار
وقال صلى الله عليه وسلم ناركم هذه التي توقدون جزء من سبعين جزءا
من نار جهنم فهذا نص ان هذه النار من جهنم وقال ان النار اشتكت الى
ربها فقالت يا رب اكل بعضي بعضا فاذن لي ان اتنفس فاذن لها بنفسين
نفس في الشتاء ونفس في الصيف فاشد ما تجدون من الحر من السعير
واشد ما تجدون من البرد من الزمهرير وهذا نص ان الحر والبرد
اللذين بها فامر وجود الدنيا مع الماء النازل من محل الرحمة من جهنم ٥
والشواهد على هذا من الكتاب والسنة لا تحصى وجلبها يطول فاذا ٥
فهمت هذا علمت ان لا ولا ايل الجنة والنار في الوجود عامة فلا
يقع نظر الانسان على شيء الا وله فيه عبرة وذكره بالجنة والنار
فالنور والذهب والفضة والحرير اذا راها الانسان تذكر بها
واعتبر بنور الجنة وذهبها وفضتها وحريرها واذا راى لبنا وعسلا
وماء وخمرا تذكر بها ما في الجنة واذا راى الابكار والولدان والخدم
الحسان تذكر ما في الجنة واذا راى بساتين الدنيا وجناتها وثمارها
وفواكهها واشربتها تذكر ما في الجنة وهكذا كل شيء يذكر بدار النعيم
من مرئي او مسموع او مركوب او مسكن او ماكول او مشروب او منكح او ٥
ملبس اعني بذلك الدار التي انتزع منها واذا راى ما في الدنيا من
ظلام ونار وحر وسموم وزمهرير تذكر بها ما في جهنم منها واذا راى
العقارب والحيات والقيود والاغلال والسجون والزبانية
والجلاد والصديد والعذاب والنكايات والمر والكريه كله ٥
وجميع انواع الشر تذكر بها جهنم وما اعد الله فيها فلا يرى شيئا الا اعتبر
منه الدار الاخرة وحصل له اليقين وكان من العلماء الراسخين انتهى

فصل

فصل اذا فهمت هذا فاعلم ان الجنة خرجت معانيها ٥
وتطلعت الى هذا العالم الدنياوي على نوعين وكذلك خرجت
معاني جهنم الى هذه الدنيا ايضا على نوعين فاما النوعان من الجنة
فاحدهما محسوس وهو ما يخرج من الغيب ويترك من العلوم الماء
والنور والرياح الطيبة والاهوية المعتدلة وكل خير وحسن ظاهر
والثاني ما نزل من معاني الدين كلها كالذكر والتلاوة والعلوم
والفهوم والتنعم بالصلوات وانواع العبادة والمكاشفة ٥
اليقينية ووجود طعم الايمان والاحوال الشريفة كلها قال النبي
صلى الله عليه وسلم اذا رايتم رياض الجنة فارتعوا فيها يعني حلق
الذكر وروي عن الله عز وجل انه قال يا معشر الصديقين تنعموا
بذكري فانه لكم في الدنيا نعيم وفي الاخرة جزاء وعن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم كنز من
كنوز الجنة وفي الخبر ان سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله
والله اكبر غراس الجنة فالحسنات كلها اي نوع كانت من قبيل
الجنة وعليها تقسم الجنة لاهلها والنعيم بها من نعيم الجنة فهم
واما النوعان من النار فالاول ما ظهر منها من النار في هذا
العالم الدنياوي وما ظهر من نفسي جهنم من الحر والبرد والفيح
وجميع انواع المؤذيات مثل العقارب والحيات وانواع الشر
والظلمات كلها والثاني انواع الكفر والجهل والمعاصي كلها
وروينا عن بعض علماء الاخرة المكاشفين انه كان جالسا مع اناس
حوله فراى شررة من جهنم طارت فنزلت على قلب واحد منهم ٥
فظهر منه في الحال من الغضب والحقد والتغير ما ابهتنا الحال
مصداق هذا ما ورد في الحديث ان الغضب جمرة تتوقد في جوف
ابن ادم فهذه اربعة ابواب منها تطلعت الاخرة على الدنيا وبها
تذهب في كل نفس فالجنة والنار ظاهرتان باليقين للموقنين
مثل بطونهما في عالم الدنيا مثل بطون نفس الانسان في جسده وكما
لا يظهر على الجسد حركة ولا سكون الا من النفس وهي المحركة

خرنب

المسكنة له كذلك لامطايا الدنيا سوى الامر الاخرة وهي المحركة
المسكنه للدنيا قال النبي صلى الله عليه وسلم الجنة اقرب الى احدكم
من شسع نعله والنار كذلك وقد راها صلى الله عليه وسلم في
صلاة الكسوف وهو قايم نصلي في باطن الدنيا في عرض الحايط فاما
اوصاف الجنة والنار وما اعد الله فيهما للاخيار والاشرار
فلا تحيط بها العبارة وقد ورد في القران والسنة من اوصافهما
ما لا يحصره فهم ولا بالجملة وهم فمن اراد فهم بعض معانيها فعليه
بقراءة القران وما ذكر الله من اوصاف هذه وهذه وما ذكر النبي
صلى الله عليه وسلم في اوصافهما في الاخبار والاثار وما عسى ان يقال
في دار سقفها عرش الرحمن الذي هو مراة لتجلي انوار نور الانوار
فينفيض عن دونه في كل الجهات والاقطار انوار البصاير والابصار
وجمال الحجب والاستار وضيا الشموس والاقمار وكل حسن وجمال
وصف او يوصف في دار القرار ومحل الصالحين والابرار وتحته
الدرجات والمراتب والقصور والمنازل والرياضات والبساتين
تجري من تحتها العيون والانهار من العسل المصفى والخمر الذي
هو عن اذهاب العقول مبرا ومن الكوثر المطرد على احجار الياقوت
واللولو والزبرجد واللبن المحض الابيض الذي طعمه لا يتغير
وارض ذلك السقف مفروش مبسوط سعته على قدر سعة العرش
المحيط وفي ذلك الفراش الاقاليم المعظمة والمداين الامنة المهنة
كل اقليم لملك من الملوك وكل سكانها ملوك سعة كل اقليم كل
ملك من ملوكها على قدر سعة ابصارها وبصايرها تسرح في مروج
سهولها دواب تقطع حوافرها في مواقع ابصارها اسرع منها كالبرق
الخاطف يجول بركابها على اقاليم ملكه وما فيه من المشاهد
والمواقف فلا يشذ عنه منه شي الا وهو عليه واقف ويدرك
اقصاه وادناه كما يدرك العارف المعارف ويدخلهم الجنة عرفها
لهم وفي كل اقليم من انواع النعيم من الحلاوة والسكني ورغد العيش
الهني والمفازة والمنا والخيام والحذور والاسرة والستور

والحلي

والحلي واللباس والافراح والاعراس والراحة والانشراح و
الانكار والانبطاح والولدان والخدم الملاح والشرايب والاحرار
والناعمات الابكار والزوارق المنشات الجواري في الانهار خلال
في كل البراري والفرح والسرور واللذة والحبور وسماع الغنا
والحور ونجيات الروح والريحان والنعيم بينهم والرضوان ومن
كل ما اشتهت النفوس وتمنت ما لا عين رات ولا اذن سمعت واعظم
من ذلك واكرم ما لا خطر على قلب بشر جعلنا الله واياكم برحمته من
اهلها في عافية امين وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم
واما الدار الاخرى جهنم العظمى فانها مظلمة سودا تتوقد بنيران
الغضب وترمي بشررها من كثرة اللهب وما ظنك بدار نزعت
من الرحمة والاخلاق زبانيتها وعمارها القساوة والغلظة
وهيبة مناظرها كلها الكراهة والوحشة وليس توصف بشي الا
وهي اعظم منه وانما نفهم صفاتها وما اعد الله فيها عضا دونها الدار
النعيم فما في هذه من المونسات في هذه ضدها من الموحشات
وهكذا الاضداد كلها فاستقر ما ذكر في كل واحدة منها وقس
الواحدة بالاخرى على اعتبار الضد والمخالفة نسال الله الكريم
البر الرحيم ان لا يجعلنا من اهل النار وان يعتقنا منها بكلمة
التوحيد في عافية شاملة بمنه وكرمه ورحمته امين امين ه
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

الشعبة الثالثة والسبعون

الايمان بالنظر الى وجه الله الكريم اما كونه من الايمان فان الاجماع
من اهل السنة والشرع منعقد على الايمان بذلك وقد نطق به
القران والاحاديث الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم فوجب الايمان
به ولا ينكره الا اهل الزيغ المارقين من الدين قال الله تعالى وجوه
يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وقال للذين احسنوا الحسنى وزيادة
والزيادة هي النظر الى وجه الله الكريم وفي الصحيح عن ابي هريرة
رضي الله عنه ان ناسا قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيمة

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضارون في رؤية القمر ليلة
البدر ليس دونه سحاب قالوا لا قال فهل تضارون في رؤية الشمس
ليس دونها سحاب قالوا لا قال فانكم ترونه كذلك وذكر الحديث وعن
جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذ نظر الى القمر ليلة البدر فقال انكم سترون ربكم عيانا
كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا
على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا وعن
ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قلنا يا رسول الله هل نرى
ربنا قال هل تضارون في رؤية الشمس اذا كان صحوا الحديث وعن ابن
عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ادنى
اهل الجنة منزلة لمن ينظر الى ملكه مسيرة الف سنة وان اكرمهم على
الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية وقرا رسول الله صلى الله عليه
وسلم وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة والشواهد على هذا كثيرة
جدا والدليل ذلك في العقول بينة ايضا فان الافعال قد دل على وجود
الباري سبحانه وتعالى وثبت انه موجود حق فقد بان انه المعقول
بالعلم موجود بلا شك وكل موجود صح وثبت وجوده ولم يكن عدما
جاز في العقل رؤيته بالبصر ولم يستحل وانما المستحيل رؤيته بالبصر
العدم الذي لا وجود له وقد اخبر الباري سبحانه وتعالى ورسوله
صلى الله عليه وسلم برؤيته بالبصر يوم القيمة في الجنة فوجب ظهور
ذلك لا محالة وانما امتنعت رؤيته للابصار في الدنيا لضعفها
عن ادراكه ولذلك قال الله سبحانه وتعالى لا تدركه الابصار اذ
الادراك هو الاحاطة واللحوق والضعيف لا يطيق القوي العظيم
ولا يلحق الغائب الثريا وان الابصار لضعفها لا تلحق من الاشيا
المحسوسة وان دقت الاشيا وصغرت الا البعض والجزو ولا تلحق الكل
لقصر حاسة البصر مثال ذلك ان الدرهم او الجوهرة مثلا او اقل منها
او اكثر لا تدرك حاسة البصر منه الا جهة واحدة اذا اطلقتها على
المرئي ويغيب عنها غير ذلك من الشي هذا ما تصنع في الاشيا

الحقيرة

الحقيرة وفيها ايضا وصف اخر من الضعف وذلك انها لا تطيق حمل الشعاع
الكثير والنور العظيم مثال ذلك نور البرق الخاطف والشمس لو ادامت
النظر اليها لطمست من اجل ضعفها ولا ترى ما غاب عنها وكبصيرة
الباطن بخلاف ذلك لانها تتغلغل الى باطن الشي وتدركه بحقايقه
اذا استقام النظر فترى بالاستدلال ما غاب بما حضر فاذا كانت
الاخرة وقويت الابصار وكانت انوارها وقواها واذا كانها من نوع
تلك الدار قويت على ادراك النور العظيم فاذا الابصار تكون
في الاخرة نافذة قوية على الاحاطة فيما اطلقت عليه كنفوذ البصاير
واحاطتها قال النبي صلى الله عليه وسلم ان ادنى اهل الجنة منزلة
لمن ينظر الى جنانه وازواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة الف سنة
يرى اقصاه كما يرى ادناه فهذا بصر نافذ في الاشيا وجميع الملك ظاهره
وباطنه لا يغيب عنه شي ويستوي عنده القريب والبعيد بخلاف
بصر الدنيا لقوله صلى الله عليه وسلم يرى اقصاه كما يرى ادناه

فصل فاذا فهمت ما تقدم علمت ان البصر النافذ لا يرى
في جهة دون جهة بل يرى لا في جهة ويرى من كل جهة وقد كان النبي صلى
الله عليه وسلم لما دخل الجنة ليلة الاسرا وراى الايات الكبرى
مما كشف له من عالم الملكوت والاخرة وحصل له من نور تلك الدار في
بصره يرى من خلفه كما يرى من امامه ثبت عنه صلى الله عليه وسلم
انه قال اترون هاهنا قبلتي فوالله ما يخفى علي ركوعكم ولا سجودكم
واني لاراكم من وراء ظهري والبصر القاصر لا يرى الا من جهة والباري
سبحانه وتعالى لا يرى في جهة بل كما نعلمه الان لا في جهة ولا حد
كذلك اذا كانت الابصار في الاخرة نراه اذا تجلى لها لا بحد ولا في
جهة فان البصر هناك تابع للعلم فما ادركه العلم وحققه ادركه البصر
كذلك وحققه كشفا والباري سبحانه وتعالى يرى في الدنيا بالعلم
ويرى في الاخرة بالعلم والبصر جميعا واعلى اهل الجنة منزلة ونعيما
واكثرهم لذة اكثرهم نظرا الى الله سبحانه وتعالى وهو النعيم الذي
لا مثله نعيم والناس في ذلك درجات على قدر نظرهم تعلوهم في

الدنيا الى الله تعالى والتفاتهم بالقلوب الى مولاهم ورغبتهم في العلم
به والمبادرة له والاشتياق اليه والمراقبة له فمن كان قلبه ونظره
متعلقا بالعلم بالله والمراقبة لتجليه كان جسده وحواسه ظاهره
تابعا لعمله ونظره تابعا لبصيرته فكان كثرة نعيمه في الاخرة
برؤية مولاه الذي هو المقصد الذي كان باطنه وظاهره متعلقا
بالمراقبة والالتفات الى مولاه في دار الدنيا وكان اعظم همه
ورغبته في ذكر سيده والاهتمام به والخروج والانقطاع من الاشتياق
اليه والمناجاة والحضور معه في الصلاة وغيرها في كل لحظة
ونفس فمن كان هكذا كان ثوابه في الاخرة الاتصال بعليين
والنظر الى وجه رب العالمين وعلى قدر رغبة العبد في الشهوات
والتمتع بالامور الهوائية وقلة اهتمامه ونظره بالخروج من الحق
الى ربه يكون نظره الى ربه في الاخرة على قدر ما كان التفاته
في الدنيا اليه ويكون اكثر زمانه في الاخرة ان كان سعيدا
مستغرقا في التمتع بالحور والقصور وغير ذلك والكل حسن وبعضه
احسن من بعض وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم ذلك في
الحديث المتقدم ذكره قال ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن ينظر الى
جنانه وازواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة الف سنة وان
اكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية فوصف هذا
بالنظر الى الملك ووصف هذا بالنظر الى الملك سبحانه وان زمان
في الجنة لها اوقات ومواسم وبعضها اكثر من بعض وبعضها عموم
وبعضها خصوص على قدر اوقات الصلوات والجمعات والاعياد
والمواسم على قدر الكمال والشغل بالله تعالى وبغيره والباري
سبحانه وتعالى يتجلى في كل مرة تراه اولياؤه فيها بصفة من
صفاته فمرة من صفات الكمال ومرة بنعوت الجمال واخرى بمحاسن
الجلال ومرة باوصاف الرحمة والحنان ومرة بصفة الكرم والامتنان
ومرة بصفة العلم واخرى بصفة الحلم هكذا ابد الابدين ودهر
الداهرين واسماؤه وصفاته لا تتناهى ابدا ويحدث تجليه ابدا

في الملك من الحسن والجمال والنعيم والبهجة والسرور والبركة
والفوز والزيادة والخيرات ما لم يكن قبل ذلك **فصل** في
فعلى هذا يكون نعيم اهل الجنة على ضربين روحاني وجسماني فالروحاني
نعيم الفرح والسرور والحبور والتلذذ برؤية الله ورضاه
الى غير ذلك والجسماني التمتع بالحور والقصور والماكول والمشروب
الى غير ذلك من نعيم الجنان وكذلك عذاب جهنم على ضربين روحاني
وجسماني فالروحاني عذاب الحجاب عن الرب جل جلاله والياس من
لقائه ورضاه الى غير ذلك والجسماني عذاب النار واختلاف انواع
جهنم جعلنا الله واياكم من اهل السعادة بمرضاته وخلدنا واياكم
في محل الكرامة ولا جعلنا من اهل الشقاوة وعصمنا من دخول
جهنم برحمته امين وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

فصل اعلم يا اخي وفقنا الله واياك الى كل ما يرضاه
ان كل شيء تهواه النفوس ولم تشا هداية الله في ذلك الشيء ولا اريد به
الله ولا توجه به اليه فان القلب يكون بذلك معرضا عن الله سبحانه
وتعالى مدبرا او باعراضه وادباره يكون لوجهه قفا فان زاد الاعراض
والادبار ربما الكلية كان قفا بلا وجه فلذلك لا يرى الله ابدا ومن
توجه الى الله بقلبه في كل شيء واراد الله بكل شيء كان قلبه وجها
بلا قفا ومن كان وجهه قلبا بلا قفا كان على الفطرة الحنيفية
وعلى طريقة الانبياء الابرار الى قول الخليل صلى الله عليه وسلم
وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين
وقال الله عز وجل فاينما تولوا فثم وجه الله فكيف يكون القلب قفا
مع هذا الخطاب اذا كان القلب حيث ما توجه وجد مولاه وكل
قلب له ادبار فله قفا وذلك الادبار لو فهم المدبر اعظم من كل عظيم
قال بعض العارفين الاعراض عن الله طرفة عين اشد على من دخول
النار وقد على قدر الادبار والاعراض يكون الحجاب وعلى قدر الاقبال
على من ليس كمثله شيء بالنظر الشديد والتوجه المستقيم تكون الرؤية
وكشف الحجب وعلى قدر ذلك تكون الرؤية في الاخرة او الحجاب والله اعلم

فصل واعلم ان حب الدنيا راس كل خطيئة وبها يهلك
الكافر وغيره من اهلها لكنه يخس الحظ الاكبر من يخس من المعرضين
عنها المقبلين عليها وقد ورد في الاخبار انه لما خلق الله عز وجل
ادم عليه السلام وذريته وظهرت لهم الدنيا ذهب الا الله تسعة
اعشار بني ادم الى الدنيا وزخارفها فحال لهم حال من اعرض عن سيده
واقبل على عبادة عبد مثله ثم نظر العشر الباقي الى ما سقط
عليه تسعة اعشار بني ادم فنزهوا انفسهم عن ذلك فاعطى
الله هذا العشر الباقي علم الجنة وما فيها من النعيم المقيم من
الفواكه التي خلقت في قضبان الذهب واغصان الفضة
وشرفا ما فيها من القصور وحال لما في القصور من الحور حليها
نور وحللها نور يكاد يتأمل الناظر فيها يجرح خدها اشفارها
الطوال من جاح نسرة عينيها وحواجبها سواد في نور يكاد حسنها
يذهب بالعقول الى غير ذلك فذهب الى طلب علم الجنة وما فيها
من ذلك العشر تسعة اعشاره وبقي مع الله عشر ذلك العشر وفي
الخبر طول كثير تركته اختصارا **فصل** فعلى قدر اعراض
العبد عن الله واقباله على غيره ورغبته فيما سواه يكون حجابه
عنه لانه هو فعل ذلك بنفسه لانه اعطى مولاه قفاه وادبر عنه
ورماه وراء ظهره كما قال تعالى واتخذتموه وراءكم ظهريا وقال تعالى
والله من ورائهم محيط لانهم اعرضوا عنه وجعلوا نسيا ثوابه فكان عندهم
بمنزلة الشيء المرمي وراء الظهر الذي لا يعبا به **فصل** قال
النبي صلى الله عليه وسلم الاحسان ان تعبد الله كانك تراه والنظر
الى الله عز وجل في الاخرة ثواب مقام الاحسان في الدنيا على قدر
تحقق العبد ونظره في مقام الاحسان في الدنيا يكون نظره الى
مولاه في العقبى جزاء وفاقا والاحسان مقام الروحانيين واهل
العقول الراجحة الذوق اميين والاحسان مقام الزيادة والنظر
والرؤية كما ثبت في الحديث ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه
فانه يراك وقد اثبت الله المعية للمحسنين فقال تعالى والذين جاهدوا

فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين فان اردت ان تكون في الاخرة من
اهل النظر الى الله مع اهل عليين فاحرص ان تكون هنا من المحسنين على ممر
اوقات تأتي في ليلك ونهارك وعليك بالتقوى وطلب العلم والعمل به
والمعرفة له والنظر والفكر فانه قد ورد في الخبر تفكر ساعة خير من
عبادة سنة فان العلم يرفع حجاب الجهل الذي لا حجاب اظلم منه ولا
ابعد من الله والنظر الى الله سبحانه وتعالى في مقام الاحسان لا يكون
الا بالعلم والمعرفة الذي هما الفضل العظيم واي فضل اعظم من ان
يكون العبد مع من ليس كمثله شيء ويكون هو معه الا ترى كيف اثبت
المعية للمحسنين في قوله وان الله لمع المحسنين واكد المعية بلام التاكيد
المؤكدة لتحقيق كون المعية وثبوتها لهم ولم تثبت لام التاكيد في
المعية في شيء من القران الا للمحسنين في مقام الاحسان فان كان في
الكون كله شيء يعدل بالله عز وجل او يكون له قدر وفضل كقدر الله
وفضله على جميع الاشياء فليطلبه العاقل ويصحبه ويؤثره على غيره
وحاشى لله ان يكون في الوجود شيء يقاربه فكيف يعادله والموصوف
بالعقل انما يطلب ابدا الرجحان والفضل وهي خاصية العقل فلا
يكن همك من مولاك في الدنيا والاخرة الا مولاك وهو الله سبحانه وتعالى
وليس ذلك الا من مقام الاحسان **فصل** اثبت المعية
للمحسنين وحرف مع في اللغة معناه المصاحبة زيد مع عمرو اي مصاحب
له لا يفارقه والصاحب محب لصاحبه ومن احب صاحبه لم يحب
مفارقته الا اذا زالت الصحبة بينهما وفي الخبر المرء مع من احب
والله يحب المحسنين وان الله لمع المحسنين والمحسنون مع الله والله معهم
دنيا واخرى **فصل** قال الله عز وجل في الاحباب لا يستطيعون
نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون دليله ان الاحباب لهم من الله
الصحبة وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول في دعائه
اللهم انت الحامل على الظهر والخليفة في الاهل والصاحب في
السفر والانسان في الدنيا سفر فالمعية هي المصاحبة وبالاعراض
عن الله الى غيره تكون المفارقة من المعية الم تسمع الى قوله تعالى

ام لهم الهة تمنعهم من دوننا الى قوله ولا هم منا يصحبون واالهوى اله
معبود فاذا انا له القلب لغير الله فارقه **فصل** فان
قلت فان المعية فيها بعض اشكال فما معناها فاعلم ان معناها
بين في قوله صلى الله عليه وسلم الاحسان ان تعبد الله كانك تراه
فان لم تكن تراه فانه يراك فذكر الرؤية التي بها تكون المعية ورؤية
الله سبحانه وتعالى في الدنيا بالعلم والمعرفة ولذلك لا يصاحب
احد احدا حتى يكون بينهما معرفة ورؤية فما دام العبد مع الله
ناظرا اليه بالمعرفة زال حجاب الجهل به واذا انكشف الحجاب حصلت
المعية فرأى القلب البارى سبحانه قائما بكل شئ محيطا بكل شئ فرآه
في كل شئ ومع كل شئ اقرب الى كل شئ من نفس كل شئ بقرب لا يشبه تدانى
الذوات بعضها من بعض لا بملامسة ولا بملاصقة بل بقرب الاحاطة
والادراك وادراك القيومية وامساك الجملة بعظيم القوة وعزة
القدرة وهو في قربه بعيد من كل شئ لا ببعد المسافة والمفاصلة
ولا بتباعد الحد والمفارقة بل بعدا للنزاهة الذى ليس مثله
في نزاهة النفوس نزاهة فقد ثبت ان المعية للمحسنين وان الله
يحب المحسنين واذا رآه العبد وعرفه احبه الحب الكامل الذى
هو حبه لذاته اى لانه اهل ان يحب ومن احب شيئا اكثر من ذكره
وابتغى ان يقربه وخاف ان يزول عنه وتقواه لذلك توجب له تاكيد
المعية وان الله مع المتقين ومن احب شيئا صبر عليه والله مع
الصابرين فصبره توكيد المعية وهذه انواع المقامات الاحسانية
فحينئذ يكون باطن المحسن وجهه بالاقتداء على سنة ابرهيم الحنيف
حيث قال وجهت وجهي للذى فطر السموات والارض حنيفا اى مائلا
عن الجملة الا اليه فحينئذ يجد مولاه في كل شئ حيث ما اتجه فيذكره في
كل شئ ومع كل شئ ويؤثر ذكره على ذكر كل شئ قال الله عز وجل في
تحقيق هذه المعية المذكورة انا مع عبدى ما ذكرنى وتحركت بى شفتاه
وجدنى لانه يراه في كل شئ فلا يفارقه في شئ وقال الله عز وجل
وما تكون في شان وما تتلوا منه من قران ولا تعملون من عمل الا كنا

عليكم

عليكم شهودا اذ تفيضون فيه وقال انى لا اطلع على قلب عبد فاجد
الغالب عليه ذكرى الا كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر
به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى عليها الحديث الى اخره فهذا
معنى المعية الاحسانية والصحبة الربانية فمن كان هنا مع مولاه
كان في العقبى مع مولاه ومؤثرا له على كل شئ لانه ليس كمثله شئ ويكون
ما اعطى من نعيم الجنة من شكله ومثله فلا يكون شئ من مثل كانه الا
مذكرا بمن ليس كمثله شئ لان الاخرة جزاء الاعمال والاحوال جزاء وفاقا
كما قال عز وجل من جاء بالحسنة فله عشر امثالها فالمثلية في المجازاة
مستقصاة في كل شئ زيادة بيان اعلم انه قد امر الله العباد بالمعرفة
والعمل والعبادة وامرهم ان يتوجهوا له وان يريدوا وجهه بكل حركة
وسكون فاذا كان العبد كذلك كان جزاؤه على حركاته كلها وسكناته
كذلك فيرى الله في كل شئ كما كان متوجها له في كل شئ لانه على مثل
وصفه يجازى بتجزيهم وصفهم انه حكيم عليم **فصل** فاذا
كان العالم فالعامل والعابد والذاكر انما يطلب من الله ولا يطلب
الله كان جزاؤه موقوفا على مثل طلبه والمقربون طلبوا الجار قبل
الدار واصحاب اليمين طلبوا الدار قبل الجار فلذلك اختلفت
احوال الخلق ونظرهم ونعيمهم **فصل** فان قلت كيف
تحجب الاشياء اذا كان العبد ناظرا اليها عن الله فاعلم انه كما يكون
العامل هنا والعابد والذاكر متلبسا بالعلم والعبادة والذكر ويخرج
بقلبه عن النظر الى الالتفات اليها فيحجب بالمعبود عن العبادة
وبالمعمول له عن العمل وبالمذكور عن الذكر وبالركوع والمسجود له عن
الركوع والسجود وهو ملابس لذلك كله متنعم بذكره وعبادته لمولاه
كذلك يكون في العقبى اذا جوزى المثل بالمثل وهذا بين لا اشكال
فيه ولا استبهام كان اكثر علمه في الدنيا التيسير باطنه في المعلومات
والمعقولات والنظر والاستدلال بالبراهين والايات فليس
شئ من الاشياء الا وهو دليل على الله عز فاطلع له عن الله فاذا لاح
له جمال الله وجلاله في كل شئ رغبه وآثره على كل شئ فالذى له في الدنيا

بالمعنى يكون له في الآخرة بالكشف والعيان فاحرص ان تكون ذاتك
الباطنة وجها بلا قفا ومن كان باطنه وجها بلا قفا لم ينظر الى
موجود في جهة ولا يتوجه اليه في جهة دون جهة فانه منزه مقدس
عن ان يطلب في الجهات رفيع منيع عن لحاقه بخواطر الاوهام وتبيينه
الاشارات عزيز قوي قيد كل مخلوق وحصر وقهر كل عقل ونظر عرف
الكل قدره فلا يحيط به احد ان يتعدى حده وطوره فالوجوه في توجهها
له خاضعة والبصائر في نظرها اليه خاشعة خاسرة كلت وعجزت
عن الاحاطة به العلوم والفهوم وعنت الوجوه للحي القيوم **فصل**
فان قلت قد تبين لي ان بالمعرفة والعلم يرى الله سبحانه وتعالى في الدنيا
وثواب ذلك في الآخرة الكشف والعيان وطريق المعرفة صعب فاعلم
انه هين يسير على من يسره الله عليه والطريق الى الله اسهل وامن مما
يتوهمه الجاهلون وهو ايسر من طريق الدنيا واتباع الهوى باضعاف
كثيرة فاتباع الهوى هو الصاد عن سبيل المعرفة والعلم بالله **فصل**
اعلم ان الهوى على ضربين ضرب هوى عقلي وهي الآراء المجردة التي
ضل بها الخلق قال الله تعالى ومن اضل ممن اتبع هواه وان كثيرا
ليضلون باهوائهم وهوى نفساني وهو الحاجب عن طريق الله والهوى
مشتق من قولك هوي الرجل يهوى هوى اذا احب والحب على ضربين
كما تقدم في الهوى لانه حب عقلي وهو الاستحسان بالرأي فهوى
العقل وجهه استحسانه وحب نفساني وهو ارادة الشيء المستحسن
المشتهى فاذا استحكم الهوى ضل المتصف به وذهب في كل مذهب
قال الله تعالى كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران اي ذهبت
به كل مذهب فصار حيران اي ضل فاذا ضل تردى المهاوي الهاوية
لان لفظ الهوى يعطي ذلك تقول العرب هوى الرجل يهوي هويا
تردى ومنه الهاوية وتقول تهاوت الناقة براكبها اذا هوت به
وتردت وكل من ضل اذ كفر او زاغ او مات قلبه انما ضل بالهوى العقلي
والنفساني وكل من استحسن شيئا بعقله وهويه بقلبه اتبعه واتخذ
الهاوي في الحال الهوى اله معبود ولم يبق شيء من المخلوقات الا وقد

عبد

عبد من دون الله واضل ذلك مما ذكرت لك **فصل** اعلم ان طريق
الهدى والمعرفة غير طريق الهوى والضلال فاول ذلك والاصل
المعول عليه الذي لا بد منه والمصاحب لكل وجه من وجوه الهدى طلب
الهدى من الله عز وجل فانه لا هادي سواه الا ترى الى قول امام المهتدين
الخليل عليه السلام حين نظر وفكر واستدل على ربه تعالى في استقصى
نظره للاصنام ثم في الكواكب ثم في القمر ثم في الشمس في الجملة لئن لم
يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين فاذا حصل العبد هذا وعول
عليه فان الهدى يكون باشياء منها النظر والتدبر والفكر في شيء من
الوجوه كله والاستدلال به على موجده والوحي الذي هو في نفسه هدى
والوحي هو الكتاب والسنة التي هي حديث النبي صلى الله عليه وسلم
وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى قال الله تعالى في حصول الهدى
بعد النظر في المخلوقات في قصة ابرهيم عليه الصلاة والسلام وحاجه
قومه قال اتحاجوني في الله وقد هداني وقال في الوحي ما كنت تدري
ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا
ومن اسباب الهدى اتباع الهادي محمد صلى الله عليه وسلم قال الله
تعالى وانك لتهدي الى صراط مستقيم وان تطيعوه تهتدوا **ومن** اسباب
الهدى اسلام شارح للصدر قال الله تعالى فمن يرد الله ان يهديه
يشرح صدره للاسلام وعلامة الشرح ذكرها رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال ان النور اذا وقع في القلب انشرح له الصدر فقيل وما
علامة ذلك فقال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار
الخلود والتأهب للموت قبل نزول الفوت فهذه اسباب للهدى
وتنوير للقلوب والعقول بانوار الله بلا شك **ومن** اسباب الهدى
ايمان بصدق قال الله تعالى ومن يؤمن بالله يهد قلبه وهذا شرط شرطه
الله بكرمه على نفسه فقوله ومن يؤمن بالله شرط وجوابه فعل الهدى
يهد قلبه والشرط مع المشروط **ومن** اسباب الهدى التقوى قال الله
تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين وقال تعالى ان
تتقوا الله يجعل لكم فرقانا والفرقان هو النور الذي يمشى به في الظلمات

وقال تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله ومن اسبابه ترك الفسوق قال
الله تعالى والله لا يهدي القوم الفاسقين يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا
وما يضل به الا الفاسقين ومن اسبابه الصبر على ما امر به العبد
وعن ما نهي عنه وعلى ما قضي عليه قال الله تعالى وبشر الصابرين
الى قوله اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون
ومن اسبابه خوف الزيغ والتضرع في طلب الهدى والثبات عليه
في كل وقت قال الله تعالى في سورة الحمد التي امر العبد بتلاوتها اناء
الليل والنهار في مفروضاته ونوافله اهدنا الصراط المستقيم وقال
تعالى مادحا للراسخين اولي الالباب في قولهم بالخوف ربنا لا تزغ
قلوبنا بعد اذ هديتنا ومن اسبابه الاعتصام بالله وبالكتاب
والسنة قال الله تعالى ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم
والاعتصام هو الاتباع بالنبي ومن اسبابه الالفة والاجتماع على
الحق وترك الفرقة والبدعة وذكر الله ونعمه وشكره على نعمه كلها
قال الله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا الاية الى قوله لعلكم تهتدون
ومن اسبابه الرضى عن الله واتباع رضوانه قال الله تعالى قد جاءكم
من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه الى قوله ويهديهم
الى صراط مستقيم ومن اسبابه ترك الظلم قال الله تعالى والله لا يهدي
القوم الظالمين ومن اسبابه ترك العوايد المضرة والتقليدات
المضلة قال الله عز وجل واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل
نتبع ما وجدنا عليه اباءنا اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون
ومن اسبابه الانابة الى الله تعالى قال الله تعالى ان الله يضل من يشاء
ويهدي اليه من اناب ومن اسبابه مجاهدة النفس قال الله تعالى
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا الاية ومع الهداية تكون المعية
التي ذكرنا كما ختم بها الاية في قوله تعالى وان الله لمع المحسنين ومن
اسبابه العدل والحكم بالحق قال الله تعالى فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع
الهوى فيضلك عن سبيل الله فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى
سواء الصراط ومن اسبابه الصدق والاقتصاد في الانفاق قال الله

تعالى

تعالى ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب ومسرف مرتاب ومن اسبابه
ترك اسباب الضلال كلها وهي اضداد اسباب الهدى مثل الشك واستحباب
العمى على الهدى والصد عن سبيل الخير ومن صد صد والظلم والفسق
واعدادها كثيرة ومن اسبابه التصديق بالايات والعذر والكلمات
قال الله تعالى ان الذين لا يؤمنون بايات الله لا يهديهم الله ومن
اسبابه الاقتداء بالائمة المهتدين الاولياء الداعين الى الله عز وجل
قال الله تعالى وقال الذي امن يا قوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد
ومن اسبابه اجتناب الضلال والعمى وطلب الهدى واجتناب
اتباع اضداد الائمة الداعين الى الله مثل الفراعنة الجبابرة قال الله
تعالى وما امر فرعون برشيد واضل فرعون قومه وما هدى وال فرعون
كل من تفرعن وتجبر ودعى الى نفسه وتعظيمه بالحال والحمية والقول
والدعوى وان ادعى الاسلام ومن اسباب الضلال والعمى عن
الهدى اتباع شياطين الجن والانس وقبول زخرف القول والوساوس
منهم قال الله تعالى ومن الناس من يجادل في الله الى قوله ويهديه الى عذاب
السعير ومن اسباب الهدى ترك الاتكال على غير الله وعلى الحس
الفاني ودفع الهمة الى الله تعالى وهي الاستقامة قال الله تعالى افمن
يمشي مكبا على وجهه اهدى امن يمشي سويا على صراط مستقيم ومن اسبابه
النظر والاعتبار في مصنوعات الجبار وجولان الفكر في كل شيء فان
الموجودات كلها هي ايات الله ودلائله الدالة عليه الهادية لمن استهداها
قال الله تعالى ان في السموات والارض لايات للمؤمنين الى قوله
تلك ايات الله نتلوها عليك بالحق فاجرانها ايات وقال تعالى
ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم
الى قوله لعلكم تهتدون وقال تعالى خلق السموات والارض بالحق
تعالى عما يشركون خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين ثم جعل
يسرد الايات شيئا بعد شيء فذكر الانعام وما فيها من الايات والخيل والبغال
والحمير الى قوله تعالى ولو شاء لهداكم اجمعين ثم سرد ذكر الماء وما انبت به

به والليل والنهار والشمس والقمر والنجوم والالوان المختلفة والنبات وحيوانه ومنافعه والفلك الجارية والرياح والجبال والانهار والطرق والعلامات ثم ذكر الهداية بها وبالايات وذكر في اثنا الايات انها للعقلاء ايات ولاهل الذكر والفكر وقال في غيرما اية من القران عند ذكر المخلوقات انها ايات لقوم يسمعون ولاولي الابصار ولاولي الالباب فالحجر والنبي والبيض وغير ذلك ما يكثر تعداده يدل بذلك كله على نفسه ويمدح المتذكرين والناظرين والمتفكرين والعالمين والعاقلين الناظرين في المخلوقات وفي مدحهم بذلك ذم لمن لم يتفكر ولا يتذكر ولا ينظر وشبههم بالدواب والانعام فقال تعالى ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ومثله كثير وقال تعالى في الاية الجامعة لجميع الاشيا التي لم يشذ عنها دق او كبر من الذرة والبعوضة الى ما فوقها من المخلوقات والملك والملكوت فقال اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء فامر بالطلاق النظر في كل شيء فهذا هو الوجود كله امر الله وحض على النظر والفكر فيه وقال في النظر في ايات الوحي كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا اياته وليتذكر اولوا الالباب افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها وقد تبرهن بما ذكرناه ان الله امر بالتفهم والتفكر والتدبر والنظر وهي اسباب الهداية فالنيك الخيرة في ان تكون من اهل العقل والفهم والمعرفة والذكر والحضور والحياة الطيبة فقد فتح الله الابواب والطرق الهادية اليه على عدد كل شيء او ان تترك ذلك فتكون جاهلا حمارا بليدا تحمل الاسفار فلا تدري ما فيها وميتا تمشي بحياتك الجسمانية تظن انك حي ذات ميت الباطن اعمى اصم ابكم لا تنطق بكلمة وانت تتقلب في الايات الناطقة بل لا تراها ولا تسمعها وتنطق بالترك ولا يجاوز حنجرتك لانك لا تسمع الا الاصوات ولا ترى الا الحروف وكاين من اية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون

فصل فقد تبين بما جليناه ان الله يوجد ويرى في كل

شي وبكل شي وفي كل عمل صالح فان ايات الله اكثر من جواهر العالمين واعراضهم اضعافا مضاعفة لان في كل جوهر وعرض وجسم ايات لا تحصى فاستعن بالله يعنك واطلب تولاك بصدق تجده حيثما كنت كما قال عز وجل وهو معكم اين ما كنتم وقال تعالى انا مع عبدي ما ذكرني وحيث ما طلبني عبدي وجدني فاذا كنت كذلك فحيثما كنت وجهت بلا انفعا وصحت لك المعية الاحسانية بعون الله وهدايته فاطلب تولاك وسافر اليه سفرا روحانيا واقتد بابيك ابرهيم الخليل عليه السلام متكلا على توفيقه وهدايته الا تراه عليه السلام كيف قال مخبرا لقومه عن سفره اني ذاهب الى ربي سيهدين فاياك ان تتوهم من هذا السفر والذهاب قطع المسافات الجسمانية فالرب سبحانه وتعالى اقرب اليك منك اليك والى كل موجود من نفس الموجود فترتقي في عالم الخيال وافاق الوهم والظن الكاذب المزلال والنظر بالادب والوقار فان من لم يتادب في نظره بالاداب سدت في وجهه الابواب ورد الى السياسة الدواب وقد ذم الله سبحانه عندنا فرعون بسوء النظر الوهمي والخيالي والظن الكاذب الجسماني فقال تعالى وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات والارض فاطلع الى اله موسى فانظر ما اجهله وما اخفاه وما انكد قلبه واسقاها له حملة الخيال والوهم الجسماني والعزة والطغيان على طلب الله تعالى بالطلوع في البنيان وهو امام المجسمين ومن توهم ان الله تعالى جالس في السما كان من المتخيلين ورايتي كل جاف قليل الادب من الناظرين المتكبرين ولقد احسن العارف اذ قال في ذم الوهم والخيال والظن • فانشا يقول •

تاه الخلايق في عميا مظلمة • منه ولم يعرفوا غير الاشارات •

بالظن والوهم نحو الحق مطلبهم • الى السما يناجون السموات •

والرب بينهم في كل منقلب • يحيل حالاتهم في كل ساعات •

ما ان خلوا منه طرف العين لو عقلوا • ولا خلا منهم في كل اوقات •

جعلنا الله واياكم من اهل السعادة امين وصلى الله على محمد واله وصحبه وسلم

الشعبة الرابعة والسبعون

اماطة الاذى عن الطريق اما كونها من شعب الايمان فانه نص في الحديث
المروي في شعب الايمان قال النبي صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون
شعبة اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن
الطريق وهذا اللفظ يحتمل الظواهر والبواطن لعموم لفظ الطريق
ظاهرا وباطنا اذ الطريق ينطلق على محجة الاقدام وعلى طريق الاسلام
وطريق السلوك الى الله جل جلاله فاماطة الاذى عن الطريق الظاهر
كاماطة شوكة وحجر موذ ونجاسة وجيفة منتنة وكل ما فيه اذاية
للمسلمين فزوال ذلك عن طريق المسلمين بنية صالحة عمل صالح وفي الخبر
بينا رجل يمشي اذ وجد غصن شوك فاذا له عن طريق المسلمين فشكر الله
له ذلك فغفر له وروت عايشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ان الله خلق كل انسان من بني ادم على ستين وثلاث
مائة مفصل فمن كبر الله وحمد الله وهلل الله وسبح الله واستغفر الله
وعزل حجرا عن طريق او شوكة او عظما او امر بمعروف او نهى عن منكر عدد
تلك الستين والثلاث مائة السلامى فانه يمشي يومئذ وقد زحزح
نفسه عن النار فكل من اصلح طريق المسلمين وسهله واماط عنه الموذيات
بنية صالحة شكر الله ذلك له فلا يحقرن العبد شيئا من فعل الخير فانه
لا يدري بما يغفر له ومن قطع طريق المسلمين واذاهم بوضع النجاسات
والموذيات فيه فقد عرض نفسه للهلاك ومن اماطة الاذى عن
الطريق في الظاهر ايضا ازالة القاذورات وفضول الشعر
والاظفار من جسد ابن ادم وتطهير السبيلين والجوارح من الاوساخ
فان ذلك كله اذى وداخل في عموم الحديث وقد ورد ايضا في الحديث
عن سليمان بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مع
الغلام عقيقة فاهريقوا عنه دما واميطوا عنه الاذى وتنظيف
طرق الجوارح في الجسد التي هي طرق الطاعات وتطهير جوانحه
ومراحه من اماطة الاذى وذلك كله من الفطرة التي رغب الشرع
فيها ومن ذلك السواك في الفم فان الفم طريق لذكر الله تعالى وتلاوة

كابه

كتابه فتنظيفه لجري ذكر الله من ذلك الموضع وفي الخبر السواك مطهرة
للفم مرضاة للرب واما الباطن فان الطريق هو صراط الاسلام
والدين وقد احدث اهل الاهوا والمبتدعة بارايهم في ذلك من الموذيات
ما يضر بانفسهم وباهل الدين فواجب على العبد اماطة ذلك وتغييره
والتحذير منه وكشف واضحا نا الطريق على من خفي عليه وازالة كل
موذ للعبد والدين ولاهل الدين في سبيل المسلمين ومن ذلك ايضا
ازالة الموذيات في سبيل السلوك الى الله والقصد فان للشياطين
فيه موذيات كثيرة بالوساوس وتلبيس الطرق كما اخبر الله عز وجل
عن عدوه وعدونا فقال تعالى لاقعدن لهم صراطك المستقيم فهذا
نص على ان الشيطان قعد وسط الصراط المستقيم لاذاية الخلق
الا لكين عليه ولقطعهم بموذياته عن سلوكها فقد عم هذا المعنى جميع
الظواهر والبواطن والعلو والسفل اذ اعلى ما في شعب الايمان
التوحيد فاذا قلت لا اله الا الله فانها مجموعة من نفي واثبات
النفي اماطة الشرك الخبيث كله فقولك لا اله نفي وتطهير واماطة
للشرك والاذاية كلها انما المشركون نجس ان الذين يوذون الله
ورسوله وكذا كل كلمة وكل عمل ظاهر او باطن اذ كل حسن مرتبط بضده
من القبيح وكل طيب له ضد من الخبيث وكل سنة خلافها بدعة وعلى
كل سبيل شيطان موجود فوجب اماطة الاذى عن كل طريق ظاهرة
او باطن يوذي المسلمين في طرق الاقدام وطرق الديانات والقصد
الى الله والنص الجلي الذي لا شك فيه في اماطة الاذى عن طرق السلوك
قوله تعالى اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم خذ من اموالهم
صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وانما اراد تطهيرهم من المهلكات والاوساخ
الموبقات كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات وثلاث
منجيات ثم فسر المهلكات الموذيات فقال شح مطاع وهوى متبع واعجاب
كل ذي راي برايه فكل ما نهى الله ورسوله عنه ظاهرا وباطنا فهو مهلك
موذ وكل ما امر الله به ورسوله ظاهرا وباطنا فهو منج فالمامور به
ضد المنهي عنه والعبد محل الامر والنهي فوجب عليه اماطة المنهي

عن ذاته التي هي المحل ظاهراً وباطناً وتطهيرها فإنه مأمور بالسلوك
الذي هو التقرب إلى الله والمنهي متعرض له في طريقه وقاطع له فإن
ارتكبه وحصل بذاته فعلاً كان أو صفة حبسه عن السلوك والنهوض
والصعود إلى مولاه ولا يصلح لمجاورة الطاهر القدوس ولا يصل إلى
مولاه ولا يقدر على التقرب منه ما دام ذلك القاطع المؤذي في ذاته
فليتطهر العبد في ذاته وليمط عنها المؤذيات والمهلكات بالصوم
والذكر الكثير فحينئذ يسبح باطنه سبحاً ويجري جرياً ويسبق سبقاً ويمشي
هناك بالشوق والتبشير إلى مولاه قال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله
عليه وسلم واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلاً أي انقطع إليه انقطاعاً
بعد أن طهره ونظفه من جميع المؤذيات حين شق قلبه وشرح صدره
وأخرج منه العلقة التي هي حظ الشيطان وقال له جبريل عليه السلام
هذا حظ الشيطان أبعدناه منك يا حبيب الله وتلك العلقة
في حق كل عبد هي أم العلائق المتعلقة بالإنسان وقد أمر بقطعها
وإخراجها بالإماطة والتطهير وحب الدنيا المذمومة رأس كل خطيئة
فلا علاج في إماطتها أنجع من قطع الرأس فإن الرأس إذا قطع لم تبق
الأطراف ومتى قطعت الأطراف وبقي الرأس نشأت الأطراف التي هي
الفروع وعادت فافهم فإن حب الدنيا التي هي طلب الجاه الدنياوي
والمال المطلوب للنفس ولذاتها لا لباق عن الله ولا إقبال على غيره
وله طلب الكبر وطلب الرياسة والتفاخر واتباع الهوى والكفر
والشرك والفجور والضلال والخسران والجهل والغفلة وعمى
القلب والعمى والحيلة والخداع والغش والكذب والفساد
والإفساد والسفه والاستهزاء والإباية والعناد والقطيعة والدعوى
والظلم والجور والبغي والحسد والإصرار وكفران النعم والجحود
ونقض العهود والإلباس والتدليس والغضب والسخط والحمق
والقسوة والنسيان والنفور والعدوان والحرص والغرور
والخيانة والجبن والمشاددة والمرح والعجب والمكابرة والعجلة
وموت القلب والنوم والطمع وفترة القلب والكسل والزيغ



والبدعة والشقاق والنفاق والتعصب والحمية والتقليد
وغير ذلك مما يكثر جلبه وتعداده ويكفيك في معرفة ذلك فصل
واحد أصف لك فيه جملة المهلكات والمنجيات والقاطعات
والمقربات وذلك أن تعرض النفس على القرآن والسنة وأقوال
الصحابة وعلماء الآخرة من بعدهم فإذا قرأت القرآن والسنة
فانظر ما ذكر فيه من أمر ومأمور به فله ضد مهلك قاطع عن الله
مؤذ فإن كنت قد ارتكبته فتب منه واقطعه عنك وأمطه عن
ذاتك واتصف بجهدك بالمأمور به فإنه يقول لك انظر إذ كان
أنت هكذا أو على غير هذا الوصف وكذلك كل قصص أو خبر أو مثل
ورد في أوصاف القرون الخالية من مدح أو ذم إنما هو تذكير لك
على هذا الوجه الذي ذكرت لك وكذلك السنة فلا تمر بك كلمة
واحدة من القرآن والسنة وأقوال العلماء الموصين إلا وهي آمرة
لك أو زاجرة فانظر إلى كثرة المؤذيات وعمومها وقد أحاطت
بالإنسان وتعلقت به وجذبته إلى البعد وقطعته عن مولاه
وهو لا يشعر أو يشعر ومتى سعى الإنسان في قطع رذيلة واحدة من تلك
الرذائل بصدق حتى يزيلها بالكلية من أصلها يرجى له أن يتزلزل
كلها فإنها متعلقة بعضها ببعض لا سيما إذا قطع المهلك وصار
مكانه منجي فإنها من الصدقات للسيئات لأنها وقال الله تعالى إن الحسنات
يذهبن السيئات وقال عز وجل والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا فتقتضي هذه الآية أن السبيل لا يهتدى إليه إلا بعد المجاهدة
والمجاهدة إلا تكون إلا للقاطع المؤذي المتعرض في الطريق وما دام القا طع
فالسبيل غير ظاهر ويوصل إلى المعية الإحسانية التي ختم بها الآية
في قوله تعالى وإن الله لمع المحسنين والإحسان أن تعبد الله كأنك
تراه لأن السبيل قد ظهر والمقصود فيه سبحانه متلق عبده بكل
نوع من أنواع البشر والإكرام فيه من تقرب مني شبراً تقربت منه شبراً
ومن تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً ومن تقرب مني ذراعاً تقربت
منه باعاً ومن أتاني يمشي أتيته هرولة إذ هذا لهو الفضل العظيم

والرحيم والوصف والخلق الكريم **فصل** قال النبي
صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة افضلها قول
لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق فقوله ادناها
اي اقربها اليكم لان الايمان ليس فيه شي دني انما هو من القرب
من قوله عز وجل فكان قاب قوسين او ادنى اي اقرب فنبه صلى الله
عليه وسلم على ان المبتدا يكون بالاماطة لان القواطع والموذيات
من صفات النفس وشهواتها فاول الاشيا التطهير من الموذيات
لانها مانعة من السلوك في الطريق وكذلك الموذيات ايضا في
الطريق المحسوسات اذا منعت اول ما يجب ازالتها لينفتح الطريق
ويصلح المشي فيها ويكون ايضا ادنى في قوله صلى الله عليه وسلم
ادناها اماطة الاذى اي ليس شي اقرب واعون على الدنو والقرب
من اماطة الاذى عن طريق الله لان الانسان قد يكون مجتهدا
في طاعة من طاعات الله تعالى وهو غير متطهر من الموذيات القائمة
بذاته فلا يجد روح القرب ولا كشف المجاهدة ولا علو الاحوال
مع الله تعالى وانما منعه عن ذلك عدم اماطة الاذى القائم
بذاته فان ترك اماطة الاذى وكثرة الموذيات المهلكات نكسته
واذلته ووضعته حتى ربما تعبده للاشيا وذل لها فصار عبدا
لها ومالكا مملوكا بعد ان كان مالكا لها ومتصرفا فيها بالخلافة
التي استخلفه الله فيها فقلب الحكمة وعكس الامر لان الله سبحانه
وتعالى خلقه في احسن تقويم فصار في اسفل سافلين بالذلة
للاشيا والتعبد لها وحكم الخليفة والمالك ان تكون الاشيا
مسخرة له وتحت ملكه وقهره قال الله تعالى ذاما لمن قلب الحكمة
في هذا المعنى قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة فاجابهم
بان قال لهم انكم قوم تجهلون حين ابتغيتم الهة من العبيد الفقرا
المخلوقين المضطرين وتركتم اله العالمين وسيد الخلق اجمعين
الذي لا تقدر قدره ولا تبلغ الى عزه وشرفه والذي ينبغي ان تهتز
وتنتشر ذوات العالمين اجمعين طربا وتطير فرحا من اجل ان

كان ربها على ما هو عليه من العظمة وشرف الرتبة وجلالة القدر
والسيادة ثم نبههم على معنى اخر وهو خساسة القدر وقلة الهمة
فقال اغير الله ابغيكم الها وهو فضلكم على العالمين كيف قلبتم
الحكمة جعلكم الله خلفا على العالمين وفضلكم عليهم وملككم اياهم
وخلقهم من اجلكم وبكم وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا
منه فرددتم الاعلا اسفل والاسفل اعلا وكذلك قيل ليس شي
اهون على الله من الدنيا واهون منها قلب ملكته واستعبد لها
وكذلك العبد استعبد لعبد فكيف يولي وما لك استعبد لعبد
وملكه قال الله تعالى وجعلكم ملوكا واتاكم ما لم يوت احدا من
العالمين وقال تعالى وهو الذي جعلكم خلايف الارض وقال
النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق ادم على صورته وفي حديث
اخر على صورة الرحمن وكذلك بنوه وليس معناه الصورة الجسمانية
فتعالى الله عن شبه الخليقة وانما المعنى ما قدمت لك من الخلافة
فان الله سبحانه خلق الاشيا من اجل بني ادم وهم الملوك فيها في
الدنيا والاخرة فمثال ذلك في علم الدنيا ان البارئ تبارك
وتعالى هو رب العالمين وسيد الخلق اجمعين يتصرف في ملكه
بالتدبير والصنع ووضع الاشيا مواضعها فاستخلف بني ادم
في الارض بما فيها من جميع الاشيا وسخر لهم جميع العلويات والسفليات
لينظر اشكر فيعبد شكرا لما اولاه او يكفر فيقلب الحكمة فيتعبد
لمن ملكه اياه فكان هو الخليفة فيها وجعل عالم الحيوان كله
على اربع قوائم منحنيا ليركب عليه بالخلافة وليكون مالكا له
وكذلك غيره من المخلوقات من نبات وجواهر ومعادن وارض
وبحر وغير ذلك وامره بالاستوا عليه كما قال تعالى وجعل لكم
الارض مهادا وذلولا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون
ثم نسق هذا المعنى الى قوله تعالى وجعل لكم من الفلك والانعام
ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم
عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين

على احد التاويلين اي نعرف نفوسنا معه اذ جعلنا على صورته ووصفنا
بوصفه اذ ملكنا الاشيا كما هو المالك لها وسخرها لنا كما هي المسخرة
له فاذا فهمت هذا انبني لك معنى قوله صلى الله عليه وسلم ان الله
خلق ادم على صورته ولم يبق فيه مثقال ذرة من اشكال وكنت من
الراسخين فان الله سبحانه وتعالى خلق ابن ادم منتصب القامة لئلا
يذل لغيره ويركع ويسجد له وكما كان الحيوان مخلوقا على صورة
التسخر والذلة لا تستطيع ان تكون منتصبا مرتفعا كابن ادم
فقد استوى عليها بالخلافة بالعلو والسيادة والقهر والملك لها
كما ان الباري سبحانه مستو على عرشه وملكه بالعلو والرتبة والسيادة
والقهر والغلبة بدنيا من غير تفصيل للايات وكذلك ابن ادم قد استوى
بالخلافة على ما استخلف فيه وخص بالعقل المدبر للامور المصالح
والممالك وامر بالتفكر والتذكر والتدبر في العالم كله ظاهرا وباطنا
وخلق روحه على صورة من البسط لا تقبل على مكان دون مكان كما ان
الباري لا يتقبل على مكان دون مكان فيدبر ويتصرف بذاته الباطنة
في عمله في كل مكان من العالم لتظهر تدبيره وسياسته في الملك على حسب
ما امره المستخلف له سبحانه وامره ان يكون على صورته في التدبير
والملك للاشيا لا ان يغلب الحكمة فيفسد او يكون عبدا لها فقد
استبان لك معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق ادم على صورته
واما الرواية الاخرى ان الله خلق ادم على صورة الرحمن فان الله عز وجل
استوى على عرشه الذي هو ملكه كله بصفة الرحمة كما قال تعالى الرحمن
على العرش استوى ثم استوى على العرش الرحمن فلم تر الخليقة
منه الا اللطف والرحمة والفضل وهنا العيش والاكرام لسعة
رحمته التي اقتضاها اسمه الرحمن جل جلاله فمن عصاه واستكبر
عليه وادعى ما ليس له ان يدعي الحاجة الى غيره في زعمه وتابى عن طاعة
مولاه الحق فتركه سبحانه مع ما ادعاه من تسلطه هواه لغناه عنه
وعن العالمين فكان ذلك خروجا منه عن العبودية وخروجا عن ملك
لجميع العالمين وتابى عن الاستوا بالرحمة عليه فوجب طرده وقتله

ما الكه فاخاز عن الرحمه العامه
الشامله لملك الله والخبر المعرف
العام صح

وعذابه

وعذابه واهلاكه وعلى كل من اطاع ابليس من المخلوقات ونسب اليه شيا
من الالهية فتسلطت عليه الاشيا حين تركت مع ما ادعى من النسبة
اليها حين نسب اليها ما لا يليق بها نغضبت عليه ازلا وابدا حين ظلمها او لبا
لقطعه عليها بما لا يجب لها او تسلطت عليه وقتا ما عقدا را احصيان
قل او كثر فهذا سبب العذاب في الوجود والهلاك والتركلة ولو بقي
على ما اريد منه كان غريقا في الرحمة مع جميع عباد الله لكنه قلب الحكمة
فصير العبد ربا وفي الخلافة الفاضل مفضولا وكذلك ابن ادم
ان يستوي في خلافته على ما استخلف فيه بصفة الرحمة وينظر اليها
بعين الرفق ويدبرها كما امره الشرع وحد له المستخلف ولا يكون
جبارا عنيدا ولا شيطانا مريدا فان شذ منه شي وهرب وعصى ونفر مما
استخلف فيه كسائر المؤذيات للخلفا في هذا العالم من الشياطين والحيات
والسباع الضاريات وغير ذلك من كل ابق فقد سلط الخلفا عليه بالعقر
والقتل والخزي الى غير ذلك من انواع الحكم فيكون خليفة حاكما على
صورة المستخلف له فيه فافهم معنى قوله صلى الله عليه وسلم خلق ادم
على صورته اي لم يستعبد للاشيا وارتفعت همته الى المستخلف له
الى اعلا عليين وتصرف روحه في الملا الاعلى ملامسا فيه لتروحه
وارتفعت صورة جسده قائما على الاشيا كما خلق قائما ولم يخر ظهره
راكعا وساجدا لسوى الملك الحق فانه قد اعطى انتصابا لا انحنا اختيارا
ولم يجعل كالاشيا التي انحناؤها ضروري لا تستطيع ان تنقلب
عن صورتها لانها تحت لابن ادم وابن ادم علو عليها فاذا اراد ان ينحني
انحنى وخضع لمالكه واذا اراد ان يرتفع عن الانحنا للاشيا ارتفع
واذا اراد ان ينحني عليها انحنا الرحمة وحنو العطف ساغ له ذلك
كما تنزل مستخلفه اليه من صفات العظمة والجلال الى صفات الرحمة
واللطف والحنان فيميل عليها بجسده ويتنزل اليها ويتجلى بذاته
الباطنة ويتنزل للحكم والعدل والرحمة والفضل فافهم فهمك الله
وليس بعد هذا البيان بيان فيما احسب ان شا الله والحمد لله فاحط
عنك المؤذيات القاطعات لك عن السلوك الى مولاك فانها الطرق

اليه اقرب من طرفة العين لانه ليس بينك وبينه واسطة ولا رفع
عليك احدا من خلقه لانك خليفته فانت تحتاد هو عليك وغيرك
تحت لك فاي مسافة بينك وبينه وانما قطعتك العوايق وتلك
المؤذيات فهذا اقرب طريق اليه واقصده وعلى الله قصد السبيل
ومنها جاير وانما جار من جار عن الطريق القصد المبلغ في ايسر
مدة بترك اماطة الاذى عن الطريق كما تقدم وليس ينال الوصول
اليه سبحانه بكثرة اجتهاد في الاعمال مع ترك الاماطة لانها
اوساخ وخبايث وتبعيد عن اوصاف المهيمن لبعيد القدوس لتنزيه
عنها وانما تقرب منه المتطهر منها لانه الطاهر فاذا انطهر فقد اتصف
بما امر من التخلق باوصافه المحمودة التي اوجدها عن معاني اوصافه
القديمة وليس بينها وبينها مجانسة لانها فانية وموجودة عنها وبها
كالطهارة عن الطاهر والتقديس عن القدوس والعلم عن العليم
والجود عن الكريم وهكذا كل صفة ظاهرة طريق مبلغ في اسرع من
طرفة عين الى من فاضت عن اوصافه الا ترى الى قوله تعالى في القران
الكريم يس والقران الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم
تنزيل العزيز الرحيم فنص بان تنزيل هو القران الصراط المستقيم
والقران نزل من عند الله وهو الجامع لمعاني الاسما والصفات فمن
اتبعه وصله الى من نزل من عنده اي كلمة اخذت منه واتبعتها ادتك
اليه واول الخلق اقتدا به محمد صلى الله عليه وسلم عمل به كله واوصلته
كل كلمة منه الى الغاية القصوى من القرب وفي اقتدايه بكل اية
منه ترك اثرا في الوجود فكل اثر صراط مستقيم وهي سننه المسنونة ظاهرا
وباطنا والاثر والسنن هو الصراط فافهم والسنن في اللغة هو الطريق
وكذلك الشارع هو الطريق والاثر وعليه قعدت الشياطين
الانسية والجنية لتضل عن سبيل الله فلا يصدنك قاطع ولا مود
عن اتباع الرسول في الظاهر والباطن فان باطنه هو المطهر المنزه
المقدس المبعد عن كل خلق يضاد المعاني الفايضة عن اوصاف القدوس
سبحانه وتعالى وفي الحديث كان صلى الله عليه وسلم خلقه القران

271

وكذلك ظاهره منزه عن اتباع الاهوا والاراء الفاسدة والبدع
المضلة لانه اتبع ما شرع له وحده فكان صلى الله عليه وسلم واصلا الى
الى الله تعالى في كل حركة تحرك في اسرع من طرفة عين حتى لقد قطع في
ليلة واحدة في مسيرة في الاسرا ظاهرا وباطنا كل مسافة وطوى في
سراه البعد كله والقرب اجمعه حتى تخطى رقاب الكون كله الى حضرة
الجليل في مقامات معارج المتقربين السالكين فاذهم وتقرب اليه
بجميع انواع ما شاهد من عبادة العابدين قولا ونية وعقدا وعلما وعملا
ظاهرا وباطنا فشاهد مراتب العالم كل له مقام معلوم ليس له من القوة
والنهضة ان يجوز ويتخطا ذلك المقام الذي هو فيه انما يمد كل احد
من مقامه فنهض هو صلى الله عليه وسلم في كل مقام وغايته كل من فيه
وبذلك كان اماما للكل فيه فاقتد بهديه وبمن هو على منهاجه من الصحابة
والصديقين والعلما الراسخين الذين رسخوا في العلم والعمل به والا قتدا
بسنن النبي صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباحواله ومقاماته قلبه وروحه
وعقله باطنا ولا تظنن ان هذا عسير بل هو يسير لمن يسره الله له وانما
ذلك بالاماطة كما تقدم فامط الاذى عن ظاهرك وباطنك تصل
بلا كلفة وهو المقصد المبلغ قال النبي صلى الله عليه وسلم القصد القصد
تبلغوا فنص ان بالقصد تبلغ وان ابيت ان تميط الاذى عن ذاتك
لعبت ما شوذات الطريق ومالت بك الشياطين عن القصد الى بنيات
الطريق حتى تموت وتقبر وتبعث وتحاسب ويجري عليك في المحشر ما قدر
لك حتى تجوز الصراط وتدخل الجنة ان سلمت وكنت من اهلها وحينيذ
تجد اول ما وجد من اماط الاذى هنا وسلك قصد السبيل والله اعلم

فصل

فاذا قلت كيف صفة الاماطة فاعلم ان النبي صلى
الله عليه وسلم قد قال ثلاث مهلكات ثم فسرها فقال شح مطاع وهوى
متبع واعجاب كل ذي راي برايه فوصف لك الشح والهوى والاعجاب
فانظر الى ذاتك فان قامت بها صفة الشح فاعمل في قطعها جهدك
بان تنفق على نفسك مما اعطاك الله بنية صالحة لتقوى بها على طاعة
الله تعالى فان كل نفقة بلا نية لا يتم صاحبها كريما ثم تنفق على اهلك

ان كانوا وبينك وبينه صالحة ايضا بغير اسراف ولا تقتير فان
التقتير شح والاسراف تبذير وليس من السخا والجود في شي ان المبذرين
كانوا اخوان الشياطين فان لزمتك الزكاة اخرجتها بنية صالحة
طيبة نفسك بذلك ثم جاهد نفسك باقل شي واسمح فتتصدق بلقمة
او بتمرة وباقل واكثر قليلا قليلا حتى تتدرج نفسك وتتعلم السخا
واضف الضيف وصل القرابة فذلك من مكارم الاخلاق وكل ذلك
بنية واخلاص واطعم الطعام للاخوان ولو مرة في السنة واياك ان
تحقر ما اضيف لك فتحقر طاعة الله الا ترى الى قول المصطفى محمد صلى الله
عليه وسلم ان الله يحب السخا ولو على تمرات وجمع تمرات اقل الجمع واقل
الجمع ثلاث الى تسع وقال اتقوا النار ولو بشق تمرة وقد تصدقت
عايشة رضي الله عنها بها فان المراد بالصدقة التخلق بالجود والسخا
والتنزه عن الخاطر المؤذي الذي قدمت لك ذكره واذا فعلت ذلك
بنية خالصة لله كما ذكرت لك احبك الله كما قال ان الله يحب السخا
ولو على تمرات واذا احبك وجدت طعم الايمان في قلبك وتاثر قلبك
واستنار بنور الله ورايت ما لم تكن ترى قبل ذلك حين انكشف الحجاب
المؤذي عن قلبك وهكذا تتدرج حتى تتصدق بخروبة وبثمن درهم
وربعه ونصفه وبه وكلما فعلت ذلك وجدت اثر حب الله لك اكثر
وما امسكت من مال لنفسك ولاهلك فامسكه بنية صالحة لله
ليكون لك ركابا للاخرة واخرج منه قلبك ولا تتاله اليه فتنقلب
الحكمة فان الدنيا ركاب للاخرة والركاب هو المركوب والمركوب مملوك
هو يخدمك لا انت تخدمه واحسن منه الى غيرك جهدك فالنفقات
تحسن وثمرته في الحال تجدها لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون
فافهم قوله تعالى مما تحبون وتحر الحلال جهدك فان الله لا يحب ويقبل
سواه وان لم يكن لك مال فارض واقنع واسقط الفقر والطمع عن ذاتك
تكن عند الله عزيزا ولا تطمع وتفتقر الى مخلوق مثلك فتنقلب الحكمة
كما تقدم فان الذي اعطاه هو الذي منعك ولا تقدر ان تمنع انت
ولا هو عنك لك اختبرك واياه بالمنع والعطا وربما كان عطاؤك الذي

اعطاك

اعطاك افضل من عطايه هو فانه ابتلاه بالعطا كما ابتلاك بالمنع واذا
رضيت به وقنعت فقد زال عنك ثقل المحاسبة على العطا والتبعات
التي تلزمه دنيا واخرى واتقوا بالذكر على نفسك فان كل تسبيحة
صدقة وكل تهليلة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تكبيرة صدقة
الى غير ذلك الحديث ولا تشح بنفسك على ربك في طاعته فاسمح بها في حركا تك
وسكناتك واجعلها كلها به وله تجده في طريق كل حركة وسكون واعمل
جهدك في قطع الشح المهلك واماطته عن ذاتك ولا تتعرض للهلاك
قال الله تعالى تصديقا لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم في ان الشح مهلك
وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة نزلت في ترك الجهاد
والنفقة فيه فوصف ان ترك الانفاق تهلكة **فصل** واما
قوله صلى الله عليه وسلم وهوى متبع ففي الخبر اتباع الهوى يصد عن سبيل
الله واذا صد عن سبيل الله فقد ضل عن المطلوب واي هلاك اشد من الضلا ل
قال الله تعالى تصديقا لهذا وان كثيرا ليضلون باهوايهم فالهوى
قاطع واقف على سبيل الله يصد عن الله فعليك بقطعه باتباع العلم
واعرض عن كل شي غير العلم النافع النبوي ولا تتعرض للعلم على شي والهوى
على ضربين هوى عقلي وهو الارا وهوى نفساني وهو جالب المشتهيات
فاجعل لهما العلم النافع الذي اقتدى به محمد صلى الله عليه وسلم وعلما
الاخرة من الصحابة وغيرهم فاقتد في الراي العقلي بالنبي صلى الله عليه وسلم
في الظواهر والبواطن ودع قول الراي ان لم يوافق لك الكتاب والسنة
فان لم تفعل ضل العقل عن السبيل واذا ضل هلك ولم يصل ولم يجد
ربه ولذلك تجد كثيرا من العلوم يولد القسوة والبعد والشك والكفر
لانها ارا فاسدة وكذلك الهوى النفساني لا تتبع الشهوات المحرمة
فانها قايدة الى النار ولا الاسراف في المباحات فان الله لا يحب المسر فين
وما لا يحب فهو بعيد من الله لانه مبغوض والقايم بذاته المبغوض
بعيد مثله فخذ من الشهوات ما حل بنية التقوى على طاعة الله لتكن
كلها لله ولذلك يقول الله يوم القيمة عن الدنيا ميزوا ما كان لي منها
والقوا سايرها في النار فاذا القيت في النار تبعها اهلها الاخذون

لها لغير اهلها فاذا اخذتها لله وصليت ايضا في الدنيا الى الله وكانت
معينة على قطع الطريق الى الله سبحانه فافهم فهمك الله تعالى والله اعلم
فصل واما قوله صلى الله عليه وسلم واعجاب كل ذي راي برايه
فاذا العجب خيلا القلب واذا خالطا العجب القلب والعقل استحسن
رايه واستبد به وحجبه عن رؤية كل عيب فيه حتى يرى القبيح حسنا
وذلك الهلاك المبين قال النبي صلى الله عليه وسلم لو لم تذنبوا
لخفت عليكم ما هو اشد منه العجب فقد يكون الذنب خيرا منه اي خير
فيه واقل خصالة هذا ومن خصاله انه ينقطع عن الله لان صاحبه ناظر
الى نفسه مستحسن لها مثن عليها ومزك لها فاذا فعل ذلك حجب عن
الله العظيم العجيب القاهر الذي تحيره لا يدانيه نحل الذي خلقه من
نطفة قذرة تخرج من مبال المبال وغذاه في ظلمات البطن بدم الحيض
القذر ثم اخرجه الى الدنيا على ام الراس من مخرج البول ضعيفا مسكينا
مهينا يتمرغ في بوله وقذره وافقره الى من يطهره من ذلك وتبدد فقره
باطعامه وكسوة عورته حتى ترعرع ونشا نظر الى نفسه فراى جسمه
ومنزه وكيف ستر الله الجليل بسترة الجلد الظاهر ما خفي تحته من الدم
الجاري في كل جزء منه علوا وسفلا وكيف ستر في بطنه شيا يضع يده
على انفه اذا خرج منه الى الظاهر من ريح وقذر وبول وافتقر الى ان
يغسله بيده التي ياكل بها ويحك علوه وسفله بها وجعل المخاط جاريا
في وسط اشرف شي منه وهو الوجه والبزاق والنخمة في فمه وحلقه
ويجد طعمها في حلقه وفمه والقذاة في عينيه الكريمتين عليه والوسخ
في اذنيه والقلح في اسنانه والرايحة الثقيلة في ابطيه وفخذيه
وتحت ركبتيه والنتن والهف تحت اظفاره وخلق منه القمل في جسده
وراسه من فضلات غذايه ثم سلط عليه الجوع والخوف والحر والبرد
والمرض وخوفه بجميع ما يتخوف من الاعراض المتسلطة عليه اناء الليل
والنهار ثم مع هذا كله هو مواقع للذنوب وجاهل بما يراد منه ولاي
شي خلق وفي اي دار في الاخرة مسكنه وحجب عن عيوبه الظاهرة
والباطنة وعما اريد منه باعجابه الموقوف المبعد وهل عمل به هذا

كلها لا ليفرغ عن اعجابه ويهرب من نفسه الى الملك المنزه العجيب
الرفيع الذي يجب ان يكون العبد ابدا متعجبا من عجايب قدرته التي
قامت بها الاشيا كلها على كثرتها واختلافها واظهرت عجايبها فعلا ل
ومحكمات الغرايب والصنايع المتقنة مع الاباد والازال فيستدل
العبد بها على قدر الكبير المتعال الذي احاط بعلم واحد بجميع المعلومات
وصرف بقدرة واحدة جميع المقدورات فيبقى حايرا متعجبا متنزها في
نور السبحات سبحات الوجه الجليل فلا يقطعه عجبه بنفسه الحقيرة
ورايه القاصر عن حضرة الجليل جل جلاله ثم ينظر الى ما فعل معه مولاه
فيتعجب من كثرة احسان الله اليه وكيف سخر جميع الملك له واليه على قلة
قدره وما انطوى عليه من العيوب فينظر الى نفسه بعين المقت والعيب
والى ربه بعين الشكر والعجب فيسبحه في كل وقت ونفس ثم ينظر الى نفسه
بعين المقت والعيب والى ربه بعين الشكر والعجب فيسبحه في كل وقت
وما فعل معه ربه فيسبح تسبيح التعجب فيقول سبحان من اظهر الجميل
وستر القبيح فهذا دوا العجب ان شا الله قد اندرج فيما تقدم من الكلام
فلتجعله دواك ولكن لك نظران نظر الى قدر ربك وما فعل معك
ونظر الى قدر نفسك وما صنع معها فتتعجب من هو لا لكما تقدم وسعي
من قحة نفسك وجراتها وتوثبها الى مقام العجب الذي لا يكون الا
للرب فتنحط العجب عنك القاطع لك عن الوصول الى مقام العجب
العجاب وكذلك الكبر والريا وانواع المهلكات لها ادوية عجيبة وهي
كثيرة جدا والكلام فيها يستدعي التطويل وغرضنا الاختصار ٥
وبالقليل يستدل الطالب النبيل ولكن قد تقدم ان راس المهلكات
كلها حب الدنيا المذمومة فانا اذكر لك كيف الحيلة في قطع راس
جميع المهلكات وصفته اماطته فان في ذلك فهم الكل وقطعه ان
شا الله **فصل** اعلم ان الانسان خلقه الله في الدنيا طفلا
صغيرا وخرج الى الدنيا مفتقرا الى قيام بنيته واصلاح نفسه فاحتاج ج
الى شيين بهما قوامه وصلاحه احدهما تناول الشهوات المغذية
له والاخر تجمله واكرامه وحفظه الذي هو حياة نفسه وكذلك

ترى الطفل في حال تربيته يفرح ويضحك ويرفع ويرتع لان ذلك
سرور ذاته الباطنة وحياتها وتغذيته حياة جسمه وبنيته الظاهرة
فلا يزال ينشو اشيا فشيا وحب هذين الشيئين قد خامر ظاهره وباطنه
اعني حب الجاه الذي هو التبجيل والاكرام وحب نيل الاوطار التي هي
الشهوات وهذان المعنيان هما الدنيا باسرها من اجلها طلب الملك
وتنافس الخلق في طلب الرياسة والجاه وفي التنافس البغي والحسد
والتطاول على الاقران والتفاخر والتكاثر والعداوة والبغضا
والتزين والمرايأة والمكر والخديعة وطلب الاهلاك وجميع
الصفات النفسية وهكذا ايضا التنافس في طلب المال والاكثار
منه والاتساع فيه في المنقولات من المباني والمفاخر من الاثاث والمتاع
في الانفاق في المطاعم والمشارب الى غير ذلك مما يكثر تعداده فيتعلق
بذلك الحرص والحقد والشح على الملك وغير ذلك من صفات البهايم
التي غايتها ونهاية المطلب منها تسمينها وذبحها فلما كان امر الدنيا
هكذا اقبل الخلق على هذين المعنيين ليصلوا منهما الغاية القصوى
ولما كانت الدنيا دار فنا ولم تكن دار بقا وكان الجاه الحقيقي والشهوة
الكاملة انما هي في الاخرة دار الافراح واللذات امر الخالق بطلب
هذين المعنيين من معادنهما واعلموا انهم ان لم ينتقلوا وبقوا على طلبهما
في الدنيا نقلوا الى الاخرة وانقلب الجاه الدنياوي فيها خمولا
وكبرها صغارا وعزها ذلا وشهواتها عذابا وتنغيصا وذكا لا
فالموفق الناظر ينتبه ويتنبه لهذا فرق بين الباقي والفاني والحقير والعظيم
يجري في طلب العظيم وترك الحقير فلم يجد لذلك حيلة ولا دوا الا
شيين كما بين امور الدنيا شتات فالامر الواحد يميط عنه جميع
المهلكات النفسانية والامر الثاني يميط عنه جميع المهلكات
الشهوانية فاما النفساني فهو ادخال النفس في ربقة العبودية
لله الجليل الذي جاه وجهه الكريم لا يدانيه جاه والذي لجاه وجهه
عنت الوجوه وعنت الوجوه للحي القيوم والذي في لمحة واحدة من
النظر الى جاه وجه ذي الجلال والاكرام يفنى كل جاه ويهلك كل

وجه كل من عليها فان ويبقى كل وجه ربك كل شي هالك الا وجهه فافهم
يا فتى نهاية طلب الجاه قول ربك ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام
فان الوجه في اللغة هي المنزلة الرفيعة التي تجل وتكرم صاحبها من
اجلها كجاه الملوك والكبرا فان الملك لم يجل ولا اكرم ولا رفع من اجل
وجهه الذي في راسه وانما اجل واكرم ورفع من اجل وجهه الذي هو
منزلته وكذلك كل كبير الا تراه اذا عزل عن ملكه وزال وجه منزلته
ورتبته كيف يبقى وجهه الذي هو في راسه وهو جارحته فلا يكاد شي
لا يجل ويعظم ويكرم كما كان قبل العزل من اجل بقا وجه جارحته
فلما فني وجه المنزلة فني الاكرام والاجلال له وكذلك الوجه ايضا
في اللغة المقدم في اوايل الاشيا على سايرها قال الله عز وجل امنوا
بالذي انزل على الذين امنوا وجه النهار اي المقدم منه والاول وهو
في المعاني راجع الى اول الرتبة وتقدمة المنزلة فانه انما يتقدم
في الاشيا الاكابر فانظر الى منزلة الله في قلبك والى منزلته في قلوب
العالمين اجمعين على نهايات نهاياتها واتساع عواليها هل اصفقت
الا على اجلال منزلته واكرام جاه وجهه وهل يجري احد ان يضيف شيا
من تلك المنزلة لسواه بل نزلت جميع المنازل العلويات والسفليات
تحت منزلته واضمحلت في وجه منزلته واكرمته واشتغلت بالملاحظة
والنظر الى منزلته فصيرت كل منزلة في منزلته كل من عليها فان ويبقى
وجه ربك فنيت بالمعنى والحقيقة ففناوها بالمعنى انه ليس يذكر
منزلة مع منزلته واضمحلت المنازل لانها كلها تحت لها وفناوها
بالحقيقة ان منزلته قديمة قبل الخلق ومع الخلق وبعد فنا الخلق
اذا افناهم والمنزلة الوجهية جامعة لكل رتبة لان الذي له الجاه
لا يكون له الجاه حتى يكون كبير القدر وعظيم الحظ وجليله ورفيعا
الى غير ذلك من الرتب الرفيعة التي حصل له بها الجاه في الخلق فلذلك
ذل الخلق لصاحب المنزلة لان جاهه عزيز وتبصبصوا له لان جاهه
كبير ويرفعونه لان جاهه الذي هو منزلته رفيع ويكرمونه لانه
كريم عليهم ويهابونه لان جاهه مهوب الى غير ذلك مما يكثر تعداده

وهذا في حق الله تعالى اعظم واوجب لانه الحقيقة فمنزلة وجهه
الكريم جامعة لكل رتبة عالية فاذا لاح للعبد وظهر لمحة من سبحات
الوجه الكريم ذلت نفسه وتصاغرت وتحاقرت وفني كل مهمٍّ عجيب
لها وصغر كبرها وحقر تعظيمها وفنيت جميع الصفات النفسانية
المهلكة الشيطانية فليسر وابتهج في اماطة الصفات النفسية
المهلكة من النظر الى سبحات الوجه الكريم الذي العرش بما حوى من
الخدمة منه مشفقون وناظرون ومتطلعون الى ملاحظته فاحرص
جهدك على العكوف في مقام المراقبة والملاحظة وانظر كيف
منزلة الله من قلبك واترك طلب الجاه لنفسك وهو سبحانه ينزل
منزلتك ويرتب رتبتك عنده وفي ملكوته وعند خلقه على قدر
منزلته عندك وهذا فضل منه لانه كان يستحق ان لا يذكر معه
مذكور لكن فضل منزلته صنع ذلك حتى اكرم عباده وامر باكرامهم
من هذا الباب فاطلب الجاه عنده وحده بان لا ترى في الوجود
الا وجهه واقرا ابدا في حال هذه الاية رب السموات والارض
وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته فان العبودية تحت والوجود
كله هل تعلم له سميا هل في الوجود من يسامية او يداني منزلته فان
اعظم بفضله منزلتك ورفع قدرك فليكن ذلك منه ومن فضله فعليه
يعود الثنا والمدح والحمد والشكر لا الى احد سواه وان ابتلاك
بخمول او سقوط او ذل في الدنيا ورايته منه فذلك زيادة في رفعتك
في الاخرة او جزا لصفات نفسك المتكبرة فاشكره فذلك كله خير
ولينبهك على انه ليس في الوجود من يحب له التقدم على الاشيا الا
هو كل شي هالك الا وجهه فافهم فهمنا الله واياك هذا تميط
عنك طلب الجاه الدنيوي المذموم الجامع للصفات المؤذيات
المهلكات النفسانية الصادة عن الوصول الى معرفة ربك وملاحظتك
لوجهه الكريم

فصل

واما الضرب الثاني من حب الدنيا الجامع
الذي هو حب الشهوات فمثله كالشجرة اصلها الذي هو الحب في القلب
وتفرعت اغصانها على الجوارح البدنية من خارج فكلما قطعت اغصانها

العقول الزاجرة بالكف عن المحظورات نبتت من اصلها المداخل فروع
طلب المباحات الحلال فان قلعت الاغصان بتقصيرها الذي هو
الاقتصار على ما لا بد منه والاطالة عنه فعل هذا او تشعبت
في كل ناحية واتسعت الى طلب الاسراف حتى تنبع صورتها وتخرج
الى المحظورات ثم اعطي قلع الاصل فهو الذي غرست الحكمة في
قلبه فتفرعت على جوارحه اغصانها ذلك فضل الله يؤتيه من يشا
واعلم ان الحكمة صورة محكمة متقنة في احسن تقويم هذه صورة
الحكمة في كل شي والحكمة علم محكم وعمل متقن فالعالم في القلب والحكمة
عمل بالجوارح وتفسير معنى الحكمة المتقدم هو وضع الاشيا في مواضعها
اللايقة بها التي ان ازيلت عن تلك المواضع صارت سفها وعادت
عبثا لان الحكمة كما تقدم منضدة مرتبة في غاية التنضيد والترتيب
وضدها اللهو واللعب فاذا فهمت هذا من صورة الحكمة علمنا ان
الانسان خلق في الدنيا ليعمل لله وللاخرة التي ينقل اليها لا ليعمل
للدنيا فامر العبد ان يجعل حركاته كلها وسكناته في الدنيا للاخرة
ولله على ما امره الحكيم سبحانه والحكيم لا يامر الا بوضع الاشيا مواضعها
فاذا فعل الانسان ذلك كانت حركاته في الدنيا ليستعين بها في
امور الاخرة فصارت حركاته وسكناته كلها اخرة فهو سالك على
سبيل الاخرة لانه لم يخرج عنها وان كانت حركاته الدنيا وتيه
للدنيا وتمتع النفس فيها زال عن طريق الاخرة في حركاته وسكناته
في سبيل الهوى الم تر انهم في كل واد يهيمون ولذلك قد نجد الانسان
الحكيم الذي يسعى في طلب دنياه لله وللاخرة يحبه الله لانه في سبيل
الله ان الله يحب المومن المحترف ابا العيال لان طلبه للحلال والكف
عن طلب التكاثر والاسراف الذي لا يحبه الله وكلوا واشربوا ولا
تسرفوا انه لا يحب المسرفين وقد نجد الانسان ايضا في عمل ديني طلب
علم او عبادة ونيته ان يكرم بذلك وينال حظا من حظوظ الدنيا او يثنى
عليه في الدنيا او يعطى عرضا من اعراض الدنيا فهو بعمله الديني
دنياوي فقلبت الحكمة سفها بهذا الحب الدنياوي ثم قاتل قد

قد تصور حبّا لدنيا وهو بحر اجاج متلاطم الامواج غرق فيه من الخلق
افواج بعد افواج واشربوا في قلوبهم العجل اي حب العجل كلا بل تحبون
العاجلة فالخلق قد سكروا من هذا الشراب لانه خالط القلوب وخامر
العقول فهم في سكرتهم يعمهون والسكران عابث ولاه وغافل ولاعب
ومتطاول ومتفاخر وغير ذلك اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو
الآية اتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون
اتتركون فيما هاهنا آمنين الى قوله بيوتا فارهين اي حاذقين فيما صنعتم
وطلبتم في امور الدنيا والحاذق هو الكيس كلا بل الكيس من دان
نفسه وعمل لما بعد الموت فانظر كيف صار حذق اهل الدنيا عيا وعبثا
وسفها لانه ضد الحكمة وعلى غيرها سبيلها **فصل** فان
قلت كيف الحيلة في هذا الداء العضال الذي اعيا الاطباء وانا
لا غنى بي عن الدنيا لان قوامي منها فاعلم ان الحيلة فيها ما ذكرت
لك وذلك انك سائر الى الآخرة في كل نفس من انفاسك كالمسافر
وعابر السبيل فاخذ من الدنيا فاتوبه واعمله للآخرة ليصير
معك الى الآخرة ولا يقطعك عن طريق الآخرة وما اردت به الدنيا
والهوى فاقلع وتب واستغفر منه واعمل عمل الحكماء كما قدمت لك واعون
شيء على ذلك ان تخرج حب الدنيا عن قلبك وتعمره بالذكر لله والدار
الآخرة وبالفكر في ذلك وبالفكر في الدنيا وتقلبها باهلها وفنائها
وزوالها وتلاوة القرآن على النفس وزواجره وتحذيره عن الدنيا
حتى يكون معمورا بالذكر والخوف والحذر من الدنيا ولا تمكن قلبك
من التدبير للدنيا والتمني لها ومن الامل والتطويل فيها والرغبة
فلذلك يخرج قلبك من حب الدنيا والاشتغال بها فتكون خائفا
حذرا منها وان كنت محترفا فيها واخذا لها فانك اذا دخلت فيها
واخذتها للآخرة وقلبك حذر منها ومستمر الطاقة عنها والاستماع
الفكر في زواجر القرآن واخباره عن هلاك الامم الخالية كلها واخبار
الرسول صلى الله عليه وسلم والنظر والفكر في العالم ورؤية العجائب
والوقايع والمصايب في الخلق آناء الليل واطراف النهار فان ذلك

ينزع القلب عن الدنيا والحب لها والشغل بها وذلك هو اماطة
حبها عن القلب ودخول حب غيرها فيه وعمرانه بذكر الله وذكر الآخرة
ولا بد للقلب ان يكون معمورا فاخرج عمران الدنيا منه واعمره
بغيرها فيكون جسدك في الدنيا وقلبك في الآخرة لانه معمور
بها فلا دواء لها الا هذا الذي ذكرت لك وفيما ذكرت لك
تطهير القلب من جميع المؤذيات وجلاؤه بالذكر والصوم والخوف
والحذر والفكر وهذه صورة الحكمة علما وعملا وانما امرت ان تكون
حكيما لا سفيها وبذلك ينتظم لك الدنيا وينبا اما كنت لك منها وما
كنت لك منها اجعله لله والدار الآخرة فتعود آخرة كلها وكذلك
يقول الله تعالى يوم القيمة عن الدنيا ميزوا ما كان لي منها والقوا
سائرها في النار والاكياس الموفقون بهذا الكلام جعلوه ههنا
كذلك جعلوا دنياهم لله وكرهوا ان يكون شيء منها للنار لانها تجذبهم
الى النار حفت النار بالشهوات والشهوات التي حفت بها النار ما لم
يكن لله **فصل** اعلم انك لا تتبين صورة ما ذكرت لك
بالحقيقة الا بمعرفة الحق والباطل فاذا عرفتهما تجلت لك الحكمة
بصورتها مجلوة فرايتها في احسن تقويم وذلك ان الحق هو الموجود
الثابت الذي لا بد منه ولا يزول وجوده والباطل هو الشيء المتخيل
المتوهم انه موجود باق فاذا طلبته في اخراه تبين لك بطلانه
فالحق هو الله الباقي والدار الآخرة لانها باقية ابدا والبقا فيها
حق ابدا والدنيا عرض زائل فتوهم بقائه محال لانه يعرض ثم يزول
فتوهم البقاء في الدنيا باطل والعمل للبقاء فيها باطل وخلودا اهلها
فيها باطل وخلودها في باطل لان ارضها وسماها اذا فني عنها
اهلها فنيت في خلفهم وابقيت بابقا بعدهم ليسكنها غيرهم ويجري لهم
كما جرى لهم فاذا تم خلق بني آدم فنيت بفنائهم فتوهم البقاء فيها ودوام
بقائها والعمل للبقاء فيها باطل واعظم الناس زينة في هذه المشاهدة
المعنى يقوله فان يشأ الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل منه ويحق
الحق اي فيه بكلماته والختم هو الطبع واخر الشيء فمن طبع الله قلبه

قلبه بطابع الايمان وجبله على التصديق بكل حق وان لا يصدق بوجود
الباطل وحصل ذلك له طبعا طبيعيا حتى لا يقبل سواه فقد ختم على قلبه
ان لا يقبل سواه لانه انتهى الى اخر الطبع فلا يقبل غيره من الباطل لانه
ضده والطبع ينافي ضده فقد امحى عنه بالكلية وتحقق طبعه وبالضد
ايضا لمن طبع الله قلبه بطابع الجحد للحق والتصديق بالباطل فصار
له طبعا طبيعيا حتى لا يقبل سواه فقد ختم على قلبه لانه انتهى الى اخر
الطبع فلا يقبل سوى الباطل وامحى عنه تصور الحق بالكلية ولذلك
لم تقدر الرسل عليهم السلام ان تدخل في قلوب المطبوعين ذرة من
التصديق بالحق قال تعالى فيهم سواء عليهم ءانذرتهم اي بوجود الحق ام لم
تنذرهم لا يؤمنون اي به لانهم انما امنوا بما ادركت حواسهم من وجود
الدنيا والكون فيها وطبعوا على ذلك فانتهى طبع ايمانهم الى اخره واخر
الشي ليس وراءه اخره منه شي فاذا ذكرهم شي من الحق الغايب قالوا هذا
شي عجيب ان هذا الشي عجاب ان هذا الا اختلاق الى غير ذلك من العظايم
وما بين هذين الصنفين الخلق طبقات على قدر التصديق واليقين
بالحق والباطل حتى يكشف غطا الظاهر عن الكل فيحق الحق ويزهق
الزاهق الباطل ان الباطل كان زهوقا لقد كنت في غفلة من
هذا فكشفنا عنك غطاوك فبصرك اليوم حديد **فصل**
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روت عايشة رضي الله عنها
كثيرا التفكر في تعرف الفاني من الباقي وهذا افكر في العالمين اللذين
هما الدنيا والاخرى في الباقي منهما والفاني سواه وهذا دوا
ما تقدم ذكره لا دوا له الا ذلك لان سيد الحكما مشتغل به فاجعل
الفكر جليسك والذكر انيسك وكن قايما بين العالمين وحارسا
لقلبك ان يدخل فيه تكذيب بالحق وتصديق بالباطل المتقدم ذكرهما
فهذه صورة الحذر الحارس فاذا كنت كذلك حارسا لم يلج لقلبك شي
من حب الباطل او خاطر به الا امطته من قلبك فلا يكن شغلك
الا الفكر والحراسة وذلك يرجع الى حراسة القلب والجوارح فكلما
لاح في عالم الحس للجوارح الظاهرة محظور محرم كفه عنه وغض عن

النظر اليه وامط حبه عن القلب وان لم تمط حب ذلك عن القلب
الغرير امثل الشجرة في القلب وتطلب تفريع اغصانها على الجوارح
فالشان في قلع الاصل وغرس الحكمة المتقدم ذكرها فيه واذا
علم الله الصدق من مجاهدتك هداك واعانك وسهل لك الامر
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وهي على ضربين سبيل النظر
الى الله تعالى وسبيل النظر الى الاخرة والخلق هنا على ضربين
طالب لثواب الله والدار الاخرة وذلك سبيل مستقيم وقد امر الله
به لان فيه رضاه وطالب لقرة العين بلقا مولاه والنظر اليه
وذلك الطريق اقوم واقوم فشرح الله صدر كل واحد منهم وفتح له
الطريق المطلوب به بوعده الكريم بقوله تعالى لنهدينهم سبلنا وفي
هذا المقام والموضع خذل من خذل وعصم من عصم فثبت وذلك انه
لما شرحت صدورهم وفتحت بالعطا قلوبهم فرحت النفوس بالعطا
وبخروجها من الضيق الى فسحة التوحيد والاخرة نطقوا بالحكمة
وعلم الطريق وفوايد المواهب فحالطوا الناس واكرموا وبجلوا
واعطوا الدنيا فقبلوا الاكرام والتبجيل والعطا فمنهم من انخدع
فراى الدنيا كرامة فراجع الى ما غنه خرج فوثبت نفسه على الدنيا
التي خرج منها بقلبه واجتهادها حين اتته وفتنة الجاه والقبول واحبه
ففتن وصار طالبا للدنيا بالاخرة معطل الاركان والجوارح عن
الطاعات وقد بقي معه نطق بالحكمة التي شاهدها فتنة له فزل عن
مقامه المتقدم كي زهقت قدمه عنه فصار ضحكة للشيطان حين خلط
عمل الاخرة بعمل الدنيا وطلبها وهو اقبح من طلب الدنيا للدنيا وكذلك لك
كل من طلب علما وفقها من غير هو الا لاصاف لينال حظا من حظوظ الدنيا
وهو اقبح من طلب الدنيا للدنيا قال سحنون رحمه الله لان اطلب الدنيا
بالدف والمزمار احب الي اوخير من ان اطلبها بالدين ومن طلب الدنيا
بالدف والمزمار لم يطلبها للدين وانما طلبها للهوى فالواجب طلة
ذلك كله لان الله تعالى عرض ذلك عليه فتنة للاختبار والابتلا
للخلق قال الله تعالى فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه

وتهمه فيقول ربي اكرمني فعد ذلك كرامة والله سبحانه قد نص انه ابتلا
في اول الاية بقوله تعالى ابتلاه ورد قول العبد اخرا بقوله كلا الى
قوله تعالى جما جما الى اخر المعنى فان قلت كيف الحيلة فالحيلة ترك
الحيلة والخداع واخراج حب الدنيا من القلب بالكلية فان قلت
كيف يتصور ذلك فلا غنى عنها فالجواب ان الانبيا والصديقين
عليهم السلام كلهم اخذوا من الدنيا وكانوا فيها ولكنهم لم يحبوها بل
اخرجوها من قلوبهم ولم يركنوا اليها بل احتواهم لانهم وركنوا اليه
والركون الى الشيئين لا يستقيم ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه فاورثهم
الله مقام التمكين بان كانوا اخذين تاركين ومصاحبين للاشيا
فاقدين لها هذا في الاشيا التي هي ارفع من الدنيا فكيف بالدنيا كما
اخبر النبي صلى الله عليه وسلم في قوله عليه السلام لو كنت متخذا خليلا
لاتخذت ابا بكر خليلا وابو بكر رضي الله عنه خليله وحبيبه في السفر
والحضر دنيا واخرة موتا وحياة ثم قال صلى الله عليه وسلم ولكن
صاحبكم خليل الله فاخبر عن اشتغال قلبه بالله وتمكين الله له حتى لا
يقطعه غيره عنه وهو مع ذلك الغير وكذلك كان صلى الله عليه وسلم
مع نسايه وامته وهم وطايف النزع وفي القتال والحرب يخالط الاشيا
ويصاحبها ولا يشغله ولا يقطعه هذا كله في الشي المحبوب المكروم
الدنيا فاقل رتبته من هذا واقل بل ينبغي للانسان ان يجعلها مقام العدو
القاطع ويتفرغ عنها بقلبه فياخذها ويلابسها ويتصرف فيها اذا احتاج
الى ذلك وقلبه نافر عنها وخايف منها كمن يجلس مع من يكره ويكلمه ويخاطبه
وقلبه نافر عنه فان سطع للقلب جمال برقها وبهجتها والجمال محبوب
فليتذكر عاقبتها وباطنها والخروج منها فانها بالضد في الباطن ٥
والاستعانة في هذا كله بالله بان يتضرع اليه في كل وقت ان يمحو عن
قلبك حبها ويثبت في قلبك حبه فان الله يمحو ما يشا ويثبت ما يشا
واعلم ان الحب سبب الاسترقاق والرق ضد الحرية وقد امر العبد
ان لا تسترقه الدنيا ولا يكون عبدا لها بل قد استخلف فيها وجعلت
دقالة وخادمة وقد جعلت المولى رقيقه وعبيده لكن حب الملك والحكمة

فصل الاحتراز من الدنيا

والراحة الموذية وهم المشتغلون بخدمته والقايمون بحقوقه والخادمون
له لاجل الهوى حتى ينزل عن مقام سيادته الى المقام عبده فيعظه ويرفعه
على نفسه ويعبده نعم عند الدنيا رد الذميم الحديث الى اخره فاما طة
حب الدنيا من القلب يميط جميع الموذيات المهلكات من حسد ومن غير ذلك
من جميع الموذيات لان القلب قد تفرغ لله فاستعبد له واسترقه
الملك الحق والخلق مامورون كلهم بهذا فاذا لم تجد نفسك هكذا
فعليك بالتوبة والاستغنا ودوام الاماطة والتفرغ بالقلب من الدنيا
واشتغاله بالحكمة والذكر والفكر والمجاهدة فان الاماطة الكبرى
والتطهير الاكبر طهارة موضع نظر الله سبحانه وتعالى وهو القلب
وفي ترك التطهير للقلب والاماطة للموذيات عنه وفي تمكين
الحب للدنيا في القلب وترك النفور عنها وتمكينها من القلب من
عظيم من امر الاخرة لا يحتمل كتبه في الاوراق وهو معنى قوله
صلى الله عليه وسلم انما هي اعمالكم ترد عليكم وقول الله عز وجل ووجدوا
ما عملوا حاضرا وما عملت من سو تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا
واقرا قوله عز وجل ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون فافهم
معنى التماثيل فعليك بالاماطة والتطهير واستعن بالله جهدك
الى الممات يرحمك ويعينك وترى منه ما لم يخطر لك على بال من النصر
والتمكين ان كنت صادقا وقد انتهى بنا الكلام الى هذا القدر
وفي اقل الاشيا كفاية لمن دفق وهذه ادنجه وسبعون شعبة
وقد تقدم في الابواب ما يكون في الباب الواحد شعبتان واكثر
كالخمس في الزكاة والتبري من الحول والقوة الذي هو الاستثنا
في الايمان وفي كل نبي والعدل والالفة وحب العرب الداخل في
حب الرسول صلى الله عليه وسلم لانه تابع العرب وفي حب حب
نسبه الذي هو منه وكالاشراط وغير ذلك مما يبلغ الى البضع
والبضع ما بين الثلاثة الى التسعة كما قد حصل في قوله صلى الله
عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة جميع شرايع الاسلام مجملا
لانه اوتي جوامع الكلم واختصرت له الحكمة اختصارا فليس يخرج

منه من امور الدين عن هذه الشعب لمن فهم اجمال ذلك ان شا الله
الم تر الى قول النبي صلى الله عليه وسلم ان لله مائة خلق من تخلق
منها دخل الجنة وقد دخل في باب حسن الخلق هذا كله فان هذه
الخلق على عدد الاسماء وخلافها احاطة سفساف الاخلاق على
عدد المائة وكل خلق يجمع في نفسه اخلاقا ومكارم وهكذا جميع
الابواب مثل باب الكسب الجامع لابواب الحلال والحرام والحرام
جامع لمحرمات الجوارح السبعة على اختلافها وغير ذلك من الابواب
والله نسأله العصمة من ذلك كله بمنه وفضله ونسأل الله الكريم
ان يسمح لنا في كل زلل وخطا ولا يواخذنا به ولا بما نقول ونعمل
وان يرحمنا رحمة توجب لنا رضوانه ويصرف عنا غضبه وسخطه
وجميع انواع عقابه في الدنيا والاخرة وان يتلطف بنا وبكم بفضله
ولا يكلنا واياكم الى انفسنا وغفر الله لي ولكل من نظر في كتابنا هذا
واستغفر لمؤلفه بمغفرة لا يبقى معها ذنب ابدا امين امين وصلى
الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم كمل كتاب شعب الايمان
بحمد الله وعونه على يد الفقير الحقير الى مولاه الغفور
منصور بن سليم بن حسن الدمناوي الازهري
غفر الله لهم اجمعين بتاريخ يوم الخميس
المبارك رابع عشري محرم الحرام افتتاح
عام سنة اربعين والف
ختمت بالخير والشرف
والله الموفق
للصواب
تم

